الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان-
كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية
قسم التاريخ وعلم الآثار
شعبة التاريخ

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الاسلامي الوسيط
الموسومة بـــ

العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين [633-962هـ/ 1233-1554م]

من إعداد الطالبة الباحثة:
هوارية بكاي

بإشراف الأستاذ الدكتور
بودواية مبخوت

لجنة المناقشة:

أ.د. عبدلي لخضر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د. مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
د. مكيوي محمد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	مناقشا
أ.د. مكحلي محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة بلعباس	مناقشا
د. بلبشير عمر	أستاذ محاضر (أ)	جامعة معسكر	مناقشا
د. بوسليم صالح	أستاذ محاضر (أ)	جامعة غرداية	مناقشا

السنة الجامعية: 1434 -1435هـ/2013 -2014

شكر وتقدير

أشكر الله العلي القدير الذي وفقني إلى إنجاز هذا العمل راجية منه سبحانه وتعالى أن يجعله نافعا في الدنيا ويجزيني ثوابه في الآخرة.

كما أتوجه بالشكر الخالص إلى أستاذي الفاضل الدكتور مبخوت بودواية الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، وكان لي عونا ومرجعا، ولم يبخل علي بتوجيهاته القيمة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني ووقف إلى جانبي من قريب أو بعيد أساتذتي الكرام، وزملائي بالعمل بقسم التاريخ وعلم الآثار بجامعة تلمسان، وعمال المكتبات الوطنية، وعمال مختلف المكتبات بالمملكة المغربية على التسهيلات التي منحوني إياها ليخرج هذا البحث إلى النور.

والشكر موصول مسبقا إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء اللجنة الموقرة التي ستشرفني بمناقشة هذه الأطروحة.

إهداء

إلى أعز ما أنعم به الله علي من نعم بعد نعمة الإيمان

إليكما أبي وأمي الغاليين حفظكما الله وأطال في عمركما .

إلى وطني الحبيب الجزائر .

إلى الذي تحمل معي مشقة هذا البحث وكان لي عونا وسندا

زوجي ورفيق دربي السيد تواتي حسين .

إلى ولدي وقرتي عيني محمد سيف الاسلام ومحمد أكرم .

إلى الذين لم يبخلوا علي بالعون والدعاء والنصح إخوتي

وأخواتي : يوسف، سيدي محمد وزوجته وابنه، نادية، سليمة، سهام، سارة ،

وأبناءهم وأزواجهم .

إلى عائلة تواتي وعلى رأسهم الوالدة بختة أطال الله في عمرها .

إلى من أدين لهم بالفضل في نجاحي إليكم أساتذتي الكرام.

شهد المغرب الإسلامي منذ الفتوحات الإسلامية تعاقب العديد من الدويلات على حكمه، على الرغم من اختلاف مذاهبها وتوجهاتها إلا أن أهدافها كانت في معظمها موحدة تمثلت في بسط النفوذ و تحقيق وحدة المغرب الإسلامي تحت لواء كل واحدة منها، فدخلت بذلك كثير من هذه الدويلات في صراع دائم و منافسة مستمرة جعلت المنطقة مسرحا للأحداث السياسية والعسكرية، فشلت فيه كثير منها في تحقيق هذا الهدف إلى أن ظهر الموحدون الذين استطاعوا فرض سلطانهم على بلاد المغرب الإسلامي و الأندلس فترة طويلة، لم تخل من الدسائس و المؤامرات والتحالفات و الانقلابات السياسية من بعض القبائل و ولاة النواحي لإسقاطها.

وبالفعل اجتمعت الظروف و العوامل لإضعاف هذه الدولة و إنهاء حكمها في بلاد المغرب الإسلامي، بعد دخولها في حروب مستمرة تارة مع بني غانية ، وتارة مع المرينيين و تارة أخرى مع ولاة النواحي الذين خرجوا عنها و استبدوا بالحكم مع مطلع القرن السابع الهجري، الثالث عشر ميلادي، و من هنا بدأت عوامل الضعف و التفكك تنهش كيان الموحدين لاسيما بعد معركة العقاب سنة 609هـ/1212م.

و بذلك دخل المغرب الإسلامي و الأندلس حالة من الفوضى و الاضطرابات السياسية والعسكرية، و في هذه الآونة بادرت بعض القوى السياسية في الدولة و بعض
الزعامات القبلية إلى استغلال هذه الأوضاع المتردية للانفصال و تحقيق كيان سياسي مستقل فراحت تخطط لذلك سرا و جهرا إلى أن أعلنت العصيان، فكان أول من بادر إلى ذلك أبو زكرياء الحفصي (625 – 647هـ/ 1227 – 1249 م) مكونا الإمارة الحفصية (625 – 982 هـ / 1227 – 1574م) و منفردا بحكم ولاية إفريقية متخذا من تونس عاصمة له.

ففتحت هذه الخطوة الباب على مصراعيه لخطوات أخرى مماثلة كانت فكرة الانفصال والاستقلال تجيش في صدور بعض زعماء القبائل و عمال الدولة، فجاءت الخطوة الثانية للاستقلال على يد يغمراسن بن زيان زعيم بني عبد الواد (633 – 681 هـ / 1233 – 1282 م) الذي انفرد بالسلطة في تلمسان بمباركة الموحدين أنفسهم ورضاهم، وسار على نهجهم بنو مرين في المغرب الأقصى حيث كانوا من القبائل الزناتية التي لم تشأ الخضوع لنفوذ الموحدين، فقاموا بعدة محاولات للانفصال مستغلين في ذلك ما طرأ على جسم الموحدين من ضعف و اختلال، فجرت بينهما العديد من المعارك إلى أن تحقق هدفهم في قيام دولة لهم وذلك سنة 668 هـ / 1269م.

فكانت بذلك إيذانا بسقوط دولة الموحدين و قيام كيانات سياسية جديدة أعادت منطقة المغرب في حياتها السياسية إلى جو من الصراع القبلي الذي كان قائما قبل عصر المرابطين و الذي كانت عواقبه وخيمة على المغرب و الأندلس.

و على الرغم من أن هذه القبائل تكتلت في تشكيلات سياسية إلا أن الصراع بينها تفاقم نتيجة لذلك العداء الدائم و الحروب المستمرة بين المرينيين و الزيانيين من أجل بسط النفوذ على كامل المغرب و الاستقلال برئاسة زناتة، فراحوا يستغلون كل الظروف و المناسبات، و يستعملون مختلف الطرق و الوسائل لتحقيق ذلك.فظلّت العلاقة بينهما متوترة على طول تاريخ الدولتين تتخللها بعض فترات السلم و الهدنة على حسب اختلاف شخصيات السلاطين و سياساتهم و أهدافهم و وسائل الوصول إليها.

و لعل الموقع الجغرافي للمغرب الأوسط كان أهم سبب في توالي الحروب عليه من كل الجهات (محصور بين شقي رحى)، فكانت حدوده بين مدّ وجزر إلى غاية ظهور العثمانيين، ضف إلى ذلك أهمية العاصمة تلمسان، باعتبارها ملتقى لعدة طرقات و شبكات تجارية بين البحر و الصحراء من جهة و بين المغربين الأدنى و الأقصى من جهة أخرى، لذلك كانت محل أطماع جارتيها في التوسع، وكذا غارات النصارى في فترة لاحقة.لكن وعلى الرغم من هذا الصراع الحاد و التنافس اللامحدود السياسي و العسكري بين المغربين الأوسط و الأقصى إلا أنّ ذلك لم يمنع من وجود علاقات ثقافية، و تواصل فكري و علمي و حتى تجاري بين الإقليمين هذا ما حاولنا الكشف عنه قدر الإمكان في رسالة الماجستير الموسومة بـ **العلاقات الزيانية المرينية سياسيا و ثقافيا بين القرنين السابع والتاسع للهجرة**. و الأكيد أنّ العلاقات السياسية و الروابط الثقافية لم تتوقف بين الإقليمين عند هذا الحدّ، لا بل ظلت قائمة مستمرة حتى بعد سقوط المرينيين و ظهور الوطاسيين أبناء عمومتهم، و من بعدهم السعديين إلى غاية ظهور العثمانيين ببلاد المغرب الإسلامي.

هذا ما قد كنا قد بدأنا فيه في رسالة الماجستير، حيث حاولنا فيه كشف خلفية ذلك الصراع و تلك المنافسة التي ظلت مستمرة بينهما مدّة طويلة، ومظاهرها و بم ارتبطت؟ و هل كانت بينهما فترات صلح و هدنة أم لا، و هل جمعتهما روابط ثقافية، و ماهي أشكال و مظاهر هذه الروابط ؟ وما هو دور السلاطين و العلماء و رحلاتهم العلمية في تزكية هذه العلاقات؟

ولذلك كانت رغبتنا شديدة في مواصلة هذا البحث للكشف عن مستجدات هذه العلاقات والروابط سواء السياسية أو الثقافية بين المغربين، و ما طرأ عليها؟ و هل كان لها تأثير على بعضها البعض؟ و هل ظل ذلك الصراع السياسي و العسكري الذي كان قائما من قبل مستمرا إلى غاية ظهور العثمانيين بالمغرب الإسلامي؟ و هل ظلت الروابط الثقافية قائمة بينهما، و فيم ترجمت؟ و كيف تجسدت؟ و ما هي الأسس التي قامت عليها؟

❖ **أهمية الموضوع و سبب اختياري له:**

لا شك أنّ تاريخ المغرب الإسلامي عامة، و المغرب الأوسط بشكل خاص. تاريخ زاخر بالأحداث السياسية و الثقافية و الإجتماعية و الإقتصادية ..... إلخ، أحداث صنعتها العديد من الدويلات التي قامت على أرضه على اختلاف توجهاتها و مذاهبها و سياساتها وأهدافها وسبل الوصول إليها.

و لا شك أنّ في هذا الاختلاف تنوّع سياسي و تواصل علمي فكري و تمازج ثقافي بين دولة وأخرى، و لعل سبب اختيارنا لهذا الموضوع منطلقه هذا التنوع و التمازج والتواصل الذي كان قائما بين دول المغرب الإسلامي عامة و بين المغربين الأوسط و الأقصى خاصة على الرغم من وجود صراعات سياسية دائمة و منافسة مستمرة بينهما.

و علميا فإن الدراسة التي نحن بصدد التحضير لها هي مواصلة لما بدأناه في رسالة الماجستير الموسومة « بالعلاقات الزيانية المرينية سياسيا و ثقافيا بين القرنين (9.7ه / 13 . 15 م)

حيث سنتطرق لبعض النقاط التي لم تأخذ حظها من الدراسة و التحليل سابقا. و بالتالي فهدفنا 7 . 10ه / 13 . 16 م) هو محاولة كشف النقاب عن طبيعة العلاقات بين المغربين الأوسط و الأقصى في الفترة ما بين القرنين(7 . 10ه / 13 . 16 م) أي منذ تأسيس الدولة الزيانية الى سقوطها على يد الأتراك العثمانيين سنة 1554 م ، والتي عايشت ثلاث دول بالمغرب الأقصى وهي : المرينية ، الوطاسية ، والسعدية ، مع التطرق الى علاقة هتين الدولتين الأخيرتين مع حكام الجزائر الأتراك، وإبراز أشكال التعاون والتواصل الثقافي بينهما بشكل أوسع وأوضح وأدق.

إشكالية الموضوع:

من خلال تتبعنا للمسار التاريخي لبلاد المغرب الإسلامي عموما و المغربين الأوسط و الأقصى خصوصاّ، فإنه يتضح لنا جليا أنّ هذين الإقليمين بوجه خاص عرفا تطوّرات سياسية و ثقافية واقتصادية جدّ هامة، لما تكتسيه هذه المنطقة بالذات من أهمية إستراتيجية، أدخلت الإقليمين في

دوامة من الصراع السياسي و العسكري، كله من أجل فرض السلطان وبسط النفوذ على المغرب الإسلامي كافة، و الإستقلال برئاسة زناتة أقوى قبائله و الإمساك بزمام الأمور.

و لتحقيق ذلك انتهج سلاطين الإقليمين مختلف الوسائل و الطرق على اختلاف شخصياتهم ومبادئهم، حيث راحوا يحيكون الدسائس و المؤامرات مستغلين في ذلك نقاط ضعف الطرف الآخر و الخلافات الأسرية حول العرش و غيرها.

ومن خلال هذه الدراسة سنحاول الكشف عن مستجدات العلاقات بين المغربين الأوسط والأقصى بعد سقوط المرينيين إلى غاية ظهور العثمانيين سواء في المجال السياسي أو الثقافي.

و من خلال هذا الموضوع راودتنا العديد من التساؤلات و الإشكاليات التي تطرح نفسها، نذكر منها:

- هل استمر الصراع السياسي و العسكري الذي كان قائما بين المغربيين الأوسط والأقصى على عهد الزيانيين و المرينيين؟
- و ماهي أشكاله ومظاهره و العوامل التي ساهمت في نشأته ؟ والشخصيات الفاعلة فيه ؟وماذا يترتب عنه؟
- و هل كان لهذا الصراع تأثير على بقية المجالات الحيوية خاصة على الروابط الثقافية بين الإقليمين؟
- و هل كان للسلاطين والعلماء و رحلاتهم العلمية دور في تزكية و إثراء هذه الروابط و تحقيق التواصل الثقافي و الفكري؟
- و ما هو دور المؤسسات العلمية و الدينية في ازدهار هذه الروابط؟

كلها أسئلة سنحاول الإجابة عنها قدر المستطاع في بحثنا الموسوم بـ: «**العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط و الأقصى خلال القرنين السابع و العاشر هجريين (633-962هـ/1236-1554م)**» .

و من أجل ذلك قمنا بتقسيم هذه الدراسة الى مقدمة ومدخل وثلاثة أبواب :

مهدنا للموضوع بلمحة وجيزة عن أوضاع المغرب الإسلامي قبل سقوط الموحدين مبرزين العوامل المساهمة في ذلك .

ثم تناولنا في **الباب الاول** الأوضاع السياسية للمغربين الأوسط والأقصى مابين القرنين (7. 10)هـ/ (13. 16)م .

خصصنا **الفصل الأول** منه للتاريخ السياسي للمغرب الأوسط خلال هذه الفترة والذي يشمل على مبحثين الأول يتعلق بالتاريخ السياسي للدولة الزيانية والثاني للتطورات السياسية التي شهدها المغرب الأوسط منذ ظهور العثمانيين الى سقوط الزيانيين .

أما **الفصل الثاني** فيتعلق بالتاريخ السياسي للمغرب الأقصى في الفترة موضوع الدراسة وهو الآخر يشتمل على مرحلتين ، عالجنا في المبحث الأول التاريخ السياسي للمغرب الأقصى في العهد المريني بينما خصصنا المبحث الثاني للمغرب الأقصى مابين الوطاسيين والسعديين .

وتجدر بنا الإشارة إلى أننا أدرجنا التاريخ السياسي للوطاسيين مع السعديين على اعتبار أنهم دخلوا في صراع مستمر معهم أدى بهم إلى الزوال واعتلاء الأشراف السعديين سدة الحكم ، وجل مواجهاتهم كانت معهم بينما أدرجنا تاريخهم الثقافي مع المرينين على اعتبار أنهم أبناء عمومتهم وتاريخهم الثقافي كان امتدادا لهم حتى أنه يصعب التمييز بينهما ، ماعدا في حالة الفتور والجمود التي عرفتها مرحلة الوطاسيين ، ذلك أن كثيرا من العلماء عايشوا الحقبتين أي نهاية عهد المرينيين والفترة الوطاسية ، هذا إضافة الى أن أكثر الدراسات والأبحاث المغربية تعتبر الفترة الوطاسية إمتدادا للحقبة المرينية ولا تفصل بينهما، خاصة وأن الوطاسيين كان لهم حضور سياسي وثقافي على عهد المرينيين ، بمشاركتهم في تسيير شؤون البلاد كوزراء وأوصياء استبدوا بالحكم . في فترة متأخرة من العهد المريني .

أما **الباب الثاني** فيتضمن الأوضاع الثقافية للمغربين الأوسط والأقصى ما بين القرنين (7. 10)هـ / (13. 16)م .

حيث خصصنا **الفصل الأول** للمغرب الأوسط ، ويشتمل على عوامل إزدهار الحياة الثقافية وكذا أصناف العلوم العقلية والنقلية وأشهر علمائها .

بينما خصصنا **الفصل الثاني** للمغرب الأقصى ، والذي تدرجنا فيه بذكر الخصائص والسمات الثقافية له في فترات مختلفة "المرينية ـ الوطاسية ـ السعدية " وكذا العوامل المؤثرة فيه واهم العلوم وابرز العلماء الذين نبغوا فيها.

إذ قسمناه الى مبحثين : خصصنا الأول على التاريخ الثقافي للمغرب الأقصى في العهدين المريني والوطاسي موضحين عوامل ازدهار الحياة الثقافية ثم ظروف تراجعها ، إضافة الى أصناف العلوم وأشهر علمائها .

بينما تناولنا في المبحث الثاني التاريخ الثقافي للمغرب الأقصى في عهد السعديين ، موضحين كذلك عوامل إزدهار الحياة الثقافية فيه وكذا أصناف العلوم وأشهر العلماء .

وما نريد الإشارة إليه أننا في تعرضنا للحياة الثقافية والفكرية في العهد السعدي ، قد تجاوزنا الإطار الزماني لهذه الدراسة والذي يفترض أن يكون سقوط الدولة الزيانية 1554م،وبذلك فقد اضطرتنا طبيعة الدراسة الى التعرض لمطلع الفترة الحديثة ، لا لشيء سوى أننا وجدنا في هذه المرحلة شحا كبيرا في المعلومات المتعلقة بالحياة الثقافية خاصة وأن السعديين ، كانوا في مرحلة النشأة والظهور وانشغلوا في هذه الحقبة التي واكبت ظهورهم بالصراع السياسي والعسكري مع خصومهم الوطاسيين وحركتهم الجهادية ضد أعدائهم المسيحيين الإسبان والبرتغاليين ، لذلك كانت فترة أحمد المنصور والتي تتجاوز الفترة موضوع الدراسة ، هي الأفضل والأكثر نشاطا فكريا وثقافيا لإهتمام هذا السلطان بشؤون العلم والعلماء واستتباب الأمن والإستقرار في المغرب عموما على عهده .

لذلك فكل عوامل إزدهار الحياة الثقافية والفكرية نشأت مع محمد الشيخ السعدي واكتملت مع أحمد المنصور والذي شهد المغرب على عهده حركة علمية فريدة من نوعها .

أما **الباب الثالث** وهو صلب موضوع هذه الدراسة فخصصناه للعلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى مابين القرنين (7. 10)هـ/(13. 16)م .

حيث عالجنا في **الفصل الأول** العلاقات السياسية بين الإقليمين في الفترة موضوع الدراسة .

إذ تناولنا في المبحث الأول طبيعة العلاقات السياسية بينهما في العهدين الزياني والمريني ، أما المبحث الثاني فخاص بالقرن 10هـ / 16م والذي يتضمن الفترة الزيانية . التركية الوطاسية . السعدية .

والذي تعرضنا فيه للعلاقات بين الزيانيين والوطاسيين ، وبين الزيانيين والسعديين ، وبين حكام الجزائر الأتراك والوطاسيين ، وبين حكام الجزائر الأتراك والسعديين .

أما **الفصل الثاني** من هذه الدراسة فقد وضحنا فيه الروابط الثقافية بين البلدين (7. 10)هـ / (13. 16)م . حيث عالجنا في المبحث الأول منه العهدين الزياني والمريني أما المبحث الثاني فقد خصصناه للروابط بين البلدين خلال القرن 10هـ /16م ،والتي تواكب سيطرة الأتراك على الجزائر والسعديين

على المغرب والتي إشتملت على عوامل تطور الحياة الثقافية في المنطقتين ودور العلماء في تنشيط الروابط الثقافية بينهما ،وأهم القضايا الفكرية والدينية التي كانت محل إهتمام علماء وفقهاء الإقليميين بالإضافة الى أهم المناقشات التي جرت بين علمائها وكذا المراسلات التي كانت تتم بين أهل العلم في البلدين .

لنختم هذه الدراسة بمجموعة من الإستنتاجات التي خلصنا إليها ..

- **المنهج المتبع:**

إنّ هذا النوع من الدراسة يحتاج إلى كثير من الحرص في تقصي المعلومات و الحقائق التاريخية. لما تحمله المصادر التاريخية من تناقضات لا تخلو من الذاتية عند بعض المؤرخين. و بالتالي فإنّ الموضوع يحتاج إلى اعتماد المنهج التاريخي عموما؛ الذي لا يستغني أحيانا كثيرة عن المنهج الوصفي، التحليلي، الإستنتاجي الذي يعتمد على الدراسة و التحليل و المقارنة بين المصادر، خاصة و أنّ للإقليمين نفس المقوّمات و الخصائص و تجمعهما الكثير من المراحل التاريخية المشتركة، و لعل ذلك لا يتم إلا بالوقوف على بعض المصادر القديمة المتعلقة بالموضوع من كتب التاريخ و الجغرافيا، و الرحلة والطبقات و التراجم و غيرها مقتبسين منها المادة اللازمة، إلى جانب الدراسات الحديثة العربية والأجنبية التي حاول مؤلفوها إبراز تاريخ الإقليمين وعلاقتهما ببعضهما البعض.

- **عرض نقدي لبعض المصادر و المراجع:**

لاشك أن طبيعة الموضوع المتعلق بالعلاقات السياسية والروابط الثقافية بين البلدين تفرض علينا الاعتماد على مجموعة من المصادر التي خاضت في تاريخ الإقليمين المطبوعة منها والمخطوطة العامة فيها والخاصة إضافة الى كتب التراجم والطبقات ومصنفات الرحالة والجغرافيين وكذا الدراسات الحديثة العربية والأجنبية التي إهتمت بهذا الموضوع ،ومنها:

1-**كتب التاريخ:**

. "**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس**":

لصاحبه علي بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي زرع الفاسي، و يتناول في هذا الكتاب تاريخ المغرب الأقصى من سنة 145ﻫ إلى 724ﻫ، و الملاحظ أن ابن أبي زرع اعتمد في كتابه على عدة مصادر أخرى أغفل ذكر معظمها، كما اعتمد على وثائق رسمية خاصة عندما يتحدث عن الأسرة المرينية وحكمها.

. **"بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"**: لأبي زكريا يحي بن خلدون حوالي (743ھ /1333م . 780ھ / 1378م): نشره ألفريد بل في جزأين بالجزائر بين (1904 . 1911)، حيث حقق الجزء الأول منه الدكتور عبد الحميد حاجيات بالجزائر سنة 1400ھ / 1980 م.

وقد بدأت الحياة السياسية ليحيى بن خلدون سنة 757ھ / 1356م في خدمة بني حفص أولا ثم انتقل إلى خدمة بني زيان فاتخذه أبو حمو موسى الثاني كاتبا للرسائل في ديوانه، ثم التحق بخدمة بني مرين ثم عاد إلى خدمة أبي حمو، حيث استمر إلى أن قتل في شهر رمضان سنة 780ھ.

و تكمن أهمية مؤلَّفه « بغية الرواد »في غزارة مادته التاريخية المتعلقة بتاريخ دولة بني زيان منذ نشأتها إلى عصر المؤلف، و يتناول بشكل خاص فترة حكم أبي حمو موسى الثاني و صلته بالقبائل العربية والزيانية و غيرها من الإمارات المغربية.

و قد خوّله منصبه الهام ككاتب سر أبي حمو موسى الثاني إلى الاطلاع على وثائق رسمية، بل ذكر بعضها كاملة في مصنفه، و قد حاول ابن خلدون الجمع بين الحياة السياسية و الثقافية للدولة الزيانية، حيث عرض الكثير من القصائد لشعراء البلاط الذين عاصروه و الذين سبقوه.

. **"روضة النسرين في دولة مرين"**: لأبي الوليد إسماعيل بن الأحمر النصري الأمير الغرناطي الكاتب الشاعر المتوفّى سنة 807ھ / 1404م: يتناول هذا الكتاب تاريخ بني مرين بشكل خاص، فهو بمثابة سجل يتضمن أسماء ملوكهم و ألقابهم و أنسابهم و تواريخ ميلادهم و ولايتهم و وفاتهم، مع وصف ملامحهم الخلقية و ذكر رجال دولتهم من وزراء و حجّاب و قضاة و كتّاب و ما خلّفوه من بنين و بنات فهو يشبه إلى حد ما سجلات الحالة المدنية في أيامنا هذه.

مع العلم أن ابن الأحمر نقل الكثير من الفقرات عن الذخيرة السنية و روض القرطاس دون إسناد.

. **"المقدمة و كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"** لصاحبه عبد الرحمن بن خلدون (732ھ / 808م) (1332ھ / 1406م)؛ ويتضمن هذا الكتاب معلومات هامة عن تاريخ دويلات المغرب الإسلام بما فيها دولة بني عبد الواد، وبني مرين و بني حفص و ما كان قائما بينهم من علاقات، و قد اعتمدت بشكل خاص على جزءيه السادس و السابع لما فيهما من مادة تاريخية متعلقة بموضوع البحث.

اما المقدمة فتتناثر بها العديد من الاشارات عن موضوع بحثنا .

. **"الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية"**: لمؤلف مجهول و هو كاتب أرّخ للدولة المرينية و علاقتها ببني عبد الواد، حيث جاء مشحونا بالأخبار السياسية و العلمية وبعض المعلومات الاقتصادية والاجتماعية و غلاء المعيشة و ارتفاع أسعار المواد الغذائية وكذا الظروف الصحية.

قسم المؤلف الكتاب إلى عشرة أبواب، أولها في ذكر بني مرين و نسبهم و قبائلهم أما الأبواب الأخرى فخصها لذكر أمرائهم بداء بجدهم عبد الحق ثم أبي سعيد عثمان، فمحمد بن عبد الحق، فأبي يحي بن عبد الحق، فأبي يوسف، فأبي يعقوب فأبي ثابت، فأبي الربيع سليمان، فأبي سعيد الذي خص له الباب العاشر. و تكمن أهمية الكتاب في اعتناء المؤلف بالعلاقات بين ملوك فاس وملوك تلمسان، مع شرح مفصل و مطول مما يجعل هذا الكتاب من المصادر التي تتعلق بتاريخ الدولة العبد الوادية أيضا، حيث جاء أكثر تفصيلا و تدقيقا للأحداث المتعلقة بالعلاقات المرينية الزيانية. إذ فاق في دقته روض القرطاس و بغية الرواد و زهر البستان.... و غيرها، قام بنشره محمد بن أبي شنب من الجزائر.وتجدر بنا الإشارة الى أن النسخة التي حققها عبد الوهاب بن منصور قد نسبها من خلال أسلوبها ولغتها الى ابن ابي زرع الفاسي

. **"تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من كتاب نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان"**: لصاحبه أبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني الذي ولد بتلمسان سنة 830ﻫ ونشأ بها. قام بتحقيق هذا المقتطف محمود بوعياد سنة 1985م،

و قد قسمه إلى خمسة أقسام خصص القسم الأول لحياة المؤلف و التعريف بنسبه و ذكر بيان شرفه وآثاره. و هو يشتمل على سبعة أبواب، و خص بابا منها لعرض تاريخ بني زيان و هذا الباب هو الذي له علاقة بموضوع بحثنا، حيث جاء هذا القسم على شكل تاريخ مختصر لأهم المراحل التي مرت بها الدولة الزيانية، و ذلك منذ تأسيسها على يد يغمراسن بن زيان سنة 633ﻫ / 1236م حتى سنة 868ﻫ / 1464م في عهد السلطان محمد المتوكل، الذي ألف له هذا الكتاب شكرا له باعتباره ولي نعمته.

و لعل ما يميز هذا الكتاب هو أنه المصدر العربي الوحيد لتاريخ دولة بني زيان في فترة تزيد عن سيعين سنة، أي مع نهاية أخبار القسم الثاني من « زهر البستان » و ذلك سنة 764ﻫ / 1363م، و تاريخ انتهاء يحي بن خلدون من تدوين « بغية الرواد » سنة 777ﻫ / 1376م، و انتهاء عبد

الرحمن بن خلدون، من تأليف كتاب « العبر» سنة 796ﻫ / 1393م، إلى أن يختم التنسي أخباره سنة 868ﻫ / 1464م.

- **"كتاب غزوات عروج وخير الدين"** لمؤلف مجهول.

أصل الكتاب باللغة التركية وترجم الى العربية ، يؤرخ صاحبه لبداية الحكم العثماني في الجزائر حيث تحدث فيه مؤلفه عن كيفية وصول الأخوين عروج وخير الدين بربروس الى الجزائر ، وعن الغزوات البحرية التي قاما بها في غرب المتوسط ودورهما في إنقاذ المهاجرين الاندلسيين وقد جاءت معظم محاور الكتاب حول فترة حكم خير الدين للجزائر ، فذكر المؤلف فيها كيفية تحول الجزائر الى ولاية عثمانية في عهده والمجهود الذي قام به من أجل إعادة وحدة الجزائر ، والمواجهات التي خاضها ضد معارضيه في الداخل والقوى المعادية له في الخارج من إسبان وحفصيين .

وقد اهتم المؤلف على الخصوص بدور خير الدين في تركيز السلطة التركية في الجزائر وحمايتها من الخطر الإسباني الذي كان يترصدها، نشره نور الدين عبد القادر بالجزائر سنة 1984

- **"عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل"** :

وهي أرجوزة لمحمد الكراسي المتوفي سنة 964 هـ ـ 1557 م ، قام بالتعليق عليها ونشرها في الرباط سنة 1963 م ، عبد الوهاب بن منصور وتتضمن بعض تراجمه مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء لأبي فارس عبد العزيز الفشتالي وزير السلطان السعدي أحمد المنصور وهو يؤرخ للدولة السعدية حتى أواخر عهد المنصور وهو في مجمله يمثل النظرة الرسمية للدولة السعدية في علاقاتها مع الاتراك العثمانيين ، فهو لا يتعرض لهذه العلاقات في فصل خاص ، بل يشير الى الأحداث المرتبطة بذلك في أماكن متفرقة ، ويؤكد في كل مرة على أحقية السعديين في الخلافة وأن العثمانيين هم أسباب عدد من الإضطرابات التي عرفها المغرب خلال الفترة السعدية.

- **"المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور"**: ألفه أحمد ابن القاضي بعد خروجه من أسر المسيحيين عام 995 هـ / 1587م ، اهداه لسلطانه أحمد المنصور الذي خلصه بفدية عظيمة ،ويتناول الكتاب أخبار أحمد المنصور من ولادته ونشأته وتعلمه وصفاته الى توليه الملك وسيرته في سياسة الرعية والباب الرابع والعشرون يختص بذكر فقهاء العصر ومن إجتمع بهم المؤلف في سفره من المشايخ والعلماء .حققه الاستاذ محمد رزوق في مجلدين بالرباط سنة 1986.

- **"تاريخ الدولة السعدية التكمادارتية"** : لمؤلف مجهول حققه ونشره جورج كولان بالرباط سنة 1934 ، والذي اشتمل على معلومات جديدة عن الدولة السعدية ، وعن علاقاتها بالعثمانيين حيث كان صاحبه حريصا على ابراز مساوئ السعديين على عكس ما قدمه الفشتالي في مناهل الصفا .مما استدعى الحرص في المقارنة بين الأحداث .

- **"نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي"**: لمحمد الصغير اليفرني (الأفراني المراكشي) (ت 1140هـ - 1728 م). الذي يعد أكمل كتاب عن الدولة السعدية وأوفاها وأكثرها إعتدالا في تناول تاريخ الدولة السعدية والإمارات التي تأسست في المغرب في أواخر عهد السعديين وقد اعمدنا عليه كثيرا.

2- كتب التراجم :

- "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان": لأبي عبد الله محمد المليتي التلمساني المعروف بإبن مريم (كان حيا سنة 1025هـ / 1611م) . وهو عبارة عن تراجم لإثنين وثمانين ومائة عالم وولي ولدوا أو عاشوا بتلمسان ، وقد رتبهم حسب الحروف الأبجدية وتكمن أهمية الكتاب فيما تحويه من فوائد خاصة بالحياة العلمية والثقافية في المغرب الأوسط في العهد الزياني ، حيث يذكر المؤلف العديد من العلماء والأدباء الذين عاشوا في ذلك العهد مع الإشارة الى آثارهم ، وأسماء شيوخهم وتلاميذهم ، والكتب المتداولة في زمانهم بالإضافة الى ذكره لأسماء بعض الأمكنة الموجودة بتلمسان وضواحيها من مساجد ومدارس وأبواب وأحياء ومقابر .

- **"نيل الإبتهاج بتطريز الديباج"** : لصاحبه ابي العباس أحمد المعروف ببابا التنبكتي ،أو السوداني المتوفي سنة 1036هـ / 1624م ، وقد وضع هذا الكتاب ذيلا على كتاب (الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لبرهان الدين بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري (ت 799هـ/1397م)والكتاب يضم تراجم علماء المالكية وفقهائها الذين فاق عددهم ثمان مائة ، بدءا بالإمام مالك حتى عصر المؤلف .

وقد اعتمدت عليه في هذه الدراسة في التعريف ببعض العلماء والفقهاء الذين ساهموا بشكل كبير في اثراء الحياة الثقافية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى خلال الفترة موضوع الدراسة وللمؤلف نفسه كتاب آخر (كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج) الذي تعرض فيه لتراجم علماء المالكية في المغرب والمشرق والأندلس عبر فترات مختلفة من التاريخ الإسلامي.

- "**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**": لأبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041هـ/1631م) وهو موسوعة تراجم لأدباء وفقهاء المغرب والاندلس ، وقد خص علماء المغرب الأوسط بقسم وافر من كتابه ، حيث اعتنى بذكر العلماء ورحلاتهم الى المشرق والمغرب والأندلس ومساهماتهم في تمتين الروابط الثقافية بين هذه الأقاليم.

-"**درة الحجال في غرة أسماء الرجال**": لأحمد بن القاضي المكناسي (ت1025هـ/ 1616م) وقد ألفه سنة 999هـ /1591م وأهداه للسلطان أحمد المنصور الذهبي ،مذيلا به كتاب (وفيات الأعيان) لإبن خلكان (ت681هـ /1282م) ، جمع فيه 1522 ترجمة لأعلام ثلاثة قرون ونيف، من أواخر القرن 7 هـ ، الى أوائل القرن 11 هـ من المغاربة والمشارقة والأندلسيين .

- "**جذوة الإقتباس فيمن حل من الاعلام بمدينة فاس**": لصاحبه أحمد بن القاضي كذلك، ألفه حوالي 1004هـ/1636م زمن تشرده عن مسقط رأسه فاس ،وقد يكون سببا في نقصان الكتاب ، للتعريف بوالده الشيخ أبي المحاسن ، ويتضمن الكتاب أخبارا مهمة تتعلق بالحياة الفكرية في المغرب أيام السعديين ، وتراجم عدد من رجالات هذا العصر ، منها ترجمة شخصية مطولة للمؤلف تكاد تكون فهرسه الخاص.

- "**دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**": ألفه محمد بن علي الشفشاوني الشهير بابن عسكر (ت 997هـ/1578م) وهو كالفهرس ذكر فيه شيوخه وما أخذه عنهم من علوم وفنون ومبادئ التصوف ، إلا أنه توسع فذكر كل من عرفهم من شيوخ القرن 10هـ/16م سواءا لقيهم أم لم يلقهم ، بل ذكر حتى من الاعلام الذين لم يعاصرهم ،وتتضمن بعض تراجمه إشارات مهمة عن الحياة السياسية في الجزائر والمغرب والعلاقات بينهما .

-"**روضة الآس العاطرة الانفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**": لأبي العباس أحمد بن محمد المقري بعد زيارته الأولى للمغرب 1009هـ/1010هـ /1601 ـ 1602م ، وقد اشتمل على تراجم لكتاب وشعراء البلاط السعدي وآثارهم النثرية والشعرية ، جعلها أقرب الى مجموع أدبي منها الى رحلة وقد احتفظت روضة الآس بأسماء أدباء مغاربة لم يكن يعرف عنهم شيء لولاها ،وبنصوص أدبية لا توجد في غيرها ، قام بتقديمها عبد الوهاب بن منصور سنة1964.

- "**أزهار الرياض في أخبار عياض**":

ألفه أحمد المقري بفاس قبيل نزوحه عنها عام 1027هـ/1618م .

معرفا بالقاضي عياض السبتي (ت 544هـ/1149م) ملثما فيه أخبار كثير من علماء المغرب والأندلس لذلك تضمن الكتاب تراجم بعض رجال العهد السعدي وقطعا شعرية ونثرية لهم لا توجد في غيره .

- "**تعريف الخلف برجال السلف**": لأبي القاسم محمد الحفناوي (ت 1365هـ/1942م) والذي تضمن تراجم لمشاهير الجزائر من العلماء والأدباء من القرن 4هـ /10م الى بداية القرن 14هـ/20م. وقد ترجم فيه لـ 402عالم وقد اعتمد في ذلك على مصادر سابقة خاصة التنبكتي وابن مريم .

3- **الفهارس والموسوعات** :

– "**فهرس أحمد المنجور**" : ألفه المنجور بمراكش سنة 989هـ/1591م مجيزا به تلميذه السلطان أحمد المنصور ، وقد اشتمل على كل أخذه المنجور من علم على يد شيوخه ، فكان أفيد وأمتع فهارس العهد السعدي لما تضمنه من معلومات كثيرة عن ملامح الحياة الثقافية في هذا العصر ومظاهرها .

إضافة الى بعض الإستطرادات والإرشادات الأدبية .

-"**الفوائد الجمة بإرشاد علوم الامة**":

لصاحبه عبد الر حمن التمنراتي ، ألفه عام 1045هـ/1636م .

حيث سجل في البابين الأولين أحداث طفولته وتعلمه في قريته بجنوب سوس، ثم رحلته الى تارودانت حيث تولى منصب التدريس والخطابة والقضاء ، تاركا البابين الآخرين لما شاهده من الغرائب والمرائي الحسان وهو في مجمله يرسم الحالة العلمية والجوانب الفكرية بالمغرب أيام السعديين .

- "**صبح الاعشى في صناعة الإنشاء**": لأبي العباس أحمد بن علي المعروف القلقشندي (ت821هـ/1418م) وهي موسوعة ضخمة جمع فيها القلقشندي مختلف العلوم والمعارف والفنون السائدة في عصره .عرف من خلاله بالممالك المعاصرة ،تاريخيا و جغرافيا ،و اداريا ،وضمنها المغرب الأقصى.

4-**كتب الرحالة و الجغرافين** :

- "**الرحلة المغربية**": لابي عبد الله محمد محمد العبدري (توفي أواخر القرن 7هـ / 13م). و هي رحلة قام بها من بلدة حاجا المغربية سنة 688هـ / 1289م .قاصدا البقاع المقدسة حيث حط الرجال بتلمسان ومليانة وبجاية وميلة وقسنطينة ، وبونة وغيرها ، فدون رحلته مسجلا كل مشاهداته

وملاحظاته المتعلقة بالمظاهر الثقافية والفكرية وهو بذلك يعد مصدرا أساسيا في التاريخ للأوضاع الثقافية والإجتماعية لبلدان المغرب والمشرق الإسلاميين على حد سواء .

حققه أحمد بن حدو ، ونشرته كلية الآداب بالجزائر ، كتاب "فيض العباب وإفاضة قداح لآداب في الحركة السعيدة الى قسنطينة و منطقة الزاب، وهو عبارة عن رحلة قام بتدوينها النميري ، كاتب سر السلطان المريني أبي عنان بأمر من هذا الأخير ، لما توجه لإخضاع بعض القبائل المتمردة ضده ،وقد دامت هذه الرحلة ثمانية أشهر ، سجل فيها النميري كثيرا من الأخبار السياسية والمواضيع التاريخية والثقافية والأدبية.

- **"التعريف بإبن خلدون ورحلته غربا وشرقا"**:

لعبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/1406م) ، وهي سيرة ذاتية له ، إذ عرف فيها بشيوخه.

والدول التي مر بها وعمل فيها بالمغرب والأندلس ومصر ، ومنها تلمسان التي أقام بها وأخذ عن علمائها ،وعلاقة هؤلاء العلماء بعلماء فاس .

- **"رحلة القلصادي"** : لأبي الحسن علي القلصادي (ت 891هـ/1486م) ، والمسماة تمهيد الطالب ومنتهى الراغب الى أعلى المنازل والمناقب . وتكمن أهميتها في التراجم التي أوردها القلصادي لشيوخه الذين أخذ عنهم بالمغرب الأوسط والاقصى والأدنى ومصر فالبقاع المقدسة .

أو الذين إلتقى بهم واستفاد منهم كعلماء تلمسان .

-**"رحلة ابن بطوطة"** : المسمات تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لمحمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت 776هـ/1373م) ، وهي رحلة اشتملت على كثير من المشاهدات والملاحظات للأحداث التاريخية كما تضمنت وصفا لمظاهر الحياة الثقافية فضلا عن السياسية والإقتصادية والإجتماعية للأقطار التي زارها إبن بطوطة .

-**"وصف إفريقيا"**: لصاحبه الحسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي (ت 957هـ / 1552م)، والذي سجل فيه وصفا لمدن وأقاليم مربها في رحلته منها أنحاء المغرب ، وبلاد السودان، وممالك إفريقيا السوداء،متعرضا لجغرافيتها وتاريخها وأحوالها الثقافية والإجتماعية وحتى الإقتصادية أحيانا. وقد استفدت منه في رصد الحركة العلمية في تلمسان أثناء زيارته لها وعايش الأيام الأخيرة للدولة الزيانية.

- **كتاب النفحة المسكية في السفارة التركية** لأبي الحسن علي التمكروتي الذي ألفه أواخر سنة 999هـ/ 1591م ، بعدما عاد الى درعة مسقط رأسه بعد خمسة وعشرين شهرا تغيب عنها ، حيث قام أثناءها برحلة سفارية عن السلطان أحمد المنصور الى الخليفة العثماني مراد الثالث الذي حكم ما بين (982هـ .1003هـ)/ (1574م ـ 1595م) بالقسطنطينية ، وقد كانت هذه الرحلة مليئة بالمعلومات التاريخية والجغرافية والإستطرادات الأدبية والمناظرات الشعرية ، الى جانب ما ترسم من العلاقات السياسية والثقافية بين المغرب السعدي والإمبراطورية العثمانية .

وما استفدت منه كان متعلقا بالفترة التي زار فيها مدينة الجزائر وغيرها من المدن الجزائرية سنة 997هـ / 1589م وهو في طريقه الى اسطنبول ، ودون مشاهداته وانطباعاته عنها .

ويضاف الى ذلك مجموعة هامة من المصادر الأخرى ككتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة " ، لأبن الخطيب ، وجنى الآس، للجزنائي ، والروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون لابن غازي ، والمعيار المعرب للونشريسي والبيان المغرب لابن عذاري ، والمعجب للمراكشي وغيرها كثيرا مما لا يسعني ذكرها كاملة ،يضاف إليها مجموعة من المراجع العربية والأجنبية والرسائل الجامعية والمجلات التي تناولت تاريخ المغربين الأوسط والأقصى والعلاقات بينهما والتي حاولت قدر الإمكان استقاء مادة البحث منها وتوظيفها بالشكل الذي يعمها الفائدة، ونذكر منها : "الاستقصاء" للسلاوي الناصري ،و"تاريخ الجزائر في القديم والحديث" للميلي ،و"تاريخ الجزائر العام" لعبد الرحمن الجيلالي ، و"تلمسان في العهد الزياني" لعبد العزيز فيلالي ، و"الحركة الفكرية في عهد السعديين" لمحمد حجي ، و"المغرب عبر التاريخ" ، و"السياسة والمجتمع في العصر السعدي" لإبراهيم حركات ، وكتاب " ورقات عن الحضارة المغربية في عصر المرينين " للمنوني وغيرها كثير.

بالإضافة الى بعض المصادر و المراجع الهامة باللغة الاجنبية منها :

-Hoedo : Topographie et histoire Générale d'Alger.

-(---------) histoire des Rois d'Alger .

- De Tares (Diergol) : histoire des Chérifs .

- Sousa (luiz de) : les portugais et l'Afrique du Nord.

- Grammont (A. de) : histoire d'Algre sous la domination turque (1515 – 1830) .

- Ruff (D) : la domination espagnole à Oran ; sous le gouvernement du conte d'Alcaudète (1534 – 1558) .

-Cour (A): L'établissement des dynastie des chérifs au Maroc et leurs rivalité avec les tures de la régence d'Algérie (1509 – 1930).

-(---------) la dynastie marocaine des beni wattas .

- mohamad Ben-Choukroune : la vie intellectuelle au Maroc sous les marinides et les wattassites .

- sources inédites de l'histoire du maroc premiére série dynastie sa'dienne.

وهي سلسلة اهتمت بتاريخ المغرب الاقصى لاسيما في الفترة الحديثة ، وقد اعتمدنا على بعض أجزائها الخاصة بالبرتغال واسبانيا ، لما تحويه من تفاصيل عن المراسلات والتقارير التي توضح لنا طبيعة العلاقات بين حكام الجزائر والسعديين وما كان يجري في الإقليمين من أحداث طيلة القرن 16م، كما تطلعنا على دور القوى المحلية في المنطقتين من قبائل وحكام مستقلين ، وكذا الدول المسيحية في صنع الأحداث السياسية وتوجيهها في هذه المرحلة ، وقد نشرت هذه السلسلة في عدة أجزاء .

صعوبات البحث:

يعد هذا النوع من الدراسات المتعلقة بالعلاقات السياسية بين الدولتين الزيانية والمرينية من المهمات الصعبة لحساسية الموضوع من جهة وقلة المصادر من جهة اخرى، والمتوفر منها فيه نوع من التحيز واللاموضوعية يحتاج إلى حرص كبير والكثير من الدقة في استقصاء الحقيقة التاريخية؛ إضافة إلى تضارب الآراء حول بعض الأحداث التاريخية.

و لا أدعي أني وفيت هذا الموضوع حقه ،و إنما أعتبر نفسي بهذا الجهد ،أني و ضعت لبنة أساسية من شأنها أن تنير الطريق أمام الباحثين لمزيد من التعمق في هذا الموضوع الشائك من تاريخ المغرب الإسلامي.

إن الحديث عن تاريخ المغربين الأوسط و الأقصى والخوض في تفاصيل العلاقات السياسية والثقافية بينهما في الفترة الممتدة ما بين القرنين السابع والعاشر هجريين/ الثالث عشر والسادس عشر ميلاديين يدعونا إلى إلقاء الضوء على الظروف والعوامل التي ساعدت على ظهور هاذين الإقليمين ككيانين سياسيين قائمين بذاتهما، وتحولهما من قبائل تعودت على حياة التنقل والترحال إلى دول مستقرة مستقلة بحكمها بعد انهيار دولة الموحدين[1] واضمحلالها، وهي الدولة التي استطاعت أن تحقق الوحدة السياسية للمغرب الإسلامي والأندلس تحت لوائها فترة زمنية طويلة، لا بل استطاعت أن تحافظ على استمرارية وحدتها الترابية الممتدة من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن سواحل البحر المتوسط والأندلس شمالا إلى مشارف إفريقيا المدارية جنوبا. والتاريخ يشهد بأن دولة الموحدين كانت آخر الدول الإسلامية في المغرب التي توحدت لها هذه الأرجاء الواسعة تحت سيطرة دولة واحدة، وأن وحدة المغرب لم تقم منذ ذلك التاريخ حتى وقتنا الحاضر، وبذلك فقد بلغت دولة الموحدين بتاريخ المغرب في تلك الحقبة التاريخية ذروتها، وأعتبر عهدها عصرا ذهبيا في تاريخ المغرب، في الوقت الذي كان فيه العالم الإسلامي يعاني استمرار

[1]– تأسست دولة الموحدين سنة 524 هـ/ 1129 م على يد المهدي بن تومرت في شكل دعوة دينية وفكرة روحية تطورت إلى كيان سياسي على يد خليفته عبد المؤمن بن علي الذي استطاع بسط نفوذ دولته على كامل المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس، بعد مقاومته للإسبان والتصدي لزحفهم المستمر على الديار الإسلامية، وقد شهدت هذه الدولة العديد من النزاعات الداخلية والخارجية التي ساهمت في إسقاطها على يد المرينيين سنة 688 هـ/ 1269 م.

للمزيد من المعلومات على الموحدين ينظر: البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1974 ؛مؤلف مجهول ،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1979 ؛ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 4، خاص بالموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985 ؛ابن القطان ،نظم الجمان ، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987 ؛السلاوي الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب الدار البيضاء، 1955 ؛ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي، كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة و جعلهم الوارثين ،تحقيق عبد الهادي التازي ،دار الأندلس ،بيروت ،1974 ؛ابن الأبار،التكملة لكتاب الصلة ،ج2 ،تحقيق عزت العطار الحسيني ،مكتبة السعادة ،مصر ،1956 ؛أبو العباس أحمد بن محمد المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، ج5، دار صادر، بيروت، 1968،عبد الواحد المراكشي ،المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد السعيد العريان ومحمد العلمي، القاهرة،1949.

الحروب الصليبية ،والدمار المغولي ،وحروب الاسترداد الإسبانية الصليبية[1]. حيث كانت الموحدون في ذلك الوقت حماة للديار الإسلامية في بلاد المشرق والمغرب والأندلس منها فقد اعتبروا دفعهم للنصارى جهادا في سبيل الله بعد اشتداد بطش الصليبيين، فكانت مشاركتهم عظيمة في رد العدوان الصليبي على بيت المقدس إلى جانب إخوانهم المسلمين في المشرق[2].

إلا أن الأوضاع تغيرت مع مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي إذ بدأت بوادر الانحلال والضعف السياسي تنهش كيان الموحدين خصوصا بعد النزاع الذي نشب بين أبناء عبد المؤمن حول الخلافة ،لاسيما وأن الموحدين منذ قيام دولتهم حتى نهايتها بالمغرب لم يستطيعوا أن يضعوا نظاما ثابتا لتولي الخلافة يبين طريقة اختيار الخليفة، فما إن توفي عبد المؤمن وبويع ابنه يوسف حتى بدأ الشقاق والتفكك اللذان تطورا إلى صراع دامي بين أفراد الأسرة الحاكمة ،بعدما فتح الباب على مصراعيه لأطماع الكثير منهم إلى اعتلاء كرسي الخلافة، و بعد وفاة المستنصر بن الناصر أراد كل فرد تحقيق غايته مهما كانت الوسيلة ،متناسيا المبادئ التي قامت عليها الدولة الموحدية من نشر للفكرة وسيادة لسلطتها ،ومواجهة لأعدائها من المسلمين المناوئين والغزاة الكافرين، بل راحوا يستعينون بهؤلاء الأعداء، فأبو محمد عبد الله البياسي استعان بالنصارى[3]، والمأمون استنصر بملك قشتالة لما نكث أهل مراكش بيعته وهو بالأندلس رغم أن هذا الملك

[1]- للمزيد من التفاصيل عن حروب الموحدين مع الإسبان ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق؛ السلاوي الناصري، المصدر السابق.

[2]- استنجد صلاح الدين الأيوبي بالأسطول الموحدي لرد المد الصليبي أيام المنصور، عن هذه الحادثة ينظر: ابن عذارى أبو العباس أحمد المراكشي، كتاب البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ،ج3 ،ص 183 ؛شمس الدين ابن خلكان ،وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج 6، مكتبة النهضة العربية ،القاهرة ،1949 ،ص 12 ؛ القلقشندي ،صبحي الأعشى في صناعة الانشا ،دار الكتب المصرية ،القاهرة ،1919، ج 6، ص ص 527- 530 ؛ عبد الرحمن ابن خلدون ، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت 1969 ، ج 6، ص 246 ؛مؤلف مجهول ،الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر و تحقيق سعد عبد الحميد زغلول ،مطبعة جامعة الاسكندرية ،مصر ،1958 ، ص 108 ؛جمال الدين ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج 6،تحقيق جمال الدين الشيال ،المطبعة الأميرية ،القاهرة ،1957 ،ص 361، 362.

[3]- ابن عذاري المراكشي ،البيان المغرب، ج 3، ص 249 ؛عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 6، ص 527.

اشترط عليه عشرة حصون يختارها ،وأن يبني كنيسة للروم بمراكش مقابل دعمه[1]. وبذلك دفع الصراع أمراء الموحدين إلى التنازل عن أراضيهم في سبيل تحقيق مصالحهم الخاصة، كما أعطى فرصة للمتنفذين من أشياخ الموحدين أو الإداريين أو القواد العسكريين للتدخل في شؤون الدولة والتحكم في سياستها وتوجيهها واختيار الحكام خصوصا منذ وفاة يوسف المنتصر[2]، إذ أصبحوا يرجعون الخلافة لمن شاؤوا ويخلعون من يكرهون، ويقتلون من يريدون، فصار أمرهم كالأتراك بعد العباسيين[3]. وفي وجود الخلفاء الضعفاء وتسلط أشياخ الموحدين على العاصمة واضطراب الأحوال فيها ساعد ولاة الأقاليم على الاستبداد بولاياتهم وانفصل بعضهم نهائيا عن مراكش مستقلا بولايته فبدأ التفكك في النظام الإداري الذي وضع أسسه عبد المؤمن الذي ولى أبناءه حكاما على الولايات عام 549[4] فتسلط الوزراء والموظفون والأشياخ من بعده وصاروا أصحاب أمر ونهي إلى جانب تدخل النساء[5] في شؤون الدولة.

ترك هذا الاختلال النظام السياسي وانهيار الهيكل الإداري أثرا بالغا في التنظيم العسكري للدولة الذي كان الميزة الأساسية للموحدين والذي يسر لهم الانتصار في البداية وحفظ دولتهم مدة طويلة، لما تميز به من استعداد وتعبئة وبداعة خططه الحربية وضعا وتنفيذا، غير أنه فقد كل

[1]– ابن عذاري المراكشي ،البيان المغرب، ج 3، ص 264 ؛ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب، ص 167 ؛لسان الدين ابن الخطيب ،الاحاطة في أخبار غرناطة ،تحقيق محمد عبد الله عنان ،ج1 ،دار المعارف ،مصر ،(د.ت) ، ص 419. ويذكر ابن عذارى أن عدد الجند النصرانيين 500 بينما عند ابن أبي زرع 12 ألف جندي.

[2]– عبد الواحد المراكشي ،المعجب،ص 324؛ عبد الرحمن ابن خلدون العبر، ج 6، ص 523؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج 3، ص 243.

[3]–ابن القطان، نظم الجمان، ص 130.

[4]– الحلل الموشية، ص 125، 126؛روض القرطاس، ص 126،127 ؛ ابن لأثير ،الكامل في التاريخ، ج 11،دار صادر بيروت ،1967 ص 211، 212 ؛النويري ،نهاية الأرب في فنون الأدب ،تحقيق و تعليق مصطفى أبو ضيف ،دار النشر المغربية ،الدار البيضاء ،1984 ، ص 208، 209.

[5]– عملت حبابة الرومية زوجة المأمون وأم ابنه الرشيد لبيعة ابنها وكتمت وفاة والده، بعد أن بذلت الأموال لكبار القواد لاسيما أبناء جنسها من الروم. وكانت لها يد في تسيير دفة الأمور في عهد ابنها. للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن عذاري ، البيان المغرب، ج 3، ص 282 ؛ابن الخطيب ،الإحاطة، ج 1، ص 425 ؛روض القرطاس، ص 170.

هذه المميزات في حكم الناصر ولعل واقعة العقاب[1] هي خير دليل على ذلك، ليتابع انحلاله وتفككه من خلال الهزائم المتكررة أمام بني مرين[2]، وفي فشل حملاته المتكررة على ابن بدر الثائر بالسوس[3] خاصة في واقعة بني بهلول عام 653 هـ/ 1255 م إذ انهزم الجيش دون قتال. ومن بعدها لم يستطع الخليفة المرتضى الخروج من عاصمته[4]، لم يستطع رد المرينيين عام 662 هـ/ 1264 م[5] مما جعل الواثق أبو دبوس يثور عليه ويدعي الخلافة بعدما دخل مراكش عام 665 هـ/ 1266 م[6] محاولا نفخ الروح في الجيش الموحدي وإعادة الحياة إليه إلا أنه باء بالفشل لأنه كان في مواجهة قوة حديثة عظيمة التنظيم مثالية الروح.

وعلى ما يبدو أن عوامل انحلال الجيش وضعفه يعود إلى ضعف الفكرة الموحدية في نفوس الجند الذين أصبح همهم الأوحد الغنائم وجمعها لا القتال في سبيل المبدأ والموت في سبيله والاستشهاد من أجله ومن أسباب ذلك تغير أهداف القادة الذين اتخذوا من الجيش أداة سياسية للاستعلاء وفرض النفوذ لحساب أشخاصهم أو لحساب غيرهم[7]. إضافة إلى تزايد أعداد المرتزقة في الجيش من عرب وروم الذين لا هم لهم سوى السلب والنهب واكتساب المال، ولا يعرفون

[1]- دارت هذه المعركة بين الموحدين بقيادة محمد الناصر الموحدي(595- 610 هـ)،(1199- 1213 م) وبين الجيش الإسباني المسيحي بقيادة ألفونسو الثامن، حيث انهزم فيها جيش الموحدين شر هزيمة كانت السبب في هلاك الأندلس. عن= =تفاصيل هذه الهزيمة ينظر: ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب، ص ص 158- 160؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج 3، ص 241؛ ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ،دار المنصور للطباعة ،الرباط ،1972 ، ص 22.

[2]- ابن عذاري، البيان المغرب،ج 3، ص ص 394- 399؛ عبد الرحمن بن خلدون ،العبر، ج 6، ص ص 537- 542.

[3]- ابن عذاري، البيان المغرب: ج3، ص 405، 407، 415.

[4]- ابن عذاري، البيان المغرب: ج 3، ص ص 410- 414؛ ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب، ص 173؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 6، ص 543، 544.

[5]- ابن عذاري، البيان المغرب، ج 3، ص 433، 434؛ عبد الرحمن بن خلدون ،العبر، ج 6، ص 454.

[6]- ابن عذاري، البيان المغرب، ج 3، ص 440؛ عبد الرحمن بن خلدون ،العبر، ج 6، ص 546، 547.

[7]- يذكر على سبيل المثال: قائد الجيوش بالمهدية محمد بن عبد الكريم الذي استقل بها فترة من الزمن أواخر أيام المنصور وصدرا من خلافة الناصر وأيضا تشديد متولي فاس الذي استخدم الجند النصراني في استعباد الأهليين وابتزاز الأموال أيام المرتضى، للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير،الكامل في التاريخ، ج 12، ص 146، 147؛النويري ،نهاية الإرب، ص ص 227- 229. ابن عذاري ،البيان المغرب، ج 3، ص 399.

نظاما ولا يتقيدون بأوامر، فقد أعلنوا التمرد[1] في كثير من الأحيان كما كانوا يفرون أحيانا من المعارك[2]، إضافة إلى أنهم كانوا يستغلون فترات النزاع بين السادة ليجدوها فرصة لتحقيق مصالحهم المادية بمتابعة جهة على حساب جهة أخرى، فهم لا يتورعون عن بيع قائدهم مقابل مقدار من المال[3].

وثمة عامل آخر له دوره في انهيار الجيش الموحدي خاصة في الجبهة الأندلسية، فقد طرد الناصر زعماء الأندلسيين من جيشه بإيعاز من وزيره ابن جامع[4]، وبالتالي فقد قوة بشرية هائلة كانت تتسم بالصمود وكانت تمثل ذرعا في وجه الزحف النصراني في تلك الجبهة من الدولة المترامية الأطراف التي سرعان ما بدأت أراضيها تتقلص تدريجيا بخروج سبتة عنهم منذ 629هـ/ 1232 م إثر ثورة أبي موسى أخ المأمون ثم فقدهم لبجاية التي ضمها الحفصيون عام 627 هـ/ 1230 م.

ورافق ضعف الحكام ونزاعهم، وانهيار الإدارة وتفككها، واختلال الجيش ونظامه، وضعف الأسطول وفقدانه، اتساع نطاق الثورات والفتن الداخلية التي ما فتئت تندلع في كل أنحاء البلاد كثورة محمد بن عبد الله بن هود الماسي الملقب بالمعادي بالسوس الذي قام مقتديا بابن تومرت[5] سنة 541 هـ/ 1147 م وكاد أن يعصف بالموحدين لولا أن قضى عليه عبد المؤمن في نفس السنة[6]، فانتقل صدى هذه الثورة إلى قبائل دكالة وبرغواطة مؤيدة بالجيوش المرابطية التي انتفضت

---

[1]- ابن صاحب الصلاة ،المن بالإمامة، ص 507، 508 ؛ابن عذاري ،البيان المغرب، ج 3، ص 199.

[2]- ابن عذاري ،البيان المغرب: ج 3، ص 147، 160، 213؛ ابن الأثير ،الكامل، ج 11، ص 504؛ النويري ،نهاية الأرب، ص 222.

[3]- كان إدخال العربان في الجيش الموحدي كارثة على أهدافه ونظامه إذ ساهموا في انهزامه مرات عديدة بانصرافهم عن المعارك المعارك مقابل أموال، وهذا ما فعله الخلط مع الصعيد وعرب المعقل مع يحي والخلط مع الرشيد، للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن عذاري ،البيان المغرب، ج 3، ص 296، 386، 388 ؛ابن أبي الزرع ،الأنيس المطرب، ص ص 166- 172 ؛عبد الرحمن بن خلدون ،العبر، ج 6، ص 533، 534، 535، 541.

[4]- ابن عذاري ،البيان المغرب، ج 3، ص 442، 443، عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 6، ص 548.

[5]- مؤلف مجهول ،الحلل الموشية،ص 121.

[6]- ابن عذاري ،البيان المغرب،ج 3، ص 26، 27؛ مؤلف مجهول ،الحلل الموشية، ص 121 ؛ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب، ص 123، 124.

في سبتة بقيادة القاضي عياض[1]، الذي استغاث ببني غانية عام 543 هـ/ 1148 م[2] غير أن عبد المؤمن واجه هذه الثورة بحزم وعنف شديدين. تضاف إليها تلك الثورات التي اندلعت بعد ولاية يوسف بن عبد المؤمن كثورة صنهاجة عام 572 هـ/ 117م[3]، وثورة علوان الغماري في جبل غمارة عام 595 هـ/ 1199 م[4]، وثورة البربر بسجلماسة عام 618 هـ/ 1221 م[5]، وبربر جبل تاسردت عام 563 هـ/ 1168م[6]، وثورة أبي قصبة الجزولي عام 597 هـ/ 1201 م م بالسوس[7].

أما في الأندلس فقد كان ابنا غانية يحيى ومحمد المسوفيان ولاة لعلي بن يوسف على بعض ولايات الأندلس خاصة قرطبة، ففشلا في الاحتفاظ بها ففر محمد إلى ميورقة أومنورقة وبياسة واستبد بها، وظل يدعو للمرابطين متخذا من ميورقة مركزا لتجمع فلوله، مستغلا انشغال المنصور بأمر الأندلس فاستطاع السيطرة على أغلب البلاد مما اضطر المنصور إلى مصالحة النصارى خمس سنين[8].

---

[1]- عمد الموحدون للقضاء على الفقه المالكي الى حرق كتبه وامتحان المشتغلين بتدريسه، وثورة القاضي عياض في سبتة كانت رد فعل حتمي لهذه الممارسات، فالفقهاء المالكيون كانوا ينظرون للميورقيين وبخاصة في إفريقيا ،و بأن المرابطين حماة = =للفقهاء والمذهب. للمزيد من التفاصيل ينظر:ابن أبي زرع،الأنيس المطرب، ص 124؛ ابن عذاري ،البيان المغرب، ج 3، ص ص 350- 364.

[2]- بنو غانية: ينتمون إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية وقد عرفوا بهذا الاسم نسبة إلى اسم أمهم غانية، كانوا ولاة على دانية فامتلكوا جزر الباليار شرق الأندلس واستقلوا بها وأعلنوا ولاءهم للعباسيين، ثم ثاروا على الموحدين محاولين إحياء الدولة المرابطية المنقرضة فغزوا في حركتهم هذه كل من بجاية سنة 580 هـ/ 1184 م، مليانة، قلعة بني حماد وآشر، قسنطينة، وشرق الدولة الموحدية، غير أن الجيش الموحدي استعادها مرة أخرى وفر الميورقي إلى بلاد الجريد حيث بدأ التعاون مع الأغزاز المصريين والأعراب وقد أحدثت اضطرابا كبيرا في المغرب الإسلامي بأكمله. ينظر:عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 6، ص 508.

[3]- ابن عذاري المراكشي ،البيان المغرب،ج3، ص 110.

[4]- ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب، ص 153.

[5]- عبد الواحد المراكشي ،المعجب،ص 329. ؛النويري ،نهاية الإرب، ص 232.

[6]- ابن صاحب الصلاة ،المن بالإمامة، ص 360؛ ابن عذاري ،البيان المغرب، ج 3، ص 76، 77.

[7]- عبد الواحد المراكشي ،المعجب، ص 315، 316؛ ابن عذاري ،البيان المغرب، ج 3، ص 215.

[8]- عبد الواحد المراكشي، المعجب ،ص 123، 124 ؛ابن الأثير، الكامل ،ج 12، ص 116 ؛نهاية الإرب، ص 227.

وبعد وفاته خلفه ابنه الناصر الذي كان عليه أن يواجه الأحداث، إذ خرج بنفسه سنة 601 هـ/ 1205 م ولم يرجع إلى حضرته إلا سنة 604 هـ/ 1208 م[1]، بعدما تمكن أسطوله من بياسة ومنورقة أ وميورقة[2]، لكن استعصت عليه إفريقية إذ أوكل أمرها إلى الشيخ أبي محمد عبد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي، وبفعلته هذه ثبت للحفصيين قدما في إفريقية مهدت لهم الاستقلال بها عام 627 هـ/ 1230 م، وكتب لهم القضاء على الميورقيين بمقتل يحي بن غانية سنة 630 هـ/ 1233 م[3]، لكن بعد أن وطدوا دعائم استقلالهم عن الخلافة في مراكش.

وعلى ما يبدو أن ثورات الميورقيين والأغزاز والأعراب والبربر على اختلاف دوافعها قد أنهكت الدولة وأسهمت في انحلالها، وذلك لطبيعة المنطقة الصحراوية وتركيبتها البشرية، وبعدها عن العاصمة، وتعاطف السكان المحليين مع الثوار، وانشغال العاصمة بالمعارك سواء في إفريقية أو الأندلس[4].

ونتيجة لضعف السلطة المركزية، وتناحر عناصرها، اغتنمت المراكز البعيدة الفرصة فانفصلت فخرجت الأندلس عن طاعة الموحدين، بعدما اضطرت لمجابهة النصارى منفردة فاستعادوها ما عدا دولة بني نصر في غرناطة، وقد كان هم السعيد الموحدي أثناءها ضم إفريقية ولم يعر استغاثة إشبيلية التي كانت توشك على السقوط، فتركها متوجها إلى تلمسان[5]. لذلك فقد

---

[1]- ابن عذاري ،البيان المغرب، ج 3، ص ص 219- 226.

[2]-عبد الواحد المراكشي، المعجب،ص 315 ؛ابن عذاري ،البيان المغرب، ج 3، ص 215 ؛ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب ،ص 317، 318 ؛احمد عزاوي ،رسائل موحدية، ص ص 351- 359.

[3]- أوكل الناصر للشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي أمر إفريقية وبسط يده على ما شاء وأبيح له في الجيش الانتقاء وشد ظهره بتسريب الأموال والخيل والرجال، لكن الشيخ رغم جهوده الجبارة لم يستطع القضاء على ثورات الميورقيين وحلفائهم من أغزاز وأعراب إلا بعدما تمكنوا من القضاء على يحي بن غانية سنة 630 هـ/ 1233 م. عن الموحدين وصراعهم مع الميورقيين ينظر: عبد الواحد المراكشي ،المعجب، ص 267، 268 ؛اين عذاري ،البيان المغرب، ج 4، ص 67 ؛لسان الدين بن الخطيب ، أعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلام و ما يجر ذلك من شجون الكلام ،تحقيق أحمد مختار العبادي وابراهيم الكتاني ،دار الكتاب ،الدار البيضاء ،المملكة المغربية ،1964، ص 253، 254 ؛عبد الرحمن بن خلدون ،العبر، ج 6، ص 391 ؛عبد الواحد المراكشي ،المعجب، ص ص 270- 272؛ابن الأثير، الكامل، ج 11، ص 172، 173 ؛ابن عذاري ،البيان المغرب، ج 3، ص 148، 149؛الناصري ،الاستقصاء، ج 2، ص 160.

[4]- ابن عذاري ،البيان المغرب، ج 3، ص 270.

[5]- نفسه،ج 3، ص 285، 286.

فقد تبين للنصارى ضعف مسلمي الأندلس وعدم مقدرة الموحدين على نجدتهم، فعزم على إثر ذلك ملك قشتالة على إرسال جيشه إلى كل بلد لمحاصرته[1]، فملك النصارى قرطبة[2] سنة 633هـ/ 1236 م، وبلنسية سنة 636 هـ/ 1239 م، ومرسية[3] وجيان[4] سنة 644 هـ/ 1246 م، وإشبيلية[5] في رمضان 646 هـ/ 1248 م، وهكذا سقطت حواضر الأندلس الواحدة تلو الأخرى وفي مدة قصيرة.

وتبعتها إفريقية التي انفصلت سنة 627 هـ/ 1230 م بعدما جاء أبو زكرياء بن أبي محمد عبد الواحد الحفصي إلى تونس فسيطر عليها واستقل بها، واتبع نظام الموحدين وكتب للجهات يطلب البيعات[6]، وفي نفس العام فتح بجاية وقسنطينة[7]، وفي سنة 636 هـ/ 1235 م فتح الجزائر[8] وبايعه أهالي شرق الأندلس[9]، وفي 638هـ/ 1241 م تولى أمر الحفصيين أبو يحي زكرياء[10]، وفي عهده بايعه أهالي سبتة وسجلماسة فحاول السعيد الموحدي القضاء على نفوذه، فلما شعر أبو يحي زكريا بذلك سار نحو تلمسان واحتلها سنة 640 هـ/ 1243 م وترك واليها

---

[1]- مؤلف مجهول،الذخيرة السنية،ص 113.

[2]- ابن عذاري ،البيان المغرب،ج 3، ص 323.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون ،العبر،ج 6، ص 605.

[4]- ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب، ص 183.

*- ودخلت الأندلس في دور طوائف ثالث فقام في 626 هـ/ 1229 م زيان بن مردنيش على السيد أبي زيد البياسي وضبط بلدة بلنسية. وفي سنة 630 هـ/ 1233م صار محمد بن يوسف بن الأحمر بأرغونة ونازع ابن هود على زعامة الأندلس، فسيطر على غربها مطلع عام 636 هـ/ 1239 م.

[5]- ابن عذاري ،البيان المغرب،ج 3، ص 385.

[6]- ابن عذاري ،البيان المغرب ،ج 3، ص ص 274-276 ؛لسان الدين بن الخطيب ،الإحاطة، ج 1، ص 320،321؛ عبد الرحمن بن خلدون ،العبر، ج 6، ص 531 ؛الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ،تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة ،تونس ،1966، ص ص 22-24 ؛ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار افريقية و تونس ،تحقيق محمد شمام، المكتبة العتقة ،تونس ،1387هـ ، ص 132.

[7]- ابن عذاري ،البيان المغرب ،ج 2، ص 276.

[8]- الزركشي ،تاريخ الدولتين ،ص 28 ؛عبد الرحمن بن خلدون ،العبر، ج 6، ص 597.

[9]- ابن عذاري ،البيان المغرب، ج 3، ص ص 345-398 ؛الزركشي ،تاريخ الدولتين ، ص 27 ؛ابن أبي دينار، المؤنس ، ، ص 132 ؛عبد الرحمن بن خلدون ،العبر، ج 6، ص ص 601-605.

[10]-الزركشي، تاريخ الدولتين ،ص 28.

أبا يحي يغمراسن بن زيان" ليكون سدا بين البلاد الإفريقية والغربية"[1]،فتوالت عليه بعد هذه الخطوة الخطوة البيعات من مكناسة[2] وألمرية[3] وإشبيلية وغرناطة[4]، وأرسل ولاته إلى سبتة وإشبيلية[5].

وفي الوقت الذي انفصلت فيه الأندلس وإفريقية بدأت أحوال الخلفاء في المغرب تضطرب والولايات تستقل ومنها تلمسان التي استبد بها أبو يحي يغمراسن بن زيان زعيم بني عبد الواد الذين كانوا يستوطنون نواحي تلمسان، حتى مكنتهم الظروف السياسية والصراع المستمر من الإنفراد بالسلطة في تلمسان بمباركة الموحدين أنفسهم ورضاهم، ثم إنفرادهم بالحكم في المغرب الأوسط والاستقلال عنهم سنة 633 هـ/ 1233 م مكونين بذلك الإمارة الزيانية(633-962 هـ/ 1233- 1554 م) متخذين من تلمسان عاصمة لهم[6].

وسار على نهجهم بنو مرين[7] في المغرب الأقصى، حيث كانوا من القبائل الزناتية التي لم تشأ الخضوع لنفوذ الموحدين، فقاموا بعدة محاولات للانفصال وتكوين إمارة لهم مستغلين في ذلك ما طرأ على جسم الموحدين من ضعف واختلال، فجرت بينهما العديد من المعارك إلى أن تحقق هدفهم في قيام دولة لهم وذلك سنة 668 هـ/ 1269 م فكانت إيذانا بسقوط دولة الموحدين.

وبقيام هذه الكيانات السياسية الجديدة عادت منطقة المغرب الاسلامي في حياتها السياسية إلى الصراع القبلي الذي كان سائدا قبيل عصر المرابطين وكانت عواقبه وخيمة على

---

[1]- ابن عذاري ،البيان المغرب،ج 3، ص ص 360-362 ؛الزركشي ،تاريخ الدولتين، ص 29 ؛عبد الرحمن بن خلدون ، العبر، ج 6، ص ص 607-610.

[2]- ابن عذاري ،البيان المغرب،ج 3، ص 373 ؛عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ، ج 6، ص 540، 618، 619.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج 6، ص 645.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ، ج 6، ص 616، 617؛ابن أبي دينار،المؤنس، ص 133.

[5]- ابن عذاري ،البيان المغرب،ج 3، ص 379.

[6]- عن وصول قبيلة بني عبد الواد إلى تلمسان وحكمها، وتولية يغمراسن بن زيان عليها واستقلاله بالمغرب الأوسط ينظر: يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ،ج1 ،تحقيق عبد الحميد حاجيات ،المكتبة الوطنية ،الجزائر ، 1980، ص 199، 200؛محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان، تحقيق محمود بوعياد، ص 112،113.

[7]- عن تاريخ المرينيين ينظر: ابن أبي زرع ،الذخيرة السنية و الأنيس المطرب ؛ ابن الأحمر، روضة النسرين في تاريخ دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، مطبوعات القصر الملكي، الرباط، 1962 ؛الاستقصاء، ج 2.

الأندلس. وعلى الرغم من أن هذه القبائل تكتلت في تشكيلات سياسية إلا أن الصراع بينهما تفاقم نتيجة لذلك العداء القائم والحروب المستمرة بين المغربين الأوسط والأقصى من أجل بسط النفوذ على كامل المغرب وتزعم زناتة، فراحوا يستغلون كل الظروف والمناسبات، فيستعملون مختلف الطرق والوسائل لتحقيق ذلك، فظلت العلاقة بينهما متوترة على طول تاريخ الدولتين تتخللها بعض فترات السلم والهدنة على حسب اختلاف شخصيات السلاطين وسياساتهم وأهدافهم ووسائل الوصول إليها، وعلى الرغم من هذا الصراع والتنافس المستمر السياسي والعسكري إلا أنه لم يمنع من وجود روابط ثقافية وتواصل فكري وعلمي بين الدولتين منذ النشأة إلى غاية تولي السعديين حكم المغرب الأقصى مطلع القرن 10 هـ/ 16 م وظهور العثمانيين على مسرح الأحداث وهذا ما سيتم الكشف عنه من خلال هذه الدراسة التي سنحاول فيها تتبع هذه العلاقات السياسية والروابط الثقافية من خلال المسار التاريخي لكل دولة، والممتد ما بين القرنيين السابع والعاشر هجريين/ الثالث عشر والسادس عشر ميلاديين.

المبحث الأول:التطورات السياسية للمغرب الأوسط على عهد الدولة الزيانية (633-962هـ/1236-1554م) .

1. بنو عبد الواد، النشأة و الظهور:

بنو عبد الواد[1] فرع من بني واسين [2] إحدى أهم بطون قبيلة زناتة البربرية[3] التي كانت تجوب صحراء المغرب الاوسط بحثا عن المراعي الخصبة لمواشيها، فيما بين تيهرت و نهر ملوية. [4] وتضم هذه الطبقة بطون عديدة منها بنو مرين وهم الاكثر عددا والاقوى سلطة، ثم يليهم بنو عبد الواد في المرتبة الثانية من حيث المكانة والقوة ،ثم بنو توجين[5].

وينقسم بنو عبد الواد إلى عدة بطون ذكر منها ابن خلدون ستة هي: بنو ياتكين وبنو أرلو، وبنو رهطف، ونصوحة، وبنو تومرت، وبنو القاسم[6].

و كان بنو واسين ومن تفرع عنهم يستوطنون الأراضي الممتدة ما بين نهر ملوية وأرض الزاب- الواقعة جنوب الأوراس – جنوب الأراضي التي كانت تحت سلطة قبائل بني ومانو، وبني

([1]) أطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى عابد الوادي وهي صفة أو لقب أطلق جد لهم كان يتبتل و يتعبد بأحد الأودية. ينظر في ذلك: هوارية بكاي ،العلاقات الزيانية المرينية سياسيا و ثقافيا ،مذكرة ماجستير ،قسم التاريخ ،جامعة تلمسان ،2007-2008 ،ص 8 ؛يحي بن خلدون، بغية الرواد، ،ج1، ص 334.

([2]) بنو واسين: هم الطبقة الثانية من قبيلة زناتة، من أبناء واسين ابن يصليتن إخوة مغراوة وبني يفرن، وهذا الفرع من ولد بادين بن محمد إخوة بن توجين ومصاب، وزردال، وبن راشد، وبني مرين، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 114-147.

([3]) من أقوى القبائل البربرية، اختلف المؤرخون العرب حول أصلها وتسميتها، غير أنهم أجمعوا أن هذا القبيل من ولد زانا أو جانا، ينظر في ذلك، ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 4،5، وقد تفرعت عنها العديد من القبائل ذكر منها ابن خلدون: مغرواة، وبني يفرن، وجراوة، وبني يرتيان، وبني واسين، وبني تيغرس، وبني مرين ، وتوجين، وبني عبد الواد، وبني راشد، وبني برزال، وبني ورنيد، وبني زنداك وغيرهم،، ينظر : العبر ، ج7، ص 14، 15.

([4]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 8.

([5]) ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 278.

([6]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 72.

يلومي بالمغرب الأوسط وبني يفرن ومغراوة[1] بتلمسان، والتي كانت تقدم المساعدات لبني واسين من أسلحة ومال وحبوب مقابل مساعدتهم في حال الحروب أو المخاطر خاصة مع صنهاجة[2].

لكن ومع الزحف الهلالي على بلاد المغرب الإسلامي و تمكنهم من القضاء على صنهاجة بالقيروان ،زحفوا على المغرب الأوسط، فوجدوا مقاومة من الحماديين الذين دافعوا عن بلادهم بمساعدة بني يعلى المغراويين ملوك تلمسان ،الذين جمعوا أحلافهم من بني واسين –بني مرين وبني عبد الواد وبني توجين، وبني راشد– وهموا إلى محاربة الهلاليين بزعامة أبي سعدي خليفة من بني يفرن ، غير أنهم لم يتمكنوا من الصمود أمام قوة الهلاليين ،فكان لزاما عليهم الانسحاب من المغرب الأوسط [3]، فاضطروا إلى العودة إلى مواطنهم السابقة حنوب المغرب الأوسط، في المنطقة الممتدة من جبل راشد حتى ملوية وفقيق ،ثم لجؤوا إلى سجلماسة مستجيرين بملوك هذه الضواحي من بني يلومي[4] وبني وامانو[5]، الذين كانوا قد قسّموا تلك المنطقة الصحراوية بينهم[6]، فاستوطن فاستوطن بنو مرين الناحية الغربية بتكورارين ودبدو إلى سجلماسة[7]، أما بنو بادين فكانت لهم الناحية الشرقية — شرق المغرب الأوسط– ما بين فقيق ومديونة إلى جبل راشد ومصاب، ونتيجة

([1]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 8-9 ؛عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 148،149 ؛يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 179،180.

([2]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 9 ؛عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 120-147.

([3]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 128.

([4]) بني يلومي: استقروا على الضفة الغربية لوادي مينا والبطحاء وسيق وسيرات وجبل هوارة وجبل بني راشد، ينظر عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 117.

([5])بني وامانو: ينتسبون إلى زناتة وكانت مواطنهم شرق وادي مينا بمنداس أسفل شلف ويقطن بعضهم قصور توات ينظر، ابن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص 204.

([6]) محمد مكيوي، الأوضاع السياسية والثقافية للدولة العبد الوادية منذ قيامه حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633-1236)هـ- (737- 1337)م، رسالة ماجستير ، قسم الثقافة الشعبية، تلمسان، 2000-2001.

([7]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 128.

لهذا الجوار و الاتصال في الموطن نشأت بينهما العديد من الفتن والمناوشات[1]. و يضم بنو بادين بطون: بنو توجين بنو زردال وبنو مصاب، وبنو راشد[2]، وبنو عبد الواد [3].

ويربط بعض المؤرخين [4] نسب بني عبد الواد بالأدارسة العلويين وينفون نسبهم البربري غير أن عبد الرحمن بن خلدون [5] ينكر هذا النسب ويعتبره زعما لا سند له، إذ يذكر في قوله:"....وحتى يغمراسن عندما أبلغ الخبر لم يستنفعه وكان جوابه: " إن كان صحيحا فينفعنا عند الله وأما الدنيا فنلناها بسيوفنا".[6]

أما عن تملك بني عبد الواد للمغرب الأوسط فيذكر يحي بن خلدون أن عبد المؤمن بن علي استنجد بشيخ قبيل بني عبد الواد أبو محمد عبد الحق لرد أمواله وغنائمه التي اغتصبها منه بنو مرين، فلبى هذا الأخير نداءه واسترجع له غنائمه ،استحسن عبد المؤمن صنيع بني عبد الواد هذا فأقطعهم تلك الربوع[7].

([1]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 9.

([2]) بنو راشد: هم أحلاف بني عبد الواد، وكانت رئاستهم في عهد يغمراسن لونزمار ابن إبراهيم ابن عمران، ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 121.

([3]) وإلى هذا الفرع آلت الرئاسة خلال عهد الموحدين ،و يضم عدة بطون هي: بنو يكتين، وبني مطهر أبناء عمومة بني عبد الواد ، وبني يعلى، وبني عبد الحق بن منغفان، ينظر في ذلك: هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 10؛ يحي بوعزيز، المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية (1236-1554م)، مجلة الأصالة العدد 26، الجزائر، 1975، ص 13.

([4]) خاصة منهم يحي ابن خلدون والتنسي اللذان ذكرا أن بني عبد الواد شرفاء من سلالة إدريس بن عبد الله مؤسس الدولة الإدريسية بفاس، ينحدرون من نسل القاسم الإدريسي الذي إنضاف إلى بني عبد الواد وتزوج منهم فكانت له ذرية صالحة. هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 10.

([5]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 149.

([6]) في نظرنا إن يغمراسن بن زيان لم يقصد في هذا القول نفي النسب العلوي عن بني عبد الواد بقدر ما أراد أن يثبت أن دولة لم تقم على أساس فكرة دينية أو روحية ،و إنما قامت بفضل قوته و قوة قبيلته ،فهو في قوله هذا لم ينفي هذا النسب صراحة.

([7]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 101.

إذا و نتيجة اخلاص بني عبد الواد الطاعة للموحدين أقطعوهم ضواحي من المغرب الأوسط وهي بلاد بني يلومي وبني امانو وهي المنطقة الممتدة فيما بين البطحاء وملوية ريفه وصحرائه[1].

وبعد دخول بني عبد الواد إلى المغرب الأوسط ،أصبحت المنطقة الجنوبية تحت سيطرت بني مرين الذين توسعوا فيها. وبذلك أصبح لبني مرين وبني عبد الواد كيانان سياسيا وأعادوا مكانة زناتة وأعطوها طابع الدولة ذات السلطان في الأرض لتظهر بذلك منافسة بني عمومتهم من مغراوة[2] وبني توجين[3] والذين حاولوا مقاسمتهم الملك والسلطة؛ غير أن بني مرين وبني عبد الواد تمكنوا من القضاء عليهم وقويت بذلك شوكتهم. [4]

2.التطور السياسي للدولة الزيانية:

اجتمعت مجموعة من الظروف ،ساعدت على استقلال بني عبد الواد بالمغرب الأوسط ، والاعلان عن قيام دولتهم ،حيث تعود جذور ذلك حسب ما يذكر كل من يحي بن خلدون[5]

([1]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 159.

([2]) ينتسبون إلى زناتة البربرية مواطنهم شمال الونشريس ووادي شلف إلى البر ينتهي شرقا إلى وادي الست قرب متيجة وغربا إلى البطحاء ناحية نهر مينا ، بها عدة مدن منها: مليانة، مازونة،تنس ، شرشال، المدية، عاشت مغراوة حياة البداوة، وظلت في صراع مع الزيانيين، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 50-57 ؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 169، 170.

([3]) ينتسبون إلى زناتة ، استوطنوا شرقي بني عبد الواد وجنوب مغرواة، فيما بين سعيدة والمدية، هم الآخرون ظلوا على حياة البداوة، وفي عدائهم للزيانيين طيلة حكمهم ، وتضم أرضهم قلعة بني سلامه التي أقام بها ابن خلدون أربع سنوات (776- 780هـ)، حيث نظم فيها مقدمته الشهيرة، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 318-333 ؛ لسان الدين بن الخطيب، المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من أعمال الأعلام، فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد الكتاني دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص ص 167-170.

([4]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 11.

([5]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 101 ؛بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص4 ؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 872.

وعبد الرحمن بن خلدون[1] والتنسي[2] إلى ثورة إسماعيل بن علان الصنهاجي اللّمتوني[3] على أبي سعيد شقيق المأمون سلطان الموحدين والي تلمسان[4] بعدما رفض شفاعته في اطلاق سراح مشايخ بني عبد الواد، الذين اعتقلهم .[5]

حيث قام اسماعيل بن علان باعتقال أبا سعيد الموحدي و أطلق سراح مشايخ بني عبد الواد، بل ذهب إلى أكثر من ذلك إذ خلع طاعة الموحدين وحاول إحياء الدولة اللّمتونية ،التي اعتقد أنها لن تقوم إلا بالقضاء على كبار بني عبد الواد[6]، الذين أعد خطة لقتلهم، فدعاهم إلى وليمة بغرض تصفيتهم ، لكن مشايخ بني عبد الواد وعلى رأسهم آنذاك جابر بن يوسف (عم يغمراسن) ،كان قد بلغهم ما عزم عليه اسماعيل بن علان، فتوقفوا خارج البلد يتدبرون أمرهم ،وبعد ما بلغه قدومهم خرج إليهم مسرعا يستقبلهم ،فوقع أسيرا هو وأصحابه بين أيديهم [7] ،ودخل جابر بن يوسف تلمسان وأعلن الدعوة للمأمون وبعث إليه معلنا الطاعة[8] ،فعهد له المأمون بولاية تلمسان تلمسان وتسيير أمورها وما يليها من بلاد زناتة سنة 627هـ/1229م[9]، ومن ثمة أصبح بنو عبد عبد الواد سادة على تلمسان وضواحيها ،و بذلك كانت هذه الخطوة الأولى لتأسيس دولتهم. [10]

([1]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص152،153.

([2]) التنسي، المصدر سابق، ص 112،113.

([3]) شيخ اللمتونيين ضمن حامية تلمسان.

([4]) أبو العلى إدريس المأمون بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، حكم من سنة 624هـ/1226م إلى سنة 630هـ/1232م.

([5]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 11.

([6]) نفس المرجع ،ص 12.

([7])التنسي، المصدر السابق، ص 112،113.

([8]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 106،107.

([9]) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني (حياته وآثاره)،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 ص12.

([10]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 12.

حاول جابر بن يوسف توسيع نفوذه، بإخضاع جيرانه فأطاعه كثيرون ،ثم قصد أهل ندرومة يطلب منهم الطاعة فأبوا، فحاصر المدينة لكنه قتل حول أسوارها بسهم (يوسف الغفاري التلمساني) ،فخلفه ولده الحسن الذي تخلى عن الحكم لعمه عثمان بن يوسف بعد ستة أشهر، والذي عزل من قبل الرعية بعد عام ونصف لسوء حكمه، فآلت السلطة بعد ذلك إلى أبي عزة زيدان أو زكران بن زيان بن ثابت بن محمد[1] غير أن بني مطهر[2] رفضوا مبايعته وحاربوه بمساندة بمساندة بني راشد[3]وانتهت الفتنة بينهم بقتل أبي عزة زيدان في معركة دارت رحاها خارج تلمسان تلمسان سنة 633هـ/1236م[4].

بعد مقتل أبي العزة تولى أمر تلمسان من بعده أخوه يغمراسن[5] بن زيان بن ثابت بن محمد ، الذي تمكن من إخضاع بني مطهر وبني راشد وجمع كلمتهم في تحت راية الدولة العبد الوادية التي أعلن يغمراسن استقلالها عن دولة الموحدين، مستبدا بالحكم دونهم[6] متخذا تلمسان عاصمة لبلاده[7].

([1]) محمد عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 79.

([2]) هم أولاد عمومة بني عبد الواد وينتمون لمطهر بن يمل بن يزكن بن القاسم بن عبد الواد، ينظر في ذلك، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 150.

([3]) يلتقون ببني عبد الواد عند جدهم محمد بن زحيك أو (سجيع) بن واسين بن مسرى أو (مسرا) بن زاكيا بن ورسيك (مسيج) بن اوديت او مادغيس الأبتر. هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص12 ،هامش 6.

([4]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 12،13.

([5]) ولد يغمراسن سنة 603هـ/ 1206م، ولي وبويع يوم توفي اخوه ابو عزة سنة 633هـ /1236م، وكان معروفا عند قومه قومه بدهائه السياسي وشجاعته وحزمه وحصافة رأيه، ومكارم أخلاقه وإيثار ذوي الفضل والعلم، حيث قال عنه ابن خلدون:" كان يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد من أشد بني عبد الواد بأسا وأعظمهم في النفوس، مهابة وإجلالا وأعرفهم بمصالح قبيله وأقواهم كاهلا، اشتهر بحصافة الرأي وسداد التدبير وقو ة العزيمة معظما عند الخاصة والعامة، يرجعون إليه في كل الأمور عندما تداهمهم النوازل والنوائب والعوادي"، ينظر في ذلك، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 162.

([6]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 162،163 ؛ التنسي، المصدر السابق، ص 113.

([7]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 13.

و قد ساعدت مجموعة من العوامل يغمراسن بن زيان على اعلان قيام دولته، و توطيد الحكم لقبيل بني عبد الواد ،من أهمها:

- ضعف دولة الموحدين نتيجة الأوضاع الصعبة التي كانت تعيشها، من تفكك، وصراعات، و التي أدت إلى سقوطها.
- شخصية يغمراسن بن زيان .
- اعتماد يغمراسن بن زيان على القبائل البربرية و العربية .
- اختياره لتلمسان عاصمة لدولته، و حاضرة لها. [1]

وبذلك يدخل بنو عبد الواد مرحلة جديدة بعد أن أصبح لهم كيانا سياسيا يمثلهم وقوة يعتدون بها في المغرب الأوسط[2]، مرحلة يشوبها العديد من الصراعات والمؤامرات خاصة من قبل جارتيها الحفصية من الناحية الشرقية ،والمرينية من الجهة الغربية اضافة إلى الخطر الذي كانت تمثله القبائل المجاورة العربية والبربرية، وكان محور هذا الصراع هو التوسع وبسط النفوذ وتحقيق الريادة بالقوة. [3]

ولعل يغمراسن بن زيان لم يستثن من هؤلاء، فعندما بويع بالإمارة بعد مقتل أخيه أبي عزة اضطلع بالأمر في عزم وقوة، فأخضع إلى سلطانه كل الذين كانوا قد خرجوا عن طاعة أخيه (بني مطهر وبني راشد) فأحسن السيرة في الناس تدبيرا وسياسة، وعمل على تنظيم قواته العسكرية كما اعتنى بتوفير الأسلحة والذخيرة لها، استعدادا للدفاع عن البلاد، كما اعتنى بالجهاز الإداري فاستحدث مجلس وزاري، وكتابا ليساعدوه على تسيير شؤون الإمارة. و ألغى السلطة الفعلية

([1]) عز الدين عمر أحمد موسى ،دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي ،ط1 ،دار الشروق ،بيروت ،1983 ،ص 75 وما بعدها ؛محمد مكيوي ،**دور يغمراسن بن زيان في تأسيس الدولة الزيانية ،دورية قرطاس الدراسات الحضارية و الفكرية** ،العدد التجريبي ،ديسمبر 2008 ،كلية الآداب و العلوم الانسانية و الاجتماعية ،جامعة تلمسان ،ص 214 ؛ عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 16 وما بعدها.

([2]) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص 13.

([3]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 13.

للموحدين ولم يبقي لهم سوى التبعية الأدبية والروحية خاصة في عهد الخليفة السعيد بالدعاء له على المنابر أيام الجمعة والأعياد[1].

3. المجال الجغرافي للدولة الزيانية:

يشغل إقليم الدولة الزيانية رقعة من أرض بلاد المغرب كانت تعرف سابقا بالمغرب الأوسط، سميت الدولة العبد الوادية نسبة إلى بني عبد الواد إحدى بطون زناتة،[2] كما سميت أيضا بالدولة الزيانية نسبة إلى زيان بن ثابت والد يغمراسن مؤسس هذه الدولة [3].

ويتميز هذا الإقليم باختلاف تضاريسه وتنوع مناطقه وتباين مناخه بين منطقة وأخرى تنتشر عبره العديد من المدن التي كان لها أدوار سياسية واقتصادية وثقافية أهمها: تلمسان[4]

([1]) لم يقطع يغمراسن علاقته كليا مع الخليفة الرشيد الموحدي بمراكش، إذ يقول ابن خلدون في هذا الصدد:" ....ومحا يغمراسن آثار الدولة المؤمنية وعطل الأمر والنهي باسمها ولم يترك من رسوم دولتهم وألقاب ملكهم إلا الدعاء على منابره للخليفة بمراكش..."، ينظر في ذلك، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7،ص 162،163، وذكر يحي بن خلدون أيضا في البغية، ج1، ص 112، أن تقرّب خليفة مراكش من الامير العبد الوادي وإتحافه بالهدايا هو الذي شجع الأمير أبا زكريا الحفصي على الاستقلال بإفريقية كما قال ابن خلدون في العبر، ج7، ص 164 عن توطد العلاقات بين تلمسان ومراكش:" ...وكان يغمراسن منذ تقلد طاعة آل عبد المؤمن أقام دعوتهم متحيزا إليهم سلما وحربا وعلى عدوهم ". كما ذكر ابن خلدون أن سبب تقاربهما هذا هو اتفاقهما على عدواة بني مرين الذين كانوا خطرا على كلا الدولتين، وكان هذا التحالف بين الخليفة بمراكش والحكم الجديد بالمغرب الأوسط هو الحافز الحقيقي للأمير الحفصي ليتنازل عن تلمسان سنة 639هـ/ 1242م.

([2]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 14.

([3]) يعتبر أبو حمو موسى الثاني ،أول من اطلق هذه التسمية – الدولة الزيانية – على دولة بني عبد الواد ،كما يعتبر أول سلطان من بني يغمراسن نادى بنسبها العلوي الشريف .ينظر: يحي ابن خلدون ،المصدر السابق ،ج1 ،ص 186 ،و أيضا: ابن الأعرج ، زبدة التاريخ و زهرة الشماريخ ،ج3 ،مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 170 ،ورقة 3 ،وأيضا: أحمد مختار العبادي ،دراسات في تاريخ المغرب و الأندلس ،الاسكندرية ،1968 ،ص 198.

([4]) يقول ابن خلدون: " واسمها في لغة زناتة مركب من كلمتين :- تلم، سين- وتقرأ (بسان) ومعناها تجمع بين اثنين البر والبحر، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص 156-157، ويرى يحي بن خلدون أنها تعني (الصحراء والتل) ، بغية الرواد، ج1، ص 85.

عاصمة الدولة وحاضرة ملكها ومركز إشعاعها العلمي والأدبي والفني ثم ندرومة وهنين ووجدة ووهران ومستغانم، مازونة، مليانة والمدية والجزائر ودلس.... وغيرها[1].

أما حدود الدولة الزيانية فظلت بين مد وجزر طوال فترة حكمها، إذ لم تكن ثابتة ولا مستقرة فكانت تتقلص حينا وتتسع أحيانا حسب استعدادات بني زيان وقوتهم العسكرية والاقتصادية واستقرارهم ،وأمنهم و وحدة أمرائهم وانسجام قبائلهم وصدق ولائها[2].

حيث و بعدما تمكن يغمراسن من التوسع غربا كان الحد الفاصل بين مملكته ودولة بني مرين وادي ملوية شمالا إلى إقليم فيجيج جنوبا[3]، استطاع الوصول بمملكته بمساعدة القبائل المنضوية تحت نفوذه إلى ما بعد مدينة وجدة إلى تاوريت[4] والبلاد التي تلي نهر ملوية ووادي (صا) أو (زا)[5]، وإقليم فيجيج في الجنوب الغربي، أما من الناحية الشرقية فقد عرفت تطورا ملحوظا منذ اعتلاء السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن عرش المملكة. [6]

و تطبيقا لوصية يغمراسن[7] ركز أغلب خلفائه اهتمامهم نحو توسيع إقليم دولتهم على حساب الحفصيين لا سيما على عهد عثمان بن يغمراسن وأبي زيان محمد وأبي حمو الأول وابنه

([1]) بوزياني الدراجي، المرجع السابق ، ص 37.

([2]) عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 43.

([3])عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ج1 ، ص 23.

([4]) تقع هذه المدينة الآن غرب مدينة وجدة بـ 136 كلم، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 227- 454، وأيضا، عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، مكتبة الشركة الوطنية، الجزائر 1965، ص 146.

([5]) الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 7 ؛ التنسي، المصدر السابق، ص 118،119.

([6]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 14.

([7]) ذكر ابن خلدون أن يغمراسن أوصى ابنه قائلا: " يا بني إن بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الأعمال الغربية، وعلى حضرة الخلافة بمراكش، لا طاقة لنا بلقائهم إذا جمعوا لوفود مددهم، ولا يمكنني أنا القعود عن لقائهم لمعرة النكوص عن القرن التي أنت بعيد عنها فإياك واعتماد لقائهم وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا إليك، وحاول ما استطعت =في الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين وممالكهم، يستفحل به ملكك وتكافئ حشد العدو بحشدك ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك." فعلقت وصية الشيخ بقلبه، بنظر في ذلك، العبر، ج7، ص 189-190.

أبي تاشفين الأول. [1] فقد استطاعت الجيوش الزيانية في عهد هذين العاهلين الأخيرين الوصول إلى بجاية وقسنطينة وعنابة من أراضي الحفصيين، حيث حاصرتها عدة مرات إلى أن بلغت عاصمتهم تونس[2] في عهد أبي تاشفين الأول سنة (718هـ- 1318م/737هـ-1337م) لكنها سرعان ما كانت حدودها الشرقية تتراج إلى أطراف بجاية وبلاد الزاب وهو أقصى اتساع لها في المنطقة الشرقية[3]، كما امتدت حدودها من البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى[4] جنوبا جنوبا ،و هي المنطقة التي كانت تفصل المغرب الإسلامي عن إفريقيا السوداء[5]. تلك هي الحدود الحدود التي استمرت عليها الدولة الزيانية في أغلب الأحيان طوال وجودها على الرغم من تعدد الهجمات والغزوات عليها من قبل المرينيين والحفصيين[6].

4. العلاقات الزيانية الحفصية:

لما تمكن يغمراسن بن زيان من زمام السلطة والملك وعلت مكانته بعد أن استقل بدولته وجد الخطر يحدق ببلاده شرقا وغربا، إذ جعلها موقعها وسطا بين الدولتين المرينية غربا،والحفصية شرقا بين شقي رحى ، هذا فضلا خطر القبائل العربية التي كانت تسيطر على وديان الساحل الشمالي وتفرض الأتاوات على سكانه[7].

يضاف إلى ذلك منافسة بني توجين ومغراوة الذين لم يكونوا صادقين في ولائهم لدولة بني عبد الواد ،و كثيرا ما كانوا يخرجون عن طاعتها، بل وصل بهم الأمر إلى تتحالف مع الأمير

([1]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 16.

([2]) التنسي، المصدر السابق، ص 137 ؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1،ص 218.

([3]) التنسي، المصدر السابق، ص 137.

([4]) الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 7، وأيضا:

- Bouali Sidi Ahmed : les deux grands siéges de Tlemcen, ENAL, Alger, 1984,P.27 ;Brosslard Charles : les inscriptions arabes de Tlemcen, Revue Africaine , N° 14, 3 eme année, 1859, Alger, P.321-322.

([5]) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة، ج5، القاهرة، 1963، ص 149.

([6]) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 45.

([7]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 13.

الحفصي أبي زكريا بن أبي حفص[1] الذي بشؤون إفريقية عن سلطة الموحدين، و كانت له مطامع توسعية تهدف إلى الاستيلاء على كامل المغرب الإسلامي معتبرا نفسه الوريث الشرعي لملك الموحدين الآيل للسقوط .[2] وقد كان يرى أن ذلك لن يتأتى له إلا إذا أزاح يغمراسن بن زيان من طريقه على اعتبار أنه كان مواليا للموحدين ،وأن دولته تقف حجرة عثرة بينه و بين مراكش حاضرة الموحدين. [3]

فقد كان يغمراسن منذ تقلده الحكم تابعا للموحدين[4]، إذ أنه ورغم استقلاله بمملكته إلا أنه لم يقطع صلته نهائيا بالسلطة المركزية في مراكش، وكانت علاقته بها قوية متينة خاصة على عهد الرشيد بن المأمون الموحدي[5] الذي راح يضاعفه الإحسان ويغدق عليه بالهدايا والأموال. من أجل ضمان مساعدته لصد بني مرين الذين استولوا على مناطق شاسعة من المغرب الأقصى من جهته ،وحتى لا يصير حليفا لهم من جهة أخرى . وانتهج (السعيد الموحدي) خليفة الرشيد نفس السياسة مع يغمراسن بن زيان حفاظا على أواصر المودة معه وعلى وولائه، حيث بعث إليه بهدية من الخيل العتاق وكتب إليه يعاهده على قتال بني مرين[6].

أساء هذا التحالف العبد الوادي الموحدي الأمير الحفصي أبا زكريا وأقلقه ،و زاد قلقه من وقوع تحالف بين يغمراسن وبني مرين ،ثم يتحالف الثلاثة (بنو عبد الواد ،بنو مرين ،و الخليفة الموحدي) على محاربته. [7]

([1]) أبو زكريا مؤسس الدولة الحفصية بتونس سنة 625هـ/1228م، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 594،595.

([2]) ويقول ابن خلدون في هذا الصدد:" كان الأمير أبو زكريا الحفصي منذ أن استقل بأمر إفريقية واقتطعها من بني عبد المؤمن متطاولا إلى ملك الحضرة بمراكش والاستيلاء على كرسي الدعوة"، ينظر في ذلك، العبر، ج6، ص 607.

([3]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 17.

([4]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 164 ؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 205.

([5]) محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 143.

([6]) محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 80.

([7]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 17.

دفعت هذه المخاوف بالسلطان الحفصي أبي زكريا إلى محاربة يغمراسن بن زيان، فظل يتحين الفرصة السانحة للقيام بذلك[1]، وهي الفرصة التي وجدها في قدوم وفد من بني توجين وبني منديل من مغراوة بقيادة عبد القوي التوجيني وأمراء من مغراوة، يستصرخونه و يستنجدون به ضد يغمراسن ووعدوه بالطاعة ومساعدته للسيطرة على تلمسان، وجمع زناتة تحت سيادته[2] ،فقويت آمال أبي زكرياء واستعد لغزو تلمسان عاصمة بني عيد الواد أحسن استعداد. [3]

وبعدما أن جمع حوله من كان تحت طاعته من أعراب رياح وسليم[4] نزل بمليانة سنة 640هـ/ 1242م[5] ومنها راسل يغمراسن يطلب منه الطاعة و الولاء فأبى ،حينئذ تحرك نحو تلمسان وفرض عليها حصارا محكما، وبالغ في التنكيل بأهلها تأديبا ليغمراسن الذي عجز عن مقاومة كل تلك الجموع، ولم يبقى أمامه إلا مغادرة عاصمته، وفعلا استطاع أن يحدث ثغرة في الحصار المضروب عليه و يفر مع أهله وحاشيته متوغلا في الجبال المجاورة[6].

وبذلك سقطت تلمسان في أيدي الحفصيين. غير أن هذا الانتصار لم يحقق شيئا لأبي زكرياء بعد أن واجهته مشكلة من يتولى عرش تلمسان و يحكمها باسمه بعد أن يعود إلى تونس، فقد رفض

([1]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 17.

([2]) نفس المرجع ،ص 18.

([3]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 608؛ هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 18.

([4]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 18؛ محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 142.

([5]) أورد الزركشي في كتابه تاريخ الدولتين ص 29 ،أن تعداد الجيش الحفصي بلغ أمام تلمسان أربعة وستين ألفا، بينما أورد ابن عذارى أن التعداد بلغ عشرة آلاف، ويختلف الزركشي مع يحي بن خلدون واخيه عبد الرحمن، حول تاريخ الحملة، إذ جاء في العبر، ج7 ص 165 ، أن أبا زكرياء تحرك نحو تلمسان في عهد الرشيد سنة 639هـ/ 1241م، أما في البغية، ج1، ص 113 فتحرك نحو تلمسان سنة 640هـ/1242م، بينما انفرد التنسي في نظم الدر، ص 117 بتحديد سنة 645هـ/1247.

([6])هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 18 ؛محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 80.

أمراء زناتة ذلك مؤكدين بأنهم لا يستطيعون مواجهة يغمراسن[1]، كما رفض أكابر الحفصيين القبول بولاية تلمسان لعلمهم بأنها ولاية غير آمنة على من يتولاها مادام يغمراسن قريبا منها[2].

أمام هذا الموقف الصعب لم يجد أبو زكريا من حل لعرش تلمسان وإنقاذ الموقف إلا قبول التفاوض مع يغمراسن ،فتم له ذلك بوساطة من سوط النساء والدة يغمراسن.[3] فأمّنه وعقد معه صلحا [4] يقضي بعودة يغمراسن إلى تلمسان ،و اعترافه بسلطة الدولة الحفصية، والتخلي عن الدعوة للموحدين، وأن تقام الخطبة باسم أبي زكريا[5] ،و أن يدفع يغمراسن مائة ألف دينار للسلطان الحفصي[6].

ولضمان تبعية تلمسان ،وعدم استبداد يغمراسن بالحكم دونه أقام أبو زكرياء منافسين ليغمراسن من مغرواة وتوجين [7]، بأن أقطعهم الأراضي حول تلمسان ،وأحدث إمارات لبني توجين ومغراوة، حيث قلد كلا من عبد القوي بن عطية التوجيني والعباس بن منديل المغراوي

([1]) تخوف الجميع من تحمل المسؤولية لأنهم كانوا يدركون خطورة الوضع إذ على الوالي الجديد مجابهة قوات الخلافة الموحدية إذا جاءت لنجدة تلمسان، وإصرار يغمراسن على استرجاع ملكه خصوصا وأنه ظل يناوش القوات الحفصية في تلمسان لا بل استطاعت طلائع من أتباعه أن تقتحم المعسكر الحفصي وأن تختطف بعض الأسرى، ينظر في ذلك: هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 17 ؛محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 143.

([2]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 609.

([3]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 18.

([4]) بعدما تأكد يغمراسن من إطباق الكثير من سادة العالم الإسلامي ودوله شرقا وغربا على مبايعة ملك الحفصيين بالخلافة، بالخلافة، بعث بوالدته– سوط النساء– إلى أبي زكرياء الحفصي لتقديم مراسيم البيعة نيابة عنه، فتوسطت لابنها مقترحة عليه العفو عنه بشروط والسماح له بالعودة إلى رئاسة قومه تحت طاعة الخليفة، ينظر في ذلك، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 167 ؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 205.

([5]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 19 ؛عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى ، ص 13.

([6]) التنسي، المصدر السابق، ص 118.

([7]) ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص 361 .

ومنصور المليكشي أمراء على أقوامهم وعهد إليهم باتخاذ الآلة، كما وطن بني سليم بنواحي بونة، ليضيّق على يغمراسن ويكونون حصنا لمملكته في وجه أي تمرد محتمل لبني عبد الواد[1].

ولما بلغ خبر هذا الصلح إلى الخليفة الموحدي أبي الحسن السعيد تخوف من عواقبه وإن تحالف بني عبد الواد وبني حفص ضده[2] ،فخرج بجيوشه قاصدا تلمسان لتأديب يغمراسن فجمعت بينهما معركة حامية الوطيس بالقرب من قلعة تامزدكت[3] سنة 646هـ/ 1248م تمكن يغمراسن من الانتصار فيها بعدما تمكن من قتل أبو الحسن الموحدي –اثر كمين محكم نصبه لجيوشه– على يدي فارس يدعى (يوسف بن عبد المؤمن الشيطان)[4]، و غنم بنو عبد الواد الواد غنائم كثيرة من جملتها المصحف العثماني والعقد اليتيم المعروف بالثعبان[5].

بعد هذا الانتصار الذي حققه يغمراسن على جيوش الموحدين من الجهة الغربية ، لم يلبث أن توفي عدوه في الجهة الشرقية أبي زكرياء الحفصي بمحلته ببونة سنة 647هـ/1249م، فخلفه ابنه أبو عبد الله محمد الأول المستنصر[6] وهو الظرف الذي استغله يغمراسن لاسترجاع أراضيه التي أخذها منه الحفصيون، بعدما اجتمع حوله قومه فأخذ في الانقضاض على العديد من المدن منها مليانة سنة 668هـ/1269م[7].

([1]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 166-167 ؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1 ،ص 206،207.

([2]) السلاوي، المصدر السابق، ج4 ، ص29 ؛ هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 19.

([3]) هي قلعة حصينة تقع جنوب وجدة، قرب جبل العصفور في الحدود الجزائرية المغربية، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 168-169.

([4]) مؤلف مجهول، الذخيرة السنية، المصدر السابق، ص 78 ؛ ابن عذارى المصدر السابق، ص387،388 ؛ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 58، و ج7، ص 82 ؛ ابن أبي الزرع، القرطاس، ص 102.

([5]) التنسي، المصدر السابق، ص 123،124 ؛هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 19،20.

([6]) الزركشي، المصدر السابق، ص 164.

([7]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 20 ؛عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 152.

وبعد تولي أبو السعيد عثمان عرش تلمسان اثر وفاة يغمراسن سنة 681هـ/1283م[1] عمل على مسالمة بني مرين عملا بوصية والده الذي أوصاه بمسالمة بني مرين ،و التوسع شرقا على حساب بلاد الحفصيين، و بناءا عليه أرسل أخاه محمد إلى السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني الذي كان بالأندلس سنة 684هـ/1285م فهادنه وسالمه[2].

وتوجه هو نحو الجهة الشرقية بعدما وجد الفرصة المواتية في استنجاد السلطان الحفصي أبي حفص به اثر مهاجمة الأمير أبو زكرياء بن أبي إسحاق الحفصي صهر أبي سعيد عثمان بن يغمراسن بمساعدة العرب الذواودة على بجاية [3]. ورغم أن أبا السعيد كان يعلم أن بيعته لأبي حفص تحتم تحتم عليه قطيعة صهره أبي زكريا لبى نداء السلطان الحفصي ،ولعله كان يهدف من وراء ذلك إلى تنفيذ وصية والده بالتوسع شرقا [4].

وبالفعل نهض أبو سعيد بجيوشه سنة 686هـ في اتجاه بجاية فاستولى على بلاد بني توجين ومغراوة وما وراءهما من أعمال الحفصيين، ثم وصل إلى بجاية و حاصرها لكنها امتنعت عليه، فاضطر إلى عودة إلى عاصمته تلمسان،و في طريقه استولى على مازونة وتنس[5].

ورغم ما ارتكبه السلطان العبد الوادي أبو السعيد عثمان من أعمال وحشة خلال غزوه لبجاية ،إلا أنه سرعان ما عادت المياه إلى مجاريها بينه و بين الحفصيين ،بعدما أعلن عن بقائه على بيعته و ولائه لهم ،وظلت العلاقة بينهما جيدة إلى أن غزا السلطان المريني يوسف بن يعقوب تلمسان سنة 698هـ/1299م وفرض عليها ذلك الحصار الطويل المشهور، فاستعان عندئذ عثمان بن يغمراسن بأمير بجاية الحفصي الذي قدم نجدة كبيرة لبني عبد الواد التقت بالقوات

([1]) ورد في المصادر أن يغمراسن خرج للقاء موكب عروس ابنه أبو سعيد وهي ابنة الأمير أبو إسحاق بن أبي زكرياء الحفصي فلقيهم بمليانة وفي طريق عودته أدركه الموت، فأخفى ابنه أبو عامر نبأ موته إلى أن وصل ، ينظر في ذلك التنسي، المصدر السابق، ص 128 ؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 116.

([2]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 20 ؛محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 98.

([3]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 20 ؛عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى ، ص 14.

([4]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 20،21 .

([5]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 192 ؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 118،119.

المرينية في جبل الزاب وأوقعت بها هزيمة كبيرة عرفت بمعركة " مرسى الرؤوس" لكثرة ما تساقط خلالها من رؤوس العباد[1]

وهذه الحادثة زادت من حدة الوضع والمنافسة بين يوسف المريني وصاحب بجاية أبو زكرياء الأوسط الحفصي الذي كان على خلاف مع صاحب عرش تونس الحفصي، ولذلك استقل سلطان تونس أبو عصيدة ابن الواثق الحفصي وحاول أن يوطد صلاته بالسلطان المريني فعرض عليه التعاون لإسقاط عرش تلمسان، فرد عيله الامير عثمان بن يغمراسن على ذلك بإسقاط الدعوة الحفصية من منابر تلمسان، وقطع حبل التبعية التي كانت تربطهما ببعض[2].

ومع انشغال المرينيين بمشاكلهم الداخلية عقب رفع الحصار بصفة كاملة عن تلمسان سنة 732هـ/ 1331م وانشغال الحفصيين كذلك بحل خلافاتهم الداخلية والاضطرابات التي كانت تخص أطراف دولتهم الغربية[3]، تمكن أبو حمو موسى الزياني الأول [4] من الاستيلاء على مدينتي دلس والجزائر سنة 712هـ/1312م، في حين فشل أبو يحي زكرياء اللحياني[5] حاكم تونس من استعادة بجاية سنة 711هـ/ 1311م مما دفع بأبي يحي أبي بكر الحفصي حاكم بجاية إلى توجيه السعيد بن يخلف رسولا إلى أبي حمو الزياني لتوطيد العلاقات بينهما ضد اللحياني. [6]

تولى أبو تاشفين الأول عرش تلمسان والصراع الزياني الحفصي قد بلغ أوجه خاصة بعدما أقدم أبو يحي الحفصي على مهاجمة بجاية بجيش كبير لرد بني عبد الواد عنها لكنه هزم شر هزيمة وتمكنت الجيوش العبد الوادية من الاستيلاء على ذخائره ،بعد أن تمكن من الفرار جريحا إلى

([1]) عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص 188.

([2]) نفسه ج7، ص 188،189 .

([3]) ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص ص 156-160.

([4]) هو أبو حمو موسى بن عثمان ، تولى الإمارة بعد وفاة أخيه أبي زيان محمد سنة 707هـ/1308م واستمر حكمه إلى غاية 718هـ/1318م، ينظر في ذلك، التنسي، المصدر السابق، ص 132 ؛ هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 22 ؛عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 16-17.

([5]) تولى الإمارة سنة 711هـ و تنازل عن العرش لصالح ابنه سن 717هـ، ينظر، الزركشي، المصدر السابق ص 166.

([6]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 22 .

قسنطينة.[1] وبع هذا الانتصار الذي حققه الجيش الزياني توجه نحو تونس التي دخلوها و أقامو بها أربعين يوما سنة 730هـ/1329م[2] ،قبل أن يسلموها لابن أبي عمران[3] وحمزة بن عمر السلمي ويقفلوا راجعين ، لكن سرعان ما تمكن السلطان الحفصي من استعادة عاصمته في شهر رجب من نفس السنة[4].

لصد الحملات الزيانية المتكررة على الأراض الحفصية لم يجد السلطان الحفصي أبو يحي من حل إلا الاستعانة ببني مرين ،و الاستنجاد بهم ،وهي الفرصة التي كان ينتظرها بنومرين، فبعث السلطان أبو سعيد المريني رسلا إلى أبي تاشفين الأول يدعوه إلى الكف عن محاصرة بجاية لكن هذا الأخير رفض ذلك.[5]

في هذه الأثناء توفي السلطان أبو سعيد المريني ،وخلفه على عرش بني مرين ابنه أبو الحسن صهر الحفصين فأعاد طلب والده على أبي تاشفين بالكف عن مهاجمة أراضي الحفصيين ،فلقي من السلطان الزياني نفس الرد الذي لقيه والده [6].

لم يترك هذا الرفض الزياني أي مجال لاستمرار السلم بين الدولتين ،فجهز أبو الحسن المريني حملة لغزو تلمسان التي فرض عليها حصارا مرة ثانية سنة 737هـ/1337م[7] فرض على

([1]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 22 .

([2]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص139.

([3]) هو محمد أبي بكر صهر ابن اللحياني الحفصي و اشتهر بابن أبي عمران و كان يعيش في البلاط الزياني منذ سنوات، ينظر، الزركشي، المصدر السابق، ص65.

([4]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 218.

([5]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 22 .

([6]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 226 ؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1 ص 160 ؛التنسي، ؛التنسي، المصدر السابق، ص 145.

([7]) محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 124-125 ؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى ، ص 21 ؛ محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1995، ص 89.

اثره السيطرة المرينية على تلمسان بعد أن أحكموا قبضتهم عليها وعلى المناطق المجاورة لها. مدة طويلة[1].

في ظل هذه الظروف أصبح بنو حفص بمنأى عن خطر بني عبد الواد إلى أن تولى عرش تلمسان السلطان أبو مالك الزياني سنة 1411م.[2]

كان أول ما قام به هذا السلطان أن استعاد من الحفصيين كل المناطق التي استولوا عليها بشرق دولته ،قبل أن يوجه أنظاره صوب مملكة بني مرين –التي كانت تعيش حالة من عدم الاستقرار– فتمكن من السيطرة على فاس و نصب عليها سلطانا مواليا له[3].

حاول السلطان أبو مالك الزياني بهذا الهجوم على فاس وضع حد نهائي لنفوذ المرينيين على دولته ،ورد أطماعهم عنها ،كما كان إنذارا للحفصيين للكف عن أطماعهم في التوسع على حساب الأراضي الشرقية من مملكته[4].

في خضم هذه الأحداث جهز السلطان الحفصي أبو فارس عزوز حملة لغزو تلمسان، وهي الحملة التي عجز السلطان الزياني أبو مالك عن مواجهتها لضخامتها عدة وعددا ،و بذلك تمكن أبو فارس من دخول تلمسان عام 827هـ/1424م وازاحة السلطان أبا مالك عن عرشها، ونصب على مكانه محمد بن الحمراء بن السلطان عبد الرحمن تاشفين الثاني[5].

بعد نجاحه في ضم تلمسان إلى ملكه توجه السلطان الحفصي أبو فارس نحو فاس التي بايعه سلطانها فور وصوله إليها، فعاد إلى عاصمه ملكه بتونس وقد أحكم سيطرته على بلاد المغرب

([1]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 23 .

([2]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 23 ؛عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 195.

([3]) بكاي هوارية ،المرجع السابق ،ص 23 .

([4]) نفس المرجع ،الصفحة نفسها.

([5]) بكاي هوارية ،المرجع السابق ،ص 23 .

الإسلامي ، وهناك وصلته بيعة صاحب الأندلس، فأصبحت بذلك الرقعة الممتدة من تونس إلى الأندلس، تحت حكمه [1].

ومن هنا بدأ الحفصيون يتدخلون في شؤون تلمسان مستغلين في ذلك تناحر أمراء بني زيان فيما بينهم، خاصة بعدما توطد ملك تلمسان للسلطان أبي عبد الله محمد الرابع المعروف بابن الحمرة، لكن سرعان ما عاد أبو مالك الزياني طالبا العودة إلى عرشه بعدما أذعن للحفصيين خصومه بالأمس، والذين زودوه بجيش استطاع به دخول تلمسان واسترجاع عرشه سنة 831هـ/1428م، لكن ابن الحمراء سرعان ما جهز جيشا من العرب والبربر وزحف به نحو تلمسان سنة 833هـ/1430م أين تمكن من قتل عمه السلطان أبي مالك واسترجاع العرش الذي نصبه عليه بنو حفص، و الذين خلعوه منه بعد 48 يوما من الحكم، ونصبوا مكانه عمه أبي العباس أحمد العاقل ابن السلطان أبو حمو موسى الزياني الثاني سنة 834هـ/1431م[2]، والذي انقلب على الحفصيين وأعلن رفض عهدهم سنة 837هـ/1437م[3].

تسبب نقض السلطان أبو العباس أحمد العاقل لبيعة الحفصيين في تحرك سلطانهم أبي فارس الحفصي نحو تلمسان لتأديبه، فاحتل –أبو فارس– جبل الونشريس عنوة ،لكنه ما كاد يصل تلمسان حتى وافته المنية[4].

استمرت علاقات الزيانيين بالحفصيين بعد هذه الحادثة بين مد وجزر حتى سنة 866هـ/ 1463م، حين عزم السلطان أبو عمرو عثمان الحفصي على غزو تلمسان وإخضاع ،حيث وفي طريقه إليها أخضع قلعة حليمة إحدى قلاع جبال الأوراس ثم بني راشد[5]، وعندها قدمت عليه

([1]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 23 ؛محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 570-571.

([2]) التنسي ، المصدر السابق، ص ص 241-248 ؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 831.

([3]) بكاي هوارية ،المرجع السابق ،ص 24 .

([4]) بكاي هوارية ،المرجع السابق ،ص 24 .

([5]) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 195 ؛ يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجامعية، الجزائر، 1995، ص 232.

وفود العرب من بني سويد وبني يعقوب وبني عامر والذواودة ،وأعيان بني عبد الواد وكلهم ناقم على السلطان الزياني راغب في طاعة الحفصيين، فأحسن إليهم وفرق ولاته عليهم[1].

حين علم السلطان الزياني المتوكل بما أقدمت عليه تلك القبائل أرسل وفدا إلى السلطان الحفصي أبي عمرو مبايعا له ،و معلنا فروض الطاعة و الولاء ،وعرض عليه عقد الصلح وكان ذلك سنة 868هـ/1464م[2].

وفي سنة 870هـ/ 1466م أعلن السلطان أبو ثابت (محمد الخامس المتوكل) رفض دعوة الحفصيين وقام بطرد ولاتها و عمالها من بني عامر وبني سويد معلنا استقلاله بمملكته عن أي تبعية للسلطان الحفصي [3]، لكن سرعان ما تراجع عن ذلك بعدما حاصرته جيوش الحفصيين بزعامة أبي عمرو عثمان وأعلن ندمه واعترافه بسيادة السلطان الحفصي على تلمسان، وقدم البيعة مكتوبة ومشهودا عليها ،ومما جاء فيها: " شهد على نفسه عبد الله المتوكل عليه محمد لطف الله به، ولاحول ولاقوة إلا بالله"[4]. وتأكيدا على صدقه و ولائه قدم ابنته البكر زوجا للأمير أبي زكرياء يحي ابن ولي العهد محمد المسعود الحفصي دون خطبة وقفل السلطان الحفصي راجعا إلى تونس في 9 شعبان 871هـ/1467م[5]، بعد أن أبقى المتوكل على عرشه الذي ظل متربعا عليه حتى وفاته وفاته سنة 890هـ/ 1485م، ليخلفه عليه ابنه تاشفين قبل أن يخلعه عنه أخوه أبو عبد الله محمد الثابتي بعد حوالي 40 يوما قضاها على رأسه، لكن هذا الأخير عجز عن ضبط الإقليم الشرقي الذي ظل مضطربا حتى وفاته سنة 902هـ[6].

([1]) بكاي هوارية ،المرجع السابق ،ص 24 .

([2]) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 157.

([3]) محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 632.

([4]) الزركشي، المصدر السابق، ص 158.

([5]) عبد الحميد حاجيات و آخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 433،434.

([6]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 25 ؛محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 217.

وبذلك لم تستطع الدولة الزيانية طوال ما يقارب الستين سنة أن تتخلص من السيطرة الحفصية التي ما فتئت تلعب دورا رئيسيا في تاريخ بني زيان. أثناء هذه الفترة والتي لم تخف وطأتها إلا في عهد أحمد العاقل، غير أن هذا التدخل الحفصي الأخير كان آخر تدخل لهم في المغرب الأوسط[1] خاصة بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس اشتداد التحرشات الصليبية الإسبانية ،البرتغالية على بلاد المغرب الإسلامي و ظهور العثمانيين الأتراك بالمنطقة مطلع القرن 16م[2].

(1) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 25 ؛عبد الحميد حاجيات و آخرون، المرجع السابق، ص434.

(2) بودواية مبخوت، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه دولة، قسم التاريخ ، تلمسان، 2005-2006، ص 21.

المبحث الثاني : التطورات السياسية للمغرب الأوسط منذ ظهور العثمانيين إلى سقوط الزيانيين (910-962هـ/1504-1554م) .

أولا: الأوضاع العامة بالمغرب الأوسط عشية ظهور العثمانيين .

تشير مختلف المصادر و المراجع أن المغرب الأوسط خلال القرن 10هـ/16م كان يعيش أوضاعا صعبة و متدهورة على جميع الأصعدة، و من مظاهر ذلك:

1- تأزم الوضع السياسي:

في الوقت الذي كانت فيه بلاد المغرب منقسمة على نفسها، كان المغرب الأقصى تحت حكم بني مرين ثم الوطاسيين من بعدهم، و المغرب الأوسط كان الجزء الغربي منه تحت حكم بني حفص الذين كانوا يسيطرون على المغرب الأدنى[1]. كان المسيحيون في شبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس) يزدادون وحدة وتماسكا حتى اكتملت الوحدة الاسبانية بالزواج الشهير بين ملكي قشتالة و أراغونه (فرديناند الثاني و إيزابيلا) والذي كان من أول نتائجه سقوط الأندلس سنة 1492، كما غدت اسبانيا على درجة كبيرة من القوة على هذا العهد ثم على عهد شرلكان ثم على عهد ابنه فليب الثاني[2].

---

[1] -C.A Julien, histoire de l'afrique du nord(Tunisie- Algerie- Maroc) de la conquète arabe a 1830, T2, 2ème édition, revue et mise a jour Rogude tourneau, payot, paris, 1956, p p 250- 257.

و يرى أحمد توفيق المدني أن الحفصيين انقسموا إلى دولتين، إحداهما بتونس و الأخرى ببجاية، أما السواحل فقد استقل كل ميناء بحكومته الخاصة، أما المغرب الأقصى فقد ظهرت به شبه دويلات بكل من مراكش والمغرب الأقصى بعد انفلات الحكم من يد الوطاسيين، كذلك الأمر بالنسبة للزيانيين حتى قامت الفوضى السياسية، ينظر، كتاب حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا (1492- 1792)، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص ص 65- 68.

[2] - كان منتصف القرن 10هـ/16م بداية ظهور القوة الاسبانية حيث تمكن الملكان فرديناند و إيزابيلا من استرجاع الأندلس بالقضاء على أهم معاقل المسلمين بغرناطة، و في نفس السنة تمكن كريستوف كلومب من اكتشاف العالم الجديد، وبذلك أصبحت اسبانيا تشكل مع البرتغال أكبر قوة في العالم، و ازدادت قوة اسبانيا بعد أن توج الملك شرلكان ملكا على اسبانيا=

لم يكتف الاسبان بطرد المسلمين من أراضيهم، بل راحوا يغزون سواحل بلاد المغرب[1] خاصة القسم الاوسط منها و هو القسم موضوع الدراسة.

كان المغرب الأوسط (الجزائر) في جزئه الغربي تحت حكم الزيانيين (633- 958هـ/ 1231- 1551م)[2] الذين أصاب دولتهم الضعف مطلع القرن 10هـ/16م خاصة بعد أن تمكن الاسبان من احتلال المرسى الكبير سنة 911هـ/1505م ثم وهران سنة 914هـ/ 1509م، الأمر الذي دفع المدن الساحلية و منها دلس والجزائر و شرشال و مستغانم وتنس على تقديم ولائها للاسبان[3] خشية أن يكون مصيرها مثل مصير مدينة وهران، و هي نفس السياسة التي انتهجتها القبائل القريبة من المناطق الداخلية، و هذا ما فرض حصارا اقتصاديا على الدولة الزيانية التي تنازع سلاطينها الحكم، و أصبح كل طرف يستعين بقوة خارجية، فاستعان بعضهم بالاسبان وبعضهم الآخر بالعثمانيين[4]، الأمر الذي أفقد الرعية ثقتهم في السلاطين الزيانيين و وسع الهوة بينهم،

=سنة 923هـ/ 1517م، و استمرت القوة الاسبانية تسيطر على العالم حتى وفاة الملك فليب الثاني (934- 1007هـ/ 1527- 1598م)، ينظر، أحمد جامع، الرأسمالية الناشئة، دار المعارف، مصر 1968، ص29.

[1] -F.Braudel, la méditerranée et le monde méditerranien a l'époque de philippe2, T2, 3ème édition, librairie Armanb Colin, paris, 1976, p20.

[2]- يذكر مارمول كارنجال أنه خلال هذه الفترة تداول على حكم الدولة الزيانية خمسة و ثلاثون أميرا أولهم يغمراسن بن زيان و آخرهم الحسن بن عبد الله، شهدت خلالها هذه الدولة مراحل من الضعف والانحصار بسبب الأطماع الحفصية شرقا و الأطماع المرينية غربا، ينظر، كتاب افريقيا، ج2، تر. محمد حجي،و أحمد توفيق المدني وآخرون، دار المعرفة للنشر و التوزيع، الرباط، 1988- 1989، ص ص 303- 331.

[3]- بعد احتلال وهران و التنكيل بسكانها سارعت باقي المدن إلى تقديم الولاء للاسبان خوفا من مصير مدينة وهران، فسارعت مدن دلس و مستغانم و شرشال إلى دفع الضرائب للاسبان بدلا من حاكم تلمسان، كما تحالفت تنس معهم ضد آل بربروس، و وضع سليم التومي حاكم مدينة الجزائر نفسه و مدينته تحت تصرف الاسبان سنة 916هـ/1510م حيث أقام الكونت نافارو بنيون الجزائر سنة 917هـ/ 1511م، ينظر، وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب و تعليق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر و الاشهار الجزائر، 1980، ص27.

[4]- صباح بعارسية، حركة التصوف في الجزائر خلال القرن 10هـ/16م، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005- 2006، ص13.

وزادت الهوة بينهم بعد أن وقع السلطان أبو حمو الثالث الزياني معاهدة صلح مع الاسبان سنة 918هـ/ 1512م[1]، و هو ما دفع بهم –الرعية- إلى الاستنجاد بالعثمانيين[2].

و لم تختلف الأوضاع في الجزء الشرقي من المغرب الأوسط عما كانت سائدة في الجزء الغربي منه خلال مطلع القرن 10هـ/16م حيث كان يخضع شرق المغرب الأوسط لسلطة الحفصيين الذين عجزوا عن مواجهة الحركات المنشقة عنها و التي أدت إلى ظهور وحدات سياسية تحت حكم إمارات قبلية أو دينية ببلاد القبائل وبالمناطق الداخلية و في الواحات و معها إمارة بني عباس بجبال القبائل جنوب بجاية، و إمارة كوكو إلى الغرب منها، كما استقلت أسرة بني جلاب بتوقرت، و أسرة علاهم بورقلة، و منها كذلك لسيادة قبيلة الدواودة على المنطقة الممتدة بين بسكرة وقسنطينة و سطيف[3].

و قد شجع هذا التشرذم و الضعف الذي كان يعيشه المغرب الاوسط في قسمه الشرقي الاسبان على مواصلة احتلالهم للمدن الساحلية، فتمكنوا من احتلال بجاية سنة 915هـ/1510م، و عنابة سنة 942هـ/ 1535م[4].

و قد ألحق احتلال اسبانيا للمناطق الساحلية أضرارا بالمناطق الداخلية التي كانت تعتمد في اقتصادها على المناطق الساحلية، و هو ما أدى إلى ظهور زعامات دينية دعت إلى مقاومة الاحتلال الاسباني و استنجدت بالقوات العثمانية التي كانت تجوب الحوض الغربي للمتوسط،

---

[1]- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تقديم وتصحيح محمد الميلي، م و ك، الجزائر، 1986، ص 463.

[2]- ممثلة في الأخوين عروج و خير الدين الذين كانا يجوبان بأسطولهما الحوض الغربي للمتوسط و الذين تمكنا من تحقيق عدة انتصارات على القوات الصليبية و هو ما أثار إعجاب المسلمين بالمنطقة، ينظر، محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط، ط1، دار التوزيع و النشر الاسلامية، مصر 2001، ص 208 .

[3]- عمار بن خروف، المرجع السابق،ج1 ،ص16.

[4]- نفسه، ص 17.

والذين استقروا بجيجل سنة 920هـ/ 1514م، ثم بمدينة الجزائر سنة 922هـ/ 1516م، ثم توغلوا إلى باقي المناطق حتى تمكنوا من اخضاع المغرب الأوسط كله و أطلقوا عليه اسم الجزائر[1].

2- تدهور الوضع الاقتصادي:

أثار تأزم الوضع السياسي بالمغرب الأوسط مباشرة على القطاع الاقتصادي الذي تدهور تدهورا واضحا، و ذلك نتيجة عدم الاستقرار و اللاأمن الذي كان يعيشه المغرب الأوسط والناجم عن الصراعات الداخلية القائمة بين مختلف الوحدات السياسية الصغيرة التي كانت قائمة هنا وهناك، إضافة إلى الغزو الاسباني للسواحل[2]، لذلك يمكن أن نصف الوضع الاقتصادي قبيل قيام الحكم العثماني كما يلي:

أ- الزراعة:

تشكل الزراعة النشاط الاقتصادي الرئيسي للسكان، لذلك كانت أكثر النشاطات تأخرا بتأزم الوضع السياسي، حيث أدى اضطراب الأمن بالكثير من المزارعين لأراضيهم، حتى أصبحت مدنا و مناطق كثيرة أصبحت مهددة بالجوع، بعد أن أصبحت المحاصيل الزراعية لا تكفي حاجات السكان[3]، و قد أشار حسن الوزان إلى هذا حيث ذكر أن انعدام الأمن في الطرق والأرياف و الأسواق أدى إلى هجرة السكان لمناطقهم بحثا عن الأمن، فأقفرت المناطق الخصبة[4].

و قد أثر تدهور الزراعة على التوزع السكاني حيث زاد عدد السكان في بعض المناطق كتلمسان و قسنطينة و بعض المناطق الجبلية من بلاد القبائل، و تناقص العدد في البعض الآخر

---

[1]- عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، تر. محمد علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت 1989، ص 80 و ما بعدها.

[2]- عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية بين الجزائر و المغرب في القرن 10هـ/ 16م، ج1، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2008 ،ص18.

[3]- صباح بعارسية، المرجع السابق، ص20.

[4]- الحسن الوزان ،وصف افريقيا ،ج2 ، ص 326 و ما بعدها.

مثل سطيف و شرشال و مسيلة و مستغانم، و هي المناطق التي ارتفعت كثافتها بعد لجوء المهاجرين الأندلسيين إليها[1].

ب- الصناعة:

لم تكن الصناعة التي كانت في طورها الحرفي افضل حالا من الزراعة حيث أصيبت هي الأخرى في الصميم نظرا إلى تعرض الكثير من المدن التي كانت تحتضنها مثل وهران و بجاية وعنابة و غيرها غلى الغزو، أو كانت مهددة به، وهو الأمر الذي جعل الكثير من المراكز التجارية تختفي أو تفقد أهميتها[2].

أما أهم الصناعات المنتشرة في المغرب الاوسط في نهاية القرن 9هـ/15م ومطلع القرن 10هـ/16م فمنها: النسيج و منها الزرابي، و الحياك و مختلف الأقمشة، و كذا صناعة السروج والألجمة و المحارث و الفؤوس و الخناجر والاواني الفخارية و غيرها[3]، إضافة إلى الصناعات المعدنية و صناعة البارود والملح التي اشتهرت بها إمارة كوكو ببلاد القبائل، و التي كانت تتوفر على الكثير من المادة الأولية كالحديد و الملح والبارود[4].

رغم أن المغرب الاوسط استقبل العديد من التجار و الحرفيين و الصناع والفلاحين الأندلسيين مع مطلع القرن 10هـ/16م، غير أن ذلك لم يؤدي إلى انتعاش و تطور النشاط الاقتصادي[5].

---

[1]- خاصة بعد فشل انتفاضة جبل البشارات (1499- 1502)، ينظر، صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514- 1830)، دار هومة للنشر، الجزائر، 2005، ص19.

[2]- عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1 ، ص18.

[3]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص296 و ما بعدها.

[4]- نفسه، ص 374- 375.

[5]- عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1 ، ص18

ج- التجارة:

تأثرت التجارة بتدهور الزراعة و الصناعة سواء على المستوى المحلي أو الخارجي.

- **التجارة الخارجية:** أخذت في التدهور منذ نجاح الكشوفات الجغرافية في اكتشاف طرق تجارية جديدة[1]، و زادها تدهورا احتلال الاسبان و البرتغاليين للكثير من المنافذ البحرية لبلدان المغرب والحيلولة دونها و دون التجار الأوروبيون الذين كانوا يتعاملون مع الموانئ المغاربية[2].

أما بالمغرب الأوسط فقد أدى وقوع المدن الساحلية و موانئها تحت الاحتلال أو التهديد به مثل وهران و بجاية و هنين و عنابة إلى تراجع نشاط التجارة الخارجية التي كانت تتم مع البلدان الأوروبية المتوسطية كالبندقية و جنوة و غيرها[3].

- **التجارة الداخلية:** عانت التجارة الداخلية كثيرا من انعدام الأمن، فسكان المناطق الجبلية لم يتمكنوا من بيع سلعهم بالسهول خوفا من الأعراب، و بالمدن هربا من دفع الضريبة التي كان يفرضها عليهم الحكام[4]، و لتأمين تجارتهم كان التجار يستأجرون أشخاصا لحماية قوافلهم من قطاع الطرق، كما كان يفعل تجار القوافل المتجهة إلى السودان الغربي[5].

---

[1]- صالح عباد، المرجع السابق، ص14.

[2]- و منهم القطاليين و الجنوبيين حيث يذكر الحسن الوزان أن وهران كانت تأتي إليها سنويا سفن من (البندقية) تحقق أرباحا جسمية بتلمسان، كما كانت وهران مهبط التجار القطاليين و ما زالت بها إلى اليوم دار تسمى دار الجنوبيين...وكانت وهران و المرسى الكبير مينائي تلمسان يختلف إليهما عدد وافر من تجار جنوة والبندقية، حيث يتعاطون تجارة نافعة عن طريق المقايضة، ينظر، وصف افريقيا، ج2، ص 9، 15، 30.

[3]- بسبب تدهور نشاط التجارة الخارجية اندثرت مدن بأكملها مثل هنين و تدهورت أخرى مثل مزغران لأن هذه المدن كانت تعتمد في قيامها على التجارة مع المسيحيين، كما عانى سكان الجبال بضواحي وهران من الفقر الشديد لأنهم كانوا قبل الاحتلال الاسباني يبيعون الحطب لسكان المدينة، ينظر، مارمول كربخال، المصدر السابق، ص 296 و ما بعدها.

[4]- صباح بعارسية، المرجع السابق، ص22.

[5]- كانت الطرق غير آمنة حتى على الحجاج، لذلك قام العثمانيون بعد ضم الجزائر إلى إقامة الأبراج لحماية القوافل التجارية التجارية مثل برج منايل بالبويرة، و صور الغزلان، ينظر،

A.Berbrugger, les époques militaires de la grande Kabilie, Basti de librairie, édition Alger, 1857, p104.

3- تردي الوضع الاجتماعي:

كان الوضع الاجتماعي مع نهاية القرن 9هـ/15م و مطلع القرن 10هـ/16م مترديا بسبب التجزؤ الداخلي نتيجة ضعف السلطنتين، الزيانية –بالغرب– والحفصية –بالشرق–، حيث تمكنت بعض القبائل و الزعامات من تشكيل إمارات مستقلة ومنها: استقلال آل القاضي بزواوة الغربية مشكلين إمارة كوكو و آل علاهم بورقلة، و آل جلاب بتقرت، والثعالبة بمدينة الجزائر وضواحيها[1]، و كذلك بسبب الغزو الخارجي، و هو ما أدى إلى اضطراب الأمن و انعدام الاستقرار، و هذا ما دفع سكان المدن التي أصابها الغزو الاسباني أو المهددة به، و سكان المناطق المضطربة إلى الهجرة نحو المناطق الداخلية بحثا عن الأمن و الاستقرار، و هذا ما أثر على توزيع السكان، حيث شهدت المدن الداخلية كتلمسان و قسنطينة تضخما سكانيا و هو ما شهدته كذلك بعض المناطق الجبلية الوعرة كجبال بجاية[2].

و نتيجة تدهور الوضع الاقتصادي و الجوع وسط سكان المغرب الأوسط، وانتشرت الأمراض بينهم، حيث أن سكان المدن كانوا تعساء لا يحصلون من أعمالهم ما يساوي مقدار المال المفروض دفعه للولاة أو الأعراب مقابل السماح لهم بفلاحة الأرض[3].

أدى الغزو الاسباني إلى تخريب المدن، الأمر الذي جعلها تفقد أهميتها و أدى بسكانها إلى الهجرة و هو الأمر الذي أذى إلى تقليص نسبة السكان الحضر المستقرين و زيادة نسبة السكان البدو والرحل رغم استقبال المدن الساحلية و بعض المدن الداخلية لعدد كبير من المهاجرين الأندلسيين[4].

---

[1] -Mahfoud Kaddach, l'Algérie durant la période ottoman, Alger, 1991, p 3, 4.

[2]- عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1 ، ص18.

[3]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص359.

[4]- عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1 ، ص19.

4- الأوضاع الثقافية و العلمية:

أدى تردي الأوضاع السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية بالمغرب الأوسط خلال نهاية القرن الخامس عشر و بداية القرن السادس عشر الميلاديين على حتمية تدهور الوضع الثقافي والعلمي[1]، حيث نتج عنها غلق المراكز التعليمية، خاصة بالمدن التي احتلها الاسبان و هجرة العلماء و الطلبة إلى مراكز أكثر أمنا و استقرارا بالمغرب الأوسط وخارجه، فباستثناء تلمسان حاضرة الزيانيين التي استقطبت عدادا من علماء وهران و بجاية و بعضا من علماء و طلبة الأندلس[2].

لا نكاد نجد مراكز علمية بالمغرب الأوسط إلا بعض الزوايا و الكتاتيب التي انتشرت بالمناطق الريفية التي اظطلعت بدور التعليم الديني البسيط[3].

ثانيا: بداية أمر العثمانيين بالمغرب الأوسط و جهودهم به .

بعدما استكملت اسبانيا وحدتها السياسية خلال القرن التاسع الهجري 9هـ/15م وباسترداد آخر إمارة إسلامية بالأندلس –إمارة غرناطة- سنة 977هـ/1492م وأصبحت قوة لا يستهان بها في الحوض الغربي للمتوسط[4]، راحت تنقل الحرب نحو بلاد المغرب، وقد ساعدها على تحقيق هدفها هذا حالة الضعف و التفرقة، والصراع الداخلي الذي كانت تعاني منه دويلات

---

[1]- عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1 ، ص19.

[2]- صباح بعارسية، المرجع السابق، ص29.

[3]- تحدث بن عسكر عن هجرة العديد من علماء و طلبة المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى، خاصة من وهران و بجاية بعد الاحتلال الاسباني لهما، ينظر، دوحة الناشر لمحاسين من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، فاس، 1309، (طبعة حجرية) ص 14، 52، 92، 99.

[4]- أصبحت اسبانيا تمثل قوة بعد الزواج الشهيد بين ملكي أرغونه و قشتاله إيزابيلا و فرديناند، و ازدادت قوتها بعد تولي الملك شارل الخامس (شارلكان) العرش (906- 965هـ/1500- 1558م)، و عرفت أوج قوتها على عهد ابنه الملك فيليب الثاني (934- 1007هـ/ 1527- 1598م) ينظر، أحمد جامع، المرجع السابق، ص29 ؛ Dictionnaire le petit Larousse, imprimerie Herissey Evreus, France Mai 1980, p p 1305- 1325.

المنطقة (المرينيون بالمغرب الأقصى، والزيانيون بالمغرب الأوسط والحفصيون بالمغرب الأدنى)[1]، فاحتلت العديد من المدن الساحلية لهذه الدوليات و من بينها مدن المغرب الأوسط حيث احتلوا المرسى الكبير سنة 911هـ/1505م[2]، و وهران سنة 914هـ/1909م[3] و بجاية سنة 915هـ/ 1510م[4].

دفع احتلال الاسبان لهذه المدن إلى خضوع باقي المدن و خاصة تلك الواقعة بين وهران وبجاية، و منها مدينتا مستغانم و الجزائر إلى الاسبان و إعلان الولاء لهم، في ظل هذه الأخطار المحدقة بالدولة الزيانية، أرسل سلطانها أبو عبد الله محمد الزياني سنة 915هـ/ 1512م وفدا إلى ملك اسبانيا مبديا له كامل الولاء والخضوع[5]، لكن رغم ذلك واصل الاسبان احتلالهم لسواحل المغرب الأوسط فاحتلوا هنين سنة 938هـ/1531م[6].

---

[1]- كانت دويلات المغرب الاسلامي تعيش حالة من الصراع فيما بينها، و داخل كل واحدة منها، فالمرينيون كانوا في صراع مستمر مع الوطاسيين و السعديين، و الزيانيون كانوا في صراع مستمر حول العرش، و نفس الشيء ينطبق على الحفصيين، ينظر، هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا و ثقافيا ،مذكرة ماجستير ،قسم التاريخ ،جامغة تلمسان،2008/2007، ص39 ؛عمار بن خروف، المرجع السابق،ج1 ، ص 15، 16.

[2]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص361.

[3]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 342 ؛مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص364.

[4]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص ص 415، 416 ؛حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص360.

[5]- كان ذلك بعد أن احتل الاسبان معظم سواحل المغرب الأوسط كوهران و المرسى الكبير و تنس، وخضوع المدن الأخرى للاسبان و قبول شروطهم المذلة، ينظر، عمار بن خروف، المرجع السابق،ج1 ، ص17 ؛ أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 109.

[6]- الوثائق المصورة من أرشيف سيما نكلس العام من قبل بريموداي Elie de la primodaie و المنشورة تحت عنوان: عنوان: Documents uni dites sur l'histoire de l'occupation espagnol en Afrique de (1506- 1774), Alger 1875, p p 57- 60.

في هذه الأثناء كان الإخوة بربروس[1] يجوبون الحوض الغربي للبحر المتوسط بسفنهم ملحقين الخسائر الفادحة بالسفن و الشواطئ الأوروبية انطلاقا من الشواطئ الحفصية بإذن من السلطان الحفصي أبي عبد الله محمد[2].

انتشرت أخبار بطولات الاخوة بربروس و ذاع صيتهم بعدما ألحقوه من خسائر فادحة بالسفن و الشواطئ المسيحية، و مساعداتهم للمسلمين الفارين من الاضطهاد المسيحي بالأندلس، ما جعل أنظار أهل المغرب الأوسط تتجه إليهم، فوجه أبو العباس أحمد بن القاضي الزواوي[3] رسالة إليهم يستنجدهم فيها من الغزو الاسباني المسيحي، فما كان من هؤلاء إلا أن لبوا النداء و أخذ أبو العباس بن القاضي يحث الناس على اتباعهم و السمع و الطاعة لهم و خاصة لقائدهم عروج الذي أصبح هو الباي فيهم[4].

و من هنا بدأ التدخل العثماني في المغرب الأوسط و الذي كان على المراحل التالية:

---

[1]- هم الإخوة عروج و خير الدين و إسحاق و إلياس أبناء بربروس من جزيرة بيتلين الواقعة قرب السواحل الغربية لآسيا الصغرى، كان والدهم بربروس جنديا انكشاريا في الجيش العثماني، ينظر، صالح عباد، المرجع السابق، ص43.

[2]- كان الإخوة بربروس تحت قيادة أخيهم الأكبر خير الدين لصالح أحد الأمراء المصريين، و في سنة 1504م حصلوا على حق الرسو في الموانئ الحفصية و التمون منها، كما اتخذوها كقاعدة انطلاق لحملاتهم البحرية ضد القوات المسيحية في الحوض الغربي للمتوسط و مساعدة المسلمين الفارين من الاضطهاد بالأندلس، و قد تمكن الإخوة بربروس تحت قيادة عروج بفضل الغنائم التي تحصلوا عليها من تشكيل أسطول قوي بلغ سنة 1509 ثماني قطع، ينظر، جون.ب.وولف، الجزائر و أوروبا، ترجمة و تعليق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 28 ؛

Fray Diègo de haedo, histoire des rois d'Alger, traduit et annotée par H.D.de Gramout, revue Africaine, n°24 (1880) pp 42-45.

؛صالح عباد، المرجع السابق، ص43، و أيضا، عمار بن خروف، المرجع السابق، ص20.

[3]- دوحة الناشر، ص 126.

[4]- محمد الصغير الإخواني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، أنجي 1888، ص 17.

1- عهد عروج (918- 924هـ/ 1512- 1518م):

باشر عروج جهاده في الجزائر بمحاولة تحرير بجاية سنة 918هـ/1512م والتي فشل فيها و فقد ذراعه خلالها[1]، و في سنة 920هـ/1914م، قام بتحرير مدينة جيجل من الجنوبيين بمساعدة من أهلها و ابن القاضي، فأصبحت مدينة جيجل قاعدة انطلاق له، ومنها بعث من الطاعة و الولاء للسلطان العثماني سليم الأول مع هدية ثمينة، و بذلك بدأت الصلة الرسمية بين الجزائر و الامبراطورية العثمانية[2].

و بعد محاولة ثانية فاشلة لتحرير بجاية سنة 921هـ/1515م[3]، غادر جيجل نحو مدينة الجزائر بطلب من أهلها سنة 922هـ/1516م[4]، و بعد أن أقدم على قتل شيخها سالم التومي[5]، أعلن نفسه حاكما عليها، و قام بتحصين المدينة و توسيع نفوذه إلى المناطق المجاورة لها[6].

---

[1] -Haédo, opcit, p p 10- 12.

[2]- مؤلف مجهول، غزوات عروج و خير الدين، نشر نور الدين عبد القادر، الجزائر 1934، ص26.

[3]- يذكر كل من حسن الوزان و صاحب غزوات عروج و خير الدين أن سبب هزيمة عروج في حملته الثانية لتحرير بجاية هي امتناع سلطان تونس عن امدادهم بالذخيرة و المساعدات اللازمة، و أن المدد وصل إلى الاسبان، يضاف إلى ذلك انصراف بعض الأهالي لخدمة أراضيهم لأن فصل الحرث كان قد بدأ، ينظر، وصف افريقيا، ج2، ص360، ؛غزوات عروج و خير الدين ،ص 26.

[4]- توجه عروج إلى مدينة الجزائر بطلب من أهلها و رأسهم زعيمهم سالم التومي لتخليصهم من مضايقات الاسبان المستقرين قبالة سواحلهم بحصن البنيون، أنظر، عمار بن خروف، المرجع السابق،ج1 ، ص 20، 21 ؛ صالح عباد، المرجع السابق، ص46.

[5]- قام عروج بقتل شيخ مدينة الجزائر سالم التومي بعدما لاحظ ميل الناس إليه و التفافهم حوله، و هذا ما يقف حجرة عثرة أمام آماله في حكم مدينة الجزائر، ينظر، Haédo, opcit, p 55,56 ؛عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص21.

[6] -Haédo, op.cit, p p 15- 23.

لم يرتح الاسبان لتواجد عروج بمدينة الجزائر، فأعدوا حملة عسكرية ضخمة في نفس السنة (922هـ/1516م) للقضاء عليه قبل استفحال أمره، تحت قيادة دييقو دوفيرا (Diego de verra)، لكن عروج تمكن من هزم الاسبان فأسر الكثير منهم و قضت العاصفة على معظم القطع البحرية وسط البحر[1].

مكن هذا الانتصار عروج من إحكام قبضته على مدينة الجزائر و توسيع نفوذه إلى المدن المجاورة لها مثل دلس و مدية و مليانة[2].

بعد إخضاع مدينة الجزائر وجه عروج أنظاره نحو عاصمة الزيانيين، مدينة تلمسان، فكان عليه قبل ذلك إخضاع مدينة تنس[3] و التخلص من حاكمها حميدة، العيد الموالي للاسبان، فاستخلف على مدينة الجزائر أخاه خير الدين و توجه في حملة تتكون من ألف من الأتراك وخمسمائة من الأندلسيين نحو تنس التي انتصر على حاكمها حميدة العيد في معركة قرب وادي شلف صيف 923هـ/1517م[4].

و بعد دخول عروج إلى مدينة تنس، تلقى دعوة من بعض أعيان تلمسان يطلبون منه تخليصهم من السلطان أبي حمو الثالث و إعادة أبي زيان إلى الحكم، واستجابة لطلبهم تحرك نحو تلمسان التي دخلها في رمضان 923هـ/1517م بعد انتصاره على أبي حمو الثالث في معركة

---

[1]- مؤلف مجهول، غزوات عروج و خير الدين، ص 24،25 ؛ Haedo,opcit, p 29, 30.

[2]- عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1 ، ص21.

[3]- تنس مدينة ساحلية تقع إلى الغرب من مدينة الجزائر في منحدر جبلي كانت في الأصل مستودع تجاري قرطاجي أقام عليه الرومان مدينة "كارطيناس" –كارط تنس– و منها جاء الاسم المتداول إلى اليوم "تنس" بعد تخريبها من طرف البربر قام الأندلسيون الوافدون من تعميرها، و هي مدينة اشتهرت كثيرا بإنتاج القدح و العسل، ينظر، الادريسي، نزهة المشتاق، ص 104، 105 ؛ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 35، 36 ؛أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 191، 192 ؛لخضر عبدلي، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران 2007، ص78.

[4]- عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص21 ؛ صالح عباد، المرجع السابق، ص47.

قرب سهل أغبال و استحوذ على ملك الزيانيين[1]، بينما فر أبو حمو إلى فاس و منها إلى اسبانيا طالبا العون من ملكها شارل الخامس[2].

وجد شارل الخامس الفرصة مواتية له للقضاء على العثمانيين بعد استنجاد السلطان أبي حمو الثالث به، فوجه معه حملة نحو تلمسان بدأت بقطع خط الرجعة إلى الجزائر على عروج عند قلعة بني راشد[3]، ثم حاصروا تلمسان فاضطر عروج إلى الفرار نحو الغرب بعد وصول المدد من السلطان الوطاسي، لكن الاسبان لحقوا به و تمكنوا من القضاء عليه سنة 928هـ/1518م بالقرب من بني يزناسن[4]، وأعادوا السلطان أبا حمو الثالث إلى عرشه الذي قبل بدفع ضريبة سنوية لهم.[5]

---

[1]- مؤلف مجهول، غزوات عروج و خير الدين، ص 31، 32 ؛مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص390.

[2]- فر الملك أبو حمو الثالث إلى المغرب الأقصى و منه عاد إلى وهران التي كانت تحت سيطرة الاسبان، و منها سافر مع حاكمها إلى اسبانيا لطلب العون من الملك شارل الخامس (شارلكان) الذي خلف الملك فرديناند، ينظر، عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص 22.

[3]- كان عروج قد أقام حامية عند قلعة بني راشد تحت قيادة أخيه اسحاق بربروس، و كان قد أرسل له أخوه الآخر خير الدين عبر البحر، و كان الغرض من إقامة هذه الحامية هو تأمين خط الرجعة إلى مدينة الجزائر، كما أقام عروج تحالفا ضد النصارى مع السلطان الوطاسي محمد البرتغالي، ينظر Grammont, quel est le lieu de la mort d'Aroudj Brbarousse, revue Africaine, n°22 (1878), p391؛ عمار بن خروف، المرجع السابق، ص22.

[4]- هي المنطقة الممتدة بين مغنية و وجدة، في المنطقة المسمات اليوم وادي مويلح، و هناك رواية تذكر أنه قتل بالقرب من منطقة المالح الواقعة بين وهران و عين تيموشنت، ينظر، محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 230، 231 ؛ Graulle (A), la mort et le tombeau de Bab Aroudj, paris, 1913, p246.

[5]- بلغ مقدار هذه الضريبة اثنا عشر ألف دوكات ذهبية، و اثنا عشر من الخيل، و ستة من إناث الصقور و كلها رمز للتبعية و الولاء، ينظر، مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص339 ؛ Baryes l'abbée, complement de l'histoire des beni zeyan, paris 1887, p431.

2- عهد خير الدين (924- 942هـ/ 1518- 1535م):

خلف خير الدين أخاه عروج على مدينة الجزائر و تمكن في صيف 924هـ/1518م من رد الهجمة الاسبانية عليها، و التي قادها ملك صقلية هيغو دو مونياد (hugo de Moneade) الذي طلب من السلطان الزياني بتلمسان أبي حمو الثالث التحرك نحو مدينة الجزائر للقضاء على التواجد العثماني بها بعد القضاء على قوات عروج، لكن ذلك لم يحصل بفضل تمكن خير الدين و أهل مدينة الجزائر من القضاء على الحملة الاسبانية التي لم ينجوا منها إلا القليل قبل وصول الجيش الزياني[1].

بعد هذا الانتصار الكبير عزم خير الدين على مغادرة الجزائر و طالب أعيانها ومشايخها على اختيار حاكم منهم، لكنهم رفضوا الأمر و أصروا عليه بالبقاء حاكما لهم وقائدا لقواتهم، فانصاع لطلبهم بعدما قبلوا شرطه بالخطبة للسلطان العثماني سليم الأول على المنابر، و ضرب السكة باسمه لضمان مساعدته المالية والعسكرية[2].

و بأمر من خير الدين وجه أعيان مدينة الجزائر كتابا إلى السلطان سليم الأول يعلنون فيه ولاءهم و طاعتهم له، و أنهم من جملة من تنفذ فيهم أحكامه، و يقع فيهم نقضه، و ذلك بتاريخ ذي الحجة 925هـ/ نوفمبر 1519م[3]، الأمر الذي قبل به السلطان سليم الأول، وسر له لأنه يلبي

---

[1]- مؤلف مجهول، غزوات عروج و خير الدين، ص 35، 36 ؛37 -35 p p ,Haedo,op.cit.

[2]- عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص23، و أيضا، صالح عباد، المرجع السابق، ص 49.

[3]- نشرت رسالة أهالي مدينة الجزائر للسلطان العثماني سليم الأول باللغة العثمانية في المجلة التاريخية المغربية، عدد5، تونس 1976، ص99.

رغبته في مذ نفوذه ليشمل كل العالم الاسلامي شرقه و غربه[1]، و ذلك في كتاب أرسله إليهم مع مبعوثيهم إليه، مرسما خير الدين حاكما عليهم[2].

أصبح خير الدين بربروس بأمر سلطاني أول حاكم عثماني لمدينة الجزائر وضواحيها، وأطلق عليه لقب بايلرباي[3]، و قد أزعج هذا الأمر – تعيين خير الدين حاكما على مدينة الجزائر- السلطانين، الحفصي أبا عبد الله محمد، و الزياني أبا حمو الثالث وقررا تأليب ابن القاضي الزواوي و محمد بن علي عليه[4]، و تقديم كل السند اليهما للقضاء عليه، حيث تمكن ابن القاضي من القضاء على الكثير من جيش خير الدين و السيطرة على الناحية الشرقية من مدينة الجزائر، كما نجح في استمالة حسن قارة الذي أرسله خير الدين لمقاومته بعد أن أغراه باقتسام حكم الجهات الخاضعة له، كما نجح ابن القاضي كذلك في تأليب بعض مشايخ و أعيان مدينة الجزائر على خير الدين الذي تمكن من احباط ثورتهم[5].

أما من الجهة الغربية فقد تمكن السلطان عبد الله الذي خلف أبا حمو الثالث على عرش الدولة الزيانية بتلمسان من تأليب عرب الغرب الجزائري على خير الدين الذي تمكن من هزم

---

[1] -Haedo, op.cit, p p 35,36.

[2]- بعد تولية خير الدين على مدينة الجزائر، قرب منه المرابطين المشهورين بورعهم لتدعيم سلطته، و قام بتحصين مدينة الجزائر و تجنيد الرجال بإضافة ألفي جندي أرسلهم إليه السلطان سليم الأول، و خزن المؤونة و السلاح، ينظر في ذلك، صالح عباد، المرجع السابق، ص49 ؛ Haedo, op.cit,p36.

[3]- بايلرباي أو بك لربك و تعني باي البابات أو أمير الأمراء و هي المرحلة الأولى من الحكم العثماني للجزائر والتي تمتد من 1519م إلى 1587م و تليها ثلاث مراحل هي: مرحلة الباشوات (1587م- 1659م)، مرحلة الآغاوات (1659م- 1671م)، مرحلة الدايات (1671م- 1830م)، ينظر، عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص24.

[4]- كان ابن القاضي الزواوي حاكما للقبائل الشرقية، و محمد بن علي حاكما على القبائل الغربية، و ذلك بأمر من خير الدين باشا، ينظر، مؤلف مجهول، غزوات عروج و خير الدين ، ص ص 44- 46.

[5]- نفسه ، ص51.

الحملة التي حركها هذا السلطان نحو مدينة الجزائر، كما تمكن من اخضاع المناطق الغربية التي تمردت عليه[1].

بعدما استقر الأمر نسبيا لخير الدين شرع في التدخل في شؤون الدولة الزيانية فأعان في بادئ الأمر الأمير الزياني المسعود على انتزاع الملك من أخيه عبد الله، و بعد أن تمرد عليه – الأمير مسعود– أعان عبد الله المخلوع على استرجاع تاجه شريطة أن تكون السكة و الخطبة باسم السلطان العثماني سليم الأول[2].

لكن السلطان عبد الله سرعان ما نقض عهده لخير الدين و تحالف مع الاسبان ضده، بعد أن أمدوه بمال كثير و وجهوا إليه أربعة عشر سفينة لمساعدته واتفقوا معه على مهاجمة مدينة الجزائر برا، في الوقت الذي تهاجمها السفن الاسبانية بحرا، و كان ذلك سنة 940هـ/1533م[3].

و لم ينتظر خير الدين وصول السلطان عبد الله إليه، و خرج له و انتصر عليه بعد معركة عنيفة، مما اضطر السلطان الزياني إلى طلب العفو من خير الدين باشا، فعفا عنه، و تركه في منصبه حاكما على تلمسان رغبة في الحفاظ على استقرار المنطقة[4].

---

[1]– مؤلف مجهول، غزوات عروج و خير الدين ،المرجع السابق، ص59.

[2]– صباح بعارسية، المرجع السابق، ص15 ؛ مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 463، 464 ؛مؤلف مجهول، غزوات عروج و خير الدين، ص ص 44- 46.

[3]– مؤلف مجهول، غزوات عروج و خير الدين ، ص 79، 80 ؛ عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1 ،ص25.

[4]– بعدما انتصر خير الدين على السلطان الزياني عبد الله أرجعه إلى منصبه على عرش تلمسان، لأنه كان قد عزم على الرحيل إلى القسطنطينية حاضرة الدولة العثمانية، لذلك فضل الحفاظ على استقرار الجهة الغربية بإبقاء السلطان عبد الله على عرش بني زيان في تلمسان، ينظر، مؤلف مجهول، غزوات عروج و خير الدين ، ص 79، 80 ؛عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص26.

في هذه السنة التي انتصر فيها خير الدين باشا على التحالف الزياني الاسباني (940هـ/1533م) استدعي إلى اسطنبول[1]، أين ولاه السلطان العثماني سليمان العثماني قيادة البحرية العثمانية، و دار الصناعة، فولى مكانه حسن آغا[2].

3- عهد حسن آغا (940- 950هـ/1533- 1543م):

استهل حسن آغا ولايته بالتدخل في شؤون تلمسان، فكان أول ما قام به هو إعادة الأمير الزياني محمد بن عبد الله على عرش تلمسان مكان أخيه عبد الله الذي تولاه بعد وفاة أبيهما أواخر سنة 940هـ/1533م، و كان ذلك في 28 رجب 940هـ/12 فيفري 1534م[3].

لكن السلطان الجديد محمد بن عبد الله ما لبث أن طلب التحالف مع الاسبان بعد أن عرض على شارلكان أن يكون تابعا له سنة 942هـ/1535م، متعهدا بدفع الضريبة له، وإرجاع كل الأسرى الاسبان الذين وقعوا في قبضته بعد المعركة التي دارت بينهما في 3 محرم 942هـ/4 جويلية 1535 بعدما حاول أخاه عبد الله استرجاع عرش تلمسان انطلاقا من وهران مدعومة

---

[1]- اسطنبول أو استان بول أو الاستانة هو الاسم الذي أصبحت تعرف به القسطنطينية بعد فتحها من طرف السلطان العثماني محمد الفاتح في 23 ماي 1453 و نقل عاصمته إليها.

[2]- كان حسن آغا من كبار مساعدي خير الدين بربروس و المقربين منه، نشأ و تربى في بيته و عهد إليه بعد استخلافه بمهمات عديدة، أظهر فيها ذكاء و شجاعة، يعود أصله إلى جزيرة سردينيا، ينظر، عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص30 ؛ Haedo, opcit, p62.

[3]- كان هذا الأمير لاجئا عند العثمانيين بمدينة الجزائر، ينظر: Primaudaie, op.cit, pp 47- 50.

بالاسبان[1]، لكنه لم يجد الرد الإيجابي من شرلكان إلا بعد هزيمة هذا الأخير في حملته على مدينة الجزائر سنة 948هـ/1541م[2].

لم يغفر حسن آغا لمحمد بن عبد الله انقلابه عليه فتحرك إلى تلمسان لإخضاعه، لكن هذا الأخير قام باسترضائه لما أدرك عدم قدرته على محاربته، متعهدا بقطع صلاته مع الاسبان[3].

دفع هذا التقارب العثماني الزياني الاسبان إلى التحرك نحو تلمسان سنة 949هـ/1543م تحت قيادة الكونت دالكوديت حاكم وهران الذي تمكن من احتلال تلمسان و نهبها و تولية الأمير عبد الله أخ السلطان محمد على عرش تلمسان[4].

---

[1]- Ruff (p), la domination espagnol à Oran sous le gouvernement du conte d'alcaudète (1534- 1558), paris 1900, p35 et page suivante ;Primaudaie, op.cit, p p 4- 112.

[2]- انهزم شارلكان ضد قوات حسن آغا في حملته على مدينة الجزائر التي شنها عليها في خريف 948هـ/ 1541م، و قد ساعدت الظروف الجوية حسن آغا على الحاق هزيمة نكراء بقوات شارلكان أعظم امبراطور مسيحي خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، ينظر، مؤلف مجهول، غزوات عروج و خير الدين ، ص80 و ما بعدها ؛ Haedo, op.cit, p p 63, 64 ; Grammout (H.de), Histoire de roi d'Alger sous la domination Turque 1515- 1830, 1vol, paris 1887, p58.

[3]- كانت حملة حسن آغا هذه على تلمسان ضمن حملته التي قادها لتأديب كل من دعم شارلكان في حملته على الجزائر، وخاصة بني القاضي بإمارة كوكو، و حميدة العيد سلطان تنس، ينظر، عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص33.

[4]- شارك في هذه الحملة 12 ألفا من المشاة، و ألفي فارس، و كان دليلهم أحمد العلج ابن رضوان قائد أولاد خالفة، ينظر، صالح عباد، المرجع السابق، ص70 ؛ Sandoval (H.de), les inscriptions d'Oran et de mars-elkabir, revue Africaine, n°15, Alger 1871, p280.

لكن أهالي تلمسان أزاحوه عن الحكم بعدما أوصدوا أبواب المدينة في وجهه عندما خرج لملاقاة أخيه محمد و فتحوها في وجه هذا الأخير، و انتهى الأمر بعبد الله بمقتله من طرف عرب أنجاد الذين التجأ إليهم[1].

إضافة إلى خسارة الاسبان لحليفهم في تلمسان، فإنهم فشلوا في السيطرة على مستغانم[2] بعد حملتهم عليها في 14 ذي الحجة 949هـ/21 مارس 1543م، و التي انهزمت أمام القوات العثمانية بمساندة العرب المجاورين للمدينة[3] و سلطان تنس أحمد العبد[4].

كما كان الانهزام نفس مصير حملة دلكوديت على مدينة معسكر في ربيع سنة 950هـ/1543م رغم أنه كان مدعوما بالمنصور بن أبي غانم قائد بني راشد، والذي كان ذو حظوة في بلاط السلطان محمد الزياني[5].

---

[1]- كان السلطان المخلوع محمد بن عبد الله قد لجأ إلى أنجاد أين التحق به وجهاء من مدينة تلمسان بعد المفاسد التي ارتكبها الاسبان في تلمسان، كما أنهم رفضوا حكم السلطان الجديد عبد الله الذي كانوا يرونه عميلا للكفار وقرروا طرده من تلمسان، ينظر، Sandoval, op.cit, p280 ; Haedo, op.cit, p68 ؛مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص 346- 348،

;Ruff, op.cit, p93 et les pages suivantes.

[2]- مدينة مستغانم من أكبر المدن المغربية بالمغرب الأوسط على الساحل، اختطها يوسف بن تاشفين المرابطي، حيث ابتنى حولها مركزا حربيا سماه "برج الأمحال) و هو جمع محلة و هي فرقة من الجيش، بمكان يدعى "مشتى غانم" ثم نمى العمران بها، و عرفت ازدهارا كبيرا في عهد بني زيان، و بعد احتلال أبي الحسن المريني للمغرب الأوسط ابتنى مسجدها الكبير سنة 740هـ، و اكتست مستغانم أهمية استراتيجية كبرى بالنسبة للاسبان لأنها قريبة من مدينة وهران، و تشرف على الطريق بينها و بين مدينة الجزائر، ينظر، الإدريسي، المصدر السابق، ص128 ؛حسن الوزان، المصدر السابق، ص32 ؛أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 220،221 ؛لخضر عبدلي، التاريخ السياسي، المرجع السابق، ص 75، 76 ؛عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1 ، ص33.

[3]- عن غزو الاسبان لمستغانم، ينظر، de Grammout (H), op.cit, p71

;Ruff, op.cit, p p 103- 108.

[4] -Ruff, op.cit, p105.

[5]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص356 ؛ عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص34.

و أمام انحصار التواجد الاسباني في المغرب الأوسط، كان النفوذ العثماني يتوسع، حيث تمكن حسن آغا من بسط نفوذه على بسكرة و ما جاورها من بلاد الزيبان ليضيفها إلى مدينتي عنابة و قسنطينة من بلاد المغرب الأدنى[1].

و بعد هذه الانتصارات التي أحرزها حسن آغا، توفي سنة 950هـ/1543م[2] ليخلفه حاجي باشا لمدة لم تزد عن السنة تمكن خلالها من القضاء على ثورة الشيخ بوطريق في نواحي مليانة، و الذي ثار في أعقاب وفاة حسن آغا و زحف بقوات كبيرة من القبائل للقضاء على الحكم العثماني في مدينة الجزائر[3]، ثم تولى بعده السلطة حسن باشا بن خير الدين بداية من سنة 951هـ/ 1544م.

---

[1] -primaudaie, op.cit, p 247

;Ruff, opcit, p35

[2]- هناك اختلاف حول وفاة حسن آغا، حيث نجد هايدو يذكر أنه توفي أواخر سبتمبر 1543م، بينما يذكر دوفولكس أنه توفي في نوفمبر 1545 اعتمادا على شاهدة قبر، و إذا رجحنا الرأي الأخير فهذا يعني أن حسن آغا ابتعد عن السلطة أو عزل عنها قبل وفاته، ينظر، Haédo, op.cit, p233 ; Devoulse (A), Alger étude archéologique et topographique sur cette ville, revue Africaine n°20, Alger 1876, p292.

[3]- بوطريق تعني صاحب الطريقة، و كان زعيم قبيلة ريفية تستوطن نواحي مليانة، و التي كانت تسيطر على الطرف الغربي من الطريق الرابط بين مدينتي مليانة و الجزائر، و قد جمع حوالي عشرين ألف مقاتل من القبائل وقصد بهم غزو مدينة الجزائر، للمزيد عن هذا التمرد، ينظر،

Haédo, op.cit, p p 71- 72

؛صالح عباد، المرجع السابق، ص71.

4- عهد حسن باشا بن خير الدين خلال ولايته الأولى (951- 958هـ/1544-1551م):

لما وصل حسن باشا[1] بن خير الدين إلى الجزائر في 29 ربيع الأول 951هـ/20 جوان1544م، كان الأمر بتلمسان غير مستقر، فالسلطان محمد بن عبد الله الذي استرجع الملك من أخيه عبد الله –كما ذكرنا- أطاح به أخوه الآخر أحمد المدعوم من طرف خاله المنصور بن أبي غانم الموالي للاسبان، الأمر الذي اضطر حسن باشا إلى توجيه حملة نحو تلمسان التي دخلها في ربيع الثاني من سنة 952هـ/جوان 1545م بعد فرار السلطان أحمد و خاله المنصور[2] إلى المغرب ومنها إلى الاسبان بمدينة وهران، و نصب أحد إخوة أحمد المخلوع و هو الأمير المنتصر (Montarez)[3]، و ترك معه حامية عثمانية.

لم يقف الاسبان أمام تولي حاكم زياني موالي للعثمانيين مكتوفي الأيدي فحركوا حملة عسكرية نحو تلمسان في سنة 953هـ/1543م لإعادة أحمد المخلوع إلى العرش، و قد تمكن الاسبان من تحقيق هدفهم بعد أن تراجع حسن باشا عن ردهم إثر وصول نبأ وفاة والديه إليه وهو في طريقه إلى تلمسان، فرجع إلى مدينة الجزائر بعدما أمر الحامية العثمانية بالانصراف إلى مستغانم[4].

---

[1]- تم تعيين حسن باشا بن خير الدين بايلرباي على الجزائر تلبية لرغبة والده، و تقديرا لجهود آل بربروس في مد النفوذ العثماني إلى الحوض العربي للمتوسط، ينظر، عمار بن خروف، المرجع السابق، ص34.

[2]- فر السلطان المخلوع أحمد و خاله إلى منطقة دبدو شرق المغرب الأقصى، حيث أسرهما أميرها مولاي عمار، قبل أن يفرا إلى الاسبان بمدينة وهران، ينظر، السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج4، ص163؛ Haedo, op.cit, p74.

[3]- عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص35.

[4]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص ص 348- 351 ؛ Ruff, opcit, p116 ;Haedo, opcit, p74

بعد تولية الاسبان لحاكم موال لهم على عرش تلمسان، وجهوا حملة عسكرية أخرى إلى مستغانم سنة 954هـ/1547م، و لكنها تكبدت خسائر كبيرة أمام الحامية العثمانية التي تدعمت بالحامية المنسحبة من تلمسان و الإمدادات التي وصلتها من مدينة الجزائر[1].

و كان من نتائج فشل الحملة الاسبانية على مستغانم أن انحصر تواجدهم على مدينة وهران، و اكتفواهم بالدفاع عن أنفسهم فقط لعدة سنين، مما سمح لحسن باشا بالتدخل من جديد في تلمسان و تنصيب سلطان موال للعثمانيين[2]، و قد حاول السلطان المخلوع أحمد وخاله استرجاع عرشه بطلب العون من الاسبان و عرب تلمسان دون جدوى[3].

في الوقت الذي اعتقد فيه العثمانيون أن أمر تلمسان قد استقر لهم، ظهر الأشراف السعديون[4] الذين أرادوا ضم تلمسان إلى مملكتهم فتمكنوا من احتلالها سنة 957هـ/ 1550م، و لكن قوات حسن باشا تمكنت من ردهم إلى ما وراء نهر ملوية في السنة الموالية 958هـ/1551م[5].

---

[1]- عمار بن خروف، المرجع السابق،ج1 ، ص35؛ Ruff, opcit, p- p 20- 24.

[2]- تولى عرش تلمسان خلال هذه الفترة بإشراف من العثمانيين السلطانان محمد في أفريل و الحسن في أكتوبر، وهما ابنا السلطان عبد الله الثاني، ينظر، عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص44، هامش 134.

[3]- عمار بن خروف، المرجع السابق، ص35.

[4]- للمزيد عن تولي الأشراف السعديين للسلطة بالمغرب الأقصى، ينظر الفصل الثاني من الباب الأول.

[5]- سير حسن باشا جيشا من ستة آلاف مقاتل و عشرة مدافع تحت قيادة صفا التركي، و العلج حسن قورصو، والعلج ساردو، و لما وصلت الحملة إلى مدينة مستغانم انضاف إليها عرب بني عامر، التقت هذه الحملة بالجيش السعدي و ألحقت به هزيمة نكراء، و قتل خلال هذه المعركة الأمير السعدي الخوان بن محمد المهدي سلطان السعديين، للمزيد عن تفاصيل هذه المعركة، ينظر، صالح عباد، المرجع السابق، ص73 ؛ لخضر عبدلي، تاريخ تلمسان ، ص186 ؛السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص12 ؛ أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص 325- 330.

و تولى عرش تلمسان السلطان الحسن بن عبد الله الثاني الذي ظل مجرد صورة إلى أن خلفه مجلس العلماء سنة 962هـ/1554م و ألحق صالح رايس تلمسان بالجزائر العثمانية[1]، فكان هذا الالحاق نهاية الدولة الزيانية التي عمرت أزيد من ثلاثة قرون.

[1]- عن نهاية حكم الدولة الزيانية يذكر كل من عبد الرحمن الجيلالي و أحمد توفيق المدني أنه كان سنة 962هـ/ 1554م على يد صالح رايس، بينما يذكر عمار بن خروف نقلا (المصادر المغفلة عن تاريخ المغرب من اسبانيا)، ج1، ص ص 599- 602 أنه كان على يد حسن باشا سنة 958هـ/ 1551م، ينظر، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ج2، ص 329، 330 ؛حرب الثلاثمائة سنة، ص ص 327- 329 ؛ عمار بن خروف ،المرجع السابق ص36.

المبحث الأول: المغرب الأقصى في العهد المريني (668-869هـ/1269-1465م).

1- نسب بني مرين: بنو مرين هم فخذ قوي من قبيلة زناتة البترية، يرجع نسبهم إلى جدهم الأعلى مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديج أو حديج بن فاتن بن بدر بن نجفت بن عبد الله بن ورتين أو رتنيص بن المعز بن إبراهيم بن سجيح أو سحيك بن واسين بن يصليتن بن مسرى أو بن مسرى بن زكايا بن ورسيك بن زانات بن جانا بن يحي بن تمزيت بن ضريس، وهو جالوت ملك البربر ابن رجيح بن مادغيس الأبتر بن بر[1] بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فهم عرب الأصل من ولد نزار بن معد وهو أصح ما ذكر في نسبهم[2].

ويؤكد انتماء المرينيين إلى العرب عن طريق جدهم الأعلى زنات ما قاله ابن رشيق:« أصل زناتة من الشام وكانت دارهم بفلسطين وملكها جالوت فلما قتله داوود عليه السلام جاءت البربر إلى المغرب فانتشروا في السوس الأقصى»[3]، ويقول ابن أبي زرع في هذا الشأن أيضا:« فمن زنات بن جانا تفرقت قبائل زناتة فهم عرب صريحون»[4].

وقد حاول بعض المؤرخين أن يضفي على النسب المريني هالة من التكريم فرفعوا نسبهم تارة إلى الخليفة علي[5] بن أبي طالب كرم الله وجهه وتارة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتبار أن المرينيين من زناتة، وزناتة عرب من مضر وبنو مرين يجتمع نسبهم بنسب الرسول صلى الله عليه

---

[1]- لم يكد المؤرخون يتفقون على تسلسل واحد لأجداد المرينيين ولعل مرجع هذا الاختلاف هو أن البعض كان يذكر الاسم الحقيقي للجد، وبعضهم كان يذكر لقبه الذي كان يدعى به بين البربر. ينظر ذلك بالتفصيل عند القلقشندي ،صبح الأعشى، ج 5، ص 194 ؛الذخيرة السنية، تحقيق ،محمد بن أبي شنب، الجزائر، 1339 هـ، ص 9، 10 ؛ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب، ص 199.

[2]- ابن أبي زرع ،الذخيرة السنية،ص 9، 10.

[3]- مجهول،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق، بن علوش، طبعة رباط الفتح، 1936، ص 154، 155 ؛ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب، ص 199 ؛ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 145.

[4]- ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب،ص 199 ؛ويذكر ابن حزم في جمهرته أن زنات جد المرينيين ينحدر أصله من ولد كنعان بن حام بن نوح النبي عليه السلام ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط 3، دار المعارف، ص 495.

[5]- ابن الأحمر،روضة النسرين، ص 9 .

وسلم في مضر وهم من ولد بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[1]، وقد يكون هذا الرأي صحيحا لاتفاق معظم المؤرخين وعلماء الأنساب في السلسلة التي رصدوا فيها نسب المرينيين حتى عدنان.

وها هو الفقيه الأديب مالك بن المرحل ينصح الأمير يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني قائلا:

أنتم لأبناء عبد الحق كلكم ✧ فخر وهو للورا فخر إذا افتخروا

فحسبكم شرفا أن كان جدكم ✧ بر بن قيس وقيس جده مضر[2]

2- مواطن بني مرين: لقد تعددت منازلهم- قبل دخولهم إلى المغرب الأقصى- فقد فرضت عليهم حياة البداوة حالة من اللااستقرار فعاشوا عشائر بدوية متنقلة بأنعامها في صحاري المغرب الأوسط، فكانت منازلهم بزاب إفريقية إلى سجلماسة[3] وأحيانا من جنوب مدينة القيروان إلى صحراء بلاد السودان[4]، وقد وصفهم أبن أبي دينار في المؤنس قائلا:« وبنو مرين كانوا يسكنون بلاد القبلة من زاب إفريقية وينتقلون من مكان إلى مكان وجل أموالهم الإبل والخيل وطعامهم اللحوم والتمر»[5]. وتذكر المصادر التاريخية أن المرينيين كانوا« لا يعمرون إلا القفار ولا يؤدون لسلطانهم بدرهم ولا دينار ولا يدخلون تحت حاكم ولا سلطان ولا يرضون بذل ولا هوان،

---

[1]- ابن الأحمر ،روضة النسرين، ص 9؛ ابن أبي زرع ،الذخيرة السنية، ص ص 14- 20 و الأنيس المطرب، ص 184، 185.

[2]- ابن أبي زرع ،الذخيرة السنية ،ص 14.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 7، ص 162 ؛السلاوي، الاستقصاء، ج 3، ص 5؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 187.

[4]- ابن أبي زرع ،الذخيرة السنية، ص 23. (القيروان: وهي في بساط من الأرض مديد من الجوف منها بحر تونس وفي الشرق بحر سوسة والمهدية، وفي القبلة بحر السفاقس وقابس، وأقربها من البحر الشرقي بينها وبينه مسيرة يوم) ينظر: البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر دي لان، 1965، ص 24.

[5]- ابن أبي دينار، المؤنس، ص 146 (بلاد الزاب: هي على طرف الصحراء بحذاء بلاد الجريد، وهي شبيهة ببلاد الجريد بهوائها الحار، وكثرة النخيل، وبلاد الزاب مدن كثيرة وأقطار واسعة، وعمائر متصلة متوفرة المياه والأنهار والعيون) ينظر في ذلك: مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، 1958، ص 171.

لهم همم عالية ونفوس إلى المعالي سامية، لا يعرفون الحرث ولا التجارات ولا يشتغلون بغير الصيد والغارات، جل أموالهم الإبل والخيل و رأيهم الحرب وخوضان الليل، وشيمتهم إكرام الضيف وضرب أعدائهم بالسيف»[1]، ولعل هذا ما يفسر رفضهم الانضواء تحت حكم الموحدين.

وفي ضوء هذه الحقائق- التي تتعلق بنظم الحياة في المجتمع المريني القبلي المتنقل- فلم يتفق المؤرخون على أماكن محددة لإقامة هذه القبائل، فإن ابن خلدون يرى أن إقامة القبائل المرينية كانت تتراوح بمجالات القفر من فيجيج إلى سجلماسة في الجنوب، ومن فيجيج إلى ملوية في الشمال، وربما يتقدمون في ضعنهم شرقا إلى بلاد الزاب[2]. أما القلقشندي فيحدد إقامتهم بين فيجيج وملوية فقط[3]. أما ابن مرزوق في مسنده فيذكر أن القبائل المرينية تملكت مساحات شاسعة تنقلت فيها من بلاد الجريد[4] إلى ناحية الغرب حيث شمل ملكهم من بلاد الزاب إلى تاهرت[5] وجهات تلمسان.

أما صاحب الحلل الموشية فيرى أن:« أصل بني مرين من حوز تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ودار مملكة زناتة على قديم الزمان، وكان وطنهم(بنو مرين) ما بينها(تلمسان) وبين

---

[1]- ابن أبي زرع ،الذخيرة السنية، ص 23، 24 و الأنيس المطرب، ص 202.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون،العبر، ج 7، ص 167 (سجلماسة: بنيت هذه المدينة سنة 140 هـ، وهي مدينة سهلية أرضها سبخة وحولها أرباض كثيرة، وهي في أول الصحراء، لا في غربها ولا في جنوبها عمران) ينظر: البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 138.

وادي ملوية يقع بين تلمسان ورباط تازا ويصب في البحر المتوسط. ينظر: المراكشي، كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد السعيد العريان ومحمد العلمي،ط1، القاهرة، 1949 ، ص 364.

[3]- القلقشندي،صبح الأعشى، ج 5، ص 194.

[4]- ابن مرزوق،المسند الصحيح، ص 18؛ (بلاد جريد: سميت بهذا الاسم لكثرة النخيل بها، فهي مدن كثيرة وأقطار واسعة وعمائر متصلة، وهي آخر بلاد إفريقية على طرف الصحراء) ينظر :مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ،نشر وتحقيق سعد عبد الحميد زغلول ،مطبعة جامعة الاسكندرية ،مصر ،1958 ، ص 150.

[5]- تاهرت: اسم لمدينتين متقابلتين يقال لإحداهما تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت المحدثة، بين تلمسان وقلعة بني حماد. ينظر: البغدادي، مراصد الاطلاع، تحقيق علي محمد البجاوي، ج 1، ط 1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1954، ص 251.

تاهرت من شرقيها»[1]. وهذا يعني أن تلمسان هي المركز الذي انتشرت منه قبائل بني مرين شرقا وغربا، وأن المرحلة الأولى لانتشارهم كانت إلى الشرق من تلمسان في اتجاه تاهرت، ثم تقدمت منها بعد ذلك نحو بلاد الزاب وبلاد الجريد، ثم بعدها نزحت نحو الغرب من هذه المواطن إلى بلاد المغرب الأقصى[2]، فأصبح بذلك المرينيون يقفون على مداخل المغرب الأقصى يراقبون أحداثه.

وكانت رياسة بني مرين في أول أيام الموحدين لبني عسكر وكانوا يقطنون الزاب إلى تلمسان، وعندما بدأ عبد المؤمن يكتسح المغرب الأوسط استعان على بني مرين بإخوانهم بني عبد الواد الذين بددوا جموعهم سنة 540 هـ فنزلوا جنوبا إلى الصحراء يعيشون حياة البداوة والترحال، وينتقلون خلال الربيع والصيف إلى أعالي ملوية حتى ناحية تازا وكرسيف، فيتزودون بالحبوب الزراعية التي يقتاتون بها شتاءا في صحرائهم[3].

وبالتالي فلم تكن مواطنهم ثابتة بل تخضع لنمط حياتهم البدوية الرعوية القائمة على الترحال بحثا عن موارد الماء والكلأ[4].

3- بداية ظهور بني مرين ونشأة دولتهم:

كان البيت المريني بيتا قويا عريقا في قبيلة زناتة، ففي فترة مبكرة من حياة هذه القبيلة تولى ماخوخ الزناتي- وهو الجد الأعلى لمرين الذي من نسله تفرقت قبائل بني مرين وعشائرها- رئاسة زناتة في وقته[5]، وقد اجتمعت فيه من الصفات ما تؤهله لقيادة هذه القبيلة وشعوبها.

---

[1]- مجهول،الحلل الموشية، ص 155.

[2]- ابن الأحمر،روضة النسرين، ص 05 ؛محمد عمرو الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ط 1، الجزائر، 1969، ص 196 ؛ألفريد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، تر عبد الرحمن بدوي، مطبعة بنغازي، 1969، ص 308.

[3]- إبراهيم حركات،المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، مج 2، ط 1، نشر دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1978، ص 11، 12.

[4]- أحمد مختار العبادي ،دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ت)، ص 205.

[5]- ابن أبي زرع ،الذخيرة السنية، ص 16، 17 ؛ابن الأحمر، النفحة النسرينية واللمحة المرينية، مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية(رقم 357/ 4 تاريخ)، ورقة 16 ؛روضة النسرين، ص 20 ؛السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ص 868.

وفي بيئة الرئاسة نشأ مرين وأبناؤه الذين كان من بينهم جرماط، وولد لجرماط هذا ولدان بوجوس ويابان الذي تشعبت من نسله جميع قبائل بني يابان، أما بوجوس فأولاده ثلاثة هم: واطاس، وتتالفت، ووزرير، ولوزرير هذا ولدان هما: ينجاس ومحمد، وكان لمحمد هذا سبعة أولاد منهم أخوان شقيقان هما عسكر وحمامة[1]. وفي أبناء هذين الحفيدين من أحفاد مرين كانت رياسة قبائل بني مرين.

وقد كانت رئاسة بني مرين في بادئ الأمر في بني عسكر، وكان زعيمها الأعدر بن العافية بن عسكر من أقوى رجالها وأشدهم بأسا، وكان يلقب بالمخضب، له جيوش قادت القبيلة إلى انتصارات عديدة إذ سيطر على جميع بوادي زناتة وبلاد الزاب، وبلغ من قوته أن كان يتصرف تصرف الملوك وتقام له المراسيم إذ له طبوله وبنوده الخاصة به[2].

وقد مكنته انتصاراته على المرابطين والحماديين معا إلى بسط نفوذه في بوادي زناتة بالمغرب وبلاد المرابطين إلى ما يلي تلمسان، وكذا ممتلكات الحماديين في بجاية والقلعة حتى اضطروا إلى مهادنته ومصالحته بتقديم الهدايا وظلوا على هذه الحالة حتى سقوط دولتهم[3].

فكانوا معه على ذلك إلى أن ظهر الموحدون وتمكنوا من فتح تلمسان ووهران على يد عبد المؤمن بن علي الذي بعث ما غنمه فيها من أموال وذخائر وسلاح إلى تنملل[4]، وكان المخضب حينها قد ملك أكثر بوادي تلمسان وقوي أمره بتلك البلاد، إلا أنه لم يشهد حصار عبد المؤمن للمرابطين، إذ كان ببلاد الزاب يخضع بعض قبائل زناتة وقد كان أهل المدينة ينتظرون قدومه لنصرتهم خصوصا بعد سقوط تلمسان في يد الموحدين، وفرار الأمير المرابطي تاشفين بن علي منها إلى وهران، فلحقت به جيوش عبد المؤمن تطلبه فتمكنت منه واستخلصت أمواله وذخائره، فبعث

---

[1]- ابن أبي زرع ،الذخيرة السنية،ص 17، 18.

[2]- المصدر نفسه،ص 18 ؛ابن مرزوق ،المسند الصحيح، ص 18.

[3]- ابن أبي زرع ،الذخيرة السنية ،ص 20 ؛ابن الأحمر ،روضة النسرين، ص 21، 22 ؛ابن مرزوق ،المسند الصحيح، ص18.

[4]- ابن أبي زرع ،الذخيرة السنية،ص 18،(تنملل: هي جبال بالمغرب بها قرى ومزارع يسكنها البربر، بينها وبين مراكش ثلاثة فراسخ) ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان** ،دار صادر ،بيروت ،1984 ، ج 2، ص 445.

بها عبد المؤمن إلى تنملل مركز دعوتهم، فبلغ نبأ ذلك لبني مرين فنهض لهم المخضب بن عسكر لاستخلاصها والاستيلاء عليها في خمسمائة فارس، فاعترضهم في وادي تلاغ[1] واستولى على أموالهم فأرسل عبد المؤمن جيشا في ثلاثمائة فارس يتزعمه عبد الحق بن معاذ الزناتي العبد الوادي لاستعادتها، فالتقى الجيشان عند فحص حسون[2] فدار بينهما قتال عظيم انهزم على إثره بنو مرين وقتل المخضب في جمادى الثانية 540 هـ/ 1145 م[3].

وأمام اكتساح الموحدين لهم ومقتل أميرهم لم يجد المرينيون مفرا من العودة إلى قواعدهم الأولى الصحراء والقفر الذين تعودوا على الحياة فيهم[4].

بعد هذه الأحداث انتقلت رياسة بني مرين إلى أبناء حمامة بن محمد بن وزرير- الفرع المريني الآخر- حيث تولى أمرهم أبو بكر بن حمامة وهو ابن عم المخضب ويبدو أن المرينيين على عهده آثروا حياة السلامة في صحراواتهم التي يعيشون فيها، إذ لم يشتركوا في أحداث المنطقة إلى أن توفي أميرهم أبو بكر سنة 561 هـ/ 1165 م[5].

بعد وفاة أبي بكر بن حمامة المريني قام بأمر المرينيين ابنه محيو بن أبي بكر[6]، وفي عهده شارك المرينيون المنصور يعقوب بن يوسف خليفة الموحدين في غزوة الأرك الكبرى ببلاد الأندلس

---

[1]- ابن أبي زرع ،الذخيرة السنية،ص 18 ؛عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 167.

[2]- فحص حسون: يذكر ياقوت الحموي أن كلمة الفحص تطلق على كل موضع يسكن سهلا كان أو جبلا بشرط أن يزرع، ينظر: معجم البلدان، ج 6، ص 339.

[3]- لعل سبب هذه الهزيمة يرجع إلى الإرهاق الذي كان رجال بنو مرين يعانون منه جراء سيرهم الطويل وأحمالهم الثقيلة، وضعف أسلحتهم بالمقارنة مع أسلحة الموحدين، ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 150؛ ابن أبي زرع ،الذخيرة السنية، ص 21.

[4]- عبد الرحمن ابن خلدون ،العبر، ج 7، ص 167.

[5]- ابن أبي زرع ،الذخيرة السنية،ص 18، 19 ؛عبد الرحمن بن خلدون ،العبر، ج 7، ص 167 ؛ابن مرزوق، المسند ، ص 110، 111.

[6]- ابن مرزوق ،المسند ،ص 111؛ ابن أبي زرع ،الذخيرة السنية، ص 21 ؛الزركلي، الأعلام، ط 2، مطبعة كوستا توماس، توماس، القاهرة، ج 8، ص 67.

سنة 591 هـ/ 1195 م[1]. وقد أبلى الأمير محيو ومن معه من رجال بني مرين بلاءا حسنا في هذه المعركة، غير أنه أصيب بجراح بالغة أرغمته على العودة إلى بلاده، فاشتدت عليه جراحه العميقة فمات شهيدا في شهر صفر 591 هـ/ 1195 م بصحراء الزاب[2].

وبذلك فقد ساعد المرينيون الموحدين في مبدأ تأسيس دولتهم وعملوا على تثبيت أقدامهم في بلاد المغرب والأندلس، خصوصا وأنهم اشتركوا معهم في معارك كبرى خارج بلاد المغرب، فكان المرينيون عنصرا فعالا في تاريخ دولة الموحدين.

تقلد أبو محمد عبد الحق بن محيو رئاسة القبائل المرينية بعد استشهاد والده، إذ بدأ معه عهد جديد في تاريخ بني مرين فبعد أن استقر بهم الأمر بالمغرب الأقصى مستغلين في ذلك ضعف الموحدين وتراجع قوتهم وهيبتهم بعد هزيمة العقاب[3]، فبدأ المرينيون في أعقاب هذا التحول حركة انتشار واسعة شملت منطقة الريف القبلي من إقليم تازة[4]، وقد فضل بنو مرين الاستقرار في النواحي المرتفعة من المغرب الأقصى لأنها توفر لهم الحماية الطبيعية وتمكنهم من مراقبة الأرجاء المحيطة بهم فيأمنون من مواجهات أعدائهم[5].

---

[1]- ابن أبي زرع ،الذخيرة السنية،ص 21 ؛عبد الرحمن بن خلدون ،العبر، ج 7، ص 167 ؛محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني عصر الموحدين، ط 1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1964، ص 336.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون ،العبر،ج 7، ص 167 ؛الزركلي، الأعلام، ج 8، ص 67 ،ويذكر صاحب الذخيرة السنية في ص 20 و ص21 سنة 592 هـ بدلا من سنة 591 هـ التي ذكرها ابن خلدون.

[3]- دخل بنو مرين في عهده بلاد المغرب الأقصى وأقاموا ببلاد الريف سنة 610 هـ/ 1213 م وذلك عندما لمسوا ضعف خليفة الموحدين يوسف المنتصر، واختلال حال الدولة خصوصا بعد هزيمة العقاب النكراء السالفة الذكر سنة 609 هـ/ 1212 م. للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب، ص ص 158-160، الذخيرة السنية، ص 22 ؛السلاوي، الاستقصاء، ج 2، ص 3 ؛ابن الأحمر،روضة النسرين، ص 23 ؛ابن أبي دينار،المؤنس ، ص 146.

[4]- ابن الوردي ،تتمة المختصر في أخبار البشر، تحقيق: أحمد رفعت البدراوي، ط 1، ج 2، دار المعرفة، بيروت، 1970، ص 317 ؛

GAUTIER. E. F : Le passé de l'Afrique du nord, 1964, P 408.

[5]- أحمد السعيد سليمان ،تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، ج 1، دار المعارف، 1969، ص 89 ؛محمد ؛محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ط 1، دار القلم للنشر والتوزيع، 1985، ص 9.

وبعدما كان هدف بني مرين في بداية استقرارهم بالمغرب الأقصى الاستحواذ على خيراته والاستئثار بها بحكم حاجتهم إليها إذ أن مواطنهم الأولى لا تتوفر على مثل هذه الخيرات[1]، لكن سرعان ما غيروا من أهدافهم واهتموا بنشر الأمن والعلم[2]، وقد اقترن هذا التغيير برغبة بني مرين الأكيدة في الإطاحة بالموحدين الذين تسببوا في انتشار الفوضى والاضطرابات ببلاد المغرب بسبب فشل سياستهم وافتراقهم وتهاونهم في الدفاع عن الثغور[3].

4- الصراع المريني الموحدي وقيام الدولة المرينية:

حاول المرينيون بزعامة أبو محمد عبد الحق بن محيو منذ دخولهم بلاد المغرب الأقصى إقرار الأمن في المناطق التي بسطوا فيها سلطانهم، فعمدوا إلى قمع البغاة والمعتدين وحماية كل من نزل في جوارهم أو استجار بهم متخذين في ذلك التقوى والحق شعارا لهم، مما جعل العديد من قبائل المغرب تلتف حولهم وتطلب نجدتهم بعدما ذاقت هول الاضطرابات[4].

ظل المرينيون طيلة ثلاث سنوات متصلة وحتى سنة 613 هـ/ 1216 م يوسعون نفوذهم بالمغرب الأقصى مستغلين في ذلك الضعف الذي آلت إليه دولة الموحدين بعدما تولى أمرها يوسف المستنصر ابن الناصر- الذي نصبه الموحدون وهو صبي صغير لم يبلغ الحلم شغله صباه عن تدبير أمور دولته-[5] فاستفحل أمر بني مرين، ولما أدرك المستنصر الموحدي الخطر الجسيم الذي

---

[1]- محمد الفاسي ،التعريف بالمغرب، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، 1961، ص 46.

[2]- حاول المرينيون قبل مواجهة الموحدين جذب الأنظار إليهم بإقرار الأمن والاستقرار والعمل لصالح العامة، حيث استأصلوا شأفة الأعراب الذين عاثوا في الأرض فسادا، مما جعل الرعية تروى فيهم المنقذين لهم من فتنة الاضطراب التي يعانون منها في ظل حكم الموحدين المتردي، ينظرفي ذلك: محمد الفاسي، التعريف بالمغرب ، ص 46؛ محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 10.

[3]- محمد الفاسي،المرجع السابق، ص 46 ؛محمد الفاسي، نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المريني الأدبية، مجلة البينة، العدد الثامن، السنة الأولى، 1962، ص 18.

[4]- ابن مرزوق ،المسند، ص 111.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون ،العبر،ج 7، ص 169 ؛يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج 2، القاهرة، 1941، ص ص 153، 155.

الذي بات يهدده حشد جيشا عظيما[1] يقوده أبو علي بنو وانودين وقد تعزز هذا الجيش بقوة مضاعفة بعدما انضمت إليه العديد من القبائل كمكناسة وتسول والبرانس وسدراتة وهوارة وصنهاجة وقشتالة وعطة وغيرهم من قبائل فاس، والتحم الجمعان بوادي نكور سنة 613 هـ/ 1216 م[2] لتدور بينهما معركة طاحنة انتهت بهزيمة الموحدين وتمزق جيشهم بينما امتلأت أيدي المرينيين بالأسلاب والغنائم بعدما جردوا مهزوميهم من ملابسهم وأمتعتهم فلم يجدوا ما يسترون به عوراتهم إلا نباتا يعرف عندهم بالمشعلة، لذلك سميت هذه المعركة بموقعة المشعلة وهذا العام بعام المشعلة[3]، وكان من بين الأسرى أبو إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي والي فاس الذي أسره المرينيون ثلاثة أيام ثم أطلقوا سراحه مع بعض من كبار السن[4].

وبعد هذا الانتصار العظيم الذي حققه المرينيون زحف عبد الحق بن محيو بجيوشه إلى رباط تازا فاستولى عليه في انتصار آخر على الموحدين[5]، الأمر الذي زاد من حدة الصراع السياسي والعسكري بينهما، تضاف إليه المؤامرات والدسائس التي كانوا يحيكونها ضد بعضهما، يستغل كل منها نقاط الضعف ومواطن الخلاف في الطرف الآخر حتى يزيد في ضعفه وتعميق الخلاف في معسكره.

---

[1]- ضم هذا الجيش عشرة آلاف مقاتل تضخم عدده في طريقه إلى عشرين ألفا بعدما انضمت إليه قبائل الموحدين المذكورة آنفا، وكان هدفهم إبادة المرينيين واستئصالهم، ينظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج 4، ص 251 ؛عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ، ج 7، ص 169 ؛السلاوي ،الاستقصاء ، ج 2، ص 3 ؛ابن أبي زرع ،الذخيرة السنية، ص 26.

[2]- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 169 ؛ ابن أبي زرع ،الذخيرة السنية ، ص 27 ؛السلاوي ،الاستقصاء، ج 4، ص 64.

وادي نكور: يقع هذا الوادي بين رباط تازا والمقرمدة، ينظر:السلاوي ،الاستقصاء، ج 3، ص 6.

[3]- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج 4، ص 251 ؛ عبد الرحمن ابن خلدون ،العبر، ج 7، ص 169؛ ابن أبي زرع ،الذخيرة السنية، ص 27، 28 ؛ ابن أبي زرع،ا لأنيس المطرب، ص 188.

[4]- ابن عذارى المراكشي ،البيان المغرب، ج 4، ص 251 ؛السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج 2، ص 868.

[5]- ابن أبي زرع ،الذخيرة السنية، ص 27 ؛عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 7، ص 169 ؛محمد الفاسي، نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المريني الأدبية، مجلة البينة، العدد الثامن، السنة الأولى، 1962، ص 18؛محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 12.

ففي هذه الأثناء نشب صراع داخلي في الأسرة المرينية حركته عوامل الحقد في نفوس بني عسكر بن محمد المريني لانفراد واستقلال بني عمهم حمامة بن محمد بالرياسة في بني مرين، وزادت من حدته تلك الانتصارات التي حققها بنو مرين ضد الموحدين مما دفع بني عسكر إلى الانضمام إلى قبائل عرب رياح[1] ضد أبناء عمومتهم، فاحتدم الصراع بينهما بإيعاز من الموحدين ومشاركة عرب رياح ليتحول إلى مواجهة عسكرية عنيفة التقى فيها الفريقان بواجرهان على مقربة من وادي سبو[2] على بعد أميال من تافرطاست، انتهت بمقتل أميرهم عبد الحق وابنه الأكبر إدريس في 22 جمادى الثانية سنة 614 هـ/ 1217 م[3]، وخلفه ابنه أبو سعيد عثمان الذي أقسم وعشيرته على الثأر لقتلاهم والانتقام من أعدائهم، فزحف على معسكر بني عمومتهم وحلفائهم عرب رياح فنال منه قتلا وثخنا وسلبا ونهبا لأموالهم ومتاعهم، وأرغمهم على الإذعان لسلطانهم مع دفع إتاوات سنوية[4].

وفي الوقت الذي كانت أحوال المغرب الأقصى تزداد كل يوم سوءا على سوء نتيجة كثرة الفتن بين القبائل واشتداد الخوف في الطرقات بعد سيطرة العرب عليها وغاراتهم المتكررة على القرى والمداشر، وخروج أكثر القبائل عن الطاعة فاشتد الغلاء في البلاد لانقطاع الحرث وانتشار الفساد والإهمال، واعتكاف خلفاء الموحدين في قصورهم وانغماسهم في حياة اللهو وانصرافهم عن الاهتمام بشؤون الدولة[5].

---

[1]- كان عرب رياح من أقوى قبائل العرب في المغرب الأقصى وأكثرهم أموالا، ولقوتهم هذه أوكل الموحدون إليهم حماية بلاد الهبط وحراستها، راجع في ذلك: الذخيرة السنية، ص 62 ؛ المسند ، ص 111 ؛ محمد الفاسي، نشأة الدولة المرينية ، ص18.

[2]- عن موقع هذا الوادي والسهول التي يخترقها ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 248 ؛ الإدريسي، المغرب العربي من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 99.

[3]- الذخيرة السنية، ص 32، 33 ؛ ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 111.

[4]- ابن عذارى، البيان المغرب، ج 4، ص 251 ؛ الأنيس المطرب، ص 191 ؛ الذخيرة السنية، ص ص 32، 35 ؛ العبر، ج 7، ص 170 ؛ محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 12؛ حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، المجلد الثاني، ج 2، ص 15 ؛ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 868، 869.

[5]- الذخيرة السنية، ص 35، ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 170 ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 288.

وأمام هذا التدهور الذي يعيشه المغرب الأقصى راح أبو سعيد عثمان يدعو قبائل المغرب إلى الدخول في طاعته، فبايعه من قبائلهم هوارة وزكارة، وتسول ومكناسة، وبطوية ومطلاسة، وكزناية، وبنو يرتيان وبنو يازغة، وغياثة ومجاصة، وماريوت، وبنو مكود، وبنو سيتان، وبنو واسليت، وبنو بحر، وبنو يوسف، كما فتح بلاد بني كانون، وجبال زرهون وبلاد أورية، وصنهاجة وقشتالة وسدراتة ولمطة وبني وارتين، وبلاد غمارة، ففرض عليهم الخراج، ووزع عليهم العمال، وألزم أهل فاس ومكناس وتازا وقصر كتامة بضريبة معينة يدفعونها إليه كل سنة تأمينا لطرقاتهم واتقاءا لغاراته[1].

وفي سنة 620 هـ/ 1223 م غزا أبو سعيد بلاد فزاز ومن بها من قبائل زناتة ومكلاته وغيرهم فأخضعهم، وفي سنة 622 هـ/ 1225 م هاجم فحص أزغار ومن به من قبائل العرب والبربر الذين كانوا يقطعون الطرق[2]. وما إن حلت سنة 625 هـ/ 1228 م حتى خضعت لهم جميع قبائل المغرب وتملكوا جميع بواديه من وادي ملوية إلى رباط الفتح[3].

ومع هذه الانتصارات الكبرى للمرينيين استطاع أبو سعيد عثمان وضع كيان سياسي لبني مرين يفرض إقامة دولة فعلية تمثلهم، أصبح لا ينقصها إلا الإعلان عنها شرعا خاصة بعد انكسار سلطان الموحدين في بعض المدن[4]. فاعتبر بذلك أبو سعيد عثمان المؤسس الحقيقي لملك بني مرين الذي أرعب الخليفة الموحدي فدفعه إلى تغيير سياسته وأسلوبه من المواجهة العسكرية إلى سياسة الاسترضاء والتقرب من بني مرين عن طريق مهاراتهم ومهادنتهم وهذا ما فعله الرشيد الموحدي سنة

[1]- الذخيرة السنية، ص 36، 37 ؛ العبر، ج 7، ص 170 ؛ الاستقصاء، ج 2، ص 55 ؛ الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 144، 145 ؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 869.

[2]- الذخيرة السنية، ص 36 ؛ العبر، ج 7، ص 170، 171 ؛ السلاوي، الاستقصا، ج 2، ص 5.

مكلاته: كان أهلها يسكنون موضعا يعرف بالمزى بينه وبين فاس ثلاث مراحل، ينظر في ذلك: البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 137.

[3]- الذخيرة السنية، ص 36، 37 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ص 127.

[4]- الأنيس المطرب، ص 288 ؛ الذخيرة السنية، ص 35.

637 هـ/ 1239 م إذ أرسل أحمالا من الكساء الشرقية البديعة المتعددة الألوان مع عامله ابن وانودين لتوزيعها على بني عبد الحق وأشياخ بني مرين[1].

وفي نفس السنة أغتيل أبو سعيد عثمان[2] وخلفه أخوه أبو معرف محمد بن عبد الحق (637- 642 هـ/ 1232- 1244 م)، فسار على سياسة أخيه في التمكين لقومه ومواصلة الجهود السياسية والعسكرية لإقامة كيان لهم يفرض هيبتهم ووجودهم، وذلك بتمهيد مناطق المغرب الشمالية والاستيلاء عليها وإخضاع قبائلها وفرض الضرائب عليهم[3].

فكانت هذه السياسة كفيلة بتحقيق المزيد من المكاسب لبني مرين خصوصا بعدما سعى إلى إضعاف الموحدين بالتحالف مع خصومهم المنشقين عنهم، حيث استقبل أبو معرف جرمون بن رياح وقومه المنشقين عن الخليفة الرشيد الموحدي فأكرم وفادهم وأحسن منازلهم[4] وبذلك أصبح المرينيون ملاذا لكل منشق عن السلطة المركزية في مراكش وللراغبين في الانضمام إليهم كأسلوب للضغط على الموحدين و إضعافهم[5].

وفي هذه المرحلة شرع بنو مرين في التأسيس العملي لقيام دولتهم، فبعدما استولوا على البوادي في شمال المغرب تحولوا إلى المدن والأمصار فحاصروا مكناسة ثم سلفات، الأمر الذي أقلق الرشيد الموحدي مما دفعه إلى مواجهتهم لإيقاف مدهم، وكان الخلاف والشقاق قد دب من جديد في البيت المريني بين بني عسكر وبني حمامة وذلك منذ اعتلاء أبي معرف الحكم، أثنائها

---

[1]- ابن عذارى، البيان المغرب، ج 4، ص 410 ؛محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 14 ؛ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 512 ؛ عبد العزيز لعرج، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، رسالة دكتوراه دولة، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 1998- 1999، ص 12.

[2]- تختلف المصادر التاريخية حول تاريخ وظروف اغتيال الأمير أبي سعيد عثمان المريني، حيث يذكر أنه قتل غدرا على يد علج من عبيده، للمزيد من المعلومات ينظر: العبر، ج 7، ص 181 ؛ البيان المغرب، ج 4، ص 411 ؛ صبح الأعشى، ج 5، ص 195 ؛الحلل الموشية، ص 145 ؛ الذخيرة السنية، ص 37 ؛ الأنيس المطرب، ص 289 ؛ المسند ،ص 112.

[3]- ابن خلدون: العبر، ج 7، ص 171، وأيضا: الاستقصاء، ج 2، ص 5، وأيضا: الحلل الموشية، ص 145، وأيضا: الأنيس المطرب، ص 289، وأيضا: الذخيرة السنية، ص 63.

[4]- الذخيرة السنية، ص 67.

[5]- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 16.

حاول ابن وانودين الذي عقد له الخليفة الموحدي على مكناسة[1] استغلال هذا الخلاف فتحالف مع بني عسكر ونهض معهم لقتال أبي معرف وقومه فالتقى الجمعان بالقرب من سلفات في حرب شديدة انهزم فيها ابن وانودين وأتباعه واستولى المرينيون على محلته[2] بعدما فر إلى قصر عبد الكريم سنة 638 هـ/ 1240 م[3]. وعلى إثر هذه الأحداث أرسل الرشيد الموحدي جيشا آخر من الموحدين والعرب والروم لقتال بني مرين عند بلدة كرث، فهزم جيش الموحدين هزيمة نكراء بعدما سلبهم المرينيون كل ما معهم من خيل وأموال ورجال وسلاح[4].

وبعد الهزيمة الشنيعة لجيش الرشيد وجيش ابن وانودين ازدادت قوة المرينيين وهيبتهم في المنطقة[5]، فلم يجد الرشيد بدا من مسالمة بني مرين ومهادنتهم فكانت بينه وبينهم مراسلات ومهادنات ودية[6]. ولما تولى السعيد بن المأمون خلافة الموحدين سنة 640 هـ/ 1242 م صرف جهوده لمحاربة بني مرين فأعد لذلك جيشا ضخما يتألف من المصامدة والعرب والغز والروم وقبائل هسكورة[7] والتقى مع الجيش المريني في أحواز فاس سنة 642 هـ/ 1244 م[8]، وانجلت هذه المعركة عن مقتل الأمير أبو معرف محمد وانهزام المرينيين وانسحابهم إلى جبال غياثة بمنطقة تازا ثم خرجوا إلى الصحراء حتى لا يطولهم الموحدون وبدا وكأن أمر بني مرين قد انتهى.

---

[1]- ابن عذارى، البيان المغرب، ج 4، ص 413.

[2]- نفسه، ص 414.

[3]- الذخيرة السنية، ص 63، 64.

[4]- الذخيرة السنية، ص 64، (كرث: مدينة في أقصى المغرب قرب السودان) ينظر في ذلك: البغدادي صفي الدين، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، ط 1، ج 3، دار إحياء الكتب العربية، 1954، ص154.

[5]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 513، 514.

[6]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج 3، ص 415، 416.

[7]- الحلل الموشية، ص 146 ؛ العبر، ج 7، ص 171 ؛ الأنيس المطرب، ص 290 ؛ الذخيرة السنية، ص 66.(الغز: جنس من الترك مواطنهم في أقصى المشرق على تخوم الصين، استعان بهم المرابطون في جيوشهم، تضاعف عددهم في عهد المنصور الموحدي، حيث استفاد الموحدون من تجاربهم وخبراتهم العسكرية)، ينظر في ذلك: المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 288.

[8]- الحلل الموشية، ص 146 ؛ الذخيرة السنية، ص 66 ؛ العبر، ج 7، ص 171 ؛ الأنيس المطرب، ص 290.

لكن الأمور سرعان ما تغيرت عندما تولى أبو يحي أبو بكر بن عبد الحق رئاسة بني مرين (642- 656 هـ/ 1244- 1258 م)[1] ولم يكد يستقر في السلطان حتى راح يسعى جاهدا لتحقيق مشروع سلفه في إقامة دولة فعلية فأظهر مواهبه في الحكم والإدارة وانكشفت حنكته السياسية بعدما أعاد تنظيم قبائل بني مرين[2] وأصلح ما بينها من خلافات وجعلها لحمة واحدة، كما خلع أبو بكر طاعة الموحدين وجهر بها، وأعلن اعترافه بسلطة الحفصيين في إفريقية وبيعته لهم، وظل محافظا على ذلك طيلة حياته[3]. ولعل في هذه الخطوة استغلال للشرخ الذي وقع بين الموحدين والحفصيين وخلافهم حول مبادئ ابن تومرت وتنكر الموحدين لها، الأمر الذي لم يقبله الحفصيون فكان على بني مرين الاستفادة من هذا الوضع لصالحهم في مواجهة أعدائهم، فضلا عن اكتساب حليف قوي في مقابل التقارب الزياني الحفصي والتحالف الموحدي الزياني[4] القائم أساسا على حرب بني مرين.

---

[1]- الذخيرة السنية، ص 66، 67 ؛العبر، ج 7، ص 171 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص 195 ؛ الأنيس المطرب، ص 290.

[2]- قام الأمير أبو يحي بتقسيم البلاد والمناطق التابعة له إلى مقاطعات إدارية ولى على كل منها إحدى قبائل بني مرين وأسرهم وأشياخهم، وأطلق يدهم في جباية الأموال وتحصيل الضرائب، وطالبهم بتجنيد الجند وتأليف قلوب الناس حولهم استعدادا لمواجهة الموحدين، كما اتخذ لنفسه شعائر الملك ومظاهره من تجييش الجيوش واتخاذ الآلة وضرب الطبول وعرض الجند. ينظر في ذلك: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 171، 172 ؛ الأنيس المطرب، ص 290، 291 ؛السلاوي، المصدر السابق، ج 3، ص 11 ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج 4، ص 434.

[3]- حاول أبو بكر بن عبد الحق بهذا الاعتراف إضفاء نوع من الشرعية على أعماله العسكرية أمام الجماهير خاصة وأن الحفصيين دعوا إلى إحياء مبادئ ابن تومرت التي أهملها الموحدون، ومن جهة أخرى حتى يأمن جانبهم فيخرجهم من حلبة الصراع القائم بينه وبين الموحدين وحلفائهم، ينظر في ذلك: ابن قنفد، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص 119 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص 196 ؛ العبر، ج 7، ص 172 ؛ ابن الوردي زين الدين، تاريخ ابن الوردي، ج 2، المطبعة الوهبية، 1285هـ، ص 190 ؛ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 875، 876.

[4]- عن هذا التحالف ينظر: العبر، ج 6، ص 538 ؛ ج 7، ص 165، 166.

وبعد هذا التحالف أخذ أبو بكر في التحرك سياسيا وعسكريا باسم الحفصيين، فاستولى على مكناسة[1] صلحا فبايعه أهلها سنة 643 هـ/ 1245 م[2] وكان ذلك بمساعدة أخيه أبي يعقوب الذي استطاع بفضل حنكته السياسية وعلاقاته الطيبة مع شيوخ المدينة إقناعهم بأهمية الانضواء تحت طاعة أبي بكر وتأييد المرينيين[3].

وهنا أدرك السعيد الموحدي فداحة الخطر الذي تتعرض له دولته فاستنفر الموحدين وقبائل المصامدة والأندلس والأغزاز والعرب والروم، فاستجابوا له جميعا فتمكن من حشد جيش ضخم يقول عنه ابن عذارى:« ارتج له المغرب» فخرج من مراكش سنة 645 هـ/ 1247 م[4] ليضع حدا لبني مرين بطردهم من بلاده والاستيلاء على تلمسان والمسير نحو إفريقية من أجل استعادتها.

وفي الوقت الذي كان الموحدون يستعرضون قوتهم كان المرينيون يراقبون ذلك عن كثب يتجسسون أحوال السعيد، فأدركوا أنهم غير قادرين على مواجهتهم فاضطروا إلى التخلي عن ما ملكوه في نواحي المغرب وارتحلوا إلى تازا وبلاد الريف[5].

---

[1]- مكناسة: مدينة بالمغرب في بلاد البربر على البر الأعظم بينها وبين مراكش أربعة عشرة مرحلة، ينظر في ذلك: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 8، ص 133.

[2]- حاصر الأمير أبو يحي مدينة مكناسة وبدأ يشن الغارات عليها ويدعو أهلها إلى بيعة الأمير أبي زكرياء يحي الحفصي، في الوقت نفسه اضطرمت في نفوس بني عسكر أحقاد المنافسة القديمة فولوا وجوههم صوب السعيد الموحدي يحرضونه على بني عبد الحق، وعلى الفور استجاب لهم مجهزا جيشا سار به نحو فاس وهناك انضم إلى الحلف بنو عسكر وجيش يغمراسن بن زيان وأثار السعيد بذلك ضرب أعدائه ببعضهم البعض، فإذا انهزم بنو مرين فقد تخلص من عدو قريب وإذا انهزم يغمراسن فقد تخلص من عدو يهدد ممتلكات الموحدين في المغرب الأوسط. وقد ورد في المصادر التاريخية أن الأمير المريني أبا يحي بن عبد الحق قال ليغمراسن وبني عسكر:« أن هذا الرجل(السعيد) عزم على غدرنا وغدركم» فتفطن بذلك يغمراسن وبنو عسكر إلى هذا الأمر وبادت محاولة السعيد بالفشل في ذي الحجة سنة 642 هـ/ 1244 م. للمزيد من التفاصيل عن هذه الحادثة ينظر: الذخيرة السنية، ص ص 68- 70 ؛العبر، ج 7، ص 171 ؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس، طبعة حجرية، فاس، 1309 هـ، ص 101 ؛ الحلل الموشية، ص 146.

[3]- الذخيرة السنية، ص 66، 67 ؛ الاستقصاء، ج 2، ص 6 ؛ الأنيس المطرب، ص 272.

[4]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج 4، ص 464 ؛ العبر، ج 7، ص 172 ؛ الذخيرة السنية، ص 76.

[5]- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 101 ؛ الذخيرة السنية، ص 76، 77 ؛ العبر، ج 7، ص 172 ؛الأنيس المطرب، ص 292.

أما الخليفة السعيد فقد تقدم إلى مكناسة فاستقبله أهلها يطلبون عفوه فعفا عنهم وأعطاهم الأمان[1]، ومنها إلى فاس ورباط تازا حيث وصلته وهو في الرباط بيعة الأمير أبي بكر بن عبد الحق المريني مقترحا عليه العودة إلى مراكش، وأن يقوم مقامه في التوجه إلى تلمسان[2] لإخضاع يغمراسن بن زيان[3]. غير أن الموحدين تفطنوا لمغزى هذا الطلب فشكروا الأمير المريني واكتفوا بمساهمته في الحملة فقط بفرقة عسكرية فأمدهم بخمسمائة فارس[4].

وبعد دخول بني مرين تحت طاعة الموحدين سار السعيد نحو تلمسان فحاصرها وبعث إلى يغمراسن يدعوه للمثول أمامه وتقديم البيعة والدخول في طاعته، فاعتذر يغمراسن عن القدوم وأكد طاعته واستعداده لإرسال بعض الفرسان ليحاربوا في صفوف الموحدين أثناء زحفهم على إفريقية، ولجأ هو في قلة من أنصاره إلى قلعة تامز جدرت أو تامززدكت[5] متحصنا بها، غير أن الخليفة السعيد ألح على وجوب مثول يغمراسن أمامه، في الوقت الذي ظل فيه هذا الأخير مصرا على موقفه، فعزم السعيد على ملاحقته فقصد القلعة التي امتنع بها يغمراسن[6]، لكن يغمراسن بن زيان لم ينتظر وصوله بل خرج إليه وفاجأه في الطريق وهو يعاين بنفسه المكان ويتحرى سبيل التمكن من يغمراسن، وبينما هو كذلك إذ عاجله كمين من بني عبد الواد فقتل السعيد الموحدي[7]

---

[1]- جذوة الاقتباس، ص 102 ؛الذخيرة السنية، ص 77 ؛العبر، ج 7، ص 172، 173.

[2]- خاطب الأمير المريني الخليفة السعيد قائلا:« يا أمير المؤمنين لا تتعب نفسك في أمر يغمراسن أنا أكفيك أمره فارجع إلى حضرتك...». ينظر في ذلك: الذخيرة السنية، ص 78 ؛ الأنيس المطرب، ص 293.

[3]- توجه السعيد الموحدي لإخضاع يغمراسن بعدما سمع بالاتفاق الذي تم بينه وبين الحفصيين فغضب لذلك وعزم على تأديبه وردع تصرفاته. ينظر في ذلك: بغية الرواد، ج 1، ص 205، 206.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 173 ؛ الذخيرة السنية، ص 78 ؛ البيان المغرب، ج 4، ص 465 ؛نظم الدر، ص 170.

[5]- تامززدكت: هي قلعة حصينة صعبة المنال تقع في منحدر جنوب وجدة، لا يتم الوصول إليها إلا بعد اجتياز مضايق وشعاب صعبة ملتوية، ينظر في ذلك: العبر، ج 7، ص 168، 169 ؛الأنيس المطرب، ص 187 ؛ بغية الرواد، ج 1، ص206 ؛ نظم الدر، ص 118.

[6]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج 4، ص 387، 388 ؛ الزركشي، المصدر السابق، ص 30، 31 ؛ السلاوي، المصدر المصدر السابق، ج 3، ص 247، 248.

الموحدي[1] ووزيره أبو زكريا بن عطوش، وتفرق جنده فاستولى يغمراسن على محلته وذخائره كالعقد اليتيم وغضار الزمرد ومصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي خطه بيده، فساد الرعب والفزع في صفوف الموحدين الذين فروا مسرعين نحو مراكش[2] تاركين محلتهم نهبا مستباحا ليغمراسن وكان ذلك يوم الثلاثاء أواخر صفر سنة 646 هـ/ 1248 م[3]. بلغ خبر مقتل الخليفة السعيد إلى أبي بكر المريني فانتفض إلى استرجاع المناطق التي كان قد سلمها إلى الموحدين، فاسترد مكناسة وأسرع إلى رباط تازا قبل أن يهاجمه منافسه يغمراسن، ثم استولى على أجرسيف وجمع حصون و قلاع وادي ملوية و سلمها إلى أخيه أبي يوسف، ثم انتهى إلى الاستيلاء على مدينة

[1]- حاصر السعيد الموحدي تلمسان ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع خرج في وقت القيلولة على حين غفلة من الناس فعرفه رجال يغمراسن فانقضوا عليه وقتلوه وبادر يغمراسن إلى السعيد فنزل إليه وهو صريع على الأرض فحياه وفداه وأقسم له على البراءة من دمه، ولما سكنت الفتنة حمله يغمراسن على أعواده ودفنه بالعباد بمقبرة الشيخ أبي مدين، ينظر تفاصيل هذه الحادثة في: بغية الرواد، ج 1، ص 114 ؛ العبر، ج 7، ص 170، 171 ؛ نظم الدر، ص 170 ؛ الأنيس المطرب، ص 293 ؛ البيان المغرب، ج 4، ص 387، 388.

[2]- العبر، ج 7، ص 173 ؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ص 102 ؛ نظم الدر ، ص 170، 171 ؛ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 526، 527.

[3]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 128 ؛ البيان المغرب، ج 4، ص 467 ؛ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 336 ؛ المقري، نفح الطيب، ج 4، ص 384 ؛ بغية الرواد، ج 1، ص 114.

فاس[1] بعد أن طرد منها عاملها الموحدي، فأقبلت عليه الوفود من معظم مناطق المغرب تعلن البيعة والطاعة وكان ذلك سنة 646 هـ/ 1248 م[2].

وبوفاة أبي يحي أبي بكر انتهى بنو مرين من مرحلة الاستيلاء على المدن الكبرى[3] وجعلوا من فاس عاصمة لهم، ولم يبق من تحقيق مشروعهم في إقامة دولة لهم إلا الاستيلاء على مدينة مراكش عاصمة الموحدين.

5- ولاية أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق وإعلان قيام الدولة المرينية:

خلف أبو بكر على حكم بني مرين ابنه عمر، فانقسم حينها بنو مرين على أنفسهم بين مؤيدين ومعارضين، وانتهى الخلاف بتولية عمه أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق[1] الذي واصل سياسة أخيه أبي يحي في فتح الأمصار ومد النفوذ المريني إلى المناطق والنواحي، وقد واجه في فترة حكمه العديد من الثورات الداخلية والخارجية.

---

[1]- دخل الأمير أبو يحي مدينة فاس 26 ربيع الثاني 646 هـ/ 1248 م وظل بها أكثر من عام يضع التنظيمات والقواعد لحكم مملكته، وهناك توافدت عليه البيعات والتهاني من كل صوب، بعدها خرج الأمير المريني إلى غزو بلاد فازاز ومعد وعوام سنة 647 هـ/ 1245 م، فانتهزت بعض العناصر المعادية من رجال فاس هذه الفرصة لتقتل عامل أبي يحي المسعود بن خرباس وتعلن خلع أبي يحي والبيعة للخليفة المرتضى الموحدي، لكن سرعان ما وصلت أنباء هذه الثورة إلى مسامع الأمير أبي يحي فعاد مسرعا وحاصر المدينة ،في الوقت نفسه انتهز يغمراسن بن زيان الموقف للاستيلاء على إقليم رباط تازا وكان الخليفة الموحدي قد استنجد به للوقوف في وجه المرينيين غير أن أبا يحي توجه إلى رباط تازا بعدما تقهقر يغمراسن أمامه إلى وجدة، فدارت بين الطرفين معارك طاحنة عند إيسلي تراجع على إثرها يغمراسن إلى تلمسان فكانت هذه الموقعة =أول لقاء مباشر بين المرينيين وبني عبد الواد. عن هذه الموقعة ينظر: الذخيرة السنية، ص 81، 82 ؛ العبر، ج 7، ص ص173، 175 ؛ جذوة الاقتباس، ص 102 ؛ المسند ، ص 113 ؛ البيان المغرب، ج 4، ص 474 ؛ الزركلي، الأعلام، ج 2، ص 40 ؛ الأنيس المطرب، ص 275 ؛ الاستقصاء، ج 2، ص 8 ؛ روضة النسرين، ص 27.

[2]- العبر، ج 7، ص 173، 174 ؛ الذخيرة السنية، ص 72، 73 ؛ محمد بن عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 532، 533.

[3]- كان بنو مرين قد استولوا على مدينة القصبة وسلا ورباط الفتح وسجلماسة ودرعة بعد صراع طويل مع خصومهم الموحدين وبني عبد الواد. ينظر في ذلك: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 176 ؛ البيان المغرب، ج 4، ص 487 ؛ الذخيرة السنية، ص 87 ؛ جذوة الاقتباس، ص 102 ؛ الاستقصاء، ج 2، ص 9 ؛ المسند ، ص 114 ؛ محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص ص 24-27.

أما الداخلية فمنها ثورة أبي يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق والي سلا الذي نازع عمه في الحكم فأراد الاستقلال عنه بالاتفاق مع تجار من نصارى الإسبان الذين كانوا يزودونه بالسلاح، غير أن هؤلاء غدروا به وفتكوا بأهله فاضطر أبو يوسف يعقوب إلى التدخل لحماية المدينة التي عاثوا فيها قتلا ونهبا، فلاحق ابن أخيه الذي ظل متنقلا من مكان إلى لآخر طريدا من قبل الأمير أبو مالك بن يعقوب بن عبد الحق ومع القائد المريني علي بن زيان[2] حتى قتله القائد المريني طلحة بن علي بساقية عبولة بالقرب من سلا سنة 668 هـ/ 1269 م[3].

كما واجهت أبو يوسف ثورة أخرى قام بها أبناء أخيه إدريس[4] وتزعمها كبيرهم محمد بن إدريس، فأعلنوا عصيانهم بقصر كتامة متأثرين بحركة ابن عمهم يعقوب بن عبد الله، غير أن الأمير أبا يوسف يعقوب تمكن من احتواء هذه الثورة دون قتال بفضل حنكته وسياسته الحكيمة، حيث استرضاهم وعقد لعامر بن إدريس سنة 660 هـ/ 1261 م على ثلاثة آلاف فارس ووجههم إلى الحرب والجهاد ضد نصارى الأندلس لمآزرة ابن الأحمر واستجابة لطلب العون والنصرة التي كان قد تقدم بها لأبي يوسف لاسترداد بعض ما كان قد فقده من أملاكه على يد النصارى، وتعتبر هذه المبادرة أول حملة وأول قوة مرينية تعبر إلى الأندلس[5]، وبهذا التصرف أمن شر أبناء أخيه إدريس من

---

[1]- بويع أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بمدينة فاس في شوال من سنة 657 هـ/ 1258 م بعد صلح تم بينه وبين أخيه عمر الذي ولي مكناسة وأحوازها. ينظر في ذلك: الذخيرة السنية، ص 90 ؛ العبر، ج 7، ص 177 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص 196 ؛ روضة النسرين، ص- ص 27، 30 ؛ الأنيس المطرب، ص 290.

[2]- السلاوي، الاستقصا، ج 2، ص 11.

[3]- ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 179 ؛ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 551.

[4]- كان أبناء إدريس يرون أنهم أحق برئاسة بني مرين من عمهم يعقوب لأن أباهم إدريس هو أكبر أبناء عبد الحق. ينظر في ذلك، السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 12 ؛ ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 178.

[5]- الذخيرة السنية، ص 98، 99 ؛ العبر، ج 7، ص 179 ؛ الأنيس المطرب، ص 303، وها هو ذا شاعر الأندلس مالك بن المرحل يدعو أهل المغرب لإنقاذ مسلمي الأندلس من بطش نصارى إسبانيا في قصيدة مطلعها:

استنصر الدين بكم فاستقدموا ✧ فإنكم إن تسلموه يسلم

لا تسلموا الإسلام يا إخواننا ✧ وأسرجوا النصرة وألجموا

للإطلاع على هذه القصيدة ينظر: الذخيرة السنية، ص 108، 109.

جهة واستجاب لنوازعه النفسية في جهاد العدو بالأندلس والتقرب من بني نصر فيها من جهة أخرى.

وبينما كانت الجيوش المرينية تواصل عملها في الأندلس وبعدما فرغ أبو يوسف من تنظيم شؤون سلا و إصلاح ما تخرب منها تقدم بقواته إلى تامسنا فأخضعها ومنها استولى على أسفي[1].

وبذلك وصل النفوذ المريني حتى وادي أم الربيع[2] مما اضطر المرتضى الموحدي ليبادر بإرسال وفد إلى الأمير يعقوب بن عبد الحق يهاديه ويطلب عقد صلح بينهما فوافق الأمير أبو يوسف على الصلح على أن يكون وادي أم الربيع هو الحد الفاصل بينهما، ولعل في هذا الصلح اعتراف صريح من الموحدين بالوجود المريني.

وفي الوقت نفسه عقد الأمير يعقوب صلحا آخر مع يغمراسن بن زيان عند جرجمان أساسه المحافظة على السلم بين الطرفين ووضع أوزار الحرب بينهما[3]، وفي هذا الاتفاق توزيع لمناطق النفوذ بين الأطراف المتصارعة. لم يدم الصلح الذي عقد بين المرينيين والموحدين زمنا طويلا حيث لم ينتظر أبو يوسف يعقوب طويلا للقيام بالخطوة الحاسمة في التوجه نحو العاصمة الموحدية وافتتاحها، فتحرك نحوها سنة(659- 660 هـ/ 1260- 1261 م)[4] على الأرجح حيث التقت الجيوش المرينية بجيوش الموحدين الضخمة المؤلفة من وجوه الموحدين وأشياخهم من سفيان والخلط والأثبج وبني جابر والعاصم وقواد الروم والأغزاز والمصامدة[5] عند بطن وادي أم الربيع في

---

[1]- العبر، ج 7، ص 178 ؛ الاستقصا، ج 3، ص 23.

تامسنا: إقليم يبتدئ غربا عند أم الربيع وينتهي إلى أبي رقراق شرقا والأطلس جنوبا وشواطئ البحر المحيط شمالا. للمزيد من التفاصيل عن هذه المنطقة ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 194، 195. أما أنفا: فهي مدينة في = =تامسنا أسسها الرومان على بعد نحو ستين ميلا شمال الأطلس. ينظر الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 196، 197.

[2]- الأنيس المطرب، ص 302 ؛ الذخيرة السنية، ص 104.

[3]- ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 178 ؛ السلاوي، الاستقصا، ج 2، ص 11.

[4]- يذكر ابن أبي زرع وصاحب الذخيرة السنية أن التحرك نحو مراكش كان سنة 659 هـ/ 1260 م بينما ذكر ابن خلدون أنه كان سنة 660 هـ/ 1261 م. الأنيس المطرب، ص 302 ؛ الذخيرة السنية، ص 105 ؛ العبر، ج 6، ص 260.

[5]- الذخيرة السنية، ص 105.

معركة ضارية سميت بأم الرجلين مني فيها الموحدون بهزيمة شنيعة[1] وانصرف بنو مرين بعدها إلى بلادهم[2].

ولم يمض وقت طويل حتى عبأ الأمير بن يعقوب بن عبد الحق جيشا ضخما سار به نحو مراكش، فأقام بجبل إكليز[3] ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع التقى جيشه بجيوش الموحدين بقيادة أبو العلاء إدريس المعروف بأبي دبوس حيث دخل الجيشان في معارك ضارية استمرت قرابة الشهرين[4]. فقد فيها الأمير يعقوب ابنه الأمير عبد الله بن يعقوب[5]، فاضطر الأمير يعقوب إلى الانسحاب بقواته فأرسل المرتضى الموحدي رسالة يعزيه فيها ويعهد له بإتاوة سنوية يبعثها له فرضي الأمير أبو يوسف بذلك[6]. وفي سنة 663 هـ/ 1264 م حاول يعقوب بن عبد الحق الاستيلاء على مراكش مرة أخرى فوصل إلى أحوازها وهناك بايعته أكثر القبائل المحيطة بالمدينة من العرب والمصامدة، فاكتفى الأمير المريني بذلك وعاد إلى فاس[7]، ولم يلبث أبو يوسف يصل إلى فاس حتى وصل إليه أبو العلاء إدريس ابن عبد الله بن أبي حفص بن الخليفة عبد المؤمن بن علي الموحدي الملقب بأبي دبوس مستجيرا به[8]، فأحسن أبو يوسف استقباله وأكرم وفادته مستغلا في ذلك الخلاف الذي نشب في البيت الموحدي بين الخليفة المرتضى وأبي دبوس ليعقد مع هذا الأخير اتفاقية فحواها تقسيم ما يستولي عليه أبو دبوس فيما هو مقبل عليه مناصفة بينهما، وذلك

---

[1]- وقعت هذه المعركة بين بني مرين والموحدين بوادي أم الربيع في موضع شبيه بجزر صغيرة، ينحصر فيها الماء فتبدو وكأنها أرجل فسميت بذلك موقعة أم الرجلين. عن تفاصيل هذه الموقعة ينظر: الذخيرة السنية، ص 105 ؛ العبر، ج 7، ص 179؛ الاستقصا، ج 2، ص 12 ؛ الأنيس المطرب، ص 202.

[2]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 553 ؛ محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 314.

[3]- العبر، ج 7، ص 179 ؛ الذخيرة السنية، ص 107 ؛ الاستقصا، ج 2، ص 12.

[4]- الذخيرة السنية، ص 107.

[5]- الذخيرة السنية، ص 107 ؛ العبر، ج 7، ص 179.

[6]- الذخيرة السنية، ص 107 ؛ الاستقصا، ج 2، ص 12 ؛ العبر، ج 7، ص 180.

[7]- الأنيس المطرب، ص 304 ؛ الذخيرة السنية، ص 123.

[8]- الحلل الموشية، ص 141 ؛ العبر، ج 7، ص 180.

مقابل إمداده بالمال والجند في حركته للاستيلاء على عرش مراكش[1]. وتأمينا لمشروعه وتطلعا لغايته لم يتوان أبو يوسف يعقوب في إمداد الثائر الموحدي أبا دبوس بكل ما يحتاجه من مال وجند وعتاد[2]، فسار أبو دبوس بهذه القوة في ذي القعدة سنة 663 هـ/ 1264 م فمر بمكناس ثم بالمعدن ومنها إلى تادلا ونزل بهسكورة جنوب شرق مراكش على زعيمها مسعود بن جلداسن. وهناك وفد عليه أنصاره من الموحدين والجند الراغبين في خدمته وأطاعته قبائل عديدة لما أصابها من المرتضى نتيجة اتهامهم بالتواطؤ مع أبي دبوس[3]. فانتشرت بذلك الفوضى وصارت مراكش لقمة سائغة تنتظر طريقها، وبذلك استطاع أبو دبوس دخول المدينة بسهولة من باب أغمات[4] خاصة بعد فرار المرتضى ولجوئه إلى صهره ابن عطوش والي مدينة أزمور مستنجدا بهذا الأخير الذي تنكر له ولم يراع صلته به، فرفض استقباله فلجأ بمن معه إلى مغارات على الشاطئ ورجال أبي دبوس يترصدونه حتى قبضوا عليه في مخبئه فسلم إلى صهره الذي أوثقه واقتاده إلى أبي دبوس أسيرا، حيث أمر بالتخلص منه وبذلك تولى أبو دبوس خلافة الموحدين تحت لقب الواثق بالله[5].

---

[1]- الذخيرة السنية، ص 124 ؛ الأنيس المطرب، ص 304.

[2]- تبعا لهذه الاتفاقية أمر أبو يوسف يعقوب بإمداد أبي دبوس بخمسة آلاف من الجند المريني، وأعطاه أموالا كثيرة بلغت حسب تقدير ابن خلدون خمسة آلاف دينار عشرية، وأمده بآلات الحرب والقتال، كما أمر القبائل الخاضعة لنفوذه بدعم أبي دبوس بالعتاد والرجال فمن هذه القبائل نذكر: قبائل الخلط بزعامة ابن أبي علي الخلطي، وقبائل هسكورة وهزرجة، وقد= =تضاعف هذا الجيش بانضمام العرب والموحدين الخارجين عن المرتضى الموحدي والنصارى. ينظر في ذلك: الذخيرة السنية، ص 124 ؛ العبر، ج 7، ص 179 ؛ الزركلي، الأعلام، ج 9، ص 262 ؛ الاستقصا، ج 3، ص 25 ؛ الأنيس المطرب، ص 304 ؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ط 1، دار السلمى، الدار البيضاء، 1965، ص 260، 261.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 180.

[4]- أغمات: مدينة واقعة على بعد نحو أربعة وعشرين ميلا من مراكش مبنية على منحدر جبل من جبال الأطلس وكانت تدعى أيام الموحدين بمراكش الثانية، محاطة بالبساتين البديعة وحقول الكروم، تربتها خصبة وماؤها وفير. ينظر في ذلك: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 135، 136 ؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص 90.

[5]- عن تفاصيل فرار المرتضى وتنقله من مكان إلى آخر حماية لنفسه ثم الإمساك به وقتله مع اختلاف في التفاصيل بين المؤرخين. ينظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 548، 549 ؛ السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 12، ؛ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 129 ؛ الحلل الموشية، ص 141 ؛ الذخيرة السنية، ص 110، 111 ؛ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 558 ؛ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج 1، ص 304 ؛ محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 33.

فوصل خبر دخول أبي دبوس مراكش إلى أبي يوسف يعقوب فبعث إليه رسولا يهنئه بالفتح ويذكره بالاتفاق الذي كان بينهما مطالبا إياه بالوفاء بالعهد غير أن أبا دبوس تنكر لتلك الوعود وخاطب أبا يعقوب مخاطبة الملوك لولاتهم، والخلفاء إلى عمالهم، والرؤساء إلى خدامهم على حد تعبير صاحب الذخيرة قائلا:« ما بيني وبينه عهد إلا السيف، ارجع إليه ومره أن يبعث بيعته وأقره على ما بيده من البلاد، فإن بادر بالبيعة وسارع إلى الخدمة خير له من الدنيا والآخرة وإن امتنع من ذلك غزوته بجنود لا قبل له بذلك»[1].

غضب أبو يوسف يعقوب على إثر وصول هذه الرسالة فعزم على غزو مراكش بمهاجمة أبي دبوس والقضاء عليه، فسار إليه في جيش ضخم فعبر وادي أم الربيع واقترب من وادي تنسيفت متبعا في مسيره ما يسمى بسياسة الأرض المحروقة من نسف المحاصيل الزراعية وتخريب الضياع وتهديم الآثار، وتخريب الطرقات والجسور والدور، وأغار على القبائل المؤيدة للموحدين بقوة وعنف، فاضطربت أحوال البلاد وانقطعت الموارد عن العاصمة وقلت الأقوات وغلت الأسعار[2] فأحكم بذلك أبو يوسف حصار المدينة، ولما رأى أبو دبوس أن الأحداث تسير في غير صالحه أرسل إلى أبي يوسف الشيخ الصالح أحمد بن مخلوف الهسكوري ومعه هدية ثمينة ورسالة شفوية يتعهد فيها بالوفاء لأبي يوسف بما سبق من عهد، فرضي بذلك أبو يوسف وعاد إلى فاس[3]. ولعل في هذه العودة فرصة عظيمة لأبي دبوس لالتقاط أنفاسه، حيث خرج إلى السوس يدعو عرب الخلط والمعقل لمبايعته وفي الوقت نفسه وصلته بيعة يغمراسن بن زيان واعدا إياه بالدعم والمؤازرة في حرب بني مرين قائلا: « إياك أن تطمع بنو مرين فيما لديك فأنا أكفيك شرهم وأنا وأنت يد واحدة في حربهم»[4].

---

[1]- الذخيرة السنية، ص 111 ؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 126 ؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 336.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 180 ؛ السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 12 ؛ الذخيرة السنية، ص 115.

[3]- الذخيرة السنية، ص 126.

[4]- نفسه ، ص 127.

ونتيجة لهذه التطورات شعر أبو دبوس أنه في موقف قوة فنقض عهد المرينيين فخرج أبو يوسف يعقوب لحصاره مرة ثانية في مراكش وحاصره حصارا شديدا فانتشرت المجاعة ببلاده وغلت الأسعار، الأمر الذي جعله يستنجد بيغمراسن بن زيان وعلى الفور قام يغمراسن بشن غارات على أطراف المغرب خاصة بوادي ملوية[1]، متبعا بدوره سياسة الأرض المحروقة فاضطربت أحوال تلك المنطقة، مما اضطر أبا يوسف للانسحاب ورفع الحصار مؤقتا ليعد العدة للقاء بني عبد الواد. ثم خرج من فاس ليلتقي بخصمه في وادي تلاغ إلى الشرق من نهر ملوية في معركة ضارية مني فيها يغمراسن بن زيان بهزيمة نكراء، قتل فيها عدد كبير من أكابر بني زيان وفي مقدمتهم أبو حفص عمر بن يغمراسن وكان ذلك في ربيع الأول سنة 666 هـ/ 1267م[2].

وقد وضعت هذه الهزيمة حدا لأطماع بني زيان في منافسة بني مرين على زعامة زناتة، وارتد يغمراسن إلى تلمسان مقتصرا على تكثيف جهوده للمحافظة على إمارته في إقليم تلمسان، وركن لموارعة بني مرين خاصة بعد المعارك العديدة التي جمعت بينهم[3].

أما أبو يوسف يعقوب فقد اتجه بقواه كلها إلى الجنوب للفراغ من أمر الموحدين، فجمع حشوده وخرج من فاس في شعبان 666 هـ/ 1268 م وعبر وادي أم الربيع وكالعادة انتسف الزروع وخرب القرى والدور، وغزا القبائل المؤيدة للموحدين كتادلا[4] وصنهاجة[5] وغيرها. فاتخذ خطة عمادها الانسحاب والتراجع التدريجي نحو الشمال أي التظاهر بالفرار وألا يصطدم معه إلا في المكان والزمان الذي يختاره. وكان الجيش الموحدي يقتفي أثره من مكان لآخر حتى وصلوا إلى

---

[1]- الذخيرة السنية، ص 130 ؛ ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 180.

[2]- ابن الأحمر، روضة النسرين، ص 21 ؛ الذخيرة السنية، ص 131 ؛ الأنيس المطرب، ص 305 ؛ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 567 ؛ محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 34.

[3]- ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 182 ؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 21 ؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 23.

[4]- تادلا: إقليم غير شاسع يبتدئ من نهر العبيد وينتهي عند نهر أم الربيع عند منبعه، كما ينتهي جنوبا بين جبال الأطلس، وشمالا في المنطقة التي يلتقي فيه وادي العبيد ونهر أم الربيع في شكل مثلث. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 176.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 182 ؛ الأنيس المطرب، ص 306 ؛ السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 13.

وادي غفو[1] وهناك توقف بنو مرين واستداروا للقاء الموحدين، فنشبت بينهم معركة ضارية انتهت بهزيمة الموحدين ومقتل أبي دبوس واستيلاء بني مرين على محلتهم وذلك في محرم 668هـ/ 1269م[2].

ولما بلغت أخبار هذه الهزيمة العاصمة مراكش فر أقارب الخليفة الموحدي إلى جبال تنملل حيث بايعوا هناك إسحاق أخ المرتضى ولكنه كان شيخا كبيرا لا أثر له[3]. في حين دخل أبو يوسف مراكش في موكب حافل استقبله فيها وجهاء القوم من الفقهاء والقضاة والأشياخ مبايعين له، ملتمسين له الأمن والأمان فأمنهم وطمأنهم، فاستقرت الأحوال وسادت السكينة والهدوء المدينة ونزل أبو يوسف في قصبتها[4]، وبهذا الانتصار الضخم وسقوط مراكش في يد أبي يوسف يعقوب طويت آخر صفحة من صفحات دولة الموحدين بالمغرب لتبدأ عهدا جديدا بإعلان قيام دولة أخرى في ربوع المغرب الأقصى هي دولة بني مرين الزناتية[5].

وبسقوط دولة الموحدين عادت منطقة المغرب إلى جو الصراع القبلي الذي كان سائدا قبل العصر المرابطي، والذي كانت عواقبه وخيمة على الأندلس[6] والمغرب معا. وبالرغم من أن هذه

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 182 ؛ الذخيرة السنية، ص 132، 133 ؛ السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص 13.

[2]- الذخيرة السنية، ص 134 ؛ ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 182 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص 197، ؛المقري، نفح الطيب، ج 4، ص 384 ؛ الأنيس المطرب، ص 205 ؛ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص ص 568، 750 ؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 21.

[3]- بقي إسحاق الموحدي في تنملل حتى قبض عليه مع جماعة الموحدين سنة 674 هـ، حيث سيقوا جميعا إلى مراكش أين أعدموا. ينظر في ذلك ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 182 ؛ السلاوي، الاستقصا، ج 2، ص 13.

[4]- الذخيرة السنية، ص 134 ؛ السلاوي، ج 2، ص 13.

[5]- سار أبو يوسف يعقوب على تقاليد كبار مؤسسي الدول في المغرب، حيث بدأ بتأسيس عاصمة للبلاد فاختار لمدينته الجديدة هضبة مرتفعة ينحدر سطحها انحدارا بطيئا تمتد إلى غربي فاس القديمة يمر فيها وادي فاس، وسماها أول الأمر المدينة البيضاء، ثم فاس الجديدة، وبنى فيها مسجدا جامعا وصلى فيه، وأقام فيها القصور ودور الحكومة، والأسواق وغيرها، ثم واصل فتح ما بقي من المغرب من مدن كسبتة وطنجة. ينظر في ذلك: روضة النسرين، ص 29 ؛ الذخيرة السنية، ص 161، 162 ؛ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 21، 22.

[6]- ما إن استقر المرينيون بمراكش وخضعت لهم كل قبائل المغرب الأقصى حتى شرعوا في بسط نفوذهم شمالا نحو الأندلس وشرقا نحو المغربين الأوسط والأدنى، ونجحوا في عهد السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق في العبور أربع مرات إلى

القبائل تكتلت في التشكيلات السياسية الثلاثة: الحفصية، الزيانية، المرينية فإن الصراع ازداد بشراسة ترجمته العلاقات العدائية الدائمة بين الزيانيين والمرينيين بصفة خاصة، والتي كانت مختفية وراء ظل الدولة الموحدية بعد هزيمة العقاب لتبرز بعد سقوطها في شكل مواجهة وصراع سياسي وعسكري مر بمراحل عديدة كانت الدولة الزيانية وعاصمتها تلمسان مهددة في وجودها خلالها، باعتبار أنها كانت بؤرة توتر ومسرح للأحداث لوقوعها بين شقي رحى، هذا ما نتعرض له في الباب الثالث المتعلق بالعلاقات السياسية بين المغربين الأوسط والأقصى.

6- الحدود السياسية للدولة المرينية:

لم تكن حدود الدولة ثابتة حيث امتدت أيام أبي سعيد عثمان بن يعقوب(710- 731 هـ/ 1310- 1331 م) في الجنوب إلى معاقل الصحراء وقصور توات وتيكورارين وتمنطيت[1]، كما امتدت في فترات إلى خارج المغرب الأقصى فامتلك يعقوب بن عبد الحق (685- 706 هـ/ 1307- 1386 م) الأندلس ثلاثة وخمسون مسورا ما بين مدن وحصون، زيادة على القرى والبروج التي تزيد على الثلاثمائة[2]. وكان الحد بينه وبين المملكة النصرية هو حصن ذكوان بمقربة من مالقة[3]، كما أن يوسف بن يعقوب بسط نفوذه على نواحي كثيرة من المغرب الأوسط[4] أثناء حصاره لتلمسان سنة 698 هـ/ 1299 م[5] كندرومة وهنين ووهران وتاوانت[6]

الأندلس لنصرة سلاطين غرناطة ضد القشتاليين، فكانت آخر حملاتهم إلى الأندلس في سنة 684 هـ/ 1285 م، توفي عقبها السلطان يعقوب بن عبد الحق فخلفه ابنه أبو يعقوب يوسف الذي سار على نهج والده. ينظر في ذلك: الذخيرة= =السنية، ص ص 143، 163 ؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ص 23، 30 ؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص870، 871 ؛ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص ص 21، 29.

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 244.

[2]- الذخيرة السنية، ص 98.

[3]- الأنيس المطرب، ص 284.

[4]- نفسه، الصفحة نفسها .

[5]- ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 221.

[6]- تاونت: مدينة تقع على الهضبة المشرفة شرقا على نمور(الغزوات) وكانت هي ومدينة وجدة تابعتين لتلمسان، كما كانت كلتاهما منطقة صراع وتبادل نفوذ بين بني عبد الواد وبني مرين. ينظر في ذلك:

A. DHINA : le royaume Abdalwadide , P 25.

ومزغران ومستغانم وتنس وشرشال وبرشك والبطحاء ومازونة والونشريس ومليانة والقصبات والمدية وتازجدت وبلاد توجين ومغراوة[1]. وفي بعض أيام أبي الحسن المريني (731- 752 هـ/ 1331- 1351 م) توحد المغرب الإسلامي تحت قيادته من السوس الأقصى إلى مصراته قرب الحدود المصرية، زيادة على انفتاح مملكته إلى رندة بالأندلس[2]، وفي أيام أبي عنان (752- 759 هـ/ 1351- 1357 م) برقت بارقة لاستعادة وحدة المغرب الإسلامي سرعان ما خفتت[3]. أما الفترة الواقعة بعد عهد أبي عنان إلى نهاية الدولة فلم يحدث فيها أي امتداد منظم نحو شرق المغرب، ولا يستثنى من هذا سوى غارات عابرة ارتجلها ملوك وحكام مرينيون[4]، وقد امتدت قوة الدولة المرينية حتى أيام أبي الحسن ثم أخذت في التراجع تأثرا بعدة عوامل منها: الضعف الذي آل إليه الجيش المريني بعد موقعتي طريف[5] والقيروان[6]، حيث انقطع العبور المريني إلى الأندلس وفشلت وفشلت محاولة استعادة الإمبراطورية الموحدية في شمال إفريقيا.

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 256، 258 ؛ السلاوي، المصدر السابق، ج 3، ص 79، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 386 ؛ الزركشي، المصدر السابق، ص 72 ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج 2، ص 424؛ ابن الأحمر، روضة النسرين، ص 22، 23.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 270.

[3]- نفس المصدر، ص 296، 298 ، 301، 302.

[4]- نفسه، ص 302، 303، 311، 328، 348، 361، 362.

[5]- موقعة طريف: هي موقعة ريو سلاد، وقعت حسب ما يذكر السلاوي يوم الاثنين 27 جمادى الثانية 741 هـ/ 1340 1340 م، دارت بين السلطان أبو الحسن المريني وقوات النصارى، هزم فيها السلطان المريني فكانت محنة عظيمة للمسلمين لا تقل في قسوتها عن هزيمة العقاب، حيث يقول عنها ابن الخطيب في الإحاطة:« ... فهذه الواقعة بين الدواهي المعضلة الداء والإرداء، التي تضوضع لها ركن الدين بالمغرب وقرت لها عيون الأعداء». عن هذه الموقعة ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج 2، ص 180 ؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 6، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (ب.ت)، ص 128 ؛ محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ط 3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1966، ص 128.

[6]- موقعة القيروان: دارت هذه الموقعة بين قوات السلطان أوب الحسن المريني والقبائل العربية المستوطنة بإفريقية سنة 749 هـ/ 1384 م حيث تعرضت قوات السلطان المريني لانتكاسة خطيرة تعد أكثر فداحة من موقعة طريف بالنسبة للمرينيين حيث يذكرها الزركشي فيقول:« فاختل مصاف السلطان أبي الحسن وذهبت محلته بكل ما فيها، وكان جيشها يزيد على ثلاثين ألف فارس، ولجأ السلطان في شر ذمة فتحصن بالقيروان». ينظر : تاريخ الدولتين، ص 48 ؛ ابن قنفذ ،الفارسية، ص170 ؛ السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 78 ؛ ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 275، 276 .

7- سقوط الدولة المرينية:

اجتمعت العديد من العوامل الداخلية والخارجية التي ساهمت في إسقاط دولة بني مرين والتي استطاعت بفضل قوة سلاطينها وحنكتهم أن تبسط نفوذها على أجزاء كبيرة من المغرب الإسلامي، ولعل أهم هذه العوامل تلك الحروب المستمرة بينهم وبين بني زيان وبني حفص[1] من جهة وبينهم وبين القبائل العربية والبربرية من جهة أخرى، واستمرار التحرشات والتدخلات المسيحية[2] والتي حتما أنهكت قوى الدولة.

ومما لاشك أن التدهور الاقتصادي الذي كانت تعاني منه سائر بلاد المغرب أواخر القرن 8 هـ وأوائل القرن 9 هـ قد انعكس على الحياة السياسية في الدولة، حيث شهدت البلاد عددا من الكوارث والأوبئة التي أطاحت بكثير من عناصر قوتها الاقتصادية، ولعل أخطرها وباء الطاعون الذي كان قد تفشى واستفحل أمره في الشرق والغرب في منتصف القرن الثامن الهجري وشمل بلاد المغرب بكاملها[3]. حيث يذكره السلاوي نقلا عن ابن خلدون فيقول:« نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي يخيف الأمم وذهب بأهل الجبل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حسن هرمها، وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وفل من حدها وأوهن من سلطانها وتداعت إلى التلاشي والاضمحلال أحوالها،

---

[1]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 81، 82.

[2]- اتخذت هذه التدخلات مظاهر مختلفة، فبعضها ظهر في صبغة التأييد المعنوي لملك معين، وأحيانا عن طريق الإمدادات العسكرية، ثم انتهى بالتدخل المسلح المباشر. فالسلطان أبو سالم لقي تشجيعا من ملك قشتالة لتولي عرش المغرب بعد أبي بكر سعيد، واستعان الوزير مسعود بالقشتاليين في عهد أبي زيان الثالث لمناوشة بني الأحمر الذين كانت لهم يد طولى في تنصيب وعزل ملوك بني مرين، وبعد احتلال سبتة سنة 818 هـ من قبل البرتغال تطور التدخل المسيحي واتسع مداه. ينظر في ذلك: إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 81. وعن تدخلات بني الأحمر في شؤون بني مرين ينظر: محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص ص 171- 181.

[3]- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 144.

وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر، فخربت الأمصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل»[1].

عانت الدولة المرينية من هذا الوباء الخطير(الطاعون) سنة 846 هـ/ 1442 م، أذهلت عددا كبيرا من علمائها وأعيانها[2].

وإضافة إلى الأوبئة انتشرت المجاعات التي تسبب فيها النقص الشديد في المواد الغذائية، وندرة الأمطار، وتفشي الجفاف في أنحاء كثيرة من المغرب الإسلامي خاصة تلك التي حدثت في سنة 776 هـ/ 1374 م[3]. وابن القنفذ القسنطيني كان شاهد عيان لهذه المجاعة إذ كان مقيما بالمغرب الأقصى وهم بالرحيل إلى بلده قسنطينة فنجده يقول:« وفي هذه السنة كانت المجاعة العظيمة، وعم الخراب المغرب... وكان أمر الطريق في الخوف والجوع بحيث أن كل من تقدم عليه يتعجب من وصولنا سالمين، ثم عند ارتحالنا من عنده يتأسف علينا حتى أن منهم يسمعنا ضرب الأكف خلفنا تحسرا علينا»[4].

وإضافة إلى التدهور الاقتصادي الذي كانت له آثار وخيمة على بلاد المغرب بشكل عام والدولة المرينية بشكل خاص، فقد تفاقمت المشاكل الداخلية واشتدت الصراعات حول العرش، وضعفت شخصية السلاطين إذ فتح الباب على مصراعيه لاستبداد الوزراء بالحكم دون السلاطين، وتبدأ هذه المرحلة بتولي السلطان أبي سعيد عثمان بن أبي العباس أحمر سنة 800 هـ/ 1398 م[5] إذ كان صغيرا لا يتعدى السادسة عشرة من عمره وهو سن لا يسمح له بإدارة شؤون

---

[1]- نفسه ، الصفحة نفسها.

[2]- السلاوي: المصدر السابق، ج 2، ص 151. ويقول عبد الرحمن بن خلدون في هذا الصدد:«... هذا إلى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة ومن الطاعون الجارف الذي تخيف الأمم وذهب بأهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر فخربت الأمصار وضعفت الدول والقبائل...». ينظر في ذلك: العبر، ج 1، ص 52، 53.

[3]- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 143.

[4]- نفسه ،الصفحة نفسها.

[5]- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 144.

البلاد، فآل الأمر للحجاب والوزراء[1] الذين قوي نفوذهم وأصبحت جميع الخطط والوظائف السلطانية بيدهم، فاشتدت المؤامرات وكثرت الفتن والاضطرابات، وأصبحت الدولة غير قادرة على حماية حدودها، خصوصا بعد مبايعة السلطان أبي سعيد عثمان للسلطان أبي فارس الحفصي[2]. فكانت هذه البيعة إيذانا بالضعف الذي أصاب المرينيين والذين جعلهم تابعين لبني حفص في تونس، إضافة إلى فقدانهم أجزاء كثيرة من أراضيهم. ففي سنة 818 هـ/ 1415 م استولى خوان الأول ملك البرتغال على سبتة وضمها إلى أملاكه في بلاد الأندلس[3]، وبتولية عبد الحق بن أبي سعيد[4] ازداد ضعف بني مرين وتداعى أمرهم إلى الانحلال و اشتدت وطأة الوزراء والحجاب حيث تولى هذا المنصب مجموعة من أبناء البيت الوطاسي ومنهم يحي بن زيان الوطاسي الذي قضى على تمرد الشاوية إلا أنه قتل سنة 852 هـ/ 1448 م[5].

فتولى بعده علي بن يوسف الوطاسي[6]، ويحي بن يحي بن زيان الوطاسي[1]، وكان تولي هذا هذا الأخير للوزارة بداية لشر مسيطر على الدولة المرينية إذ غير مراسم الملك وعوائد الدولة، وزاد

---

[1]- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 289 ؛ ابن الأحمر، روضة النسرين، ص 18، 19.

[2]- منح السلطان أبو سعيد عثمان بعض العناصر الثائرة على السلطان أبي فارس الحفصي حق اللجوء السياسي من أعراب إفريقية من سليم، لا بل ضمهم إلى جيشه وجعل قيادتهم إلى أبي عبد الله محمد بن أبي زكرياء الحفصي صاحب بونة وكان ثائرا على السلطان الحفصي، فبادر هذا الأخير إلى تأديبهم جميعا فهزمهم وقتل قائدهم أبو عبد الله، واستولى على تلمسان وتقدم نحو السلطان المريني الذي أرسل إليه يستعطفه بعدما عجز عن مواجهته وأعلن مبايعته. ينظر في ذلك: السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 146، 147 ؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ص 289 ؛ الزركشي، المصدر السابق، ص ص 126-150.

[3]- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 147 ؛ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 81 ؛ محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 183.

[4]- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 148.

[5]- الشاوية: هم من ولد حسان بن أبي سعيد الصبيحي، وهم بطن من بطون قبائل سويد إحدى قبائل بني مالك بن زغبة الهلاليين، وقد كان حسان هذا يتولى رعاية إبل السلطان يعقوب بن عبد الحق وماشيته، فأصبحت له مكانة رفيعة عند السلطان، وتوارث بنوه هذه المهمة التي أطلق عليها" خطة الشاوية"، وعلى من يقوم بها من بنيه بالشاوية، ينظر في ذلك: السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 135، 136.

[6]- إشتغل علي بن يوسف الوطاسي بإخماد ثورة الشاوية التي لقي حتفه فيها سنة 863 هـ/ 1458 م ،وتم نقل جثمانه إلى إلى فاس حيث دفن في مقابر المرينيين.

ونقص في الجند ونقض جل ما أبرمه قبله من الوزراء، وعامل الرعية بالعنف والتعسف حيث عزل قاضي فاس الفقيه أبا عبد الله محمد بن عيسى بن علال المصمودي وعين مكانه الفقيه يعقوب التسولي[2]. واستمر يحيى بن يحيى في تصرفاته مستبدا بالأمر يؤيده في ذلك بنو الوطاس مما أقلق السلطان عبد الحق لذا بادر بالقبض عليهم جميعا ونكبتهم. فظل منصب الوزارة شاغرا لا يتولاه أحد لخوف السلطان من نفوذ الوزراء واستبدادهم.

وفي الوقت نفسه وصلت إلى السلطان عبد الحق أخبار بأن الرعية ناقمة عليه لتنكيله بالوطاسين، وأنهم يلتفون حول محمد الشيخ صاحب أصيلا[3] فحقد عليهم السلطان وعمد إذ ذاك إلى تعيين اثنين من اليهود في منصب الوزارة وهما: هارون وشاويل[4]، مما أثار غضب الرعية خاصة وأن هذا التصرف يمس عواطفهم الدينية، فقد السلطان عبد الحق تأييد شعبه لاسيما بعدما عاث الوزيران فسادا في البلاد، إذ أخذا أهل فاس بالضرب ومصادرة أموالهم، وتحكما في أشرافها وفقهائها، واستمر الظلم والتعسف بأهلها، فوصلت الدولة إلى درجة كبيرة من الضعف والانحلال[5]، فلم يستطع السلطان عبد الحق إنقاذ طنجة التي هاجمها الإسبان واستولوا عليها سنة 869 هـ/ 1465 م[6].

---

[1]- السلاوي، المصدر السابق،ج 2، ص 150.

[2]- ألقى السلطان عبد الحق القبض علي كل من تدور حوله شبهة بني وطاس ومنهم الوزير يحي وعلي وأخويه أبي بكر وأبي شامة وعلي وعمهم فارس بن زيان وقريبهم محمد بن علي بن يوسف فأتى على ذبحهم جميعا، ولم ينج من هذه المذبحة إلا اثنان محمد الشيخ ومحمد الحلو اللذان كانا في الصيد. ينظر في ذلك: السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 150 ؛محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص 165 ؛ محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 185 ؛ محمد خير فارس ومحمود علي عامر، تاريخ المغرب العربي الحديث" المغرب الأقصى- ليبيا"، ج 1، كلية الآداب قسم التاريخ، جامعة دمشق، ب ت ، ص26.

[3]- محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص 165.

[4]- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 150.

[5]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 165.

[6]- محمد عبد الله عنان، المرجع نفسه، ص 165 ؛ محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 159.

وعقب ذلك وقعت حادثة عجلت بنهاية السلطان عبد الحق ومعه نهاية الدولة المرينية، حيث قبض الوزير اليهودي على إحدى نساء فاس فانهال عليها بالضرب مما جعلها تستغيث بالرسول صلى الله عليه وسلم مما زاد من غيض اليهودي وتذمره سماعه لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبالغ في عقابها[1]، فانتشر الخبر إلى الفقيه أبي فارس عبد العزيز بن موسى الورياكلي خطيب مسجد القرويين الذي أساءه تحكم اليهود في المسلمين والعبث بهم[2]، فالتف حوله جمع كبير فدعاهم إلى خلع السلطان عبد الحق[3] ومبايعة أبي عبد الله الحفيد- وهو محمد بن علي بن عمران الإدريسي- فوافقوه على ذلك فتمت البيعة سنة 869 هـ/ 1465 م[4] وكان السلطان عبد الحق إذ ذاك غائبا عن فاس، فلما علم بما حدث لم يجرؤ على دخول فاس فأشار عليه بعضهم بدخول مكناس والاستعداد لغزو فاس غير أنه قبض عليه وقتل في فاس سنة 869 هـ/ 1465 م[5].

وبموته انطوت آخر صفحة من صفحات الدولة المرينية وانقرضت ليحل مكانها- بصورة مؤقتة- شريف أحفاد الأدارسة أبو عبد الله الحفيد بعد أن عاش بعطائها السياسي والحضاري الزاخر زهاء مائتي عام. ليظهر كيان سياسي جديد ليتولى مقاليد الأمور في بلاد المغرب الأقصى الذي استمرت عليه العواصف والصراعات الدولية العنيفة من كل صوب وحدب والتي كانت تتربص به وتهدف إلى القضاء عليه والتوسع من خلاله سواء من الشرق(الأتراك العثمانيون) أو من

[1]- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 150.

[2]- ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، ج 2، ط 1، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1970، ص 156 ؛ السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 150.

[3]- قاد الفقيه الورياكلي الثورة بنفسه ضد السلطان عبد الحق فخرج إلى فاس الجديد وهاجم حارة اليهود وقتل من بها من اليهود وأخذ أموالهم. ينظر في ذلك: السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 151 ؛ الزركشي، المصدر السابق، ص 156.

[4]- الزركشي، المصدر السابق، ص 156 ؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج 2، ص 156.

[5]- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 151 ؛ الزركشي، المصدر السابق، ص 156 ؛ محمد بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج 3، طبعة حجرية بفاس، 1314 هـ، ص 168.

الشمال(المد المسيحي). وبتولي بني الوطاس سيشهد المغرب الأقصى تطورات سياسية جديدة سيكون لها بالغ التأثير على كافة مجالات الحياة السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية.. .

المبحث الثاني: المغرب الأقصى ما بين الوطاسين والسعديين

1- المغرب الأقصى في ظل الحكم الوطاسي(823- 961 هـ/ 1420- 1554 م):

ارتأينا أن نبدأ دراستنا عن دولة بني وطاس[1] بوفاة السلطان المريني أبي سعيد سنة 820هـ/ 1420 م، وهو التاريخ الذي يعطيه المؤلفون المغاربة لبداية وصاية أبي زكرياء الوطاسي خلال فترة حكم عبد الحق المريني آخر سلاطين دولتهم. ويرجع هذا الاختيار إلى اعتقادنا بأنه لا يمكن الحديث عن بداية هذه الدولة انطلاقا من أول سلاطينها باعتبار أن الوزراء الوطاسين مارسوا الحكم لا بل استبدوا به على عهد السلطان عبد الحق المريني كما ذكرنا سالفا، حيث مهدوا لقيام

[1]- ليس من السهل تحديد أصل بني وطاس لأن بني مرين لم يكونوا قبيلة واحدة بل كانوا قبائل متعددة، فإذا أخذنا بقول صاحب الذخيرة السنية فإن بني وطاس ينتمون إلى صنهاجة وبالتالي إلى لمتونة فهم كما يقول هذا المصدر:« من ولد طاس بن المعز بن يوسف بن تاشفين ملك المغرب بأسره والأندلس بأسرها وبلاد القبلة إلى السودان، وخطب له أزيد من ألفي منبر، وبنو وطاس مجمعون على ذلك، والقوم أعرف بأنسابهم، وسبب دخولهم في قبائل بني مرين أنه لما انقضت أيامهم وغلبهم الموحدون على ملكهم خرج جدهم وطاس بن المعز بن تاشفين فارا بنفسه من تلمسان أمام عبد المؤمن بن علي أمير الموحدين القادمين عليهم، فلحق ببلاد الزاب ولجأ إلى أحياء بني مرين فاستجار بهم فأجاروه، فلم يزل مقيما بين أظهرهم هو وبنوه وذريته من بعده في أحسن جوار وأعز دار إلى أن ظهر بنو مرين على المغرب وغلبوا الموحدين على ملكهم واستوطنوا بلاده فكانوا من حملة قبائلهم محسوبين في عددهم وكان لهم فيهم رياسة». ينظر: ابن أبي زرع ،الذخيرة السنية، ص 19.

ويذكر نفس المصدر في الصفحة 80:« أن المحاولات الأولى لانتفاض الوطاسين على بني عبد الحق بدأت وهؤلاء لا يزالون في حربهم مع الموحدين أي حوالي 646 هـ، مما جعل الأمير أبا يحي يرحل عنهم من كان معهم من بني مرين كما ساعد الوطاسيون بني غانية من قبل في حربهم مع الموحدين، ولما قدموا من المغرب الأوسط مع بني مرين أقطعهم الأمير يحي ناحية الريف حيث تمركزوا هناك بحصن تازوطا، ولكنهم ثاروا مرة أخرى على بني مرين إذ طردوا عامل يوسف بن يعقوب سنة 691 هـ، مما جعل السلطان يتدخل بنفسه لوضع حد لتجاوزاتهم ومع ذلك فقد كان المرينيون يتقون شرهم بتعيينهم في الوظائف السامية وكان من بينهم القاضي المشهور أبو الحسن الصغير، والوزير زيان بن عمر، والوزير أبو زكرياء يحي"؛ السلاوي، المصدر السابق، ج 3، ص ص 6- 13 و ص 118.

دولتهم التي امتدت على طول مائة وأربعين سنة حمل الوطاسيون خلالها اللقب السلطاني خلال التسعين سنة الأخيرة وأعطوا للمغرب أربعة من سلاطينه:

- محمد الشيخ (876- 910 هـ/ 1471- 1505 م).
- أبو عبد الله محمد البرتغالي(910- 932 هـ/ 1505- 1524 م).
- أبو الحسن علي بن محمد الشيخ الشهير بأبي حسون(932 هـ- 1524 م).
- أبو العباس أحمد(932- 956 هـ/ 1524- 1548 م).
- ثم أبو حسون الوطاسي(961 هـ- 1553 م).

وقد مر الحكم الوطاسي في المغرب الأقصى بمرحلتين هامتين:

أ- مرحلة الوصاية(1420- 1458 م):

ذكرنا سابقا أن هذه المرحلة تبدأ بمقتل السلطان أبي سعيد المريني سنة 820 هـ/ 1420 م، إذ أثارت هذه الحادثة الاضطرابات من جديد في كل أرجاء البلاد، فظهر الطامحون إلى الحكم في كل جهة، وقد ساهمت القبائل العربية في إذكاء نار الفتنة بدعمها لهؤلاء الأمراء بعدما حصلت على وعود منهم بتمكينها من امتيازات عدة[1]، وقد تميزت هذه المرحلة بما يلي:

في الوقت نفسه كان بنو عبد الواد يقدمون كل الدعم والمساعدة للأمير محمد بن أبي محمد أحد حفدة أبي عنان للاستيلاء على الحكم، وكانت تحذوهم في ذلك الرغبة في الانتقام لأسرتهم من التجاوزات والإهانات التي لحقتها سابقا من قبل بني مرين[2].

غير أن حكم هذا الأمير لم يعرف الاستقرار بفاس بسبب التدخلات المستمرة لبني وطاس الممثلين في شخص رئيسهم أبو زكرياء يحي الوطاسي الذي كان واليا على سلا، حيث بايع فيها الأمير عبد الحق[3] بن أبي سعيد وحكم البلاد باسمه. وقد خاض أبو زكرياء الوطاسي الحرب ضد

---

[1]- التنسي، المصدر السابق، ص 115 ؛السلاوي، الاستقصا، المصدر السابق، ج 2، ص 149، 150.

[2]- كان عبد الحق ابنا لجارية إسبانية رحلت إلى تونس بعد مقتل أبي سعيد بويع بسلا وعمره آنذاك سنة واحدة.

[3]- أوغست كور، دولة بني وطاس، ترجمة محمد فتحة، ط 1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط، 2010، ص 35، 36.

الأمير محمد وأنصاره باسم عبد الحق فقاومهم زهاد أربع سنوات، وخلال هذه الفترة هدأت الأحوال بالنسبة للبرتغاليين الذين استغلوا هذه الاضطرابات لتحصين سبتة، ثم وجهوا اهتمامهم نحو المضيق يحاولون السيطرة عليه وتهيئة الظروف لتجارتهم.

وفي الوقت ذاته لم يتوقف سلطان بني نصر كالعادة عن التدخل في شؤون المغرب مستغلين في ذلك تلك الفوضى والاضطرابات السياسية، حيث تمكن من ضم جزء من المغرب إلى كيانه بعدما أعلن قائد سبتة السابق صالح بن صالح ولاءه له، ووضع نفسه رهن إشارته وأصبح يؤدي له ضرائب المنطقة الخاضعة له. وقد اتخذ صالح بن صالح صحبة مجموعة من القواد الأندلسيين طنجة مقرا لهم حيث بدأ يراقب منها باسم النصريين المنطقة الممتدة إلى غاية القصر الكبير.

وفي الوقت الذي كان فيه السلطان النصري يستعد للعبور إلى المغرب فاجأه الموت بمالقة، بعدها استقل صالح بنفسه ولم يعد يفكر في مواجهة أو طرد البرتغاليين من سبتة، لا بل بالعكس فقد ساعده هؤلاء عندما تعرض للحصار من قبل سلطان فاس[1].

ومع التدهور الذي عرفته دولة بني عبد الواد فقد استطاع أبو زكرياء الوطاسي طرد خصمه الأمير محمد من فاس واستولى على أجزاء من تلمسان، كما أجبر سنة 1425 م صالح بن صالح على العودة إلى حظيرة الدولة المرينية، هذا الأخير الذي كان متحالفا مع أبي علي الذي كان يقود جماعات من المجاهدين ضد البرتغاليين والقبائل البربرية المتعاملة مع النصارى، وقد وجه هؤلاء نداءات كثيرة للسلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز لمساعدتهم على مواجهة أعدائهم.

وتلبية للنداء قاد أبو فارس جيوشه انطلاقا من تلمسان- التي كان قد أخضعها من قبل أواخر 1425 م- فاستولى على تازة مقتربا من فاس التي بادر أهلها بزعامة أبي زكرياء الوطاسي إلى إرسال بيعتهم له، وهي بيعة جددها عبد الحق المريني فيما بعد حينما تحرر من وصاية الوطاسين وانفرد بالحكم شخصيا في صفر 862 هـ/ 1457 م[2].

[1]- أوغست كور، المرجع السابق، ص 36.

[2]- الزركشي، المصدر السابق، ص 110 ؛التنسي، المصدر السابق، ص 117.

ومهما يكن الأمر فإن السلطان الحفصي لم يعمل على مواجهة البرتغاليين بسبتة بنفسه،بل أرسل فرقة من 700 فارس وقدرا من المال فضرب حصارا على سبتة بمعية أبي زكرياء الوطاسي والقائد صالح بن صالح وأبو علي ومتطوعة درعة غير أن هذا الحصار لم يكلل بالنجاح[1].

وظلت سبتة تعيش حالة حصار دائم برا وبحرا، الأمر الذي دفع بالبرتغاليين إلى التفكير في إيجاد نقطة دعم أخرى بالقرب من سبتة، فتم التفكير في القصر الصغير وطنجة فانتهى الأمر على اختيار طنجة. فبلغ نبأ هجوم البرتغال على طنجة أبو زكرياء الذي كان يتهيأ فيه للقيام بحملة نواحي تلمسان فاضطر إلى تغيير وجهته صوب طنجة[2]، والتي كان قد وجد أهلها على استعداد تام لمواجهة عدوهم بعدما حصنوا مدينتهم بشكل جيد مستفيدين من وصول المتطوعين من الريف والأطلس وتافيلالت وسوس وبلاد درعة، الأمر الذي مكنهم من دحر البرتغاليين وأسر الأمير فرديناند الذي احتفظ به رهينة في مقابل إخلاء البرتغاليين لسبتة، لكن اتفاق الاستسلام بقي رهينا بمصادقة الملك البرتغالي عليه، وعلى الرغم من هذا الاتفاق إلا أن المغاربة طاردوا البرتغاليين خارقين بذلك اتفاق سنة 841 هـ/ 1437م.

كان من المفروض أن ترجع سبتة إلى حكم صالح بن صالح مقابل تعويض كبير لأبي زكرياء الوطاسي بعد توقيع وثيقة الاستسلام، إلا أن الأمير فرديناند كاتب البرتغال معترضا على التنازل على سبتة فلم يصادق على الاتفاقية، فاضطر صالح إلى إرسال رهينته إلى فاس فظل الأمير سجينا حتى مات[3]. ورغم هذه الهزيمة إلا أن البرتغاليين لم ييأسوا من مهاجمة طنجة والقصر الصغير.

---

[1]- أوغست كور، المرجع السابق، ص 38.

[2]- ويذكر أوغست كور نقلا عن رواية جان ألفارش JEAN ALVAREZ أن هذا الأمير عذب كثيرا من قبل الوصي الوطاسي لإجباره على طلب فديته من قومه، فانتهى الأمر به إلى الوفاة من شدة التعذيب.ينظر: دولة بني وطاس، ص ص 38-39.

[3]- قام أبو زكرياء بهذه الحملة ضد عرب أنكاد بدعوى أنهم كانوا يراقبون أودية وشعاب إيناون العليا ووادي زيز متحكمين في الممرات المؤدية من فاس إلى تلمسان وتافيلالت الشيء الذي كان يراه أبو زكرياء خطرا حقيقيا على الدولة.

ومن جهة أخرى، كان المغرب الأقصى يشهد تطورات خطيرة فبعد وفاة صالح بن صالح سنة 843 هـ/ 1440 م خلفه أخوه أبو بكر الذي دخل في صراع مع الوصي أبي زكرياء مما جعل هذا الأخير يحاصره بأصيلا ويهزمه محتفظا بهذه المدينة كإقطاع عائلي.

وفي نفس الوقت تقريبا اضطر أبو زكرياء الوطاسي إلى القيام بحملة ضد عرب أنكاد[1] حيث لقي حتفه في مواجهتهم بكرسولين، لتنقل جثته إلى فاس حيث دفن بقبور المرينيين سنة 852 هـ/ 1448 م.

وبعد مقتل أبي زكرياء الوطاسي عين مكانه ابن أخيه علي بن يوسف الذي كان عليه أن يواجه نفس مشاكل عمه، حيث قضى عشر سنوات في صراع مزدوج ضد البرتغاليين والقبائل العربية معا، إضافة إلى شيوخ بني مرين في الوقت الذي كان فيه السلطان عبد الحق غير قادر على إدارة شؤون بلاده رغم بلوغه سن التاسع والعشرين لانغماسه في حياة اللهو والترف.

- ففي سنة 862 هـ/ 1458 م استولى البرتغاليون على القصر الكبير وبدأوا يهددون طنجة من جديد واستمرت العمليات الجهادية بحماس أكبر.

- وفي سنة 863 هـ/ 1458 م قتل الوصي علي بن يوسف وهو في مواجهة مع قبائل الشاوية حيث دفن هو الآخر في مقابر المرينيين بفاس[2].

بعد ذلك اتخذ السلطان عبد الحق يحي ابن أبي زكرياء الوطاسي وزيرا له وكانت ولاية هذا الأخير كما يقول السلاوي الناصري:« مبدأ الشر والفتنة»[3] لما أحدثته من اضطراب في أحوال الدولة حيث ملأ المخزن بأتباعه بعدما عزل رجالات الدولة القدماء من مناصبهم وأعفى قاضي

[1]- أوغست كور، المرجع السابق، ص 41.

[2]-ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 292.

[3]- السلاوي، المصدر السابق، ج 4، ص 98، 99.

فاس من مهامه[1] وعوضهم بمقربيه وعامل الرعية بقسوة، وضايق السلطان والجند والفقهاء، واستحوذ على أموال الدولة.

ولما بلغت أصداء هذه الإجراءات مسامع عبد الحق المريني تخوف من نوايا بني وطاس فقرر أن يتخلص منهم، وفعلا ألقى القبض على الوصي وأفراد أسرته سنة 1458 م وتمت تصفيتهم جميعا[2]، ولم ينج من هذه المذبحة إلا أخوا الوصي محمد الشيخ ومحمد الحلو اللذان كانا في الصيد، ولما علما بما حصل توجها إلى أصيلا التي اتخذها محمد الشيخ قاعدة له[3].

ونتيجة لهذه التطورات قرر السلطان عبد الحق ألا يستأمن أحدا على دولته[4] فأدار دفة الحكم بنفسه، ونكاية في رعيته التي أبدت تعاطفا مع بني وطاس[5] اتخذ له وزيرا من يهود فاس يدعى هارون والذي كان ينوب عن السلطان في حال غيابه، الأمر الذي لم يطقه أهل فاس والوسط الديني واعتبروه إهانة لهم، فعمت الفوضى والاضطرابات أرض المغرب فتراجع نتيجة لذلك عطف الرعية على الأسرة المرينية وحذت في ذلك حذو شيوخ الزوايا وعلماء البلاد الذين كانوا يأتمرون بتوجيهات رئيسهم أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي الذي كان قد أنشأ عشرات الزوايا في المغرب وتادلا ونواحي مراكش وأخرى بسلا وتلمسان وفاس وجبل زرهون ومكناس وآنماي وبورمان وماسة وأقا وغيرها.

---

[1]- يذكر السلاوي:« أن الوزير يحي لما استقل بالحجابة أخذ في تغيير مراسم الملك وعوائد الدولة وزاد ونقص في الجند ونقض جل ما أبرمه قبله الوزراء وعامل الرعية بالعنف ومن جملة من نقم عليه أنه عزل قاضي فاس الفقيه أبا عبد الله محمد بن محمد بن عيسى ابن علال المصمودي وقدم مكانه الفقيه يعقوب التسولي». ينظر: السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص150.

[2]- محمد خير فارس ومحمود علي عامر، تاريخ المغرب العربي الحديث" المغرب الأقصى- ليبيا"، ج 1، كلية الآداب قسم التاريخ، جامعة دمشق، ب ت، ص 26 ؛أوغست كور، المرجع السابق، ص 42 ؛السلاوي: المصدر السابق، ج 2، ص 150 ؛محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، المرجع السابق، ص 165.

[3]- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 150.

[4]- رفض الكثير من رجال البلاط تولي أمر الوزارة تحسبا للأحداث المستقبلية وخوفا من أن تصل الأمور بهم إلى ما وصل إليه بنو الوطاس. ينظر: عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج 6، ص 17، 18 ؛محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 159 ؛محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 165.

[5]- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 150.

وقد كانت هذه الزوايا موزعة بشكل محكم يسمح بمراقبة البلاد من قبل المتصوفة، كما كانت تتوفر على جيش من المرينيين مما أثار مخاوف السلطة الحاكمة بالبلاد خصوصا بعدما ذاع صيت الجزولي وزاويته، ولذلك تم تدبير خطة للفتك به فمات مسموما[1].

وفي ظل هذه الصعوبات التي زادتها الأزمة المالية حدة وتعقيدا أعطى السلطان عبد الحق لوزيره هارون نفوذا واسعا داخل مجلسه، فكلفه بتحصيل جبايته فاستعان هارون بيهودي آخر يدعى شاويل حيث أخذا" أهل فاس بالضرب ومصادرة الأموال"[2]. فتزايد تذمر الناس من هذه الأوضاع، حيث سقط جبل طارق في يد القشتاليين، كما ضاعف البرتغاليون هجوماتهم على المناطق المجاورة لسبتة وثارت تازا بسبب تدهور أحوالها. فتوجه السلطان إلى قمع هذه الاضطرابات، والضرب على أيدي القبائل المتعاملة مع البرتغاليين فترك وزيره هارون مشرفا على أمور فاس[3]. فاعتز اليهود بالمدينة وتحكموا في الأشراف والفقهاء ومن دونهم في وقت غدا فيه الأشراف القوة الصاعدة المنقذة التي تتطلع إليها أبصار المغاربة، وكان اليهودي قد ولى على شرطته رجلا يقال له الحسين لا يألو جهدا في التعسف واستلاب الأموال واستمر الحال على ذلك والناس في شدة[4].

وفي عهد هذين الوزيرين وصلت الدولة المرينية إلى درجة كبيرة من الضعف والانحلال، إذ عجز السلطان عبد الحق على حماية طنجة التي هاجمها الإسبان واستولوا عليها سنة 869 هـ/ 1465 م خاصة وأنه فقد تأييد شعبه[5].

واقتربت بذلك نهاية السلطان ودولته، خاصة وأن الوزيرين اليهوديين عاثا فسادا وظلما في البلاد، وفي إحدى الأيام قبض الوزير هارون على امرأة من أسرة شريفة فانحنى عليها بالضرب، ولما

---

[1]- أوغست كور، المرجع السابق، ص 42، 43.

[2]- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 150.

[3]- أوغست كور، المرجع السابق، ص 44 ؛محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 156.

[4]- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 150.

[5]- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 150 ؛عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج 6، ص 18.

ألهبتها السياط جعلت تستغيث وتتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يغتاظ من سماع ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فأمر بالإبلاغ في عقابها[1].

فتسببت هذه الواقعة في إثارة حمية أعيان المدينة الذين التفوا حول خطيب مسجد القرويين الفقيه أبي فارس عبد العزيز بن موسى الورياغلي والذي كانت له صلابة شديدة في الحق[2]، فاتفق الجميع على الفتك باليهود وخلع السلطان عبد الحق والبيعة للشريف أبي عبد الله الحفيد- وهو محمد بن علي بن عمران الإدريسي الجوصلي وهو من أهل البيت[3]- فتمت المبايعة له في 17 رمضان 869 هـ/ 1465 م.

أما الفقيه الورياكلي فقد قاد الثورة بنفسه ضد السلطان عبد الحق حيث خرج بالثائرين إلى فاس الجديد مهاجما حارة اليهود فقاتل من بها من اليهود وصادر أموالهم[4].

وبمجرد ما وصلت أخبار فاس إلى مسامع عبد الحق- الذي كان خارج فاس يؤدب بعض قبائل الهبط[5]- حتى رجع على عقبيه فاضطرب عليه الأمر بعدما تخلى عنه جنوده تدريجيا، ولما وصل إلى مشارف فاس نصحه هارون اليهودي بعدم الدخول إلى المدينة والرحيل عنها إلى مكناس في انتظار أن تهدأ الأحوال، غير أن أحد قواد السلطان فاجأه بطعنة رمح يقال له تبان قائلا:«وما زلنا في تحكم اليهود وإتباع رأيهم والعمل بإشارتهم» ثم تعاورته الرماح من كل جانب[6].

أما السلطان عبد الحق فقد اقتادوه إلى فاس حتى إذا وصلوا إلى عيد القواديس خارج أبواب المدينة حتى خرج عليه أهل فاس ومعهم سلطانهم الجديد أبي عبد الله الحفيد فأركب السلطان عبد الحق على بغل وانتزع منه خاتم الملك ثم اقتاده إلى داخل المدينة إلى غاية أحد

---

[1]- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 150.

[2]- ابن القاضي، درة الحجال ،ص 156.

[3]- الزركشي، تاريخ الدولتين، ص 156 ؛ابن القاضي، درة الحجال، ج 2، ص 156 ؛عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج 6، ص 19.

[4]- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 151 ؛الزركشي، المصدر السابق، ص 156.

[5]- الزركشي، المصدر السابق، ص 156 ؛السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 151.

[6]- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 151.

مساجد فاس[1]، وهناك تم قتله صبيحة يوم الجمعة 27 من شهر رمضان سنة 869 هـ/ 1465م[2]. وبهذه النهاية المؤلمة انطوت آخر صفحة من صفحات الدولة المرينية لينتقل المغرب الأقصى إلى حكم أسرة جديدة هي الأسرة الوطاسية بعدما أتمت المرحلة الأولى من حكمها- الوصاية- لتنتقل إلى مرحلة الحكم المباشر.

ومهما كانت الظروف التي تولى فيها بنو الوطاس الوصاية على السلطان المريني وما واكبتها من أحداث كان لها وقع كبير على المغرب برمته فإن ما ميز هذه المرحلة:

1- نجاح الوطاسين في إلحاق هزيمة كبرى بالبرتغاليين الذين حاولوا الاستيلاء على طنجة سنة 1437 م، فأجبروا القوات البرتغالية المهاجمة على الاستسلام والموافقة على إخلاء سبتة، على أن يبقى قائد الحملة الأمير فرديناند رهينة حتى يتم تسليم سبتة كما ذكرت سابقا.

2- انبعاث الروح الدينية الوطنية في المغرب وبروز القوى الصوفية التي ثبتت فكرة الجهاد ضد الغزاة، فأصبحت الصوفية في العهد الوطاسي على درجة عالية من الأهمية حيث أقبل عليها المثقفون في المدن والأرياف، وانتشرت الزوايا في كل الربوع وبات للمتصوفة نفوذ كبير له الأثر الكبير على سياسة الدولة باعتبارها تمثل السلطة الروحية والمعنوية، ولعل ذلك كان بتخطيط من الوطاسين الذين كانوا محرومين من السند القبلي فحاولوا تعويضه بإيجاد سند ديني، وجدوه في تشجيعهم للصوفية والشريفية، وقد برزت في هذه الفترة طريقتان: القادرية والشاذلية- سوف نأتي على ذكرهما لاحقا بالتفصيل في الحياة الثقافية للوطاسين-[3] .

ب- مرحلة الحكم الوطاسي المباشر(1472- 1554 م):

1 – عهد محمد الشيخ(876- 910 هـ/ 1471- 1503 م): بمقتل عبد الحق بن أبي سعيد المريني عام 869 هـ/ 1465 م آلت أمور فاس إلى الشريف أبي محمد عبد الله بن

[1]- السلاوي، المصدر السابق ، ج 2، ص 151 ؛ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 131 و ص 274.

[2]- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 151 ؛الزركشي، المصدر السابق، ص 156، ويذكر الكتاني في سلوة الأنفاس، ج 3، ص 168 أن عبد الحق المريني قتل في 28 رمضان 869 هـ/ 1465 م.

[3]- محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 24، 25.

محمد الإدريسي الجوطي الذي ظل يحكم البلاد ويعاونه ابنه كوزير له، إلا أن بني وطاس تمكنوا من استغلال الظروف وقاموا بخلع الشريف أبي عبد الله عن الإمارة والإمامة في مدينة فاس عام 875 هـ/ 1471 م بعد حكم دام ست سنوات على يد أبي الحجاج يوسف بن منصور بن زيان الوطاسي، لكن فترة حكم ابن منصور الوطاسي هذا لم تدم إلا عاما واحدا إذ انقض على حكمه محمد الشيخ بن أبي زكرياء الوطاسي وزير عبد الحق المريني معلنا نفسه سلطانا على المغرب منذ عام 876 هـ/ 1471 م- والذي كان قد استولى على أصيلا من قبل متخذا إياها قاعدة له- بعدما نجا من نكبة عبد الحق المريني لآل وطاس سنة 863 هـ.

وفي الوقت الذي توجه فيه محمد الشيخ نحو فاس لمحاصرتها استولى البرتغاليون على أصيلا[1] حينئذ رفع محمد الشيخ الحصار فاس وعاد مسرعا إلى أصيلا يريد استعادتها، فحاصرها حصارا شديدا غير أنها امتنعت عنه فاضطر إلى عقد هدنة مع البرتغال[2] خصوصا وأنه لم يستطع دخول أصيلا ولا السيطرة على فاس التي كان قد كلف ابن عمه أبا الحجاج يوسف بن منصور الوطاسي بمواصلة حصارها. وقد سمحت هذه الهدنة لمحمد الشيخ بتثبيت حكمه داخل البلاد بعدما استولى على فاس سنة 877 هـ/ 1472 م وفرار الشريف أبي عبد الله إلى تونس[3]، حينها تمت بيعته

[1]- انتهز ملك البرتغال ألفونسو الخامس فرصة محمد الشيخ لحصار فاس فهاجم مدينة أصيلا بأسطول ضخم مكون من 477 سفينة بها ثلاثون ألف مقاتل وذلك في أوت 1471 م، وبعد مقاومة عنيفة تمكن من احتلال المدينة وأسر عدد كبير من أهلها من بينهم زوجات وابن محمد الشيخ الذين اعتصموا بحصن المدينة. ينظر: عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج 6، ص 23 ؛أوغست كور، المرجع السابق، ص 46، 47.

[2]- اضطر محمد الشيخ إلى توقيع هذه الهدنة التي تنص على أن تمتد عشرين سنة وأن يحتل البرتغاليون مدينة العرائش إلى جانب أصيلا، وأن يطلق سراح ابن السلطان محمد الشيخ وزوجاته. ينظر:عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج 6، ص 23. ويذكر السلاوي أن محمد الشيخ استرجع زوجته وابنتيه ولم يفلح في تحرير ابنه محمد الذي احتفظ به رهينة بالبرتغال. ينظر السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 158. ويضيف الحسن الوزان أخت محمد الشيخ إلى لائحة الأسيرات اللواتي حررهن ملك البرتغال. وصف إفريقيا، ج 2، ص 239.

[3]- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 158، 159 ؛إبراهيم حركات، المرجع السابق، مج 2، ص 196 ؛عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ج 6، ص 23.

ليتفرغ إلى تهدئة الأوضاع في المناطق المجاورة لعاصمته، وقتال القبائل المقيمة بأحواز فاس وغيرها من المدن إلى أن دخلت جميعا في طاعته[1].

ورغم الهدنة الموقعة وشروطها إلا أن ملك البرتغال اتجه بقواته نحو مدينة طنجة التي كانت قد استنجدت بالنصريين إلا أنهم كانوا منشغلين بمشاكلهم الداخلية فلم يقدموا أية نجدة للمدينة وكان ذلك سببا في جلاء أعيانها وأثريائها إلى فاس، مما سهل على الجيش البرتغالي مهمة احتلالها في 29 أوت 1471 م بعد خمسة أيام من احتلال أصيلا[2].

وفي عهد محمد الشيخ تمزقت الوحدة السياسية للمغرب، إذ شجع القضاء على دولة بني مرين كثيرا من شيوخ القبائل على إعلان استقلالهم وفتحت الأبواب على مصراعيها لذوي الطموح السياسي فلم يعد يوجد ما يردعهم.

ففي الوقت الذي غادر فيه الشريف أبي عبد الله محمد الحفيد فاس وبعد توقيع محمد الشيخ لهدنته مع البرتغاليين ظهر العديد من الرافضين لهذه الهدنة معلنين الجهاد وتصديهم للغزو الأجنبي، فظهر في جبل العلم شمال المغرب شريف آخر أعلن نفسه أميرا وقائدا للجهاد من سلالة عبد السلام بن مشيش الصوفي الشهير يقال له أبو الحسن علي بن أبي محمد المعروف ببوجمعة العلمي مؤسس مدينة شفشاون، والذي أقر نفسه على مواجهة نصارى سبتة الذين كانوا يرغبون في اكتساح كل بلاد غمارة، وبعد مقتل الحسن استقل بالمدينة ابن عمه علي بن موسى ابن راشد وبقيت بأيدي أبنائه وذريته أزيد من قرن[3].

ومن بين الرافضين لتلك الهدنة أبو الحسن المنظرى صاحب تطوان ومؤسسها، إذ كان من أبرز رؤساء الجيش النصري وخاض معه معارك عدة ضد النصارى، وبعدما ارتبط النصريون باتفاقيات هدنة مع النصارى ارتحل إلى المغرب ليواصل جهاده البحري ضدهم، إذ قام قبل ذلك

---

[1]- عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ج 6، ص 23.

[2]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 243.

[3]- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 161 ؛أوغست كور، المرجع السابق، ص 48 ؛إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 196.

بتحصين مدينته[1] وبناء جامع كبير بها، ثم بدأ يشن حملاته ضد البرتغاليين بسبتة ونواحيها، وأسر خلالها ثلاثة آلاف برتغالي استعملهم في إتمام بناء تطوان[2].

ولم يكن بنو راشد في شفشاون وأهالي تطوان وحدهم من انفصلوا بشكل أو بآخر عن الحكومة المركزية، فقد ظل الهنتاتيون منذ عهد الموحدين يعيشون استقلالا ذاتيا بمراكش، واستمر أمرهم كذلك في عهد الوطاسين[3] بينما صار أتباع الجزولي بجنوب المغرب بزعامة أحد تلامذته وهو عمرو بن سليمان الشياظمي المغيطي المعروف بالسياف[4] وبالمريدي أيضا.

وكان عمرو هذا قد لازم الشيخ أبا عبد الله محمد بن سليمان الجزولي الذي كان منبهرا به وبشخصيته، ولما قتل الجزولي[5] ثار عمرو ضد المخزن وأبدى رغبته في الانتقام لشيخه من قتلته. وراح عمرو يدعو الناس إلى إتباعه محاربا الممتنعين عن الانضمام إليه بدعوى إصلاح دينهم، فذاع صيته ودعا الناس له في صلواتهم، فعمد إلى تصفية من لم يعترف بنفوذه أو نفوذ تلامذته وشيخه، وانتهى به الأمر إلى ادعائه النبوة والعلم بالغيب، فتأثر الوسط الديني من جراء تصرفات هذا الرجل، حيث يذكر الشيخ زروق: « بلغني أن شيخنا الفقيه أبا عبد الله القوري

ورد عليه سؤال في شأن عمرو السياف فبادرت إليه أراه فقال لي:خرج من يدي. قلت: فما مقتضاه؟ قال: مقتضاه أنه يقول: أن أحكام الكتاب والسنة ارتفعت ولم يبق إلا مات يقول له قلبه». ويردف زروق قائلا:« وشاع من أمره أنه يقول: إنه وارث النبوة، وأن له أحكاما تخصه كما

---

[1]- بدأ اختطاط تطوان الجديدة على يد أبي الحسن المنظري الذي استقل بهذه المنطقة معلنا الجهاد ضد برتغال سبتة، وقد تمت عمارة المدينة بسبب أفواج الأندلسيين الذين استقروا بها بعد سقوط غرناطة سنة 898 هـ/ 1492 م، وكان ضمن القادمين من الأندلس أبو عبد الله بن الأحمر آخر ملوك غرناطة الذي استقر بفاس إلى أن توفي قتيلا في بعض حروب الوطاسين مع السعديين سنة 946 هـ. ينظرفي ذلك: إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 198 ؛السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 168 ؛إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 198 ؛أوغست كور، المرجع السابق، ص 52.

[2]- أوغست كور، المرجع السابق، ص 51.

[3]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 197 ؛عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ج 6، ص 26.

[4]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 197 ؛أوغست كور، المرجع السابق، ص 48.

[5]- قيل أن الإمام محمد بن سليمان الجزولي مات مسموما سنة 870 هـ على يد بعض الفقهاء. ينظرفي ذلك: إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 197.

في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام، وأن الخضر حي ونبي مرسل وأنه يلقاه ويأخذ عنه، بل يدعي ذلك من هو دونه من تلامذته»[1].

وتذكر الروايات أن عمرو السياف أخرج شلو الشيخ الجزولي من قبره وجعل يطوف به مثيرا بذلك عطف الناس حتى ينتقموا له، واستمرت ثورته نحو عشرين سنة إلى أن قتل سنة 890 هـ/ 1485 م من طرف زوجة الجزولي وابنته لما رأتا ما هو عليه من الزندقة والفساد[2].

ويضاف إلى حملة المناطق الثائرة دبدو[3] حيث قامت بها إمارة صغيرة من بني مرين، ولإخضاعهم قام السلطان محمد الشيخ سنة 895 هـ/ 1490 م بشن حملة عليها ليعيد الكرة سنة 904 هـ/ 1498 م فهزمت جيوشه مرة ثانية، مما اضطرها إلى الاحتماء بقصبة تازة لتنظيم صفوفها للهجوم على المدينة مجددا ليجبر أمير دبدو على الخضوع للسلطان، وترتب عن ذلك حصول مصاهرة بين الطرفين لينتهي عهد دبدو بالاستقلال[4].

وفي سنة 897 هـ/ 1492 م سقطت غرناطة بأيدي الإسبان ولعل من العوامل التي ساعدت الإسبان على كسب رهانهم في الاسترداد عجز المغرب الإسلامي عن تقديم المساعدات أو إرسال النجدات، إضافة إلى الصراعات الداخلية من أجل الحكم بغرناطة.

---

[1]- السلاوي، المصدر السابق،؛ج 2، ص 161 و ج 4، ص 122، 123 ؛الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 154.

[2]- للمزيد من التفاصيل عن قصة السياف ينظر: السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 161 ؛الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 154.

[3]- دبدو: مدينة أقطعها بنو مرين في بداية عهدهم إلى بني ورتاجن مقابل قيام هؤلاء وحلفائهم المعقلين ببلاد أنكاد شمال دبدو(السويد- الأحلاف- سجعة) بضمان حماية فاس من هجمات أمراء تلمسان، لكن انهيار سلطة المرينيين ووصول بني الوطاس إلى الحكم جعل هذه القبائل تحول ولائها لتلمسان، فقامت صراعات بين بني ورتاجن وهؤلاء الأعراب فاضطر شيخ المرينيين ابن رحو إلى مهادنتهم ومنذ ذلك التاريخ أي 834 هـ/ 1430 م أصبحت دبدو إمارة شبه مستقلة، وبقي الحال كذلك في عهد ابنه أحمد لتتغير الأحوال على عهد محمد حفيد ابن رحو حيث راح يوسع نفوذه نحو قصور ملوية، واستقبل بدبدو مهاجرين جددا عليهم من يهود الأندلس المطرودين، فذاع صيت الإمارة مما أثار مخاوف الوطاسين الذين تركوا أمرها مؤقتا لانشغالهم بما كان يحدث في شمال البلاد وغربه. ينظر في ذلك: السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 162 ؛ الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 330.

[4]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 330.

وبموازاة هذه التطورات كانت هدنة العشرين سنة التي أمضاها محمد الشيخ مع ألفونسو الخامس ملك البرتغال قد انتهت، فقبل خلفه الملك جواو الثاني(JOAO 2) تجديدها مستمرا في تحصين المواقع البرتغالية بتزويدها بالذخيرة والقوات وكأنه لم يكن واثقا من استمرار هذا الاتفاق لتوتر الأوضاع السياسية بشبه الجزيرة الأيبيرية[1] والمغرب الأقصى معا[2].

هذا وقد كان المغرب الأقصى يعيش حالة من الفوضى، فبنو راشد في شفشاون وآل المنظري في تطوان لا زالوا في حالة حرب مع البرتغاليين ضاربين بذلك تلك الهدنة المبرمة عرض الحائط، أما سكان المناطق المجاورة لأصيلا وطنجة فكانوا يتاجرون مع البرتغال، لا بل أعلنوا خضوعهم وقبلوا أداء الأعشار للكنيسة تلبية لقرار الملك جواو الثاني الذي راح يتابع سياسته بالمغرب بشكل مباشر وعلني بموجب قرارات مفاوضات طورديسياس 899 هـ/ 1494 م[3] السالفة الذكر، مما اضطر أميري شفشاون وتطوان إلى شن حملات ضد فحص أصيلا لمعاقبة سكانها لتعاملهم مع البرتغال فتم على إثر ذلك قتل بعض الفرسان المسيحيين.

فما كان على جواو الثاني إلى أن يعين قائدا جديدا للمنطقة هو القبطان جواو دي منزش(JOAO DE MENZEZ)، فعاود المغاربة الكرة في شكل حملة ثانية قادها ابن راشد والمنظري ورجل آخر يدعى سيدي موسى إضافة إلى سيدي يعقوب ابن أخ ابن راشد، غير

[1]- بعد استيلاء الإسبان على غرناطة بات همهم الوحيد القضاء على ما كانوا يسمونهم بالقراصنة المسلمين(مجاهدي البحر) الذين ضاعفوا من ضرباتهم للسواحل والسفن التجارية الإسبانية بعد سقوط غرناطة، والبرتغاليون بدورهم كانوا قد حققوا انتصارات مهمة باستيلائهم على مدن مهمة من سواحل المغرب من شأنها أن تزيد من نفوذهم بجبهة المضيق، وهذا الوضع كان ينذر ببروز منافسة بين الجارتين الأيبيريتين في مواجهتهما لخصمهما التاريخي. لذلك عقدت بينهما سنة 899هـ/ 1494 م مفاوضات طورديسياس TORDESCILLAS التي حددت مجال نفوذ كل واحدة منهما، حيث دخلت مملكة فاس ضمن نفوذ البرتغاليين، ومملكة تلمسان في مجال نفوذ الإسبان. عن تفاصيل هذه الاتفاقية ينظر: عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مج 7، عهد بني مرين والوطاسين، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، 1988، ص 234.

[2]- أوغست كور، المرجع السابق، ص 52.

[3]- عبد الهادي التازي، المرجع السابق، مج 7، ص 234 ؛ أوغست كور، المرجع السابق، ص 53.

أن هذه الحملة منيت بالفشل لاستعمال البرتغاليين للمدفعية فخسر المسلمون الكثير من القتلى والأسرى والأسلاب سنة 901 هـ/ 1495 م[1].

توفي الملك جواو الثاني قبيل نهاية هذه الحملة في 25 أكتوبر 1495 م دون أن يترك وريثا للعرش، فخلفه ابن عمه الملك إمانويل(EMMANUEL) هذا الأخير الذي استفاد كثيرا من الإنجازات البرتغالية السابقة بالمغرب، فعمل على تقويتها لا سيما وأن الهدنة مع الوطاسين غالبا ما كانت تخرق من قبل المغاربة، في الوقت الذي كان فيه محمد الشيخ منشغلا بإخضاع المناطق الثائرة عليه لأنه كان في حاجة إلى سلم داخلي حتى يمكنه التفرغ للمناطق الخاضعة للبرتغاليين، هؤلاء الذين لم يتوقفوا عن التوسع في شمال غرب المغرب من سبتة إلى أصيلا إلى غاية مصب نهر اللوكوس، بينما استولى الإسبان على مدينة مليلية وعنابة[2]، وفي الوقت الذي كان البرتغاليون منشغلين بمواجهة مجاهدي البحر المسلمين في المرسى الكبير بوهران هيأ السلطان محمد الشيخ حملة اعترضتها الحامية البرتغالية بمجرد خروجها من القصر الكبير فردتها على أعقابها، ليتحول بعدها إلى طنجة لكن دون نتيجة أيضا، فعاد نحو أصيلا سنة 1501 م غير أنه تراجع وانسحب لفقده عدد كبير من القتلى في صفوفه.

لم يطارد البرتغاليون محلة السلطان بل اكتفوا بالدفاع عن المواقع الخاضعة لهم لأن أسطولهم أرسل بطلب من البابا لمساعدة البنادقة ضد الأتراك العثمانيين[3].

حينها استغل السلطان هذا الوضع وراح ينظم القصر الكبير لجعله قاعدة لعملياته العسكرية المقبلة باعتبارها منطقة إستراتيجية تقع في ملتقى كل المسالك المؤدية من فاس نحو سبتة وطنجة وأصيلا والعرائش، إضافة إلى ما تتوفر عليه من أراضي خصبة منتجة للعديد من المحاصيل

[1]- أوغست كور، المرجع السابق، ص 53 ؛ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج 2، ص 198.

[2]- عبد الهادي التازي، المرجع السابق، مج 7، ص 235 ؛ إبراهيم حركات، المرجع السابق، مج 2، ص 198 ؛محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 27 ؛ أوغست كور، المرجع السابق، ص 54، 55.

[3]- أوغست كور، المرجع السابق، ص 55.

والغلات، وكذا عمرانها المتنوع فأصبحت بذلك قاعدة خلفية للجهاد فمنها ينطلقون وإليها يعودون من أجل الاستراحة والحصول على التموين.

وفي سنة 909 هـ/ 1503 م عاد حاكم أصيلا جواو دي منزش وابن عمه حاكم طنجة من حملتهم التي شاركوا فيها ضد الأتراك، فقرروا القيام بهجومات كبيرة على المغاربة في منطقة القصر الكبير، ثم انتقلوا إلى سواحل الجنوب الغربي حيث شيدوا حصنا على البريجة القديمة في ظرف سبع سنوات 1502- 1508 م، وفي نفس التاريخ استولى البرتغاليون على ساحل سوس مستغلين الإضرابات التي تعرفها هذه المنطقة المستقلة منذ عهد المرينيين، حيث غنم البرتغاليون أموالا طائلة من النشاط التجاري القائم هنالك من قبل.

ومع مطلع 910 هـ/ جويلية 1504 م استولى جواو دي منزش على ستة مراكب تابعة لمجاهدين من تطوان كانت بميناء العرائش، ثم وسع عملياته حيث غزا ضواحي أصيلا وأسر العديد من المغاربة[1]. وفي هذه الظروف توفي السلطان محمد الشيخ فخلفه ابنه محمد الشهير بالبرتغالي.

2- عهد أبو عبد الله البرتغالي[2](910- 932 هـ/ 1505- 1524 م): تولى أبو عبد الله البرتغالي عرش البلاد و هي تعيش ظروفا سيئة في مختلف مجالات الحياة ورثها عن والده[3]. وعلى الرغم من طول المدة التي قضاها أسيرا في البرتغال إلا أن هذا الأمير لم يحتفظ بشيء يذكر

---

[1]- أوغست كور، المرجع السابق، ص 55.

[2]- لقب بالبرتغالي لأنه أقام أسيرا بالبرتغال في صباه على إثر هدنة كان قد عقدها معهم والده. ينظر في ذلك: إبراهيم حركات، المرجع السابق، مج 2، ص 199 ؛ أوغست كور، المرجع السابق، ص 71.

[3]- بدأ محمد الشيخ عهده في ظل مشاكل داخلية وخارجية جمة، فالخارجية تسببت فيها هجومات النصارى على الأندلس والمغرب، فقد كانت إسبانيا حينذاك تمتلك بالمغرب ميناءين في كل من مليلية وجساسة، ولم يمر وقت طويل حتى وسعت نفوذها نحو المغرب الأوسط وإفريقية في حين كان البرتغاليون يتحكمون في سبتة والقصر الصغير وطنجة وأصيلا والمناطق المجاورة لها، كما استطاعوا تدمير آنفا وبناء مازغان التي كانت منطلقا لتهديد آسفي وآزمور، إضافة إلى تحكمهم في فونتي وأغادير الواقعة بمنطقة سوس. ينظر، أوغست كور، المرجع السابق، ص 62.

أما الداخلية فقد كانت بسبب المحاولات الاستقلالية التي قام بها أغلب الشيوخ التابعين للدولة المرينية وشيوخ الزوايا إضافة إلى الشرفاء. إذ يخبرنا الحسن الوزان بأن بلاد المغرب الكبير كانت مقسمة آنذاك إلى أربعة ممالك وهي: مراكش وفاس وتلمسان وتونس، وكانت مراكش وفاس ضمن الإرث المريني، وقد عجز الأمير الوطاسي عن استرجاع كل المجالات القديمة لمملكته فاس. ينظر في ذلك: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص235.

من مقامه في لشبونة يمكن أن يساعده على تصحيح الأوضاع الاقتصادية لبلاده. فبمجرد اعتلائه عرش المغرب اهتم أساسا بالانتقام من البرتغال والتصدي لهم، حيث يذكر السلاوي الناصري أن:« السلطان محمد هذا قد عني بجهادهم (البرتغاليين) وترديد الغزو إليهم والإجلاب عليهم حتى شغل بذلك عن البلاد المراكشية وسواحلها»[1].

وعلى الرغم من أن أبا عبد الله البرتغالي تصدى لحرب البرتغال بمهاجمتهم في المواقع التي احتلوها منذ عهد والده إلا أن البرتغاليين واصلوا احتلال مراكز أخرى من المغرب كساحل البريجة الذي احتل سنة 907 هـ/ 1502 م والذي كان له برج يسمى برج الشيخ، فكان البرتغاليون قد بنوا فيه التحصينات الأولية لمدينة الجديدة[2] وفي نفس التاريخ تم احتلال مدينة تيطوان.

كما احتل البرتغاليون مدينة آسفي سنة 913 هـ/ 1507 م والتي كانت بيد عائلة بن فرحون حيث كان البرتغاليون مستقرون من قبل داخل المدينة، إذ بنوا بها مراكز تجارية وربطوا علاقات تجارية هامة مع شخصيات بارزة بها مما رخص لهم إقامة قيساريات لبضائعهم واتخاذ مساكن لهم يتحصنون بها.

ونتيجة لخلاف وقع بين أحد الخدام البرتغاليين وجزار من المدينة حوصرت المدينة وجاع أهلها فاضطروا إلى إخلائها مقابل الحفاظ على أرواحهم وممتلكاتهم على الرغم من المقاومة العنيفة التي أبداها أهلها والتي لم تجد نفعا لعدم لتوفر حامية، وبعد الاستيلاء على المدينة عمل البرتغاليون على تحصينها بشكل جيد خوفا من محاولة أهلها استرجاعها[3].

---

[1]- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 171.

[2]- لقد كان الأهالي يطلقون اسم البريجة الجديدة أي الحصن الجديد على المدينة التي كان البرتغاليون قد بنوها منذ 1506 م مكان مازغان والتي عرفت عند البرتغال باسم(CASTELO IREAEL)، وفيما بعد أخذت مدينة مازغان اسم الجديدة وقد كانت بنواحي مازغان البرتغالية قرية قديمة كانت تسمى مازغان. ينظر في ذلك: عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ط 3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، 2006، هامش 28، ص 42، وأيضا إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مج 2، ص 199.

[3]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 236 ؛السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 171 ؛ مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج 2، ص 77.

وبعد آسفي احتل البرتغاليون مدينة آزمور سنة 919 هـ/ 1513 م مستغلين في ذلك تمرد مولاي زيان الوطاسي حاكم آزمور وابن عم السلطان محمد البرتغالي واللذان كانا على خلاف، دفع بمولاي زيان إلى مهادنة البرتغاليين والسماح لهم ببناء حصن ساحل آزمور بموجب معاهدة وقعها الطرفان سنة 1510 م[1]. تم على إثرها تخريب أحواز المدينة لإجبار أهلها على الاستسلام فكان له ما أراد، حيث تمكن من خصمه ونقله إلى سجن فاس في حين فر مسعود بن الناصر الثائر بمكناس منذ وفاة محمد الشيخ إلى جبال الأطلس حيث استأنف ثورته مجددا[2].

ومع أن البرتغاليين كانوا قد حاولوا الاستيلاء على آزمور منذ سنة 914 هـ/ 1509 م إلا أنهم لم يحققوا ذلك إلا سنة 919 هـ/ 1513 م[3] ولم يتم لهم ذلك إلا بعد تعاون يهود آزمور الذين كانوا على اتفاق مع البرتغاليين المحاصرين للمدينة حيث فتحوا لهم الأبواب على حين غفلة من أهلها، كما أورد ذلك الحسن الوزان المعاصر[4] ومن آزمور أحكم البرتغاليون قبضتهم على مازغان(السالفة الذكر) التي بنوا بها حصنا عظيما[5].

وفي الفترة نفسها لم يتوقف السلطان محمد البرتغالي عن مهاجمة أصيلا التي كان يتغيب عنها حاكمها جواو دي منزش كثيرا، كذلك غالبا ما كان السلطان يستغل هذا الظرف فيقتحم

---

[1]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 42.

[2]- قاد السلطان الوطاسي حملة لتأديب عامل إقليم آنماي سنة 920 هـ انتهت بقتله وخضوع سكان المنطقة إلى أمر الوطاسين، وعقب هذا الانتصار انعقد صلح بين محمد البرتغالي وابن عمه الثائر عليه مولاي زيان الوطاسي، وقد تم الصلح في ضريح مولاي بوعزة(أبي يعزى) سنة 920 هـ. ينظر في ذلك: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 213.

[3]- السلاوي: المصدر السابق، ج 4، ص 142.

[4]- ليون الإفريقي(LEON D'AFRICAIN): هو الحسن الوزان أبو علي ولد حوالي 1496 م في فاس ونشأ بها ثم رحل إلى الشرق وغربي إفريقيا،وعاصر بداية الأحداث التي تعرض لها المغرب أواخر العهد الوطاسي وقيام الدولة السعدية، أسره القراصنة الأوروبيون قرب الشاطئ التونسي سنة 1520 م ونقلوه إلى إيطاليا حيث عمده البابا ليون العاشر وسماه (يوحنا الأسد). وفي إيطاليا تعلم اللغات الإيطالية واللاتينية، إضافة إلى إتقانه الإسبانية والعبرية الأمر الذي ساعده على ترجمة رحلاته إلى إفريقيا وإيطاليا، وقد قام الحسن الوزان بتدريس العربية في كلية BOLOGNE التي كانت من أعظم جامعات إيطاليا في عصر النهضة الحديثة، ثم عاد إلى إفريقيا الشمالية سنة 1528 م وبعدها عاد إلى أوربا مرة ثانية وبعدها انقطعت أخباره. ينظر في ذلك: عبد الكريم كريم، المرجع السابق، الإحالة رقم 1، ص 13.

[5]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 42.

المدينة، حيث وبعد صراع عنيف تمكن من تهديم جزء من سور المدينة والدخول إليها وتحرير عدد من الأسرى المغاربة مما اضطر البرتغاليين إلى الانسحاب نحو القلعة في حين وصول الإمدادات من طنجة ومن جبل طارق بقيادة بيير دو نافار(PIERRE DE NAVARRE)، فاضطر السلطان محمد البرتغالي إلى الرجوع إلى فاس التي دخلها دخول المنتصر ولم يتوقف بعد ذلك عن مهاجمة أصيلا رغبة في تحريرها من أيدي البرتغال ما بين سنتي 914 و921 هـ[1].

وقد ساعده في البداية القائد المنظري[2] حاكم تطوان، وشريف شفشاون ابن راشد[3] إلا أنه أخفق في استعادتها لانعدام الإمكانيات الكافية لهذه المواجهة مما اضطر السلطان إلى الاعتماد على الدعم الذي تقدمه مراكز الجهاد المتعددة التي يقودها بعض الشرفاء أو بعض المتصوفة، مما ساهم في تقوية نفوذهم وفرض سلطانهم على البلاد، فأصبح المتصوفة يجتمعون ويدعون السكان إلى الجهاد وينوبون عن السلطان باسم الإسلام وعوض أن يخضعهم السلطان لأمره أصبح تابعا لهم مما جعل قيادة الجهاد بيدهم[4].

ورغم أن السلطان محمد البرتغالي أخفق في استعادة مدينة أصيلا إلا أنه تمكن من استرجاع مدينة المعمورة أو المهدية(القريبة من القنيطرة) سنة 926 هـ وبدأ ببناء الدار البيضاء والتي كان البرتغاليون قد احتلوها منذ 921 هـ/ 1515 م[5].

2/ ظهور السعديين وقيام دولتهم:

يختلف العديد من المؤرخين في تحديد نسب الأشراف السعديين، فحسب رواية المقري نقلا عن الناصري فالسعديون من قبيلة بني سعد بن بكر بن هوازن قوم حليمة السعدية حاضنة

---

[1]- أوغست كور، المرجع السابق، ص 74.

[2]- بنو المنظري: هم من أسرة عربية من مهاجري الأندلس.

[3]- علي ابن راشد: أحد شرفاء جيل العلم وهم من أسرة عربية، صارع البرتغال في مراكز احتلالهم بشمالي المغرب، وهو الذي بنى مدينة شفشاون وتخذها مقرا لقاعدة جهاده وقد أسره البرتغال في طنجة في أكتوبر 1457 م وأطلق سراحه في عمليات تبادل الأسرى. ينظر في ذلك: عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 16.

[4]- عن استقرار هذه التأثيرات السياسية والدينية ينظر كتاب الاستقصا، ج 2.

[5]- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ ، مج 2، ص 200.

ومرضعة الرسول صلى الله عليه وسلم، أي من عند قريش وهو قول تراجع عنه المقري نفسه، وصرح بشرفهم في كتابه" نفح الطيب"[1]. أما ما يجمع عليه معظم المؤرخين الموثوق بهم وخاصة مؤرخهم الفشتالي صاحب كتاب" مناهل الصفا في تاريخ الأئمة السعديين الشرفا" على أن نسبهم شريف ويرجعون إلى الشجرة النبوية الشريفة منحدرين من محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعا. ويذكر السلاوي:« أنهم بنو عمومة السادة العلويين أشراف سجلماسة،يجتمعون معهم في جد واحد وهو محمد بن القاسم المذكور في النسب»[2].

وكان أول استقرارهم بالمغرب- على ضفاف المجرى الأوسط لوادي درعة في أقصى جنوبي المغرب الأقصى- في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[3]. وأول من نزح منهم زيدان بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن حسن بن أحمد بن إسماعيل بن قاسم بن محمد النفس الزكية. ويورد السلاوي نقلا عن اليفرني وابن القاضي أن هذا النسب المذكور فيه بتر بن قاسم ومحمد النفس الزكية إذ لا يعرف في أولاد النفس الزكية من اسمه قاسم وإنما هو قاسم بن محمد بن عبد الله الأشقر بن محمد النفس الزكية ولعله سقط عن ذهول من الناسخ[4]. ومع أن خصومهم من الشرفاء العلويين وبقايا الوطاسين والمرينيين وأنصارهم يشككون في نسبهم هذا فبمقارنة الروايات التي أوردها القادري[5] والزياني[6] والأفراني[7] يتضح أن إقصاء السعديين للعلويين عن مقاليد السلطة والحكم هو الذي جعل

[1]- السلاوي، الاستقصا، ج 5، ص 5.

[2]- نفسه، ص 4،5.

[3]- أبو القاسم الزياني، الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب، ج 1، باريس، 1886، ص 343.

[4]- السلاوي، المصدر السابق، ج 5، ص 5 ؛ ابن القاضي، درة الحجال، ص 106.

[5]- القادري، نشر المثاني، ج 1، ص 26.

[6]- الزياني، المصدر السابق، ص 343.

[7]- الأفراني، نزهة الحادي، ص 4.

جعل هؤلاء يطعنون في صحة نسبهم الشريف مثلهم، وحتى يثبتوا أنهم أجدر بالملك من السعديين[1].

إلا أن السلطان العلوي محمد بن عبد الله الزياني أكد أن نسب السعديين الشريفي لا غبار عليه واعترف أنهم ينحدرون من جد واحد، وأن إدعاء العلويين عكس ذلك فيما سبق لأن بني عمومتهم لم يشركوهم في الحكم[2].

وقد ظل السعديون حتى مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي يحيون حياة بسيطة دينية وعملية، ولم يبرزوا على الساحة السياسية إلا حين اشتدت وطأة البرتغاليين على الجنوب المغربي[3] فألحقوا به وبسكانه أضرارا مادية وبشرية دون أي تدخل من الوطاسين لحمايتهم والذين اشتغلوا بالدفاع عن المناطق الشمالية.

وبعد أن تأكد عدم جدوى المقاومة غير المنظمة وفي غياب دور سياسي فعال من جانب الوطاسين في الشمال أو الهنتاتيين في الجنوب اتجه رأي شيوخ الزوايا ورؤساء القبائل لوضع إطار جديد لعملهم والبحث عمن يتولى قيادتهم، فاستقر رأي السوسيين على اختيار أحد شيوخهم وعرضوا أمر تولي قيادتهم على كل من الشيخ محمد بن مبارك[4] زعيم زاوية أقا، والشيخ بركات بن محمد زعيم زاوية تيدسي بمنطقة جزولة اللذين أصبح لهما تأثير كبير بين القبائل بسبب الدور الذي

---

[1]- الزياني، المصدر السابق، ص 343.

[2]- نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- وقعت إسبانيا والبرتغال معاهدة سانترا SINTRA سنة 1905 م والتي وضعت حدا لنزاعهما الطويل حول سواحل المغرب، حيث جعلت هذه المعاهدة سواحل المغرب الأطلسية في مناطق النفوذ البرتغالي الممتدة بين رأسي كانتان ونام، مقابل اعتراف البرتغال بمشروعية التوسع الإسباني في الجزء الشرقي من ساحل المغرب الشمالي الواقع بين بادس حتى غصاصة ومليلية. ينظر في ذلك الأفراني: نزهة الحادي، ص 9.

[4]- يصفه صاحب دوحة الناشر بأنه:« كان أعجوبة من أعاجيب الدهر...، مرهف الحس، سريع الإجابة، متمكنا من المقام، وكان إذا هاجت القبائل يبعث لهم بالكف عن القتال، فمن تعدى أمره عجلت عقوبته في الوقت...، وضع أياما معلومة كل شهر يسمونها أيام سيدي محمد بن مبارك لا يحمل فيها أحد سلاحا ولا يقدر أحد على المشاجرة فيها، يجتمع الرجل مع قاتل أبيه وجده فلا يكلمه، وشاع عند قبائل العرب والبربر بسوس وأهل القبلة». ينظر في ذلك: ابن عسكر، المصدر السابق، ص 69.

لعباه في توحيد سكان بلاد السوس، وحثهم على مقاومة البرتغاليين إلا أنهما رفضا هذا العرض فاقترحا عليهم إسناد السلطة إلى شريف درعة الفقيه محمد بن عبد الرحمن التكمدارتي، فتمت مبايعته بإجماع من أهل سوس بتيدسي سنة 916 هـ/ 1510 م ولقب من ذلك الحين بالقائم بأمر الله[1]. وبذلك شكلت منطقة سوس منطلقا لحركة سياسية جديدة وليس في الأمر غرابة بسبب الدور الكبير الذي لعبه الصوفية في الجهاد بهذه المنطقة[2] باعتبارها من المناطق التي عانت سواحلها مطلع القرن 10 هـ/ 16 م من هجمات البرتغاليين الذين امتد نفوذهم إلى داخل المنطقة بمعية بعض رؤساء القبائل المتعاونين معهم[3] أمثال أولاد عمران والقائد حمو أمركاس ويحيى بلصباع ويحيى أوتافوفت وعبد الرحمن بن حدو والشيخ السعيد وعلي مؤمن وغيرهم من الذين كانوا يعملون تحت الحماية البرتغالية[4].

ونتيجة لتفاقم العدوان البرتغالي على السواحل المغربية الجنوبية وجدت الطرق الصوفية وخاصة الجزولية[5] فرصة للانتشار الواسع بين القبائل الناقمة على الاحتلال البرتغالي لا سيما في منطقة سوس مهد الحركة الجزولية ومقر باعثها الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الجزولي الذي أعطى نفسا جديدا للطريقة الشاذلية وبعثها بمبادئ جديدة، فنشطت الزوايا وظهر من بين سكان هذه المنطقة جماعة من الصوفيين الذين تزعموا الجهاد ضد المحتلين، فلا غرابة أن يخرج من

---

[1]- الأفراني: نزهة الحادي، ص ص 41- 50 ؛ أوغست كور، المرجع السابق، ص 75، 76 ؛

A. Cour , la dynastie marocaine des Béni Wattas(1420- 1554), alter, 1917, p 121.

[2]- عبد اللطيف الشاذلي، المجتمع المغربي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر من خلال الآداب الصوفية، كلية الآداب، الرباط، 1987، ص 301.

[3]- أحمد بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وآزمور(قبل 28 غشت 1481- أكتوبر 1541)، طبعة الدار البيضاء، 1984، ص ص 215- 217 ؛

A. Cour , l'établissement des dynasties des chérifs au Maroc et leur rivalité avec les turcs de la régence d'Alger , 1509- 1830, paris, 1904, p 14.

[4]- عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ص 44.

[5]- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ج 3، ص 103 ؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص 68، 69 ؛عمار بن خروف، المرجع السابق،، ج1، ص 50، 51.

بين السوسيين الذين خاب أملهم في حكامهم من يحمل الدعوة إلى الجهاد والوقوف في وجه المغيرين وصد حملاتهم[1].

ولعل دعوة محمد بن عبد الرحمن الجزولي في جنوب البلاد جاءت من المنطلق كرد فعل على تردي الأوضاع في البلاد وتعبيرا عن موقف الصوفية من سياسة بني مرين وبني وطاس من بعدهم التي أدخلت البلاد في حالة من العجز والتقهقر[2]. لذلك يمكن القول بأن شرفاء سوس الذين حملوا الدعوة بعد الجزولي أصبحوا المرشحين للزعامة السياسية[3].

وبمجرد مبايعة السوسيين للشريف محمد بن عبد الرحمن السعدي أميرا عليهم جمع صفوفهم وسار بهم إلى حرب البرتغاليين في حصن فونتي[4] بالقرب من أكادير فكانت له انتصارات أولية رائعة هناك، عكس ما يذكره طيراس الذي يستهين بالنتائج التي أحرزها السلطان السعدي ويعدها قليلة الأهمية[5].

ولعل انتصار أكادير هو الذي أهاب بسكان حاحة والشياظمة إلى الاستنجاد بالقائم ضد البرتغال الذين يحتلون عدة مواقع شاطئية هناك كأكوز وآسفي، وقبل أن يتصدى القائم لهذه

---

[1]- الزهراء النظام، المرجع السابق، ص 68.

[2]- من الأمور التي أعطت الشرفاء مكانة مميزة بين القبائل معارضتهم للسياسة الجبائية لبني مرين والتي أثارت ضدهم ردود فعل قوية بين سكان المدن والبوادي، وكانت وراء مقتل عبد الحق المريني آخر حكام بني مرين. ينظر في ذلك: A.Cour , op. cit, p 17- 21.

[3]- إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 36، 37، وأيضا: CHARLES ANDRE JULIEN , le Maroc face aux impérialismes 1415-1956, paris, 1978, p 22.

[4]- استولى الدون مانويل ملك البرتغال على البريجة ثم على آسفي(وهي ميناء مدينة مراكش) سنة 910 هـ/ 1504 م وبعد ذلك استولى على آزمور ثم حصن الجديدة سنة 914 هـ/ 1508 م وسموه فونتي على ساحل السوس، وأقاموا هناك متجرا أقبل عليه الكثيرون من العوام مما أثار مخاوف السوسيين ودفعهم إلى الالتفاف حول شيوخهم من الصوفية. ينظر في ذلك: حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ج 3، ص 106، 107 ؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مج 2، ص254.

[5] -Terrasse(H) : histoire du Maroc, t 2, Paris, 1950, p 161.

المهمة رشح نجله أبا العباس أحمد الأعرج لولاية العهد وعقد له البيعة سنة 918 هـ/ 1513 م[1] بتيدسي ثم استجاب القائم لنداء حاحة والشياظمة وترك ابنه محمد المهدي بالسوس يقوم بأمرها بينما رافقه ابنه أبو العباس[2].

وبحاحة خاض القائم وابنه أحمد الأعرج ضد البرتغاليين وأعوانهم معارك عديدة لم يكن النصر فيها دائما حليف السعديين، ومن أهم هذه المعارك تلك التي خاضوها بالقرب من تدنيست سنة 920 هـ/ 1514 م[3] والتي انهزم فيها السعديون وأحرق فيها البرتغاليون تدنيست، كما دمروا المدن والقرى الموالية للسعديين، وفي سنة 1515 م هاجم البرتغاليون مدينة مراكش فأخفقوا في احتلالها بعد وصول الإمدادات إلى المدينة من السعديين والوطاسين[4].

وبعد مراكش توجهت أنظار البرتغاليين إلى المعمورة التي أرسلوا إليها أسطولا عظيما في شهر جوان 1515 م مستغلين في ذلك فرصة انشغال السلطان محمد البرتغالي في حملته ضد القبائل المنشقة عنه في بلاد دكالة، إلا أن أخ السلطان مولاي الناصر ونائبه على مكناس سرعان ما تصديا لزحف المعتدين وأجبراهم على الانسحاب أوائل أوت من نفس السنة[5].

---

[1]- يذكر أوغست كور بأنه بعد الانتصار الذي أحرزه القائم ظهر الانقسام بين أنصاره ودب الحسد في نفوس البعض منهم، ففضل الرجوع إلى بلده بدرعة التي ظل بها حوالي سنتين، وبعد ما زال ما أغضبه عاد إلى تيدسي سنة 918 هـ/ 1512 م حيث طلب من أهلها مبايعة ابنه أحمد الأعرج بالإمارة فاستجابوا لطلبه. ينظر في ذلك: أوغست كور، المرجع السابق، ص 76 ؛ الأفراني، نزهة الحادي، ص 16.

[2]- تذكر بعض الروايات بأن القائم خشي أن يتخذ الوطاسيون موقفا معاديا تجاهه، فبعث بابنيه إلى السلطان محمد البرتغالي الوطاسي قبل أن يشتهر أمره بسوس، حيث ساهما في الحرب ضد البرتغال بأصيلا والعرائش، واستأذناه في تجنيد المتطوعين لقتال البرتغال بالجنوب، وراسلا القبائل في هذا الشأن، وكان أبو العباس أحمد قد حصل من السلطان على كرسي علم بالقرويين، أما الأصغر فقد صار مؤدبا لأبنائه. ينظر في ذلك: أوغست كور، المرجع السابق، ص 76 ؛السلاوي، المصدر السابق، ج 5، ص 8 ؛المراكشي، الإعلام، ج 4، ص 134، 135.

[3]- مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج 2، ص 8، 9.

[4]- مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج 2، ص65.

[5]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 43.

وفي سنة 923 هـ/ 1517 م[1] توفي القائم بأفوغال بالقرب من شيشاوة تاركا الأمر لولده أحمد الأعرج ولأخيه محمد الشيخ، فدفن بضريح الإمام محمد بن سليمان الجزولي ثم نقل رفاته إلى مراكش سنة 930 هـ/ 1523 م[2].

3/ السعديون في مواجهة البرتغال:

*** إمارة أبي العباس أحمد الأعرج(923- 946 هـ/ 1517- 1540 م):** بعدما فشلت الحملتان على مراكش والمعمورة واللتان كان ملك البرتغال يأمل من ورائهما إلى احتلال شامل لبلاد المغرب، أصيب البرتغاليون بخيبة أمل جعلت لشبونة تلجأ إلى سياسة التقرب من بعض القبائل والعمل على خلق عملاء فكان منهم كما ذكرنا سابقا أولاد عمران ومشايخ قبائل شرقية وبعض القادة كحمو أمركاس، ويحي بلصباع، ويحي أوتافوفت[3]، وعبد الرحمن بن حدو، والشيخ سعيد وعلي مومن[4]، والشيخ بوجمعة[5]، وغيرهم من الذين كانوا عملاء للبرتغاليين مقابل امتيازات خاصة. وخير ما نستدل به عن هؤلاء العملاء المتعاونين مع البرتغاليين يحي أوتافوفت الذي عينه الملك إمانويل الأول بمرسوم صادر في شهر جوان 1516م حاكما على دكالة مع السماح له بتأليف حرس خاص شريطة تنفيذ أوامر الملك البرتغالي التي تصله عن طريق حكام آسفي وآزمور.

---

[1]- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مج 2، ص 275 ؛ كتاب السياسة والمجتمع في العصر السعدي، ص 47.

[2]- الأفراني، نزهة الحادي، ص 36.

[3]- يحي أوتافوفت: قائد عرب دكالة وحاحة، والقائد العام للقوات الموالية للبرتغاليين منذ عام 1516 م. ينظر في ذلك:
TORRES(DIEGO DE) , relation de l'origine et succès des chérifs, paris, 1936, p 56.
؛الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 112 ؛مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج 2، ص 63 و ص 92.

[4]- قائد عرب عبده: ينظر في ذلك: مارمول، المصدر السابق، ج 2، ص 65.

[5]- نفسه، ص 11.

وتجدر الإشارة إلى أن جميع هؤلاء العملاء كانوا يبعثون برسائل وتقارير إلى لشبونة تصف أحوال وأوضاع بلاد المغرب الجنوبية في هذه الفترة فتكون خير دليل ومساعد على التوغل[1].

وبتولية أحمد الأعرج سعى هذا الأخير بمعية أخيه محمد الشيخ إلى تركيز جهودهما على الاستمرار في محاربة البرتغاليين وعلى التخلص من أعوانهم الذين فتحوا الطريق أمام البرتغاليين من أجل التوغل في المناطق الداخلية، فخضعت له وبصفة تلقائية جل قبائل الجنوب خاصة بعد مقتل يحي أوتافوفت سنة 924 هـ/ 1518 م[2] إذ بمقتله تخلص السعديون من عقبة كبيرة، وفقد البرتغاليون في يحيى حليفا مخلصا قدم لهم خدمات جليلة، وبذلك بدأ نفوذهم يتراجع في المناطق الداخلية[3] واستمر في التقلص والانحسار حتى باتوا مهددين في آسفي وآزمور وأكادير وغيرها[4].

بينما تزايد نفوذ السعديين وقويت شوكتهم في الجنوب المغربي خاصة بعدما خضعت لهم العديد من المدن والقرى كماسة وتيوط وتغاوست إضافة إلى تيدسي وتارودانت ومراكش سنة 930 هـ/ 1524 م[5]بعد موت أميرها الناصر بوتنتوف[6]، إذ بخضوع هذه المدن الهامة لا سيما

---

[1]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 44، نقلا عن المصادر الأصلية للتاريخ المغربي، البرتغال، المجلد الأول(فتح آزمور)، ص 6.

[2] - اهتدى أحمد الأعرج بدهائه وفكره الثاقب إلى ضرورة التخلص من هذا الرجل العميل في أسرع وقت، فعمل أولا على الدس له لدى قادة البرتغال المحليين، فكان مقتله على يد اثنين من أشياخ أولاد عمران الخاضعين للبرتغاليين. ينظر في ذلك: TORRESSE , op. cit, p 73- 74 ؛ أوغست كور، المرجع السابق، ص 93 ؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مج 2، ص 276.

[3]- يذكر طوريس أن موت يحي أوتافوفت وضع حدا للسياسة الكبرى للحماية التي بسطها البرتغاليون على المناطق الساحلية وكذا زحفهم نحو الداخل. ينظر في ذلك: TORRESSE(D) , op. cit, p 73- 74 ؛أوغست كور، المرجع السابق، ص 94 ؛ TORRESSE : histoire du Maroc, t 2, p 162.

[4]- عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1 ،ص 51، 52.

[5]- الأفراني، المصدر السابق، ص 19، وعند الزياني كان الدخول سنة 927 هـ/ 1521 م، الترجمان، ص 345، وعند عبد الكريم كريم في أوائل يناير 1525 م، ص 50، وعند إبراهيم حركات، في المغرب عبر التاريخ، ص 276، والسياسة والمجتمع، ص 49، في سنة 930 هـ/ 1527 م.

[6]- يذكر طوريس وأوغوست كور أن الأخوين أحمد الأعرج ومحمد الشيخ دخلا مراكش بطلب من الأمير مولاي ناصر بوشنتوف الذي تخوف من التهديد البرتغالي المستمر ففضل التحالف مع السعديين، غير إن هؤلاء قبلوا عرضه ودخلوا مراكش ثم بعدها دبروا اغتيال هذا الأمير، ثم أعلن الأعرج نفسه سلطانا. ينظر في ذلك: TORRESSE : op. cit, p. p=

مراكش توحد الجنوب المغربي تحت سلطة السعديين ولعل أهم إنجاز قام به أحمد الأعرج هو استرجاع آسفي سنة 933 هـ/ 1527 م[1] وميناءها الحربي والتجاري البالغ الأهمية لدى البرتغاليين، وبذلك تمكن أبو العباس أحمد الأعرج من تحقيق انتصار جدي على البرتغاليين خاصة بعدما قتل عاملهم لوبيز باريغا(LOPEZ BORRIGA) ويحي أوتافوفت المذكور سالفا[2].

وبخضوع مراكش للسعديين الذين اتخذوها مقرا لدولتهم الناشئة دخل السعديون مرحلة جديدة وحاسمة تميزت باستمرار الصراع ضد البرتغاليين من جهة، وضد الوطاسين من جهة أخرى[3] والذين لم يرق لهم اتساع نفوذ السعديين.

4/ الصراع السعدي الوطاسي وتقسيم المغرب بينهما(930- 960 هـ/ 1524- 1554 م):

بفضل الإستراتيجية التي اعتمدها الشريفان أحمد الأعرج وأخيه محمد الشيخ والتي كانت تعتمد على الجهاد وتطوير وسائلهما المالية والعسكرية[4] تمكنا من التصدي للبرتغاليين ومن تعميق قوتهما ومد نفوذهما في جنوب البلاد.

= 79 -75 ؛أوغست كور، المرجع السابق، ص 94، أما الأفراني فيذكر أن ملوك مراكش راسلوا الأعرج ودخلوا تحت طاعته، ينظر النزهة، ص 19، بينما يذكر الزياني في ترجمانه أن الدخول كان عنوة، المصدر السابق، ص 345.

[1]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 49 ؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ص 276 و السياسة والمجتمع، ص48.

[2] -TORRESSE , op. cit, p 162.

[3]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 51 ؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ص 277 و السياسة والمجتمع، ص 49 ؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 107.

[4]- اعتمد الأعرج لتحقيق هذه السياسة على فرقة الفرسان التي جهزتها بعض القبائل المنطوية تحت لوائه وقوامها خمسمائة رجل والتي تزايد عددها مع مرور الأيام، كما استغل موارد البلاد الزراعية والتجارية للحصول على الأموال اللازمة لشراء الأسلحة ووسائل الحرب، وتذكر بعض الروايات أن الأعرج باشر إلى التعامل مع التجار الأجانب من غير البرتغاليين خاصة القشتاليين الذين أبرم معهم اتفاقا يقضي باحتكار سكر سوس مقابل مقدار مهم من المال. ينظر في ذلك: عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 45، نقلا عن المصادر الأصلية للتاريخ المغربي، البرتغال، مج 1، ص 255.

وبعد دخولهما مراكش عمل الأخوان على اقتسام السلطة بينهما فأعلن أحمد الأعرج نفسه أميرا على مراكش، وعين محمد الشيخ نائبا له بسوس، واتخذ من تارودانت عاصمة له[1] مما أثار استياء السلطان محمد البرتغالي الوطاسي الذي بدا له أن هدف السعديين لم يكن الجهاد فحسب بل هم يطمحون إلى تأسيس دولة أيضا، وتجنبا لإثارة ردود فعل ملك فاس بادر الأخوان إلى إعلان بيعتهما له وأبديا استعدادهما بالالتزام بأداء ضريبة سنوية عربونا على طاعتهما له[2].

ومع انشغال محمد البرتغالي في الشمال بأصيلا التي هاجمها حوالي أربع مرات في 931هـ/ 1524 م[3] قبل عرضهما وتمهل في اتخاذ أي قرار للتحرك نحو مراكش، لكن أحمد الأعرج الذي منحته انتصاراته المتتالية على البرتغاليين تارة وعلى القبائل المغربية المتعاونة معهم تارة أخرى، إحساسا بالقوة والتفوق على الوطاسين تخلى عن التزامه تجاه الملك الوطاسي[4] مستفيدا من الهدنة التي عقدها مع البرتغاليين في آسفي وآزمور فيما بين سنتي 1524 و1526 م[5] واستمر في التوسع جنوب البلاد، ثم بعدها أخذ بمعية أخيه يهيئ الظروف والوسائل للزحف نحو الشمال فقام الشريفان في البداية بدعوة قبائل الأطلس للتحالف معهما ضد الوطاسين ومهد الأعرج لذلك بالتخلي عن بيعة الوطاسين بقطع الضريبة التي كان يدفعها له[6]. حينئذ قرر محمد البرتغالي مهاجمة

---

[1]- الزهراء النظام، المرجع السابق، ص 74.

[2]- TORRESSE(DE) : op. cit, p 90 ؛ السلاوي، المصدر السابق، ج 5، ص 11.

[3] -TORRESSE(DE) , op. cit, p 91.

[4]- السلاوي: المصدر السابق، ج 1، ص 149 ؛ PIERRE CENIVAL , sources inédites de l'histoire du Maroc, 1 ère série , dynastie saadienne,archives et bibliothèque Portugal, t 1, 1934, p 348.

[5]- لعرقلة التحالف الذي تم بين الملك الوطاسي والبرتغاليين من أجل القضاء على السعديين بادر أحمد الأعرج إلى التقرب من البرتغاليين ووقع مع قبطان آسفي دوسوكوطو هدنة لمدة سنة، تم الاتفاق على تجديد العمل بها فيما بعد، غير أن البرتغاليين لم يلتزموا ببنود الهدنة حيث لم يكونا مطمئنين للشرفاء، ولذلك لم يتخلوا عن تحالفهم مع الوطاسين وظلوا يدعمونهم في حروبهم مع السعديين. ينظر في ذلك: CENIVAL , op.cit, p 407, 408 ؛بوشرب أحمد، المرجع السابق، ص 392 ؛ الزهراء نظام، المرجع السابق، ص 116.

[6] -CENIVAL , op.cit, p 348, 351, 364, 369.

ROGER le Tourneau , les débuts de la dynastie Saadienne jusqu'à la mort du Sultan M'Hamed ech- cheikh, Alger, 1954, p 34.

الأعرج فاستنفر قواته للزحف على مراكش. وسبق وأن أشرنا إلى أن ارتباط السعديين بالصوفية يؤكد بحثهم عن سند معنوي وحماية في شخص أبي عبد الله بن عبد الرحمن الجزولي 1465 م وأتباعه، فقد ظل هذا الشيخ وهو مؤسس الزاوية الجزولية في سوس بفضل مكانته السياسية والدينية رمزا للحماية بالنسبة لهم لذلك نجد الشرفاء بالقرب من ضريحه في أفوغال ثم في مراكش بعدما انتقل إليها الأعرج ونقل معه رفات والده القائم والشيخ الجزولي[1]. الأمر الذي جعل الشرفاء السعديين يستفيدون من التأثير القوي الذي كان لأتباع الجزولية- خاصة بجنوب البلاد- لمواصلة الجهاد ضد النصارى والحصول على دعمهم أثناء صراعهم مع الوطاسين،وقد تجلى هذا الأمر عندما زحف الوطاسي على مراكش ومحاصرته لأحمد الأعرج في المدينة فتدخل الصوفية[2] وأرغموا الوطاسي على رفع هذا الحصار إضافة إلى وصول أنباء عن ثورة بني عم البرتغالي في فاس، مما اضطره إلى رفع الحصار والانسحاب على أمل العودة ثانية إلى مراكش بعد القضاء على الثورة، غير أن الأجل لم يمهله إذ توفي في ماي 932 هـ/ 1526 م[3] فأعقب وفاته نزاع بين أخيه أبي حسون وبين ولده أحمد الذي خلص له الملك في الأخير في ذي الحجة 932 هـ/ سبتمبر 1526م[4].

وبتولية أبي العباس أحمد الوطاسي(932- 956 هـ/ 1526- 1548 م) طالب الشريف الأعرج بالضرائب المستحقة عليه إلا أنه لم يستجب له لا بل تحالف مع أمراء استقلوا عن فاس كابن حدو، وإدريس الهنتاتي، كما حصن مدينته مراكش فلم يبق من خيار أمام أحمد

---

[1]- الأفراني، المصدر السابق، ص 52 ؛ A. Cour, l'établissement, p 63

[2]- من المتصوفة الذين تصدوا للملك الوطاسي الشيخ الغزواني وهو أحد كبار أتباع الجزولي، وكان من المدعمين للسعديين حيث كان يدعو بانتقال السلطة إليهم خاصة بعد المضايقات التي تعرض لها في فاس على يد الوطاسي وأتباعه. ينظر: A. Cour , la dynastie marocaine, p 147

[3]- الأفراني، المصدر السابق، ص 20 ؛ السلاوي، المصدر السابق، ج 4، ص 47، 48.

[4] -Torresse , op. cit, p 91

الوطاسي سوى إعلان الحرب[1]. فتحرك إلى خصمه محاصرا مراكش التي تحصن بها الأعرج في جموع كبيرة فالتقى الجمعان في معركة ضارية على أبواب المدينة دون تحقيق أي نتيجة تذكر، مما اضطر الوطاسي إلى رفع الحصار والانسحاب خاصة بعد وصول الإمدادات من تارودانت التي تحت إمرة محمد الشيخ السعدي، إضافة إلى الأنباء التي وصلت إلى السلطان الوطاسي والتي مفادها تلك الثورة التي قادها ابن أخيه مسعود بن الناصر في مكناس فعاد إلى قاعدته بفاس بعدما تكبد خسائر فادحة[2]، ولكي يتفرغ السلطان الوطاسي لمحاربة أحمد الأعرج اضطر إلى مهادنة البرتغاليين ودخل معهم في مفاوضات تولاها من الجانب البرتغالي قبطاني آزمور وأصيلا ومن الجانب المغربي إبراهيم وأحمد العطار قائدا الملك الوطاسي على مدينة شفشاون ومنطقة تادلا، وتركزت حول توحيد الجهود لمهاجمة مراكش، واتفقا على أن الوطاسين يهاجمونها من الداخل بينما يتولى البرتغاليون حصارها، واقترح السلطان الوطاسي التنازل لهم عن المناطق التي يتم استرجاعها من السعديين ومنها ميناءا تافطنا وتركوكو[3].

وبعد إخماد تمرد ابن أخيه[4] جهز حملة من جديد ضد السعديين فكان اللقاء هذه المرة بأنماي خارج مراكش سنة 935 هـ/ 1528 م حيث تمكن أحمد الأعرج من رد هذه الحملة وأجبروه على التوقف عند حدود هذه المنطقة وحسب رواية الأفراني والسلاوي أنهما افترقا على صلح[5]. استغل الأخوان أحمد الأعرج ومحمد الشيخ فرصة الصلح الموقع مع الوطاسي سنة 1528

---

[1]- عن حصار مراكش راجع الأفراني، المصدر السابق، ص 19، والسلاوي، المصدر السابق، ج 4، ص 147، 148، وأيضا: Torresse ,op. cit, p 96

[2]- تاريخ هذه الحركة غير معروف بدقه ولعله في نهاية 1526 م أو مطلع سنة 1527 م. ينظر عنها: محمد الكراسي، عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط 1963، ص 28، 29 ؛ Torresse, op. cit, p 69

[3]- بوشرب أحمد، المرجع السابق، ص 52 ؛ عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 53 ؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص110.

[4]- تمكن أحمد الوطاسي من إخماد ثورة مكناس بفضل وساطة المولى إبراهيم الذي جعل مسعود يستسلم، حيث نقل إلى فاس وسجن بها إلى أن مات. ينظر الكراسي، عروسة المسائل، ص 23.

[5]- الأفراني، المصدر السابق، ص 20 ؛ السلاوي، المصدر السابق، ج 4، ص 150.

م فكثفا حملاتهما ضد المناطق الخاضعة للبرتغاليين في الفترة الممتدة ما بين 1528- 1537 م فحاصر محمد الشيخ مدينة أكادير سنة 1533 م وحاصر أحمد الأعرج مدينة آسفي سنة 1534 م[1].

غير أن أحمد الوطاسي لم يتوان عن إعادة الكرة خاصة وأنه لم يعد يرى في السعديين سوى مغتصبين لملكه في مراكش في الوقت الذي كان هؤلاء يعتبرون أنفسهم الأحق بالملك منه[2]. وبعدما امتدت أيديهم إلى تادلا التابعة للوطاسين تجدد النزاع بين الطرفين في جويلية 943 هـ/ 1536 م في بوعقبة على وادي العبيد، حيث انتهت هذه الموقعة بهزيمة كبيرة لجيش السلطان الوطاسي الذي نجا بنفسه بصعوبة[3].

بعد الهزيمة النكراء التي تلقاها أحمد الوطاسي على يد الأخوين أحمد الأعرج ومحمد الشيخ والتي مات فيها خلق كثير تدخل كبار علماء فاس وأعيانها لعقد الصلح بينهما، ورغم الصعوبات التي اعترضت وسطاء هذا الصلح نتيجة امتناع الشريفان عن تقديم التسهيلات لإبرامه في بادئ الأمر[4] إلا أنه قد تم التوفيق بينهما، وقد نص هذا الاتفاق على تقسيم البلاد بينهما على أن تكون تادلا وما يليها إلى أطراف السوس جنوبا تحت سيادة السعديين، أما الوطاسين فقد تملكوا ما يلي تادلا شمالا إلى رباط تازة، وأن تكون درعة للسعديين وسجلماسة للوطاسين دون أن يشير الاتفاق إلى تبعية أو خضوع الشريفان إلى السلطان الوطاسي[5].

---

[1] -Cenival , op. cit, p 455- 508- 509.

[2]- عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1 ، ص 53.

[3]- محمد الكراسي، المصدر السابق، ص ص 32، 35 ؛ Torresse : op. cit, p. p 102- 104

[4]- يذكر الأفراني بأن جماعة من الفقهاء والأتقياء قصدوا الشريفين وكان من بينهم أبو حفص عمر الخطاب، وأبو الرواي المحجوب، وعبد الواحد الونشريسي وعند لقائهم بهما وجدا في الأعرج وأخيه شدة وغلظة وامتناعا من مساعدتهم على ما أرادوا، فحلف أوب حفص الخطاب لا دخلوها ويقصد فاس ما دمت على وجه الأرض، فما دخلوها حتى مات بعد مدة، فكان بعضهم يقول:" لو كان بنو وطاس يعرفون شيئا ما دفنوا أبا حفص الخطاب، يعني لتركوه في تابوت على وجه الأرض". ينظر: الأفراني، نزهة الهادي، ص 57.

[5]- الأفراني، المصدر السابق، ص 21 ؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مج 2، ص 277 ؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 108 ؛ أوغست كور، المرجع السابق، ص 99.

وبهذا الاتفاق أصبح المغرب يتألف من مملكتين رئيسيتين لا تبعية لإحداهما للأخرى، فاستقرت الأوضاع وهدأت النفوس لفترة وجيزة، فاستغل السعديون الفرصة لتجديد حملاتهم ضد النصارى بأحواز آسفي، ومع استمرار عملياتهم الجهادية هذه تزايد نفوذهم لدى المتصوفة الذين راحوا يدعمونهم بقوة في الوقت الذي كان عداء الوطاسين للسعديين يتزايد يوما عن يوم فكانوا يستعدون باستمرار لمواجهتهم والاستيلاء على مراكش[1].

وسرعان ما تجدد الصراع بين الطرفين، وقبل الحديث عن ذلك نشير إلى أن السلطان الوطاسي عاد من جديد إلى عقد هدنة مع البرتغاليين في 27 صفر 945 هـ/ 24- 07- 1538 م لمدة 11 عاما[2] حتى يأمن جانبهم ويتفرغ من جهة إلى خصومه السعديين[3]. ولعل هذه الهدنة كانت نقمة على الوطاسي لأنه فقد شعبيته لدى جموع المتصوفة والمجاهدين ضد النصارى[4]، حيث استاءت من سياسته إمارة دبدو في شرق المغرب، وإمارة بني راشد في شفشاون[5]، فثارتا ضده مما اضطره إلى استعمال القوة ضد بني راشد وإتباع سياسة المصاهرة مع أمير دبدو ومع حاكمة تطوان[6].

أما أحمد الأعرج ومحمد الشيخ فقد استغلا الهدنة مع الوطاسين وهدنة أخرى عقداها مع البرتغاليين في 15 ذي القعدة 543 هـ/ 25- 04- 1537 م لمدة ثلاث سنوات[7] في التفرغ لضم ما تبقى من مناطق لم تخضع لهما بعد في الجنوب المغربي، فخضعت لهما كل المناطق الواقعة

---

[1]- أوغست كور، المرجع السابق، ص 99، 100.

[2]- يذكر السلاوي أن الهدنة كانت لمدة ثلاث سنوات. الاستقصا، ج 4، ص 154 ؛ بوشرب، المرجع السابق، ص 390 ؛ Cenival , op. cit, p 34

[3]- السلاوي، المصدر السابق، ج 4، ص 154.

[4]- ابن عسكر، الدوحة، ص 145.

[5]- عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1 ، ص 53.

[6]- أصهر السلطان الوطاسي إلى أمير دبدو في ابنته، كما تزوج هو السيدة الحرة حاكمة تطوان. ينظر في ذلك: محمد داود، تاريخ تطوان، ج 8، تطوان، 1959، ص 86.

[7] -Couri, la dynastie marocaine, p 164.

جنوب الأطلس الكبير وتافيلالت[1] كأعالي درعة التي كانت تحت حكم مزوار الموالي للبرتغاليين وبعض المناطق الواقعة تحت نفوذ بعض القبائل المصمودية الموالية كذلك للبرتغاليين[2]. كما عمد الأخوان إلى تنظيم مملكتهما التي أصبحت تشتمل على مناطق اقتصادية هامة كدرعة وسوس ومراكش.

وبعد انقضاء أجل الهدنة المبرمة مع البرتغاليين هم محمد الشيخ إلى تحرير ميناء أغادير الهام من البرتغاليين فتجدد الصراع بين السعديين والبرتغاليين بهجوم كبير تزعمه محمد الشيخ ضد المركز البرتغالي، وبعد حصار دام سبعة أشهر تمكن الأمير السعدي من اختراق المركز سنة 947 هـ/ 1541 م وقتل وأسر كل من كان به متكبدا في ذلك خسائر كبيرة[3]، فغدا بذلك السعديون يسيطرون على مركز هام جدا ساعدهم في السير باقتصاد مملكتهم الناشئة إلى القوة، خاصة وأن محمد الشيخ استكثر من زراعة السكر[4] في المملكة، وفتح الباب أمام التجار الأوربيين كما ذكرنا سابقا الذين أقبلوا على ميناء أغادير لشراء السكر والجلود والشمع وغيرها من السلع.

وبعد سقوط أغادير في يد السعديين وتعرض آسفي أيضا للحصار قام حاكم آسفي البرتغالي بهجوم مفاجئ على عرب المناطق المجاورة[5]، ففكر البرتغاليون على إثر ذلك في تجهيز حملة حملة ضخمة على مراكش[6] وعرضوا المشاركة على أحمد الوطاسي الذي تراجع عن فعل ذلك بعد الضغوط التي تعرض لها من عدة جهات، فقد أصبح محاصرا بين الفئة الدينية الفقهاء والصوفية والشرفاء، وبين تألب عدة مدن ضده، وتهديد الأسطول الإسباني للموانئ الشمالية، وخطر

---

[1] -Torresse , op. cit, p 128.

[2]- مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج 2، ص 35 ؛ Torresse , op. cit, p 105- 107

[3]- مارمول، المصدر السابق، ج 2، ص 26، ويقول فيه أكثر من 700 قتيل.

[4] -Torresse , op. cit, p 108.

[5]- بعد خضوع قبائل الجنوب للسعديين توقفت هذه الأخيرة عن التعامل مع البرتغاليين وبدأ بعضها يثور ضدهم كما فعل أهل عبدة وغربية الأمر الذي عرضهم لغزو حاكم آسفي RODRIGO DE CASTRO. ينظر في ذلك أوغست كور، المرجع السابق، ص 104.

[6]- عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص 54.

الشرفاء السعديين المتزايد على ملكه، فلم يجد بدا سوى اللجوء إلى أتراك الجزائر والاستعانة بهم ضد الإسبان خاصة وأنهم كانوا خلال هذه الفترة يخوضون حروبا تحريرية ضدهم في غرب الجزائر[1].

وأمام تزايد قوة السعديين تراجع البرتغاليون عن حملة مراكش لا بل قرروا الجلاء عن آسفي وآزمور في شعبان 948 هـ/ ديسمبر 1541 م[2] فاكتفوا بالاحتفاظ بمازكان على ساحل دوكالة مع زيادة تحصينها، ثم أمر بانتقال سكان المدينتين السابقتين إليها في ديسمبر 1541 م[3]. وبسقوط أغادير في يد السعديين وجلاء البرتغاليين عن آسفي وآزمور انحصر نفوذ هؤلاء على الشواطئ المغربية الجنوبية والوسطى حيث لم يبق لهم فيها سوى مازاكان.

5/ النزاع بين الأخوين أحمد الأعرج ومحمد الشيخ وآثاره:

بات من المتوقع بعد تحرير أغادير والجلاء من آسفي وآزمور أن يوجه السعديون أنظارهم نحو مازاكان التي بقيت بيد البرتغاليين، إذ أصبح المغاربة يرون فيهم المنقذين والمحررين للسواحل المغربية من الاحتلال الأجنبي، والأبطال الذين ستتم على يدهم وحدة البلاد[4].

إلا أن الواقع أثبت غير ذلك، إذ نشب نزاع بين الأخوين استمر بضع سنوات لم تكن الأيام لتزيده إلا شدة وحدة، وإذا بحثنا عن أسباب الخلاف نجد بأن محمد الشيخ الذي زادته انتصاراته المتتالية طموحا في الإنفراد بالملك وحسب رواية طوريس فإن الخلاف تفاقم بين الأخوين

---

[1]- الزهراء النظام، المرجع السابق، ص 115.

[2]- اضطر البرتغاليون إلى القيام بتضحيات مالية جسيمة للحفاظ على موقعهم وضمان تموين قواتهم التي ساءت أحوالها خاصة وأن غزوهم لأمريكا يكلفهم أموالا كثيرة ويتطلب منهم المزيد من الرجال، ومن جهة أخرى فإن السفن البرتغالية القادمة من أمريكا كانت تتعرض للقرصنة والنهب، ولعل هذا الوضع هو ما أتعب الملك جواو الثالث ففكر في إخلاء بعض الموقع البرتغالية على الساحل المغربي حتى يحد من مصاريفه، فانتهى الأمر إلى إخلاء آسفي وآزمور لصعوبة تموينهما وقرر الاحتفاظ بمازكان. ينظر في ذلك أوغست كور، المرجع السابق، ص 105، 106 ؛ مارمول، المصدر السابق، ج 2، ص ص 85،109.

[3]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 63.

[4]- نفسه ،الصفحة نفسها.

بسبب غنائم أغادير[1] أذكته سعايات بعض رجال الحاشية[2] حيث ادعى الأعرج بأن له نصف الغنائم، في حين رفض محمد الشيخ الاعتراف له بذلك لا بل رفض هذا الأخير تصدير البضائع إلى مراكش وكذا إرسال الأسرى، وأنه صادر كل ممتلكات المراكشيين بتارودانت، كما أقام حرسا على طول الممر الجبلي الوحيد الرابط بين مراكش وتارودانت، وللتفاوض معه استدعاه الأعرج لمقابلته إلا أن محمد الشيخ رفض الانصياع لأمر أخيه بدعوى التخوف من مجيء حملة برتغالية في حال غيابه عن سوس[3].

وفيما يبدو أن للخلاف سبب آخر أكثر أهمية وهو ولاية العهد، إذ أن الأعرج قد حاول تولية ابنه بدل أخيه محمد الشيخ مخالفا بذلك ما سنه والدهما محمد القائم بألا يتولى الحكم إلا كبير العائلة[4]. ولعل هذا السبب كان كاف ليتحول النزاع إلى حرب حقيقية انتهت بانتصار محمد الشيخ المهدي وخلع أبي العباس الأعرج سنة 946 هـ/ 1540 م، حيث أودعه أخوه السجن ثم أطلق سراحه بعد اتفاقهما على تقسيم المملكة بينهما، غير أن أحمد الأعرج سرعان ما نقض تلك الاتفاقية[5] التي وقعها أسيرا، فتجدد النزاع من جديد فانهزم الأعرج مرة ثانية في معركة الكاهرا[6] سنة سنة 951 هـ/ 1544 م على وادي العبيد، وعلى إثرها دخل محمد الشيخ مراكش قاعدة ملك أخيه واستقر فيها، وأوعز إلى هذا الأخير الاستقرار هو وعائلته بإحدى زوايا سجلماسة التي أقام بها إلى حين مقتله سنة 964 هـ[7].

---

[1]- Torresse , op. cit, p. p 114- 116 ؛ الأفراني، المصدر السابق، ص 22.

[2]- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مج 2، ص 277.

[3]- راجع تفاصيل هذا النزاع في كتاب Torresse , op. cit, p. p 116- 144

[4]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 66.

[5]- Torresse , op. cit, p 147 ؛ عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 66، 67 ؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مج 2، ص 277.

[6]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 67 ؛ عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1 ، ص 55.

[7]- يقال لها زاوية سيدي عبد الله بن ساسي بسجلماسة. ينظر: Torresse , op. cit, o 147 ؛ الزياني، الترجمان، الترجمان، ص 345.

كان لهذا النزاع وقع كبير في نفوس المغاربة الذين عرفوا السعديين قادة للجهاد، وبعد نشوب النزاع بينهما من أجل السلطة والنفوذ واقتسام الغنائم وغير ذلك من الأمور تغيرت نظرتهم لهم، فبدأت بعض القبائل تتمرد وتثور وخير مثال تلك الثورات التي قادها المرابط سيدي عبد الله في الأطلس الكبير سنة 950 هـ/ 1543 م[1].

أما البرتغاليون الذين وجدوا في نزاع الأخوين فرصة سانحة للهجوم على السعديين وعرضوا المشاركة على الملك الوطاسي[2] الذي كان منشغلا في الشمال يردع تمردات الإمارات الشرقية والشمالية[3] فلم يستجب لطلبهم، وهو الذي ضعف نفوذه وانحصر في فاس وما حولها ولعله خشي خشي أن يتغاضى الأخوان عن خلافهما ويحدا جهودهما من جديد للإغارة عليه والقضاء على ملكه وهو الذي فقد شعبيته من قبل بمهادنته للبرتغاليين[4].

6/ محمد الشيخ ومحاولاته للقضاء على الوطاسين:

أ- القضاء الأول على الدولة الوطاسية(956 هـ/ 1549 م): وبتغلبه على أخيه وانتزاع السلطة من يده يكون محمد الشيخ قد أزال إحدى العقبات التي كانت تحول دون تطلعه نحو شمال البلاد، وانطلق يغزو جهاته مدفوعا برغبته في الانتقام من الملك أحمد الوطاسي الذي ناصر أخاه ضده[5].

---

[1]- مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج 2، ص 123، 124.

[2]- يذكر لويز دو سوزا تفاصيل سفارة ملك البرتغال إلى السلطان أحمد الوطاسي. راجع: Luiz De Sousa : les Portugais et l'Afrique du nord de 1521 à 1557, trad(R. RICARD) ,Lisbonne 1940, p 16.

[3]- فشلت سياسة المصاهرة التي اعتمدها السلطان الوطاسي لتقوية حكمه لأن المولى عمر قد ثار في دبدو ضد أخيه صهر السلطان الوطاسي واستولى على الحكم، ثم أخذ يتقرب من أحمد السعدي كما ثار في شفشاون محمد بن علي أخ الوزير إبراهيم العطار المتوفي سنة 1539 م مطالبا السلطان بفسخ معاهدته مع البرتغاليين، وحتى تطوان فقد حدثت فيها ثورة سنة 1542 م أطاحت بحكم السيدة الحرة زوجة أحمد الوطاسي وتولى أمرها القائد حسين أحد أفراد أسرة المنظري. ينظر في ذلك: عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 64.

[4]- عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1 ، ص 55.

[5]- بعد انفراد محمد الشيخ بالملك في مراكش وعزله لأخيه أحمد الأعرج الذي راح يتحين الفرص لاستعادة ملكه حيث لجأ ابناه إلى ملك فاس بحثا عن سند ضد عمهما فاستقبلهما الوطاسي ورحب بطلبهما القاضي بمساعدة أبيهما لاسترجاع=

وبطموحاته في توسيع المناطق الخاضعة له وبما أن سقوط فاس كان يعني بالنسبة له نهاية دولة بني وطاس، فإن الحاكم السعدي لم يتردد في البحث عن سبب للقطيعة بينه وبين ملك فاس ضاربا تلك الاتفاقيات المبرمة بين الوطاسي والأعرج عرض الحائط، ولذلك هيأ محمد الشيخ حملة أسند قيادتها إلى ابنه عبد القادر وأرسلها ضد منطقة تادلا التابعة لملك الوطاسين، حيث طالب أحمد الوطاسي بأن يتخلى له عن مقاطعة تادلا وقبل أن يحصل على أي جواب راح يجبي الضرائب منها، وأمام فشل محمد الشيخ في السيطرة على حصن قشتالة الواقع على الطريق بين فاس ومراكش فإنه لم يتمكن من السيطرة على تادلا، وقد أثار هذا الموقف رد فعل الملك الوطاسي الذي حشد قواته وزحف بها ضد محمد الشيخ الذي خرج بنفسه لمواجهته، فالتقى الطرفان في معركة عند وادي درنة على ضفاف نهر أم الربيع في رجب 952 هـ/ سبتمبر 1545 م[1]، فكان الصدام عنيفا انهزم على إثره أحمد الوطاسي وسقط في يد محمد الشيخ الذي حمله أسيرا إلى مراكش ومعه ابنه أبو بكر[2]، واستسلم له حصن قشتالة وكل المراكز الموجودة في إقليم تادلا[3]، وبسقوط هذه المناطق أصبح الطريق مفتوحا أمام الحاكم السعدي نحو مملكة فاس التي جهز لها جيشا مكونا من قوات الوطاسي التي استولى عليها تضاف إليها قوات أخيه المخلوع أحمد الأعرج، فزحف إلى فاس التي فرض عليها حصارا وطالب الوطاسي بتسليمه مدينة مكناس، ثم بعث إلى شرفاء فاس وأنصاره بالمدينة يطلب منهم التدخل لدفع الوطاسين إلى التنازل له عن المدينة، لكن محمد القصري ابن السلطان الوطاسي الأسير ووزيره أبا حسون نظما المقاومة ضد محمد الشيخ[4]

=ملكه وتجاوب معهما، مما جعل محمد الشيخ ينقم على الوطاسي ويهيئ حملة ضده. ينظر في ذلك: أوغست كور، المرجع السابق، ص 109 ؛ Torresse , op. cit, p 148

[1]- عن تفاصيل هذه المعركة راجع: أوغست كور، المرجع السابق، ص ص 110- 113؛عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 68.

[2]- الأفراني، المصدر السابق، ص 27، 28 ؛السلاوي، المصدر السابق، ج 4، ص 156 ؛ Torresse : op. cit, p p 152- 157.

[3]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج 1، ص ص 461- 464 ؛ أوغست كور، المرجع السابق، ص 113، ؛ Torresse , op. cit, p 157.

[4] -Torresse ,op. cit, p 164.

الذي هدد باستعمال القوة لتحقيق مطلبه[1]، إلا أنهم لم يستجيبوا له وأمام هذا الرفض اضطر محمد الشيخ الذي لم يطمئن بعد لأخيه أحمد الأعرج الذي استقر بالجنوب بعد هزيمة الكاهر وأخذ ينظم هناك لمقاومة ضد أخيه كما دخل في اتصال مع الوطاسين وغيرهم من الخصوم لتنسيق العمل ضد أخيه محمد الشيخ[2]. وهكذا لم يقم محمد الشيخ بأي عمل ضد فاس بل تراجع نحو قاعدة ملكه بمراكش ومعه الملك الوطاسي.

لم يجد الوطاسيون بدا من الاستنجاد بالسلطان العثماني سليمان القانوني يطلبون منه التدخل لدى محمد الشيخ لإطلاق سراح سلطانهم الأسير[3]، إلا أن هذه الوساطة لم تنجح أمام إصرار محمد الشيخ على أن تكون فديته مدينة مكناسة القريبة من فاس، فلم يطلق سراح الملك الأسير إلا بعد سنتين من الأسر خلال شهر أوت 1547 م/ جمادى الثانية 954 هـ[4] وبعد أن تنازل له هذا الأخير عن مكناسة وبلاد الغرب[5] وقبوله زواج ابنه عبد القادر بن محمد الشيخ مع ابنته وعلى أن يصبح الأمير السعدي وزير صهره الأكبر في فاس[6].

عاد أحمد الوطاسي إلى ملكه في جمادى الثانية 954 هـ/ أوت 1547 م ولم يكن لينسى ما آل إليه على يد محمد الشيخ فدخل في حلف ضم ملك فاس وأبي حسون ملك بادس ومولاي زيدان ابن أحمد الأعرج- أخ الحاكم السعدي-[7] .

---

[1]- ابن القاضي، درة الحجال، ج 2، ص 96 ؛ Torresse , op. cit, p 164

[2]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 68.

[3] -Torresse , op. cit, p 207.

[4]- Torresse , ibid, p 215 ؛ أوغست كور، المرجع السابق، ص 113 ؛مارمول، المصدر السابق، ج 1، ص ص 461- 464.

[5]- أصر محمد الشيخ على مدينة مكناسة لوقوعها بالقرب من فاس فيسهل عليه بذلك مراقبة تحركات الوطاسين، وباستيلائه على بلاد الغرب يحول ذلك دون حصول أي تقارب بين المراكز البرتغالية والوطاسين، أي أنه بذلك يطبق سياسة عزل خصمه في فاس ووضعه تحت رحمته. ينظر في ذلك: عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 69.

[6]- المصادر الأصلية لتاريخ المغرب، مج1، البرتغال، المجلد الرابع، ص 268.

[7]- الفشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، تحقيق عبد الكريم، الرباط، 1972، ص 74.

ولتعزيز قواته طلب أحمد الوطاسي المساعدة من البرتغاليين[1] للثأر من خصمه، فاتخذ محمد الشيخ ذلك ذريعة للتحرك نحو الوطاسين الذين تقلص نفوذهم بعد تسليم مكناسة، فجهز سنة 1548 م حملة مكونة من 20 ألف فارس من سوس ومراكش جعل على رأسها اثنان من أبنائه وهما محمد الحران وعبد القادر[2] مستغلا في ذلك الظروف الصعبة التي كانت تمر بها دولتهم، وخروج مناطق عديدة عن طاعتهم حتى قبل معركة درنة 1545 م وبعدها، كتطوان التي يملكها الحسن المنظري بعد إطاحته بحكم السيدة الحرة زوجة السلطان الوطاسي كما ذكرنا سابقا أواخر سنة 1542 م، إضافة إلى الإطاحة بحكم أمير دبدو صهر السلطان على يد أخيه المولى عمر الذي استقل بالإمارة[3].

وقد تزامن تطلع محمد الشيخ لضم مدينة فاس مع موقف بعض القبائل والمجاهدين في شمال البلاد الذين دخلوا في حركة معارضة لملك فاس، وأبدوا تطلعهم نحو دولة الشرفاء، فكاتبوا محمد الشيخ يقترحون عليه المجيء إلى فاس ووعدوه بالإعانة على فتح هذه المملكة[4]. وهي الظروف التي سيستفيد منها الشريف في فرض المزيد من الضيق على دولة بني وطاس وانتزاع عاصمتهم فاس، خاصة وأن محمد الشيخ بلغته تلك الخلافات التي حصلت بين محمد القصري ابن السلطان الوطاسي وقواده في المدينة، فزادت آماله في الاستيلاء على فاس إلا أن ابني محمد الشيخ لم يتمكنا من ذلك بسبب المقاومة التي نظمها الوطاسيون وحلفاؤهم ضدهم، فكان النصر

---

[1]- بعث السلطان الوطاسي برسالة للبرتغاليين بتاريخ 4 نوفمبر 1547 م. ينظر في ذلك: المصادر الأصلية لتاريخ المغرب، مج2، إسبانيا، ص 214.

[2]- الزهراء النظام، المرجع السابق، ص 187.

[3]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 64.

[4]- من القبائل التي أعلنت طاعتها لمحمد الشيخ قبيلة الخلط، وزعماء بني راشد في شفشاون ومجاهدو تطوان، وقائدا القصر الكبير والعرائش، إضافة إلى أنصار السعدي من الشاذلية. ينظر في ذلك: Torresse , op. cit, p 128- 129 ؛ A. Cour, la dynastie marocaine , p 188- 189.

هذه المرة حليف الوطاسين في معركة دارت رحاها بالقرب من فاس في 23 ربيع الأول 955 هـ/ 2 ماي 1548 م[1].

وقبل انسحاب القوات السعدية من فاس هاجمت ضواحي المدينة وعمدت إلى تخريبها ونهبها، ثم تقدمت نحو منطقة الغرب فسيطرت عليها وعلى مدينة القصر الكبير، ثم تراجعت نحو مراكش وبذلك أضاف السعديون لملكهم منطقتا الغرب والهبط، وبذلك أصبح ملك الوطاسين ينحصر في الرقعة الممتدة بين فاس وتازة ومليلية وبادس[2].

وفي محاولة أخرى للسيطرة على فاس قرر محمد الشيخ تنظيم حملة جديدة وإرسالها لمهاجمة المدين، ولعل من الأمور التي عجلت برجوعه إليها إطلاعه على الاتصالات التي كان يقوم بها أحمد الوطاسي مع الإسبان من أجل الحصول على دعمهم له ضد السعديين[3]، حيث راسل أحمد الوطاسي كل من المسيحيين وأحمد الأعرج بهدف القيام بحملة مشتركة ضد أراضي محمد الشيخ، إضافة إلى أن هذا الأخير كان على علم بالعلاقة التي كانت تربط الوطاسين وفئة القادرية في فاس بأتراك الجزائر والمناورات التي كان يدبرها هؤلاء جميعا ضده[4].

وحتى لا يترك المجال لخصومه للتحالف ضده أو مهاجمة ممتلكاته فقد قاد بنفسه في رمضان 955 هـ/ أكتوبر 1548 م حملة قوامها 30 ألف من المقاتلين وهم إلى فاس التي تهيأت للدفاع، فضرب حولها حصارا طويلا[5] تخللته مناوشات واشتباكات خارج أسوار المدينة تكبد فيها الطرفان خسائر كبيرة، كما تخللتها مفاوضات بين الوطاسي ومحمد الشيخ الذي ترك الأمر للصوفية

---

[1]- عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص 57 ؛الزهراء النظام، المرجع السابق، ص 187، 188.

[2] -le Tourneau : op. cit, p 47.

[3] -Torresse , op. cit, p. p 128- 136.

[4]- الزهراء النظام، المرجع السابق، ص 189.

[5]- عن حصار فاس وما تخلله ينظر: Torresse , op. cit, p. p 213- 232 ؛مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية التاكمدارتية، تصحيح جورج كولان، الرباط، 1934، ص ص 9- 15.

لمفاوضة بني وطاس وأنصارهم من علماء وشرفاء وصوفية[1] فكان دور الشاذلية فعالا، حيث تمكنوا من إقناع بني وطاس بالتنازل عن المدينة[2] لمحمد الشيخ الذي دخلها في جانفي 1549 م بعد أن استسلم أحمد الوطاسي وفر منها أبو حسون إلى مدينة بادس[3].

دخل محمد الشيخ فاس منتصرا فعفا عن أهلها بعدما تعهد منحهم الأمان، وحصل على بيعتهم فسارعت المناطق المجاورة والقبائل إلى إعلان الطاعة، أما الرافضة كمولاي عمار أمير دبدو السالف الذكر وأبي حسون أمير بادس وبعض المدن الشرقية كغرسيف وغيرها فقد وجه لها محمد الشيخ جيشه لإخضاعها، الأمر الذي تحقق بسهولة حيث فضل أمير دبدو الفرار إلى الإسبان على المقاومة، ولحق به أبو حسون في مليلية[4] أيضا،فخضعت بذلك للحاكم السعدي كل من غرسيف ووجدة التي كانت تحت نفوذ الجزائر وكل المدن الشرقية مما أثار مخاوف البرتغاليين الذين آثروا الرحيل عن أصيلا والقصر الصغير في ماي 1550 م[5]، وبذلك دان له كل المغرب وتوحد تحت سلطته عدا سبتة وطنجة ومازاكان الخاضعة للبرتغاليين ومليلية التي ظلت بيد الإسبان.

ب– القضاء نهائيا على دولة بني وطاس(نهاية الحكم الوطاسي 1554 م): رغم كل هذه الانتصارات التي حققها محمد الشيخ إلا أنه ظل يدرك جيدا أن الأمر لم يخلص له نهائيا،

---

[1]– يقال أن محمد الشيخ قام بذلك بناءا على نصيحة من أحد حلفائه بالمدينة. ينظر: Torresse , op. cit, p. p 127- 147 ؛الأفراني، المصدر السابق، ص 69.

[2]– يبدو أن أحمد الوطاسي وأهل فاس تحملوا أعباء الحصار الطويل اعتقادا منهم أن محمد الشيخ سينسحب لأن فصل الشتاء سيجبره على ذلك غير أن الملك السعدي زاد في تشديد الخناق على المدينة حتى اضطر الوطاسي على الاستسلام. ينظر في ذلك: المصادر الأصلية لتاريخ المغرب، مج1، إسبانيا، ص 149.

[3]– توجه أبو حسون إلى بادس لقربها من مليلية حيث كان له بها مناصرون من فئة القادرية، ومن هناك راح ينظم المعارضة ضد السعديين. ينظر: الزهراء النظام، المرجع السابق، ص 189.

[4]– المصادر الأصلية لتاريخ المغرب، مج1، إسبانيا، ص 233، 421، 423 ؛ Torresse , op. cit, p. p 246- 248

[5]– Luiz De Sousa , les portugais , p 194, 195 ؛عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 73.

إذ لا يزال هناك بعض المنافسين لحكمه ولدولته، كأخيه أحمد الأعرج بالجنوب وأبي حسون أمير بادس ومولاي عمار اللذين التجآ إلى الإسبان ثم البرتغال[1] وطلبا المساعدة منهم ضد السعديين.

ويواكب هذه الأحداث توسع نفوذ الأتراك العثمانيين سنة 1549 م الذين أخذوا في بسط سيطرتهم على تلمسان والمناطق المحيطة بها على يد الوالي حسن باشا بن خير الدين بربروس، وبالتالي فقد أصبحت لهم نقط اتصال وتماس مع السعديين بالمغرب مما أدخل الربع على الإسبان والبرتغال وجعلهم يترقبون حدوث أي تعاون بين القوتين الإسلاميتين ضد مراكز الاحتلال في كل من الجزائر والمغرب[2].

وعلى ما يبدو فإن محمد الشيخ كان يهدف باتصالاته مع أتراك الجزائر إلى قيام تعاون مشترك ضد المسيحيين الإسبان والبرتغال لتحرير المناطق المحتلة بالجزائر والمغرب، على أن يحتفظ السعديون بكامل سيادتهم على المغرب بيد أن الأتراك كانوا جادين في ضمهم المغرب إلى ممتلكاتهم بدعوى توحيد القوى الإسلامية ضد الأخطار الإسبانية والبرتغالية. وبما أن محمد الشيخ كان حريصا على ضم المنطقة الشرقية من المغرب فإنه لم يتوان عن الاستجابة لطلب النجدة الذي تقدم به الأمير الزياني اللاجئ بالمغرب أحمد بن عبد الله من أجل مساعدته على استرداد حكمه بتلمسان، والدخول في مفاوضات مع أهالي تلمسان وأشياخ قبائلها لتنظيم وسائل التعاون بينهم[3].

---

[1]- يذكر أن الأمير أبا حسون فور نجاته من الأسر أجرى اتصالات بجان الثالث ملك البرتغال سنة 1550 م الذي عقد معه اتفاقا يقضي بتنازل هذا الأخير عن أصيلا مقابل تنازلات ترابية أخرى من جانب الأمير الوطاسي لصالح البرتغال. ينظر في ذلك: إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع، ص 53 ؛أوغست كور، المرجع السابق، ص 131.

[2]- بعث حاكم وهران الإسباني إلى حكومته رسالة يخبرها فيها بأن محمد الشيخ راسل باشا الجزائر واقترح عليه القيام بعمليات مشتركة لفتح وهران والمرسى الكبير، وبعث بهدايا إلى طرغوث باشا يقترح عليه الدخول في حرب ضد الإسبان. ينظر في ذلك: عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 76 ؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص 198.

[3]- تذكر الوثائق المعاصرة بأن محمد الشيخ استقبل خمسة عشر وجيها من أشياخ قبائل مديونة ووفدا يمثل أهالي تلمسان والجماعات الأندلسية المقيمة بها، والذين أكدوا له انضمامهم إليه ومساعدته على فتح تلمسان كرها منهم للأتراك. ينظر: عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 76 ؛ محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 40 ؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص 200.

وبالفعل انطلقت القوات المغربية في أبريل 1549 م نحو شرقي البلاد ودخلت مدينة وجدة بقيادة محمد الحران بن محمد الشيخ في حين تراجعت القوات التركية عن المدينة، ومن وجدة دخل المغاربة تلمسان يوم 9 جوان 1550 م وألقوا القبض على الأمير الزياني الحسين حليف الأتراك الذي أرسل إلى فاس، بينما فر أخوه عمر إلى الجزائر طالبا النجدة من العثمانيين[1].

وكنتيجة حتمية فقد كان رد فعل الأتراك قويا، حيث بعث والي الجزائر حسن باشا قوات حربية بقيادة حسن قورصو لطرد السعديين، بينما أرسل محمد الشيخ من جهته نجدات عسكرية لابنه إذ التقى الطرفان في اليوم الرابع من سبتمبر 1550 م حيث انهزم فيها المغاربة وتحصنوا بالمدينة إلى حين وصول نجدات محمد الشيخ والتي أرغمت القائد التركي حسن قورصو على الانسحاب ليلا دون أن يشعر به أحد. غير أن العثمانيين أعادوا الكرة ضد تلمسان وتمكنوا من هزم المغاربة، كما قتلوا محمد الحران بينما أسر الأخ الثاني وقطعت يد الأخ الثالث فاضطر السعديون إلى الانسحاب إلى مدينة دبدو[2].

غير أن محمد الشيخ لم يحبطه انهزام قواته أمام العثمانيين، بل راح ينظم أموره من جديد استعدادا لمواجهتهم من جديد والحد من زحفهم، كما لن يهتم لعودة مولاي عمر إلى دبدو التي وجهه إليها حملة عسكرية قادها المزوار المنصور وعبد الله بن محمد الشيخ حيث تمكنا من طرد مولاي عمر الذي لجأ مرة ثانية إلى مليلية[3].

وفي الوقت نفسه قاد محمد الشيخ حملة إلى سجلماسة حيث أخاه أحمد الأعرج الذي كثف من اتصالاته مع الإسبان، فانهزم على إثرها أحمد الأعرج وتم إلقاء القبض عليه هو وأبناؤه، فخمدت بذلك ثورته[4] وبذلك استرد محمد الشيخ هيبته وأظهر لخصومه مدى قوته، ولعله السبب

---

[1]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 77.

[2]- تذكر الروايات التاريخية بأن محمد الحران بعد دخوله تلمسان توجه بالرغم من أوامر والده نحو مستغانم التي كانت بيد الأتراك بدلا من أن يلاحق الزيانيين المتحالفين مع الأتراك إلى وهران فيحررها من الإسبان، لذلك تحرك الأتراك بقيادة حسين باشا واستعادوا مستغانم وقتلوا حاميها. ينظر في ذلك: محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 40.

[3]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 78.

[4]- نفسه، الصفحة نفسها.

الذي منع الإسبان من تقديم المساعدة إلى أبي حسون الوطاسي رغم اتصالاته بالإمبراطور في أكسبورغ[1] وإظهاره استعداده للتخلي عن حصن أو جزيرة بادس. ولما فشلت مساعي أبي حسون في إسبانيا اتصل بلشبونة مطلع 1552 م وطلب نجدة الملك جان الثالث الذي وجد في ذلك فرصة لبسط نفوذه بالمغرب من جديد، فأنجد البرتغاليون أبا حسون بقوات بحرية[2] نزل بها في خليج الحسيمة في أوائل سبتمبر من نفس السنة.

أثار هذا التطور حفيظة الأتراك العثمانيين الذين تحركوا بأسطولهم نحو السفن البرتغالية فاستولوا عليها وأسروا من بها، مما أجبر أبا حسون على الذهاب إلى الجزائر لمقابلة البايلرباي صالح رايس والدخول معه في مفاوضات للعمل ضد محمد الشيخ[3]، وبالفعل نجح أبو حسون في التفاهم مع صالح رايس وفي سنة 1553 م توجهت حملة تركية بصحبة أبي حسون إلى بادس حيث تلقى هذا الأخير طاعة أهلها والقبائل المجاورة لها، وأخذ منها يستعد لمواجهة محمد الشيخ بعدما انضم إليه مولاي عمر أمير دبدو والذي كان لاجئا في مليلية، فالتقى الجمعان في معركة ضارية انهزم على إثرها السعديون فاستمر زحف القوات التركية إلى الداخل وقبل أن تنتهي سنة 1553 م كانت تازة وكدية المخالي من ساحة فاس بيد الأتراك[4]. وتقدمت القوات التركية ومعها أبو حسون نحو فاس التي دخلتها يوم 8 جانفي 1554 م[5] فكان استقبال أهالي فاس لأبي حسون عظيما حيث

---

[1]- كان حاكم وهران الإسباني يميل إلى التعاون مع أحمد الأعرج وأمير دبدو المعارضين لمحمد الشيخ، وكان أبو حسون على علم بذلك فقرر إحباط ذلك بالاتصال المباشر مع الحكومة الإسبانية التي انتقل إليها فقابل مكسيمليان في فالادوليد ليطالبه بإمداده بألف جندي إسباني، كان ملك البرتغال قد اشترط حصوله عليهم لتسليمه أصيلا، غير أن مكسيمليان تهرب من تلبية الطلب ومنها انتقل أبو حسون للقاء شارلكان الذي أفهته مشاكل أوربا عن مساعدته فعاد إلى لشبونة لنفس الغرض. ينظر: محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 41، 42.

[2]- أثقل محمد الشيخ في هذه الفترة بالضرائب على سكان بلاد المغرب فكثرت الاضطرابات وزاد قلق البرتغاليين من تدفق الأسلحة الحديثة على محمد الشيخ بواسطة التجار الفرنسيين والإنجليز، فسارعوا إلى دعم أبي حسون لكن بمساعدة محدودة اقتصرت على مقدار من المال وست سفن وخمسمائة جندي. ينظر في ذلك: محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 42.

[3]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 79 ؛ محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 42.

[4]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 80.

[5]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق ، ص 81 ؛ عمار بن خروف، المرجع السابق، ج1، ص 58.

يذكر صاحب تاريخ الدولة السعدية بأن الشيخ الزقاق استقبله في خطبة جاء فيها:« هذا بقية أمرائكم الذين شيدوا البلاد وتسعد بهم العباد وشرفوا المساجد وبنوا المدارس والقناطر وقاموا بأمر الدين والدنيا»[1]. وباستقرار أبي حسون في فاس ومولاي عمر بدبدو[2] ساد النفوذ التركي في شرقي المغرب ومنطقه الوسطى مما أرعب الإسبان والبرتغاليين الذين أصبحوا يرون في ذلك خطرا كبيرا يهدد مراكزهم[3].

غير أن الأتراك سرعان ما استقروا بفاس وتصرفوا وكأنهم في بلد محتل، حيث يذكر صاحب تاريخ الدولة السعدية:« ولما رأى الترك محاسن البلاد ومنعتها وأعجبتهم وأخذوا من المدينة ما أرادوا، يقبضون على النسوان والصبيان، وينهبون ما شاؤوا من الأموال... فلما اجتمعوا بفاس الجديد ادعوا لأنفسهم وقبضوا على السلطان أبي حسون المريني وقبضوا على خاصته وسدوا أبواب فاس الجديد، وأخرجوا أهلها فبلغ الخبر لأهل فاس البالي فخرجوا وأطلعوا بالشواقر والفيسان والسلالم بفاس الجديد، فأشرف الترك من أسوار المدينة... فخافوا... فعند ذلك فتحوا الباب ودخل الناس إلى السلطان ثم أرسل إلى كبراء الترك والرؤساء منهم وأمرهم بالخروج وتبعتهم محلتهم»[4].

وبجلاء الأتراك أصبح أبو حسون يواجه محمد الشيخ بمفرده، هذا الأخير الذي جمع قواته كما يذكر صاحب تاريخ الدولة السعدية:« من الحوز والسوس و*** يجر الأمم إلى أن نزل برأس

---

[1]- مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية، ص 27.

[2]- حكم إمارة دبدو منذ سنة 1542 م وكان نفوذه يشمل كذلك المناطق الممتدة من منحدر وادي زا إلى مدينة تازة، وحين تدخل السعديون في تلمسان فر من دبدو ولجأ إلى مدينة مليلية ولم يعد إلى دبدو إلا سنة 1551 م. ينظر: الزهراء النظام، المرجع السابق، ص 202.

[3]- في سنة 1547 م تم توقيع هدنة لمدة خمس سنوات بين إمبراطور ألمانيا شارل الخامس والسلطان سليمان القانوني، هذه الهدنة فرضها انشغال العثمانيين بحروبهم في إيران والإسبان في أوربا، وقد نصت هذه الهدنة على عدم مهاجمة الطرفين لممتلكاتهما في شمال إفريقيا، وينطبق هذا الوضع على المناطق التي كانت تابعة للأتراك، كما ينطبق على وهران حتى على مملكة تلمسان التي كان الإسبان يعتبرونها ضمن مناطق نفوذهم، لذلك طالب الإسبان الأتراك سنة 1548 م باحترام الهدنة وعدم التدخل في تلك المناطق. ينظر: الزهراء النظام، المرجع السابق، ص 201.

[4]- مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية، ص 20.

الماء فخرج له أبو حسون بأهل فاس وعرب أهل الريف ووقع الحرب بقرب عميرة أياما ثم أن الشيخ رتب له بالليل كمينا من الرجال مع الوادي ولما وقع الحرب خرج الكمين خلفهم فانهزموا وقتل أبو حسون وأكثر من معه من أهل فاس[1] وأهل الغرب والريف ، ثم دخل فاس الجديدة وقدم عليه فقهاء فاس وأشرافها يطلبون الأمن فأمنهم وقبض على من تعين فساده... كالزقاق والونشريسي وعلي حرزوز فقيه مكناسة فقتلهم»[2].

وقد قال بعد قتلهم: «الآن تمهد لنا الملك في المغرب بعد قتلنا هؤلاء الثلاثة الونشريسي[3] والزقاق[4] بفاس وحرزوز بمكناسة[5]، فإنهم كانوا يقطعون أمعائنا على المنابر ويوقدون علينا نار الفتنة عند الأكابر»[6].

وبمقتل أبي حسون دخل محمد الشيخ مدينة فاس مغيرا سياسته إزاء أهلها حيث بطش بأنصار الوطاسين وأبعد الكثيرين من أهليها، وفرض غرامة على من بقي فيها انتقاما منهم لموالاتهم الأتراك، فانتزع الخيل والسلاح من القبائل التي غدرت به سابقا، وضرب عليها المغارم، ونقل أعيانها وشيوخها إلى مراكش وأسكنهم بها، كما استعاد مدينة دبدو التي فر عنها مولاي عمر مرة أخرى ملتجئا بأتراك الجزائر من جديد[7].

وبقضاء محمد الشيخ على خصومه أبي حسون، وأحمد الأعرج، ومولاي عمر أمير دبدو وغيرهم من المناوئين له استقرت الأوضاع الداخلية نسبيا ودان له المغرب بأكمله بعد ما قضى

[1]- قتل أبو حسون في 24 شوال 961 هـ. ينظر: عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ج 3، ص 53.

[2]- مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية ، ص 21.

[3]- عن المفتي عبد الواحد الونشريسي. ينظر: ابن عسكر، المصدر السابق، ص ص 41- 43.

[4]- عن القاضي عبد الوهاب الزقاق. ينظر: ابن عسكر، المصدر السابق، ص 43، 44.

[5]- عن خطيب مكناسة أبي علي حرزوز. ينظر: ابن عسكر، المصدر السابق، ص 62، 63.

[6]- مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية ، ص 31.

[7]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 82.

نهائيا على الدولة الوطاسية[1]، إذ لم يستطع أحد من الأمراء الوطاسين الذين استقروا في الجزائر عند حكامها الأتراك أن يهدده أو يحيي هذه الدولة من جديد.

والتزاما بالفترة المخصصة لهذه الدراسة كان علينا التوقف عند سنة 1554 م أي عند دخول محمد الشيخ مدينة فاس والقضاء نهائيا على دولة بني وطاس ليدخل المغرب مرحلة أخرى لا تخلو من النجاحات والانتصارات وكذا الصراعات والانكسارات.

[1]- يقول الفشتالي في هذا الصدد:" حتى إذا أتيحت له(يقصد محمد الشيخ) الكرة على أبي حسون فقتله واستأصل جموع بني مرين... وفتح فاس فتحا ثانيا واستولى على كرسيها". ينظر: مناهل الصفا، ص 109.

المبحث الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (7-10هـ/ 13-16م) .

ليس من السهل تحديد العوامل المؤثرة أو المتحكمة في تطور الحياة الثقافية ونمو الحركة الفكرية في المغرب الأوسط خلال الحكم الزياني طيلة ثلاث قرون باعتبارها مرت بمراحل مختلفة نتيجة تعرضها لاضطرابات سياسية و أزمات اقتصادية أدت بها إلى حالة من الانحطاط، كان لها تأثير بالغ على الحياة العلمية والثقافية عموما، مما يجعلنا أمام عوامل مرحلية غير ثابتة، لا يمكننا بأي حال من الأحوال تعميمها على طول عمر هذه الدولة، لذا إن تتبعنا العوامل المساعدة على تطور و ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأوسط في الفترة موضوع الدراسة نجدها تتفاعل مع التطورات التي مرت بها، منذ نشأتها إلى غاية سقوطها، فهي تختلف من مرحلة إلى أخرى، لذلك نجد بعضا من العلماء و الباحثين المعاصرين يبدون صعوبة في البحث عن الجوانب الحضارية المتعلقة بتاريخ المغرب الأوسط في ظل الحكم الزياني استنادا إلى حالة الاضطرابات السياسية التي عاشها المغرب الأوسط في العصر الوسيط نتيجة تكالب الدول المجاورة عليه من جهة، و يضاف إليها في فترة لاحقة الهجمات الاسبانية و البرتغالية، ثم ظهور العثمانيين على مسار الأحداث من جهة أخرى كطرف فاعل فيما بعد.

لذلك فهل كان للدولة الزيانية اهتمام بالعلم و أهله و مؤسساته؟ و ما هي العوامل المتحكمة أو المؤثرة في الحياة العلمية فيه؟ و ما هي الوسائل التي اعتمدتها هذه الدولة للنهوض بالعلم و الحركة العلمية؟

1- علاقة السلاطين الزيانيين بالعلم:

لا شك أن نمو العلوم و ازدهارها في أي دولة يوافق حالة الأمن و الاستقرار التي تسمح بالنشاط الفكري و الإبداع، و أن ضعف هذه الدولة و انهيارها يؤثر سلبا في جميع العلوم، فها هو ابن خلدون يذكر في مقدمته: "إن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران و تعظم الحضارة، والسبب

في ذلك أن تعليم العلم من جملة الصنائع، و الصنائع إنما تكثر في الأمصار، و على نسبة عمرانها في الكثرة و القلة، والحضارة و الترف تكون نسبة الصنائع في الجودة و الكثرة، لأنه أمر زائد على المعاش، فمتى فصلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الانسان، و هي العلوم و الصنائع"[1].

و إذا تأملنا تاريخ الدولة الزيانية، نجد أن نمو الحركة العلمية فيها كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بسلاطينها الدين كانت لهم رعاية مستمرة للعلم، و الأدب و مختلف العلوم، فقد كان منهم الفقيه و الشاعر و الأديب و الفنان، لذلك اتبعوا سياسة مشجعة للعلوم بنوعيها النقلية و العقلية[2]، فبذلوا جهودا في نصرة العلم و رعاية أهله و انشاء المؤسسات التعليمية، و استقطاب أشهر العلماء للتدريس من مختلف الحواضر الإسلامية، خاصة من الأندلس[3] و إجراء الأرزاق عليهم.

و لعل للمنافسة الشديدة القائمة بين سلاطين بني زيان من جهة و سلاطين بني حفص وبني مرين من جهة أخرى أثر بالغ في تفعيل الحركة العلمية وتنشيطها في المغرب الأوسط[4]، فها هو يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة الزيانية – و رغم أنه لم يكن يملك من العلم ما يجعله يتبوأ مرتبة العلماء- إلا أنه أول من شجع الحركة الفكرية و التعليمية بتلمسان، حيث عمل على مجالسة العلماء و الصلحاء و أكثر من زيارتهم، فقد كان يبحث عنهم أينما كانوا و يستقدمهم إلى

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004، ص777.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص226 ؛يحي بن خلدون، بغية الرواد ، ج1، ص216.

[3]- ابن الأعرج محمد الحسني السليماني، زبدة التاريخ و زهرة الشماريخ، مخطوط بالخزانة الحسنية، الرباط، تحت رقم 170، الورقة 100 ؛محمد بن عمرو الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، م.و.ك، الجزائر 1984، ص ص 233-236 ؛عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، 321.

[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص321 ؛ عبد الحميد حاجيات و آخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص437 ؛ محمد بن عمرو الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص177 ؛محمد بوشقيف، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين 8- 9هـ/14- 15م،رسالة دكتوراه،قسم التاريخ وعلم الآثار،جامعة تلمسان، 2010،2011، ص23.

تلمسان، يحسن إليهم ويكرم منزلتهم، فقد كاتب عالم زمانه أبا اسحاق ابراهيم[1] بن يخلف بن عبد السلام التنسي (ت 680هـ/ 1280م) و رغبه في الإقامة بتلمسان للتدريس بها، و لما شاع اهتمام يغمراسن بالعلم و أهله، رغب الكثيرون في القدوم إلى عاصمته، و منهم أبو بكر محمد بن عبد الله بن الخطاب المرسي الأندلسي (ت686هـ/1287م)، فأحسن نزله و أكرمه، و جعله صاحب الحكم الأعلى – كاتبا بديوان الإنشاء–[2]، كما أكرم أبا عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق أحد كبار علماء تلمسان و أجلتها، و الذي أوصى أن يدفن بإزائه من الجامع الأعظم، إضافة إلى الكاتب ابن وضاح الأندلسي[3].

كان يغمراسن حريصا على عقد المجالس العلمية في قصره إلى جانب اهتمامه بالمذهب المالكي[4] و رعايته له و كذا ابتنائه لمئذنة الجامع الأعظم بتجرارت و مئذنة جامع أغادير.

و لعل سلاطين بني زيان كانوا على دراية تامة بأهمية العلم للسلطان و حاجته له لتسيير شؤون رعيته، فقد سار هؤلاء على نهج يغمراسن في تثبيت الأسس الثقافية و الحضارية لدولتهم، فقد اتبع السلطان أبو سعيد عثمان (ت703هـ/ 1303م) نفس السياسة التي رسمها والده في العناية بالعلم و أهله، فاحتفظ بالعلماء و الفقهاء والأدباء الذين كانوا في بلاط أبيه و أضاف إليهم مجموعة من الأدباء و الشعراء من بينهم الأديب الصوفي و الشاعر و الفيلسوف المميز أبا

---

[1]– يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص114 ؛ التنسي، المصدر السابق، ص 125،126 ؛ ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان نشره محمد بن أبي شنب، وتقدم له عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1986، ص66 ؛ ابن مرزوق، المسند، ص 151، 273، 282 ؛ أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس فيه الديباج، تحقيق علي عمر، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، 2004، ص 81، 82.

[2]– ابن الخطيب، الإحاطة ، ج2، ص 274،275 ؛ابن مريم، المصدر السابق، ص227 ؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، ص58.

[3]– ابن الأعرج، زبدة التاريخ، ج3، ورقة 35 ؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر ، ج7، ص163.

[4]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص321 ؛ ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي من الفتح حتى اليوم، ط3، ترجمة، عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987، ص312 ؛ الجيلالي شقرون، تلمسان مركز إشعاع حضاري في المغرب الأوسط، مجلة الفقه والقانون www.majalah.new.ma ص1.

عبد الله محمد بن خميس (ت708هـ/ 1309م) وقلده خطة الكتابة والانشاء سنة 681هـ/1282م[1].

أما السلطان أبو حمو موسى الأول (708- 718هـ/ 1308- 1318م)، فقد كان محبا للعلم و العلماء بجلبه الفقيهين العالميين ابنا الإمام أبي يزيد و أبي موسى، الذين وفدا إليه من مدينة برشك[2]، و بنى لهما أول مدرسة في المغرب الأوسط سميت مدرسة أولاد الإمام[3]، كما خصهما بالفتوى و الشورى في دولته[4]، هذا إلى جانب بنائه المسجد الواقع داخل المشور[5].

كما قرب خليفة السلطان عبد الرحمن أبو تاشفين الأول إليه (718- 737هـ/1318- 1337م) الفقيه أبا موسى عمران المشذالي البجائي[6] (ت 745هـ/1345م) أعرف أهل عصره

---

[1]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص208 ؛ أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من المائة السابعة ببجاية، الجزائر، 1910، ص150.

[2]- برشك: هي إحدى مدن المغرب الأوسط في العصر الوسيط، تقع في الشريط الساحلي الممتد بين مدينتي شرشال وتنس، ينظر عنها، الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 32،33 ؛ ابن حوقل، صورة الأرض ، ص54.

[3]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130 ؛ ابن مرزوق، المسند، ص 265، 266 ؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص312، و عن هذه المدرسة ينظر،

Marçais(G) et A(W) Bilan, les monuments, opcit, p168 .

Marçais(G), Remarques sur les medersas funérairespeu berberie, le caire, 1937, p263.

Drina(A), Royaume, op.cit, p34.

[4]- التنسي، المصدر السابق، ص139.

[5]- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة و الوسيطة، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007، ص86.

[6]- هو أبو موسى عمران بن موسى المشذالي البجاني، ولد ببجاية سنة 670هـ/1271م، كان عالما ضليعا في الفقه والحديث و المنطق و الفرائض و الأصول، و كان من أعلم معاصريه بمذهب مالك، حافظا لأقوال أصحابه و عارفا بنوازل الأحكام في الفتوى، ينظر عنه: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص131 ؛ المازوني يحي، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر، تحت رقم 1335، ج1، الورقة 144 ؛ المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج6، ص ص 183- 188 ؛أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج،على هامش ديباج ابن فرحون، تحقيق علي=

بمذهب مالك، فأكرمه و ولاه التدريس بمدرسته التي أقامها له بالقرب من الجامع الأعظم و التي زودها بأمهات الكتب، و قد حرص هذا السلطان على مجالسة العلماء و عقد المجالس العلمية في حضرة المشذالي حيث كانت تدار المناقشات و المناظرات العلمية و تطرح المسائل الفقهية[1].

و قد اشتهرت في عهده أيضا أسرة بني الملاح[2] و قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن منصور المعروف بابن هدية (ت 735هـ/ 1335م) الذي تولى قضاء الجماعة بتلمسان و كتابة السر و الخطابة في المسجد الجامع، فكانت له مكانة متميزة عند أبي تاشفين الأول[3].

أما السلطان أبو حمو موسى الثاني (357- 719هـ/1352- 1389م) الذي أحيى الدولة الزيانية من جديد بعد تخليصها من النفوذ المريني، فقد عرفت البلاد على عهده نهضة فكرية فريدة من نوعها لمشاركته القوية في تفعيلها، فقد كان عالما و مفكرا و أديبا و ناثرا و ناظما للشعر[4]، حيث ألف كتابا في السياسة الملوكية أسماه "واسطة السلوك في سياسة الملوك"[5]، كما قام

=عمر، ج1 ، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 2004، ص ص 215- 217 ؛ القرافي، توشيح الديباج و حلية الابتهاج، تحقيق أحمد الشتوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983، ص160 ؛الونشريسي، وفيات الأعيان، المصدر السابق، ص114 ؛ الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج1 ،مؤسسة الرسالة ،المكتبة العتيقة ،تونس ،1985، ص ص 78- 80.

[1]- أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيا و الأندلس والمغرب، أخرجه جماعة من الفقهاء ، ج11، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981، ص383.

[2]- ابن خلدون، العبر ، ص 217، 218 ؛ يحي بن خلدون، البغية ، ج1، ص 205، 206.

[3]- النباهي أبو الحسن عبد الله المالقي، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الكتاب الغربي، القاهرة، 1948، ص134.

[4]- التنسي، المصدر السابق، ص161.

[5]- أبو حمو موسى الزياني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تقديم عبد الرحمن عون و محمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة والنشر و التوزيع، تونس، 1982، ص5 ؛ التنسي، المصدر السابق، ص179 ؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص ص 69- 230 ؛ محمد الأمين بلغيت، النظرية السياسية عند المرادي و أثرها في المغرب و الأندلس، م.و.ك، الجزائر، 1989، ص ص 65- 67 ؛ وداد القاضي، النظرية السياسية للسلطان أبي حمو موسى الزياني و مكانتها بين النظريات السياسية المعاصرة لها، مجلة الأصالة، العدد 27، 1975، ص ص 23- 98.

ببناء المدرسة اليعقوبية سنة 765هـ/1364م[1] و عهد بالتدريس فيها لأشهر الأساتذة بتلمسان وقتداك أمثال:

أبي عبد الله الشريف التلمساني[2] (ت771هـ/ 1369م)، كما ساهم في تأسيس مكتبة عمومية في تلمسان تجلب لها مختلف الكتب[3]، و قد حظي العلماء و طلاب العلم بعطف هذا السلطان و تشجيعه لهم، فانتشر العلم في عهده بالمغرب الأوسط انتشارا لا مثيل له[4]، فكان عصره من أزهى عصور الدولة الزيانية ثقافيا و حضاريا[5].

هذا و قد شجع السلطان أبو زيان محمد الثاني (796- 801هـ/ 1394- 1399م) على التأليف و نسخ الكتب و اقتنائها و حبسها بخزانته التي شيدها بالجامع الأعظم بتلمسان،

---

[1]- التنسي، المصدر السابق، ص157 ؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص104 ؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 159، 160، 182 ؛ Barges, Tlemcen ancien capital, opcit, p391؛ بكاي هوارية، المرجع السابق، ص50.

[2]- عن هذا العالم ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص179 ؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص120 ؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ج2، ص88 ؛ بابا خويا الحاج المهدي، الإمام أبو عبد الله الشريف التلمساني وجهوده الأصولية و الفقهية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الاسلامية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، 1992- 1993.

[3]- عن هذه المكتبة ينظر: عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص183 ؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 53، 54 ؛ محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص ص 107-110 ؛ Brosslard(Ch), les inscriptions arabes, opcit, p167.

[4]- يذكر صاحب نحلة اللبيب بأن السلطان أبا حمو موسى الثاني كان طالبا للعلم في صغره معتنيا به في كبره، مكرما للعلماء في أيام دولته مجلا لهم، ينظر: ابن عمار أبو العباس أحمد، نحلة اللبيب باختبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة فونتانة، الجزائر، 1902، ص166، كما قال عنه ابن الأحمر بأنه "تمسك بالعلم في سماء المعالي، و برع في نظم القريض و جمع نور الأريض، و جاز في الشرف بذلك ما أنسى به شرف كل مالك"، ينظر: ابن الأحمر، النثير الجمان في شعر من ضمني وإياه الزمان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ب.ت، ص111 ؛محمد الطاهر توات، ابن خميس شعره و نثره، رسالة ماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة تيزي وزو، 1983، ص20.

[5]- ابن الأعرج، زبدة التاريخ ، ج3، ورقة 76.

فكان بذلك ممن ساهموا بشكل كبير في تنشيط الحركة العلمية و الأدبية في دولته، حيث يقول عنه التنسي في كتابه نظم الدر و العقيان: "...فأقام سوق المعارف على ساقها، و أبدع في نظم مجالسها و اتساقها...فلاحت للعلم في أيامه شموس، و ارتاحت للاستغراق فيه نفوس بعد نفوس..."، كما كان له حظه في التأليف، فصنف كتابا في التصوف أسماه "الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة و النفس الأمارة"[1].

و كان السلطان أبو العباس أحمد بن زيان الملقب بالعاقل[2] (834- 866هـ/ 1431- 1462م) يجالس العلماء و الصلحاء، و يشجعهم على التصنيف ويواظب على حضور دروسهم، و يزورهم بمنازلهم، و يمشي وراء جنائزهم، و كانت له عناية خاصة بالعالم الصوفي الزاهد أبي علي الحسن بن مخلوف أبركان[3] الذي بنى مدرسة بزاويته، و أوقف عليها أوقافا جليلة[4].

و قد كان للسلطان أبي عبد الله محمد الرابع الثابتي الذي امتد عهده إلى نهاية القرن السابع الهجري، الخامس عشر الميلادي دور في تفعيل الحركة العلمية، رغم حالة التراجع والانحدار التي كانت تعيشها بلاده بعد اشتداد الهجمات الاسبانية، حيث نبغ في عهده أئمة و فقهاء كثير[5] كثير[5] عاشوا في تلمسان و في غيرها من حواضر المغرب، و قد مات عدد كبير منهم في أيامه[1].

---

[1]- التنسي، المصدر السابق، ص ص 210- 212 ؛ محمد بن سعيد الشريفي، خطوط المصحف عند المشارقة و المغاربة من القرن 4 إلى القرن 10هـ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1975، ص312.

[2]- التنسي، المصدر السابق، ص 247، 248.

[3]- هو الحسن بن مخلوف الراشدي الشهير بأبركان (ت 817هـ/ 1453م)، كان عالما صالحا و قطبا في التصوف بتلمسان، أخذ عن ابراهيم المصمودي و ابن مرزوق الحفيد، و أخذ عنه الحافظ التنسي و الشيخ السنوسي، ينظر: محمد بن سعد الأنصاري، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق يحيى بوعزيز، منشورات anep، الجزائر 2002، ص ص 125- 142 ؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 74- 93 ؛ محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1349هـ، ص262 ؛ عبد الرحمن بالأعرج، العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، رسالة ماجستير تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2007- 2008، ص26.

[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص324.

[5]- ابن الأعرج، زبدة التاريخ ، ج3، ورقة99.

و بذلك فرغم كل الاضطرابات السياسية التي مرت بها الدولة الزيانية، إلا أن سلاطينها لم يتوانوا عن الاهتمام بالعلم و أهله في دولتهم حتى في مرحلة الضعف والسقوط، حيث أصبحت تلمسان من أعظم حواضر العلم في العالم الإسلامي، إذ نشأ بها علماء لا يشق لهم غبار، وأضحت قبلة طلاب العلم من كل الجهات، فصارت تضاهي في سمعتها بغداد و القاهرة و قرطبة، خاصة بعدما تنافس سلاطين بني زيان على خدمة العلم و التقرب من العلماء و الأدباء وإكرامهم و إجراء الأرزاق عليهم، و إقامة المدارس لهم و تزويدها بمرافق تخدم طلبة العلم، و مهما كانت أسباب هذه المنافسة فإن اهتمام سلاطين بني زيان بالعلم و عنايته تحصيلا وتأليفا، قد مهد الطريق للعلم و العلماء و يسر سبيله، و حفز طلبته و شجعهم على التحصيل و الابداع، مما جعل من تلمسان عاصمة للعلم يفد إليها العلماء من الأندلس و المشرق لا بل من السودان الغربي للاستزادة و التحصيل و الإجازة من كبار شيوخها و علمائها.

و من معالم هذا التطور العلمي تلك المنشآت التعليمية و الثقافية التي خلفها بنو زيان، والتي كانت شاهدا على رقيهم و ازدهارهم، إضافة إلى حركة العلماء والمناظرات العلمية الجادة وخوضهم في مختلف العلوم العقلية و النقلية، و كذا الهجرات الأندلسية و دورها في تفعيل الحياة الثقافية، و كذا التشجيع على تدوين الكتب و تأسيس الخزانات.

2- انشاء المراكز التعليمية و المؤسسات الثقافية:

[1]- من العلماء الذين عايشوا هذا السلطان، أبو إسحاق ابراهيم التازي نزيل وهران (ت 867هـ/1462م)، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحي الحباك (ت 867هـ/ 1462م)، و ابن العباس التلمساني (ت 871هـ/ 1466م)، و محمد بن مخلوف الراشدي أبركان (ت 885هـ/ 1470م)، و محمد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ/ 1480م)، القلصادي (ت 891هـ/ 1486م)، و أحمد بن محمد بن زكري المانوي التلمساني (ت 899هـ/ 1493م)، و محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن بسعين بن سعد (ت 901هـ/ 1495م)، ينظر في ذلك: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 211- 220 ؛ أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص84 ؛ ابن الأعرج، زبدة التاريخ، ج3، ورقة 100، ؛عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص360.

رغم الاضطرابات السياسية التي عاشتها الدولة الزيانية، إلا أن سلاطينها أولوا الحركة العلمية عناية خاصة، و لعل من مظاهر هذا الاهتمام انشاؤهم و رعايتهم للمؤسسات التربوية والتعليمية من مساجد و كتاتيب و زوايا و مدارس عليا على نمط المدارس النظامية بالمشرق[1]، ومكتبات تحوي أمهات الكتب، ينتهل منها طلبة العلم و المعرفة مختلف العلوم النقلية و العقلية، وتتخرج منها إطارات تدعم الجهاز السياسي و الإداري و المالي و القضائي، و مختلف مصالح الدولة و مؤسساتها حتى الجيش[2].

أ- المساجد و الجوامع:

كانت المساجد قبل تأسيس المدارس و الزوايا في المغرب الإسلامي عموما، كانت المؤسسة التي تستقبل الطلبة و المصلين في حلقات دراسية داخل المسجد، فكان بذلك بمثابة جامعة أو معهد بالإضافة إلى كونه مقرا للعبادة، تؤدى فيه الصلوات، فقد كانت تلقى فيه الدروس و تعقد فيه حلقات البحث و تنظم فيه المناظرات العلمية و الحوارات الفقهية، و المطارحات الأدبية واللغوية[3]، و دروس الوعظ و الإرشاد و الإفتاء، و يجتمع فيه أصحاب المصالح العامة و الخاصة، كما كانت تقرأ فيه البلاغات الرسمية للدولة، و يجتمع فيه الأولياء لتدبير زواج بناتهم وأبنائهم، وتمضى فيه العقود التجارية، و تؤخذ إليه الجنائز قبل الدفن للصلاة عليها[4].

---

[1]- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق، ج1، ص141 ؛ عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص438.

[2]- هوارية بكاي، المرجع السابق، ص41.

[3]- كان الطلبة يتلقون المبادئ الأولى للعلوم المختلفة، فنال العامة نصيبهم من العلم و الثقافة، ينظر: عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان، مجلة الأصالة، العدد 26، ص138 ؛ حاجيات و آخرون، المرجع السابق، ج3، ص438 ؛ محمد متنان، المؤسسات العلمية الثقافية في تلمسان الزيانية، مجلة رسالة المسجد، العدد 87(صفر، جمادى الأولى، 1424هـ)، ص1.

[4]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16- 20م)، ج1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص34.

و رغم أن النصوص و الوثائق التاريخية قد أحجمت عن إعطائنا جميع أسماء المساجد التي شيدت في مدينة تلمسان و ضواحيها، إلا أن بعض الإحصائيات تكشف لنا عددها الذي بلغ ستين مسجدا[1].

و قد عني الزيانيون ببناء المساجد في المدن و القرى[2]، و كان سلاطينها يحرصون على العناية بها، ببنائها أو تجديد ما اندثر منها، أو إقامة الأحباس عليها[3].

وبعدما كانت المادة الأولى في المسجد تحفيظ القرآن و الحديث، تم تدريس النحو والفقه و اللغة والأدب، أصبح يشبه المعاهد العليا التي تدرس مختلف العلوم الاسلامية[4]، كالفقه و أصوله والحديث و القرآن و تفسيره، و اللغة و النحو والأدب، و من بين هذه المساجد الجامعة[5]، نذكر:

- **المسجد الجامع بأغادير**: أسس هذا المسجد حوالي سنة 174هـ/790م من قبل الأدارسة بأمن من ادريس الأول[6]، بعد دخوله تلمسان، كما قام ابنه إدريس الثاني بإعادة ترميم و توسيع

---

[1] -Brosslard (Cravles), les inscription arabes, p83

يبدو أن هذا الرقم لا يعبر عن الحقيقة لأن مدينة تلمسان عرفت تشييد المساجد منذ فتحها المسلمون في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، فاستمرت العناية بتشييد المساجد إلى غاية العهد الزياني الذي عرف حركة معمارية هامة، خاصة فيما يتعلق بالمساجد، و نعلم أن سكان تلمسان في العهد الزياني بلغ نحو 125 ألف نسمة، لذلك فقد يكون عدد المساجد قد تجاوز العدد المذكور، ينظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص211.

[2]- مفدي زكرياء، النشاط العقلي، مجلة الأصالة، العدد 26،الجزائر ، 1975 ،ص165.

[3]- الونشريسي، المعيار، ج7، ص237.

[4]- محمد منير موسى، التربية الاسلامية، أصولها و تطورها في البلاد العربية، القاهرة، 1983، ص221.

[5]- للاطلاع على الجانب المعماري للمساجد الجزائرية، ينظر: رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة شيوح ابراهيم، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979.

[6]- كتب على حجر تأسيسه : "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به ادريس بن عبد الله بن حسين بن الحسن بن علي بن بن أبي طالب رضي الله عنه"، ينظر في ذلك: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ، ص68 ؛ لخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005، ص90 ؛ عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص31.

هذا المسجد، حيث أضاف له المنبر و المحراب[1]، كما حظي هذا المسجد بعناية الأمير يغمراسن الذي قام بترميمه و بناء مئذنته[2]، و قد استأذن في كتابة اسمه لها فقال بالزناتية "يسنت ربي" أي عرفه الله[3].

• **الجامع الأعظم بتاجرارت:** شيده الأمير يوسف بن تاشفين المرابطي، أثناء بنائه لمدينة تاجرادت سنة 473هـ/ 1080م[4]، و أعاد بناءه ابنه علي بن يوسف سنة 530هـ/ 1135م[5]، و قد غلبت عليه مسحة فنية أندلسية[6]، حتى سار تحفة معمارية رائعة، و قد أضيف

---

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 21- 50 ؛ رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان، مجلة الأصالة، عدد 26، الجزائر، 1975، ص 171، 172 ؛ بكاي هوارية، المرجع السابق، ص43.

[2]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص207 ؛ التنسي، المصدر السابق، ص125 ؛ صالح بن قربة المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص85 ؛ عطاء الله دهينة و آخرون، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، الجزائر في التاريخ، ج3، ص362 ؛ Marçais(G), Tlemcen ville d'art et d'histoire, publié par les soius de la société historique algerienne, tome1, Alger, 1936, p34.

؛خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية حضارية (633- 681هـ/ 1235- 1282م)، R.N.Imprimerie ، تلمسان، 2005، ص 252، 253.

[3]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص207 ؛ التنسي، المصدر السابق، ص125 ؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص43.

[4]- رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان ، ص172.

[5]- تدل على إعادة بنائه في عهد علي بن يوسف الكتابة الموجودة على المحراب "بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله و سلم سلم على محمد و على آله و سلم، هذا ما أمر بعمله الأمير لأجل...أيده و أعز نصره و أدام دولته، و كان اتمامه على يد الفقيه الأجل القاضي الأوصل أبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي أدام الله عزهم، فتح في شهر جمادى الأخيرة، عام ثلاثين وخمسمائة"، ينظر، Bourouiba(R), les inscriptions commémoratives des mosqués d'algérie,O.P.V, Alger, 1984, p102.؛ رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان، ص172 ؛هوارية بكاي ، المرجع السابق، ص43.

[6] - Marçais(G), tlemcen ville d'art et d'histoire, opcit, p34.

أضيف إلى المسجد قسم ثابت في عهد يغمراسن بن زيان الذي أضاف له الجزء الشمالي من بيت الصلاة والقبة والصحن والمئذنة[1] الشبيهة بالعمارة الأندلسية وزخارفها، بحيث تعلو السواري تيجان تشبه تيجان مسجد قرطبة[2]، و قد أضاف خلفاء يغمراسن لهذا المسجد خزائن للكتب[3] فأصبح هذا الجامع يضاهي أكبر الجامعات في تلك الفترة كجامع الزيتونة[4] بتونس و جامع القرويين[5] بالمغرب، حيث أصبح معهدا للتدريس منذ أن استقدم يغمراسن إليه الشيخ الفقيه أبا اسحاق ابراهيم بن يخلف التنسي (ت680هـ/ 1280م) لعقد مجالسه العلمية به[6]، والتي كان يحضرها يغمراسن برفقة الفقهاء[7]، فتوافد عليه العلماء و طلبة العلم من كل صوب خاصة من الأندلس[8].

Marçais(G), tlemcen d'hier et d'aujourd'hui, bulletin de société des amis du vieux de tlemcen, Alger, 1952, p20.

[1] -Marçais(G), l'architecture musulmane d'accident, paris, 1955, p197 ؛ التنسي، المصدر السابق، ص125 ؛عطاء الله دهينة، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن ، ص362 ؛ صالح بن قربة، المرجع السابق، ص85 ؛ خالد بن عربي، المرجع السابق، ص229.

[2]- رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان ، ص172 ؛ Marçais(G), Tlemcen ville d'art et d'histoire, p34

Marçais et william, les moniment arabes de tlemcen foutemoig, paris, 1905, p p 162- 169.

[3]- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص31.

[4]- عن جامع الزيتونة ينظر: احسان حقي، تونس العربية، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ص208.

[5]- عن جامع القرويين، ينظر: عبد الهادي التازي، جامع القرويين المسجد و الجامعة بمدينة فاس، ج2، دار الكتاب اللبناني، 1973 ؛ محمد خرماش، نظام التعليم بالقرويين بين القديم و الحديث، مجلة الحضارة الاسلامية، ع1، 1993، ص119.

[6]- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص90.

[7]- التنسي، المصدر السابق، ص126.

[8]- توافد على تلمسان عدد كبير من طلبة فاس و بجاية و افريقية و غيرها، ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 67- 119 ؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص44.

نظرا للدور التعليمي الهام الذي كان يؤديه هذا الجامع، فقد تصدر للتدريس فيه كبار العلماء، منهم العالم المجتهد أبو عبد الله الحسني الشريف التلمساني[1] الذي أخذ عنه مالا يحصى من صدور العلماء، و أعيان الفضلاء، كما تولى به التدريس ابنه عبد الله[2]، و الذي عرف بإحاطته بطرق التعليم المختلفة آنذاك، و مشاركته في كل علوم عصره، كما درس بهذا المسجد كل من القاضي سعيد العقباني[3] وأبو الحسن بن مخلوف المعروف بأبركان[4]و أحمد بن زاغو[5]، و محمد بن يوسف يوسف السنوسي[6] وغيرهم من العلماء الأجلاء، و قد ظل هذا الجامع طيلة العهد الزياني يؤدي دورا تعليميا و دينيا.

[1]- عن هذا العالم ينظر: البستان، ص179 ؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر ،مكتب النهار للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت ،1971، ص269.

[2]- هو عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني، ولد بتلمسان و تعلم فيها، ثم ارتحل إلى الأندلس، وأثناء عودته مات غرقا في البصريفية 792هـ/1389م، عن سيرته كاملة ينظر: هوارية بكاي، المرجع السابق، ص100 ؛أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ضبط النص و علق عليه بويحي عبد الله الكندي، دار ابن حزم، ط1، 2002، ص411 ؛ابن مريم، المصدر السابق، ص117 ؛ التنبكتي، نيل الابتهاج ، ص ص 126- 128.

[3]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص123، عن هذا العالم ينظر: شهرزاد رفاف، أبو عثمان سعيد العقباني حياته و آثاره (ت811هـ/ 1408م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، المركز الجامعي ببشار، 2006- 2007.

[4]- القلصادي، المصدر السابق، ص108 ؛ التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج1، ص119.

[5]- التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص60 ؛ القلصادي، المصدر السابق، ص102 ؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص41؛ ص41؛ الزركشي، المصدر السابق، ص140.

[6]- ابن مريم، المصدر السابق، ص244 ؛ جمال الدين بوقلي حسن، تشخيص مهمة ابن يوسف السنوسي كمدخل إلى فكره، مجلة الوعي، العدد المزدوج (3- 4) جمادى الأولى و الثانية 1432، أفريل- ماي، 2011، ص ص 110- 115 ؛ محمد، الحركة الفكرية في تلمسان أواخر القرن التاسع محمد بن يوسف السنوسي نموذجا، مجلة الوعي، العدد المزدوج (3- 4) جمادى الأولى و الثانية 1432، أفريل- ماي، 2011، ص ص 116- 121.

● **مسجد أبي الحسن**: يقع هذا المسجد بالقرب من الجامع الأعظم، قام ببنائه السلطان الزياني أبو سعيد عثمان بن يغمراسن سنة 696هـ/1294م[1].

و يحمل المسجد اسم أحد مشاهير علماء تلمسان، و هو أبو الحسن بن يخلف التنسي[2] (ت706هـ/1306م)، الذي كان يلقي دروسه به، و قد نسبه إليه السلطان أبو سعيد عثمان لأنه كان من أفضل علماء عصره و أتقاهم و أورعهم[3]. و المسجد صغير الحجم إذا ما قورن بالمساجد التلمسانية الأخرى، حيث يبلغ طوله 10 أمتار و عرضه 970 مترا، و يحتوي على بيت صلاة مكونة من ثلاث بلاطات عمودية على جدران المحراب يحددها صفان من الأعمدة الرخامية، تعلوها تيجان، تعد من أجمل تيجان العالم الاسلامي[4]. كما يعد محرابه من أجمل المحاريب لأنه يتشكل من مشكاة سداسية الأضلاع، مكللة بقبة مزينة بالمقرنصات، كما اشتهرت جدران المسجد بزخارف رائعة[5]، و منقوش من خشب الأرز، غاية في الابداع[1].

---

[1]- جاء في الكتابة المرسومة على المحراب: "بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و سلم تسليما، بنى هذا المسجد الأمير أبو عامر ابراهيم بن السلطان أبي يحي يغمراسن بن زيان في سنة ست و تسعين و ستمائة من بعد وفاته رحمه الله"، و لعل السلطان أبا سعيد كلف أخاه بالإشراف على البناء و التدشين، و المدشن هو الذي يثبت اسمه في لوحة التدشين، ينظر، Bourouiba(R), Les inscriptions, op.cit, p127, ؛ Marçais(G), l'architecture musulmane, op.cit, p272 ؛محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن، 9هـ/ 15م، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص81 ؛ رشيد بورويبة، الحياة الفنية في عهد الزيانيين و المرينيين، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، ج3، ص496.

[2]- هو أخو أبي اسحاق التنسي، كان من كبار علماء المغرب الأوسط، و كان معظما عند الملوك والعامة، ينظر، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص114 ؛ عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص32.

[3]- محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص213 ؛رشيد بورويبة، الحياة الفنية في عهد الزيانيين و المرينيين، ج3، ص496.

[4]- رشيد بورويبة، الحياة الفنية ، ص496 ؛بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان، ص175.

[5]- أم الخير مطروح، تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الاسلامي، رسالة ماجستير في الآثار الاسلامية، معهد الآثار، دائرة الآثار الاسلامية، جامعة الجزائر، الجزائر، 1994، ص64.

● **مسجد أولاد الإمام**: أنشأه السلطان أبو حمو موسى الأول سنة 710هـ/ 1310م[2]، ليكون ملحقا بالمدرسة القديمة التي بناها لابني الإمام أبي زيد عبد الرحمن و أبي موسى عيسى[3]، اللذين وفدا عليه من مدينة برشك، فأكرمهما و أحسن وفادتهما، وقد فقد هذا المسجد زينته الزيانية و لم يبق منه إلا القبيبة المزينة بالمقرنصات التي تشكل مشكاة المحراب و مئذنتها الجميلة، و هو يقع بالقرب من مسجد أبي الحسن، و توجد بعض القطع الأثرية منه في المتحف البلدي بتلمسان[4].

● **مسجد ابراهيم المصمودي**: شيده السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني إلى جانب القبة والزاوية و المدرسة[5]، و هي المباني التي بناها تكريما لوالده أبي يعقوب، لذلك كانت تحمل اسم المدرسة اليعقوبية، غير أن هذه الأخيرة اندثرت مع الزاوية، ولم يبق سوى المسجد و القبة[6]، الذي ضم مئذنة مربعة الشكل و قبة مزينة بأخاديد تشبه قبة حمام الصباغين بتلمسان التي يرجع عهدها

1- Dhina(A), Le royaume abdelouadide à l'époque 16 d'abou hamou moussa1er et d'abou tachfin1er, O.P.U, O.N.A.L, Alger, p34.

2- Dhina(A), Le royaume, op.cit, p126

؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص45.

3- هما عالمان جليلان عرفا بأولاد الإمام نسبة لأبيهما الذي كان يشغل منصب إمام مدينة برشك مسقط رأسه، عنهما ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 123- 127 ؛هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 64، 65 ؛عبد العزيز بورحلة، ابنا الإمام أبو زيد عبد الرحمن و أبو موسى عيسى، مجلة الوعي، العدد المزدوج (3- 4)، جمادى الأولى و الثانية 1432هـ، أفريل- ماي، 2001، ص ص 143- 147.

4- رشيد بورويبة، الحياة الفنية، المرجع السابق، ص497 ؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص147 ؛أم الخير مطروح، المرجع السابق، ص100، و أيضا،

Marçais(G), Note sur l'epitaphe d'un sovant tlemcenien (Abou hamou moussa fils de l'Imam), revue africaine, Alger, 1818, p115.

5- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص136 ؛عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى ص 181، 182 ؛هوارية بكاي، المرجع السابق، ص45.

6- رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان ، ص176 ؛عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص182 ؛لخضر عبدلي، الحياة الثقافية، ص83 ؛هوارية بكاي، المرجع السابق، ص45.

إلى العهد المرابطي، وقد عرف هذا المسجد باسم الشيخ الجليل ابراهيم المصمودي المتوفى سنة 804هـ/ 1400م[1].

- **مسجد سيدي أبي مدين شعيب بالعباد:** شيده السلطان أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني[2] سنة 739هـ/ 1339م، بقرية العباد[3] حين استولى على تلمسان[4]، تلمسان[4]، و قد أعطاه اسم الولي الصالح القطب أبي مدين شعيب بن الحسن أحد متصوفي

[1]- هو ابراهيم بن موسى المصمودي، أصله من صنهاجة المغرب قرب مكناسة، أخذ العلم عن الآبلي وغيره، ثم نزل على بتلمسان و لازم أبا عبد الله الشريف بالمدرسة اليعقوبية، و بعد وفاته أخذ عن سعيد العقباني بالمدرسة التاشفينية، ثم انقطع للعبادة و التدريس، و دفن بعد وفاته بضريح الأمراء الزيانيين بجانب المدرسة اليعقوبية، ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 64- 66 ؛عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص32 ؛عبد الحميد حاجيات و آخرون، الحياة الفكرية، الجزائر في التاريخ، ج3، ص449.

[2]- يظهر ذلك من خلال الكتابة المدونة على اللوحة التي مازالت ماثلة إلى يومنا هذا و التي كتب عليها: "الحمد لله وحده، أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق أيده الله ونصره عام تسعة و ثلاثين و سبعمائة نفعهم الله به"، ينظر في ذلك: رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان ، ص178.

[3]- العباد، مفردها عابد، أطلقت على هذا المكان منذ القديم لوجود مقبرة دفن بها الكثير من الفقهاء والعلماء، و يمثل هذا المكان حاليا الناحية الشرقية لمدينة تلمسان، ينظر في ذلك: هوارية بكاي، المرجع السابق، ص245.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج1، ص120 ؛ابن مرزوق الخطيب، المسند، ص 402، 403 ؛التنسي، المصدر السابق، ص 145، 146، و للمزيد عن تفاصيل هذا الاجتياح، ينظر: الفصل الخاص بالعلاقات السياسية بين الزيانيين والمرينيين من هذا العمل.

المغرب الاسلامي و الأندلس (ت594هـ)[1]، و قد أشرف على بنائه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق عم ابن مرزوق الجد صاحب المسند[2].

و هذا المسجد آية في الجمال و الروعة، فقد أشاد به ابن مرزوق قائلا: "و أما من أنشأه بمدينة تلمسان، فمما يرجى من الله، إعادة رسمه و تجديد آثاره،...فمن ذلك جامع القصبة – أي قصبة العباد– المشتمل على المحاسن التي لم تجتمع مثلها في مثله، من وصفه، و جمال شكله و ترتيب رواقاته، و اعتدال صحنه، و حسن ستاره، و معين مائه، و اتساع رحابه، و احتفال ثرياته الفضية منها و الصفرية، و غرابة منبره"[3]، و يردف قائلا عن مئذنته: "و لا شك أن صومعته لا تلحق بها صومعة في مشارق الأرض و مغاربها..."[4].

و لا يزال هذا المسجد قائما إلى يومنا هذا شاهدا على مدى الرقي العمراني الذي تميز به المرينيون في المغرب الأوسط.

و لا يزال هذا المسجد قائما إلى يومنا هذا يمثل بهجة للناظرين و آية من الفن المغربي الأندلسي بفضل سقفه المنضبط الأشكال و بابه المصنوع من البرونز ذي المصراعين، و محرابه و قبته و زخرفة جدرانه و أقواسه و صحنه و قاعة صلاته[5].

---

[1]- هو شعيب بن حسين الأنصاري الأندلسي، من حصن قطنانة من أحواز اشبيلية، توفي سنة 594هـ بتلمسان التي دفن بها، عن هذا القطب، ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص108- 114؛ التنسي، المصدر السابق، ص 145، 146؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص126 ؛الغوث أبي مدين شعيب، الغوثية، مخطوطة، Tokyo Manuscripts، نقلا عن مكتبة المصطفى الالكترونية ؛ أحمد بن ابراهيم بن علان الصديقي الشافعي، شرح الحكم الغوثية لشيخ الشيوخ سيدي أبي مدين شعيب التلمساني، تحقيق و تعليق، أحمد فريد المزيدي، دار الآفاق العربية للنشر، القاهرة، د.ت.

[2]- هوارية بكاي، المرجع السابق، ص245.

[3]- ابن مرزوق الخطيب، المسند ، ص402.

[4]- نفس المصدر، ص403.

[5]- نفسه، ص 270، 271.

• **مسجد سيدي الحلوي:** تم تأسيس هذا المسجد بأمر من السلطان المريني أبو عنان فارس سنة 754هـ/ 1353م بعد استيلائه على مدينة تلمسان[1]، كما ينص على ذلك النقش التأسيسي الذي يعلو واجهة المدخل الرئيسي للمسجد، و فيما يلي نصه: "الحمد لله وحده، أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان أبو عنان فارس ابن مولانا السلطان أبي الحسن علي بن مولانا السلطان أبي عثمان بن مولانا أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أيده الله و نصره عام أربع وخمسين وسبعمائة"[2]، و قد شيده تخليدا لذكرى وفاة العالم الشهير المتصوف المعروف الشيخ الولي أبو عبد الله الشوذي الاشبيلي المعروف بالحلوي نزيل تلمسان المتوفي سنة 737هـ/ 1337م[3].

و هذا المسجد يكاد يكون نسخة مطابقة لمسجد سيدي أبي مدين[4] في تصميمه وزخارفه، كما أن بعض القطع التي استخدمت في تزيينه من الداخل تكون قد جلبت من مدينة المنصورة[5]، و هو لا يختلف عنه إلا في بعض العناصر المعمارية[6].

وقد وصفه ابن الحاج النميري كاتب السلطان أبي عنان فارس قائلا: "و كم أبقى – يقصد أبا عنان– بتلمسان من آثار حسان و مصانع يعجز عن وصفها كل لسان، و لا كجامع الخطبة الأعظم الذي أمر باختطاطه في حضيض البيت الذي فيه ضريح الشيخ الصالح أبي عبد الله

---

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص339 ؛رشيد بورويبة، الحياة الفنية ، ص503 ؛هوارية بكاي، المرجع السابق، ص246 ؛عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص33.

[2]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص148 ؛هوارية بكاي، المرجع السابق، ص246.

[3]– هو أبو عبد الله الشوذي الاشبيلي المعروف بالحلوي نزيل تلمسان، تولى قضاء اشبيلية في أواخر عهد الدولة الموحدية، ثم فر من القضاء و آوى إلى تلمسان في زي المجانين، عن هذه الشخصية، ينظر يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 128،127 ؛ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 68- 70.

[4]– العربي لقريز، مدارس السلطان أبي الحسن "مدرسة سيدي أبي مدين نموذجا دراسة أثرية و فنية"، رسالة ماجستير قسم الثقافة الشعبية تلمسان، 2000- 2001، ص31.

[5]– رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان ، ص184.

[6]– رشيد بورويبة، الحياة الفنية ، ص503.

الشوذي المعروف بالحلوي رضي الله عنه، وهو أجمل الجوامع، قد أحكمت فيه أنواع الصنائع، وأبذى الاحتفال به ما شاء من البدائع..."[1].

هذا عن أهم و أشهر المساجد التي شيدت في تلمسان حاضرة المغرب الأوسط، ويضاف إليها مساجد أخرى توزعت في العديد من مدن المغرب الأوسط آنذاك و هي كثيرة نذكر منها: الجامع الكبير بندرومة الذي بناه المرابطون[2]،

والمسجد الكبير بالجزائر[3] الذي بني بأمر من الأمير يوسف بن تاشفين المرابطي في أواسط القرن الحادي عشر الميلادي، الخامس الهجري، و هو يمثل إحدى المآثر المرابطية في مجال الفن المعماري الاسلامي المغربي، و قد أضاف له السلطان الزياني أبو تاشفين الأول المئذنة[4]، و الجامع العتيق بمستغانم و الذي أسسه السلطان أبو الحسن المريني سنة 742هـ/ 1341م أثناء حملته الواسعة على المغرب الأوسط، و الذي أوقف عليه الكثير من الدكاكين و الأفران و الغلال حتى يكون له دخل ثابت من أجل صيانته و دفع أجور القائمين عليه[5].

---

[1]- ابن الحاج النصيري، فيض العباب ، ص488 ؛ عبد العزيز لعرج، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، رسالة دكتوراه دولة، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 1998- 1999، ص237.

[2]- البكري، المصدر السابق، ص80 ؛ رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة ابراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979، ص59 ؛ صالح بن قربة، المرجع السابق، ص86.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص66؛ عبد الرحمن الجيلالي، الجامع الكبير بمدينة الجزائر (معماريا و تاريخيا)، ضمن كتاب تاريخ المدن الثلاثة، الجزائر، المدية، مليانة، الجزائر، 1972، ص- ص 30- 59.

[4]- التنسي، المصدر السابق، ص140 ؛ صالح بن قرابة، المرجع السابق، ص85 ؛ محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص51؛ مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص74.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص336 ؛ مولاي بلحميسي، في تاريخ جامع مستغانم العتيق، مجلة الأصالة، السنة الثالثة، العدد 12 جانفي- فيفري 1973، ص132.

و يضاف إليها مساجد وهران و المدية[1] و مسجد هنين الذي يشيده المرينيون[2] التي ورد ذكرها في كتاب المسند بن مرزوق الخطيب و كتاب البستان لابن مريم، وقد كانت هذه المساجد في جملها تجمع بين العلم و العبادة إذ ساهمت بشكل كبير في تفعيل الحياة الثقافية و الدينية في المغرب الأوسط خاصة و بلاد المغرب الاسلامي عموما[3].

ب- المدارس التعليمية:

تعد المدارس من المنشآت الثقافية و التعليمية المستحدثة في العالم الاسلامي حيث ظهرت المدرسة كمؤسسة ذات نظام تعليمي و إداري و مالي مع مطلع القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي بالمشرق الاسلامي[4]،

و أول مدرسة بنيت في الاسلام هي المدرسة البيهقية[5] بمدينة نيسابور[6]، و في سنة 457هـ/ 1065م، قام الوزير السلجوقي نظام الملك[7] ببناء المدرسة النظامية ببغداد[8]، كما بنى عدة مدارس

---

[1]- مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص74.

[2]- ابن مرزوق، المسند ، ص403 ؛ عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص33.

[3]- مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 74، 75 ؛ محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص50.

[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص141.

[5]- نسبة إلى الشيخ الإمام أبي بكر أحمد البيهقي أحد أعلام الحديث و الفقه و الأصول في زمانه، وبيهق بلدة في خراسان، خراسان، ينظر: القاضي أحمد بن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، المطبعة اليمنية، مصر، 1310هـ، ص 20،21 ؛القزويني زكرياء بن محمود، آثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ص339.

[6]- نيسابور هي إحدى المدن الهامة في إقليم خراسان، ذات عمارة كثيرة و فضائل جمة، ينظر: القزويني، المصدر السابق، ص339.

[7]- هو أبو علي الحسن بن علي بن اسحاق بن العباس قوام الدين الطوسي، كان محبا للعلم و العلماء ورجال التصوف، فقد فقد بنى المدارس و المساجد ببغداد، فاقتدى الناس به في ذلك، توفي سنة 485هـ/ 1102م، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج1، ص 143، 144 ؛ عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص35.

[8]- تقي الدين بن زيد الخزاعي، تحفة الراكع و الساجد في أحكام المساجد، تحقيق طه الولي، المكتب الاسلامي، بيروت، 1981، ص 196،197 ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، ط2، ج2، القاهرة، 1987، ص363،=

مدارس في البصرة و الموصل و بلخ...و عرفت جميعها بالنظامية لأنها أولى المدارس التي أقر فيها رواتب ثابتة و أجورا معلومة للفقهاء و المدرسين[1].

و تذكر المصادر التاريخية بأن أول مدرسة[2] في بلاد المغرب تلك التي أسست بمدينة سبتة سنة 635هـ/ 1237م[3]، و في افريقية تلك التي أسسها السلطان الحفصي أبو زكرياء (625-647هـ) و المعروفة بمدرسة الشماعين، أو المدرسة الشماعية[4] أو أم المدارس في مرحلة لاحقة، ويعود تاريخ بنائها إلى الفترة الواقعة ما بين (633- 647هـ/ 1235- 1249م)[5]، ثم

=آدم متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو رية، دار الكتاب العربي (بيروت) و مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1967، ص336.

[1]- المقريزي، المصدر السابق، ج2، ص363 ؛ محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص53.

[2]- تعود بوادر ظهور المدارس بالمغرب إلى القرن 6هـ، حيث تذكر المصادر أن السلطان الموحدي يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بنى مدرسة في حدود سنة 593هـ/ 1196م في سلا شمال الجامع الأعظم الذي أنشئ في عهده، لكن لم يكن بالشكل النظامي الذي عرفه القرن 7هـ، ينظر: الزركشي، المصدر السابق، ص162 ؛الغبريني، المصدر السابق، ص 100، 101 ؛ السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص195 ؛هوارية بكاي، المرجع السابق، ص46.

[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص325 ؛ الحسن اسكان، جوانب من التعليم في المغرب الوسيط من القرن 7هـ/ 13م إلى القرن 9هـ/ 15م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب و العلوم الانسانية، الرباط، 1987- 1988، ص70.

[4]- الزركشي، المصدر السابق، ص26؛ وداد القاضي، المرجع السابق، ص100 ؛بوبة مجاني، المدارس الحفصية، نظامها ومواردها، مجلة العلوم الانسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، العدد 12، 1999، ص158.

[5]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص134 ؛ القلصادي، المصدر السابق، ص115؛ Dhina(A), les états, op.cit, p310 ؛الرضاع، فهرسة الرصاع، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، ط1، تونس 1967، ص142 ؛ابراهيم بلحسن، العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 7- 9هـ/ 13- 15م، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2005، ص87.

انتشرت حركة تأسس المدارس إلى المغرب الأقصى، فتم بناء مدرسة الصفارين في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 675هـ[1].

أما بالمغرب الأوسط فقد تأخر ظهور المدرسة إلى غاية مطلع القرن التاسع الهجري/ الرابع عشر الميلادي، حيث قلد سلاطين بني زيان سلاطين المرينيين والمشرق في بناء المدارس و الاعتناء بها و الاشراف الشخصي عليها، و تعيين المدرسين بها[2]، و كانت غايتهم في ذلك نشر التعليم والثقافة و رفع درجة الوعي بين الرعية و توجيهها وجهة تخدم الصالح العام، و كذا بعث الأمن والاستقرار والسكينة بينها، هذا من جهة، و من جهة أخرى توجيه الرعية لخدمة السياسة المذهبية لبني زيان و المتمثلة في نصرة المذهب المالكي و العمل على نشره، وكانت المدارس هي إحدى الوسائل المساعدة لتحقيق ذلك[3].

و يذكر الحسن الوزان أن تلمسان الزيانية قد عرفت عددا لا بأس به من المدارس وصل عددها إلى خمس، حسب قوله: "...و توجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة، لها أئمة و خطباء، و خمس مدارس حسنة، جيدة البناء، مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية يشيد بعضها ملوك تلمسان و بعضها ملوك فاس...[4]، بالإضافة إلى مدارس أخرى تنتشر عبر أرجاء المغرب الأوسط كافة كمدارس وهران مثلا، و التي يقول عنها أيضا: "هران مدينة كبيرة فيها ستة آلاف

---

[1]- الباديسي عبد الحق بن اسماعيل، المقصد الشريف و المنزع اللطيف في تعريف نصحاء الريف، تحقيق سعيد أعراب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993، ص111 ؛ محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع و الثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1987، ص 72، 73.

[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص325.

[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص326 ؛ محمد مكيوي، المؤسسات التعليمية في العهد الزياني القرن 8هـ/ 14م، مجلة الفكر الجزائري، العدد 4، مخبر المرجعيات الفلسفية و الفنية، الجزائر، 2009، ص95.

[4]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص19.

كانون، بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ البحر المتوسط...و بها من البنايات و المؤسسات ما تميز به كل مدينة متحضرة من مساجد و مدارس..."[1].

و على الرغم من انشغال السلاطين الزيانيين بحروبهم الداخلية و الخارجية، إلا أن ذلك لم يمنعهم من الاهتمام بالجانب التعليمي و الثقافي، فقد كانوا يؤثرون ويقربون العلماء من مجالسهم، و قد شيدوا لهذا الغرض عددا من المدارس التي كانت بمثابة المعاهد العليا يتكون فيها الإطارات في شتى المجالات، و من أهم المدارس التي اشتهرت في تلمسان الزيانية نذكر:

- **مدرسة ابني الإمام أو المدرسة القديمة:** هي أول مدرسة أسسها الزيانيون في تلمسان[2]، أمر ببنائها السلطان أبو حمو موسى الأول ما بين 707 و 710هـ بناحية المطمر[3]، سميت على اسم العالمين الأخوين أبي زيد عبد الرحمن بن الإمام (ت743هـ/ 1342م) و أخيه أبي موسى عيسى بن الإمام (ت 749هـ/ 1348م)[4]،و هما ابنا الفقيه الخطيب أبي عبد الله بن عبد الله بن الإمام

---

[1]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص30 ؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص47.

[2]- يرى جورج مارسيه أن هذه المدرسة كانت تقع غرب مسجد أولاد الإمام و شماله، و كانت تشتمل على قاعتين كبيرتين يتلقى فيها طلبة العلم، بجانبهما بيتان يقيم فيهما شيوخ المدرسة، ينظر، Marçais(G), et (W)Blian, les monuments, op.cit, p168 ؛ Marçais(G), remarques, op.cit, p263 ؛هوارية بكاي، المرجع السابق، ص48.

[3]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص34 ؛حمد مكيوي، المؤسسات التعليمية ، ص96.

[4]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص 123- 126 ؛ ابن مرزوق الخطيب، المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2008، ص 202، 203 ؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص206؛ التنسي، تاريخ بني زيان، ص139، Marçais(G), tlemcen, op.cit, p47 ؛ Marçais(G), et (W), les monuments, op.cit, p185

من أهل برشك[1]، و قد كانا إمامين مشهورين بالعلم و الرياسة، نزلا بتلمسان أيام السلطان أبي حمو موسى الأول بن أبي سعيد عثمان الأول بن يغمراسن (ت718هـ/ 1318م)[2] الذي ابتنى لهما هذه المدرسة و كلفهما بإدارة التعليم و التدريس بها، فحملت اسمهما[3]، كما سميت بالمدرسة القديمة بعد تأسيس المدرسة التاشفينية. و لم يبق منها إلا المسجد الصغير بمنارته و الذي يقع في الناحية الغربية من المدينة في اتجاه باب كشوط المعروف اليوم بباب سيدي بوجمعة[4]، و لأنها أول مدرسة في حاضرة المغرب الأوسط، فقد أولاها الزيانيون عناية خاصة، فقد عين للإشراف والتدريس بها أجلة العلماء مما أدى إلى توافد الطلبة عليها من كل حدب و صوب و من مختلف الأعمار[5]، و قد تخرج من هذه المدرسة علماء كثر، قادوا الحركة العلمية خلال القرنين الثامن والتاسع أمثال الآبلي و أبي عبد الله الشريف والمقري الجد و سعيد العقباني، و ابن مرزوق الحفيد و ابن زكري و أبو عبد الله التنسي...و غيرهم كثير[6].

---

[1]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130 ؛ ابن مرزوق ، المناقب المرزوقية، ص203 ؛ عبد الجليل قربان، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، جسور للنشر و التوزيع، ط1، الجزائر 2011، ص115.

[2]- هو أبو حمو موسى الأول، تولى حكم الدولة الزيانية بعد جلاء المرينيين عنها، دام حكمه من سنة 707هـ/ 1308م إلى 718هـ/ 1319م إلى أن اغتيل على يد ولده عبد الرحمن أبي تاشفين، ينظر في ذلك: التنسي، المصدر السابق، ص 138، 139 ؛ Dhina, le royaume,op.cit,p p75- 77

[3]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130 ؛ التنسي، المصدر السابق، ص139 ؛ Dhina(A), le royaume, op.cit, p34

[4]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130 ؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص ص 821- 824 ؛التنسي، المصدر السابق، ص139؛ المقري، نفح الطيب ، ص215 ؛ الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، الجزائر، 1906، ص ص 201- 307.

[5]- يذكر يحي بن خلدون في بغيته عن ابني الإمام: "و تركا بتلمسان خلقا كثيرا ينتحلون العلم كبيرا وصغيرا، بلغ كثير منهم مقام التدريس و العلم و الفتيا في النوازل نجابة درس و نظر"، ينظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130.

[6]- محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص55.

و قد ظلت هذه المدرسة قائمة تؤدي وظيفتها التعليمية خلال القرن 10هـ إلى أن تعرضت للخراب، و قد أورد لنا المقري الحفيد في رحلته وصفا للحالة التي آلت إليها هذه المدرسة قائلا: "لما قدم علينا حضرة تلمسان، الفقيه سيدي علي بن محمد بن علي البهلول، في حدود سنة 1010هـ، ذهب معنا في جملة من العلماء والأعيان من أشياخنا و أصحابنا إلى المدرسة الشهيرة الصيت بالمغرب و المعروفة بمدرسة أولاد الإمام، فسرحنا الناظر في محاسن المدرسة المذكورة، و طفنا على رسومها الباقية، حتى وصلنا خزانة الكتب المشهورة فألقيناها بيبانا خاوية على عروشها و قد ملئت بالزبل"[1].

- **المدرسة التاشفينية**: أمر بتشييدها السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأول بن أبي حمو موسى الأأول (718- 736هـ/ 1317- 1335م) بجانب المسجد الكبير بتلمسان لما أصبحت المدرسة التي بناها والده لا تستوعب عدد الطلبة و تهافتهم على العلم و الأدب[2].

و كان السلطان قد أقامها تكريما للفقيه العالم أبي موسى عمران المشذالي الزواوي (ت745هـ/ 1345م)[3]، فسخر لبنائها أشهر البنائين و المهندسين و الفنانين من ذوي الكفاءات و المهارات العالية في الزخرفة و التزيين و البناء، فجاءت حسب زائرها أكبر و أجمل مدرسة شيدت بالمغرب الاسلامي، نموذجا فريدا للزخارف التي احتوتها قصور تلمسان في ذلك العهد،

---

[1]- أبو عباس أحمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب و المشرق، تحقيق محمد بن عمر، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر 2004، ص140.

[2]- التنسي، المصدر السابق، ص141 ؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى ، ص61 ؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص48.

[3]- هو أبو موسى عمران المشذالي من أكبر فقهاء عصره، أصله من زواوة بجاية، توفي في حدود سنة 745هـ/ 1345م، من أعرف أهله و معاصريه بمذهب الإمام مالك، و حفظا لأقوال أصحابه عرفانا بنوازل الأحكام، ينظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130 ؛التنسي، المصدر السابق، ص141 ؛ محمد مكيوي، المؤسسات التعليمية ، ص97 ؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص49.

وتحفة فنية رائعة، تفتن في تشييدها حتى أصبحت قصرا من أعظم قصور الملوك، تضم بنايات عديدة و رواقات[1].

ويذكر التنسي أن السلطان أبا تاشفين احتفل احتفالا كبيرا يوم تشييدها، حضرته مشيخة تلمسان من علماء و فقهاء و أدباء، أهمهم الفقيه أبو موسى عمران المشذالي الزواوي أعرف أهل زمانه بمذهب الإمام مالك[2]، و قد قال فيها أبو جعفر أحمد بن محمد بن ابراهيم الأوسي الجنان المكناسي: "تذكرت هنا و الشيء بالشيء يذكر ما رأيته مكتوبا على دائرة مجرى الماء بمدرست تلمسان التي بناها أمير المسلمين أبو تاشفين الزياني و هي من بدائع الدنيا، فوصفها في أبيات شعرية قائلا:

أنظر بعينيك بهجتي و سنائـــي *** و بديع اتقاني و حسن بنائي

و بديع شكلي و اعتبر فيما ترى *** من نشأتي بل من تدفق مائي

جسم لطيف ذائب سيلانـــــــه *** صاف عذوب الفضة البيضا[3]

و قد تصدر للتدريس بها الفقيه العلامة أبو موسى عمران المشذالي و العالم أبو العباس أحمد بن عمران البجائي[4] بالإضافة إلى عدد كبير من علماء المغرب الاسلامي و من بينهم بعض المرازقة و العقابنة و التنسي و أحمد بن زكري[5].

---

[1]- التنسي، المصدر السابق، ص141 ؛ محمود بوعياد، المرجع السابق، ص82 ؛ محمد مكيوي، المؤسسات التعليمية، ص97 ؛ Marçais(G), l'architecture musulmane, p265 ؛ Marçais(G) et (W) Blian, les monuments arabes, p21

[2]- التنسي، المصدر السابق، ص141 ؛أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج ، ص ص 215 -217 ؛ المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج7، ص 148،149؛الخفناوي، المرجع السابق، ج1، ص 75،76.

[3]- المقري، نفح الطيب، ج8، ص ص 184- 187 الطمار، تلمسان عبر العصور ، ص128.

[4]- يعرفه يحي بن خلدون بأبي العباس أحمد بن عمران اليانوي، ينظر: البغية، ج1، ص75.

[5]- محمد مكيوي، المرجع السابق، ص138.

و ظلت هذه المدرسة قائمة شامخة تزاول وظيفتها حوالي خمس قرون إلى أن قام الاحتلال الفرنسي بهدمها، بحجة توسيع شبكة الطرق في المدينة لتبنى مكانها دار البلدية بجانبها ساحة عمومية و ذلك سنة 1875م، نقلت بعض قطعها الأثرية إلى المتحف البلدي بتلمسان ومتحف كولوني بباريس[1].

- **المدرسة اليعقوبية**: أسسها السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني (760- 791هـ) سنة 765هـ، تخليدا لوالده أبي يعقوب يوسف المتوفى سنة 763هـ/ 1362م الذي كان حاكما لمدينة الجزائر، و كان أبو حمو قد أمر بدفن أبيه برياض باب إيلان، ثم نقل إلى جواره رفاة عميه، أبي سعيد و أبي ثابت من مدفنهما بالعباد، ثم شرع في بناء مدرسته إلى جانب أضرحتهم[2]. عهد للتعليم فيها إلى أشهر علماء تلمسان آنذاك و هو الشيخ الشريف الحسني أبو عبد الله.

و كان أبو حمو يحضر دروسه خاصة في تفسير القرآن الكريم، حيث يقول التنسي في هذا الصدد: "فاحتفل بها، و أكثر عليها الأوقاف و رتب فيها الجرايات، وقدم للتدريس فيها الشريف أبا عبد الله المذكور و حضر مجلس إقرائه فيها جالسا على الحصير تواضعا للعلم و إكراما له، فلما انقضى المجلس أشهر بتلك الأوقاف وأكرم طلبتها كلهم، و أطعم الناس، و طول الله مدته حتى ختم السيد أبو عبد الله المذكور تفسير القرآن العزيز فيها، فاحتفل أيضا لحضور ذلك الختم،

---

[1]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو ، ص62 ؛ عبد الحميد حاجيات و آخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص438 ؛ Marçais(G), les monuments, op.cit, p21 ؛ Dhina(A), le royaume, op.cit, p37 ؛ Barges(G), Tlemcen ancienne capital, op.cit, p311

[2]- يذكر الأستاذ عبد الحميد حاجيات بأن العالم الصالح ابراهيم المصمودي المتوفى سنة 804هـ قد دفن في هذه المقبرة، ينظر: عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بالجزائر في عهد بني زيان ، ص438.

وأطعم الناس و كان موسما عظيما"[1]، و قد استمر أبو عبد الله الشريف يدرس في هذه المدرسة إلى وفاته سنة 771هـ/ 1370م[2].

و قد جعل أبو حمو الثاني هذه المدرسة ملحقة بزاوية و مقبرة خصصها لرفاة الأسرة المالكة[3]، و لسوء الحظ فإن هذه المدرسة قد اندثرت و لم يبق منها آنذاك الوصف الجميل في النصوص التاريخية[4] حيث وصفها صاحب زهر البستان وصفا دقيقا بقوله: "فأنشأ مدرسة القرآن و العلوم، و أنفق فيها من الحلال المعلوم، فأقيمت مدرسة مليحة البناء واسعة الفناء بنيت بضروب من الصناعات، و وضعت في أبدع الموضوعات، سمكها بالصبغة مرقوم، و بساط أرضها بالزليج مرسوم، غرس بإزائها بساتين يكتنفها، وضع فيها صهريج مستطيل و على طرفيه من الرخام خصتان يطردان مسيلا، فيا لها من بنية ما أبهجها"[5].

كما يذكر يحي بن خلدون أن السلطان أبا حمو الثاني: "وجه العناية والاهتمام إلى المدرسة الموضوعة على ضريح والده المولى المقدس أبي يعقوب رضوان الله عليه، فولى شطرها يصر الاختيار، و مد إليها يد الانفاق، فضاعف بها الفعلة، وأحمد المغارس، و أسمك المصانع، و أرحب الأبنية، وحبر الفروس، و استجلب المياه، وأجزل الأوقاف، و عين الجرابات، و رسم فيها الخطط"[6].

---

[1]- التنسي، المصدر السابق، ص180.

[2]- بابا خويا الحاج المهدي، المرجع السابق، ص50.

[3]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص 104- 136 ؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص182،183.

[4]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 182، 183 ؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص144.

[5]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى ، ص182 ؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص144 نقلا عن صاحب زهر البستان، الورقة 85.

[6]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص136 ؛ محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص57.

- **مدرسة سيدي أبي مدين بالعباد و مدرسة سيدي الحلوي**[1]
- **مدرسة منشار الجلد:** إن مكان و تاريخ إنشاء هذه المدرسة مجهول و لكن يرجح بأنها كانت بالقرب من مسجد ابن البناء[2].
- **مدرسة الحسن بن مخلوف أبركان:** بناها السلطان الزياني أبو العباس أحمد الملقب بالعاقل (834- 866هـ) بزاوية الشيخ الصالح الحسن بن مخلوف أبركان[3]، و قد ذكرها التنسي بقوله: "و بنى بزاويته المدرسة الجديدة، و أوقف عليها أوقافا جليلة، و وجد كثيرا من ريع الأحباس قد دثر و الوظائف بها انقطعت، فأحيى رسمها، و جد بما دثر، و أجرى الوظائف على أزيد مما كانت عليه من قبل..."[4]، غير أن الغموض يلف هذه المدرسة، و لعل التنسي كان يقصد المدرسة التاشفينية[5].
- **مدارس وهران و الجزائر و مازونة:** انفرد بذكر هذه المدارس الحسن الوزان دون تفصيل حيث يذكر: "...وهران مدينة كبيرة فيها ستة آلاف كانون، بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ البحر...بعيدة بنحو مائة و أربعين ميلا من تلمسان،...بها من البنايات و المؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة، من مساجد و مدارس..."[6]، أما مازونة[7] فقد ورد أن بها مدارس تشبه إلى

---

[1]- سوف نأتي على ذكر هاتين المدرستين في الفصل الخاص بالعلاقات الثقافية بين الزيانيين و المرينيين باعتبارهما شكلا من أشكال التواصل الثقافي بينهما.

[2]- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 230- 275؛ محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 399، 340؛ محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص59.

[3]- عطاء الله دهينة و آخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص433 ؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص145، ؛هوارية بكاي، المرجع السابق، ص51.

[4]- التنسي، المصدر السابق، ص248.

[5]- نفسه، الصفحة نفسها ،هامش 680

[6]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص30 ؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص51.

[7]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص37.

حد كبير مدارس تلمسان، إلا أنها أصغر منها[1]، و قد ساهمت هذه المدارس في ازدهار العلوم الفقهية خلال القرن 9هـ/ 15م[2]، و قد ورد ذكرها في المعيار للونشريسي[3]. أما مدرسة الجزائر[4] فقد أسسها أبو الحسن المريني، و الذي أقام بها سنينا لا يواد الطلبة[5].

كما كانت بهذه المدينة مدارس أخرى كالمدرسة العنانية و مدرسة ابن السلطان[6].

و مما يلاحظ على كل المدارس السالفة الذكر أنها كانت مدارس حكومية رسمية تابعة كلها للدولة التي ظلت تشرف عليها بالتمويل و تعيين الأساتذة والمدرسين، وكان كل مدرسيها من المالكية[7]، أما عن طبيعة التعليم و اتجاهه في هذه المدارس في بدايتها، فيبدو أن الاهتمام كان موجها إلى العقيدة أكثر منه إلى التشريع الديني، و لم يعد الاهتمام في المقام الأول عند العلماء موجها إلى علم الكلام و معطيات العقيدة كما كان الحال أيام الموحدين، لكن مع مطلع القرن

---

[1]- عبد المجيد مزيان، الأنظمة الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار، مجلة الثقافة، العدد 90، السنة 15، 1985، ص41.

[2]- محمد الأمين بلغيت، مدرسة مازونة الفقهية خلال القرن 9هـ/ 15م، و آثارها ضمن كتاب دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي، دار التنوير للنشر و التوزيع 2006، ص ص 113- 130.

[3]- الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص ص 242- 250؛ مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص166 ؛هوارية بكاي، المرجع السابق، ص51.

[4]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص37.

[5]- ابن مرزوق ،المسند ، ص504 ؛ مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص166؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص51.

[6]- كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510- 1541) ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات المطبوعات الجامعية، الجزائر 1991، ص8.

[7]- كانت هذه المدارس تدرس على المذهب المالكي، ينظر: هوارية بكاي، المرجع السابق، ص51 ؛ بيل ألفريد، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987، ص354.

السابع الهجري عرف علم الأصول نشاطا كبيرا من دراسة الحديث و القرآن[1] إلى جانب العلوم المساعدة من نحو و لغة و بلاغة و منطق و تاريخ و طب و حساب و علم الفلك[2].

و قد اختلفت طرق التدريس في هذه المدارس باختلاف الشيوخ الذين كانوا يشرفون عليها، فمنهم من كان يعتمد على الطريقة التقليدية (الالقاء و الشرح) حيث كان يقوم أحد الطلبة بقراءة نص ما في المادة المدروسة و يتولى الأستاذ شرحه، فقرة فقرة، و يقوم الطلبة بتقييد ما يهمهم من شروح و أجوبة، و كانت هذه الطريقة تعتمد على النقل و الحفظ[3].

لكن في النصف الثاني من القرن السابع الهجري حدثت ثورة في أساليب التدريس، وعرفت طريقة أخرى تعتمد على الحوار و المناقشة و التعمق في البحث والتعليل، و هي طريقة طبقها بعض أعلام الفقه المالكي بعد أن درسوا المنطق واستفادوا من علم الخلافيات، كابن زيتون و أبي عبد الله شعيب الدكالي، و ابني الإمام، و ناصر الدين المشذالي، و كانت طريقتهم تعتمد على أعمال النظر، و كثرة البحث و إثارة وجوه الاختلاف و الرد عليها[4].

و قد خصصت السلطة الزيانية الرواتب و الأجور للمدرسين و كل العاملين في هذه المدارس[5]، كما تكفلت بإعانة الطلبة ماديا، و تحمل جميع نفقاتهم ومصاريفهم، وانشاء مساكن

---

[1]- محمد مكيوي، المرجع السابق، ص141 ؛هوارية بكاي، المرجع السابق، ص52 ؛خالد بلعربي، أضواء على الحركة العلمية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الآداب و العلوم الانسانية، العدد 3،جامعة سيدي بلعباس، ص ص117-176.

[2]- عبد الحميد حاجيات و آخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 438، 439.

[3]- محمد مكيوي، المرجع السابق، ص139 ؛ مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص87.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، طبعة بيروت، 1968، ص 772،773 ؛هوارية بكاي، المرجع السابق، ص52.

[5]- كانت السلطة الزيانية تعين من يسير شؤون هذه المدارس من موظفين كالمدرس و الفقيه و المؤذن والناظر و القابض، وقاد وقاد القناديل، ينظر: ابن مرزوق، المسند ،ص406 ؛ الونشريسي، المعيار، ج7، ص ص 5- 17 ؛عبد الجليل قربان، المرجع السابق، ص147.

لإيوائهم، كما حرصت على انشاء المكتبات و الخزانات و جلب الكتب التي يحتاج إليها الطلبة والتي تساعدهم في تحصيل مختلف العلوم[1].

ج- الكتاتيب:

تعتبر الكتاتيب من المؤسسات التعليمية القديمة التي عرفها التاريخ الاسلامي عامة والمغرب الاسلامي خاصة، حيث كان التمدرس فيها يمثل مرحلة التعليم الابتدائي و قد انحصر التعليم فيها في بادئ الأمر على حفظ القرآن الكريم باعتباره أصل التعليم و منبع الدين و العلوم، فجعلوه بذلك في مقدمة ما يتعلمه الطفل حفظا و كتابة لأن تعليمه للصغار أشد رسوخا و حفظا حسب تعبير ابن خلدون[2] الذي يقول في هذا الصدد: "فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، و أخذهم أثناء المدارسة بالرسم و مسائله و اختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث و لا من فقه و لا من شعر و لا من كلام العرب إلى أن يحدق فيه أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعهم في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة، و هذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب و من تبعهم من قرى البربر أمم المغرب في ولدانهم إلى أن يجاوز حد البلوغ..."[3].

و قد كانت هذه الكتاتيب تنتشر في المدن و القرى، حيث كانت عبارة عن حجرات مجاورة للمسجد أو بعيدة عنها بعض الشيء، و كان يقوم بإنشائها إما خواص لبساطتها أو

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص326 ؛هوارية بكاي، المرجع السابق، ص52 ؛ابراهيم بلحسن، المرجع السابق، ص86.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ، ص602 ؛هوارية بكاي، المرجع السابق، ص54.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ، طبعة القاهرة، 1958، ص397.

باستئجار بيوت للتعليم[1]، و تقوم جماعة من أولياء التلاميذ المسيورين ببنائها[2]، كما كان بعض المعلمين يكترون محلات أو دكاكين و يتقاضون أجورهم من أولياء الصبيان[3].

و كانت هذه الكتاتيب عبارة عن غرف بسيطة، أثاثها الحصير المصنوع من السمار أو الحلفاء أو الدوم الذي يجلس عليه الصبية مشكلين حلقة حول معلمهم، وكان لكل تلميذ لوح من الخشب المصقول و دواة للحبر و قلم من القصب الجاف وإناء يمحون فيه ألواحهم[4]، و بعض الكتب و المصاحف و كتب النحو و غيرها[5].

غير أن الأوضاع تغيرت في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، حيث أصبح الكتاب أكثر تجهيزا، و يذكر الوزان في هذا الصدد: "في كل مدرسة قاعة كبيرة بمدرجات تستعمل كقاعة للأطفال"[6].

و لعل السن المفضل الذي كان الفقهاء يفضلونه لدخول الطفل الكتاب هو سن السابعة، و هو العمر الذي أمر به الحديث النبوي الأولياء بإجبار أبنائهم على أداء الصلوات، و كان التعليم في الكتاب للذكور و الاناث، غير أن تعليم البنات – فيما يبدو- يقتصر على حفظ القرآن و بعض المتون[7].

---

[1]- بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص75.

[2]- الونشريسي، المعيار ، ج8، ص156.

[3]- بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص75 ؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص55.

[4]- بعد الانتهاء من حفظ الآيات المكتوبة على اللوح يمحونها بالماء الطاهر ثم يحفرون له حفرة في الأرض ثم يصبونه فيها ليجف، ينظر في ذلك: لخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط ، ص160.

[5]- محمد نسيب، زوايا العلم و القرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، د.ت، ص19 ؛محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص42.

[6]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص261 ؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص55.

[7]- ابن أبي جمعة أحمد بن محمد المغراوي، جامع جوامع الاختصار و التبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق أحمد جلولي البدوي و رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د.ت، ص47 ؛عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص344.

و قد كان التعليم في الكتاب تعليما أوليا، حيث منه ينتقل التلميذ إلى الزوايا والمساجد لإكمال الأطوار الأخرى من الدراسة[1]، أما عن الشروط التي وجب توفرها في المعلم حتى يكون مؤهلا للقيام بمهمة التدريس في هذه الكتاتيب، فإن ابن أبي جمعة (ت930هـ) يذكر في كتابه جامع جوامع الاختصار و التبيان في هذا الصدد: "المعلم الذي لا يعرف الاظهار و الادغام والاهتمام و الأعجام و التفخيم و الترقيق و أحكام القرآن لا تجوز له الحدقة"[2]، هذا فضلا عن الصفات الخلقية و الاجتماعية، نظرا لتأثيره على سلوك الأطفال في هذه المرحلة من أعمارهم[3].

و الظاهر أن نفقة التعليم في الكتاب قبل القرن 7هـ/ 13م، كان يتحملها أولياء الأطفال، حيث كان بعض المعلمين يأخذون أجورهم على تعليم القرآن من أولياء الصبيان الميسوري الحال فقط، بينما كان بعضهم يدرس القرآن محتسبا الله دون أجره كالشيخ الزاهد ابراهيم سيول الاشبيلي (ت539هـ/ 1140م)، و كان الشيخ سعيد العقباني (ت 811هـ/ 1408م) قد أفتى بجواز الأجرة على تعليم العلم معللا ذلك بضعف مداخيل المعلمين[4].

و مما يعاب على المغاربة منهجهم في تحفيظ القرآن الكريم للصبيان في الكتاتيب، دون فهم آياته و معانيه، و لا مضامينها[5]، و يذكر بن خلدون في هذا الصدد :"...أن يأخذ الصبي بكتاب بكتاب الله في أوامره، يقرأ ما لا يفهم و ينصب في أمر غيره، أهم ما عليه منه..."[6]، كما أعطى بن عربي طريقة بديلة في تعليم الصبيان، وهي أن يحفظ الصبي القرآن و الشعر و النثر، كما يتعلم الخط والنحو، و هو مذهب أهل الأندلس في تعليم الولدان[7].

---

[1]- محمد نسيب، المرجع السابق، ص21.

[2]- ابن أبي جمعة، المصدر السابق، ص47 ؛لخضر عبدلي ،الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط ، ص160.

[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص345.

[4]- الونشريسي، المعيار ، ج8، ص 236، 237 ؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص56.

[5]- رابح تركي، التعليم القومي و الشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2،الجزائر،1981، ص263.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص602.

[7]- - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص602

أما عن العطل التي كان يستفيد منها تلاميذ الكتاب، فقد كانت يومين في الأسبوع، يوم الخميس و الجمعة كبقية المؤسسات التعليمية، إضافة إلى العطل الدينية كعيد الفطر و الأضحى[1].

د- إقامة الخزائن و المكتبات:

عرف المسلمون انشاء خزائن الكتب منذ القديم، باعتبارها وسيلة هامة لنشر العلم والمعرفة، فعمدوا إلى إعمارها بالكتب التي استقطبوها من مختلف الأصقاع، وذلك لتيسير سبل البحث و التدريس في مختلف العلوم[2]، و من أوائل الخزائن، بيت الحكمة[3] في بغداد، التي أقامها الخليفة هارون الرشيد سنة 185هـ/ 801م، و التي أولاها ابنه عبد الله المأمون عناية خاصة، وكذا مكتبة قرطبة التي أنشأها الحاكم المستنصر و التي جمع فيها ما لم يجمعه أحد من ملوك الأندلس قبله[4]، و دار الحكمة بالقاهرة التي فتحت سنة 395هـ/ 1005م، و التي اختصت بالقراءة و النسخ و التعليم[5].

---

[1]- محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين، تحقيق محمد عبد المولى، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص80.

[2]- عبد الجليل قربان، المرجع السابق، ص127.

[3]- أحمد أمين، ضحى الاسلام، دار الكتاب العربي، ج2، ط10، بيروت لبنان، د.ت، ص 61، 62 ؛عواد كوركيس، خزائن الكتب القديمة في العراق، دار الرائد الغربي، ط2، بيروت، لبنان، 1986، ص105.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر ، ج4، ص175 ؛ المقري، نفح الطيب ، ج1، ص300 ؛ ابن سعيد الغرناطي، المغرب المغرب في حلى المغرب، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997، ص126.

[5]- المقرزي، الخطط ، ج1، ص458، و ج2، ص342.

و انتشرت الخزائن بعدها في ربوع كثيرة من العالم الاسلامي، فالمغرب الاسلامي عرف هو الآخر خزائن الكتب في عهد المرابطين و الموحدين[1] و من بعدهم المرينيين[2] و الحفصيين[3] والزيانيين[4].

و قد كانت الخزائن أول مقصد للأعداء المغيرين على البلاد الاسلامية، فعندما هاجم المغول بغداد و نسفوها، بادروا إلى تدمير مكتبتها العظيمة و رمي أمهات مصادرها في نهر دجلة[5]، دجلة[5]، كذلك كان الحال في الأندلس بالنسبة للاسبان الذين تعقبوا خزائن العرب المسلمين و أحرقوا كتبها، و كان آخر ما أحرقه هؤلاء، مكتبة غرناطة على يد الكاردينال زيمينيس، أواخر القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، و التي كانت تحوي ثمانين ألف مجلد[6].

و كنتيجة حتمية للحركة العلمية التي شهدتها تلمسان الزيانية، فقد أولى سلاطين بني زيان اهتماما بالغا بخزائن الكتب فأقاموها في مواضع مختلفة إما في القصور[7] أو في المساجد و المدارس

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 168، 169.

[2]- الجزنائي علي، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ط3، الرباط، 2008، ص76 ؛ محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الاسلامي، ص 349، 350.

[3]- ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص136 ؛ السراج محمد بن محمد الأندلسي الوزير، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر، ج3، تونس، 1970، ص186.

[4]- التنسي، المصدر السابق، ص211.

[5]- محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين ،ط3 ،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ، 2000 ، ص232.

[6]- عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص129.

[7]- كانت الخزائن مرفقا ضروريا في البلاط الملكي باعتبارها شكلا من أشكال الهيبة السلطانية لتأكيد الشرعية الدينية لنظامهم، يضاف إليها المجالس العلمية التي كان السلاطين يعقدونها باستمرار بحضور فطاحلة العلماء، و قد كانت هذه الخزائن من أعظم الخزائن لاقترانها بالسلاطين مقارنة بما تحويه خزائن المساجد و المدارس و الزوايا، ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص211 ؛ الونشريسي، المعيار ، ج7، ص37.

والزوايا[1]، إضافة إلى تلك التي كانت تشكلها الأسر العلمية[2] والوراقون في المجتمع الزياني، و التي كانت مزودة بالكتب اللازمة لتفعيل النشاط التعليمي و الحركة العلمية.

و لم تقتصر هذه المكتبات على اختلاف مواضعها على الكتب المتداولة في المغرب الأوسط أو الأندلس فحسب، بل كانت تشتمل على مصنفات من مختلف بقاع العالم الاسلامي و في شتى المجالات خاصة أمهات الكتب الدينية أو الشرعية ككتب السنة و السيرة و الفقه وأصوله و التفسير و الوعظ و التصوف و علم الكلام، و كذا اكتسب التاريخ و اللغة و النحو ومختلف الآداب[3]، و التي كان يستعين بها العلماء و الطلبة في دروسهم، إضافة إلى المصاحف[4] التي أولاها الزيانيون أهمية خاصة.

أما كتب الفلسفة فقد حرص أمناء المكتبات و المشرفون عليها على عدم اقتنائها لأن محتوياتها تتعارض مع أفكار بعض الفقهاء المتشددين أو السلفيين[5].

---

[1]- ابن مرزوق، المسند، ص407 ؛ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم و تحقيق محمد الشاذلي و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص 155،156 ؛ الونشريسي، المعيار، ج7، ص335.

[2]- كان العلماء أشد الناس حرصا على تكوين مكتبات خاصة في بيوتهم، و من أشهر هذه المكتبات تلك التي ورثها أبو عبد الله المقري الجد عن أهله، كما يذكر ابن خلدون أن العالم عبد المهيمن بن عبد المهيمن الحضرمي كانت له هو الآخر خزانة ضخمة تشتمل على مختلف أنواع الصنوف، ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة ، ج2، ص194 ؛المقري، نفح الطيب، ج5، ص206 ؛ابن خلدون، العبر، ج7، ص 458، و يذكر بن الخطيب في الإحاطة، ج3، ص ص 27- 31، أن أحد المشتغلين بالعلم و هو محمد بن بيش العبدري الغرناطي (680- 753هـ/ 1281- 1352م) أصبح يشتغل بتجارة الكتب إلى جانب اشتغاله بالعلم، فأثرى منها و حسنت حالته.

[3]- الونشريسي، المعيار، ج7، ص37 ؛ التنسي، المصدر السابق، ص211.

[4]- اهتم الزيانيون بنسخ المصاحف خاصة المصحف العثماني الذي كان بحوزة السعيد الموحدي، و بعدما انتهت محلته أثناء حصاره لتلمسان سنة 646هـ/ 1248م، بشرف هذا المصحف الكريم، فاشتراه يغمراسن بن زيان من سمسار بعدما بلغه أمره، فصانه و احتفظ به في خزانته، للمزيد من المعلومات عن هذه القصة، ينظر: ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص 439- 440 ؛ ابن مرزوق، المسند، ص460 ؛ التنسي، المصدر السابق، ص ص 123- 125.

[5]- حول محاكمة ابن خميس، ينظر، المقري، نفح الطيب ، ج5، ص362؛ عبد الوهاب بن منصور، المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1965، ص 83، 84.

و قد كانت هذه المكتبات تخضع إلى نظام و قوانين فرضها المحبسون منها عدم اخراج الكتب خارج المدرسة أو المسجد التي كانت أبوابها مفتوحة طوال النهار، غير أنها تكون أكثر ازدحاما بين صلاة العصر و المغرب، و هي الفترة التي ينتهي فيها الطلاب من الحصص الدراسية[1]، و من أهم المكتبات التي أنشأها سلاطين بني زيان بالمغرب الأوسط نذكر:

- **المكتبة التي أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني سنة 760هـ/ 1359م[2]**: بالجامع الكبير بتلمسان على يمين المحراب بالمكان من الجدار القبلي الذي لا زالت تتواجد الخشبة التي كانت مثبتة فوق باب المكتبة مع النص المكتوب عليها: "أمر بعمل هذه الخزانة المباركة السلطان أبو حمو بن الأمراء الراشدين أيد الله أمره و أعز نصره و نفعه بما وصل و نوى و جعله من أهل التقوى، و كان الفراغ من عملها يوم الخميس ثالث عشر ذي القعدة عام سبعمائة و ستين 760هـ"، و كانت هذه المكتبة تزخر بنفائس المخطوطات في جميع العلوم و الفنون[3]، و لم تفقد تلك الكتب إلا حوالي عام 1266هـ/1855م، حينما قامت مصلحة الآثار التاريخية بترميم الجامع الكبير بعد تغيير طرفيه الجنوبي و الشمالي[4].
- **المكتبة التي أنشأها السلطان أبو زيان محمد بن أبي حمو موسى سنة 796هـ/ 1394م[5]**: التي كانت بالقسم الأمامي من الجامع الكبير أيضا، و كانت تزخر بنفائس المؤلفات

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص36.

[2]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص246؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى ، ص183.

[3]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 183 ؛هوارية بكاي، المرجع السابق، ص54؛ محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 107.

[4]- نفسه، الصفحة نفسها.

[5]- التنسي، المصدر السابق، ص211.

منها ما نسخ باليد كالمصحف الشريف[1] و صحيح البخاري، و نسخ البخاري و نسخ من كتاب الشفا للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي[2].

و قد نسخت هذه الكتب من قبل السلطان أبي زيان محمد الثاني و أوقف عليها أوقافا تكفل حسن سير عملها و استمرار نشاطها التعليمي و الفكري، و قد نقلت محتويات هذه المكتبة إلى المدرسة الدولية سنة 1323هـ/ 1905م، و لا تزال منها بقية إلى يومنا هذا بمكتبة ثانوية الدكتور بن زرجب بتلمسان، و كانت تضم مخطوطات عديدة و مهمة[3] منها مخطوطان نفيسان هما: كتاب "نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان" للحافظ التنسي و كتاب "عجائب الأسفار" للحافظ الشيخ أبي راس الناصري[4]

هـ– انتشار الزوايا:

يبدو أن الزاوية في بلاد المغرب عموما أصبحت تؤدي معنى مصطلح الرباط الذي كان سائدا في المشرق الاسلامي، و يؤكد ذلك ما ذكره ابن مرزوق في مسنده بقوله: "و هذه الزوايا هي التي يطلق عليها في المشرق الربط، و الخوانق، و للرباط معنيان:

---

[1]– لا يزال مصحف من مصاحفه التي نسخها بيده موجود بتونس و آخر بالمغرب الأقصى، و هو مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط رقمه (ب 1330) عدد أوراقه 112، ينظر، علوش و عبد الله الرجراجي، فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط ،ط2 ،ج1 ،القسم2 ،مطبعة النجاح الجديدة، 2001، ص2؛ المهدي البوعبدلي، مراكز الثقافة و خزائن الكتب بالجزائر، الأصالة، العدد 11، ص103.

[2]– القاضي عياض ابن موسى المتوفى سنة 544هـ/ 1149م، من كبار علماء عصره في الفقه و الحديث من أشهر تصانيفه، الشفا بتعريف حقوق المصطفى" الذي نسخه السلطان أبو زيان محمد بن أبي حمو موسى بيده، ينظر، التنسي، المصدر السابق، ص211.

[3]– لقد ضم السلطان أبو زيان إلى خزانته كتابه في التصوف و الموسوم ب "كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة و النفس الأمارة"، ينظر، التنسي، المصدر السابق، ص211.

[4]– محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص400.

– معنى فقهي: و هو احتباس النفس في الجهاد و الحراسة في ثغر من الثغور المتاخمة للعدو[1].

– و معنى صوفي: و هو عبارة عن الموضع الذي تلتزم فيه العبادة[2]، فهو بيت الصوفية ومنزلهم"[3].

و انطلاقا من هذا المفهوم فالزاوية هي أبنية أو مؤسسات ذات طابع ديني، وثقافي واجتماعي تقام فيها الصلوات الخمس، فضلا عن تحفيظ القرآن الكريم والتعليم وإلقاء الدروس على الطلاب و المريدين، و قد عبر عنها ابن مرزوق الخطيب بقوله: "و الظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين و إطعام المحتاج من القاصدين..."[4].

و من ثم فقد كانت الزاوية مدرسة يقصدها المريدون و مقرا لإقامة الطلبة وعابري السبيل، كما كانت تضم مسجدا لإقامة الصلوات[5]، و إلى جانب دورها التعليمي و الديني كانت الزاوية تؤدي خدمات اجتماعية لأهل القرية أو البلدة[6].

أما عن انشائها فغالبا ما كانت تؤسس من قبل السلاطين أو أهل الخير والمحسنين و رجال الطرق الصوفية أو كبار رجال الدولة و من أموالهم الخاصة والذين كانوا يوقفون عليها أوقافا لتغطية نفقاتها[7]، و إلى جانب هذه الأوقاف فقد كان من مواردها الزكاة و الهدايا

---

[1]– الربط و المرابطة ملازمة ثغر العدو و أصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطا، و قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم رباطا"، ينظر في ذلك، المقريزي، الخطط، ج2، ص427.

[2]– بن مرزوق، المسند ، ص411؛ برونشفيك روبار، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، تر ،حمادي الساحلي، ط1، ج2، دار الغرب الاسلامي 1988، ص335.

[3]– ابن مرزوق، المسند، ص412؛ المقريزي، المصدر السابق، ج2، ص427.

[4]– ابن مرزوق، المسند ، ص413.

[5]– مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص77؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص56.

[6]– هوارية بكاي، المرجع السابق، ص57.

[7]– ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير و عز الحقير، نشر و تصحيح محمد الفاسي، أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، الرباط 1965، ص ص 1- 17؛ محمد نسيب، المرجع السابق، ص ص 27- 30؛ عبيد بوداود، قراءة في أوقاف مدارس و زوايا تلمسان في العهد الزياني، مجلة قرطاس الدرايات الحضارية و الفكرية، كلية الآداب والعلوم الانسانية و الاجتماعية، تلمسان، العدد التجريبي، ديسمبر 2008، ص ص 21- 32.

و التبرعات التي كان يقدمها أهل الخير[1] و كان يعرف القائم على رعايتها و إدارتها بالناظر و الذي كان مكلفا بتلقين الأتباع أسرار الطريقة، و يقرأ معهم الأوراد الخاصة بها[2]، إضافة إلى الوعظ والارشاد لبث الروح الدينية في نفوسهم، و تعليمهم و تربيتهم التربية الدينية[3]، و يساعده في ذلك ذلك وكيل و عدد من المتطوعين.

و قد اشتهر المغرب الأوسط بالعديد من الزوايا و الأضرحة[4] لا سيما بعد انتشار التصوف و كثرة كثرة رجاله بعد أن صارت الزاوية تنافس المدرسة و الكتاب في التعليم، و من أشهر هذه الزوايا نذكر:

– زاوية أبي يعقوب التي أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني على ضريح والده بجانب المدرسة اليعقوبية[5].

–زاوية سيدي أبي مدين شعيب بالعباد[1]، أسسها أبو الحسن المريني و التي ضمت بيوتا لاستقبال الطلبة الوافدين و عابري السبيل، و قد حبس على هذه الزاوية الكثير من البساتين و الضياع من قبل بني مدين.

---

[1]– ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص213؛ التنسي، المصدر السابق، ص249؛ فيلالي مختار الطاهر، نشأة المرابطين و الطرق الصوفية و أثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن الغرافيكي، باتنة، د.ت، ص27؛ عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص38.

[2]– ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص213؛ عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص181.

[3]– فرج محمد فرج، الدور الحضاري للاقليم التواتي في افريقيا السوداء، ملتقى الدراسات الاسلامية والعربية في القارة الافريقية، الافريقية، أدرار، د.ت، ص62.

[4]– ضمت بعض الزوايا مدافن الأولياء و المريدين، و كثير منها اكتسبت شهرتها و شرعيتها ثم قداستها من اسم الولي الصالح الصالح الذي دفن بأرضها، ينظر في ذلك، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص104 ؛ ابن مرزوق، المجموع، ميكروفيلم بالخزانة العامة بالرباط ،تحت رقم 20 ،ورقة 54؛ برونشفيك، المرجع السابق، ج2، ص357.

[5]– يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص127؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص68؛ التنسي، المصدر السابق، ص179؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 182، 183.

– زاوية سيدي الحلوي[2] التي أنشأها السلطان أبو عنان المريني شمال المدينة بجوار مسجد الشيخ الحلوي.

– زاوية سيدي أبي الحسن[3] التي شيدها السلطان أبو سعيد عثمان الزياني.

–زاوية الحسن بن مخلوف الشهير بأبركان[4] بتلمسان قرب المدرسة الجديدة التي جدد بناءها السلطان أبو العباس أحمد العاقل.

– زاوية أبي عبد الله[5]و هو من أشهر الأعلام، أسس زاوية و ألزم كل من يدخلها أن يكون سلوكه وفق السنة و السلف الصالح، كما فرض عليهم سلوكا معينا في المأكل و الملبس[6].

– زاوية ابن البناء بتلمسان[7]و زاوية أبي يعقوب العشاشي بشلف[8].

– زاوية أبي زيد عبد الرحمن بن يعقوب بن علي[9] و زاوية أحمد الغماري و زاوية عين الحوت[1].

---

[1]– ابن مرزوق، المسند ، ص406؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص203؛ التنسي، المصدر السابق، ص256؛ ابن مرزوق، المجموع، ورقة 54؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص264؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص57.

[2]– يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص127؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص 68، 70، 89.

[3]– شارل أندريه جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ج2، ترجمة محمد مزالي و بشير سلامة، الدار التونسية للنشر و التوزيع، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1969، ص210.

[4]– التنسي، المصدر السابق، ص248.

[5]– ابن مرزوق، المجموع، ورقة 81؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص149.

[6]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص149.

[7]– يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص 124- 125 ؛أسعد عليوان، محمد بن يوسف السنوسي و شرحه لمختصره في المنطق (دراسة و تحقيق)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1986- 1987، ص23.

[8]– وفد بنو راشد الذين كانت أراضيهم بنواحي سهل بشلف على سيدي لحسن بفرس و بغلة، و رحلوه معهم إلى مضاربهم، حيث أنزلوه عندهم و بنوا له مدثرا، و حسبوا له أرضا أسس فيها زاوية أبي يعقوب الغشاشي، ينظر في ذلك، الزياني محمد بن يوسف، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1978، ص60.

[9]– ابن مرزوق، المجموع ، ورقة 91.

و من زوايا القرن التاسع الهجري، نذكر:

- زاوية سيدي السنوسي للإمام محمد السنوسي بتلمسان[2].
- زاوية العلامة سيدي عبد الرحمن الثعالبي[3] في مدينة الجزائر.
- زاوية الولي الصالح سيدي محمد الهواري[4] في وهران.
- زاوية سيدي ابراهيم التازي[5] نزيل وهران و التي ورد ذكرها في كتاب "الثغر الجماني" لأحمد بن سحنون الراشدي.
- زاوية الشيخ أحمد بن عبد الله الجزائري[6] بمدينة الجزائر كذلك.

و يضاف إليها عدة زوايا انتشرت في أرياف و قرى المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن و التاسع الهجريين (14- 15م) فقد انتشرت الزوايا بشكل كبير بين قبائله، كتلك التي أقامها عرب بني سويد و بني عامر خلال القرن التاسع الهجري (15م)، في فترة ضعف و تراجع سلطة بني زيان عن الكثير من الأقاليم البعيدة، مما خول لهؤلاء فرض سيطرتهم على الكثير من الأراضي

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص264.

[2]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص40.

[3]- ابن مريم، المصدر السابق، ص387؛ عبد الحميد حاجيات، عبد الرحمن الثعالبي دفين الجزائر، مجلة الثقافة، العدد 136، ص156؛ عبد الرحمن حمادو الكتبي، نبذة عن سيدي عبد الرحمن الثعالبي، الإمام المفسر، مجلة العصر، العدد الثامن، شوال 1424هـ، ديسمبر 2003، ص ص 26- 32؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، ص263.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق، ص6؛ أحمد بن سحنون الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسم الثغر الوهراني، تحقيق و تقديم، المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1973، ص445؛ الزياني محمد بن يوسف، دليل الحيران، ص60؛ أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، ص474.

[5]- ابن مريم، المصدر السابق، ص238؛ الراشدي، الثغر الجماني،ص189،190؛ محمد المنوني، الشيخ ابراهيم التازي نموذج بارز للتبادل الثقافي بين المغربين (9هـ/15م)، مجلة الثقافة، السنة السادسة، العدد21، يناير-فبراير، 1986، ص159.

[6]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص ص 85- 240.

الخصبة، و من الذين شيدوا هذه الزوايا في القبائل محمد بن عبد الرحمن الكفيف السويدي، وأحمد الحاج العامري والذي كانت له زاوية في ضواحي بحدوس من تاسلة، و التي بنى فيها مسجدا ومقرا لإيواء الفقراء و المساكين و عابري السبيل[1]، إلى جانب دورها التعليمي و الديني، والتي كان ينفق عليها من ممتلكاته، حتى أصبحت هذه الزاوية مزارا لكل الناس ومن مختلف الأصقاع[2].

لقد أدت الزاوية في بادئ أمرها دورا مميزا خلال القرن الثامن و أوائل القرن التاسع الهجريين، فساهمت بشكل كبير في نشر العلم، بعدما أخذت على عاتقها مهمة تحفيظ القرآن الكريم و تلقين الطلاب مختلف العلوم النقلية و العقلية[3]، حتى أصبحت تنافس مراكز التعليم الأخرى، لكن مع منتصف القرن التاسع الهجري (15م)، بدأت الزاوية تنحرف عن مهمتها الأساسية و منهجها السليم في التعليم بعدما تغلغلت إليها الطرقية، فأصبح بذلك التعليم محدودا ونسبيا يؤخذ بطريقة جافة و ضيقة، خاصة و أن الطلاب أضحوا يلتفون حول شيوخ الزوايا الذين طغى على أفكارهم و عقولهم الخرافة و سذاجة الهلوسات، مما أدى إلى تدني مستوى التعليم وتراجعه خاصة في العهد العثماني[4] حيث اشتدت المنافسة بين شيوخ الزوايا و علماء المدارس

---

[1]- مختار حساني، الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية للدولة الزيانية (63- 962هـ/ 1235- 1554م)، رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة، المعهد الوطني للدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، 1986، ص117.

[2]- ابن مريم، المصدر السابق، ص215.

[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص35؛ وسيلة بن بلعيد بن حميدة، الزاوية و دورها التربوي والاجتماعي،مجلة الهداية، العدد الرابع، ص29؛ بونابي الطاهر، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط، خلال القرنين السادس والسابع الهجريين (12- 13م)، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1999- 2000، ص273.

[4]- انحرفت الزاوية في هذه المرحلة عن التصوف السني و انساقت نحو التصوف العملي و المنحرف، بعدما هجرها الفقهاء والعلماء، فتركت فرصة للاعتقادات الخاطئة و الأعمال الغريبة و الشاذة و التي أصبحت دليلا على الولاية و نوعا من أنواع الكرامة، فسيقت في ذلك قصص و أساطير لا يصدقها العقل، ينظر في ذلك: ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص214؛ الزياني محمد بن يوسف، المصدر السابق، ص41؛ عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في حال من ادعى العلم و الولاية، تقديم و تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1978، ص ص 63- 116.

والمساجد في مجال التعليم، مما أجبرهم على تبسيط طرقهم في التعليم وتغيير منهجهم حتى لا ينفر الطلبة منهم إلى الزوايا و المرابطين[1].

و كنتيجة لذلك بدأت الحركة العلمية تتراجع في المغرب الأوسط، خاصة في القرن العاشر[2] نتيجة انحصار التعليم في اجترار ما سبق تأليفه من العلوم، و غلق أبواب البحث و الاجتهاد و حرية الرأي و الفكر.

و- عقد السلاطين و الأمراء للمجالس العلمية:

لم يحد سلاطين بني زيان عن عادة سلاطين المغرب الاسلامي[3] في جلب كبار العلماء إلى بلاطهم و عقد مجالس للتعليم، تطرح فيها الأفكار و يفتح المجال لهم للمناقشة و المناظرة العلمية، حيث أضحت هذه المجالس تقليدا محمودا يم ثل شكلا من أشكال هيبة السلطان و الدولة ككل، إذ منحت هذه المجالس فرصة لكبار العلماء و الطلبة للإفادة و الاستفادة، فكان بلاط السلطان

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، ص37؛ محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص64.

[2]- نجم عن الأوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية غير المستقرة و عن الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية، و المناطق الداخلية المجاورة لها غلق المراكز التعليمية التي كانت تحتضنها المدن المحتلة، مما أدى إلى هجرة طلابها و علمائها إلى مراكز أخرى في الجزائر أو خارجها، الشيء الذي ساهم في تراجع الحركة العلمية، ينظر، الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2؛ مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2؛ ابن عساكر محمد بن علي، دوحة الناشر ، ص 14، 52، 92، 99، و فيها يتحدث عن هجرة العديد من العلماء والطلبة الجزائريين إلى المغرب من وهران و بجاية اللتين احتلهما الاسبان.

[3]- اشتهر السلطان أبو حسن المريني و ابنه أبو عنان بعقدهما المجالس في بلاطهما و التي ضمت كبار العلماء، عن هذه المجالس، ينظر، ابن مرزوق، المسند ،ص265؛ ابن الحاج النميري، فبض العباب؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص459، 463، 471، 474، 477؛ ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج 2، بيروت، لبنان ، ص761؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص426؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 165- 185، كما كان مجلس السلطان الحفصي أبي فارس مجلس علم، عنه ينظر: ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية ، ص197؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص263.

أبي تاشفين بن أبي حمو الأول في المشور مجلسا للعلم و التعليم[1]، تدرس فيه مختلف العلوم و تعقد فيه الندوات العلمية و الفكرية، و تثار فيه المناقشات الفقهية التي تشغل بال المجتمع الاسلامي[2]، كما كان بلاط أبي حمو موسى الثاني لا يقل شأنا عمن سبقوه من سلاطين بني زيان خاصة و أنه كان من أهل العلم و المعرفة[3]، فقد ازدهرت في عهده العلوم على اختلافها، و تبوأ على عهده العلماء و الفقهاء مكانة مرموقة، و لما تولى ابنه السلطان أبو زيان الحكيم أصبح بلاطه مؤسسة علمية حقيقية تؤدي مهام التعليم بشكل مستمر، حتى قال عنه التنسي: "فلم تخل حضرته من مناظرة و لا عمرت إلا بمذاكرة و محاضرة"[4].

و استمرت مجالس السلاطين خلال القرن التاسع الهجري (15م) على نفس المنهج، تؤدي أدوارا علمية ريادية، فها هو السلطان الزياني يطلب إلى الإمام السنوسي النزول بقصره، وقراءة التفسير لحضرته على عادة المفسرين، فكان يحضر مجلسه العلماء و الفقهاء[5].

و لخصوصية هذه المجالس فقد كان يحضرها كبار العلماء و الفقهاء[6] ورجال الدولة، و كذا أثرياء المجتمع و الطلبة المتفوقين[7]، فقد ضم مجلس السلطان أبي تاشفين بن أبي حمو الأول أمنال

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة ، ج2، ص214، 215؛ الونشريسي، المعيار ، ج6، ص 361، 362؛ المقري، نفح الطيب ، ج5، ص 218، 219؛ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج 2، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية، مطبعة فضالة، 1939، ج5، ص 18، 19؛ابن مريم، البستان، ص124.

[2]- ابن الخطيب، الإحاطة ، ج2، ص 214، 215، الونشريسي ، ج6، ص 361، 362؛ المقري، نفح الطيب، ج5، ص218؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص124.

[3]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص11، الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص 170، 171.

[4]- التنسي، المصدر السابق، ص211.

[5]- ابن مريم، المصدر السابق، ص240.

[6]- ابن مرزوق، المسند ، ص265؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص 240.

[7]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص477.

المقري الجد و كان حينئذ حديث السن[1]، و قد كان يشارك في المناقشات التي كانت تثار بين العلماء في مجالات مختلفة.

و قد كانت طريقة التدريس في هذه المجالس تعتمد أساسا على قاعدة التناوب[2] بين العلماء، حيث يقوم كل عالم بإلقاء درسه في الحصة المخصصة له، ثم يفتح المجال لبقية الحضور من العلماء و الطلبة للإدلاء بآرائهم في المواضيع التي تحتاج إلى المناقشة و الإثراء، و يتم ذلك كله في حضرة السلطان مما يفتح الباب على مصراعيه لمناقشة العلماء، محاولين ابراز قدراتهم وإمكانياتهم أمام السلطان[3].

أما عن المواد المدرسة في مجالس السلاطين فقد كانت متنوعة اشتملت على دروس في التفسير[4] و الحديث و الفقه و أصوله، و السيرة و التاريخ[5] و التصوف[6]، و قد ذكر ابن مرزوق مرزوق في مسنده مجموعة من الكتب التي كانت تدرس في مجلس السلطان أبي الحسن المريني نذكر منها[7]:

1- كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري.

2- كتاب مسند مسلم (صحيح مسلم) بن الحجاج.

3- كتاب الشفاء للقاضي عياض.

4- كتاب الاكتفاء للإمام أبي الربيع سليمان بن سالم الكلاعي.

5- كتاب حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم الأصبهاني.

---

[1]- المقري، أزهار الرياض ، ج5، ص18.

[2]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص474؛ المقري، أزهار الرياض ، ج3، ص28.

[3]- المقري، نفح الطيب ، ج5، ص 218، 219؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص162.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق، ص240.

[5]- ابن مرزوق، المسند ، ص277.

[6]- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة ، ج2، ص761.

[7]- ابن مرزوق، المسند ، ص ص 275- 277.

6- كتاب السيرة لابن اسحاق، تهذيب ابن هشام.

7- تآليف ابن الجوزي.

8- كتاب الموطأ للإمام مالك.

9- كتاب ابن الحاجب في الفقه و غيرها.

لذلك كانت هذه المجالس بمثابة ملتقيات للفكر و المعرفة تقام فيها الندوات ويتبارى فيها العلماء[1] بإلقاء الدروس و التفنن في الابداع فيها و محاولة الوصول إلى مستويات راقية، و بذلك ساهمت في تحسين مستوى الكثير من العلماء و الطلبة[2] الذين كانوا يبذلون قصارى جهدهم في اتقان العلوم حتى يحظوا بحضور هذه المجالس، و حتى يكونوا على أهبة الاستعداد.

و قد كان السلطان يشارك أحيانا في إدلاء رأيه في بعض المناقشات أو توجيه بعض الأسئلة إلى كبار العلماء[3].

ي- **التدريس في بيوت العلماء:**

لم يكتف علماء بني زيان بالتعليم في المساجد و المدارس أو إلقاء الدروس في المجالس العلمية التابعة لمختلف المؤسسات التعليمية، بل لجأوا أحيانا كثيرة إلى فتح أبواب بيوتهم في كل الأوقات أمام طلبة العلم، إذ حرصوا على إمدادهم بمختلف العلوم في مختلف الأماكن و متى سنحت الفرصة، و توافد على منازلهم الكثير من الطلبة لتزويدهم بما يحتاجونه من توجيه و إرشاد، و كذا اطلاعهم على نفاس العلوم و أمهات المصادر[4]، فأضحت بذلك بيوت العلماء من المؤسسات العلمية و التعليمية الهامة، و التي ساهمت في تنشيط و تفعيل الحركة العلمية في المغرب الأوسط، وقد ذكر لسان الدين بن الخطيب في إحاطته أن ابن مرزوق الخطيب "الجد"، جد ابن

---

[1]- المقري، أزهار الرياض، ج3، ص 27، 28.

[2]- عبد الجليل قربان، المرجع السابق، ص217؛ محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص66.

[3]- الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص170.

[4]- عبد الجليل قربان، المرجع السابق، ص218.

مرزوق الخطيب لأمه، "كان بيته خاصا بالطلبة"[1]، و ها هو العالم ابراهيم بن يخلف التنسي[2]، يفتح بيته أمام مجموعة من طلبة البوادي الذين أمدهم بكل ما يحتاجونه من نفقة و علوم مختلفة، فبرز منهم العديد لنجابتهم[3]، كما كان بيت حفيده ابن مرزوق عامرا بطلبة العلم[4].

و يذكر الرحالة خالد بن عيسى البلوي[5] في رحلته إلى المشرق أنه لما مر ببجاية سنة 736هـ/ 1335م، مكث بها حوالي شهر[6] و هو يتعلم في بيت عالمها الكبير أبي عبد الله محمد محمد بن جعفر[7] حيث قال: "قصدت لقاءه و الأخذ عنه...فأنزلني بمنزلة الكريم، و قابلني بالترفيع بالترفيع والتكريم، و أقمت معه فيه، يفيض علي من كرمه بحرا زاخرا، و يفاوضني من علمه منهلا لا أجد له آخرا...سمعت عليه تصانيف كثيرة و أجازني و كتب لي بخطه"[8].

---

[1]- المقري، أزهار الرياض ، ج3، ص104؛ ابن مرزوق، المسند ، ص32؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص186

[2]- هو أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن يخلف التنسي، ولد بتلمسان سنة 609هـ، من أكابر العلماء، تولى مهمة التدريس والفتيا في المغرب الاسلامي مما جعله ينال حضوة لدى سلاطين بني زيان، عنه ينظر، يحي بن خلدون، المصدر السابق،= =ج1، ص114؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص ص 122- 124؛ عبد الحميد حاجيات و آخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص440؛ عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان في ، ص140.

[3]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص281.

[4]- ابن مرزوق، المسند، ص32؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص186.

[5]- هو أبو البراء خالد بن عيسى البلوي، رحالة أندلسي و عالم متقن، تولى القضاء بجهات الأندلس، أخذ العلم عن ابن خميس و أبي موسى ابن الإمام و أبي عمران المشذالي، توفي سنة 767هـ/ 1366م، ينظر عنه ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص500؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص173.

[6]- البلوي خالد بن عيسى، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن السائح، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د.ت، ج1، ص162.

[7]- هو القاضي و الفقيه أبو عبد الله محمد بن جعفر بن يوسف الأسلمي، المتوفى سنة 736هـ/ 1335م، عنه ينظر، التنبكتي، نيل الابتهاج ،ج1، ص392.

[8]- البلوي، المصدر السابق، ج1، ص 154، 155.

ثم واصل رحلته إلى قسنطينة فنزل ببيت أحد كبار علمائها و هو أبو الحسن علي بن عبيد الله الذي قال عنه: "و أجازني جميع مروياته، فهو روضة الأدب الناعمة الغضة و صحيفة الرواية النقية المبيضة"[1].

و يذكر منصور بن علي بن عبد الله الزواوي[2] زيارته إلى شيخه المجتهد منصور بن أحمد المشذالي[3]، فقال: "فوجدته قد بلغ السن به غاية أوجبت جلوسه في داره، إلا أنه يفيد بفوائده بعض زواره، فقرأت من أوائل ابن الحاجب عليه لإشارة والدي بذلك إليه"[4].

و قد كانت بيوت العلماء محل اهتمام طلبة العلم و مقصدا لهم متى احتاجوا إليهم و في كل الأقطار التي يحلون بها، فقد ذكر الإمام أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي عن شيخه ابن مرزوق الحفيد عندما حل بتونس و أقام بها، أنه أخذ عنه مجموعة من العلوم خاصة علم الحديث فقال: "و ختمت عليه أربعينيات النووي، قرأتها عليه في منزله قراءة تفهم"[5].

---

[1]- البلوي، المصدر السابق، ج1، ص162.

[2]- هو منصور بن علي بن عبد الله الزواوي من كبار العلماء و الفقهاء، رحل إلى الأندلس و درس بها، وارتحل إلى تلمسان فأخذ عن كبار علمائها، كان حيا سنة 770هـ/ 1368م، ينظر عنه، ابن الخطيب، الإحاطة ، ج3، ص324؛ التنبكتي، نيل الابتهاج ،ج2، ص611؛ابن مريم، المصدر السابق، ص292؛ابن حجر العسقالي، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ط1،ج4 ، دار الكتب العلمية، 1997، ص222.

[3]- هو منصور بن أحمد المشذالي، من كبار علماء بجاية و فقهائها، توفي سنة 731هـ/1330م، عنه ينظر، الغبريني، عنوان عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، منشورات لجنة التأليف و الترجمة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 1969، ص229؛ ابن الخطيب، الاحاطة ، ج3، ص327؛ ابن حجر العسقالي ، ج4، ص221؛ التنبكتي، نيل الابتهاج ،ج2، ص609؛ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقي و عز الحقير، ص53.

[4]- ابن الخطيب، الاحاطة ، ج3، ص327.

[5]- ابن مريم، المصدر السابق، ص206.

هذا و قد كان العالم محمد بن قاسم بن تومرت شيخ السنوسي[1] يدرس في بيته الفرائض والحساب و النحو، و الوقاف و الخط و الهندسة[2].

والجدير بالذكر أن العلماء قد ساهموا في إعطاء دروس عالية المستوى في بيوتهم[3] نظرا لتوافد الطلبة المجدين عليهم، الراغبين في الاستزادة و التحصيل و الاجازة، لذلك كانت هذه البيوت جزءا لا يتجزأ عن مؤسسات التعليم الرسمية و إن لم تكن تخضع لنظام تعليمي خاص، مما جعلها تساهم في تحصين مستوى العلماء و الطلبة مع بعض[4].

3- تشجيع الرحلة العلمية:

تعتبر الرحلة العلمية مظهرا من مظاهر الحضارة الاسلامية، إذ كانت – و ما تزال- تعبر عن النشاط العلمي و الثقافي للمجتمعات باعتبارها إحدى أهم وسائل نقل و تبادل العلوم والمعارف بين الأقطار الاسلامية[5] و إحدى سبل التواصل بينها، ومعلوم أن هذا النوع من الرحلات عرف على نطاق واسع في العالم الاسلامي، فكان من أهم وسائل التحصيل، لما يتيحه من لقاء العلماء النابغين و المشاهدة والاحتكاك و ربط العلاقات.

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه (2699) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "**من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة**"[6]،

---

[1]- محمد قاسم بن تومرت، كان عالما بالمنقول و المعقول، أخذ عنه الإمام محمد بن يوسف السنوسي عنه، ينظر، التنبكتي، المصدر السابق، ج2، ص553؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص237.

[2]- ابن مريم، المصدر السابق، ص237.

[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص35.

[4]- عبد الجليل قربان، المرجع السابق، ص220.

[5]- عن الرحلة العلمية في الاسلام، ينظر، غنيمة محمد، تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1953، ص ص 208- 217.

[6]- أخرجه الإمام أحمد في مسنده (2/ 407)، و الترمذي في سننه (5/ 28)، كلاهما عن أبي هريرة، وقال الترمذي، هذا حديث حسن و ما أورده البخاري في صحيحه (160/1) دون اسناد.

وقوله "طريقا" يشمل الطريق الحسية و المعنوية، بمطالعة كتبه وسماعه من أهله، و عن زر بن حبيش قال: أتيت صفوان بن عسال رضي الله عنه فقال: ما جاء بك؟ قلت: أنبط العلم – أي أطلبه وأستخرجه– قال: فإنني سمعت الرسول صلى الله عليه و سلم يقول: "ما من خارج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع"[1].

و في القرآن الكريم قصة رحلة سيدنا موسى عليه السلام للقاء الخضر و أخذ العلم منه، حيث قال لفتاه: " لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا"[2]، و يؤخذ من هذا أنه ينبغي لطالب العلم أن يكون مصرا و جادا و شديد الحرص على طلب العلم[3].

و مضى السلف على هذه السنة الحسنة حتى فشت بين طلاب العلم في الأمة الاسلامية و بخاصة في عصر الصحابة رضوان الله عليهم و الذين كان أحدهم يرحل من المدينة إلى الشام أو إلى مصر ليأخذ الحديث عن أخيه، أو ليتوثق من رواية حديث سمعه، فهذا جابر بن عبد الله رضي الله عنه يرحل للشام لسماع حديث واحد من عبد الله بن أنيس رضي الله عنه[4]، و رحل أبو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه إلى مصر في حديث واحد ليسمعه من عقبة بن عامر رضي الله عنه.

---

[1]– قال المنذري في الترغيب و الترهيب (59/1)، رواه الترمذي و صححه، و ابن ماجة و اللفظ له، و ابن حيان في صحيحه، و الحاكم و قال: "صحيح الاسناد"

[2]– الآية 60 من سورة الكهف.

[3]– أورد البخاري في صحيحه حديثا في كتاب العلم تحت ترجمة(الخروج إلى العلم) و فيه فحوى قصة سيدنا موسى عليه السلام و خروجه للقاء الخضر عليه السلام، و في هذه القصة يقول الرسول صلى الله عليه و سلم: "بينما موسى في ملإ من بني إسرائيل إذ جاءه رجل فقال: هل تعلم أحدل أعلم منك؟ قال موسى: لا، فأوحى الله إلى موسى: بلى، عبدنا الخضر، يعني عبدنا الخضر أعلم، فسأل موسى السبيل إليه، فجعل الله له الحوت آية، و قيل له: إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه، و كان يتبع أثر الحوت في البحر، فقال موسى لفتاه: "**قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا**"، (الكهف 64)، فقص الأثر إلى مكان فقد الحوت فوجد الخضر، ثم كان من شأنهما الذي قص الله عز وجل في كتابه، و ذهب موسى لملاقاة الخضر و طلب من الله أن ييسر له الرحلة لطلب العلم.

[4]– أخرجه أحمد في مسنده (495/3).

و قال سعيد بن المسيب رحمه الله: "إني كنت لأرحل الأيام و الليالي في طلب الحديث الواحد".

و خرج ابن أبي حاتم الرازي إمام الجرح و التعديل (ت 277هـ) في طلب الحديث و عمره سبع عشرة سنة، و مكث في رحلته الأولى تسع سنين و رحل أبو القاسم الطبراني – صاحب المعجم الكبير و الأوسط و الصغير (ت360هـ)- في طلب الحديث و عمره أربع عشرة سنة، ودامت رحلته سبعا و عشرين سنة، و ممن رحل في طلب العلم أيضا، الحافظ أبو الطاهر السلفي (ت 576هـ)، حيث خرج و عمره ثماني عشرة سنة، و أمضى ثماني عشرة سنة مرتحلا، و غيرهم من العلماء كثير[1].

و نهجا على هذه السنة ظل العلماء و طلاب العلم يفعلون هذا الصنيع إلى يومنا هذا، فيرحلون من بلادهم إلى البلاد الأخرى طلبا للعلم، و رغبة في علو الاسناد، و أملا في تحصيل الثواب الوارد في الأحاديث السابقة[2].

و لا يعني هذا أن البلد الذي يتركه صاحبه طلبا للعلم خارجه، أن هذا البلد خال من العلماء أو صفر اليدين منهم، بل هو يرحل لمزيد من الاستفادة، و لما لكثرة الشيوخ من توثيق وتنويع في تلقي العلوم، و قد قيل لأحمد بن حنبل: رجل يطلب العلم يلزم رجلا عنده علم كثير، أو يرحل؟ قال: يرحل، يكتب عن علماء الأمصار، فيشافه الناس و يتعلم منهم[3].

---

[1]- الشيخ محمد المنجد، محاضرة مطبوعة بعنوان "طالب العلم و الرحلة" نقلا عن صفحة الشيخ محمد المنجد الشخصية على الموقع الالكتروني: http://audio.islamweb.net

[2]- خير الدين مبارك عوير، الرحلة في طلب العلم فضلها، فوائدها، آدابها، مجلة المنار الالكترونية،الجزائر، بتاريخ 17 فبراير 2009، ص1؛ الشيخ زيد بن عبد العزيز الفياض، الرحلة في طلب العلم و الاجتهاد في تحصيله، محاضرة مطبوعة نقلا عن صفحته الشخصية بالموقع الالكتروني – الألوكة- بتاريخ 14 جويلية 2010.

[3]- فتح الباري ،ج51 ،ص 173، 174 .

و قد أفرد عبد الرحمن بن خلدون في هذا الصدد أحد فصول المقدمة لهذا الموضوع، فخلص إلى أن "الرحلة" لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال" ذلك أن الرحلة في طلب العلوم و لقاء المشايخ مزيد كمال في التعليم، و السبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم و ما ينتحلونه به من المذاهب و الفضائل، تارة: علما و تعليما و إلقاء، وتارة: محاكاة و تلقينا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشر والتلقين أشد استحكاما و أقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها وتفتحها.

و الاصطلاحات أيضا في تعليم العلوم مختلطة على المتعلم، حتى لا يظن كثير منهم أنها جزء من العلم، و لا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين، فلقاء أهل العلوم و تعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما سيراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها، و يعلم أنها أنحاء تعليم و طرق توصيل، و تنهض قواه إلى الرسوخ و الاستحكام في المكان، و يصحح معارفه، ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة و التلقين و كثرتهما من المشيخة عند تعددهم و تنوعهم، و هذا المن يسر الله عليه العلم و الهداية[1]، و هذا ما ذهب إليه شيخ ابن خلدون، محمد بن ابراهيم الآبلي و أشاد به بخصوص الرحلة و منافعها التي اعتبرها أصل العلم[2].

و لهذه الأهمية التي كانت تمثلها الرحلة العلمية، كان طلاب العلم بالمغرب الأوسط يشدون الرحال إلى مختلف الحواضر العلمية الكبرى آنذاك، المغربية منها كبجاية و تونس، وفاس ومراكش، والمشرقية كدمشق والقاهرة، و بغداد و المدينة المنورة و كذا حواضر الأندلس.

وقد ساعدت في ذلك سياسة الدولة المشجعة بدعمها للطلبة و تحفيزهم على الارتحال لطلب العلم، لأخذ الإجازات العلمية من كبار المشايخ و في علوم مختلفة، مما يسهل عليهم تولي

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، طبعة ، 2004، ص614.

[2]- المقري، نفح الطيب، ج6، ص226؛ ابن مريم، البستان، ص 216، 217؛ الحفناوي، المرجع السابق، ص96.

الخطط و المناصب المختلفة في الدولة، كالتدريس في مختلف المؤسسات التعليمية آنذاك، أو تعلق الوظائف الإدارية بعد عودتهم إلى بلدهم[1].

ولا يكاد يحصى عدد هؤلاء الذين أوفوا حق هذا التقليد الذي جمع بين التحصيل الجديد مع جودة الفهم لعلوم بلدانهم أولا قبل أن يتوجهوا إلى مختلف البقاع[2].

وقد استفاد طلاب المغرب الأوسط، من هذه الرحلات العلمية كثيرا بلقائهم بكبار المشايخ والعلماء وأخذ الإيجاز عنهم[3]، و كذا التعرف على مناهج التعليم وأهم المستجدات الطارئة على مختلف العلوم و التخصصات و نقلها إلى بلدانهم، إضافة إلى التعرف على البلدان والاطلاع على ثقافات شعوبها و عاداتهم وتقاليدهم[4]، مما سهل بشكل كبير فعال في توطيد التواصل الثقافي و الحضاري بين بلاد المغرب الأوسط و غيرها من البقاع في العالم الاسلامي بأكمله، و قد كانت الرحلة إلى الحج إحدى أهم الرحلات التي تحقق ذلك التواصل بضمها لمختلف فئات المجتمع، و منهم العلماء، إذ كان ركب الحجاج ينطلق سنويا من المغرب الأقصى

---

[1]- لخضر عبدلي، الحياة الثقافية، ص 245، 246؛ محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص77.

[2]- فاطمة بلهواري، الرحلة العلمية للشيخ محمد بن عمر الهواري، مجلة القرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، العدد 1، سبتمبر 2012، ص11.

[3]- كانت الاجازة تؤخذ بطريقتين إما سماعا أو مكاتبة، فالأولى يداوم فيها الطالب على ملازمة شيخه إلى أن يتحصل على كل ما يبغيه من علم، و بعدها يمنحه بخطه وثيقة يثبت فيها إجازته لهذا الطالب، بينما الثانية فهي التي يقوم فيها المستجيز بمراسلة الشيوخ الكبار طالبا منهم منحه الإجازة في بعض أو كل العلوم التي يبرعون فيها، ينظر: عاشور بوشامة، علاقات الدولة الحفصية مع المغرب و الأندلس (626- 981هـ/ 1228- 1573م)، جامعة القاهرة، مصر، 1991، ص 150،151،461، بينما يصنفها ابن خلدون إلى إجازة خاصة و أخرى عامة، فأما الخاصة فهي التي يعطيها الشيخ لطالب درس عنده كتابا معينا، أو فنا معينا من فنون العلم حتى في رواية الشعر، بينما العامة فهي التي تكون عامة لكل ما درسه الشيخ من فنون العلم المختلفة، و لعلها الأكثر شيوعا، ينظر في ذلك: العبر ، ج7، ص458؛ ابن الخطيب ، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، نشر و تعليق، أحمد مختار العابدي، مراجعة، مراجعة عبد العزيز الأهواني، دار النشر المغربية، الدار البيضاء،د.ت، ص366.

[4]- لخضر عبدلي، الحياة الثقافية، ص 100؛ عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص112.

مكونا من حجاج الأندلس و المغرب لينضم إليه حجاج المغرب الأوسط، و منها إلى البقاع المقدسة[1]، مما يساهم في إحداث التلاقح الفكري بين مختلف أعلام الفكر والثقافة سواء بين علماء المغرب و الأندلس أو المشرق، على الرغم من الانقسامات السياسية التي كانت تعرفها هذه الأقطار[2].

و تجدر الإشارة إلى أن الرحلة العلمية قد عاشت فتورا، خاصة بعد النصف الثاني من القرن التاسع الهجري (15م) لبلاد المغرب، و ذلك بسبب الهجمات الاسبانية و البرتغالية على سواحل المغرب الاسلامي[3]، و كذا تردي الأوضاع السياسية في المغرب نفسه و العالم الاسلامي بأكمله[4].

و تذكر لنا العديد من كتب التاريخ و التراجم نماذج كثيرة عن رحلات علماء المغرب الأوسط خلال هذه الفترة باتجاه حواضر علمية مختلفة بغية الاطلاع على خبراتهم و تجاربهم ومختلف علومهم، خاصة علم الحديث الذي كان يتطلب البحث عن أسانيد لرواياته، و لعل عدد هؤلاء المرتحلين من العلماء كثير لا يحصى، ومنهم:

أبو اسحاق ابراهيم بن يخلف التنسي (ت 680هـ/ 1281م) الذي ارتحل إلى مصر والتقى بأعلامها كشمس الدين الأصبهاني، و شهاب الدين القرافي، و سيف الدين الحنفي و أخذ عنهم علوم و مصنفات و إجازات علمية[5]، و الشيخ محمد بن عبد الله حافي رأسه (ت693هـ/ 1292م)، الذي ارتحل إلى مصر و استقر بالاسكندرية، وأخذ بها عن جملة من العلماء أمثال

---

[1]- ابن مرزوق، المسند، ص 383، 384.

[2]- عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص468.

[3]- آثر العلماء في هذه الفترة الجهاد على الحج، للوقوف في وجه الهجمات الصليبية، ينظر في ذلك، القلصادي علي محمد بن محمد القرشي الأندلسي، رحلة القلصادي، دراسة و تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، 1978، ص66.

[4]- محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص78.

[5]- ابن مريم، المصدر السابق، ص67.

عبد العزيز بن مخلوف بن الجراد و ابن الصفراوي، و ابن رواح و أبو زيد بن الزيات[1]، ثم تصدر للتدريس بها مدة طويلة و تخرج على يديه علماء كثر منهم تاج الدين الفاكاهاني[2]، كما انتهت إليه رئاسة النحو بالاسكندرية، حتى صار شيخا لهذا العلم[3].

و العلامة محمد بن ابراهيم الآبلي، الذي لازم علماء فاس و مراكش وانتصب للتدريس بكبيرات الحواضر العلمية و التف من حول جمع كبير من طلاب العلم ومنهم عبد الرحمن بن خلدون، و الشيخ أبو عبد الله المقري (ت759هـ/ 1359م)، الذي ارتحل إلى المشرق، حيث التقى في مصر بالكثير من علمائها أمثال، أثير الدين أبي حيان الغرناطي، و روى عنه و استفاد منه، و شمس الدين الأصبهاني، وشمس الدين بن عدلان الذي سمع منه بعض شروحه على كتب المزني، و شمس الدين بن اللبان، و أبي محمد المنوفي فقيه المالكية، و التبريزي[4]، و غيرهم كثير ممن ذكرهم في كتابه "نظم اللآلئ"، الذي استعرض فيه رحلته عبر مراكز عديدة، والأعلام الذين أخذ عنهم أو تذاكر معهم انطلاقا من تلمسان، فبجاية، فتونس والمغرب الأقصى، إذ ذكر كل العلماء الذين لقيهم من أهل فاس[5].

و ابن مرزوق الخطيب الذي ارتحل شرقا و غربا و تقلد مناصب عليا فيها[6]، كذا عبد الرحمن بن خلدون الذي قام برحلته إلى الأقطار الاسلامية شرقا و غربا، وتولى التدريس و القضاء

---

[1]- النباهي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، ج17، تحقيق خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت، ص175.

[2]- هو أبو حفص عمر بن أبي اليمن الاسكندري (ت734هـ/ 1334م)، محدث و فقيه و أديب، عنه ينظر، ابن فرحون، الديباج، ص186.

[3]- عادل نويهض، المرجع السابق، ص119.

[4]- ابن خلدون، التعريف بابن خلدون و رحلته شرقا و غربا، تحقيق وتعليق محمد بن تاويت الطنجي، نشر لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1951، ص ص 325- 328.

[5]- محمد رزوق، المرجع السابق، ص76.

[6]- عن رحلات ابن مرزوق الخطيب ينظر، المسند، مقدمة تحقيقه لماريا خيسوس ، ص23؛ابن مرزوق، المجموع، ورقة 93؛ المقري، نفح الطيب ، ج6، ص325؛ ابن فرحون، الديباج، ص307.

بالعديد منها[1]، كما استفاد طلاب هذه الأقطار من أفكاره وعلومه، و تمكن من غرس أسس مناهج عدة علوم في عقول الطلبة أمثال المقريزي[2]، مما ساهم في انتقال عدة نظريات من المغرب الأوسط إلى هذه الأقاليم خاصة مصر[3].

و يضاف إلى هؤلاء العلماء، الرحالة أبو الفضل محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن الإمام[4] (ت 845هـ/ 1443م) و قاسم بن سعيد العقباني[5] (ت854هـ/ 1450م) الذي ارتحل إلى مصر و حضر إملاء ابن حجر العسقلاني، واستجاز بن حجر فأجازه، و حضر درس البساطي و انتفع بهما كثيرا، مما أهله للتدريس بتلمسان إثر عودته إليها، حيث تخرج عليه علماء كثر أمثال ابن زكري و ابن مرزوق الكفيف و غيرهما.

كما قام ابن مرزوق الحفيد برحلة إلى حواضر علمية أخذ منها علم الحديث، و لنفس الغرض، ارتحل عبد الرحمن الثعالبي، وكذا كثير من آل العقباني، وآل التنسي وآل الشريف[6] وغيرهم.

---

[1]- ابن خلدون، التعريف، ص ص 1058- 1223؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص170.

[2]- قاسم عبده قاسم، المقريزي، مجلة العربي، العدد 566، يناير 2006، ص154.

[3]- سعيد محمد رعد، دور بجاية الحمادية في تكوين نظرية ابن خلدون التاريخية العمرانية عن العمران البشري، و أثر ذلك في تاريخ الفكر الاسلامي، الملتقى الثامن للفكر الاسلامي، بجاية، 1974، ص533؛ وعمار الطالبي، حكمية النظر= =الخلدوني في العمران البشري و منطقية الألسنة الفكرية في الغرب الاسلامي في زمن ابن خلدون، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الرباط، ص ص 57- 70.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 220، 221، التنبكتي، نيل الابتهاج ،ج2، ص305؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص74؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص289؛ القلصادي، المصدر السابق، ص108؛ ابن القاضي، لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد في كتاب ألف سنة من الوفيات، تحقيق، محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف و الترجمة والنشر، الرباط، 1976، ص250؛ القرافي ، المصدر السابق، ص233.

[5]- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 147- 149؛ التنبكتي، المصدر السابق، ص 223، 224؛السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص181؛ القلصادي، المصدر السابق، ص 106، 107؛ القرافي، المصدر السابق، ص169؛محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب الغربي، بيروت، 1349هـ، ص255.

[6]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص329.

4- دور المهاجرين الأندلسيين:

بعد هزيمة الموحدين في حصن العقاب سنة 609هـ/ 1212م، بدأ الضعف يدب في جسم هذه الدولة التي استطاعت توحيد المغرب و الأندلس تحت لوائها فترة لا يستهان بها، فدخلت بذلك مرحلة من الثورات[1]، سواء من المسلمين أو من النصارى الذين أخذوا يصعدون من حدة هجماتهم و ضرباتهم على المدن الاسلامية، فسقط منها الكثير، كماردة سنة 627هـ/ 1228م، قرطبة سنة 633هـ/ 1236م، بلنسية 636هـ/ 1238م، اشبيلية 646هـ/ 1248م[2]، و غيرها من المدن التي عاث فيها المسيحيون فسادا و بأهلها تنكيلا، و نتيجة لتردي الأوضاع السياسية و تدهورها في الأندلس، توالت الهجرات الأندلسية إلى المغرب الاسلامي عموما و المغرب الأوسط خصوصا[3] فرارا من اضطهاد النصارى، خاصة و أن غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس، كانت تعيش أيامها الأخيرة و على وشك السقوط بعدما عجزت دول المغرب الاسلامي الثلاث (بني مرين، بني زيان، بني حفص) على تقديم المساعدات المعهودة إذ كانت هي الأخرى تعيش حالة من الضعف و الصراع المستمر فيما بينها، و حتى بنو مرين الذين كانت لهم مواقف في الأندلس، فلم يعد بإمكانهم فعل شيء، سيما بعد هزيمتهم مع بني الأحمر في موقعة

---

[1]- من بين الثورات التي قامت ضد الموحدين في الأندلس ثورة بني مردنيش و ابن هود الجذامي سنة 625هـ/ 1228م، بألمرية، ينظر، ابن خلدون، العبر ، ج4، ص198؛ ابن الخطيب، أعمال الأعمال فيمن يودع قبل الاحتلام، القسم الثالث،= =تحقيق أحمد مختار العبادي، و محمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص ص 270- 277، والإحاطة ، ج2، ص ص 90- 93.

[2]- ابن خلدون، العبر ، ج4، ص 204، 205.

[3]- عبد القادر بوحسون، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس خلال العهد الزياني (633- 962هـ/ 1235- 1554م)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2007- 2008، ص93.

طريف[1] سنة 741هـ/ 1340م، على يد الحلف المتكون من القشتاليين و الأراغونيين والبرتغاليين، و التي استشهد فيها عدد كبير من المسلمين كان من بينهم الكثير من علماء المغرب و الأندلس[2].

و أمام هذا الوضع، تردت الأوضاع الاجتماعية في الأندلس، فعم الظلم والفساد، وأثقل كاهل الأندلسيين بالضرائب، و عمت الفوضى و ارتفعت الأسعار بشكل مهول[3]، فلم يستطع العديد من الأندلسيين تحمل هذه الأوضاع، فقررت العائلات الأندلسية المضطهدة ترك أوطانها واللجوء غلى المناطق الآمنة، فكانت وجهتهم إما المغرب الاسلامي أو المشرق الاسلامي.

حيث هاجر الكثير من الأندلسيين نحو المغرب الأوسط و نحو عاصمة تلمسان بالتجديد، و قد كان من بينهم الكثير من العلماء و الفقهاء و الأطباء والحرفيين و الصناع، حاملين معهم علومهم و معارفهم و نشاطاتهم[4]، و حتى بعض صفاتهم و خصائصهم و مميزاتهم، و التي تأثر بها المجتمع الزياني، خاصة حبهم للعلم و تعظيمهم للعلماء[5]، إذ كان الأندلسي حريصا على طلب العلم، فقد يترك عمله الذي يقتات منه من أجل طلب العلم[1].

---

[1]- تعرف هذه المعركة في المصادر الاسبانية بمعركة "تسلادو" "Battalla de salado"، أما ابن الخطيب فسماها بالواقعة العظمى، عنها ينظر: كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق محمد كمال شبانة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003، ص38.

[2]- المقري، أزهار الرياض ، ص ص 203- 207؛ ابن خلدون، العبر ، ج4، ص 310، 311؛ ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص ص 35- 40.

[3]- عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق، بيروت، القاهرة، 1983، ص88.

[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص173.

[5]- تشير العديد من الرسائل و المصنفات إلى مدى حب الأندلسيين للعلم و اهتمامهم به، و منها رسالة الشقندي (ت629هـ/ 1231م)، و التي ذكر فيها: "أن الإجماع حصل على فضل الأندلسيين، و قد نشأ فيهم من الفضلاء و الشعراء بها ما اشتهر في الآفاق"، و قد أكد هذه الفكرة عبد الرحمن بن خلدون بوصف ذكاء الأندلسيين و حبهم الشديد للعلم

و قد كان لهذه الصفات التي يتميز بها الأندلسيون أثر في الحياة الثقافية والعلمية بالمغرب الأوسط و كل المناطق التي استقروا بها، حيث صبغتها بالعلوم الأندلسية[2]، خاصة وأن الأندلسيين أدخلوا طرقا جديدة في التعليم، إذ كان منهجهم يختلف عن المنهج التعليمي المتبع في المغرب الأوسط، و الذي كان يعتمد على تحفيظ القرآن الكريم و مبادئ العلوم الدينية في البداية[3]، ثم ينتقل إلى العلوم الأخرى، و هي الطريقة التي انتقدها بعض العلماء، أمثال الشيخ أحمد بن ابراهيم الآبلي (757هـ/ 1356ك) الذي أبدى تحفظا منها باعتبار الطالب بهذه الطريقة يصبح مجرد وعاء على الأستاذ أن يملأه بالمعلومات الغزيرة في شتى العلوم[4]، و نفس الرأي ذهب إليه تلميذه عبد الرحمن بن خلدون الذي انتقد هذا المنهج الذي يعتمد أساسا على الحفظ، حيث كان المتعلم ملزما بحفظ عدد كبير من المؤلفات، و ما كتب عليها من الشروح و الحواشي و المختصرات، مما يعيق عملية التحصيل[5]، و اقترح أن يكون التعليم بالتدريج شيئا فشيئا، و أن يمر بثلاث مراحل[6].

أما الأندلسيون فقد كان منهجهم يختلف عن هذا المنهج، حيث كان الطفل يبدأ بتعلم القراءة و الكتابة، ثم النحو و اللغة و الحساب، و بعدها ينتقل إلى دراسة المنطق و علوم الطبيعة،

واعتنائهم بالشعر الذي بلغ حسب قوله التنسيق فيه الغاية"، ينظر في ذلك، أحمد أمين، ظهر الاسلام، ج3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص10؛ عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة ، ص646.

[1]- عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص123.

[2]- القلصادي، تمهيد الطالب و منتهى الراغب في أعلى المنازل، المعروفة برحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص26.

[3]- لخضر عبدلي، الحياة الثقافية ، ص91.

[4]- ناصر الدين سعيدوني، التجربة الأندلسية بالجزائر، ندوة الأندلس، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996، ص87؛ عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص124.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ، ص ص 587- 589.

[6]- عن هذه المراحل ينظر، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص ص 93- 95؛ عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص ص 40- 43.

ثم يليها علم الأخبار و الماورائيات، و أخيرا ينتقل إلى دراسة علوم الشريعة[1]، فكان يقدم تعليم العربية و الشعر على سائر العلوم حتى يتمكن الطفل من إجادة اللغة التي هي وسيلة لاكتساب العلوم الأخرى، ثم ينتقلون إلى علوم الشريعة، حتى يسهل فهمها بعدما يكون المتعلم قد حصل في العلوم الأخرى[2]، و هي الطريقة التي استحسنها عبد الرحمن بن خلدون و غيره[3].

و بذلك نقل الأندلسيون طريقتهم في التعليم، و المبنية على تعليم الأطفال القواعد الأساسية لمختلف العلوم[4]، فساهموا في تنظيم حلقات التعليم بالمدارس والمساجد، لاسيما المسجد المسجد الجامع بتلمسان الذي أصبح يضاهي في مكانته العلمية الزيتونة بتونس و القرويين بالمغرب الأقصى، كما ساهم الأندلسيون في حركة التعريب بالمغرب الأوسط لاشتغالهم بالتعليم[5]، مما ساعد ساعد على بروز جيل من العلماء الذين برعوا في علوم عديدة خاصة منها الدينية (الفقه و التفسير)[6].

و من الأندلسيين الأوائل الذين اختاروا تلمسان للاستقرار بها، الأديب الكاتب أبو بكر بن داود بن خطاب المرسي الذي وفد على يغمراسن بن زيان، فأكرمه وقلده منصب صاحب القلم الاعلى بديوان الإنشاء[7]، و اسرة بني وضاح التي وفدت من شرق الأندلس والتي استعان بهم

---

[1]- أحمد شبشون، منزلة العلم و التعليم بالأندلس من خلال رسائل مراتب العلوم لابن حزم، ندوة الأندلس، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996، ص 8، 9.

[2]- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة ، ص 594، 595.

[3]- يحي بن خلدون، البغية ، ج1، ص23.

[4]- مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص64؛ عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص125؛ محمد عمرو الطمار، تاريخ الأدب الجزائري ، ص109.

[5]- محمد بوشقيف، العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/ 15م، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة وهران، 2003- 2004، ص29.

[6]- نفسه، ص30.

[7]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص129؛ التنسي، تاريخ بني زيان ، ص127؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ص275.

بهم يغمراسن في تسيير شؤون دولته[1]، و كذا أسرة بني ملاح التي وفدت من قرطبة و تولى أفرادها مناصب هامة في الدولة الزيانية كالحجابة و الوزارة[2] وخطة الأشغال، إضافة إلى كونهم بيت علم وأدب و فقه امتهنوا حرفة صك النقود.

و في الأيام الأخيرة لمملكة بني الأحمر توافد الكثير من الأندلسيين إلى تلمسان و مدن المغرب الاوسط و منهم القاضي أبو عبد الله بن الأزرق (ت 895هـ/ 1494م) صاحب كتاب "روض الأعلام بمنزلة العربية من علوم الاسلام"[3]، و الشاعر المتفقه أبو عبد الله بن محمد بن الحداد الوادي آشي ثم الغرناطي[4]، و علي بن أحمد بن داود البلوي الغرناطي (ت 896هـ/ 1493م) الذي كان عالما في العربية و الفقه، و كان قد تولى الإقراء و الإمامة و الخطابة والتدريس في بلده، ثم انتقل مع أفراد أسرته إلى تلمسان بعد سنة 890هـ/ 1488م[5].

و من الأسر الأندلسية التي أنجبت عددا من العلماء الذين ساهموا في تفعيل الحركة العلمية و التعليمية في المغرب الأوسط، خاصة في مجال العلوم الدينية، أسرة العقباني[6] التي برز فيها العلامة العلامة الكبير سعيد العقباني (ت 811هـ/ 1408م)[7]، و قاسم بن سعيد العقباني

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر ، ج7، ص163.

[2]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 205، 206؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7 ، ص217، 218.

[3]- المقري، أزهار الرياض ، ج1، ص71، ج3، ص318؛ مخلوف محمد بن محمد، المصدر السابق، ص261، 262.

[4]- المقري، نفح الطيب ، ج5، ص391.

[5]- التنبكتي، المصدر السابق، ص210؛ مخلوف، المصدر السابق، ص273.

[6]- مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص64.

[7]- عن حياة أبي سعيد عثمان العقباني، ينظر، شهرزاد درفاف، أبو سعيد عثمان العقباني حياته و آثاره، رسالة ماجستير في في التاريخ الاسلامي، قسم التاريخ، المركز الجامعي ببشار، 2006- 2007، ص ص 30- 93؛رابح بونار، القاضي سعيد العقباني التلمساني، مجلة الأصالة، العدد 6، السنة الأولى، تصدرها وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر، 1972، ص ص 63- 72.

(ت854هـ/1450م)[1]، و أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني[2]، أما عن الأندلسيين الذين درّسوا بتلمسان فنذكر منهم، محمد بن أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن أبي العيش الخزرجي[3] الذي قام بتفسير القرآن لطلابه وشرح أسماء الله الحسنى بإحدى مساجد تلمسان[4]، و من أبرز التلاميذ الذين تخرجوا عليه، محمد بن العباس التلمساني[5]، و يحي المغيلي المازوني[6]، و الحافظ عبد الجليل التنسي[7]، و القلصادي[8]، و أبو البركات[9]و ولده أبو سالم العقباني[10]، و حفيده محمد بن أحمد والونشريسي الذي نقل عنه كثيرا من الفتاوى في معياره، و ابن زكري، و محمد بن محمد بن مرزوق الكفيف .

و من الأندلسيين الذين توافدوا كذلك على تلمسان شمس الدين أبو عبد الله بن جابر الوادي آشي الذي قال عنه ابن مرزوق: "عاشرته وسمعت منه، وسمع بقراءتي، فقرأت عليه الكثير وقيدت من فوائده، و أنشدني النثر وقرأت عليه بمنزلي من تلمسان"، و قد درّس هذا العالم بتلمسان الحديث والفقه والأصلين والنحو والمنطق والجدل والفرائض، وقد كان كثير الإسماع في الفقه و الجدل .

---

[1]- عنه ينظر، القلصادي، المصدر السابق، ص106؛ التنبكتي، المصدر السابق، ص365؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص147؛ عبد الحميد حاجيات و آخرون، المرجع السابق، ج3، ص446؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص77، 78.

[2]- التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج1، ص62؛ ابن مريم، البستان ، ص51؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص78.

[3]- مختار حساني، الأحوال الثقافية في الدولة الزيانية، ص160.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 249- 259.

[5]- نفس المصدر، ص 222، 223.

[6]- نفسه، ص 248، 249.

[7]- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 221- 223.

[8]- نفسه، ص ص 248- 250.

[9]- نفسه، ص ص 249- 252.

[10]- مختار حساني، المرجع السابق، ص160؛ المقري، نفح الطيب ، ج5، ص391.

و لم يقتصر التأثير الأندلسي على التعليم فحسب بل تعداه إلى مجالات أخرى كطرق الكتابة و رسم الخط، حيث أصبح الخط الأندلسي نموذجا مميزا يحتدى به غلب على الخط المغربي في جميع المناطق التي نزلوا بها[1]، كما أصبحت المصنفات و التآليف الأندلسية تدرس في مساجد ومدارس المغرب الأوسط، و من أهمها "لامية الشاطبي و تفسير القرطبي"[2].

و قد تعدى التأثير الأندلسي في المغرب الأوسط مجال التعليم إلى ميادين أخرى كالعمران و الموسيقى و حتى في بعض العادات و التقاليد و كذا النشاطات الاقتصادية.

حيث أن التأثيرات الأندلسية في الجانب المعماري للمغرب الأوسط تبدو جلية و واضحة من خلال الآثار العمرانية الخالدة، و ذلك راجع إلى الاهتمام الكبير من قبل سلاطين بني زيان الذين حرصوا على جلب المهندسين و الصناع من الأندلس كأبي حمو موسى الأول و ابنه أبي تاشفين الأول الذين كانا مولعان بالبناء والتشييد، و خلفا آثارا هامة[3]، و كانا قد طلبا من السلطان النصري أبي الوليد اسماعيل (713- 752هـ/ 1313- 1351م)، بأن يبعث لهما عددا من الصناع و الفنانين لبناء القصور و المساجد بتلمسان[4]، مما ساهم في ازدهار العمران في تلمسان التي تزينت بالقصور و الحدائق و الجنات على غرار مدن الأندلس، و من أهم تلك القصور، دار الملك، دار السرور، دار أبي فهر[5]، و من المساجد، الجامع الأعظم بتلمسان الذي

---

[1]- محمد سعيد شريفي، خطوط المصاحف عند المشارقة و المغاربة من القرن الرابع إلى العاشر الهجري، الشركة الوطنية للنشر للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص256؛ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص88.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نالسابق، ص 88؛ عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص125.

[3]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص216؛التنسي، تاريخ بني زيان ، ص ص 139- 141.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر ، ج7، ص297؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص178؛ الصادق خشاب، خشاب، تأثير الفن الزخرفي الأندلسي على نظيره المغاربي، تلمسان نموذجا، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية، جامعة تلمسان 2001، ص99.

[5]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص216؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى ، ص 60، 61.

يشبه جامع قرطبة[1]، و جامع سيدي أبي مدين الذي يشبه إلى حد كبير قصر الحمراء بغرناطة[2] في زخارفه و أشكاله الهندسية، و كذا مسجد أبي الحسن، و مئذنة المنصورة التي تشبه مئذنة جامع اشبيلية[3].

و على العموم فقد كان للأندلسيين دور كبير في النهوض بالفن المعماري بالمغرب الأوسط، سيما في عاصمة تلمسان، أما في مجال الموسيقى في المغرب الأوسط عامة و تلمسان خاصة التي هاجر إليها جمع كبير من أهل الفن والموسيقى، سيما من الغرناطيين الذين ساهموا في انتشار هذا الفن الذي اهتم به أهل المغرب الأوسط، و لا يزالون يحافظون عليه إلى يومنا هذا[4].

ضف إلى ذلك بعض العادات و التقاليد، خاصة ما يتعلق منها بطريقة اللباس و اقتناء الحلي و الجواهر، و كذا طريقة تحضير بعض الأطعمة و الألبسة، والاعتناء بالبساتين و المتنزهات وأمور أخرى[5]، مما ساهم في تفعيل الحياة الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية بشكل كبير، إذ أصبح الطابع الأندلسي مميزا عن باقي الطبوع.

المبحث الثاني: أصناف العلوم النقلية و العقلية و أشهر علمائها:

رغم أن الدعوة المحمدية كانت قائمة أساسا على فكرة دينية عقائدية جديدة، إلا أنها كانت تحمل في طياتها بذور نهضة علمية حقيقية، جعلت بلاد المغرب الاسلامي يعيش نقلة علمية فريدة من نوعها فتحت المجال أمام مختلف العلوم، خاصة ما اتصل منها بالعقل و المنطق،

1- Georges Marçais: op.cit, p18, et, Rachid Bourouiba, L'art religieux musulman en Algérie, SNED, Alger, 1981, p120.

؛عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج2، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1982، ص60.

2- صادق خشاب، المصدر السابق، ص99.

3- عبد العزيز سالم، قرطبة ،ج2 ، ص61.

4- محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان ،ص 171، 172؛ عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص130.

5- خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان، ط1، مطبعة تلمسان، 2005، ص202؛ ليفي بروفنسال، حاضرة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص30؛ صادق خشاب، المرجع السابق، ص103.

ولعل ذلك راجع إلى جهود الخلفاء الموحدين الكبيرة التي بذلوها لنشر الدين الاسلامي و تعاليمه في سائر البقاع، و بين مختلف الفئات[1].

فتركوا بذلك موروثا حضاريا و فكريا هاما كان بمثابة اللبنة الأولى التي اعتمدها ورثتهم (المرينيون، الزيانيون و الحفصيون)، و بذلك لم تكن الحقبة التي تلتها تختلف عن سابقتها أو أقل أهمية منها، حيث استمرت الحركة العلمية و الثقافية مزدهرة رغم تردي الأوضاع السياسية أحيانا، بفضل السياسة الجديدة التي انتهجتها هذه الدويلات الناشئة منذ قيامها، و اهتمامها بالعلوم على اختلاف أنواعها (نقلية وعقلية)[2].

مما ساهم في انتشار هذه العلوم عبر أرجاء المغرب الاسلامي بما فيهم المغرب الأوسط، الذي دخل عهدا حافلا بالأمجاد بظهور الزيانيين، خاصة بعدما تظافرت العديد من العوامل والظروف التي أدت إلى ازدهار الحياة الفكرية والثقافية فيه، و التي ساهمت فيها بشكل ملفت اهتمام سلاطين بني زيان بالعلم و رعايتهم الكبيرة للعلماء[3] طيلة ما ينيف عن ثلاثة قرون، نتيجة المنافسة الشديدة التي كانت قائمة بينهم و بين سلاطين المغرب الاسلامي عامة و في شتى العلوم[4].

و كذا عنايتهم بإنشاء المؤسسات العلمية و المراكز التعليمية و تزويدها بالمكتبات و تحبيس الأوقاف عليها، و تقربهم من العلماء و إجراء الأرزاق عليهم، واستدعاء بعضهم من المشرق والأندلس و باقي أنحاء المغرب الاسلامي للاستفادة منهم، إضافة إلى وفد من علماء الأندلس الفارين من الاضطهاد المسيحي[5]، و الذين استقروا بالمغرب الاسلامي يدرسون و يتدارسون ما

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص263؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص63.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر ، ج6، ص226؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص63.

[3]- للاطلاع على دور السلاطين الزيانيين في تفعيل الحركة العلمية و اهتمامهم بالعلم و العلماء، ينظر، المبحث الأول من هذا الفصل.

[4]- محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص396 ؛هوارية بكاي، المرجع السابق، ص64.

[5]- عن دور المهاجرين الأندلسيين في تفعيل الحياة الثقافية و الفكرية، ينظر، المبحث الأول من هذا الفصل.

جلبوا معهم من مصنفات هامة في مختلف العلوم، كلها عوامل ساهمت في ازدهار الحياة الفكرية والثقافية و تنوع العلوم[1]، بعد أن أقبل العلماء على الكتابة و التأليف في شتى المجالات، فظهرت العديد من المؤلفات و التصانيف، و اشتهر العديد من العلماء الموسوعين والمتخصصين، فعمت مدينة تلمسان نهضة فكرية و علمية أتيحت فيها الفرصة للحوار و المناظرة و التعمق في البحث، و الإقبال على دراسة مختلف المؤلفات، حتى صارت المدينة في عهد بني زيان من مراكز الإشعاع الثقافي التي تستقطب الطلاب و أهل العلم من كل حدب و صوب[2].

و ظلت المدينة تحافظ على مكانتها العلمية حتى في أحلك الظروف السياسية، التي تتسبب فيها الفتن الداخلية تارة، و الحملات المرينية[3] و الحفصية المتكررة تارة أخرى، إذ لم يؤثر ذلك إطلاقا على الحياة الفكرية بشكل مباشر، أو عرقل نموها المطرد في مختلف العلوم[4].

1- **العلوم النقلية**: هي العلوم المختصة بالمسلمين[5]، و هي مستندة إلى الشرع، مأخوذة من الكتاب و السنة[6]، و هي بدورها تنقسن إلى قسمين:

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر ، ص232؛ عبد الحميد حاجيات و آخرون، المرجع السابق، ص437؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 318، 319؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص59.

[2]- هوارية بكاي، المرجع السابق، ص59.

[3]- عن الحملات المرينية على تلمسان الزيانية ينظر، الفصل الأول من الباب الثالث – العلاقات السياسية بين الاقليمين-، و أيضا: عبد الرحمن بن خلدون، العبر ، ج7، ص194؛ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص386 و ما بعدها؛ Brignon(J), histoire du maroc, librairie national, casablanca, 1967, p142, et Bouali(S.A), Les deux grande siége de Tlemcen, ENAL, Alger, 1984, p37.

[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص319؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص59.

[5]- للمزيد من المعلومات عن تقسيم العلوم عند المسلمين، ينظر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص ص 467-481؛ عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ، ص 435،436.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ، ص 435،436؛ التنسي، نظم الدر ، ص161؛ الخفناوي، المصدر السابق، ج2، ج2، ص247؛ ألفرد بل، المرجع السابق، ص102.

– النوع الأول: العلوم الدينية الشرعية و هي تشمل، الفقه، الحديث، التفسير، أصول الكلام، أصول الدين، القراءات، الفرائض، التصوف و الرؤيا.

– الفرع الثاني: العلوم اللسانية و الاجتماعية، و تشمل الشعر، الأدب، اللغة، البلاغة، النحو، التاريخ، التراجم و الجغرافيا[1].

أ– **العلوم الدينية: (التفسير، الحديث، الفقه و التصوف)**

غلب على المغرب الأوسط في العهد الزياني الطابع الديني، مما جعل الحياة الفكرية تتأثر بالحياة الدينية تأثرا بالغا، لذلك وجه الفقهاء و العلماء اهتمامهم بجميع العلوم التي لها صلة بالدين و الشرع، و التي عرفت خلال هذا العصر تطورا وازدهارا كبيرا، خاصة في التفسير و الحديث والفقه، فكثر المشتغلون بها، لا سيما و أنها كانت تمكن الطلبة من الحصول على وظائف هامة في القضاء و الخطابة والدواوين الإدارية، و غيرها من المناصب الإدارية الأخرى، بالإضافة غلى أنها من العوم المحمودة التي يقبل عليها الناس، حتى تصح عبادتهم و تستقيم معاملاتهم[2].

و لهذا الغرض فقد خصصت الدولة الزيانية منذ قيامها مجالس التفسير والفقه و الوعظ والذكر، فكان القرآن الكريم على رأس هذه العلوم، حيث اهتم أهل تلمسان بدراسته و حفظه وتفسيره، باعتباره المصدر الأول لتشريعهم، فكانوا يدرسونه في الكتاتيب و المساجد و المدارس

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ، ص439؛ ابن الأحمر، نثير الجمان ، ص414؛ الخفناوي، المصدر السابق، ج2، ص362، أما حسب الدكتور في تاريخ الاسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي، ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص439، فإنه يعتبر التاريخ و الجغرافيا من العلوم العقلية.

[2]– أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، دار الثقافة، الجزائر، 1991، ص 26، 27.

والزوايا[1]، إضافة إلى دراسة بعض المصنفات في التفسير ك"أنوار و التنزيل" للبيضاوي، و"الكشف والبيان" لأبي اسحاق أحمد بن محمد التغلبي، و"أحكام القرآن" لأبي الحسن علي بن محمد الطبري، و"الكشاف عن حقائق التنزيل" لأبي القاسم محمد الزمخشري، و"التهذيب" للبيهقي، وكتاب "التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل" لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي[2]، و"الوجيز في شرح كتاب الله العزيز" لأبي محمد بن عبد الحق بن عطية الأندلسي، و"لامية الشاطبي"، و"تفسير ابن عطية"، و هي كتب ألفت في التفسير[3].

- **علم الحديث:**

يراد به حفظ ما نقل عن الرسول صلى الله عليه و سلم من قول و فعل أو تقرير، و ما نقل عن أصحابه، هو المصدر الثاني في التشريع، إذ لقي هو الآخر نفس الرعاية و الاهتمام من أهل تلمسان، فتوسعوا في دراسة الأحاديث النبوية، وكانوا يعقدون لها مجالس عديدة بعد صلاة الصبح يحضرها الطلبة و الشيوخ وعامة الناس[4]، فكان القراء و الحفاظ يحتفلون بختمة قراءة كتب الصحاح[5]، و من كتب الحديث التي كانت متداولة في المساجد و المدارس آنذاك:

- كتاب الموطأ للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس (ت 197هـ)[6].
- جامع البخاري لمحمد بن اسماعيل البخاري (ت 252هـ)

---

[1]- للمحافظة على القرآن الكريم واظب أهل تلمسان على قراءة عدة أحزاب يوميا، بعد صلاة الصبح والمغرب، ينظر، محمد المنوني، حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1989، ص35؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص437، 438.

[2]- للمزيد من المعلومات عن هذه المصنفات، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ، ص 786، 788 الغبريني، المصدر السابق، ص 25، 26؛محمد مكيوي، المؤسسات التعليمية ، ص103؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص60.

[3]- هوارية بكاي، المرجع السابق، ص67.

[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص442؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص66.

[5]- ابن مرزوق، المجموع ، ورقة 28.

[6]- وهبة النحيلي، الإمام مالك و كتابه الموطأ، بحث مقدم للندوة المغاربية حول المذهب المالكي في الجزائر، 17- 21 جمادى الأولى 1412هـ/ 25- 28 نوفمبر 1991، مجلة الموافقات، العدد الثاني، ص ص 409- 421.

- مسند مسلم للإمام مسلم بن الحجاج (ت261هـ)
- سنن أبي داود لأبي داود السجستاني (ت 275هـ)
- جامع الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت279هـ).
- جامع النسائي لأبي عبد الرحمن شعيب النسائي (ت 303هـ)
- التمهيد و الاستذكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (ت462هـ)
- المنتقى للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت474هـ)
- المختار الجامع بين المنتقى و الاستذكار لأبي عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان التلمساني[1].

- **في الفقه و أصوله:**

أما عن الفقه بأصوله، فلم يكن اهتمام أهل تلمسان به أقل من العلوم الدينية الأخرى، غير أنهم اقتصروا على اتباع مذهب الإمام مالك بن أنس باعتبار أن المغاربة عموما كانوا أشد تمسكا به، و أهل تلمسان خصوصا[2]، حيث منذ قيام دولتهم قام يغمراسن بن زيان باستقدام الفقيه المالكي أبي اسحاق بن يخلف التنسي إلى تلمسان لتدير العلوم الدينية، و كان هدفه تثبيت قواعد المذهب المالكي ودعمه[3].

---

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص26؛ محمد مكيوي، المؤسسات التعليمية، ص103؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص66؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص441.

[2]- يذكر البكري في وصفه لتلمسان: "و لم تزل تلمسان دارا للعلماء و المحدثين و حملة الإي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله"، ينظر في ذلك، البكري، المصدر السابق، ص 77،76؛ عبد الحميد حاجيات، تلمسان مركز الإشعاع الثقافي، مجلة الحضارة الاسلامية، ع1، أفريل 1993، ص37.

[3]- خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 86، 87؛ عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص43؛ وعن الفقه المالكي و تأثيره في المدارس المغاربية، ينظر، المصري مبروك، المدرسة الفقهية المغاربية المالكية، مجلة الثقافة الاسلامية، ع1، صادرة عن مديرية الثقافة الاسلامية، 2005، ص ص 95- 111؛ قادة بن علي، التعريف بالمذهب المالكي، مجلة الثقافة الاسلامية، ع1،

لذلك تعددت رحلاتهم نحو الحجاز أكثر من غيره، و هو غاية سفرهم لأداء فريضة الحج، فكانوا يميلون إلى مذهب الحجاز مهد السنة النبوية[1]، لذلك كانوا يترددون كثيرا على البقاع المقدسة للاتصال بعلمائها، و الأخذ عنهم مباشرة، فذاع بذلك صيتهم، و أخذوا الكثير، كما صنفوا في ذلك كتبا عديدة أصبحت مصدرا أساسيا يعتمد عليها الطلبة و الدارسون في أبحاثهم، و يستند إليها الفقهاء في فتاويهم، و القضاة في أحكامهم[2].

و من الكتب الأكثر تداولا في الفقه و أصوله:

- كتاب المدونة[3] و المختلطة لسحنون عبد السلام بن سعيد.
- كتاب التهذيب لأبي سعيد البرادعي.
- كتاب التفريغ لأبي القاسم عبيد الله بن الحسين بن الحسن بن الجلاب البصري القرطبي.
- كتاب الواضحة لعبد الله بن حبيب القرطبي (ت 233هـ)
- كتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (ت 376هـ)
- كتاب التلقين للقاضي أبي محمد عبد الوهاب (ت 422هـ)
- كتاب المقدمات لأبي الوليد محمد بن أحمد بن راشد (ت 520هـ)
- كتاب التبصرة لأبي الحسن اللخمي
- كتاب الطرطوشي (ت 520هـ)
- كتاب الإمام القاضي أبي بكر محمد بن العربي (ت 453هـ)

إصدار مديرية الثقافة الاسلامية، 205، ص ص 59- 72؛ كمال لدرع، خصائص و مميزات المذهب المالكي، مجلة الثقافة الاسلامية، ع1، صادرة عن مديرية الثقافة الاسلامية، 2005، ص ص 73- 94.

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة ، ص805.

[2]- هوارية بكاي، المرجع السابق، ص61.

[3]- للاطلاع على هذا الكتاب، ينظر، قادة بن علي، المرجع السابق، ص63.

- كتاب الإمام القاضي عياض بن موسى (ت 455هـ)
- كتاب الإمام أبي عبد الله محمد بن علي المازري (ت 536هـ)
- كتاب الإمام أبي أحمد بن علي الخطيب الباقلاني (ت 501هـ)
- كتاب الارشاد لأبي المعالي
- كتاب المستضحى للإمام أبي حامد الغزالي (ت 505هـ)
- كتاب المسند الكبير للإمام أحمد بن حنبل (ت 242هـ)
- كتاب الإمام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي (ت 420هـ)[1]

و قد اعتنى علماء المغرب الأوسط بكل أصناف العلوم الدينية من التفسير وعلم القراءات و الفقه و اصوله، و علوم الحديث و غيرها، و أحيانا كثيرة جمعوا بينها كلها لتميزهم بالموسوعية، و قد اشتهر في هذا العصر علماء كثر نبغوا في هذه العلوم نذكر منهم:

* **أبو اسحاق ابراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي** (ت680هـ/ 1282م): ولد و نشأ بتنس[2] و أخذ العلم ببجاية و تونس، ثم ارتحل إلى المشرق، فزار مصر والحجاز و الشام و أخذ عن علمائها أمثال القرافي، و ابن دقيق العيد، و شمس الدين الأصبهاني، و سيف الدين الحنفي، ناصر الدين المشذالي، ثم عاد إلى مسقط رأسه حيث انتهت إليه رئاسة الفتوى و التدريس، إلى أن استقدمه يغمراسن بن زيان إلى تلمسان للإقامة بها و تدريس العلوم الدينية فيها[3]، فانتفع منه طلبة

---

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص 26، 27؛ محمد مكيوي، المؤسسات التعليمية، ص 103، 104؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 61، 62.

[2]- تنس: مدينة قرب مليانة، تبعد عن البحر بميلين، و هي من مدن المغرب الأوسط، ينظر، الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ،تحقيق احسان عباس ،مكتبة لبنان بيروت ،1975 ، ص138.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص171؛ التنسي، المصدر السابق، ص 126، 127؛ العبدري، رحلة العبدري ص 11، 12؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص 15، 16؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1،

كثر أمثال أبي عبد الله بن مرزوق (جد الجد)، و أبو عبد الله بن الحاج العبدري صاحب المدخل الذي قال عن شيخه أبي اسحاق في رحلته: "...كان الشيخ أبو اسحاق التنسي و أخوه فقيهين مشاركين في العلم مع مروءة تامة و دين متين، و أبو اسحاق ألينهما و أسناهما و هو ذو صلاح و خير، و كان شيخنا الزين ابن المنير حفظه الله يثني عليه خيرا كثيرا، و سألني عن الغرب فذكرت قلة رغبة أهله في العلم فقال: لي بلاد فيها مثل أبي اسحاق التنسي ما خلت من العلم، و لقيتهما بمصر، و كان أبو الحسن لم يحج فحج معنا..."[1].

من مؤلفاته، شرح كتاب "تلقين المبتدئ و تذكرة المنتهي" في الفقه المالكي(عشرة أجزاء)، ضاع أثناء الحصار الطويل و توفي أبو اسحاق بتلمسان سنة 680هـ[2]، ودفن بالعباد[3].

* **أبو عبد الله محمد بن أبي مرزوق التلمساني**[4] **(ت681هـ/ 1283م)**: ولد بتلمسان سنة 629هـ و نشأ بها، فقيه و محدث، أخذ العلم عن أبي زكرياء بن عصفور العبدري و أبي اسحاق التنسي، و ابي عبد الله الكفيف و أبي عبد الله المالقي و الفقيه أبي عبد الله محمد بن اللجام، والفقيه أبي زيد اليزناسي، و هم من أبناء تلمسان، توفي في أوئل رجب من سنة 681هـ، دفنه

ص114؛ ابن مريم، البستان ، ص ص 66- 68، التنبكتي، نيل الابتهاج ، ص ص 35- 37؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو ، ص43؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص15.

[1]- التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص21؛ العبدري، المصدر السابق، ص 11،12.

[2]- العبدري، المصدر السابق، ص11، ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 35- 37؛ التنسي، المصدر السابق، ص127؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 14 ؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص ص 18- 20.

[3]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص114؛ التنسي، المصدر السابق، ص 126،127.

[4]- ينحدر ابن مرزوق من عائلة عريقة أصلها من القيروان، هاجرت إلى تلمسان و استقرت بها عندما نزل بنو هلال بالمنطقة خلال القرن 5هـ، اشتهر منها العديد من العلماء الذين عرفوا بالورع و التقوى و حبهم للعلم، مما أكسبهم مكانة اجتماعية وثقافية ممتازة، ذاع صيتها عبر أنحاء المغرب الاسلامي، للمزيد من المعلومات ينظر، ابن مرزوق، المسند، ص ص 15- 17؛ نصر الدين بن داود، أسرة المرازقة و دورها الثقافي بتلمسان من القرن 7هـ إلى 10هـ، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة وهران، 2004، ص ص 2- 5.

يغمراسن بن زيان في دار الراحة من الجامع الأعظم، و كان يغمراسن قد أوصى بدفنه بجواره تبركا به[1].

* **أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن يخلف التلمساني** (ت 690هـ/ 1290م): ولد بتلمسان سنة 609هـ و نشأ بها، أخذ العلم عن علمائها، ثم ارتحل إلى سبتة طلبا للعلم، واستقر بها إلى أن توفي بها سنة 690هـ، من تآليفه أرجوزته الشهيرة في الفرائض و التي ألفها سنة 630هـ/ 1230م، و عمره لا يتجاوز 21 سنة[2].

* **أبو الحسن التنسي** (ت 706هـ/ 1306م): شقيق أبي اسحاق السالف الذكر، تولى التدريس بعد وفاة أخيه بالمسجد الجامع، إلى سنة696هـ، حيث انتقل إلى المسجد الذي شيده السلطان أبو سعيد عثمان الأول، كان معظما عند سلاطين بني زيان و بني مرين، من تلامذته أبو عبد الله الآبلي، و لما حاصر أبو يعقوب المريني تلمسان خرج أبو الحسن التنسي إليه و أحسن استقباله و بقي في بلاطه إلى أن توفي سنة 706هـ، حيث شهد السلطان المريني جنازته، ودفن بالعباد بالقرب من ضريح الولي الصالح أبي مدين شعيب[3].

---

[1]- ابن مرزوق، المجموع، ورقة3؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 114، 115؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص226؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص151.

[2]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص109؛ حاجيات و آخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص440، حاجيات، الحياة الفكرية ، ص140؛ نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص ص 25- 30.

[3]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130؛ التنسي، المصدر السابق، ص139؛ العبدري، المصدر السابق، ص11، حاجيات و آخرون، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ج3، 440؛ حاجيات، الحياة الفكرية ، ص140 و أبو حمو موسى ، ص43.

***ابنا الإمام، أبو زيد عبد الرحمن و أبو موسى عيسى ابنا محمد بن عبد الله**[1]: أصلهما من برشك، ارتحلا إلى تونس طلبا للعلم حوالي سنة 700هـ، فأخذا العلوم الدينية على تلامذة ابن زيتون و أبي عبد الله بن شعيب الدكالي، ثم عادا إلى المغرب الأوسط للتدريس بعدة مدن منه كالجزائر و مليانة، حيث اتصلا بأحد عمال بني مرين، و يدعى منديل بن محمد الكناني، ضابط جباية بني مرين، و الذي عرف منزلتهما في العلم فقربهما منه و اتخذهما لتدريس ولده، ثم استعملهما على رأس القضاء بمليانة، و عقب مقتل السلطان أبي يعقوب المريني و انتهاء الحصار، قدما إلى تلمسان، فوفدا على السلطان أبي حمو موسى الأول الذي أكرم منزلتهما، فابتنى لهما المدرسة المعروفة باسمهما، و اختصهما بالفتوى و الاستشارة، و ضمهما إلى خاصته و أعيانه، وبعد استيلاء أبي الحسن المريني على تلمسان سنة 737هـ/ 1337م، تقرب منهما فصحباه إلى الأندلس و حضرا معه معركة طريف أواخر سنة 740هـ، ثم عادا إلى تلمسان، و بها توفي الأخ الأكبر أبو زيد عبد الرحمن سنة 743هـ/ 1343م، في حين توفي أخوه أبو موسى عيسى سنة 749هـ/ 1349م، وقد كان لابني الإمام مكانة راقية لدى ملوك بني زيان و بني مرين على حد سواء، فحظيا برئاسة العلماء في مجالسهم، و تخرج على يديهما كثير من العلماء أمثال الآبلي والمقري الجد و أبي عبد الله الشريف التلمساني، و ابن مرزوق الجد و أبو عثمان سعيد العقباني، وابو عبد الله اليحصبي و غيرهم كثير، و كان أبو زيد قد ألف شرحا على مختصر ابن الحاجب في الفروع.

---

[1]- يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 123- 126؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص ص 139- 142؛ المقري، المصدر السابق، ج7،ص ص142- 147؛ عبد الرحمن بن خلدون، التعريف، ص ص 821- 824،؛ أحمد بن القاضي، لقط الفرائد ، ص ص 195- 204؛ القرافي، المصدر السابق، ص144؛ الونشريسي، المصدر السابق، ص ص 112- 119؛ ابن فرحون، الديباج، ج1، ص152؛ الحفناوي، تعريف الخلف ، ج1، ص210؛ حاجيات، أبو حمو موسى، ص ص 44- 46؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص 152- 156؛ الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص ص 109- 111.

و قد عجت الحركة العلمية الدينية بالكثير من العلماء الذين جمعوا بين العديد من الصنوف والتخصصات و منهم الفقيه و المحدث **أبو موسى عمران المشذالي**[1] (ت745هـ/ 1344م) الذي ولاه السلطان أبو تاشفين الأول التدريس بمدرسته، و من تآليفه: "اتخاذ الركاب من خالص الفضة"، و له فتاوى نقل بعضها الونشريسي في معياره.

* **عبد العزيز بن عمر بن مخلوف أبو محمد و المكنى بأبي فارس**، و هو فقيه محدث من أهل تلمسان، ولد بها سنة 603هـ، تولى القضاء في كل من قسنطينة وبسكرة و الجزائر، انتفع بعلمه كثير، منهم: أبو العباس أحمد الغبريني صاحب كتاب "عنوان الدراية"[2]، و أبو عبد الله المقري (ت759هـ/ 1359م) الذي درس على علماء تلمسان أمثال ابني الإمام و أبي موسى عمران المشذالي، ثم بعدها ارتحل إلى المشرق حيث التقى فيها بمشاهير العلماء أمثال ابن القيم الجوزية و أبي حيان وغيرهما[3]، ثم عاد إلى تلمسان و منها إلى فاس التي تولى قضاءها، و من أشهر تلامذته، لسان الدين ابن الخطيب و عبد الرحمن بن خلدون و ابن زمرك، و من تآليفه "القواعد"

---

[1]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130؛ المقري، نفح الطيب، ج6، ص187؛ التنبكتي، المصدر السابق، ص ص 215- 217؛ القرافي، توشيح الديباج ، ص160؛ الونشريسي، وفيات الأعيان ، ص114؛ محمد مخلوف، المصدر السابق، ص220؛ الحفناوي، المرجع السابق، ص ص 78- 80، عثمان الكعاك، البجائيون، الملتقى الثامن للفكر الاسلامي، بجاية، مارس- أبريل 1974، ص510؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص70.

[2]- الغبريني، المصدر السابق، ص 91- 92؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ج2، ص186؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص 36- 38؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 65، 66.

[3]- المقري، نفح الطيب ، ج6، ص ص 172- 258؛ ابن الخطيب، الإحاطة ، ج2، ص ص 136- 165؛ ابن مريم، المصدر السابق ، ص ص 154- 160؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص121؛ التنبكتي، المصدر السابق، ص ص249- 254؛ النباهي، المصدر السابق، ص 169، 170.

و"الحقائق و الرقائق" و "التحف و الطرف في غاية الحسن" و"عمل من طب لمن حب" و"المحاضرات" و "شرح جمل الخونجي" لم يكمله[1].

* **أبو عبد الله الشريف التلمساني** (ت771÷ت/ 1370م) الذي أخذ عن ابني الإمام والآبلي، ثم ارتحل إلى تونس سنة 740هـ، إذ لقي بها الكثير من العلماء[2]، ولما استولى أبو عنان المريني على تلمسان ألحقه بمجلسه العلمي بفاس، ثم عاد إلى تلمسان أيام السلطان أبي حمو موسى الثاني الذي ابتنى له مدرسة ولاه التدريس بها حتى وفاته، من آثاره كتاب القضاء و القدر، وكتاب في أصول الفقه أسماه، "مفتاح الوصول في علم الأصول" و شرح جمل الخونجي في المنطق.

* **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق الخطيب**[3] (ت781هـ/1379م) الذي ارتحل مع والده إلى الحجاز في سن مبكرة، ثم غادرها إلى الشام و مصر وأخذ عن أعلامها، فتولى الخطابة بعدة مساجد من مصر و المغرب و الأندلس، و من تآليفه، "عجالة المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون أن أجاز من أئمة المغرب و الشام و الحجاز"، و كتاب، "شرح الشفاء للقاضي عياض"، و "إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب"، و شرح صحيح البخاري، وشرح البردة، و كتاب "المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن".

---

[1]- للمزيد من التفاصيل عن هذا العالم ينظر، التعريف بابن خلدون ، ص 853، 854؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص ص 136- 145؛ التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج1، ص ص 250- 255؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص121؛ حاجيات، أبو حمو ، ص ص 46- 48؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 68 - 69.

[2]- لقي بتونس الشيخ ابن عبد السلام و أخذ عنه التصوف و الحساب و الهندسة، و الفرائض ثم عاد لتمسان ليمتهن التدريس، ينظر، التعريف بابن خلدون ، ص ص 64- 66؛ ابن مريم، البستان، ص166؛ التنسي ، المصدر السابق، ص179؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص74؛ بابا خويا الحاج المهدي، المرجع السابق، ص ص 48- 71.

[3]- ابن مرزوق، المجموع، ورقة 91 و ورقة 96؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ص ص 305- 307؛ المقري، نفح الطيب، ج6، ص ص 323- 346؛ ابن القاضي، درة الحجال ، ص144 و لقط الفرائد، ص219؛ التعريف بابن خلدون ، ص848؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص115؛ التنبكتي، المصدر السابق، ص ص 267- 270 ؛ ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 60، 61؛ حاجيات، أبو حمو، ص ص 165- 168؛ نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص ص 45- 71.

* **أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي**[1] **البجائي** (ت786هـ/ 1384م) الفقيه الأصولي، الذي انتشرت فتواه في كتب النوازل مثل كتاب "الدرر المكنونة في نوازل مازونة"[2] لمحمد بن أبي عمران المغيلي المازوني، و كتاب "المعيار" للونشريسي[3]، له عدة مؤ لفات منها: الجامعة في الأحكام الفقهية في الفروع و تدعى "الوغليسية" التي تهافت على شرحها الفقهاء و الصوفية و له أيضا المقدمة المشهورة و فتاوى عديدة[4].

***أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد العقباني**[5] (ت811هـ– 1408م): من أعلام المنقول و المعقول، أخذ العلم عن ابني الإمام و الآبلي، تولى القضاء بعدة مدن منها بجاية، تلمسان، وهران، سلاء و هنين، من مؤلفاته، شرح الحوفية في الفرائض، تفسير سورتي الأنعام و الفتح، شرح البردة، شرح جمل الخونجي، شرح على ابن الحاجب الأصلي، و شرح أرجوزة ابن الياسمين في الجبر و المقابلة.

---

[1]– نسبة إلى بني وغليس و هي بطن من بطون قبائل البربر في جنوب بجاية بأعلى وادي الصومام، ينظر عادل نويهض، المرجع السابق، ص342.

[2]– محمد بن أبي عمران المغيلي المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، القسم الأول، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 1335، ورقة 132، 133، 153 و ما بعدها، القسم الثاني، رقم 1336، ورقة 133.

[3]– الونشريسي، المعيار، ج2، ص 385، 386، و ج11، ص14.

[4]– التنبكتي، نيل الابتهاج، ج2، ص270، حاجيات و آخرون، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ج3، ص443، محمد الشريف قاهر، عبد الرحمن الوغليسي، معجم مشاهير المغاربة، تنسيق أبي عمران الشيخ، تقرير ناصر الدين سعيدوني، إعداد= =فرقة البحث العلمي، جامعة الجزائر، 1995، ص550؛ الطاهر بونابي: "اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد5، جوان، 2005، دار الكرامة للطباعة والنشر، الجزائر، ص ص 102- 121؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص75.

[5]– ولد و نشأ بتلمسان، و من تلامذته، ابن مرزوق الحفيد و ابراهيم المصمودي و ابن زاغو، ينظر، ابن فرحون، الديباج، ص124؛ يحي بن خلدون، البغية، ج1، ص123؛ التنبكتي، نيل الابتهاج ، ص 125، 126؛ ابن مريم، البستان ، ص106- 107؛ ابن القاضي، درة الحجال ، ج3، ص298؛ محمد مخلوف، المصدر السابق، ص250، الحفناوي، المرجع السابق، ص 208، 209؛ حاجيات، أبو حمو ، ص170؛ القرافي، المصدر السابق، ص152؛ أبو عبد الله محمد المجاري الأندلسي، برنامج المجاري، ط1، تحقيق محمد أبو الأجفان، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1982، ص132؛ التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2 ، ص 138- 139.

* **محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد** (ت842هـ– 1438م)[1]: الذي كان ضليعا في الفقه المالكي و أصوله، و حافظا للحديث و مفسرا و نحويا و ناظما، من تآليفه، "تفسير سورة الإخلاص"، "نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين"، "أرجوزة الروضة في الحديث"، "المفاتيح المرزوقية في حل أقفال و خبايا الخزرجية"[2]، "إسماع الصم في اثبات الشرف من قبل الأم"[3]، و ثلاثة شروح على البردة الأكبر و الأوسط و الأصغر، و رجز في الميقات سماه "المقنع الشافي"، و ومؤلفات أخرى.

* **أبو عبد الله محمد بن عمر الهواري**[4] (ت843هـ/ 1439م): المغراوي الأصل[1]، أخذ العلم عن علماء بجاية و فاس و بلاد المشرق، و جاور بمكة ثم زار بلاد الشام، ثم عاد إلى المغرب

---

[1]– ولد بتلمسان و أخذ بها عن والده و عمه و عن سعيد العقباني، رحل إلى تونس و فاس ثم القاهرة حيث التقى أعلاما كثرا منهم ابن خلدون و الفيروز أبادي، و الحافظ ابن حجر العسقلاني، فأخذ عنهم، عنه ينظر، القلصادي، رحلة القلصادي، ص97؛ المقري، نفح الطيب ، ج6، ص ص 347- 358؛ ابن مريم ، ص ص 201- 214؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ج2، ص171؛ القرافي، توشيح الديباج، ص171؛ ابن القاضي، لقط الفرائد ، ص248 و درة الحجال، ج2، ص275؛ السخاوي، الضوء اللامع ، ج7، ص 50، 51؛ مخلوف، المصدر السابق، ص 252، 253 ؛الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج2، مطبعة السعادة، القاهرة، 1348هـ/1929م، ص 119،120؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص213؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر ، 1971، ص ص 141- 143؛ حاجيات، الحياة الفكرية، ص443؛ نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/ 13م إلى القرن 10هـ/ 16م، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة تلمسان، 2009- 2010، ص ص 102- 106.

[2]– ابن مرزوق الحفيد، المفاتيح المرزوقية في حل أقفال و خبايا الخزرجية، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة، تحت رقم، 2970، الجزائر.

[3]– ابن مرزوق الحفيد، اسماع الصم في اثبات الشرف من قبل الأم، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة تحت رقم 2067، الجزائر.

[4]– هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن عثمان بن منيع بن عكاشة بن سيد الناس بن أمين الناس الغياري المغراوي الشهير بسيدي الهواري، و هو من أقطاب الصوفية في بلاد المغرب، عنه ينظر: ابن مريم، البستان ، ص228؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص192؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص272؛ محمد مخلوف، المصدر السابق، ص254؛ ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني ،ص433؛ ابن صعد محمد الأنصاري التلمساني، المصدر السابق، ص ص 48- 55 ؛خير

واستقر بوهران زاهدا و تصوفا، و من مؤلفاته، "تبصرة السائل"، "التبيان و التسهيل"، و كتابه الشهير "السهو و التنبيه"، من تلامذته الشيخ ابراهيم التازي (ت866هـ) ، و الشيخ أبركان بن مخلوف المزيلي الراشدي (ت857هـ).

*** أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن زاغو المغراوي التلمساني[2] (ت845هـ/ 1441م)**: أخذ العلم عن سعيد العقباني و أبي يحي الشريف و غيرهما من علماء تلمسان، تصدر للإقراء بالمدرسة اليعقوبية، تفنن في علوم كثيرة كالتفسير و الفقه و أصوله و الحساب والبيان و الفرائض و الهندسة، من تلامذته ابن زكري، و أبو زكرياء المازوني صاحب النوازل، والحافظ التنسي و القلصادي، و من تآليفه، "مقدمة في التفسير"، "تفسير سورة الفاتحة"، و"منتهى التوضيح في عمل الفرائض"، و"شرح التلمسانية في الفرائض"، و"شرح التلخيص لوالده"، وفتاوى أوردها الونشريسي في المعيار[3].

الدين الزركلي، الأعلام، ج7، دار العلم للملايين، بيروت، 1969، ص206؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص337؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 87- 88؛

Boualga(A.A), Sidi- el- Houari, Saint patron de la ville d'oran, bulletin de la société de géographie d'archeologie d'oran, 1977- 1978, p p 1- 3.

[1]- نسبة إلى قبيلة مغراوة البربرية الزناتية، ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص45، والهواري نسبة إلى قبيلة هوارة، إحدى بطون قبائل البربر القاطنة بالمغرب الأأوسط، ينظر: هوارية بكاي، المرجع السابق، ص87.

[2]- القلصادي، المصدر السابق، ص ص 102- 106؛ التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج1، ص122؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص41؛ ابن القاضي، درة الحجال ، ج1، ص63، محمد مخلوف، المصدر السابق، ص254؛ الحفناوي، المرجع السابق، ص46.

[3]- نظم الدر، المصدر السابق، ص16؛ ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص 42، 43؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص 123، 124؛ القلصادي، المصدر السابق، ص 106،107؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص 156، 157 ؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص76.

* **أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي**[1] 5ت871هـ/ 1467م): الذي ولد ونشأ بناحية وادي يسر- جنوب شرقي الجزائر، منها ارتحل إلى بجاية سنة 802هـ حيث أخذ عن علمائها أمثال أبي العباس النقاوسي و أبي الحسن البليلتي و أبي الحسن علي بن عثمان المنجلاتي، وغيرهم، ثم ارتحل إلى تونس سنة 809هـ، فأخذ عن مشيختها أمثال الإمام أبي عبد الله الآبلي و أبي القاسم البرزلي، و أبي مهدي عيسى الغبريني، ثم انتقل بعدها إلى مصر، فأخذ بها عن ولي الدين العراقي، وعبد الله الباسطي و غيرهما، ثم قصد الحجاز حاجا، و منها عاد إلى مصر سنة 819هـ، فلازم بها بن مرزوق الحفيد الذي أجازه، كما استمع بها إلى أبي عبد الله القلشاني و عبد الواحد الغرباني و أبي القاسم العبدوني الذين أجازوه و أثنوا عليه وأذنوا له بالتدريس و التأليف، و بعد عودته إلى المغرب الأوسط تولى القضاء، ثم استقال من منصبه و انكب على التدريس و التأليف، من تلامذته، محمد بن يوسف السنوسي، و أخوه لأمه أبو الحسن علي التالوتي، و الشيخ أحمد رزوق، و محمد بن عبد الكريم المغيلي و أحمد بن عبد الله الزواوي، و ابن مرزوق الكفيف وغيرهم.

[1]- التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج1، ص ص 282- 285؛ ابن القاضي، درة الحجال ، ج3، ص84؛ القرافي، توشيح الديباج ، ص120؛ محمد مخلوف، المصدر السابق، ص264؛ السخاوي، الضوء اللامع ، ج4، ص152؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص285؛ حاجيات و آخرون، المرجع السابق، ج3، ص444، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص39؛ الزركلي، الأعلام ، ج4، ص107؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص 88، 89 ؛عبد الرحمن حمادو الكتبي، نبذة عن سيدي عبد الرحمن الثعالبي الإمام المفسر، مجلة العصر، ع8، المؤسسة الوطنية للمنشورات الاسلامية، شوال 1424هـ، ديسمبر 2003، ص ص 26- 32؛ عبد الرزاق قسوم، عبد الرحمن الثعالبي و التصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 76 ،77؛ الصادق دهاش، العلامة عبد الرحمن الثعالبي، رحلة علم و عمل، القسم الأول، مجلة الدراسات الاسلامية، ع11، د.ت، ص ص 151- 155.

ترك الثعالبي ما يزيد عن تسعين مؤلفا في التفسير و الفقه و الحديث و التاريخ، نذكر منه: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"[1]، "الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز"، نزهة الأخبار في الفقه"، "الدرر اللوامع في قراءة نافع"، العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة"[2]، شرح مختصر خليل ابن إسحاق، و شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي... و غيرها من المصنفات الهامة.

* **محمد بن يوسف السنوسي** (ت895هـ- 14902م)[3]: ولد سنة 832هـ/ 1428م بتلمسان، نشأ بها، برع في مختلف العلوم النقلية و العقلية، و كان مبرزا في علم التوحيد و العقول، من مصنفاته، "عقيدة التوحيد و شرحها و العقيدة الوسطى وشرحها"، "المقدمات المبينة للعقيدة الصغرى"، "شرح جواهر العلم للعضد"، "مختصر القراءات السبع"، "شرح صحيح البخاري"، "تفسير سورة ص و ما بعدها من السور"، "شرح قصيدة الحباك في الاسطرلاب"، "شرح مقدمة الجبر و المقابلة لابن الياسمين...و غيرها من التآليف، من تلامذته، أبو القاسم الزاوي و ابن أبي مدين، وابن الحجاج، و العبدري، و ابن العباس الصغير، و محمد القلعي و غيرهم، توفي سنة 895هـ/ 1490م[4].

---

[1]- للاطلاع على محتوى هذا الكتاب و مميزاته، ينظر، سعيد معول، خصائص تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن للشيخ عبد الرحمن الثعالبي، مداخلة في ملتقى الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، مجلة العصر، ع8، شوال 1424هـ، ديسمبر 2003، ص ص 33- 35.

[2]- مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 851.

[3]- التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج1، ص ص 253- 260؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 38- 41؛ أحمد المنجور، فهرست أحمد المنجور، تحقيق محمد حجي، دار المغرب، الرباط، 1976، ص74؛ ابن عسكر الحسني ، دوحة الناشر ، ص121؛ محمد مخلوف، المصدر السابق، ص266؛ حاجيات، الحياة الفكرية، ص445، جمال الدين بوقلي حسن، المرجع السابق، ص55 و ما يليها؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 80، 81.

[4]- التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج1، ص ص 253- 260؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص ص 88- 92؛ حاجيات و آخرون، المرجع اسابق، ص445؛ علي علواش، السنوسي التلمساني، معجم مشاهير المغاربة، ص294؛ محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري/ 15م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص63.

* **أحمد بن محمد بن زكري التلمساني**[1] (ت900هـ/ 1493م): فقيه مالكي، برع في العلوم الدينية، أخذ عن ابن زاغو، و قاسم العقباني، و ابن مرزوق الحفيد، و أحمد بن العباس و غيرهم، له عدة تآليف منها، "مسائل القضاء و الفتيا، "بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب" ومنظومة في علم الكلام، و كتاب "غاية المرام في شرح مقدمة الإمام[2]، و فتاوى نقلها الونشريسي في المعيار.

* **أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي** (ت909هـ/ 1503م): مفسر ومتكلم نشأ بتلمسان، أخذ بها عن الشيخ محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب[3]، وعبد الرحمن الثعالبي و يحي بن يدير، ارتحل إلى مصر فوقعت بينه و بين الإمام جلال الدين السيوطي مناظرة حول قيمة علم المنطق، فبرهن فيها عن قوة حجته، ثم انتقل بعدها إلى توات فاشتهر بفتواه في قضية يهود المنطقة.

ترك المغيلي آثارا هامة منها، "البدر المنير في علوم التفسير"، و "مصباح الأرواح في أصول الفلاح"[4]، و منظومة في المنطق و ثلاثة شروح عليها، و "تنبيه الغافلين عن مكر المتلبسين بدعوى مقامات العارفين، و "مختصر تلخيص المفتاح"، وغيرها.

---

[1]- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 38- 41؛ السخاوي، الضوء اللامع ، ج1، ص303؛ ابن عسكر، المصدر السابق، ص119؛ القرافي، المصدر السابق، ص61؛ التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج1، ص 70، 71؛ محمد مخلوف، المصدر السابق، ص267؛ المنجور، المصدر السابق، ص74؛ الحفناوي، المرجع السابق، ص 42، 43؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص3؛ محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص437؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 82،83.

[2]- أبو العباس بن زكري التلمساني، غاية المرام في شرح مقدمة الإمام، تحقيق محند قويدر مشنان، دار التراث، نشر دار ابن حزم، الجزائر، 2005.

[3]- عالم و فقيه و حافظ من تلاميذه، أبو العباس الونشريسي و محمد بن يوسف السنوسي الذي ختم عليه المدونة مرتين، له عدة فتاوى نقلها الونشريسي في معياره، و المازوني في نوازله، توفي عام 875هـ/ 1470م بتلمسان، عنه ينظر، نيل الابتهاج، ج2، ص340؛ ابن مريم، البستان ، ص236؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص82.

[4]- محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق رابح بونار، الجزائر، 1968، ص ص 18- 21؛ التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج1، ص330 و كفاية المحتاج ، ص445؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص253؛ محمد

و من توات انتقل المغيلي إلى (كانو) بالسودان الغربي، حيث استقر يدرّس بمساجدها مدة، ثم انتقل إلى (غاو) عاصمة سنغاي، فاتصل بحاكمها و هو الحاج محمد الأسقيا، فأكرمه وكتب له أسئلة عرفت بالرسائل السبع للمغيلي[1].

- **أبو العباس بن أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد الونشريسي (ت 914هـ/ 1508م)**: أخذ العلم عن علماء تلمسان، ثم غادرها سنة 878هـ/ 1474م، واستقر بفاس[2] و درّس بها حتى وفاته، أشهر تآليفه، "المعيار المغرب"، "الجامع المعرب عن فتاوى علماء افريقية و الأندلس و المغرب"، تعليق علي ابن الحاجب الفرعي، وكتاب القواعد في الفقه، و الوثائق المسماة بالفائق في أحكام الوثائق لم يكمله، و المنهج الفائق، و غيرها من المؤلفات الهامة[3].

و رغم كل ما أتينا على ذكره من علماء أجلاء أبدعوا و برعوا في مختلف العلوم خاصة في مجال العلوم الدينية، فإن هذا البحث يبقى مجحفا في حق الكثير من العلماء الذين لم نأت على

مخلوف، المصدر السابق، ص274؛ الحفناوي، المرجع السابق، ص ص 170- 173؛ مبخوت بودواية، دور علماء تلمسان الزيانية في ترسيخ الحضارة الاسلامية بالسودان الغربي (ق15- 16م)، رمز تاريخ و عنوان حضارة، مجلة الحضارة الاسلامية، ع1، 1993، ص64؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص ص 85- 87.

[1]- المغيلي، أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي، تحقيق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1974، ص ص 8- 10؛ عبد القادر زبادية، الحضارة العربية و التأثير الأوروبي في افريقيا الغربية جنوب الصحراء، دراسات و نصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 153، 154.

[2]- استقر الونشريسي بفاس عالما و فقيها و مدرسا و مفتيا، حيث أخذ عنه الكثير من العلماء أمثال، أبي عمار بن مليح اللمطي، و أبي زكرياء السوسي، و المحدث محمد بن عبد الجبار الورتيدي، و الفقيه عبد السميع المصمودي، و الفقيه محمد بن قاضي البلد الجديد الفرديس التغلبي، ينظر، التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج1، ص145؛ ابن مريم، البستان ، ص54.

[3]- ابن القاضي، جذوة الاقتباس ، ص156 و درة الحجال ، ص91؛ القرافي، المصدر السابق، ص65؛ ابن عسكر، دوحة الناشر ، ص47؛ التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج1، ص145 و كفاية المحتاج، ج1 ، ص73، المنجور، المصدر السابق، ص50؛ محمد مخلوف، المصدر السابق، ص274؛ الحفناوي، المرجع السابق، ص62؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 79، 80.

ذكر تراجمهم، و نكتفي بذكر أسمائهم لأن المجال لا يسعنا لذكر الجميع، و لعل أبرزهم، أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني التلمساني (ت768) قاض بتلمسان[1]، و محمد بن عبد الله بن عبد النور الندرومي (ت 749هـ)[2]، ومحمد بن الحسن بن محمد اليحصوبي المعروف بالباروني (ت734هـ)[3]، وأحمد بن حسن بن علي الخطيب بن قنفذ القسنطيني[4] (ت810هـ) الذي ترك لنا آثرا هامة منها: شرح الرسالة في أسفار و شرح الخونجي في سفر صغير و شرح أصلي ابن الحاجب، و تيسير المطالب في تعديل المطالب و شرح ألفية ابن مالك و شرح تلخيص ابن البناء، و أنوار السعادة في أصول العبادة في شرح بني الاسلام على خمس، و له كتاب بغية الفارض من الحساب و الفرائض، و أنس الفقير و عز الحقير في ترجمة الشيخ أبي مدين و أصحابه، و كتاب الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، و غيرها من المصنفات المتنوعة، و القاضي أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني (ت840هـ)[5]، و قاضي الجماعة ابراهيم العقباني[6] (ت808هـ) و الذي كانت له فتاوى نقلها

---

[1]- التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج1، ص54؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص66.

[2]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 121،122؛ التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج2، ص240؛ المقري، نفح الطيب، ج5، ص 235،236؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص69؛ بن داود نصر الدين، بيوتات العلماء، ، ص148، 149.

[3]- التبكتي، نيل الابتهاج ، ج2، ص228؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص70.

[4]- التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج1، ص 109،110؛ حاجيات و آخرون، الجزائر في التاريخ ، ج3، ص441؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 73، 74.

[5]- التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج1، ص62؛ ابن مريم، البستان ، ص51؛ ابن القاضي، درة الحجال ، ص36؛ التنبكتي، كفاية المحتاج،ج1، ص60؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج7، ص236؛ بن داود نصر الدين، بيوتات العلماء، ص81،82.

[6]- الونشريسي، المعيار ، ج1، ص171و ج4، ص302؛ المازوني، الدرر المكنونة ، ج2، ص20؛ ابن مريم، البستان، ص57؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص56 و كفاية المحتاج، ج1، ص105؛ مخلوف، شجرة النور الزكية ، ص265؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص248؛ نويهض، المرجع السابق، ص236؛ بن داود نصر الدين، بيوتات العلماء ، ص82.

الونشريسي في المعيار و المازوني في درره تعليق علي ابن الحاجب. و ابراهيم بن فائد بن موسى بن هلال الزواوي القسنطيني[1] (ت 857هـ) الذي خلف آثارا هامة منها: شرح ألفية بن مالك، وتفسير القرآن، و تسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض الخليل، و فيض النيل و تحفة المشتاق في مختصر خليل ابن إسحاق، و محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي (ت895هـ/ 1490م) الذي انفرد بالعلوم الباطنية، و برز في علم التوحيد و المعقول، من تآليفه، عقيدة التوحيد و شرحها، و شرح صحيح البخاري، و العقيدة المختصرة و شرحها، و غيرها من المؤلفات.

و موسى بن يحي بن عيسى المازوني المغيلي أبو عمران[2]، و هو والد أبي زكرياء المازوني صاحب الدرر، له عدة مؤلفات منها: الرائق في تدريب الناشئ من القضاء و أهل الوثائق، و ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار، و أبو زكرياء يحي بن موسى المازوني (ت883هـ)[3]، صاحب الدرر المكنونة في نوازل مازونة الذي جمع فيه فتاوى المتأخرين من علماء تونس و بجاية و تلمسان و الجزائر، و علي بن محمد التالوتي[4] (ت895هـ)، و محمد بن أحمد بن قاسم العقباني (ت871هـ) صاحب كتاب تحفة النظار و غنية الذاكر في الحسبة، و محمد بن أحمد بن النجار التلمساني[5] (ت846هـ/ 1442م)، و محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق، الشهير بالخطيب سبط الإمام

---

[1]- ابن مريم، البستان ، ص ص 22- 51؛ السخاوي، الضوء اللامع ، ص111، الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص5، 6؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 120، 121؛ حاجيات و آخرون، المرجع السابق، ج3، ص444.

[2]- التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج2، ص375 و كفاية المحتاج،ج2، ص482؛ الحفناوي، المرجع السابق، ص448 ؛هوارية بكاي، المرجع السابق، ص81.

[3]- التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج1، ص 392،393 و كفاية المحتاج،ج2، ص509؛ حاجيات و آخرون، المرجع السابق، ج3، ص445؛ محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص437.

[4]- التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج1، ص 202، 203؛ ابن مريم، البستان ، ص 139- 140.

[5]- التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج2، ص323؛ ابن مريم، البستان، ص 221، 222؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص83.

بن مرزوق الحفيد ابن ابنته حفصة (ت بعد سنة 920هـ/ 1514م)[1]، و الذي كانت له مشاركة في جميع العلوم و محمد بن ابراهيم بن الإمام[2] (845هـ/ 1441م) الذي جمع من العلوم العقلية و النقلية، و يعتبر أول من أدخل شامل بهرام[3] و شرحه على مختصر خليل، و أبو الحسن علي بن موسى بن علي الشهير بالمطغري[4] (ت951هـ) الذي أجازه ابن غازي عام (906هـ).

و يضاف إلى هؤلاء شهاب الدين أحمد بن عبد الله الزواوي المعروف بأبي العباس الجزائري (ت884هـ)، و محمد بن عبد الرحمن الحوضي التلمساني (ت910هـ)، و أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي جمعة المعروف بشقروت المغراوي (ت929هـ)، وأحمد بن أبي جمعة الوهراني (ت930هـ)، و غيرهم كثير من العلماء الأجلاء.

ب- العلوم اللسانية و الاجتماعية (علوم اللغة، الأدب، الشعر، التاريخ، الجغرافيا، الرحلات)

حظيت العلوم اللسانية و الاجتماعية باهتمام و إقبال كبيرين من قبل علماء تلمسان وأدبائها في العهد الزياني، حيث برز خلال هذه الفترة الكثير من النحاة واللغويين و الأدباء والشعراء و الكتاب و المؤرخين و الجغرافيين و المتصوفة والمتكلمين و علماء المنطق و غيرهم، و قد كانت اللغة العربية محل عناية و دراسة من قبل الدارسين حيث اهتموا بالبلاغة و النحو لارتباطهما بعلوم القرآن و الحديث خاصة و بالعلوم الدينية عامة، فكانت المجالس اللغوية تعقد

---

[1]- التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج2، ص274؛ ابن مريم، البستان، ص258؛ مخلوف، المصدر السابق، ص275؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 83،84؛ بن داود نصر الدين، بيوتات العلماء ، ص187.

[2]- التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج2، ص199 و كفاية المحتاج ،ج2 ، ص408؛ القلصادي، المصدر السابق، ص108.

[3]- شامل بهرام، هو مؤلف يعرف بالشامل في فروع المالكية لبهرام بن عبد الله الدميري المالكي القاضي بمصر، توفي سنة 805هـ/ 1403م، عنه ينظر، البغدادي اسماعيل باشا، هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992م/ 1413هـ؛ بن داود نصر الدين، بيوتات العلماء ، ص135.

[4]- التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج1، ص 205- 206؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 84، 85.

لدراسة النحو والعروض و البيان، و تقام من أجل ذلك المناظرات بين الأدباء و اللغويين و النحاة للتأكد من سلامة اللسان و صفاته و خلوه من التلحين و التصحين[1].

و قد نحا علماء اللغة نحو علماء الحديث، فكان يذكرون السند و يرتبون الأصحف بالفصيح، و يجمعون المفردات التي كان العرب يستعملونها، معتمدين في ذلك على القرآن الكريم، المصدر الأول للغة و قمة البلاغة و البيان[2]، كما اهتم التلمسانيون في هذا العهد بالأدب والشعر، ولعل من عوامل ازدهاره اهتمام السلاطين الزيانيين بهما، حيث كان منهم الأديب والشاعر، إضافة إلى بذلهم الأموال للشعراء واهتمامهم بأهل العلم و الأدب و تشجيعهم لهم، ودفعهم إلى نظم القصائد متغذين بجمالها وروعتها، دون أن ننسى التأثير الديني في هذا المجال، حيث برع الزيانيون في المدائح الدينية و الابتهالات، فكان الأثر الصوفي واضحا في أدبهم و شعرهم[3].

و بذلك يمكن القول بأن بلاد المغرب الأوسط عرفت نهضة أدبية هامة في عهد الدولة الزيانية، خاصة في فترة حكم السلطان أبي حمو موسى الثاني[4]، كما لقيت العلوم الاجتماعية خاصة التاريخ العناية من طرف العلماء و المؤرخين الذين ألفوا فيها العديد من المصنفات[5]، و من العلماء الذين برزوا في هذا النوع من العلوم، نذكر:

- **أبو محمد عبد المنعم بن محمد يوسف بن عتيق الغساني**[6]: (ت بعد سنة 670هـ)، من أهل مدينة الجزائر، عرف بفصاحة لسانه و تمام بيانه، أثنى عليه كثير الغبريني، و كان كثيرا ما يجري على لسانه هذا البيت:

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 1063، 1064.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ، ص 1064، 1065.

[3]- لخضر عبدلي، الحياة الثقافية، ص ص 183- 185؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص93.

[4]- هوارية بكاي، المرجع السابق، ص93.

[5]- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص50.

[6]- الغبريني، المصدر السابق، ص 123، 124؛ التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج1، ص 166،167؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص94.

فياليت شعري أين أو كيف أو متى *** يقدّر ما لا بد أن سيكون

• **محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي المرسي**[1] (ت686هـ/ 1285م): من أهل الأندلس و نزيل تلمسان، برز في علوم اللغة و الأدب و الشعر، و كذا الفقه و أصوله، كتب عن ملوك غرناطة، ثم ارتحل إلى تلمسان فكتب بها عن السلطان يغمراسن بن زيان، أخذ العلم عن أشهر علماء الأندلس مثل أبي بكر محمد المعافري، و أبو علي الحسن بن عبد الرحمن الكياني، وأبو بكر محمد بن محرز الزهري و غيرهم.

بعد أن استقر بتلمسان، أكرمه يغمراسن بن زيان و قربه من مجلسه، و جعله صاحب القلم الأعلى، فصدرت عنه رسائل في مخاطبة أهل مراكش و تونس، و في مختلف الأغراض الأدبية كالبشائر والفتوحات والمجاملة والمهاداة، والإخوانيات والتوسل والاستعطاف والتهاني والتعازي[2]، ظل ملازما للبلاط الزياني إلى أن توفي بتلمسان يوم عاشوراء سنة 686هـ[3]، و من نظمه، ما قاله في مدح الشاعر ابن خميس التلمساني:

رقت حواشي طبعك ابن خميس *** فهذا قريضك بني وهاج رسيسي

---

[1]- العبدري، الرحلة المغربية ، ص17؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص129؛ التنسي، المصدر السابق، ص 127،128؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص227؛ ابن الخطيب، الإحاطة ، ج2، ص ص 426- 433؛ الغبريني، المصدر السابق، ص 123، 124، التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج1، ص 166، 167.

[2]- ينظر: أبو بكر ابن خطاب، فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر ابن الخطاب، ميكروفيلم بالخزانة الوطنية العامة بالرباط رقم د3787، و نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم 5605 ؛أحمد عزاوي، المغرب و الأندلس في القرن السابع الهجري/ 13م، دراسة و تحقيق لديوانيات كتاب فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر ابن خطاب، ربا نيت، المملكة المغربية 2008.

[3]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص129؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص227؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص94.

و لمثله يصبو الحليم و يمتري *** للشروق به و سير العيس

لك في البلاغة و البلاغة بعض *** ما تحويه من أثر محل ريسي

نظم و نثر لا تبارى فيهما *** تمهدت ذاك و ذا بعلم الطوسي[1]

• **محمد بن الحسن بن علي بن ميمون، أبو عبد الله التميمي القلعي**[2] (ت683هـ): فقيه وعالم نحوي من قلعة بني حماد، نشأ بالجزائر و درس بها ثم انتقل إلى بجاية، و فيها أخذ عن شيوخها كأبي الحسن الحوالي، و الفقيه أبو الحسن ابن أبي نصر، وأبو بكر بن محرز، و غيرهم، ومن تلامذته الغبريني صاحب كتاب "عنوان الدراية"، و من مؤلفاته، "الموضح في علم النحو"، "حدق العيون في تنقيح القانون"، "نشر الخفي في مشكلات علي".

• **أبو اسحاق التلمساني ابراهيم ابن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري**[3]: ولد بتلمسان سنة 609هـ، ثم انتقل فقه والده إلى الأندلس و بها أخذ العلم عن كبار شيوخها أمثال، أبي بكر بن دحمان و أبو الحسن بن سهل بن مالك، ثم انتقل إلى سبتة التي لقي بها الحسن بن عصفور الهواري، و أبا المصرف أحمد بن عبد الله بن عميرة فأجازه، فأصبح بذلك فقيها مبرزا في العدد والفرائض متضلعا في الأدب، له أرجوزة محكمة و منظومات في السير و مدائح النبي صلى الله عليه وسلم، و مقالة في علم العروض، و أرجوزة في علم الفرائض تعرف ب "التلمسانية"، ومما أنشده في مدح أمير سبتة أبي القاسم العزفي قوله:

أرأيت من رحلوا و زموا العيسا *** ألا يزول على الطول حسيسا

أحسبت سيوف يعود نسف ترابها *** بما يشفي لديك نسيسا

---

[1]- المقري، نفح الطيب ، ج3، ص184؛ ابن الخطيب، الإحاطة ، ج2، ص430.

[2]- للاطلاع على أشعار محمد بن الحسن، ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص ص 94- 99.

[3]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص109؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص326؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص 55، 56.

هل من مؤسس نارا بجانب طورها *** لأنيسها أم أهل تحسن حسيسا[1]

• **سليمان بن علي بن عبد الله بن يس العابدي الكومي المعروف باسم العفيف التلمساني**[2] (ت690هـ): أصله من قبيلة كومية ندرومة حاليا، ارتحل إلى القاهرة، ثم انتقل إلى بلاد الروم فبنى فيها أربعين خلوة صوفية، ثم استقر بدمشق ليعين مباشر استيفاء الخزانة، و هي من أكبر المناصب في عصر سلاطين المماليك، و ظل بها حتى وفاته سنة 690هـ.

كانت له تجارب شعرية عديدة خاصة في مجال الشعر الديني الصوفي، من تآليفه، ديوان شعر مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق، و له عدة شروح منها: "كتاب النصوص" لابن عربي، و "شرح المواقف" للنظري، ز "شرح منازل السائرين" و "شرح قصيدة ابن سينا في الروح"[3].

• **محمد بن عمر الحجري الرعيني المعروف بابن خميس التلمساني**[4] (ت708هـ/ 1308م): ولد بتلمسان سنة 650هـ و نشأ بها، فأخذ بها عن علمائها كل علوم الأدب واللسانيات، ولاه السلطان أبو سعيد عثمان الزياني ديوان الإنشاء و أمانة سره سنة 681هـ،

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص336؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 96، 97.

[2]- الأخضر عبدلي، المرجع السابق، ص191؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص97.

[3]- عمر موسى باشا، العروبة في شعر العفيف التلمساني، مجلة الأصالة، ع26، جويلية- أوت، الجزائر، 1975، ص ص 333- 345.

[4]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص109؛ المقري، نفح الطيب ، ج5، ص ص 295- 311، حاجيات، أبو حمو موسى الثاني ، ص51؛ بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص144؛ العبدري، الرحلة العبدرية إلى الوجهة الحجازية، دراسة و تحقيق، زين العابدين بن طاهر، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية و آدابها، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس 1992- 1993، ص31؛ طاهر توات، ابن خميس شعره و نثره، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص ص 41- 111؛ فرحات الشريف خوالد، أبو عبد الله بن خميس التلمساني حياته وأدبه، رسالة ماجستير،الجامعة الأردنية، 1993، ص ص 29- 64؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص ص 101- 104، Meziane(A S) , Ibn khamis, poète tlemcenien du 13ème siècle, deuxieme congrés de la féderation des société savantes de l'afrique du nord, Tlemcen, T1, 1982, p1058.

فكثر حساده و كثرت الوشاية فيه، فغادر تلمسان نحو سبتة، فاستقر بها مدة يشتغل بالتدريس، لكنه اتهم فيها بالزندقة لاشتغاله بالفلسفة، فتمت محاكمته بفاس بحضور بن هدية الذي كانت له اليد الطولى في تدبير هذه المحاكمة، غير أن ابن خميس دافع عن موقفه و أفحم خصومه بحجج قاطعة، و لم يبق في المناظرة[1] إلا خصمه صاحب الكمين بحكم مركزه السياسي، و هو الشريف أبو البركات الذي كان يعتبر ابن خميس زنديقا وجب هدر دمه، لكن ابن خميس استطاع الفرار من تنفيذ حكم الإعدام عليه إلى تلمسان، و منها عبر إلى الأندلس سنة 703هـ، استقر بعدها بغرناطة في كنف القائد أبي الحسن بن كماشة من خدام الوزير أبي عبد الله بن الحكيم الأديب الكبير[2] الذي نظم في مدحه قصائد كثيرة خلدت ذكراه مدى الدهر.

فكان لابن خميس شعر كثير جمعه القاضي أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الحضرمي في ديوان سواه "الدر النفيس في شعر ابن خميس"[3]، و يبدو أن هذا الديوان ضاع، و قد نشر عبد الوهاب بن منصور ما أمكن جمعه من شعره من خلال كتب الأدب و الرحلات و التراجم في كتاب سماه "المنتخب النفيس من شعر ابن خميس"[4] بتلمسان سنة 1365هـ، و مما أنشده ابن خميس في تلمسان التي كان يتحرق شوقا إليها، قوله:

تلمسان جاءتك السحاب الدوالح *** و أرسلت بواديك الرياح اللواحق

وسح على ساحات باب جيادها *** ملث يصافي تربها و يصافح

يطير فؤادي كلما لاح لامع *** و ينهل بسعي كلما ناح صادح

ففي كل شفر من جفوني ماتح *** و في كل شطر من فؤادي قادح

---

[1]- تفاصيل هذه المناظرة في الفصل الثاني من الباب الثالث الخاص بالعلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط و الأقصى في الفترة محل الدراسة.

[2]- مبخوت بودواية المرجع السابق، ص102.

[3]- المقري، نفح الطيب، ج5، ص361.

[4]- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص202.

فما الماء إلا ما تنسخ مدامعي *** و لا النار إلا ما تجن الجوانع[1]

و مما نظمه في بني زيان قوله:

يأبى ثراء المال علمي و هل *** يجتمع مع الضدان علم و مال

و تألف الأرض مقامي بها *** حتى تهاداني ظهور الرحال

لولا بنو زيان ما لذ لي العيش *** ولا هانت على الليال

هم خوفوا الدهر و هم خفقوا *** على بني الدنيا خطوبه الثقال

ألفيت من عامرهم سيدا *** غمر رداء الحمد حم النوال

و كعبة الجود منصوبة *** يسعى إليها الناس في كل حال

خذها أبا زيان من شاعر *** مستعذب النزعة عذب المقال

يلتقط الألفاظ لفظ النوى *** و ينظم الآلاء نظم اللآل[2]

و قد كان ابن خميس مشاركات في العقليات و إشراف على الطب كما كان من أهل علم السيمياء[3]، توفي ابن خميس بغرناطة قتيلا صباح يوم عيد الفطر سنة 708هـ، و ذلك يوم مقتل مخدومه الوزير ابن الحكيم[4].

• **محمد بن منصور بن علي بن هدية القرشي التلمساني**[5] **(ت735هـ/ 1335م)**: هو من ولد عقبة بن نافع الفهري، تلمساني المنشأ و الدار، تولى خطة القضاء بتلمسان مع كتابة السر للسلطان أبي تاشفين الأول، و كان من أئمة اللسان و الأدب و ذو بصر بالوثائق و كتب

---

[1]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 86، 87.

[2]- المقري، نفح الطيب، ج5، ص 363- 364.

[3]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص109.

[4]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص109؛ المقري، نفح الطيب، ج5، ص362.

[5]- ابن مريم، المصدر السابق، ص225؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص116؛ المقري، نفح الطيب ، ج5، ص234؛ النباهي ، المصدر السابق، ص134؛ ابن مرزوق، المناقب المرزوقية ، ص227؛ بن داود نصر الدين، بيوتات العلماء ، ص 145، 146.

الرسائل عند الملوك الأوائل من بني يغمراسن بن زيان، اشتغل بعلوم اللغة و التاريخ، و من آثاره: "تاريخ تلمسان"، هذا المؤلف الذي قيل أنه ضاع أثناء الحصار الطويل، و "شرح رسالة بن خميس نظما و نثرا، فكان سببا في هجرة ابن خميس من تلمسان إلى الأندلس، فكان عنوان هذه الرسالة: "التعليق النفيس في شرح ابن خميس"[1]، و التي يتهم فيها ابن خميس بالزندقة لاشتغاله بالفلسفة، مخن تلامذته ابن هدية، المقري الكبير، و أبو البقاء البلوي[2].

- **عبد الرحمن بن خلدون و يحيى بن خلدون**[3]: هما أشهر من أن يعرّفا ، من أسرة عريقة في العلم استوطنت بلاد افريقية، و حظيت بعض أفرادها بمناصب هامة في الدولة الحفصية، برز منها الأخوان عبد الرحمن و يحي اللذين تلقيا تعليمهما الأول في تونس، ثم أخذ العلم عن علماء بجاية و تلمسان، و فاس، أمثال الشيخ أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي، و أبي عبد الله محمد بن ابراهيم الآبلي، و المقري، و أبو منصور الزواوي و السطي و غيرهم[4].

---

[1]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص52؛ حاجيات و آخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص447.

[2]- المهدي البو عبدلي، المرجع السابق، ص131؛ مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص135.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، التعريف ، ص796؛ ابن الخطيب، الإحاطة ، ج3، ص493؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ج2، ص ص 143- 145 و كفاية المحتاج،ج2، ص182؛ القرافي، توشيح الديباج ، ص118؛ ابن القاضي، درة الحجال ، ج3، ص54؛ السخاوي، الضوء اللامع ، ج4، ص145؛ لسان الدين بن الخطيب، ريحانة الكتاب و نجعة المنتاب، ج2، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1981، ص144؛ ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر، ج1، تحقيق حامد عبد المجيد و آخرون، دون تاريخ و مكان الطبع، ص343؛ محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 227، 228؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي و المستوفي بعد الوافي، ج7، تحقيق محمد أمين و نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب، القاهرة، 1989، 1990، ص ص 205- 209، المقريزي، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، 1972، ص24؛ الشوكاني، البدر الطالع ، ج1، مطبعة السعادة، القاهرة، 1929، ص ص 273- 339؛ حاجيات، أبو حمو موسى ، ص174، علي علواش، معجم مشاهير المغاربة، ص195.

[4]- المقري، نفح الطيب ، ج9، ص 340، 341؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص ص 110- 113.

تقلدا مناصب سامية كالكتابة و الحجابة في بلاطات الملكية لبلاد المغرب والأندلس، كما انضما إلى المجالس العلمية التي كانت تعقد في حضرة كبار المشايخ و العلماء.

برعا في مختلف العلوم، فعبد الرحمن جمع بين المنقول و المعقول، فألف مقدمته الشهيرة وتاريخه الذي سماه "ترجمان العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"[1]، ألف أخوه كتابا أهداه للسلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني سماه "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"، خصصه لتاريخ بني عبد الواد، ناهيك عن قصائد عديدة نظمها في مديح أبي حمو موسى الثاني و في المناسبات الدينية، و من شعره في مدح السلطان أبي حمو قوله:

يا بدر ثم بالأوج قد ظهرا *** فضاء بالخافقين و اشتهرا

و يا مليكا له العلى خلقا *** ففي العلى ما نهى و ما أمر

و يا إماما له الورى خول *** يعتق إن شاء و إن شاء حصرا

ما الفخر إلا الذي أثبت به *** بأسا و جلما و نائلا حمرا

إلى غاية:

فليس للعالمين من ملك *** يرجى و يخشى سواك مقتدرا

و إن عرا الخطب أو نبا زمن *** بالناس كنت الشمال و الوزرا[2]

أما عبد الرحمن فقد كتب يهنئ السلطان أبي حمو موسى الثاني بعيد الفطر، فقال:

هذي الديار فحيهن صباحا *** وقف المطايا بينهن طلاحا

لا تسأل الأطلال ان لم تروها *** عبرات عينيك و ألفا ممتاحا

---

[1]- و من مؤلفات عبد الرحمن بن خلدون، شرحه للقصيدة المسماة "بالبردة" كما لخص الكثير من كتب ابن رشد، و لخص محصل الإمام فخر الدين بن الخطيب الرازي، فألف كتابا في الحساب، أما نثره فقمة في البلاغة، كما نظم شعرا، ينظر: محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص506؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص111.

[2]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص124؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص113.

فلقد أخذن عن جفونك موثقا *** أن لا يرين من البعاد شحاحا

إلى أن يقول:

و منازل الظاعنين استعجمت *** خزنا و كانت بالسرور فصاحا[1]

توفي أبو زكريا يحي مقتولا سنة 780هـ[2]/ 1379م، بينما عبد الرحمن فقد توفي في القاهرة سنة 808هـ/ 1406م[3].

• **محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي الشهير بابن العباس التلمساني** (ت817هـ/ 1461م)[4]: من أشهر علماء تلمسان في زمانه، تولى الافتاء بها، برز في علمي الفقه و النحو، من تآليفه: "تحقيق المقال و تسهيل المنال في شرح لامية الأفعال"، و "العدوة الوثقى في تنزيه الأنبياء عن فرية الإلقاء"، و "شرح جمل الخونجي"، و فتاوى ذكرها المازوني في نوازله و الونشريسي في معياره.

• **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي** (ت899هـ/ 1494م)[5]: مؤرخ وأديب و حافظ، نشأ بتلمسان و أخذ بها عن علمائها ابن مرزوق الحفيد وقاسم بن سعيد العقباني و ابن زاغو و غيرهم، من تآليفه، "نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان"، و "راح الأرواح فيما قاله أبو حمو و قيل فيه من الأمداح"، و"الطراز في شرح الخراز"

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر ، ج7، ص234.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر ، ج7، ص292؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص113.

[3]- التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج2، ص ص 143- 145؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص111.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 223، 224؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ج2، ص336؛ محمد مخلوف، المصدر السابق، ص226.

[5]- التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج2، ص329؛ السخاوي، الضوء اللامع ، ج8، ص120؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص248؛ محمد مخلوف، المصدر السابق، ص267؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص143؛ التنسي، تاريخ بني زيان، مقدمة المحقق، ص ص 9- 12؛ عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص54.

• **أبو حمو موسى الثاني**: من السلاطين الزيانيين الذين اهتموا بالعلم و اللأدب، فقد كان كاتبا بارعا و شاعرا فذا، يقرض الشعر، و يكرم الشعراء[1]، من آثاره، كتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك"، و قد أودع فيه آراءه السياسية و ضمنه قصائده الشعرية، التي كانت تنظم أغلبها في مدح النبي صلى الله عليه و سلم ليلة الاحتفال بالمولد النبوي، و من شعر المولديات[2] قصيدة أنشدها أثناء الاحتفال الذي أقيم في مولد سنة 771هـ، عنوانها "خليلي قد بان الحبيب"، قال فيها:

خليلي قد بان الحبيب الذي صدا *** و قد عاقني صبري فلم أستطع ردا

و سالت دموعي فوق خدي هواملا *** و قد صيرت فوق الخدود لها خدا

قد اصفر لوني بعد حسن شبيبتي *** كما ابيض رأسي بعدما كان مسودا

إلى أن يقول:

إلهي هب لي منك عفوا و رحمة *** فمازلت يا مولاي تبلغني القصدا

و عبدك موسى لم يزل فيك راجيا *** و من شيم المولى بأن يرحم العبدا[3]

• **محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن سعيد بن صعد**[4] **(ت901هـ)**: فقيه عالم محصل أخذ العلم عن أبي عبد الله التنسي و محمد بن العباس و الإمام السنوسي وغيرهم، ألف كتاب "النجم

[1]- مها عيساوي، أبو حمو موسى الزياني (السلطان الأديب)، مجلة العلوم الاجتماعية و الانسانية، تصدر عن المركز الجامعي، الشيخ العربي التبسي، ع1، تبسة، 2007، ص ص 152- 156.

[2]- عن أبي حمو و إحياء المولد النبوي و بنية قصيدة المولديات ينظر، مها عيساوي، المرجع السابق، ص 155،156؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني ، ص ص 187- 208.

[3]- للاطلاع على هذه القصيدة، ينظر: أبو حمو موسى الثاني، واسطة السلوك، ص 199، 200؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص 222- 226.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 251- 252؛ التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج2، ص335؛ ابن صعد، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين ، ص11.

الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب"[1]، و تأليف في الصلاة عن النبي صلى الله عليه وسلم، و "روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين"[2]، و هم: الهواري، ابراهيم التازي، الحسن أبركان، أحمد بن الحسن الغماري، قال عنه محمد العربي الغرناطي الأندلسي:

إذا جئت لتلمسان*** فقل لصنادها بن صعد

علمك فاق كل علم*** مجدك فاق كل مجد[3]

و يضاف إلى هؤلاء كثير من الأدباء و الشعراء الذين لم ينالوا ما ناله هؤلاء من علو المنزلة و لم يشتهر شعرهم رغم ما يبدو عند بعضهم من مواهب لا تجهر أمثال: القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد الحسني المعروف بابن يعلى، و أبو محمد بن عبد المؤمن بن يوسف المديوني، و أبو عبد الله محمد البطوي، و أبو القاسم بن ميمون السنوسي، و أبو الحسن علي بن العطار، و أبو العباس محمد بن سفيان، و أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن عبد القادر[4]، و محمد بن صالح شقرون[5]، و أبو علي حسن بن ابراهيم بن سبع[6]، و أبو عبد الله محمد بن علي العصامي[7]، ومحمد بن علي بن قاسم المرسي[8]، و أغلبهم كانوا كتابا في مختلف الدواوين بتلمسان الزيانية، وقد وقد حفظت لنا كتب التاريخ قصائد لهؤلاء الشعراء من دون أن تشير إلى حياتهم أو تكوينهم الأدبي.

---

[1]- ابن صعد، النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، ط1، تحقيق و تقديم محمد أحمد الدياجي، دار صادر بيروت، 2011.

[2]- ابن صعد، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين ، ص11.

[3]- ابن صعد، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين ، ص11.

[4]- حاجيات، أبو حمو موسى ، ص177.

[5]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص 143- 145.

[6]- نفس المصدر، ص ص 282- 284.

[7]- نفسه، ص 315، 316.

[8]- نفسه، ص 316، 317.

أما عن التاريخ فقد نال حظه الوافر في تلمسان الزيانية، حيث برز في هذا العلم كتاب وأدباء و فقهاء من أبناء المدينة سخروا أقلامهم في هذا الاتجاه، واتخذوا أسلوبا فنيا يعتني بالتأليف في العبارة، و إظهار الحادثة في ثوب من الصياغة، رجاله يعدون من صفوة الكتاب الذين تولوا مناصب سياسية في دواوين الدولة الزيانية و المرينية و الحفصية، و هي المناصب التي ساعدتهم على أن يكونوا قريبين من مصدر الخبر و الأحداث، و جعله في متناولهم أرشيف بني زيان و وثائقهم[1].

فبفضل المكانة العلمية و المناصب الإدارية لهؤلاء ازدهرت كتابة التاريخ بتلمسان ازدهارا يتناسب مع مقام بني زيان العلمي و طموحهم السياسي و الحضاري والعسكري، فنبغت في عهدهم جماعة من المؤرخين التلمسانيين الذين دونوا مصنفات في تاريخ الدولة و حضارتها، وتناولوا فنون التاريخ و فروعه كالسير و التراجم وتاريخ الملوك، ضلع بعضها و بقي القليل منها، نذكر من ذلك:

- **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**[2]: ألفه أبو زكرياء يحي بن خلدون والذي خصه عن الدولة العبد الوادية من نشأتها إلى عصر المؤلف، حيث قسمه إلى ثلاثة أقسام، اشتمل كل قسم على ثلاثة أبواب، انتهت حوادثه في أواخر سنة 776هـ/ 1374م، نظم الأحداث ورتبها حسب السنوات، و هو المنهج الذي استعمله سابقوه – نظام الحوليات–
- **المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن**[3]: لأبي عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب، جعله للسيرة الذاتية للسلطان أبي الحسن المريني، و تخللته بعض الأحداث التاريخية العامة لبني زيان و بني مرين، أظهر فيه بعض المواقف و المنجزات العسكرية و الحضارية التي تمت في عهده في المغربين الأوسط و الأقصى، قسم كتابه إلى مقدمة جعلها في عدة فصول، أما المتن فبوّبه في خمسة

[1]– عبد العزيز سالم، التاريخ و المؤرخون العرب، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، مصر، 1967، ص75 و ما بعدها؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص116.

[2]– الكتاب في جزءين قدمه و حققه الدكتور عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980.

[3]– الكتاب من تحقيق ماريا خيسوس فيغيرا، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.

و خمسين بابا، كلها تتحدث تقريبا عن خصال و مآثر هذا السلطان، أما الخاتمة فتضمنها هي الأخرى عدة فصول.

- **المجموع أو الديوان**[1]: لابن مرزوق الخطيب أيضا، ضمنه السيرة الذاتية لأسرته: الجد الأكبر، الوالد، والد الأم، و سيرته هو نفسه و ما حدث في عهدهم من قضايا سياسية و اقتصادية واجتماعية و ثقافية، و منجزات عمرانية بتلمسان و في غيرها من حواضر المغرب و المشرق خلال القرنين السابع و الثامن الهجريين، قسمه إلى عدة فصول.
- **زهر البستان في دولة بني زيان**[2]: لمؤلف مجهول عاش في كنف الدولة الزيانية و عاصر السلطان أبا حمو موسى الثاني، لم يبق منه إلا السفر الثاني الذي خصه للحديث عن تاريخ أبي حمو موسى الثاني خلال الخمس سنوات الأولى من حكمه، و هو يتضمن أخبارا مفصلة و دقيقة، أما الجزء الأول فهو في حكم المفقود، و لعله يتضمن تاريخ الدولة الزيانية قبل عهد أبي حمو موسى الثاني.
- **نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان**[3]: من تأليف الحافظ محمد بن عبد الله التنسي، و الكتاب يقع في خمسة أقسام، يحتوي كل قسم على أبواب، يتضمن التعريف ببني عبد الواد وبيان شرفهم، و حسن سيرتهم و تاريخهم و حضارتهم، وتخلل الكتاب نوادر مستظرفة و محاسن الكلام المستعملة في النثر و الشعر، و قد أهدى هذا الكتاب إلى السلطان محمد المتوكل (866-873هـ) الذي غمره بنعمه.
- **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب**[4]: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن صعد الأنصاري التلمساني المتوفى سنة 901هـ/ 1415م، يتضمن الكتاب ثلاثة أقسام تحدث فيها

---

[1]- ميكروفيلم بالخزانة العامة بالرباط، رقم 20، المملكة المغربية.

[2]- مخطوط بمكتبة ريزلاند بمانشيستر – إنجلترا، تحت رقم 283، (القسم العربي)

[3]- تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

[4]- حقق الكتاب و قدمه محمد أحمد الدياجي، دار صادر، بيروت، 2011.

عن تراجم الأولياء و الصلحاء من مختلف العجم، كما تضمن الكتاب بعض الرسائل التي تبادلها ابن صعد مع بعض العلماء السلاطين، دونه صاحبه رغبة من السلطان الزياني المتوكل على الله.

و برز من المؤرخين التلمسانيين في القرنين السابع و الثامن الهجريين القاضي محمد بن منصور بن علي بن هدية، و قد سبق ذكره، و أبو محمد عبد الله الشريسي، الذي وصفه ابن مرزوق بالمؤرخ الثقة الذي عاش في القرن الثامن الهجري، و كان مقربا من أسرة المرازقة، و لهذا روى عنه ابن مرزوق الخطيب في مدوناته الكثير من الأحداث و الأخبار[1].

و منهم أيضا أبو العباس أحمد بن ابراهيم المعروف بابن القطان – و هو غير ابن القطان مؤرخ الموحدين–، يعد من خواص أبي اسحاق التنسي و أبي عبد الله بن مرزوق الجد، اعتمد عليه الخطيب ابن مرزوق اعتمادا كبيرا في تدوين مجموعة، وصنف العالم الفقيه محمد بن بكر الأنصاري (ت676هـ) كتابا جعله لوصف مكة و المدينة و بيت المقدس[2]، كما ألف أحمد بن يحي الونشريسي كتابا في التراجم سماه "الوفيات"، و ألف ابن الأصفر كتابا عن تاريخ تلمسان و هو مفقود[3].

و يضاف إليهم كتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك"[4] الذي يتضمن وصايا حكمية وسياسة و عملية و علمية تتعلق بالملك و نظامه، صادرة عن تجربة سياسية ميدانية مارسها السلطان أبو حمو موسى الثاني، و مهما يكن من أمر فإن الجانب التاريخي أخذ حيزا في هذا

---

[1]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص469؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص118.

[2]– ولد محمد بن أبي بكر الأنصاري و نشأ بتلمسان، ثم ارتحل إلى المشرق طلبا للعلم فزار مصر والحجاز و الشام و القدس، فجعل كتابه المذكور لوصف هذه البقاع التي زارها، ينظر: هوارية بكاي، المرجع السابق، ص118 ؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص449.

[3]– ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص91.

[4]– قامت بتحقيق الكتاب لأول مرة و تقديمه جميلة شتيوي، إذ نالت به شهادة الكفاءة و البحث بكلية الآداب، جامعة تونس، سنة1989.

الكتاب، بحيث وظف السلطان الأحداث التاريخية القديمة في إبداد بعض الأحكام و الآراء السياسية.

2- العلوم العقلية:

أولى الزيانيون نفس الرعاية و الاهتمام بالعلوم العقلية و الطبيعية، التي حظيت بها العلوم النقلية، فبعض العلماء جمعوا بين الصنفين، و آخرون اختصوا في العلوم العقلية، و واكبوا على دراستها والتعمق فيها، و قد شملت هذه العلوم على العلوم العددية أو الرياضيات بفروعها من حساب وجبر و مقابلة و فلك و هندسة وتنجيم، إضافة إلى الطب و التشريح و علم الهيئة والفلاحة والمنطق و الميكانيكا والموسيقى، و غيرها من العلوم المتنوعة.

و لعل أشهر التصانيف التي كانت تدرس في هذه الحقبة خاصة في الرياضيات كتاب "حط النقاب عن وجوه أعمال الحساب"، و "تلخيص ابن البناء"، و"بغية القارض في الحساب والفرائض"، و "كشف الجلباب عن علم الحساب"، وكتاب "كشف الأنوار و كشف الأسرار عن علم الغبار"، و "قانون الحساب"، و شرح ابن ياسمين في الجبر و المقابلة، و في الطب كتاب "القانون لابن سينا"، و في الفلك و التنجيم "قصيدة الحباك"، و أرجوزة أبي إسحاق، و "بغية الطلاب في علم الاسطرلاب" للسنوسي.

و قد اشتهر من العلماء في هذا المجال:

- **أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الآبلي التلمساني**[1] **(ت757هـ/ 1350م)**: أصله من آبلة بالأندلس، ولد بتلمسان سنة 681هـ/ 1282م، و نشأ بها، و أخذ علوم المنطق و الأصول عن

[1]- القرافي، توشيح الديباج، ص243؛ التنبكتي، كفاية المحتاج، ج1 ،ص319؛ ابن مرزوق، المسند، ص266؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص120؛ التعريف بابن خلدون ، ص ص 21- 38؛ ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج3، ص375؛ الونشريسي، الوفيات ، ص122؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص ص 245- 248؛ ابن مريم، البستان ، ص ص 214- 219؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس ، ج1، ص304 و لقط الفرائد ، ص208 ؛الكتاني، سلوة الأنفاس ، ج3، ص273؛ المقري، نفح الطيب ، ج7،ص ص 242- 270 و أزهار الرياض ، ج5، ص

جده القاضي ابن غلبون، و عن أبي موسى بن الإمام، وعن أبي الحسن التنسي، ثم ارتحل إلى المشرق، فالتقى بعلمائها أمثال ابن دقيق العيد وابن الرفعة و الصفي و الهندي، و التبريزي وغيرهم من فرسان المعقول، نبغ في فن المعقول فبرع في الحكمة و التعاليم، لذلك ولاه السلطان أبو حمو موسى الثاني ضبط جباية أمواله، غير أنه أعرض عن ذلك ففر إلى فاس، و اختفى بها عند شيخ التعاليم خلوف المغيلي اليهودي الذي هيأ له ظروف استكمال دروسه، و من فاس توجه نحو مراكش أواخر سنة 710هـ/ 1311م، حيث أخذ عن الإمام أبي العباس أحمد بن البناء شيخ المعقول و المنقول، و من مراكش التحق بشيخ الهساكرة علي بن محمد بن ترومیت، فأقام عنده مدة قضاها في التدريس، و بعدها انتشر ذكره وداع صيته، استقر بفاس و اختصه السلطان أبو الحسن المريني و اجتباه بمجلسه الخاص، و حضر معه وقعة طريف بالأندلس، و وقعة القيروان بتونس، و هناك إلى أن طلبه أبو عنان بعد استيلائه على المغرب الأوسط سنة 753هـ/ 1352م، فضمه إلى طبقة أشياخه، ثم سار معه إلى فاس فظل يقرأ عليه إلى أن توفي سنة 757هـ/ 1356م.

هذا و لم تذكر لنا كتب التراجم و التاريخ عن تآليفه شيئا، و لعل ذلك راجع إلى اقتناعه في نظرته المتمثلة في أن فساد العم في كثرة التآليف، حيث كان يقول: "إنما أفسد العلم كثرة التواليف، و إن ما أذهبه بنيان المدارس"، و من كلامه المأثور: "لولا انقطاع الوحي لنزل فينا أكثر

ص 60- 66؛ الحفناوي، تعريف الخلف ، ج1، ص ص 93- 104؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص 167- 169؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص 136، 137؛ Bouali sidi- ahmed, un maitre de =maghrébin méconnu du 13ème siècle, Al- abili, bulletin de la société géographie d'archeologie d'oran, 1977- 1978, p p 8- 21.؛ قدور وهراني، أثر الشيخ الآبلي في تطور العلوم العقلية بتلمسان الزيانية، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية و الفكرية، العدد التجريبي، كلية الآداب والعلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة تلمسان، ديسمبر 2008، ص ص 217- 225.

مما نزل فيهم – بنو اسرائيل- لأننا أتينا أكثر مما أبوا"، و في كلامه إشارة إلى ما آلت إليه الأمة العربية من تفرقة و ضعف و شتات، أكثر من افتراق بني اسرائيل.

- **أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن النجار التلمساني**[1] (ت749هـ/ 1349م): أصله من مراكش، ولد و نشأ بتلمسان و أخذ عن علمائها، وصفه المقري بنادرة الإعصار و أثنى عليه شيخه الآبلي بقوله: "ما قرأ أحد علي حتى قلت له لم يبق عندي ما أقول بك غير بن النجار"، ارتحل إلى المغرب فأخذ بسبتة عن أبي عبد الله محمد بن هلال شارح المجسطي، ثم أخذ بمراكش عن ابن البناء، فنبغ في العلوم العقلية و التعاليم، ثم عاد إلى تلمسان فدرس بها، ثم التحق ببلاط أبي الحسن المريني أيام احتلاله للمغرب الأوسط، فصحبه إلى افريقية، حيث هلك بالطاعون سنة 749هـ/ 1349م، و من تلاميذه، أبو عبد الله الشريف، و المقري الكبير و أبو الحسن بن الفحام.

- **أبو الحسن علي بن أحمد المشهور بابن الفحام**[2]: أخذ العلم عن ابن النجار، اشتهر بصنع المنجانة التي ازدان بها قصر أبي حمو موسى الثاني و أشاد بذكرها شعراء بلاطه، غير أن هذه المنجانة لم يصل إلينا منها إلا وصفها، و تذكر المصادر التاريخية أن السلطان أبا عنان المريني استدعى ابن الفحام لصنع الساعة المائية المقابلة للباب الشمالي للمدرسة العنانية سنة 758هـ/ 1357م، و ما تزال آثارها ماثلة للعيان، وصفه ابن خلدون بأنه: "أكثر رجال عصرنا تبحرا في

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، التعريف ، ص840؛ الونشريسي، الوفيات ، ص118؛ ابن مرزوق، المجموع ، ورقة 32 ؛يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص119؛ التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج2، ص239؛ المقري، نفح الطيب، ج7، ص162؛ حاجيات، أبو حمو موسى ، ص53؛ لخضر عبدلي، الحياة الثقافية، ص235؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 122، 123.

[2]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص119؛ الجزنائي، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، 1991، ص53؛ ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص192؛ حاجيات، أبو حمو موسى ، ص179،180 و الحياة الفكرية ، ص ص 153- 168.

مختلف فروع الرياضيات، و قال عنه بن مرزوق بأنه: "الواحد في عصره في التعاليم...وأوقفهم مع الظواهر الشرعية"[1]، توفي في أواخر القرن 8هـ/ 14م.

• **محمد بن أبي جمعة التلالسي**[2]: تلالسي الأصل، تلمساني الدار، شاعر[3] و أديب و يجيد فن التوشيح، لكن كانت له مشاركة فعالة في العلوم العقلية و التعاليم، إذ كان الطبيب الخاص بأبي حمو موسى الثاني، و هو من أسرة جل أفرادها علماء أطباء، توفي أوائل القرن التاسع الهجري/ 15م.

• **محمد أحمد الشريف الحسني بالعلوي (ت771هـ/ 1370م)**[4]: السالف الذكر، أصله من قرية العلويين الواقعة شمال تلمسان (عين الحوت حاليا)، ولد بها و نشأ ودرس على يد علمائها كأبي زيد بن يعقوب، و أبي عبد الله محمد بن عمرو التميمي، و ابن هدية القرشي، والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد النور، برع في المنقول و المعقول، حيث درس العلوم العقلية على يد محمد بن علي النجار، ثم رحل إلى فاس و لازم الآبلي، فأخذ عنه التعاليم حتى قال عنه: "هو أوفر من قرأ علي عقلا و أكثرهم تحصيلا"، فكان الشريف علاوة على ما يحمله من علوم الشريعة إماما في

---

[1]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية ، ص193.

[2]- المقري، نفح الطيب ، ج9، ص 336، 337؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص89؛ حاجيات، أبو حمو موسى، ص 173، 174؛ حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ج3، ص448.

[3]- للتلالسي عدة قصائد نظمها في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم، عرفت بالمولديات و أخرى في مدح السلطان، عنها ينظر، يحي بن خلدون، بغية الرواد ، ج1، ص 89- 90.

[4]- ابن خلدون، التعريف، ص ص 64- 66؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 164- 166؛ التنسي، تاريخ بني زيان، ص179؛ التنبكتي، نيل الابتهاج،ج2، ص ص 255- 264؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص120 ؛محمد مخلوف، المصدر السابق، ص234؛ الونشريسي، المعيار، ج12، ص 224- 225 و الوفيات، ص126؛ ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، ص59؛ حاجيات، أبو حمو، ص 162، 163؛ بابا خويا الحاج المهدي، المرجع السابق، ص ص 48- 71؛ قاسمي بختاوي، من أعلام تلمسان، أبو عبد الله الشريف التلمساني(716- 771هـ/ 1316- 1370م، دورية كان التاريخية، ع18، ديسمبر 2012، ص ص 19- 23؛ بن داود نصر الدين، بيوتات العلماء، ص- ص 118- 122.

المعقول، توفي سنة 771هـ/ 1370م، و قد حضر جنازته السلطان أبو حمو موسى الثاني، و قال عنه ابن عرفة: "لقد ماتت بموته العلوم العقلية"، و قال أيضا: "غايتك في العلم لا تدرك"، من تلاميذه، أبو أحمد عبد الله، و أبو اسحاق الشاطبي، و ابن زمرك، و ابراهيم المصمودي، و عبد الرحمن بن خلدون و أخوه يحي، و ابراهيم الثغري، و ابن السكاك و غيرهم.

من تآليفه، كتاب في القضاء و القدر، و شرح جمل الخونجي، و كتاب في المعاوضات، ومفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، المطبوع بتونس عام 1346هـ.

- **أبو عبد الله محمد بن أحمد الحباك** (ت867هـ/ 1463م)[1]: ولد و نشأ بتلمسان، برع في شتى أنواع العلوم خاصة الحساب و الفرائض و الفلك و الهندسة و علم الاسطرلاب[2]، إضافة إلى براعته في العلوم الدينية، من تلامذته، الإمام محمد بن يوسف السنوسي، من تآليفه، أرجوزة "بغية الطلاب في علم الاسطرلاب"، و "شرح تلخيص ابن البناء"، كما شرح رجز الجادري المسمى "روضة الأزهار في قلم وقت الليل"، و "النهار في الفلك"، و سمى شرحه "تفجير الأنهار خلال روضة الأزهار، و"تحفة الحساب في عدد السنين و الحساب"، و نظم رسالة الصفار في الاسطرلاب.

وصفه صاحب البستان و نيل الابتهاج بـ"الشيخ الفقيه العالم العلامة الأجل الصالح المعدل الفرضي العددي"[3].

---

[1]- التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج2، ص226؛ ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص 219، 220؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص94؛ الونشريسي، وفيات الأعيان ، ص147.

[2]- الاسطرلاب، هي آلة يستعملها الفلكيون لقياس ارتفاع الكواكب.

[3]- علم التعديل هو علم يختص بدراسة تفاوت الليل و النهار و تداخل الساعات في الليل و النهار عند تفاوتها في الصيف و الشتاء، ينظر: مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص177.

• **علي بن محمد القرشي البسطي الشهير بالقلصادي**[1]: ولد بمدينة بسطة الأندلسية سنة 815هـ، نشأ بها و تلقى تعليمه الأول على يد علمائها أمثال، أبي عبد الله القسطرلي، أبي الحسن علي بن عزيز و أبو بكر البياز، جاب المشرق و المغرب طلبا للعلم و التحصيل، نبغ في المعقول والمنقول، نزل بتلمسان فأخذ عن أشهر أعلامها، منهم، ابن مرزوق الحفيد، و أبو عبد الله الشريف التلمساني، و محمد بن النجار، و ابن زاغو، و قاسم بن سعيد العقباني[2].

من مآثره التي تناولت علوما مختلفة، أغلبها في الحساب و الفرائض، "غنية ذوي الألباب في شرح كصف الجلباب"، و "كشف الأسرار في علم الغبار، و "كشف الجلباب عن علم الحساب"، وشرح تلخيص ابن البناء، و "انكشاف الجلباب عن قانون الحساب".

و من مصنفاته في الفرائض، "الضروري في علم المواريث"، "الكليات وشرحه"، "المتوفي لمسائل الحوفي"، و شرحان على التلمسانية، و شروح لفرائض مختصر خليل و فرائض التلقين، وفرائض ابن الحاجب.

و من مصنفاته في الفقه، "شرح مختصر خليل" و شرح الرسالة، و "أشرف المسالك إلى مذهب الإمام مالك"، و "شرح مختصر قواعد الإسلام".

أما في النحو فله، "غنية النحاة و شرحاه"، و شرح على رجز بن مالك، وشرح الأجرومية.

و في التصوف، و مدح الرسول صلى الله عليه و سلم و أسمائه، "شرح حكم بن عطاء الله"، و "شرح البردة"، و شرح رجز أبي عمرو بن منظور قاضي الجماعة في أسماء الرسول صلى الله عليه و سلم.

---

[1]- القلصادي، نسبة إلى مدينة قلصادة أو كالزادة التي يسميها الاسبان سانتا دومنغو كالزادا (Santa dominigo la calzada)، و هذه البلاد تتصل بتطيلة (Tudela) الواقعة شرقي غرناطة، و قلصادة هذه على مسافة 19 كلم إلى الغرب من (ناجرة) على طريق برغش، ينظر، القلصادي، رحلة القلصادي، ص30.

[2]- وردت تراجم لهؤلاء العلماء في رحلة اقلصادي أصلا و تعليقا، و أيضا في البستان، ص 141، 142.

أما تصانيفه في القرءات و الحديث فمنها: شرح رجز بني بري، و شرح الأنوار السنية لابن جزي، بالإضافة إلى ذلك له كتاب "النصيحة في السياسة العامة والخاصة، و غيرها من الكتب الأخرى الهامة[1] و يضاف إلى هؤلاء، العديد من أعلام المغرب الأوسط الذين نبغوا في العلوم العقلية و التعاليم، و كانت لهم مشاركات هامة في هذا المجال، نذكر منهم: منصور الزواوي الذي كانت له دراية كبيرة بالحساب و الهندسة و الآلات[2]، و محمد بن محمد بن أبي قاسم المشذالي أبو الفضل[3]، و محمد بن ابراهيم بن الإمام أبي الفضل[4]، و محمد بن علي بن فشوش[5]، و محمد بن قاسم بن تومرت التلمساني[6]، وسعيد العقباني[7] سالف الذكر، و علي بن موسى بن عبد الله بن محمد بن هيدون البجائي[8]، و غيرهم كثير ممن أنجبهم المغرب الأوسط خلال حكم الدولة الزيانية. الزيانية.

---

[1]- عن القلصادي ينظر: رحلة القلصادي، ص ص 31- 35؛ التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج2، ص328؛ ابن مريم، البستان، ص ص 238- 248؛ المقري، نفح الطيب ، ج2، ص622؛ الحفناوي، تعريف الخلف ، ج1، ص ص 176- 186؛ علي علواش، معجم مشاهير المغاربة ، ص ص 442- 444.

[2]- التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج2، ص379.

[3]- التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج2، ص 320، 321؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص 271- 280.

[4]- التنبكتي، نيل الابتهاج ، ص 320- 321؛ ابن مريم، البستان ، ص220.

[5]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص35؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص254، المهدي البو عبدلي، المرجع السابق، ص131.

[6]- ابن مريم، البستان ، ص237؛ التنبكتي، نيل الابتهاج ، ج2، ص 340- 341.

[7]- ابن فرحون، الديباج، ص124؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص123؛ التنبكتي، نيل الابتهاج ، ص 125- 126؛ ابن مريم، البستان ، ص 106، 107؛ ابن القاضي، درة الحجال ، ج3، ص298؛ القرافي، توشيح الديباج ، ص152 و كفاية المحتاج ، ص 138، 139؛ محمد مخلوف، المصدر السابق، ص250؛ الحفناوي، المرجع السابق، ص 208، 209؛ حاجيات، أبو حمو، ص170؛بن داود نصر الدين، بيوتات العلماء ، ص ص 76-79.

[8]- حاجيات و آخرون، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ج3، ص452.

المبحث الأول: التاريخ الثقافي للمغرب الأقصى في العهد المريني.

إذا أردنا رسم صورة للثقافة في المغرب المريني بكل اتجاهاتها وألوانها وما عرفته من صنوف المعرفة وفروعها فإننا سنكون عاجزين عن استيعاب كل ما كانت تعج به الحياة الثقافية في هذا العصر، ففي عهد المرينيين ازدهرت الحياة الثقافية واشتد الإقبال على الدرس والتحصيل ونشطت الرحلة العلمية، وانتشرت المدارس في كل المناطق والجهات وكثرت الحلقات والمجالس العلمية، وتعددت المراسلات والفتاوى في القضايا العلمية والاجتماعية والفقهية، مما جعل الثقافة المغربية تنفرد بشخصيتها وتتميز بملامحها الخاصة بعد أن كانت من قبل تكتسي تارة الطابع الشرقي وتارة أخرى الأندلسي[1]، فلم يبق المغرب في هذا العصر كما يذكر الأستاذ عبد الله كنون في النبوغ المغربي:« عالة في نهضته العلمية على سواه بل إن أبناءه أصبحوا قدوة غيرهم في الدراسات العلمية المختلفة وقبلة أنظار طلاب المعرفة من جميع الجهات»[2].

كما أصبح لعلماء المغرب شأن كبير في عالم الفكر والمعرفة وأصبحت آرائهم تلقى القبول والاستحسان وسط علماء كل الحواضر والمناطق الإسلامية آنذاك خاصة بعدما بات المغرب عامة وفاس على وجه الخصوص مقصد طلاب المعرفة والرأي والفتوى[3]، فكان المغاربة يجدون حظهم من التكريم والتقدير والإجلال، والأمثلة كثيرة كابن رشيد والعبدري وزروق وغيرهم. ومن مظاهر هذا الازدهار الفكري والعلمي تعدد المراكز الثقافية وكثرة العلماء في هذا العصر حيث لم تعد مراكز

[1]- الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، ج 1، ط 2، مطابع عكاظ، مكتبة دار الباحث، المغرب، 2002، ص 25.

[2]- عبد الله كنون، النبوغ المغرب في الأدب العربي، ج 1، ط 2، طنجة، المغرب، 1960، ص 202.

[3]- عندما اختلف علماء الأندلس في شأن التصوف هل يصح سلوكه تعلما من الكتب فقط، أم لا بد من شيخ يأخذ عنه المريد؟ لجؤوا إلى علماء فاس وفقهائها يفتونهم في الأمر. ينظر: فتوى ابن خلدون في شفاء السائل، ص 110؛المعيار للونشريسي، ج 11، ص 117 و ج 12، ص 293.

الثقافة في العصر المريني محصورة في كبريات الحواضر المغربية، بل عمت كل أرجاء المغرب بما فيها القرى والمراكز البدوية المختلفة[1].

فبالإضافة إلى مدينة فاس التي ازدادت إشعاعا بعد أن اتخذها بنو مرين عاصمة لحكمهم فعملوا على تزويدها بكل وسائل تطوير الثقافة بما أنشأوه من مدارس علمية إلى جانب القرويين، وبما أقاموه من خزانات يعود إليها الطلبة في دراساتهم حتى أصبحت فاس مقصد طلاب العلم من كل حدب وصوب، فكانت الرحلة في الغالب إليها ولم تكن منها إلا بعد التخرج والدراسة[2]. و إلى جانب فاس نجد سبتة في شمال المغرب والتي كانت مركزا علميا مرموقا لا يقل عن فاس في نشر العلم والمعرفة بفضل أسرة العزفين العلمية، وبفضل فطاحل العلماء الذين أنجبتهم هذه المدينة في هذا العصر بمستوى ابن أبي الربيع، وابن المرحل، وابن رشيد والتجيبي وغيرهم[3]. ومراكش التي رغم أنها لم تعد العاصمة السياسية إلا أنها لا زالت تحتضن الثقافة وحلقات الدروس، ويكفي أنه تخرج فيها ابن البناء المراكشي، ودرس فيها الآبلي التلمساني الذي أصبح" أعلم خلق الله بفنون المعقول"[4].

ويمكن أن نجد نفس الازدهار في باقي مناطق المغرب كمكناس، وتازا، وبادس، وطنجة، والقصر الكبير، وسلا، وآسفي، وأنفي وغيرها، وهذا ما أكده صاحب أنس الفقير، والحسن الوزان لما شاهداه من رقي ثقافي في هذه المناطق[5].

---

[1]- عبد الهادي التازي، جامع القرويين ، ص 402؛ محمد المنوني، ورقات ، ص ص 200، 207؛ محمد الحدادي، دراسة رحلة ابن رشيد، ج 1، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة ظهر المهراز فاس، ص 21.

[2]- روجيه لي تورنو، فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة، مكتبة لبنان للطباعة والنشر 1967 بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين، ص 179؛ عبد الهادي التازي، جامع القرويين ، ج 2، ص 403؛محمد المنوني، ورقات ، ص 328.

[3]- السلاوي، الاستقصاء، ج 3، ص 113؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب ، ص 504؛ روجيه لي تورنو، فاس في عصر بني مرين ، ص 10.

[4]- ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ، ص 36 ؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس ، ج 1، ص 304.

[5]- الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص 27.

أما عن كثرة العلماء ونشاطهم في هذا العصر فمرده إلى الاستقرار السياسي الذي عرفه المغرب في فترة مهمة من الحكم المريني، حيث أصبح ملاذا لكثير من المسلمين الذين فروا من الأندلس بعد الزحف النصراني، وكان من بينهم علماء كثيرون باشروا العمل والتدريس في فاس ومراكش وسبتة وطنجة وغيرها، فنهلوا من التراث الثقافي والعلمي الذي خلفه المرابطون والموحدون واستفادوا من الانفتاح العلمي وظروف التشجيع على الإبداع[1]، خاصة وأن بني مرين الذين لم يقيموا دولتهم على أساس فكر ديني معين لم يفرقوا بين العلماء على أساس أفكارهم وتوجهاتهم الدينية والعلمية[2]، فتنوعت بذلك ميولاتهم وبرزوا في ميادين علمية مختلفة وردت في كل كتب التراجم والتواريخ والرحلات والطبقات وغيرها ككتب ابن الأحمر، وابن خلدون، وابن مرزوق، وغيرهم[3].

ويكفي أن نشير إلى حركة أبي الحسن المريني إلى إفريقية للاستدلال على هذا الزخم في كثرة العلماء الذين ضمهم الأسطول المريني الذي غرق في مياه تونس سنة 750 هـ/ 1349 م والذي أختلف في تقديرهم وإن اتفق الجميع على أنهم نخبة من كبار العلماء و الفقهاء والمفكرين ومعهم كتبهم ومخطوطاتهم[4]. يقول ابن خلدون في هذا الصدد:« وكان في حملة السلطان أبي الحسن جماعة كبيرة من فضلاء المغرب وأعيانه هلك كثير منهم في الطاعون الجارف بتونس، وغرقت جماعة منهم في أسطوله لما غرق وتخطت النكبة منهم آخرين إلى أن استوفوا ما قدر من آجالهم»[5]. كما كان موكب أبي عنان في حملته إلى إفريقية شبيها بموكب أبيه بما كان يضمه من علماء وأدباء

---

[1]- عامر أحمد عبد الله حسن، دولة بني مرين تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا (668- 869 هـ/ 1269- 1465 م)، رسالة ماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين، 2003، ص 212.

[2]- عبد القادر زمامة ، أبو الوليد بن الأحمر، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، 1978، ص125 .

[3]- الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص 27.

[4]- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج 7، ص ص 283، 285.

[5]- التعريف بابن خلدون، ص 45.

وشعراء،ذكر منهم الكثير في كتاب فيض العباب للنصيري الذي احتفظ بتفاصيل رحلة أبي عنان[1].

1- عوامل ازدهار الحياة الثقافية بالمغرب المريني:

إذا اعتبرنا أن الاستقرار السياسي الذي ساد المغرب في فترة مهمة من الحكم المريني أول هذه العوامل وأهمها، فإن العامل الثاني يكمن في السلاطين والأمراء ورجال الدولة أنفسهم، لما كانوا يمتازون به من مستوى علمي رفيع وذوق فني ممتاز وإحساس شعري رائع من مثل مستوى أبي الحسن المريني الذي يقول عنه ابن خلدون:« كان السلطان أبو الحسن لدينه وسراوته يتشوق إلى تنوير مجلسه بالعلماء ،واختار منهم جماعته لمصاحبته ومجالسته»[2]. و حين خروجه إلى إفريقية كما ذكرنا سالفا كان موكبه حافلا بالعلماء لاتخاذه مظهرا من مظاهر دولته في تقدير العلم والتباهي به.

أما أبو عنان فقد كان صاحب الفضل في إظهار رحلة ابن بطوطة ،وأبي فارس عبد العزيز الذي أهدى له ابن خلدون كتابه" العبر"، ويقدم ابن الأحمر هو الآخر كتابه" روضة النسرين" لأبي سعيد عثمان، ومن هنا تذكر لهم آراء علمية وفقهية وحديثية وإسهامات شعرية، حتى أن ابن الأحمر يخصهم بفصل كامل من كتابه إلى جانب الشعراء في عصره[3]. ومن ثمة فلا غرابة إذا كان هؤلاء الملوك حماة للثقافة وأهلها عاملين على تشجيعها وتوفير الجو العلمي المناسب على النحو الذي وصفه ابن مرزوق أو ابن خلدون.. . وقد تمثل هذا التشجيع في جملة من النشاطات:

---

[1]- ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة البعيدة إلى قسنطينة الزاب، ط 1، تحقيق محمد بن شقرون، مطبعة دار الشروق، بيروت، لبنان، 1990.

[2]- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 80.

[3]- ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 64 و نثير الجمان ، ص ص 67، 75؛ المقري، ص ص 316-323؛ ابن مريم، البستان ، ص 106؛ محمد بن تاويت، الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، ط1 ،ج 2، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدار البيضاء، 1982، ص 410، 411.

1- إنشاء المدارس العلمية: اهتم المرينيون بتشييد المدارس لسكنى الطلبة وعقد بعض حلقات الدروس[1]، فانتظمت هذه السلسلة من المدارس لتشمل أرجاء المغرب بكامله كفاس، وتازا، وسلا وشالة، ومكناس ومراكش[2]، وفي فاس وحدها أنشئت إحدى عشرة مدرسة كلها تعتبر قمة في الإبداع والإتقان، ولهذا أقبل طلبة العلم عليها من كل صوب وحدب لما كانت تتوفر عليه هذه المدارس من مرافق لازمة لإنجاح العملية التربوية من سكنى للطلبة والعلماء وخزائن للكتب، إضافة إلى ما كان ينفق على الطلبة من أموال تمكنهم من مزاولة دراساتهم، ولعل ما ذكره قاضي فاس محمد بن أبي الحاج الجزولي المتوفي سنة 755 هـ/ 1354 م[3] خير دليل حيث يقول:

بسكنى المدارس عز ✧ والدرس فيها معز

فادرس هديت كثيرا ✧ فإنه لك كنز

ولعل هذه الظروف الحسنة ما فتئت تنتهي بنهاية المرينيين، حيث يصف الحسن الوزان الحالة الثقافية مقارنا في ذلك بين عهد المرينيين والوطاسين فيذكر:« بأن كل طالب كان في الزمن الماضي معفى من مصاريفه ولباسه مدة سبع سنوات، أما الآن فلم يبق له غير السكن...»، ولعل هذا أحد الأسباب التي أدت إلى انخفاض القيمة الفكرية ليس في فاس وحدها ولكن في جميع مدن إفريقية[4]. فقل عدد طلبة العلم وضعف مستوى المدرسين على عهد الوطاسين، فمدرسة القصبة بمراكش مثلا والتي كان يقصدها عدد كبير من الطلبة أصبح عدد طلابها لا يتجاوز الخمسة" مع أستاذ جهله بالفقه فاحش"[5].

2- تأسيس الخزانات: عمل المرينيون على توفير الكتاب بتعميم نظام المكتبات في المساجد والمدارس تنظيما للحياة العلمية، فأقام سلاطين بني مرين العديد من الخزانات، كما عينوا موظفين

---

[1]- سوف نأتي على ذكر أهم مدارس العهد المريني وطرق التدريس بها لاحقا في المطلب الخاص بالمؤسسات الثقافية والتعليمية.

[2]- ابن مرزوق، المسند ، ص 73؛ابن قنفذ ، أنس الفقير ، ص 50 ؛الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج 1،ص 178.

[3]- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج 1، ص 229 ؛ ابن القاضي، درة الحجال ، ص 240.

[4]- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج 1، ص 179.

[5]- نفسه، ص 104.

للإشراف عليها، ووفروا الأموال لدعمها، ولعل أهم مكتبة هي خزانة مدرسة الصفارين التي كانت نواتها الكتب والمخطوطات التي بعث بها الملك سانشو عام 684 هـ/ 1285 م طبقا لشروط صلحه مع الملك يعقوب المريني ولكثرة هذه الكتب تنوعت فنونها ومواضيعها[1].

لتزداد هذه الخزانة ضخامة وتنظيما على عهد أبي عنان، فأصبحت محتوية على" أنواع من علوم الأديان والأبدان والأذهان واللسان وغير ذلك من العلوم على اختلافها وشتى ضروبها وأجناسها"[2].

وكما أن إنشاء المدارس لم يختص به سلطان دون آخر من المرينيين فإن خزانات الكتب هي الأخرى لاقت نفس العناية والاهتمام انطلاقا من يعقوب المريني إلى أبي سعيد[3]، ولم يقتصر هذا الاهتمام بالكتب والخزائن على الملوك والسلاطين فحسب بل تعدى ذلك إلى العلماء والأفراد على السواء، فهذا عبد المهيمن الحضرمي مثلا كانت خزانته تزيد عن ثلاثة آلاف سفر في مختلف العلوم[4]، وابن رشيد وأبو عبد الله محمد العبدري جعلا من أهداف رحلتيهما جلب الكتب والتآليف المفيدة من كل البقاع التي زاراها، بل إن أبن رشيد عرج على الإسكندرية في رجوعه من رحلته لهذا الغرض بالذات حيث يقول:« ولم يكن توجهي للإسكندرية عازما على التغريب، ولكن لأخذ كتب كنت أودعتها هناك ونيتي العودة إلى مصر لرسم القراءة»[5]. كما أخذ العبدري من أبي أبي زيد عبد الرحمن الدباغ بالقيروان أكثر من عشرة أجزاء من الكتب والفوائد والفهارس[6].

---

[1]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 363.

[2]- علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991، ص 76؛ السلاوي، الاستقصاء، ج 4، ص 90.

[3]- الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص 29.

[4]- ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص 20.

[5]- الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ج 1، ص 92؛ السعيد بنفرحي، أثر النزعة الفقهية في الشعر المريني، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش، 1994، ص 50.

[6]- الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ج 1، ص 67.

وبصفة عامة عمل السلاطين المرينيون على توفير الكتاب وإيصاله إلى طالب العلم في الحل والترحال، فاستنادا إلى ما ذكره ابن الحاج النميري في" فيض العباب" فإن موكب أبي عنان وهو متوجه إلى إفريقية لم يكن يحرض على حمل الأسلحة فحسب بل كان يضم مكتبة متنقلة فيها كل أصناف الكتب يعود إليها السلطان ومن معه من العلماء والشعراء والأدباء[1].

وقد جاء على لسان يوسف الحزام الذي نقله لنا ابن فرحون في" الديباج" من خلال ترجمة ابن عربي المعافري:« رأيت تأليف القاضي أبي بكر بن العربي في تفسير القرآن المسمى" أنوار الفجر"[2] كاملا في خزانة السلطان الملك العادل أمير المسلمين أبي عنان، فارس ابن السلطان أمير المسلمين أبي الحسن... وكان السلطان آنذاك بمدينة مراكش وكانت له خزانة كتب يحملها معه في الأسفار، وكنت أخدمه مع جماعة في حزم الكتب ورفعها فعددت أسفار هذا الكتاب فبلغت عدتها ثمانين مجلدا، ولم ينقص من الكتاب المذكور شيء»[3]. ومن ثمة فأبو عنان كان يتوفر على خزانة كبيرة تضم تراثا عجيبا إحداها في القصر الملكي بفاس وأخرى متنقلة يحملها معه في رحلاته[4].

وقد سار على هذا النحو معظم سلاطين بني مرين الذين كانوا يأمرون كتاب القصر أن يؤلفوا كتبا خاصة بمكتباتهم[5]، فقد أهدى مؤلف الذخيرة السنية مخطوطه إلى الخليفة يعقوب أبي

---

[1]- الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ج 1، ص 30؛ أحمد شوقي بنين، تاريخ خزائن الكتب بالمغرب، ترجمة مصطفى طوبي، ط 1، المطبعة والوراقة الوطنية بمراكش، نشر الخزانة الحسنية، مراكش، 2003، ص 88، 89.

[2]- هو تفسير للقرآن الكريم يوجد في ثمانين ألف ورقة فكان يتوجب على ابن العربي قضاء عشرين عاما من العمل من أجل تحريره.

[3]- ابن فرحون، الديباج ، ج 2، ، ص 255.

[4]- أحمد شوقي بنبين، المرجع السابق، ص 88.

[5]- كان يطيب للسلاطين تكليف العلماء والأدباء كتابة الرسائل والمؤلفات بشأن مواضيع مختلفة وكانت النسخ الأولى توجه إلى خزانة الملك، وعلى هذا الأساس كلف السلطان أبو سليم المريني كاتبه الخاص أبو القاسم ابن رضوان بتأليف كتاب عن سياسة الملوك، فما كان على هذا الأخير إلا أن قدم له مطلبه المتمثل في " الشهب اللامعة في سماع السياسة الجامعة"، وتضاف إلى ذلك مخطوطات أخرى أنجزت برسم هذه المكتبة على عهد نفس السلطان أبي سليم كـ: " عمل من طب لمن=

يوسف والذي كان قد أمره بتأليفه ومازالت توجد مخطوطات عديدة تحمل إهداءات مكتوبة إلى السلاطين محفوظة إلى حد الآن إما في المغرب أو خارجه[1]، وعلاوة على هذه الكتب ضمت مكتبة المرينيين الملكية كتبا وردت إليها عن طريق التبادل في الكتب الذي أقامه الخلفاء مع ملوك الأقطار الإسلامية الأخرى، فها هو صاحب الاستقصاء يخبرنا أن أبا الحسن المريني كان يتبادل الكتب مع الناصر محمد قلاوون من مصر[2]. ومن أشهر الخزائن المرينية: خزانة مدرسة الصفارين السالفة الذكر، وخزانات مدارس مكناسة الثلاث[3]، وخزانة مدرسة علي الشاري[4] التي أسست في العهد الموحدي وظلت قائمة إلى قريب من عهد سقوط سبتة، وخزانة الجامع الأعظم[5]، وخزانة مسجد السوق الأكبر[6]، وخزانة كتب القرويين العلمية، وخزانة المصاحف القرآنية وتفاسيرها كتفاسير ابن عطية والثعالبي، وكتب الحديث وشروحها كالتهذيب والاستذكار[7]، كما وجدت في سبتة أيام أبي سعيد المريني خزانة علمية هامة مليئة بالكتب والمصنفات[8].

=حب" لابن الخطيب، وفي نفس السياق أيضا أحضر السلطان أبو عنان كاتبه ابن جوزي وكلفه بكتابة رحلة ابن بطوطة. ينظر في ذلك: محمد بن شقرون، الحركة الفكرية على العهد المريني، ص 46، 47.

[1]- نجد بعض الأجزاء من القرآن إضافة إلى نسخة شمائل الترمذي إهداءات باسم السلطان أبي سعيد المريني محفوظة أولاهما بالخزانة العامة بالرباط وثانيهما بالخزانة الوطنية في تونس، كما أنجزت مخطوطات أخرى على عهد أبي فارس مثل" السلسل العذب" للحضري، و" الدوحة المشتبكة" للمديوني، و" تخريج الدلالات السمعية" للخزعي، وغيرها. ينظر في ذلك: محمد المنوني، ورقات، ص 10؛ أحمد شوقي بنبين، المرجع السابق، ص 89.

[2]- السلاوي، الاستقصاء، ج 3، ص 127.

[3]- ابن غازي، الروض الهتون، ص 70.

[4]- زار هذه المكتبة أبو يعقوب يوسف الأعصاوي المتوفي سنة 802 هـ ومكث بها ثمانية أعوام. ينظر: محمد المنوني، حضارة الموحدين، ط 1، دار توبقال، 1989، ص 186.

[5]- السعيد بنفرحي، المرجع السابق، ص 50.

[6]- السلاوي، الاستقصاء، ج 4، ص 90.

[7]- علي الجزنائي، جنى زهرة الآس، ص 76؛ عبد الحق المريني، العلوم العربية بين أخذ ورد، مجلة البحث العلمي، العدد 13، 1968، ص 114.

[8]- محمد بن قاسم الأنصاري، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط 2، الرباط، 1983، ص 29، 30.

3- جلب العلماء وإقامة المجالس العلمية وإجراء الأرزاق عليهم: شجع سلاطين بني مرين الحركة العلمية والفكرية بإشرافهم المباشر على جلب كبار العلماء ومتابعة سير الدروس، وتدخلهم لتوجيهها، وانتقاء الأساتذة للقيام بهذه المهمة، وإذ كنا لا نجد في الكتب المتوفرة لدينا تفاصيل هذه الدروس التي أشرف عليها السلاطين المرينيون وانتقائهم كبار العلماء لإلقائها، لنعرف طبيعة المسائل المختلفة التي تم طرحها وتداولها أو التي كانت تشغلهم، فإنه يكفي أن نعرف أن المجلس المريني كان يضم أمثال: مالك بن المرحل، وعبد العزيز الملزوزي، وابن بطوطة، وابن خلدون، وابن الأحمر، وابن الخطيب، ومحمد الزواوي، وابن مرزوق...، لندرك المسائل المتنوعة التي كانت تطرح في هذا المجلس ومحتوى النقاش والمذاكرة والجدال تبعا لتنوع ميادين هؤلاء واهتماماتهم. ولعل أهم المجالس العلمية المرينية التي احتفظت لنا كتب التاريخ ببعض من أخبارها لا تتعدى خمسة وهي:

أ – مجلس السلطان يعقوب عبد الحق: هو أول من عقد مجلسا تقرأ فيه بين يديه بعد صلاة الصبح كتب السيرة والقصص وفتوح الشام[1]. ويذكر صاحب القرطاس في علاقة السلطان بالفقهاء أنهم كانوا يبيتون عنده في كل ليلة من رمضان" فيذاكرهم في فنون العلم"[2]، وكان الفقيه عبد الرحمن الفاسي المعروف بالغرابلي" قارئه الخاص"[3].

ب – مجلس الأمير عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق[4]: وهو مجلس علم وفقه وشعر ضم: الفقيه القاضي الزكي يوسف بن حكم، والفقيه القاضي الأديب علي بن محمد المغيلي، والفقيه الأديب مالك بن المرحل صاحب الأمداح المتعددة في صاحب المجلس نذكر منها قصيدته التي هنأه فيها بفتح مراكش قائلا:

---

[1]- أحمد بوزيدي، العلماء والسلطة والمجتمع بالمغرب المريني، رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهراز، فاس، 2007، 2008، ص 67.

[2]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 363.

[3]- أحمد بوزيدي، المرجع السابق، ص 97.

[4]- الذخيرة السنية، ص 123.

فتح تبسمت الأكوان عنه، فما ✧ رأيت أملح منه مبسما وفما[1]

من سنة الله أن يحيي خليقته ✧ على يديك وأن يكفيهم النقما

وأن يقيم بك الإسلام من أود ✧ وأن يديم بك الإحسان والنعما

وأن يقر عيون المسلمين، وأن ✧ يشفي الصدور وأن يبري بك السقما

بشراك يا ملك الدنيا وحافظها ✧ فأنت أفضل من آوى ومن رحما

والفقيه المؤرخ الشاعر عبد العزيز الملزوزي له هو الآخر عدة قصائد في الأمير عبد الواحد منها تلك التراثية التي جمع فيها بين مدح الأمير وتحريضه على غزو يغمراسن بن زيان يقول فيها:

أرى كل جبار بسيفك يصغر ✧ وكل مليك عن فعالك يقصر[2]

وفي مدحه للأمير يقول:

أبو مالك ليث الحروب وغيثها ✧ وبدر إذا ما الحرب بالنقع فاحم[3]

إلى أن يقول:

أبا مالك لا زلت للملك مالكا ✧ لك السعد بيت والسيوف تمائم

فما المجد إلا حيث أنت و من يرد ✧ سواك لمجد أو علا فهو آثم

فطوبى لمن واليت يا قمر العلا ✧ وويل لمن حاربته أن دايم

ج – مجلس السلطان أبو سعيد عثمان: كان من أهل العلم[4] من أساتذته الإمام أبو الحسن الصغير[5]، وخرج له أبو القاسم التجنبي السبتي أربعين حديثا في فضل الجهاد والحث عليه، ويذكر ابن مرزوق أن مجلسه كان يضم أعلاما كثر أمثال: القاضي محمد بن علي المليلي، والرحالة المحدث

[1]- الذخيرة السنية، ص 119.

[2]- نفسه، ص 126.

[3]- نفسه، ص 133.

[4]- محمد المنوني، ورقات ، ص 194.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 246.

ابن رشيد السبتي، والمحدث الأديب عبد المهيمن الحضرمي، والفقيه محمد ابن أبي مدين، والفقيه عيسى بن حرزوز المكناسي، والخطيب عبد الرحمن ابن مسونة[1].

د – مجلس السلطان أبي الحسن المريني[2]: وقد ضم هذا المجلس جهابذة الفكر أمثال: محمد بن علي بن سليمان السطي 749 هـ والذي كان يعتبر خزانة مذهب مالك، فهو المدرس والمفتي والخطيب في هذا المجلس[3]، والفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد الزواوي شيخ القراء بالمغرب حيث كان يصلي بالسلطان التراويح ويقرأ عليه بعض الأحيان حزبه[4]، والكاتب الطبيب أبو العباس أحمد بن شعيب الجزنائي، والفقيه الحافظ النحوي المفتي أبو عبد الله الرندي، والعالم الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى أبي بكر التسولي التازي، والفقيه الإمام القاضي الخطيب أبو عبد الله محمد بن ولي الله أبي الحسن علي بن عبد الرزاق الجزولي[5] وغيرهم. ولم يكن السلطان أبو الحسن يعقد مجلسه في السلم فقط بل نجده لا يستغني عنه حتى في أوقات الحرب، فقد ذكرنا سابقا أنه في حركته إلى إفريقية اصطحب معه عددا كبيرا من العلماء والفقهاء[6]، وقد كان أبو الحسن كما وصفه مؤرخه ابن مرزوق:« أبر الناس بأهل العلم وأعرفهم بقدرهم استخلصهم لنفسه وجمعهم من سائر بلاده في حضرته، إذا سمع بمن له رسوخ قدم في العلم أقدمه على حضرته وجعله من خواص أهل مجلسه، وأجرى عليهم الجرايات التي تكفيهم حضرا وسفرا»[7].

وفي هذا السياق يذكر ابن مرزوق أنه من الأعمال اليومية للسلطان أبي الحسن قراءة القرآن ونسخه ومدارسة مجموعة من الكتب منها السير والحديث والسياسة والتصوف، كما يذكر أنه أدرك بين يديه مجموعة من العلماء هم: أبي عبد الله الرندي، وأبي زيد وأبي موسى ابني الإمام،

---

[1]- محمد المنوني، ورقات ، ص 194، 195.

[2]- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 228.

[3]- درة الحجال، ج 2، ص 134، 135.

[4]- ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 526.

[5]- ابن مرزوق، المسند، ص 262، 263.

[6]- ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص 45.

[7]- ابن مرزوق، المسند، ص 260.

وأبي عبد الله السطي، وأبي عبد الله بن عبد الرزاق، وأبي عبد الله الآبلي، وأبي عبد الله بن الصباغ المكناسي، وأبي عبد الله بن الحفيد السلاوي، وأبي عبد الله بن عبد السلام، وأبي عبد الله بن هارون، وأبي محمد الآجمي، وأبي علي بن عبد الرفيع[1].

هـ – مجلس أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن: وقد ضم هذا المجلس هو الآخر كبار العلماء أمثال: عبد الرحمن بن خلدون، وأبي البركات محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحاج البلفيقي الذي يقول عنه ابن خلدون:« لقيته– أي أبو البركات– سنة 762 هـ استقدمه السلطان أبو سالم للأخذ عنه وكنت أنا القارئ فيما يأخذه عنه، فقرأت عليه صدرا من كتاب الموطأ»[2].

و– مجلس السلطان أبي عنان: مجلسه من أعظم المجالس العلمية والأدبية في عصره، لحرصه الشديد على أن يضم هذا المجلس أشهر الشخصيات الثقافية من فحول الشعراء وفطاحل العلماء وأنبغ الأدباء وسائر المثقفين المرموقين ذوي الصيت البعيد والإشعاع القوي سواء في المغرب الأقصى أو من خارجه خاصة من الأندلس، ولعل شغف أبي عنان بالعلوم بشتى أنواعها جعله يستقطب أشهر الكتاب والعلماء من ذوي الثقافة العالية أمثال: أبو القاسم بن يوسف بن رضوان صاحب القلم الأعلى، وأبو الفضل القاسم بن رضوان، وأبو الحسن علي الخزاعي، وأبو الحسن علي بن أبي مدين شعيب العثماني الشهير، وأبو الحسن علي بن محمد الصباغ العقيلي القاضي، والكاتب الشهير محمد بن ابن جزي الكلبي مدون رحلة ابن بطوطة، وأبو العباس أحمد بن عبد المنان، والعلامة المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون[3]. كما ضم مجلسه مشيخة العلم ممن كان يأخذ عنهم مختلف العلوم أمثال: شيخ التعاليم والحكمة والمعقول محمد بن إبراهيم التلمساني الآبلي[4]، والمحدث والمحدث المقرئ أبي عبد الله بن عبد الرزاق[5]، وشيخ القراءات بالمغرب أبو عبد الله محمد بن

---

[1]– ابن مرزوق، المسند، ص 138، 139.

[2]– ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 686.

[3]– ابن الحاج النميري، فيض العباب، ص 131.

[4]– ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 304.

[5]– عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 7، ص 538.

الصفار المراكشي الذي أخذ عنه علوم القرآن حيث يذكر ابن خلدون أنه:« سمع على أبي عبد الله محمد بن الصفار المراكشي شيخ القراءات بالمغرب بعض الموطأ بمجلس السلطان أبي عنان وهو يسمعه إياه»[1].

وغير هؤلاء من الأعلام الكبار أمثال: ابن بطوطة، وابن مرزوق الخطيب، والفقيه أبو عمرو[2] الذي أخذ عنه القرآن، والشيخ الصرصري[3]، ويذكر صاحب فيض العباب الموكب العلمي الذي صحب أبا عنان أثناء حملته إلى إفريقية وهو موكب شبيه بموكب أبيه. وما ميز أبا عنان هو ذلك المجلس الذي كان يخصصه طيلة شهر رمضان من كل سنة لمناقشة علماء عصره في المسائل الدينية والدنيوية حتى الجزء الأخير من الليل[4].

وتذكر المصادر التي أرخت للمرينيين حرصهم على تقريب العلماء من مجالسهم، وتعظيمهم والتواضع بين أيديهم، وإجراء الأرزاق عليهم، بل إنهم كانوا أول المستفيدين من إحسانهم[5]. فقد أجروا عليهم الأوقاف والجريات وجعلوا المرتبات للأطباء والمهندسين والكتاب والفقهاء والشعراء وغيرهم كل على قدر مرتبته، كما وفروا لهم ضروريات العيش من مسكن وملبس ومصاريف حيث يذكر الحسن الوزان:« كان طالب العلم في الزمن الماضي- أي المريني- معفى من مصاريفه ولباسه مدة سبع سنوات»[6].

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 7، ص 689.

[2]- ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص 131.

[3]- لأبي عنان قصته مع الصرصري تدل على تمكن أبي عنان الذي جعله يعمل على تصحيح الأخطاء وإذكاء روح المنافسة بين العلماء والمثقفين لدفعهم إلى مزيد من البحث وإعمال النظر .ينظر: أزهار الرياض ، ج3، ص 27، 28.

[4]- السعيد بنفرحي، المرجع السابق، ص 53.

[5]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 364.

[6]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 179.

ولعل اهتمام سلاطين بني مرين بالعلم والعلماء وتهيئة كل الظروف والوسائل لهم كان يخفي وراءه حسب بعض المؤرخين رغبة المرينيين في إضفاء الشرعية التي كانت تنقصهم وإلغاء نظرة الغزاة الطامعين من نفوس المغاربة[1].

4- اقتراح تدوين الكتب: ومن الجوانب التي يبدو فيها تشجيع الحركة العلمية والفكرية في المغرب المريني اقتراح تدوين الكتب، فهذا أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق يأمر صاحب الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية بتأليف مؤلفه[2]، وأبو عنان كان قد أمر ابن بطوطة بإملاء رحلته على ابن جزي، وهذا أبو سالم إبراهيم ت 762 هـ يحث الكاتب أبا القاسم ابن رضوان على تأليف "الشهب اللامعة في سماع السياسة الجامعة"[3]، وهذا أبو فارس عبد العزيز ت 744 هـ يطلب من الشريف التلمساني القيام بشرح جمل الخونجي[4]، وهذا الأخير ينظم أرجوزة في الطب ويقدمها لأبي سعيد عثمان ت731 هـ، ويقدم ابن الأحمر هو الآخر كتابه" روضة النسرين" لأبي سعيد عثمان قائلا:« طرزته باسم هذا السلطان المطاع»[5]، ويؤلف لسان الدين بن الخطيب كتابه" عمل من طب لمن حب"[6] ويقدمه لأبي سالم ابن أبي الحسن ت762 هـ، ويقدم ابن الأحمر كتابه" النفحة النسرينية" لأبي العباس أحمد في دولته الثانية(789- 796 هـ)، ويهدي كتابه" مستودع العلامة ومستبدع العلامة" للفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى أبو زكرياء يحي بن أبي علي الحسن بن أبي دلامة كاتب أبي العباس أحمد في دولته الأخيرة، وصنف علي بن محمد الخزاعي ت799 هـ

---

[1]- للمزيد من التفاصيل عن علاقة العلماء بالسلطة المرينية ينظر: أحمد بوزيدي، المرجع السابق، ص ص 90- 151.

[2]- أحمد شوقي بنبين، المرجع السابق، ص 89.

[3]- للإطلاع على هذا المؤلف ينظر محمد المنوني، ورقات، ص 113 وما بعدها؛ محمد بن شقرون، الحركة الفكرية على عهد المرينيين، ص 46، 47.

[4]- محمد بن تامازو المتوفي سنة 646 هـ.

[5]- ابن الأحمر، روضة النسرين ، ص 44.

[6]- المخطوط الأصلي بخط مؤلفه محفوظ إلى يومنا في خزانة القرويين، وتوجد نسخة أخرى محفوظة في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم (3477/ 1)، ونسخة أخرى بالخزانة الوطنية بمدريد. ينظر في ذلك: محمد المنوني، الخزانة الملكية، مجلة الإعلامي، العدد 2، 1981.

كتاب" تخريج الدلالات السمعية على من كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية"[1] للسلطان المتوكل على الله.

5- تشجيع الرحلة العلمية: ساعدت البيئة الفكرية الجديدة والتي كانت مفتوحة على الشرق والأندلس[2] معا على تشجيع العلماء وطلبة العلم على الارتحال نحو المغرب، إما للدراسة والأخذ عن علمائه أو للتدريس أو للإجازة العلمية على يد العلماء الذين كانت تعج بهم فاس.

ونتيجة للأمن والاستقرار الذي عم المغرب لفترة حكم معين فقد نشطت الرحلة من المغرب أيضا إلى كل من الأندلس والمشرق، فيعود بعدها الرحالة وقد اكتسبوا منهجا جديدا وعلوم جديدة تكن إضافة للفكر المغربي[3]، فازدهرت الحياة الثقافية وتلونت بشتى ألوان وصنوف العلوم المغربية والمشرقية والأندلسية.

2/ المؤسسات الثقافية والمعاهد التعليمية المرينية:

تعددت معاهد التعليم في العصر المريني وتنوعت ما بين كتاتيب قرآنية ومساجد وجوامع ومدارس وزوايا ،كان لكل واحدة منها منهاج متقارب إن لم نقل موحد، فهي لم تكن تختار ما تشاء من التعليم أو تترك ما تشاء وإنما كانت تلتزم به كاتجاه وفلسفة وسياسة كذلك[4]، فالمدارس التعليمية" مؤسسات ملتصقة بمرحلة دينية سياسية معينة واختيار رسمي معين"[5].

---

[1]- الزركلي، الأعلام، ج 5، ص 6، وللتعرف أكثر على هذا المؤلف ينظر: محمد المنوني، ورقات، ص 121 وما بعدها.

[2]- بعد طرد الكثير من مسلمي الأندلس توافدوا على المغرب الأقصى وكان منهم العلماء والفقهاء والحرفيون الذين فروا بفنهم وعلمهم وثقافتهم إحتماءا بجو الاستقرار الذي عرفه المغرب في عهد بني مرين. ينظر في ذلك: عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج 3، ص 274.

[3]- الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص 31

[4]- محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط(قضية المدارس المرينية ملاحظات وتأملات، ط 1) دار توبقال للنشر، 1987، ص 66.

[5]- نفسه، ص 78.

فالمرينيون ترجموا سياستهم بإقامة مؤسسات سنية وبذلك عملوا على نشر تعاليم المذهب المالكي، ولذلك عمد سلاطينهم إلى تشييد العديد من المؤسسات التعليمية والمعاهد وتمويلها بانتظام ومن أهم هذه المؤسسات نذكر:

أ– الكتاتيب القرآنية: نادرة هي المصادر التي تتعرض لأحداث تاريخية متعلقة بالكتاتيب حيث أن الموجود منها لا يعطي إلا إشارات عرضية متفرقة لا تسمح برصد تطور هذه المؤسسة والتغييرات التي شهدتها بالمغرب في العصر الوسيط عموما.

والكتاب هو الاسم الذي يطلق في أغلب المصادر على مكان تعليم الصبيان وبعضها يستعمل" المسيد"[1] وهو أول مؤسسة تعليمية يقبل عليها التلميذ أو الطفل تختص بتحفيظ القرآن وتجويده إضافة إلى تعليم الخط والحساب ومبادئ النحو واللغة العربية حيث يقول محمد بن سحنون:« ... وينبغي له أن يعلمهم إعراب القرآن وذلك لازم له والشكل والهجاء، والخط الحسن، والقراءة الحسنة، والتوقيت والترتيل يلزمه ذلك، وأن يعلمه الشعر مما لا يكون فيه فحش من كلام العرب، وأخبارها وليس ذلك بواجب عليه»[2].

وعموما فالكتاب هو ملحق بالمسجد والجامع باعتباره مؤسسة تعليمية تربوية، وقد اعتبرناه من الملاحق لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من نهي المسلمين إدخال الصبيان والمجانين المساجد، لهذا نجد أن المكتبيين غالبا ما يعلمون أولاد المسلمين في دكاكين تعرف في المغرب المريني" بالمسيد"– وهي تحريف لكلمة المسجد– وغالبا ما تكون هذه الدكاكين على زقاق أو

[1]– الحسن إسكان، جوانب من تاريخ التعليم في المغرب الوسيط من القرن 7 هـ/ 13 م إلى القرن 9 هـ/ 15 م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1987، 1988، ص 85.

[2]– الجزنائي، جنى زهرة الآس ، ص 82.

شارع يمكن المارة من رؤية ما يجري داخل الكتاب، ويشترط في المعلم أن يكون ذو مروءة وحسن خلق وسلوك ومحل ثقة الآباء[1].

وقد تولى تنظيم هذه المهنة كتب الحسبة حيث خصها كثير من الفقهاء بالتأليف إما ضمن كتب الفقه أو بإفراد كتاب خاص بها ككتاب" آداب المعلمين لمحمد ابن سحنون"[2]، واشترطت هذه التآليف المنظمة لهذه الحرفة شروط لا بد أن تتوفر في طبيعة المكان المخصص للتعليم(المسيد) والمكتب أو المعلم، وأخرى خاصة بالدراسة من حيث سن الالتحاق وسن المغادرة وتنظيم العلاقات داخل المسيد.

فمما جاء من الأحاديث في تأديب وتعليم الصبيان« شرار أمتي معلمو صبيانهم أقلهم رحمة لليتيم وأغلظهم على المسكين» وقال أيضا:« لا يضرب أحدكم أكثر من عشرة أسواط إلا في حد»[3] لذلك فإذا كان الشارع قد أباح للمعلم أو المكتب أن يربي سواء بالقول أو بالعمل باعتباره قدوة أو الضرب إن اقتضى الحال فإن هذا الأخير كان مقننا حتى لا يفرط في استعماله وألا يتجاوز حدود الشرع والأخلاق الإسلامية[4].

ويصف الحسن الوزان الكتاتيب في فاس بداية القرن 10 هـ/ 16 م بقوله:« توجد قرابة مائتي مدرسة (كتاب) للأطفال الراغبين في تعلم القراءة، في كل مدرسة قاعة كبيرة بمدرجات تستعمل كمقاعد للأطفال، ولا يعلم المعلم القراءة والكتابة في كتاب بل في ألواح كبيرة يكتب عليها التلاميذ، و درس كل يوم عبارة عن آية من القرآن الكريم، فيختمون القرآن في سنتين أو ثلاث، ثم يستأنفون ذلك عدة مرات إلى أن يحدقه الطفل جميعا ويحفظه عن ظهر قلب، ويحصل

[1]- إبراهيم نوار، التعليم والمعرفة والكتاب، دراسة تاريخية مقارنة للمغرب المريني وإفريقية الحفصية إلى منتصف القرن 8 هـ/ 14 م، رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط أكدال، 2002، 2003، ص 28.

[2]- محمد سحنون، كتاب آداب المعلمين، تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ب ت.

[3]- إبراهيم نوار، المرجع السابق، ص 29.

[4]- الونشريسي، المعيار، ج 2، ص 276، ج 8، ص 245، 250، 257.

ذلك بعد سبع سنوات على أبعد تقدير، وبعد ذلك يقوم المعلم بتعليم الأطفال شيئا من قواعد الكتابة ولو أن هذه المادة مثل النحو وسائر العلوم تدرس في مدارس كبرى»[1].

والكتاب مؤسسة مؤدى عنها إما من قبل والد الطفل أو أحباس إن وجدت أو الجماعة المتعاقدة مع المكتب، ولا يقتصر في وجوده على الحواضر بل في البوادي كذلك، وله أوقاف من المحسنين[2]، وكثيرا ما اضطر المخزن المريني إلى مساعدة المعلمين ماديا بالهبات كما فعل أبو عنان في منتصف القرن الثامن الهجري[3] حيث بدأ المحسنون يبنون مكاتب للصبيان ويحسبون عليها الأوقاف حتى في المدن الكبرى، فعندما بنى أبو عنان المريني مدرسة المتوكلية ألحق بها كتابا للصبيان، وكذلك فعل أبو عبد الله الطريفي الحاجب المريني سنة ت818 هـ عندما بنى مسجد لالا غريبة وألحق به مكتبا لتعليم الصبيان[4].

ب– المساجد: تطور المسجد من بيت بسيط إلى مؤسسة دينية متعددة المهام، وتعددت ملاحقه، ونظرا لارتباطه بالحياة اليومية للجماعة المسلمة فقد عرف انتشارا في جميع أرجاء العالم الإسلامي فلا يخلو عمران إسلامي منه، والمسجد من الناحية الوظيفية نوعان هما: المسجد والمسجد الجامع. والثاني يختص دون الأول بإقامة صلاة الجمعة، وقد كانت المساجد الجوامع قليلة داخل المدينة الإسلامية قبل القرن 8 هـ/ 14 م لكن بعده تعددت[5] وربما وقع تحول ابتداء من نهاية القرن 8 هـ/ 14 م في التسمية فسميت بعض المساجد بالجامع وهي عموما أضخم مساحة وأكثر شهرة وأبعد أثرا في مختلف ميادين الحياة من المساجد الأخرى[6]. وأغلب الجوامع كان من

---

[1]– الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 203.

[2]– المختار السوسي، مدارس سوس العتيقة نظام أساتذتها، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال، طنجة، ب ت، ص 12، 13.

[3]– ابن الحاج النميري، فيض العباب، ص 19.

[4]– الحسن إسكان، المرجع السابق، ص 89.

[5] -Sourdel (D) , Islam medival : p. u. f , 1979, p 199- 200.

[6]– محمد توفيق بلبع، المسجد في الإسلام، المختار من عالم المعرفة، العدد 1، الكويت، 1984، ص 229.

بناء كبار رجال الدولة[1] فقد انفرد بطريقة بنائه ومستوى معماره وزخرفته، وتحبيس الأوقاف عليه ليستمر في أداء مهامه، وتعيين القائمين عليه وتخصيصهم بأوقاف تشجعهم على الاهتمام به[2].

وقد لعب المسجد في الحياة اليومية أدوارا متعددة، فهو مكان يجتمع فيه المسلمون على الأقل خمس مرات في اليوم لأداء الصلوات، ومرة في الأسبوع لأداء صلاة الجمعة، وتقرأ على منابره الرسائل وتعيين القضاة والولاة، وعقود البيعات، ودعوات الإستنفار للجهاد، وأخبار الانتصارات[3].

وقد عرفت المساجد في العصر المريني نشاطا معرفيا متنوعا حيث درست بها مختلف أنواع المعارف والعلوم الشرعية واللغوية والأدبية، فقد كانت تعقد فيه المجالس التعليمية، ومن على كراسيه تلقى الدروس على الطلبة، ويجتمع العامة للاستماع لحلقات الوعظ والإرشاد الديني التي يتفضل بإلقائها كبار الشيوخ من الفقهاء. ومن المساجد التي أشارت كتب التراجم إلى قيامها بهذا الدور العلمي والديني في العصر المريني نذكر:

1- مسجد السوق الكبير[4]: الذي بناه الحاجب أبو محمد عبد الله الطريفي حاجب السلطان أبي سعيد الثاني بفاس الجديد وحبس عليه كتبا كثيرة.

2- **مسجد الصاغة:** الذي تحدث عنه عبد الرحمن الرجراجي في المدونة[5].

---

[1]- محمد المنوني، ورقات، ص 29، 39؛ عبد الهادي التازي، جامع القرويين، ص ص 69- 81.

[2]- الونشريسي، المعيار، ج 7، ص ص 139- 162.

[3]- لهذه الأهمية حرص بنو مرين على ترك المبادرة بين أيديهم فيما يتعلق بتعيين إمام وخطيب القرويين. ينظر في ذلك: عبد الهادي التازي، جامع القرويين، ص ص 69، 81؛ إبراهيم أنوار، المرجع السابق، ص 19.

[4]- السلاوي، الاستقصاء، ج 1، ص 90؛ محمد المنوني، ورقات ، ص 29.

[5]- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 101.

3- مسجد زنقة حجامة[1] قرب القرويين: توالى على دولة المدونة به أبو إسحاق الغماري وأبو القاسم بن محمد الغماري التازي(كان حيا سنة 720 هـ) إذ كان من احفظ أهل زمانه للمدونة وتحصيل مسائل المذهب.

4- مسجد زقاق الفضل: من أساتذته نذكر محمد بن محمد ابن بيبش العبدري الغرناطي 753 هـ/ 1351 م النحوي اللغوي الحافظ الراوية[2].

5- مسجد الكويشة: بداخل فاس بناحية أبي رووس، من أساتذته الحاج أبو عبد الله بن عبد الواحد[3].

6- مسجد رحبة الوزان: كان يقرئ به ابن قاسم النحوي[4] ومحمد العباسي والنحوي[5] والأستاذ محمد ابن عبيدة الأنصاري الإشبيلي[6] 706 هـ/ 1306 م شارح جمل أبي القاسم.

7- مسجد القاضي أبي الفضل عياض: كان لمحمد العباسي النحوي أحد شيوخ مؤلف بلغة الأمنية حلقه به[7].

8- مسجد مقبرة زجلو: من أساتذته محمد الزرعي الجدميري السبتي المؤرخ الحافظ وأحمد الشعار الذي كان يقوم في العربية على الجمل وألفية ابن مالك والجزولية ومقامات الحريري، كما كان يقوم بتفسير كتاب الله عز وجل والأحاديث النبوية الشريفة، تتلمذ على يده صاحب بلغة الأمنية. ومن أساتذة هذا المسجد أيضا ابن مدعينة ومحمد الطرطوري وعلي الأنجري الفقيه الذي اختص

---

[1]- جذوة الاقتباس ، ص 109 و درة الحجال، ج 3، ص 280.

[2]- مؤلف مجهول، بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1984، ص 35.

[3]- ابن القاضي، الجذوة، ص 543.

[4]- مؤلف مجهول، البلغة، ص 34.

[5]- نفس المصدر، ص 43.

[6]- نفسه، ص 34.

[7]- نفسه ، ص 43.

بتدريس الفروع، ومحمد بن محمد ابن السكاك العياضي[1] الذي كان يقرئ التفسير والأصول والفقه.

10- المسجد المحاذي لزقاق الفضل والمسجد الأعلى من زقاق ابن عيسى: كان محمد البطيني اللخمي[2] ت792 هـ/ 1390م يدرس بهما معا، وقد حظي البطيني بمكانة رفيعة لدرجة أن" الأمراء وذوي الأقدار كانوا يقصدونه بأولادهم"[3].

وبالمسجد الأعلى من زقاق ابن عيسى كان الشيخ ابن الحكم يحي بن منظور القيسي يعقد حلقته بإقراء الكافي لابن شريح، وقد قرأه عليه التجيبي بهذا المسجد" من أوله إلى آخره"[4]، ومن أساتذة هذا المسجد أحمد القباب الجذامي[5] ت778 هـ الذي كان يتكلم على موطأ مالك، مالك، وله شرح على قواعد عياض وآخر على بيرع ابن جماعة التونسي[6].

11- مسجد القفال: من أساتذته محمد المهنى[7] الشاعر النحوي المتوفي أواخر 800 هـ ومسعود الزواوي[8] 803 هـ النحوي الأصولي الذي كانت له مشاركة في الفقه وعلم الفرائض، ومحمد بن علي ابن هانئ اللخمي 733 هـ الذي كان" يرد ظهره إلى جدار القبلة من بعد صلاة الصبح ويمشي دولة إثر دولة في الفنون العلمية إلى أن تزول الشمس"[9]. ومنهم أيضا سعيد الصنهاجي

---

[1]- مؤلف مجهول، البلغة، ص 48.

[2]- نفسه، ص 12.

[3]- نفسه، ص 12.

[4]- برنامج التجنبي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، ليبيا تونس، 1981، ص 23.

[5]- نفسه ، ص 23.

[6]- ابن القاضي، الجذوة، ص 123.

[7]- مؤلف مجهول، البلغة، ص 10.

[8]- نفس المصدر، ص 40.

[9]- نفسه، ص 41.

الأنجري[1] 789 هـ الذي كان يدرس الفقه والحديث، ومحمد الأنجري[2] 803هـ الذي اختص بتدريس الفقه والحديث والعربية وأشعار العرب.

12- مسجد دار آمنة بنت السلطان أبي العباس المنتصر بالله أحمد المخلوع سنة 786 هـ: كان للحسن بن منديل المغيلي 864 هـ مجلس به، حيث يذكره الشيخ زروق فيقول:« حضرت مجلسه- أي ابن منديل- في تفسير سورة(والليل إذا يغشى) ولم أحفظ مما سمعته منه غير شيء يسير»[3].

13- مسجد زقاق الملال: من داخل سبتة كان يعقد به الشيخ أبو عبد الله محمد الكتامي[4] حلقته لتدريس كتاب" معرفة أنواع علم الحديث" لأبي عمرو عثمان بن محمد السرخاتي المعروف بابن الملاح، وقد سمعه عليه التجنبي جميعه كاملا مرتين، كما سمع عليه في حلقته المذكورة من صحيح البخاري " ثلاثياته عودا بعد بدء"[5] وأجازه جميعه، وكذلك كان الشيخ أبو عبد الله يعقد حلقة فقهية يدرس فيها كتابين اثنين هما: كتاب الزكاة وهو من جمع الفقيه الحافظ أبي بكر محمد بن الجد الفهري[6]، وكتاب النظر في أحكام النظر لابن القطان الفاسي سمعهما عليه التجيبي، حيث سمع الأول جميعه كاملا في مجلسين، وسمع الثاني جميعه كاملا في خمسة مجالس[7].

ويبدو من خلال الحلقات التعليمية السالفة الذكر أن هيئة التدريس بهذه المساجد قد ضمت صنوفا عديدة من العلماء، فمنهم رجال أعلام اشتهروا اشتهار الشمس في الظهيرة أمثال: الحسن ابن منديل المغيلي، وأبي عبد الله محمد الكتامي، ومحمد البطيني اللخمي، وأبي الحكم يحي بن منظور القيسي، وآخرون متوسطي الشهرة مثل الحاج أبي عبد الله بن عبد الواحد، وآخرون لا

---

[1]- مؤلف مجهول، البلغة، ص 23.

[2]- نفسه ، ص 39.

[3]- نفسه، ص 45.

[4]- ابن القاضي، الجذوة، ص 179.

[5]- برنامج التجنبي، ص 117.

[6]- نفس المصدر ، ص 58.

[7]- نفسه، ص 236.

شهرة لهم أمثال محمد الزرعي الجدميوي، وقد كان بعضهم يدرس بمسجدين أو أكثر أمثال: محمد البطيني اللخمي الذي كان يجلس بالمسجد المحاذي لزقاق الفضل وبالمسجد الأعلى من زقاق ابن عيسى، ومحمد العباسي النحوي الذي كان يقرئ بمسجد رحبة الوزان ومسجد القاضي عياض، وكان منهم أيضا من يجلس للإقراء بمسجد وجامع أمثال: سعيد الصنهاجي الأنجري الذي كان يدرس الفقه والحديث بمسجد القفال وبالجامع الأعظم إثر صلاة الجمعة، وكذا علي الأنجري الذي كان يدرس الفروع بمسجد مقبرة زجلو ومسجد زقاق الحرة وبجامع التبانين من الربض الأسفل. وتجدر بنا الإشارة إلى أن بعض هذه المساجد كانت لها خزائن كتب ملحقة بها كمسجد السوق الكبير الذي أوقف عليه عبد الله الطريفي كتبا كثيرة[1].

ويمكن لنا من خلال هذه الحلقات والدروس التعرف إلى أسماء العلوم المدرسة بها- من فقه وحديث وتفسير ولغة ونحو- وكذا أسماء الكتب التي كانت تدرس بها تلك العلوم: ككتاب النظر في أحكام النظر لابن القطان، وكتاب الزكاة لأبي بكر الفهري، والمدونة والكافي، وكتاب معرفة أنواع علم الحديث لابن الصلاح، وصحيح البخاري، ومقامات الحريري، وألفية ابن مالك، والجزولية، وكتاب سيبويه الذي حظي باهتمام المتأدبين لما يمكن به الإمساك بمفاصل العلوم البيانية كلها بما في ذلك الفقه[2] حسبما يقول الأستاذ محمد الجابري في كتاب بنية العقل العربي ويذكر أبو إسحاق الشاطبي أن الفقيه الجرمي قال:« أنا منذ ثلاثين سنة أفتي الناس من كتاب سيبويه»[3].

ويضاف إلى هذه المساجد كلها تلك المساجد التي أقامها سلاطين بني مرين خارج المغرب الأقصى وتحديدا في تلمسان الزيانية التي استولوا عليها مرات عديدة فشيدوا عليها منشآت علمية كثيرة تراوحت بين مساجد ومدارس ومن أهم المساجد المرينية في تلمسان نذكر:

[1]- السلاوي، الاستقصاء، ج 4، ص 90.

[2]- محمد الجابري، بنية العقل العربي، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، يناير، 1986، ص 40.

[3]- الموافقات للشاطبي، ج 4، ص 116، نقلا عن بنية العقل العربي، ص 40.

1- مسجد المنصورة: الذي أمر ببنائه حسبما يذكر ابن خلدون السلطان أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق وذلك سنة 702 هـ/ 1302 م أثناء الحصار الذي ضربه على تلمسان[1]، ويعد من أشهر المساجد في المغرب الأوسط بفضل مئذنته الشهيرة التي يبلغ ارتفاعها 38 م، وضع على رأسها تفافيح من ذهب[2]، وهناك لوحة أعلى مدخل هذه المئذنة منقوشة تشيرها بروسلار جاء فيها:« الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين أمر ببناء هذا الجامع المبارك أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين المرحوم أبو يعقوب بن عبد الحق رحمه الله»[3]. وقد كان لهذه المئذنة المبنية بحجر مغرف ذو نواة مركزية مكونة من غرف موضوعة بعضها فوق بعض تدور حول منحدر مثلما نراه في مآذن مسجدي الكتبية بمراكش وحسان بالرباط، وفي مسجد إشبيلية الموحدي، وقد اندثرت هذه الغرف ولكننا ما زلنا نشاهد آثار المنحدر[4]. ومن رواية ابن خلدون نستشف بأن تاريخ بناء المسجد ومئذنته كان في وقت واحد وقد بني هذا المسجد من الطوب المدكوك على مساحة تقدر بـــ5600 متر مربع وله 13 بابا[5].

2- مسجد سيدي أبي مدين بالعباد: شيده السلطان أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 739 هـ/ 1339 م[6] بقرية العباد[7]، و أعطاه اسم ضريح الولي الصالح أبي مدين شعيب بن الحسن[8] أحد متصوفي المغرب الإسلامي والأندلس المتوفي سنة 594 هـ. وقد

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 7، ص 458، 459؛ السلاوي، المصدر السابق، ج 3، ص 176.

[2]- السلاوي، المصدر السابق، ج 3، ص 80؛المالي، المرجع السابق، ج 2، ص 337؛صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 115، 116.

[3]- صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 115، 116.

[4]- رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج 3، ص 499.

[5]- صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 115، 116.

[6]- ويذكر إبراهيم حركات سنة 740 هـ/ 1339 م. المرجع السابق، ص 159.

[7]- بلحاج معروف، المجمع المعماري بالعباد، دراسة أثرية مقارنة، حوليه المؤرخ، ص ص 139- 159.

[8]- هو شعيب بن حسين الأنصاري الأندلسي، من حصن قطنيانة من أحواز إشبيلية، توفي سنة 594 هـ ودفن بتلمسان. ينظر في ذلك: التنسي، المصدر السابق، ص 145، 146؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 108، 114؛ يحي بن =

أشرف على بنائه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق عم ابن مرزوق الجد صاحب المسند.

وقد أعطى ابن مرزوق الخطيب وصفا دقيقا لهذا المسجد الذي قال عنه:« إنه اشتمل على الوضع الغريب وهو أن سقفه كلها أشكال منضبطة بخواتم وصناعات نجارة على جهة تخالف الجهة الأخرى في الوضع، قد رقمت على نحو ما يرقم عليه أشكال النجارة فلا يختلج في النفس شك ولا يعرض لها وهم أنها أشكال منجورة منقوشة، وهي كلها مبنية بالآجر والفضة، وإشتمل على المنبر العجيب الشكل المؤلف من الصندل والعاج والأينوس المذهب، وأما الباب الجوفي الذي يفتح على المدرج الذي ينزل فيه إلى قبر الشيخ وإلى الشارع وهو باب النحاس المشتمل على مصراعين كل مصراع منهما مصفح بالنحاس المختوم المنقوش بالخواتم المستوفاة المشتركة العمل وتخريمه على أشكال من نحاس ملونة، فهو من غريب ما يتحدث به السفار»[1].

3- مسجد سيدي الحلوي: تم تأسيس هذا المسجد بأمر من السلطان المريني أبو عنان فارس سنة 754 هـ/ 1353 م كما ينص على ذلك النقش التأسيسي الذي يعلو واجهة المدخل الرئيسي للمسجد والتي جاء فيها:« الحمد لله وحده، أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان أبو عنان فارس(ابن) مولانا السلطان أبي الحسن علي ابن مولانا السلطان أبي عثمان ابن مولانا أبي يوسف[2] يعقوب بن عبد الحق أيده الله ونصره عام أربع وخمسين وسبع مائة»، وقد شيده تخليدا لذكرى وفاة العالم الشهير والمتصوف المعروف الشيخ الولي أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي نزيل تلمسان المتوفي سنة 737 هـ/ 1337 م[3]. وهذا المسجد يكاد

=خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 126. وللإطلاع أكثر على هذه الشخصية ينظر: عبد الحليم محمود، شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله، دار المعارف، القاهرة، ب ت.

[1]- ابن مرزوق، المسند، ص 403، 404؛ عبد الحميد حاجيات، ابر حمو موسى، ص 64، 65.

[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج 1، ص 148.

[3]- عن شخصية سيدي الحلوي حياته ووفاته ينظر: يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج 1، ص 127، 128؛ ابن مريم، البستان، ص ص 68- 70.

يكون نسخة مطابقة لمسجد سيدي أبي مدين[1]، فله مثله بيت صلاة مكونة من خمس بلاطات عمودية على جدار المحراب، وصحن مربع ومئذنة موضوعة في الزاوية الشمالية الغربية ومدخل مزخرف، ولا يختلف عنه إلا في بعض العناصر المعمارية[2]، وقد وصفه ابن الحاج النميري كاتب السلطان أبي عنان فارس قائلا:« وكم أبقى(يقصد أبي عنان) بتلمسان من آثار حسان ومصانع يعجز عن وصفها كل لسان، كجامع الخطبة الأعظم الذي أمر باختطاطه في حضيض البيت الذي فيه ضريح الشيخ الصالح أبي عبد الله الشوذي المعروف بالحلوي رضي الله عنه وهو أجمل الجوامع قد أحكمت فيه أنواع الصنائع، وأبدع الاحتفال به ما شاء من البدائع...»[3].

ج- الجوامع: قامت الجوامع عبر التاريخ الإسلامي بدور كبير في نقل العلم وتلقينه، وكذا في الالتزام بوجهة فلسفية وسياسية معينة، فالجوامع الموحدية مثلا تختلف عن الجوامع المرينية من حيث المنهاج التعليمي المتبع فيها، فالأولى نجدها تسهر على إقرار منهاج قائم على تعليم كتابي المهدي الخاصين بالتومرتية: التوحيد بالبربرية والمرشدة بالعربية، إضافة إلى مجموع أحاديث الجهاد اليوسفي، ومجموع أحاديث الصلاة، في حين الجوامع المرينية تلتزم منهاجا مذهبيا عقائديا جديدا يرتبط بانبعاث الحركة السنية بالشرق الإسلامي على حساب كل فرق التيار الشعبي وفصائله، وبالتالي هي تهدف إلى إقرار المذهب المالكي ومبادئه[4]. ومن الجوامع المرينية التي عرفت نهضة علمية وتعليمية آنذاك نذكر:

[1]- العربي لقريز، المرجع السابق، ص 31.

[2]- رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان، ص 181؛بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج 3، ص 503.

[3]- ابن الحاج النميري، فيض العباب، ص 488 ؛ عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص 237.

[4]- السعيد بنفرحي، المرجع السابق، ص 40.

1- الجامع الكبير بوجدة: بناه السلطان أبو يعقوب يوسف عندما أمر بتجديد بناء مدينة وجدة وحصن أسوارها واتخذ بها قصبته ودارا لسكناه ومسجدا وحماما[1]، وكانت صومعته ملتصقة بالزاوية الغربية لبيت الصلاة[2].

2- تجديد الجامع الكبير بتازا: أسسه الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي 1152- 1163 م[3] وقام بتوسيعه السلطان المريني يوسف بن يعقوب بن عبد الحق سنة 690 هـ/ 1291 م[4] وإصلاحه، حيث صنع له ثرية كبيرة من النحاس تزن 32 قنطارا وعدد مصابيحها 14 مصباحا[5]، كما بنى صومعة له بعد إضافة الزيادة بالواجهة الجنوبية الغربية والواجهة الشمالية الشرقية في ربيع الأول سنة 690 هـ/ 1291 م[6]، وقد تميز هذا المسجد بدقة الأشكال وتشعب الرسوم وتداخل التسطيرات والتوزيعات والزليجات[7].

وقد خضع هذا المسجد على عهد أبي عنان إلى الترميم حتى بات من أجمل المساجد في شمال المغرب بعد القرويين بفاس[8]، خاصة وأن هذا الجامع كان أهم مركز للمجالس العلمية المرينية المرينية حيث يذكر ابن بطوطة في كتابه" تحفة النظار" عند حديثه عن أبي عنان:«... وأما اشتغاله بالعلم فها هو أيده الله تعالى يعقد مجالس العلم في كل يوم بعد صلاة الصبح، ويحضر لذلك

---

[1]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 375؛ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 220؛ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص16.

[2]- إسماعيل عثمان، حفائر شالة الإسلامية، دار الثقافة، بيروت، 1978، ص 349.

[3]- صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 101.

[4]- السلاوي، المصدر السابق، ج 3، ص 75، 76.

[5]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 409.

[6]- إسماعيل عثمان، حفائر شالة، ص ص 379- 381.

[7]- نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني(685- 706 هـ/ 1286- 1306 م)، دراسة سياسية حضارية، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الموصل العراق، 2004، ص 128.

[8]- صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 101.

أعلام الفقهاء ونجباء الطلبة بمسجد قصره الكريم، فيقرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وفروع مذهب مالك رضي الله عنه وكتب المتصوفة...»[1].

3- الجامع الكبير بفاس الجديد: نسب هذا الجامع إلى السلطان أبي يوسف يعقوب ، حيث أمر ببنائه سنة 677 هـ/ 1276 م[2] ،حيث صنع له منبرا رائعا وثريا تزن سبعة قناطير وخمسة عشر رطلا وعدد كؤوسها 187، وبنيت المقصورة سنة 779 هـ، ويتصل هذا الجامع بالقصر الملكي بواسطة باب يؤدي إلى بيت الصلاة، وقيل أن أبا يوسف أنفق في بناء هذا الجامع وصنع الثريا ثمانية آلاف دينارا ذهبيا[3]، وسار العمل فيه سريعا واكتمل وصلى الناس فيه في يناير 1279م، وهو مسجد مغربي أندلسي في هيئته، يتكون من بيت صلاة فسيح يحتل نصف مساحته، وصحن واسع يحتل النصف الثاني ولا تحيط بالصحن سوى مجنبة واحدة في كل ناحية، وفي مدخل بيت الصلاة من الصحن تقوم قبة صغيرة فوق البلاطة الأولى من الرواق الأوسط، أما المئذنة فتقوم في الركن الأيمن من الجدار المقابل لجدار القبلة أي الجدار الشمالي[4].

4- جامع الحمراء: أنشأ هذا الجامع السلطان الأحمر في عصر بني مرين في القرن 8 هـ/ 14 م، ولكن بعض الروايات تذكر بأن امرأة حمراء أتت من تافيلالت في عصر بني مرين كرست كل ثروتها لبناء هذا الجامع ولذلك سمي هذا الجامع باسم لالة الحمراء بفاس الجديد[5].

5- جامع الزهراء بفاس الجديد: شيد هذا الجامع السلطان أبو عنان أوائل رجب 759هـ/ 1357 م[6]، ولهذا المسجد مئذنة عبارة عن برج مربع التخطيط طول ضلعها 3.50 م، م، وارتفاعها من أرضية المسجد حتى قمة الشرفات 16.85 م مطموسة في جزئها الأسفل[7].

---

[1]- ابن بطوطة، الرحلة ،ج2 ، ص 183.

[2]- صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 102؛ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 159.

[3]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 159.

[4]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ج 2، ص 29.

[5]- محمد المنوني، ورقات، ص 29؛ صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 105.

[6]- محمد المنوني، ورقات، ص 29.

[7]- صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 105.

6- جامع الأندلس[1]: من المعلوم أن هذا الجامع من بناء مريم بنت محمد الفهري التي هاجرت من الشام إلى المغرب 245 هـ/ 859 م[2]، وقيل أن أصلهم من شيعة العلويين من بلاد العراق وقد نزلوا بناحية علوان بالمغرب[3]، وقد بني هذا المسجد الجامع في سنة 245 هـ/ 859 م أي في نفس نفس السنة التي وصلوا فيها إلى المغرب، واستمر هذا المسجد قائما إلى العهد المريني حيث تعهد السلطان يوسف المريني بتجديده وإصلاحه من مال الأوقاف، بعدما كانت قد أصابته أضرار من السيل الذي جرف عدوة الأندلس بفاس سنة 626 هـ/ 1226 م فأصبح هذا الجامع يضم كرسيا للونشريسي الذي اختص بدراسة الفقه المالكي[4] بعد إصلاحه سنة 695 هـ/ 1295 م من قبل أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم بن مسونة[5].

7- الجامع الأعظم بأنفا[6]: كان الفقيه النحوي أبو الحسن الرقاص يقرئ به حيث أخذ عنه به النميري.

8- الجامع الأعظم بطنجة: كان يجلس للإقراء به العالم المحدث أبو سعيد ابن فريحات الذي أخذ النميري عنه[7].

9- جامع الشرابلين بفاس: يرجع تاريخ هذا الجامع إلى العصر المريني وبالضبط في القرن 8 هـ/ 14 م، خضع لعملية الترميم على عهد السلطان مولاي سليمان 1792- 1823 م ولم يبق من هذا المسجد سوى المدخل الرئيسي والمئذنة اللذان احتفظا بمظهرهما القديم[8].

---

[1]- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 515.

[2]- عبد الهادي التازي، جامع القرويين، ج 2، ص 46.

[3]- السعيد لمليح، جوانب من الدور الفكرية لمتصوفة فاس في العصر المريني، مجلة دعوة الحق، العدد 322، السنة 37، أكتوبر 1996، الرباط، ص 29.

[4]- لوح محمد، مراكز التعليم في عهد بني مرين، مجلة دار الحديث الحسينية، العدد التاسع، المغرب، 1991، ص 448.

[5]- الجزنائي، المصدر السابق، ص 93.

[6]- السعيد بنفرحي، المرجع السابق، ص 40.

[7]- السعيد بنفرحي، المرجع السابق، ص 40.

[8]- صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 106.

10- الجامع الأعظم بسبتة: ولقد كان قاسم بن عمران الحضرمي المقرئ الراوية حامل صحيح البخاري عن الحجاز- وهو سند عال متصل السماع لا نظير له في المغرب- ناظرا في خزانته[1].

11-جامع باب السلسة بفاس: كان يوسف بن موسى بن أبي عيسى الغتاني يقرئ به[2].

12- جامع الأزرع بفاس: من مدرسيه الإمام أبو الحسن الصغير 719 هـ/ 1319م ويحضر عليه نحو مائة نفس، ومن الكتب التي درسها كتاب" تهذيب البرادعي في اختصار المدونة" حفظا وتفقها يشارك في شيء من أصول الفقه[3].

13- جامع البيضاء[4] وجامع الصفصاف أو مسجد العباسيين[5].

14- جامع أبي حسان بفاس الجديد: يرجع تاريخ إنشائه حسب النقش الكتابي الموجود على اللوحة الرخامية المثبتة فوق المدخل من الحائط الغربي للصحن إلى سنة 742 هـ/ 1341 م[6].

15- جامع الأبارين: شهد هذا الجامع حركة علمية نشيطة لأنه يقع بمقربة من جامع القرويين ومدرسة العطارين، وقد ألقى فيه كثير من العلماء دروسا في التفسير والحديث ومختلف العلوم والفنون، وقد كان لأبي القاسم بن محمد التازي القشتالي كرسي للتفسير فيه 721 هـ/ 1321م[7].

16- جامع القرويين[8]: اضطلع جامع القرويين منذ تأسيسه بدور رئيسي في تطور الحياة الفكرية والعلمية وتقدمها، فقد تحول على أيدي المرينيين إلى" مدينة عرفان"[1] ازدهرت بها شتى ألوان

---

[1]- مؤلف مجهول، بلغة الأمنية، ص 31، 32.

[2]- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 454.

[3]- نفسه ، ص 472.

[4]- المنوني، ورقات، ص 29.

[5]- نفسه، ص 29.

[6]- صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 106.

[7]- لوح محمد، المرجع السابق، ص 448.

[8]- أصل تسمية الجامع بالقرويين: عرف المغرب منذ القدم توافد اللاجئين الذين اتخذوا منه وطنا ثانيا لهم، ومنهم آلاف الأندلسيين الذين حلوا بالمغرب أيام حكم الحكم بن هشام في الأندلس، ومنهم كذلك مئات أخرى من أهل القيروان أيام حكم دولة الأغالبة، فاستقبلهم الإمام إدريس الثاني وأكرم وفادتهم، فكان أن خصص القطاع الشرقي من فاس للأندلسيين=

المعرفة بعدما أضحى قبلة للمتعطشين للعلم، وملتقى الوافدين من المشرق والأندلس ليلتفوا حول شيوخ العلم، ويختلفوا إلى مجالس المشاهير من الفقهاء والمبرزين منهم للانتهال والتحصيل والاستزادة في العلوم. ولم يكن هذا الجامع قبلة الطلبة المبتدئين أو المتوسطين فقط بل كان مقصد من كان" له في العلم حظ و وجه سافر، وعنده دواوين أغفال لم تفتح لها على الشيوخ أقفال"[2]، هذا ما أكسبه أهمية بوصفه أحد المراكز التعليمية والعلمية الهامة التي أنارت أفق المعرفة في المغرب المريني خاصة والمغرب الإسلامي عامة. وخير دليل على تلك المكانة والأهمية التي حظي بها هذا الجامع هو ذكر بعض حلقات الدرس التي كانت تعقد فيه على اختلاف أنواع العلوم والمعارف التي كانت متداولة فيها من علوم شرعية ولغوية وأدبية، ومن أمثلتنا عن هذه الحلقات نذكر:

- حلقة الشيخ محمد بن محمد بن داوود الصنهاجي وفيها قرأ ابن الأحمر وابن عمه الرئيس إسماعيل مقامات الحريري[3].

- حلقة الشيخ الفقيه القاضي الحين بن عثمان بن عطية الونشريسي الذي كان يقوم على كتاب ابن الحاجب ولقد أجاز فيه أبا الوليد ابن الأحمر إجازة عامة[4].

=في ربيع الأول 192 هـ/ يناير 808 م فعرف بعد" بعدوة الأندلس" ثم أقام هو مع فريق من القيروانيين في ربيع الثاني من السنة الموالية في الجانب الغربي للمدينة، وبذلك أصبحت فاس تنقسم إلى مدينتين: مدينة الأندلس ومدينة القيروانيين أو كما تدعوهم الكتب القديمة" القرويين".

وكان في عداد القيروانيين الذين التجئوا إلى فاس منذ مطلع القرن الثالث الهجري محمد بن عبد الله الفهري القيرواني، الذي توفي بعد وصوله فترك ثروة طائلة لكريمتيه: فاطمة ومريم، فحققتا بها مشروعا ظل إلى اليوم شاخصا ناطقا يرفع من شأن المرأة المسلمة إلى الأبد. فبعدما كثر الواردون على مدينة فاس أمسى الناس في حاجة إلى مسجد كبير، فتطوعت فاطمة ببناء مسجد القرويين في تلك المنطقة، بينما بنت مريم مسجدا آخر بعدوة الأندلس- سبق وأن ذكرناه- وذلك في سنة 245 هـ/ 859 م. للمزيد من التفاصيل عن ظروف بناء هذا الجامع وأهم الإضافات التي تمت فيه على عهد الأدارسة والمرابطين والموحدين والمرينيين والسعديين والعلويين ينظر: عبد الهادي التازي، جامع القرويين، ص ص 69، 82.

[1]- السعيد بنفرحي، المرجع السابق، ص 41.

[2]- من رسالة أمير المسلمين علي بن تاشفين التي وجهها إلى قاضي الجماعة بقرطبة يوصيه بالقاضي عياض. ينظر في ذلك الفتح بن خاقان القيسي، قلائد العقيان، طبعة مصر، 1320 هـ، ص 111.

[3]- إسماعيل بن الأحمر، نثير الجمان ، ص 417.

[4]- المرجع نفسه، ص 368.

– حلقة الفقيه المفتي المدرس القاضي الصالح الحسن بن عطية الونشريسي 781 هـ/ 1379م الذي كان يقرئ المدونة والجلاب والرسالة[1] والموطأ برواية يحي بن يحي الليثي، وقد أجاز فيه ابن الأحمر كذلك[2].

– حلقة الفقيه القاضي الخطيب محمد بن علي ابن عبد الرزاق الذي كان يدرس الموطأ والبخاري.

– حلقة الفقيه الكاتب الصالح الزاهد أبي بكر بن عبد الرحمن بن أحمد المليلي الذي كان يعقدها عند باب المحراب بعد صلاة الصبح حيث كان يدرس لطلبته كل يوم تفسير الثعالبي والشفا لعياض[3].

– حلقة محمد بن علي بن عبد الرحمن الجزولي الفقيه والقاضي والخطيب كان له تقدم في علم الأصول بفاس[4].

– حلقة الشيخ الفقيه الحافظ العلم الحسن بن منديل المغيلي وهي تتكون من نحو ثلاثة آلاف رجل على نحو ما قال الشيخ زرق[5].

– حلقة الفقيه المحدث الميقاتي الحيسوبي عبد الرحمن بن محمد الجديري المديوني[6] 818هـ/ 818هـ/ 1416 م ويظهر من خلال إلحاح مترجميه على تلقيبه بالمحدث الميقاتي الحيسوبي أن أكثر دروسه كانت في هذه المواد.

---

[1]– إسماعيل بن الأحمر، نثير الجمان، ص368.

[2]– ابن القاضي، الجذوة، ص 179.

[3]– ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى ، ص 50 و ص 55، 56.

[4]– ابن القاضي، الجذوة، ص 230 و درة الحجال، ج 2، ص 240.

[5]– ابن القاضي، الجذوة، ص 178.

[6]– نفسه، ص 404.

– حلقة" إمام الأئمة"[1] المحدث القاضي أبي البركات محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم ابن الحاج البلفيقي 771 هـ/ 1369 م، وفيها قرأ ابن خلدون بعضا من الموطأ وأجازه سائره[2].

– حلقة المحدث أبي عبد الله ابن رشيد 721 هـ/ 1321 م التي كانت تعقد شرق صحن الجامع بين الظهر والعصر على البخاري[3]، وعليه سمع الحاج ابن عبد الواحد المجود النحوي الماهر والعروضي الحاذق والمدرس للعمدة[4] بمسجد الكويشة[5].

ويمكن لنا من خلال عرضنا لهذه الحلقات أن نستخلص مجموعة من الملاحظات التي تخص هيئة التدريس التي كانت تشرف على سيرها:

1– إن غالبية شيوخ القرويين يمثلون النخبة أو الصفوة ويظهر ذلك جليا من خلال الألقاب والتحليات التي يذكرها مترجموهم ومن أمثلتنا على ذلك:

أ– الشيخ محمد بن الحاج البلفيقي الذي دعي بـ" واحد الفئة وصدر صدور هذه المائة"[6]، وهو أيضا " إمام الأئمة"، أو" تحفة الدهر التي يقل لها الكفاء، وبقية السلف التي يقال عنها على آثار من ذهب العفاء"[7]، أو كما يذكره ابن الأحمر" علامة العلم وفارس مجاله، وعالم الرواية، ومحصل الدراية"[8]، وهو كذلك" علم أعلام القضاء"[9].

---

[1]– لسان الدين بن الخطيب، الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعر المائة الثامنة، تحقيق إحسان عباس، ط 1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ص 127.

[2]– عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 7، ص 686.

[3]– ابن القاضي، الجذوة، ص 543.

[4]– العمدة: مصنف حديثي من تأليف تقي الدين عبد الغني الأزدي، كان أحمد بن عاشر 764 هـ/ 1363 م يكتب منه ثلاث نسخ في السنة غالبا، ويسفرها بيده، وربما صنع لها أغشية من جلد بيده. ينظر في ذلك محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج 2، ص 375.

[5]– ابن القاضي، الجذوة، ص 543.

[6]– ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص 127.

[7]– نفسه، الصفحة نفسها.

[8]– ابن الأحمر، نثير الجمان، ص 157.

[9]– نفسه، الصفحة نفسها.

ب– ابن رشيد الخطيب الذي يقول عنه ابن خلدون" كبير مشيخة المغرب"[1]، و" شيخ المحدثين الرحالة"[2].

2– معظم هؤلاء الشيوخ كانوا أصحاب كراسي علمية متعددة أمثال الشيخ الحسن بن منديل المغيلي " الفقيه الحافظ العلم"[3] الذي كانت له ثلاث مجالس: أولهم بالمدرسة البوعنانية، وثانيهم بجامع القرويين، وثالثهم بمسجد دار آمنة بنت السلطان.

3– كان من بين هؤلاء الشيوخ من كانوا أعضاء في مجالس السلاطين المرينية أمثال: الشيخ الفقيه القاضي الخطيب محمد بن محمد البلغيثي الذي كان أحد أعضاء مجلس أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن، وكذا الإمام القاضي الفقيه الخطيب محمد بن علي الجزولي الذي كان معظما ومحبوبا عند السلطان أبي الحسن المريني.

4– لقد كانت الموسوعية صفة هؤلاء الشيوخ حيث كانت لهم مشاركة في مختلف العلوم خاصة علوم الشريعة والآلة. فالفقيه القاضي الحسن بن عثمان الونشريسي كان" فقيها متفننا حافظا لمسائل الفقه بصيرا بالفروع واللغة والحديث والتاريخ"[4]، وهذا أبو البركات البلفيقي كان راوية مشاركا في أصول الفقه وفروعه وعلم اللسان وصناعة المنطق، متبحرا في أسماء الكتب وخطيبا وشاعرا ومقرئا وقاضيا، وكذا عبد الرحمن بن محمد الجاديري المديوني الذي كان حسب ابن القاضي" المحدث القارئ بالسبع"[5]، و" الميقاتي الحيسوبي"[6]، و" المحدث الحيسوبي"[7].

---

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص 59؛ محمد بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن فيمن أقبل من العلماء والصلحاء بمدينة فاس، ط 1، ج 2، فاس، 1316هـ، ص 191.

[2]– التعريف بابن خلدون، ص 59 ؛ سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس ،ص 191 .

[3]– ابن القاضي، الجذوة، ص 178.

[4]– ابن الأحمر، نثير الجمان، ص 367.

[5]– ابن القاضي، الجذوة، ص 404.

[6]– نفس المصدر، الصفحة نفسها.

[7]– نفسه، الصفحة نفسها.

ويبدو من خلال هذا الوصف أن موسوعيتهم لم تكن لم تكن مقتصرة على العلوم المتقاربة وإنما كانت تشمل علوما متباعدة مثل الأدب والطب أو علوم الحديث والطب. وتضلع هؤلاء العلماء في علم معين جعلهم ينسبون إليه أو يعرفون به، فأبو البركات البلفيقي السابق الذكر رغم مشاركته في علوم عدة إلا أنه اشتهر بأنه" عالم الرواية ومحصل الدراية"[1]، وابن رشيد الذي عرف ب" شيخ المحدثين الرحالة"[2] رغم موسوعيته.

5- كما تميز هؤلاء العلماء بمزايا علمية جعلتهم محل تقدير واحترام كالحفظ، والضبط، والنقد، وصحة الرواية، وأمانة النقل وصحته، وعلو الإسناد، واتصال السماع وغيرها...، حيث يذكر ابن الخطيب وهو يثني على منهج ابن رشيد العلمي في الرواية والسند:« كان واسع الأسمعة، عالي الإسناد، صحيح النقل، أصيل الضبط، تام العناية بصناعة الحديث، قيما عليها، بصيرا بها، محققا فيها، ذاكرا فيها للرجال»[3]، لذلك وصفه الحافظ الذهبي 749 هـ بأنه:« عالم المغرب الحافظ»[4].

6- جل هؤلاء الشيوخ كانوا أصحاب تآليف مهمة وأمثلتنا كثيرة في ذلك نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ- ابن رشيد الذي خلف صنوفا كثيرة في علوم الرواية والإسناد[5] منها:

- ترجمان التراجم في إبداء مناسبة تراجم صحيح البخاري[6].
- السن الأبين في السند المعنعن[7].

---

[1]- ابن الأحمر، نثير الجمان، ص 157.

[2]- ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص 59؛الكتاني، سلوة الأنفاس، ج 2، ص 191.

[3]- لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ج 3، ص 135.

[4]- الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص 46.

[5]- له تآليف في العلوم العربية كالنحو والبلاغة والعروض راجعها في الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب، ص 148، وما وما بعدها.

[6]- ابن القاضي، الجذوة، ص 290.

[7]- حقق هذا المخطوط ابن الخوجة محمد الحبيب وأخرجته الدار التونسية سنة 1977.

- إيضاح المذاهب فيمن ينطلق عليه اسم الصاحب[1].
- المحاكمة بين البخاري ومسلم[2].
- إفادة النصيح بالتعريف بإسناد الجامع الصحيح[3].

ب– عبد الرحمن الجديري من أعماله التي ذكرها ابن القاضي[4]:

- فهرسته.
- الاقتطاف الذي ذكر فيه مسائل الروضة نثرا.
- شرح أرجوزة شيخه القيسي في الضبط.
- وكتاب جمع فيه بين العمل بآلة الإسطرلاب وبالصحيفة الشكازية وبربع الدائرة والعمل بالحساب والجدول[5].

ج– المدارس: اختصت المدارس عموما في هذه الفترة بالمغرب الإسلامي بتدريس العلوم الدينية وخاصة ما يتعلق بالشريعة الإسلامية والفقه على المذهب المالكي حيث حمل بنو مرين على عاتقهم مهمة الدفاع عنه وحمايته[6].

وقد انتقل نظام المدارس بشكله ووظيفته إلى مدينة فاس المرينية بعد ثلاثين سنة من تأسيس أول مدرسة حفصية في تونس، وتعتبر الدولة المرينية أكثر دويلات المغرب الإسلامي نشاطا وحيوية في مجال التشييد العمراني بصفة عامة وبناء المدارس بصفة خاصة، حيث أنفق

---

[1]– ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج 4، مصر، 1966، ص 112.

[2]– ابن القاضي، الجذوة، ص 290.

[3]– حققه ابن الخوجة محمد الحبيب ونشرته الدار التونسية كذلك.

[4]– ابن القاضي، الجذوة، ص 404.

[5]– نفسه، الصفحة نفسها.

[6]– محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، قضية المدارس المرينية ملاحظات وتأملات، ط 1، دار توبقال للنشر، 1987، ص 71؛ شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ص 240؛ عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص 312.

سلاطينها على بنائها وتزيينها أموالا طائلة[1]، واتخذوا حركة تشييد المدارس مظهرا لسياستهم الدينية والعلمية، وبالتالي مظهرا للتأثير السياسي والاجتماعي على رعاياهم، رغبة في تحقيق أهدافهم الرامية إلى إعادة توحيد المغرب الإسلامي تحت لوائهم سياسيا ودينيا وإداريا بعد قضائهم على دولة الموحدين[2]، ومحو تعاليم ابن تومرت ومذهبه والعودة بالمذهب المالكي إلى مكانته السابقة[3].

ولتحقيق ذلك أكثروا من إقامة المدارس في المغربين الأقصى والأوسط، وقد انتشرت هذه العملية خاصة على عهدي أبي الحسن وابنه أبي عنان، حيث يقول الأستاذ القبلي في كتابه" قضية المدارس المرينية" أنه:« لهذا عمل السلطان المريني على تشييد المدارس وتمويلها بانتظام، وبذلك أصبحت الدولة متحكمة في المدارس ومقيدة لها»[4]. ومن أهم هذه المدارس نذكر:

1- مدرسة الصفارين[5]: وتسمى أيضا" الحلفاويين"، وهي أول مدرسة بمدينة فاس أنشأها أنشأها السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة 670 هـ/ 1271 م[6]، وقد أشرف على بنائها مفضل مفضل بن محمد ابن الدلائي العذري قاضي مدينة فاس[7] بالقرب من سوق النحاس، كما أمر السلطان بأن يتم الإنفاق على مقرئيها ومدرسيها وطلبتها من جزية اليهود[8]، فأوقف عليها

---

[1] -G. MARCAIS , l'architecture, p 285.

[2]- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 108.

[3]- السلاوي، المصدر السابق، ج 3، ص 65؛ محمد القبلي، المرجع السابق، ص 71.

[4]- محمد القبلي، المرجع السابق، ص 71.

[5]- تسمى بالصفارين وأيضا الحلفاويين، ويسميها الجزنائي اليعقوبية. ينظر جنى زهرة الآس، ص 81.

ويعتقد ألفريد بل في أصل تسميتها بالصفارين أنها أخذت اسمها من مصدرين: فالأول نسبة إلى مسفري الكتب، والثاني نسبة إلى النحاس الأصفر الذي أنشئت بالقرب من سوقه. ينظر في ذلك: A. BEL , inscriptions arabes de Fès : J. A, juillet, aout, 1977, p. p 75- 146.

[6]- السلاوي: المصدر السابق، ج 3، ص 65.

[7]- ابن القاضي، الجذوة، ص 360.

[8]- الذخيرة السنية، ص 162، 163؛ محمد المنوني ،ورقات ، ص 241؛ الحسين إسكان، المرجع السابق، ص 65.

الأوقاف، وأجرى المرتبات على طلبتها، كما زودها بمكتبة غنية وصلت إليه من الأندلس[1]، لكن ما لبثت أن نقلت كتبها ومخطوطاتها فيما بعد إلى جامع القرويين[2].

وبهذه المدرسة التي لا تزال قائمة إلى الآن دشن المرينيون تجربتهم مع المدارس، لكن هذه التجربة عرفت تعثرا إذ توقفت زهاء نصف قرن لتنطلق عام 720 هـ/ 1321 م خارج فاس القديم[3]. وقد حظيت هذه المدرسة بالإصلاح والتعهد على عهد السلطان محمد السعيد بن أبي عنان(759- 760 هـ/ 1358- 1361 م)[4]. وقبل وفاة السلطان يعقوب بن عبد الحق بقليل سنة 685 هـ/ 1286 م أنشأ مدرسة أخرى بمراكش[5]، ومسجدا جامعا بمكناس يضم مدرسة[6] ومدرسة أخرى في فاس البالي في مسجد جامع القرويين[7].

3- **مدرسة فاس الجديد:** تسمى أيضا مدرسة دار المخزن أو المدرسة الجديدة، شيدها أبو سعيد عثمان بن يعقوب(710- 732 هـ/ 1310- 1331 م)[8] م)[8] بالقرب من جامع فاس الجديد كان ذلك سنة 720

---

[1]- في العبور الرابع لأبي يوسف يعقوب إلى الأندلس سنة 684 هـ/ 1285 م قام بغزوة واسعة في بلاد قشتالة مما اضطر الملك سانشو إلى طلب الصلح، وبالفعل تم عقد الصلح بين الجانبين تعهد فيه الملك باحترام حدود مملكة غرناطة والكف عن العدوان عليها وعلى تجار المسلمين، فأرسل سانشو إلى أبي يوسف ثلاثة عشر جملا من الكتب العربية التي كان النصارى يجمعونها ويحرقونها، فكانت هذه الكتب نواة المكتبة السلطانية في فاس. ينظر في ذلك: الأنيس المطرب، ص 363؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 27؛ السعيد بنفرحي، المرجع السابق، ص 50؛ عامر عبد الله حسن، المرجع السابق، ص 214.

[2]- نجيب زبيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج 3، ط 1، دار الأمير للثقافة، بيروت، 1995، ص 98، ؛روجيه لي تورنو، المرجع السابق، ص 28.

[3] -G. MARCAIS , l'architecture musulmane, p p 281- 282.

[4]- محمد الفاسي، دراسات مغربية من وحي البيئة، ط 2، عيون المقالات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1990، 1990، ص 14، 15.

[5]- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 324.

[6]- عرفت هذه المدرسة باسم الشهود، حيث حبس عليها خزانة للكتب وأجرى على طلبتها وعلمائها جراية دائرة. ينظر في ذلك: محمد الفاسي، المرجع السابق، ص 14، 15؛ السعيد بنفرحي، المرجع السابق، ص 31.

[7]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 29.

[8]- السلاوي، المصدر السابق، ج 3، ص 175، 176.

4- هـ/ 1321 م[1] ومع تدشين هذه المدرسة انطلق مسلسل بناء المدارس التي اختلفت عن مدارس المرحلة السابق في مصدر تمويلها الذي أصبح يعتمد على الأحباس وليس من بيت المال كمدرسة الصفارين، ولعل هذا التمويل جعل تدخل الدولة في المجال التعليمي تدخلا غير مباشر حيث أن السلاطين أنفسهم كانوا يحبسون أملاكهم على المدارس تقربا لله بنشر العلم وإحيائه[2].

3- مدرسة الصهريج أو المدرسة الكبرى: بناها الأمير أبو الحسن علي المريني في عهد والده السلطان أبو سعيد عثمان واستغرق بنائها عامين(721- 723 هـ/ 1321-1323م)[3]، تقع بالقرب من جامع الأندلسيين بفاس، وهي عبارة عن مجتمع معماري متكون من من مدرسة الصهريج أو المدرسة الكبرى والمدرسة الصغرى أو مدرسة السبعين ودار للضيافة عرفت بدار أبي حبيبة- حسب اللوح التأسيسي للمدرسة-، لكن سقطت هذه الدار كليا وأعيد بنائها سنة 1946 م[4]. كما بنى الأمير أبو الحسن من حولها سقاية ودار وضوء ودار سكن الطلبة، وجلب الماء إلى ذلك كله من العين الواقعة قرب باب الحديد- أحد أبواب مدينة فاس- وأنفق في ذلك أموالا تزيد على مائة ألف دينار، كما جلب إليها الفقهاء للتدريس، وأسكنها طلبة العلم والقراء وأجرى عليهم الإنفاق والكسوة[5].

---

[1]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 411؛ محمد منوني، ورقات، ص 28، 29.

[2]- الحسن إسكان، المرجع السابق، ص 66.

[3]- السلاوي، المصدر السابق، ج 3، ص 175، 176؛الأنيس المطرب، ص 412؛ عبد الهادي التازي، جامع القرويين، ج 2، ص 356.

[4]- العربي لقريز؛ المرجع السابق، ص 34.

[5]- ابن أبي زرع؛ الأنيس المطرب، ص 412؛ السلاوي، المصدر السابق، ج 3، ص 176.

وتحتوي هذه المدرسة على حوض كبير يتوسط صحنها نقل إليها من الأندلس عبر البحر[1]، وهو حوض كبير من الرخام الأبيض وقد وضع هذا الصحن في هذه المدرسة سنة 725 هـ/ 1325 م، وبعدها حول إلى المدرسة المصباحية بعد بنائها ولا يزال قائما فيها إلى يومنا هذا[2]. وعلى ما يبدو أن هذه المدرسة تعرضت إلى تشوهات كبيرة في زخارفها ولتدهور كبير في الفترة الاستعمارية وقبلها، رغم الترميمات التي أجريت عليها في عهد السعديين الذين أعادوا بناءها بالكامل تقريبا[3].

4- مدرسة السبعين أو المدرسة الصغرى: بناها الأمير أبو الحسن في نفس الفترة التي بنيت فيها مدرسة الصهريج أو المدرسة الكبرى(721- 723 هـ/ 1321- 1323 م)، وهي تعد ملحقة لها لاتصالها بها وصغر حجمها الذي لا يتعدى نصف حجم المدرسة الكبرى، وهي تتصل معها في الجدار الشرقي الجنوبي بواسطة باب يفتح على قاعة صلاة المدرسة الكبرى[4]، وسميت بمدرسة السبعين لأنها خصصت للقراءات السبع[5]،وتتكون هذه المدرسة من صحن مكشوف وقاعة للصلاة وغرف للطلبة والمقرئين. إلا أن هذه المدرسة هي الأخرى عانت التخريب، فأجريت عليها ترميمات أفقدتها زخرفتها الأصلية إذ أعيد تشكيل معظمها.

5- مدرسة الطالعة بسلا: شيدها أبو الحسن المريني ابتداء من سنة 733 هـ/ 1333 م وفرغ من بنائها سنة 742 هـ/ 1342 م حسبما ينص عليه النقش الموجود فوق القوس الحجري

---

[1]- يذكر الجزنائي أن هذا الصهريج جلب من مدينة ألمرية الأندلسية في عهد السلطان أبي الحسن علي، ثم نقل إلى المدرسة المصباحية بعد تمام بنائها سنة 747 هـ/ 1347 م. ينظر في ذلك: جنى زهرة الآس، ص 37، 38 ؛السلاوي، المصدر السابق، ج 3، ص 176.

[2]- العربي لقريز، المرجع السابق، ص 35.

[3]- نفسه، ص 37.

[4]-G. MARCAIS , l'architecture, p 278, et A. BEL, inscriptions, J. A, septembre, octobre, p 242.

[5]- كان يقرأ فيها القرآن الكريم على حسب التلاوات السبع المشهورة وهي: قراءة نافع، وقراءة ابن كثير الداري، وأبي عمرو اليحصبي، وحمزة ابن حبيب، وقراءة الكسائي. ينظر في ذلك: محمد الزحيلي، مجمع العلوم الإسلامية، ط 2، دار المعرفة، دمشق، 1992، ص 149؛ شارل أندريه جوليان، المرجع السابق، ج 2، ص 241.

لبوابتها والرخامة المنصوبة بحائطها الجوفي جاء فيه:« اقتضى أمر أمير المسلمين هذه السنة في أسعد حين لثلاث وثلاثين بها أسست والسبعمائة، أضرعوا الله في النصر له، وأدخلوها بسلام آمنين» و« تم بناؤها يوم الجمعة التاسع عشر لجمادى عام اثنين وأربعين وسبعمائة»[1].

والمدرسة هذه قائمة بالقرب من الجامع الأعظم، وكان بظاهرها سقاية ماء أوقف جريانه منذ عهد قريب، ويتوسطها صحن مفرش بالفسيفساء وفي وسطه صهريج صغير من الرخام، كما يوجد بيت للصلاة داخل الفناء وأربعة وعشرون بيتا للطلبة موزعة على طابقين[2]. ولوفرة أحباس هذه المدرسة فقد شهدت إقبالا كبيرا للطلبة والمدرسين، حيث يذكر أن الوزير ابن الخطيب السلماني ورد عليها فلقيه بها عدد كبير من الشعراء يفوق المائة شاعر في مختلف الأوزان والقافيات، وذلك ما جعله يفضل الاستقرار بها مدة من عمره عند خروجه من الأندلس.

وقد كانت تدرس بها سائر العلوم الشرعية والعقلية، حيث يذكر ابن الخطيب في كتابه: «مثلى الطريقة في علم الوثيقة»[3]، إن أهل سلا في عصره أواسط المائة الثامنة للهجرة كانت لهم مشاركة في سائر العلوم والاختصاص المذكور، أن أعيان فاس في ذلك الزمان كانوا يرحلون إلى سلا لأخذ الطب والتصوف عن أساتذتها كالعلامة الطبيب ابن غياث السلوي[4]، والطبيب الماهر أبي الفضل العجلاني السلوي، وكلاهما له تأليف في الطب والتشريح والعلاج، وكانا يديران الأعمال العلاجية والدراسة بمارستان أبي عنان المريني بداخل مدينة سلا في حدود 760 هـ، ويأخذان علم التصوف حالا ومقالا عن الشيخ الصوفي سيدي الحاج أحمد بن عاشر الأندلسي، والخطيب الصالح أبي الحسن سيدي علي بن أيوب[5]، والولي الكبير سيدي عبد العزيز الصنهاجي.

---

[1]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 157 ؛إبراهيم أنوار، المرجع السابق، ص 43.

[2]- المرجع نفسه، ص 157.

[3]- ابن الخطيب، مثلى الطريقة في ذم الوثيقة، مخطوط بالخزانة الحسنية، تحت رقم 10976، ص ص 7- 9.

[4]- المعروف بسيدي مغيث صاحب المشهد بطالعة سلا.

[5]- محمد حجي، سيدي الإمام السلاوي، 788 هـ/ 1376 م، مجلة أبي رقراق، جمعية أبي رقراق، سلا، العدد 9، سبتمبر سبتمبر 1991، ص 39، 40.

وذكر صاحب بلغة الأمنية:« أن الإمام المشارك أبا عبد الله محمد بن المجراد[1] السلوي كان من أهل المشاركة في كثير من العلوم التي منها: الطب والتشريح وسواهما».

ومن أعلام سلا الذين مارسوا التدريس والإقراء بهذه المدرسة أبو محمد عبد الله بن الصباغ السلوي[2] ت 747 هـ، والشيخ أبو الحسن علي بن موسى المطماطي السلوي ت 773 هـ وهو أول من درس بها العربية والفقه والتفسير، وتولى مشيخة المدرسة لعهد السلطان أبي الحسن العلامة ابن إبراهيم بن علي الأنصاري المالقي الأندلسي المعروف بسلا إلى هذا العهد بسيدي علي الغرناطي[3]، والفقيه المشارك النظار أبي القاسم محمد بن داوود بن الفخار السلوي[4] الذي كان يقوم على تدريس مختصري ابن الحاجب الأصلي والفرعي توفي في آخر المائة الثامنة، والقاضي الفقيه الفرضي أبو الحسن علي بن عطية المكناسي الونشريسي[5]، والقاضي العلامة المشارك النظار سعيد العقباني التلمساني وكلاهما ولي القضاء بني مرين، ومن فقهائها القاضي العلامة المشارك أبو محمد عبد الله بن سعيد السلوي من أقران الذين لهم علما وتحصيلا، وزاد عليهم بالرحلة إلى مصر والحجاز فأضاف إلى معلوماته علما جما وأسانيد عالية، وولده العلامة المشارك الرحالة أبو سعيد فرج بن عبد الله بن أبي سعيد السلوي شيخ أشياخ الإمام ابن غازي المكناسي، والإمام العلامة المشارك المدرس المقرئ أبو عبد الله محمد بن عمران الفنزازي السلوي المعروف بابن المجرد وآخرين يطول تعدادهم.

---

[1]- هذا الذي أخذ عنه ابن الحاج النميري 770 هـ/ 1307 م له" شرح الجمل" في ثلاثة أسفار سماه" غاية الأمل في شرح الجمل" ، وبرنامج مشيخته. ينظر في ذلك: ابن عبد الملك المراكشي، الذيل التكملة، تقديم وتحقيق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة، السفر 8، ق 1، ص 58.

[2]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج 4، ص ص 116، 120؛ محمد بن علي الدكالي، الإتحاف الوجيز بأخبار العدوتين، م. خ. ع، الرباط(1320)، ورقة 23 و 24 .

[3]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج 4، ص 144.

[4]- نفسه، ص 178.

[5]- محمد بن علي الدكالي، الإتحاف الوجيز، الورقة 135.

آخر من درس بها العلوم من أهل عصرنا الفقيه العلامة الفصيح البليغ السيد أحمد بن محمد بن موسى الحسناوي الهمساسي الأصل السلوي الولادة والنشأة والقراءة والوفاة والمدفن، كان يقرئ بها علوما متعددة كالنحو والبيان والمنطق والأصول والتوحيد والفقه والحديث والتصوف وسواها من سنة 1302 م إلى سنة 1310 م، حيث انقطع التدريس بها منذ ذلك الحين ولعل السبب في ترك القراءة والتدريس بها راجع إلى مجاورتها للجامع الأعظم، إضافة إلى كونها ضيقة المساحة فأصبحت لا تسع حلقات الدروس الكثيرة وتعدد الفقهاء والتلاميذ والطلبة، وتباين المعارف والعلوم، ووجود الجامع بقربها وسعة مساحته، جعلت مهمة التدريس ممكنة وسهلة في الجامع دون المدرسة التي ظل بها الطلبة مستقرون يشتغلون بالمطالعة والكتابة وحفظ أمهات العلوم التي يدرسونها على أشياخهم بالجامع الأعظم، وكثيرا ما كان يستقر بها الفضلاء الصالحون والعباد الزاهدون، وآخر من استقر بها من صلحاء عصرنا الفقيه المؤدب سيدي محمد بن سالم الحناوي المتوفي سنة 1325 م.

6- مدرسة العطارين بفاس: تحمل اسم سوق العطارين الذي توجد به، ولا تزال قائمة قريبا من جامع القرويين بفاس، شيدها السلطان أبو سعيد عثمان سنة 723 هـ/ 1323 م[1] تحت إشراف الشيخ أبي محمد عبد الله بن قاسم المزوار، وكانت من أعجب ما صنع وأجرى بها الماء وجلب إليها الطلبة ورتب فيها إماما و سدنة ومؤذنين، ورتب فيها الفقهاء وأجرى عليهم الأرزاق وأوقف عليها أملاكا كثيرة[2]، ومن أشهر مدرسيها نذكر:

[1]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 413.

[2]- السلاوي، المصدر السابق، ج 3، ص 112، و الذي يسميها المدرسة العظمى؛ الأنيس المطرب، ص 412 ؛
. A. BEL , inscription, J. A, sep- oct, 1918, p p 197- 198

– أبو العباس أحمد ابن قاسم بن عبد الرحمن الجدامي الفاسي الشهير بالقباب 788 هـ/ 1377 م، وقد كان يدرس بها كتاب التهذيب للبرادعي[1]، وقد جاء في الجذوة أن ابن الخطيب 776 هـ حضر مجلسه في الحديث والفقه وأصول الدين[2].

– ابن البناء المراكشي العددي[3].

7– مدرسة طنجة: بناها أبو الحسن وتاريخ بنائها غير مضبوط وربما كان أثناء توليه الحكم بين (731- 749 هـ/ 1330- 1348 م)، لا اثر لها إلا ما ذكره ابن مرزوق في المسند هي وغيرها من المدارس التي قال عنها ابن مرزوق:« ثم أنشأ رضي الله عنه- يعني أبو الحسن- في كل بلد من بلاد المغرب مدرسة... فأنشأ بمدينة تازا[4] قديما مدرستها الحصينة وببلاد مكناس وطنجة وآنفا[5] وآسفي وآزمور[6] وأغمات ومراكش والقصر الكبير[7]، فمدرسة سبتة[8] غاية، فأعجب منها مدرسة مراكش، وتليها مدرسة مكناسة...، وحبس في جلها من أعلاق الكتب النفيسة والمصنفات المفيدة الكثير فلا جرم إن كثر بسبب ذلك طلب العلم وعدد أهله»[9].

8– المدرسة المصباحية بفاس: شيدها السلطان أبو الحسن المريني بالقرب من جامع القرويين، وعرفت باسم المصباحية نسبة إلى العالم" مصباح بن عبد الله الياصلوتي" ت 755 هـ/

---

[1]– محمد المنوني، ورقات، ص 28.

[2]– ابن القاضي، الجذوة، ص 123.

[3]– ابن القاضي، الجذوة ، ص 148، سوف نأتي على التعريف بهذه الشخصية في المطلب الخاص بالعلوم العقلية وأعلامها.

[4]– ابن مرزوق، المسند، ص 406.

[5]– لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب ،ج2 ، ص 79.

[6]– نفسه، ص 72.

[7]– كل هذه المدارس لا أثر لها اليوم إلا ما ذكره ابن مرزوق في مسنده.

[8]– سميت بالجديدة للتفريق بينها وبين تلك المدرسة القديمة التي بناها علي بن محمد الغافقي الشاري المتوفي سنة 649 هـ/ 1252 م. ينظر في ذلك: إبراهيم أنوار، المرجع السابق، ص 44.

[9]– ابن مرزوق، المسند، ص 406.

1258 م، وهو أول من درس بها[1]، وقد تزامن بناؤها مع بناء مدرسة العباد بتلمسان سنة 747 747 هـ/ 1347 م، وتعرف أيضا باسم مدرسة الرخام أو الخصة، ولعل هذه التسمية تنسب إلى حوض الرخام الأبيض السالف الذكر الذي نقل إليها من مدرسة الصهريج أيام أبي الحسن المريني[2]، وتحتوي هذه المدرسة على عدد كبير من الغرف التي تقدر ب 117 غرفة خصصت لإيواء الطلبة حتى بداية القرن الماضي، غير أن الترميمات التي تعرضت لها أفقدتها جمالها الأصيل[3]، الأصيل[3]، وكانت هذه الغرف موزعة على ثلاث طوابق وبيوت للوضوء يفصلها عن مدخل القرويين مدخل مستقل حسبما يذكر الأستاذ عبد الهادي التازي بأنه توجد لوحة رخامية تصل الميضأة بأحد أبواب جامع القرويين يستعملها الطلبة كممر يمشون فوقها حفاة إلى المسجد بعد الوضوء مباشرة، وتعد هذه المدرسة أغنى المدارس المرينية لما توفره لها عائدات الحبوس من غابات الزيتون والبساتين وخزائن الدباغة والحوانيت التي تدر بعائداتها على الطلبة والمدرسين، لكن ورغم هذا الثراء إلا أن المدرسة عرفت تصدعا كبيرا في هيكلها، فأغلقت تماما في مطلع القرن الماضي[4] وهي لا تزال قائمة قريبا من جامع القرويين بحي بوطويل[5].

ومن الأعلام الذين مارسوا التدريس بهذه المدرسة: أبو بكر عثمان بن صالح المسراتي قاضي المدينة[6]، والفقيه النحوي أبو الحسن الرفاص الذي أخذ عنه النميري، يدرس بها التفسير والموطأ والرسالة وابن الحاجب الفقهي، وتسهيل الفوائد والجمل والكراسي للجزولي[7].

---

[1]- السلاوي، المصدر السابق، ج 3، ص 176؛ شارل أندريه جوليان، المرجع السابق، ج 2، ص 24؛إبراهيم أنوار، المرجع السابق، ص 44.

[2]- الجزنائي، جنى زهرة الآس، ص 37، 38؛ السلاوي، المصدر السابق، ج 3، ص 176؛ روجيه لي تورنو، المرجع السابق، ص 43.

[3]- بقيت المدرسة المصباحية مشغولة بالطلبة حتى بداية القرن الماضي حتى سنة 1919 م. ينظر في ذلك: شارل أندريه جوليان، المرجع السابق، ج 2، ص 214؛ محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 324.

[4]- عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 363.

[5] -A. BEL , inscriptions, 1918, p p 250- 276.

[6]- ابن مرزوق، المسند، ص 406؛ ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ج2، ص 80.

[7]- السعيد بنفرحي، المرجع السابق، الإحالة رقم(10)، ص 32 نقلا عن مذكرات النميري.

9- المدرسة البوعنانية بمكناس: بعد اعتلاء أبي عنان عرش بني مرين شرع في بناء سلسلة من المدارس حملت اسمه، ومنها المدرسة البوعنانية بمكناس التي بدأت الأشغال فيها على عهد والده السلطان أبي الحسن المريني في حدود سنة 745 هـ/ 1345 م[1]، غير أنها لم تكتمل إلا في عهد ابنه ولذلك حملت اسمه، وهي تقع بالقرب من الجامع الكبير بمكناس، وهي كمثيلاتها من المدارس المغربية تضم صحنا يتوسطه حوض مربع وقاعة للصلاة، وغرف للطلبة موزعة على طابقين أرضي وعلوي، وبيوت للوضوء، وأهم ما ميز هذه المدرسة مدخلها الشاهق الملبس بالنحاس[2] والذي يشبه إلى حد ما بوابة جامع المنصورة بتلمسان وبوابة مسجد سيدي أبي مدين بالعباد، أجريت لها ترميمات عديدة عرضتها لتغييرات في عمارتها أفقدتها بعض صفاتها الفنية والزخرفية الأصلية ثم أعيد بناؤها كلية سنة 1919 م[3].

10- المدرسة البوعنانية بفاس: وتسمى أيضا المتوكلية وهو احد ألقاب منشئها أبو عنان المتوكل على الله، تحت إشراف أبي الحسن أحمد ابن الأشقر حيث شرع في بنائها يوم 28 رمضان 751 هـ/ 29 نوفمبر 1349 م، وانتهى منها في شهر شعبان 756 هـ/ أوت 1355 م، وهي لا تزال قائمة بطالعة فاس، وأول من درس بها أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرس القرشي الذي ولاه أبو عنان قضاء الجماعة والتدريس بالمتوكلية[4] ويقول عنها الوزان:« بأنها تمتاز بروعة فائقة سعة وجمالا»[5]، وتعد هذه المدرسة ختاما لسلسة المدارس العظمى التي أنشأها بنو مرين.

---

[1]- العربي لقريز، المرجع السابق، ص 48، 49.

[2]- يذكر ابن الخطيب أن عدد مدارس مكناس ثلاث، "وبداخلها مدارس ثلاث لبث العلم كلفت بها الملوك المجلة الهمم، شحنها التنجيد فجاءت فائقة الحسن، ما شئت من أبواب نحاسية، وبرك فياضة تقذف فيها صافي الماء أعناق أسدية، وفيها خزائن والجراية الدارة على العلماء والمتعلمين". ينظر: نفاضة الجراب، ج 2، ص 372.

[3] -CH. TERRASSE : medersa du Maroc, paris, éd- ALBERT MORACE, 1928.

[4]- المقري، أزهار الرياض، ج 1، ص 5؛ السلاوي، المصدر السابق، ج 3، ص 206؛ عبد الهادي التازي، جامع القرويين، ج 3، ص 364؛ إبراهيم أنوار، المرجع السابق، ص 45؛ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 158.

[5]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 215 و ص 225، 226.

وقد كان من أئمتها الحسن بن منديل المغيلي 864 هـ/ 1460 م، وصلى الشيخ زروق أحمد بن أحمد خلفه الجمعة مرة[1]، وكان عبد الرحمن ابن أبي القاسم القيسي الفرموني 864 هـ/ 1460 م مؤقتها[2]، وأحمد بن سعيد المكناسي 870 هـ/ 1470 م مقرئا بها[3]. ويذكر ابن غازي في الروض الهتون[4] والمقري في نفح الطيب[5] أن أبا عنان شيد كذلك مدرسة الخضارين بمكناس، وقد كانت بها خزانة للكتب وجراية دائرة على العلماء والمتعلمين، ومدرسة بسلا خصصت لدراسة الطب على حسب ما تذكره بعض المصادر حيث قال الأستاذ محمد الفاسي:« وهي التي صارت اليوم فندقا وهو المسمى آسكور»[6]، ومن أساتذتها نذكر: أبو الحسن علي بن موسى بن إسماعيل المطماطي الذي كان يدرس بها القرآن والعربية والتفسير، حيث أخذ عنه ابن الحاج النميري 770 هـ/ 1307 م، له" شرح الجمل" في ثلاثة أسفار سماه " غاية الأمل في شرح الجمل"[7].

ومن خلال إطلاعنا على هذه المدارس خلصنا إلى بعض الملاحظات والاستنتاجات نذكر منها:

1- أن التوزيع الجغرافي لهذه المدارس شمل تقريبا مختلف أنحاء المغرب المريني[8].

2- لم يقل اهتمام سلطان دون آخر بالمدارس وبذل الأموال عليها، حيث جعلوها وسيلة لتقوية نفوذهم السياسي والديني.

3- جل المدارس احتوت على خزائن للكتب مما سهل على الطلبة والمدرسين القيام بمهامهم.

---

[1]- ابن القاضي، الجذوة، ص 178.

[2]- نفس المصدر، ص 405.

[3]- نفسه، 128.

[4]- ابن غازي، الروض الهتون، ص 70.

[5]- المقري، نفح الطيب، ج 2، ص 216.

[6]- عرفت هذه المدرسة بأسماء مختلفة: مدرسة القاضي، ومدرسة الفيلالية. ينظر: السعيد بنفرحي، المرجع السابق، ص 33.

[7]- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل و التكملة ، ص 58.

[8]- حسن إسكان، المرجع السابق ، ص 69.

4- كل من درس بهذه المدارس مؤهل كل التأهيل لتحقيق الأهداف التربوية والتعليمية التي تقوم على رعايتها هذه المؤسسات.

5- جعل الأوقاف والأحباس لتمويل هذه المدارس وبذل الأموال وإجراء الأرزاق على الطلبة والمدرسين كان سمة هذا العصر لتشجيع العلم والمعرفة.

6- بعض هذه المدارس كانت تؤدي وظيفتين: تقام فيها الصلوات في أوقات الصلاة، إلى جانب التدريس كالمدرسة البوعنانية التي كان المدرس بها إماما وخطيبا ومقرئا ومقاتيا، ولعل قيام المدرسة المرينية بهذا الغرض الديني ما هو إلا تكملة للتكوين النظري الذي يأخذه التلميذ بها، فيعمل على ترسيخه بالعملية التطبيقية التي تبدأ بالآذان، وتنتهي بالسلام مرورا بالوضوء وإقامة الصلاة، وهي النظرية السنية المالكية التي تعود عليها الطلبة، ونفس الشيء بالنسبة لصلاة الجمعة التي كانت تؤدى في بعض المدارس الجوامع كالمدرسة البوعنانية مع العلم أن صلاة الجمعة تتميز عن باقي الصلوات بقراءة الحزب والخطبة، فيستفيد الطلبة من هذه التجربة بالممارسة الفعلية وبذلك أدت المدرسة دور التعليم والعبادة والمعاملة، لذلك ساهمت المدارس المرينية بشكل كبير في ترسيخ مذهب أهل السنة في الاعتقاد والفقه.

7- كل المدارس المرينية تعبر عن الذوق الفني الرفيع للعمارة المرينية التي نافست العمارة المشرقية والأندلسية لخصوصية زخارفها ونقوشها وأشكالها وأنماطها، وهي دليل على اهتمام السلاطين المرينيين بالفنون الجميلة بأنواعها[1].

8- معظم المدارس جمعت بين العلوم المختلفة وحتى المتباعدة أحيانا كالعلوم الشرعية والطب والمنطق وغيرها، غير أن ذلك لا ينفي وجود بعض المدارس المتخصصة في دراسة علم معين كمدرسة سلا التي خصصت لدراسة الطب[2] الذي أولاه السلاطين اهتماما كبيرا.

---

[1]- ينظر: ابن الخطيب مدارس مكناس الثلاث في الروض الهتون لابن غازي، ص 70، وفي نفح الطيب للمقري، ج 6، ص 212، نقل عن ج 1، من نفاضة الجراب المفقود.

[2]- السعيد بن فرحي، المرجع السابق، ص 34.

9- ونفس الذي قلناه عن الذين تصدروا للإقراء في المساجد والجوامع يقع على الذين تولوا التدريس في المدارس المرينية، فيظهر جليا من خلال الألقاب والتحليات التي ذكرتها مصادر التراجم أنهم كانوا مؤهلين لهذه المهمة، حيث كان لهم باع طويل في الدراسات الفقهية اللغوية، ويكفي أن نذكر ابن الخطيب والنميري اللذين تتلمذا على أيدي أعلام كالقباب الذي حضر مجلسه ابن الخطيب في الحديث والفقه وأصول الدين[1]، ومجلس إبراهيم التسولي التازي الذي كان وقفا على التهذيب والرسالة[2]، أما النميري فقد حضر مجلس الفقيه النحوي أبي الحسن الرقاص[3]، ومجلس علي بن إسماعيل المطماطي[4].

10- ومن خلال العلوم التي كانت تدرس في هذه المدارس من فقه وأصول وتفسير وقراءة ونحو يمكننا التعرف إلى أسماء الكتب التي كانت متداولة فيها: كالموطأ والتهذيب، والرسالة والمدونة، وتسهيل الفوائد، والكراس الجزولي، والجمل وغيرها.

هـ – الزوايا والربط: شيد سلاطين بني مرين عددا من الزوايا في مختلف أرجاء مملكتهم، وغالبا ما كانت تقام بالقرب من الأضرحة والمقامات التي قد تكون لسلطان ما أو لولي صالح، كتلك الزاوية التي أمر السلطان يعقوب بن عبد الحق ابنه الأمير يوسف ت 706هـ/ 1306 م ببنائها على قبر جده عبد الحق بتافرطاست سنة 684 هـ/ 1285 م[5]. بالقرب من مكناسة والتي خصصت لتلاوة القرآن على روح الأمير المريني أبي محمد عبد الحق بن محيو وولده إدريس

---

[1]- ابن القاضي، الجذوة، ص 123.

[2]- ابن القاضي، الجذوة ، ص 85. ركز المعلمون على رسالة ابن أبي زيد القيرواني باعتبارها تصف شعائر الصلاة وصفا دقيقا فهي مصدر رئيسي لهم، لذا نجد المغاربة يقولون" صل بالرسالة وحج بابن عاشر" أي إذا أردت إتقان صلاتك فعليك برسالة القيرواني وإن أردت إتقان حجك فعليك بوصف ابن عاشر.

[3]- السعيد بنفرحي، المرجع السابق، ص 35 نقلا عن مذكرات ابن الحاج النميري، ص 211.

[4]- السعيد بنفرحي، المرجع السابق ، ص 35 نقلا عن الذيل و التكملة، ق 1، ص 58.

[5]- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 20؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 257؛ السلاوي، الاستقصاء، ج 3، ص 64، 65.

اللذين قتلا في معركة واجرهان سنة 614 هـ/ 1217 م ضد بني عمومتهم بنو عسكر ومناصريهم عرب رياح[1].

وقد اختلف ابن أبي زرع وابن خلدون في التعبير الاصطلاحي للمبنى الذي شيده أبو يوسف، فالأول يسميه الزاوية، والثاني يسميه الرباط، بينما يذكر ابن مرزوق في هذا الصدد: «...والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين، وأما الربط على ما هو المصطلح عليه في المشرق فلم أر في المغرب على سبيلها ونمطها إلا رباط سيدي أبي محمد صالح، والزاوية المنسوبة لسيدنا أبي زكرياء يحي بن عمر(نفع الله بهم) بسلا غربي الجامع الأعظم منها، ولم أر لهما ثالثا على نحوهما في ملازمة السكان وصفاتهم وشبههم بمن ذكر نفع الله بهم»[2].

وكان السلطان أبو الحسن المريني قد أعطى في عهده اهتماما كبيرا لرباط شالة[3] أو زاوية مقبرة سلا المقامة على قبور أمراء وسلاطين بني مرين بالقرب من رباط الفتح، حيث أحاطه بسور مزخرف وبنى بالقرب منه مسجدا، وفي الحديقة المجاورة أقام السلطان ضريحه الضخم المبني بالحجر المزخرف والمرخم، والمتصل ببعضه بقطع من الرصاص[4].

---

[1]- الذخيرة السنية، ص 33.

[2]- ابن مرزوق، المسند، ص 413.

[3]- شيد السلاطين المرينيين هذه المقبرة في سلا بجوار الرباط دفن أكثرهم فيها مثل: أبي يوسف يعقوب، وابنه أبي يعقوب، وأبي ثابت، وأبي سعيد عثمان، وآخرهم أبو الحسن الذي أجرى أعمالا جليلة وأحاطها بسور، حيث وجد نص تأسيسي في لوحة منقوشة بكتابة نسخية كانت تعلو المدخل التذكاري للمقبرة حيث تشير إليها بصيغة رباط، في تاريخ يعود إلى فترة أبو الحسن، وبنيت داخل أسوار هذا الرباط العديد من القباب والأضرحة على قبور السلاطين المرينيين، ومن دفن معهم من العلماء والأولياء، كما ضمت هذه الأسوار مصليات أو خلوات وزوايا أهمها الخلوة أو الزاوية المعروفة باسم خلوة سلا التي أسسها أبو الحسن قبل وفاته بأربعة عشر سنة، أما عن اللوح التأسيسي ينظر , MARCAIS (G) l'architecture, p 282.

[4]- الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 280؛ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج 2، ص 240؛المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والفن العربي الإسلامي، ج 2، إدارة الثقافة، تونس، 1995، ص 240.

أما الزاوية المتوكلية فقد بناها السلطان أبو عنان على غدير حمص المحاذي لمدينة فاس الجديد[1] في منزل جميل، مصبوغة بالأبيض ومزخرفة، يقابلها مسجد إضافة إلى قبة شامخة، وأضاف إلى هذه الزاوية دور ملحقة خاصة بالإمام والناظر على الأوقاف والأحباس والمؤذن ونزل الواردين وأخرى للطبخ، هذا بالإضافة إلى زاوية النساك بسلا[2] سنة 1356 م.

ولا شك أن سلاطين بني مرين أوقفوا على هذه الزوايا أوقافا كثيرة لجعلها مراكز للعبادة وإطعام عابري السبيل وذوي الحاجات والأيتام خاصة في المناسبات الدينية كأيام عاشوراء[3].

وإلى جانب هذه الأدوار كانت الزوايا تقوم كذلك بتعليم الناشئة من صبيان وطلاب والذي عرف إلى القرن التاسع الهجري بالتعليم الشعبي ليزدهر فيها فيما بعد التعليم الاحترافي خاصة بعد تقلص نشاط المدارس في هذا القرن وتدهورها.

وفي خضم الأزمات المختلفة التي عاشها المغرب خلال هذا القرن تقوى نفوذ الزوايا، فاستطاعت أن تستقطب مجهودات الشعب المغربي لمواجهة الضغط الأيبيري على السواحل المغربية فكثر بذلك عدد مريديها وازدادت مداخلها[4].

3/ أصناف العلوم النقلية والعقلية:

رغم المكانة السياسية والعسكرية التي تبوأتها دولة بني مرين إلا أنها لم تركز جهودها على هذا الجانب فحسب لضمان بقائها واستمراريتها، بل أدركت أنه لا بد لها أن ترتكز على أسس متينة وقوية لتحقق أهدافها البعيدة، الرامية إلى توحيد المغرب الإسلامي تحت لوائها.

ولذلك أولى سلاطين بني مرين الجانب العلمي والفكري اهتماما كبيرا، فقربوا العلماء من مجالسهم وأغدقوا عليهم الأموال لتحفيزهم على الإبداع والنشاط، وأعطوهم مطلق الحرية في التنقل

---

[1]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ج 2، ص 762، للمزيد من التفاصيل الدقيقة عن هذه الزاوية ينظر: فيض العباب للنميري، ص 93، 94؛ ومحمد منوني، ورقات، ص ص 46، 48.

[2]- النميري، المصدر السابق، ص 93؛ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 161.

[3]- الذخيرة السنية، ص 91.

[4]- الحسن إسكان، المرجع السابق، ص 84.

لانتهال العلوم والتحصيل،و الاجازة ،فتنوعت على عهدهم العلوم وازدهرت، وتوافد طلاب العلم من كل حدب و صوب على فاس وغيرها من حواضر المغرب الأقصى للإيجازة والتحصيل، وكان اهتمام علماء بني مرين بمختلف العلوم النقلية والعقلية، إلا أنهم أولوا العلوم الدينية كالتفسير والفقه والحديث عناية خاصة .

3-1- العلو م النقلية:

أ- العلوم الدينية:

أ-1- التفسير و الحديث:

تمهيدا لنشر دعوتهم الجديدة ،و تثبيتا لمركزهم السياسي عمل الموحدون على القضاء على المذهب المالكي ، فقاموا بحملات تعسفية على فقهائه ،و أحرقوا كل ما تعلق به من كتب [1]،و قاموا بالمقابل بنشر كتبهم ،و على رأسها موطأ ابن تومرت "أعز ما يطلب" الذي اشتمل على الأحاديث التي جمعا ابن تومرت في الطهارة ،و أحاديث الجهاد و الصلاة ،و كتابي المرشدة و التوحيد ،و القواعد و الامامة . [2]

غير أنه و رغم ما بذله الموحدون من جهود في تثبت مذهبهم و القضاء على المذهب المالكي ،سرعان ما عاد المغاربة إلى هذا المذهب الأخير بعد سيطرة بني مرين على الحكم بالمغرب الأقصى ،و الذين جعلو منه المذهب الرسمي للدولة ،و عملوا على توطيده و تدعيم أركانه ،خاصة و أنه مذهب أهل المغرب منذ ما قبل المرابطين ،بعدما وجدوه يتماشى مع مقتضياتهم ،و ينسجم

([1]) هاجم الموحدون المذهب المالكي ،و حاربوه لأنه في نظرهم أصبح جافا من محتواه الصحيح ،و هو مبن على القشور والشكليات ،و بعيدا عن دعامتيه الأصليتين القرآن و السنة ،حيث انكب جل فقهائه على الاشتغال بالتصنيف و التلخيص و التجريد ،تاركين الأصول و مهتمين بالفروع ،و تبعا لذلك احتكروا العلوم الدينية ،و استبدوا بأرائهم و أفكارهم ،و فرضوا سلطتهم الروحية و المادية على الرعية ،و استحوذوا على المناصب الهامة في الدولة .ينظر في ذلك: اسماعيل بن الأحمر ،بيوتات فاس ،ص 19 ،و ص 53 ؛محمد بن أحمد بن شقرون ،مظاهر الثقافة المغربية في العصر المريني ،دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني ،نشر و توزيع ،دار الثقافة ألدار البيضاء ،المغرب ،1985 ،ص 51 .

([2]) اسماعيل بن الأحمر ،بيوتات فاس ،ص 20،21 ؛محمد بن أحمد بن شقرون ،المرجع السابق ،ص 51 ؛ السعيد بنفرحي ، المرجع السابق ،ص 59 .

مع متطلباتهم،[1] رغم ما ظهر و انتشر من مذاهب ،و تيارات عقائدية و سياسية ،لم يكتب لها النجاح ،ماعدا المذهب الأشعري[2]، الذي ظل بنو مرين يحيطونه بالرعاية و الاهتمام .

و لعل ما ميز هذا العصر كذلك هو الرجوع إلى الكتب التي كان خلفاء الموحدين قد أمروا بإحراقها كمدونة سحنون [3]،و كتاب ابن يونس ،و النوادر و المختصر لابن أبي زيد القيرواني[4]،و تهذيب البرادعي ،و الواضحة لابن حاجب .

هذا فضلا عن موطأ الامام مالك [5] الذي يعتبره علماء المغرب من أمهات كتب الحديث وأصول السنن ،و هو مقدم عندهم على الصحيحين ،كما اعتمد فقهاء المغرب في فتاويهم على مختصر ابن الحاجب و شروحه ،و ذلك قبل دخول مختصر خليل الذي انصرفوا إليه بمجرد دخوله إلى بلادهم و اعتمدوه في الفتوى ،و اشترطوا على من يفتي به من الفقهاء مراجعته مرة كل عام .

([1]) محمد بن أحمد بن شقرون ،المرجع السابق ،ص 51 ،و ص 193 .

([2]) أعلن بنو مرين العودة إلى مذهب الأشعري في المعتقدات ،و الذي لا يحيد عن أهل السنة و الجماعة ،و لم يكن ذلك مطلب الرعية فحسب ،بل جعلوه مذهبا رسميا للدولة ،حيث حرص الملوك على اظهاره أمام الخاص و العام ،حيث يذكر ابن مرزوق أنه كان يقرأ بين يديه كتاب "الارشاد" لامام الحرمين ،و يلقى إليه من أدلة أهل السنة و الأشاعرة .ينظر: المسند ،ص ص 118-120 ؛الحسن الشاهدي ،المرجع السابق ،ص 31 .

([3]) يذكر اسماعيل بن الأحمر أن سبب انقراض دولة الموحدين هو احراقهم لمدونة سحنون ،حيث سلط الله عليهم جزاء فعلهم هذا النصارى فهزموهم في العقاب 609هـ/1212م .ينظر: بيوتات فاس ،ص 53 .

([4]) اختصر أبو محمد عبد الله بن أبي زيد غبد الرحمن القيرواني المدونة و المختلطة في كتابه المسمى "المختصر" (286هـ/966م) ،و لخص أو القاسم خلف بن أبي القاسم بن سعيد البرادعي من فقهاء القيروان هذا المختصر في كتاب سماه التهذيب ،و الذي أخذ به شيوخ افريقية و أخذوا به و تركوا ما سواه .ينظر: المقدمة ،ص 450 ؛أزهار الرياض ،ج3 ، ص 25 ؛ابن ثغري بردي ،النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ،ج4 ،دار الكتب المصرية القاهرة ،939، ص 200 ؛ابن عماد الحنبلي ،شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،ج3 ،المكتب التجاري للطباعة و النشر ،بيروت ،(د.ت) ،ص 331 .

([5]) يذكر الرواة ان القاضي عامر بن محمد القيسي أول من أدخل كتاب الموطأ إلى المغرب الأقصى ،وكان ذلك على عهد الأدارسة ،و بسببه تحول المغاربة من المذهب الحنفي إلى المذهب المالكي . ينظر: عمر الجيدي ،تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ،منشورات عكاظ ،(د.ت) ،ص 160 .

و قد انتشرت كتب المختصرات ،و راجت ،و تكاثرت على هذا العصر بشكل لفت أنظار النقاد الذين اعتبر بعضهم ذلك عيب من عيوب هذه الدولة لما رأوا من ولع طلبة العلم بالمختصرات الفقهية ،و اقبالهم عليها .[1]

كما اعتمد بنو مرين على مدونة سحنون [2]بإعتبارها الأصل الثاني للمذهب المالكي بعد الموطأ ،بعدما أعيد كتابتها – من بعد احراقها من طرف الموحدين — من حفظ أبي الحسن علي بن عشرين [3] ،و من حفظ عبد الله بن عيسى التادلي الفاسي، و أبي بكر بن عبد الودود الخياطي[4]،و قد احتلت المدونة مكانة رفيعة عند الفقهاء لأنها احتوت أربعة آلاف حديث ،وستة و ثلاثين أثرا ،و أربعين ألف مسألة .

([1]) عبد الله كنون ،النبوغ المغربي ،ج1 ،ص 240 ؛السعيد بنفرحي ،المرجع السابق ، ص 71 .

([2]) هو سحنون بن سعيد بنحبيب التنوخي المكنى بأبي سعيد من أهل القيروان و لد سنة 160هـ/776م ،أصله من الشام قدم إلى بلاد المغرب مع والده في جند حمص . كان فقيها صالحا زاهدا ذا علم واسع المعرفة ،أخذ العلم عن البهلول بن راشد و علي بن زايد ،و أبي حسان اليحصبي ،و معاوية الصمادحي ،إرتحل إلى المدينة المنورة في حياة مالك بن أنس رضي الله عنه ،توفي سنة 240هـ/858م . و قد اعتمدت المدونة أساسا على الأسدية المنسوبة لأسد بن الفرات (213هـ/828م) الذي سأل الامام عبد الرحمن بن القاسم الحنفي (191هـ/806م) بمصر أسئلة فأجابه وفق المذهب المالكي فدونها ابن الفرات وجمعت له مادة عرفت بالأسدية ،التي لم يسمح ابن الفرات لسحنون بالاطلاع عليها ،فارتحل إلى المشرق للقاء عبد الرحمن بن القاسم ،فأخذ عنه و عارضه في مسائل بالأسدية ،و لما عاد إلى المغرب دون و ثبت ما أخذه ،و طلب عبد الرحمن بن القاسم منة ابن الفرات أن يأخذ من المدونة فعظم عليه ذلك .فترك الناس كتابه و أخذوا بالمدونة التي عرفت كذلك بالمختلطة لاختلاط أبوابها .و قد قال عنه الشهرازي: " اليه انتهت الرئاسة في العلم بالمغرب ،و عنه انتشر علم مالك به " .ينظر:احمد بن محمد بن أحمد بن تميم ابو العرب ،طبقات علماء افريقية و تونس نتحقيق علي الشابي نعيم حسن التاجي ،الدار التونسية للنشر ،تونس ،1968 ،ص ص 182-187 ؛المقري ،أزهار الرياض ،ج3 ،ص 25 .

([3]) اسماعيل بن الأحمر ،بيوتات فاس ،ص 19 .

([4])التنبكتي ،نيل الإبتهاج ،ج1 ،ص 138.

كما اهتم فقهاء العصر المريني برسالة بن أبي زيد القيرواني المعروف بمالك الصغير[1]، وقطب المذهب [2] ،و قد احتوت رسالته اربعة آلاف مسألة ،و أربعمائة حديث رغم صغر حجمها .هذا إضافة إلى إعتنائهم بالصحيحين . [3]

و لم يعد المذهب المالكي على عهد المرينيين متصلبا جامدا كما كان على عهد المرابطين ،حيث أخذ الفقهاء يطرحونه وفق مقاييس جديدة تحاول التوفيق بين الاحكام الشرعية و بين الواقع و تطوراته . [4]

و بذلك أصبح الفقه المالكي أساس المغرفة و العلوم كلها ،فالطبيب كان فقيها ،و كذا الشاعر و الفيلسوف و الحسابي و الكاتب و غيرهم ،فابن المرحل و ابن رشيد و العبدري و ابن بطوطة و ابن البناء [5]،كانوا فقهاء قبل أن يتخصصوا في علوم أخرى كما سنأتي على ذكره في العلو م الأخرى .أما اشهر العلماء الذين برزوا في علم التفسير و الحديث فنذكر منهم:

- **أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمران المزدغي (ت 655هـ)**: اختص بالتفسير له كتاب في تفسير القرآن انتهى به إلى سورة الفتح .[6]

([1])التنبكتي ،نيل الإبتهاج ،ج1 ،ص 10 .

([2]) نفسه ،ص 137 .

([3]) في هذا الصدد أقام محمد بن عمر بن رشيد السبتي محاكمة بينما ورد في البخاري و ما ورد في مسلم ،و كتب أبو القاسم بن الشاط السبتي حاشية على صحيح مسلم ،كما اهتم ابن رشيد بتراجم صحيح مسلم . ينظر: الجذوة ،ج1 ،ص 290 ؛السعيد بنفرحي ،المرجع السابق ،ص 60.

([4]) لقد استفاد فقهاء المالكية على عهد بني مرين من المحنة التي تعرض لها أمثالهم من فقهاء المرابطين على يد الموحدين. ينظر: الحسن الشاهدي ،المرجع السابق ،ص 32 .

([5]) يكفي أن نشير إلى أن ابن البناء المراكشي ،و رغم اشتهاره بعلوم الرياضيات و نبوغه فيها إلا انه خلف عدة مؤلفات في التفسير و الفقه و الحديث منها: "تفسير الباء من البسملة" ، "رسالة في أسماء الله الحسنى" ، "الجزء الصغير على سورتي إن أعطيناك الكوثر و العصر إن الإنسان لفي خسر" ، "حاشية عن كشاف الزمخشري" ، "الاقتضاب و التقريب للطالب اللبيب في أصول الدين" و غيرها . عبد الله كنون ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 194 ؛محمد بن شقرون ،المرجع السابق،ص 193،194.

([6]) الجذوة ،ص 231 .

- **أبو عبد الله محمد بن العابد الأنصاري الفاسي (ت 662هـ)**: اختصر كتاب الزمخشري ،و حذف منه كل مايتعلق بالاعتزال . [1]

- **أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى الشهير بالشريف (ت 682هـ)**: اشتهر بتدريس الفقه و الحديث ،ولي قضاء الجماعة بمراكش على عهد السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني . [2]

- **ابن عبد الملك المراكشي (ت 703هـ)**: فارس علم الحديث و الأسانيد جمع بين كتابي ابن القطان و ابن المواق على كتاب الأحكام لعبد الحق الخراط الذي اعتمد فيه على الجمع و الترتيب و الاضافة و التكملة ،و هو عمل موسوعي منهجي كعمله في الذيل و التكملة،[3] وله مقالة حول الأربعين للملاحي ،كما كان مطلعا على تفاسير القرآن الكريم على اختلاف مناهجها و مذاهب أصحابها. [4]

- **ابن رشيد السبتي (ت 721هـ)**: كبير مشيخة المغرب حسب وصف ابن خلدون، له "المحاكمة بين البخاري و مسلم" و "السنن الأبين في السند المعنعن" و "ترجمان التراجم في بيان وجه مناسبة تراجم البخاري" و "افادة التصحيح بالتعريف باسناد الجامع الصحيح". [5]

- **سراج الدين القاسم ابن الشاط الاشبيلي السبتي (ت 725هـ)**: من علماء الحديث، له حاشية على صحيح مسلم ،و كتاب في التعريف برجال أسانيد البخارى سماه "الشرف على أعلى شرف في التعريف برجال سند البخاري من طريق الشريف أبو علي بن أبي شرف". [6]

([1]) مجهول ،بلغة الأمنية ،ص 77 .

([2]) الذخيرة السنية ،ص 86 ؛العباس بن ابراهيم ،الاعلام بمن حل بمراكش و أغمات من أعلام ،تقديم عبد الوهاب بن منصور ،ج4 ،المطبعة الملكية ،الرباط ،1974 ،ص 281 .

([3]) السعيد بنفرحي ،المرجع السابق ،ص 61 .

([4]) نفس المرجع ،ص 61،62 .

([5]) التعريف بابن خلدون ،ص 59 ؛جذوة الاقتباس ،ص 290 .

([6]) عبد العزيز بن عبد الله ،سبتة من خلال رجالاتها ،مجلة المناهل ،وزارة الشؤون الثقافية المغربية ،العدد 22 ،يناير 1982 ،ص 679،680 .

- **عبد الرحمن بن عفان الجزولي (ت 741هـ)**: أعلم الناس بالمدونة ،سماه ابن القاضي بشيخ المدونة ،كان يحضر مجلسه لاستظهار المدونة أكثر من ألف فقيه . [1]
- **عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي (ت 749هـ)**: ممن برعوا في علم الحديث و تقدموا فيه ،وضبطوا رجاله ،أخذ عن ألف شيخ ذكرهم في مشيخته التي ضاعت ،كانت له كذلك مشاركة في الأصلين . [2]
- **محمد بن محمد المقري القرشي التلمساني (ت 759هـ)**: كان قائما على الفقه والتفسير أتم القيام ،له مشاركة كذلك في الأصلين . [3]
- **أبو عنان فارس بن أبي الحسن المريني (ت 759هـ)**: هو كما وصفه اسماعيل بن الأحمر عارفا بالفقه و الأصول و الحديث ،حافظا للقرآن عارفا بناسخه و منسوخه ،كثير التمثيل بآياته ،عارفا بالرجال . [4]
- **أحمد بن محمد بن عاشر الأنصاري (ت 765هـ)**: اشتهر بالحديث ،و بنسخه لكتاب "العمدة" في الحديث ،و اتخذ ذلك مصدرا لرزقه ،حيث كان يبيع النسخة بقيمتها دون زيادة. [5]
- **ابراهيم بن الحاج النميري الغرناطي (ت 768هـ)**: اشتهر في الحديث له عدة مؤلفات من بينها: "الأربعين حديثا البلدنيات و المستدرك عليها من البلاد التي دخلها" و "روضة العباد المستخرجة من الارشاد" و له جزء في بيان اسم الله الأعظم . [6]

([1]) جذوة الاقتباس ،ص 401 .
([2]) نفس المصدر ،ص 444،445 .
([3]) نفسه ،ص 298 .
([4]) بيوتات فاس ،ص 64 .
([5]) جذوة الاقتباس ،ص 551 .
([6]) نفسه ،ص 91،92 .

- **أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمران الفنزاري السلوي الشهير بابن المجراد (ت 778هـ)**: اشتهر بالحديث و رواياته لقبه صاحب البلغة بالحافظ للرواية ،و لقبه السلاوي بالمحدث . [1]

- **يحيى بن أحمد السراج الرندي النفزي الحميري (ت 805هـ)**: الفقيه الامام المحدث الراوية الرحالة المكثر في الرواية الذي انتهت إليه رواية الحديث و رياسته ،قليل ما نجد كتاب في المغرب ليس عليه خطه ،له كتاب "الرسائل الكبرى" . [2]

- **عبد الله بن محمد موسى بن معطي العبدوسي (ت 848هـ)**: عالم فاس الكبير و محدثها الشهير ،امام جامع القرويين ،العالم بفقه الحديث ، له نظم حسن مشهور في مسألة شهادة السماع نقله، و نقل عنه الونشريسي جملة من الفتاوى .[3]

- **أحمد بن عمر المزدكلي**: آخر حفاظ المدونة بفاس ،كان يحفظها حفظا يضرب به أولها بآخرها ،كان يضرب به المثل في الحفظ . [4]

أ-2- علم القراءات: [5]

يكاد يجمع دارسوا هذه الفترة على أن المغاربة لم يبرعوا في علم من العلوم مثلما برعوا في علم القراءات ،و يذكر عبد الله كنون أنه ما من أحد من فقهاء هذا العصر إلا و كان له إلمام

([1]) بلغة الأمنية ،ص 60 ؛الاستقصا ،ج4 ،ص 83 .

([2]) جذوة الاقتباس ،ص 539 .

([3]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 249، 250 ؛جذوة الاقتباس ،ص 425 ؛الاستقصا ،ج4 ،ص 101 .

([4]) جذوة الاقتباس ،ص 127 .

([5]) القراءات علم يبحث في صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلاف المتواتر و مبادئه ،و تشمل القراءات أنواعا متعددة منها التجويد و الرسم و القراءات المأثورة القريبة و توجيهاتها ،كان ظهورها نتيجة الاختلاف في اللهجات العربية. ينظر: مصطفى حاجي خليفة ،كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون ،تحقيق شهاب الدين الحسيني ،ج2 ،مكتب المثنى ،بغداد ،1941 ،ص 133 ؛عبد الرحمن بن خلدون ،المقدمة ،ص 437 ؛عبد الله كنون ،النبوغ المغربي ،ج1 ،ص 195 .

بالقراءات كلها أو بعضها، [1] و يضيف عبد الكريم التواتي أن القراءات هي الميدان الوحيد الذي سيطر فيه المغاربة سيطرة تامة على سواهم من علماء الإسلام في كل أصقاع العالم . [2]

و من أبرز من نبغ في هذا الفن نذكر:

- **ابو الحسن عبد الله بن عبد العزيز بن عبيد الله بن عبد الله بن خباز القرشي الأموي المعروف بابن القارئ (ت 692هـ)**: كان من أهل المعرفة بالقراءات ،نزل بسبتة و أخذ عنه الكثير . [3]
- **محمد بن ابراهيم بن اسحاق الأنصاري بن ابراهيم بن الحاج السلمي**: من أهل ألميرية ولد سنة 646هـ/1246م ،نزل بسبتة و أخذ عن الحسين بن الربيع القراءات السبع التي كان هذا الأخير متضلعا فيها . [4]
- **أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحليم بن عمران الأوسي الدكالي الملقب بسحنون**: استقر بمصر ،و أخذ القراءات عن عالمها الصفراوي و سمع منه . [5]
- **مالك بن المرحل (ت 699هـ)**: شاعر المغرب بلا منازع ،برع في علم القراءات السبع ،خاصة قراءة نافع، [6] شرح رجز الأماني في القراءات ،من أشياخه أبي العباس أحمد بن على الشهير بالفحام الذي أخذ عنه القراءات ،و لقي بإشبيلية أبا القاسم بن تقي ،و أبا الحسن

([1]) النبوغ المغربي ،ج1 ،ص 205 .

([2]) الاتجاه الديني العام لبني مرين ،مجلة دعوة الحق ،العدد 245 ،سنة 1985 ،ص 68،69 .

([3]) ابن عبد المالك المراكشي ،الذيل و التكملة ،تقديم و تحقيق محمد بنشريفة ،السفر8 ،القسم2 ،مطبوعات أكاديمية المملكة ،المغرب ،(د.ت) ،ص 536،537 .

([4]) ابن القاضي ،درة الحجال ،ج2 ،ص 59 ؛محمد بن محمد بن مخلوف ،شجرة النور ،ص 216،217 .

([5]) شمس الدين أبي عبد الله محمد المصري بن عثمان الذهبي ،معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار ،تحقيق محمد سيد جاد المولى ،ج2 ،القاهرة ،1967 ،ص 555 ؛ابن عماد الحنبلي ،المصدر السابق ،ج5 ،ص 431 .

([6]) الوادي آشي، محمد جابر التونسي ،برنامج الوادي آشي ،ط2 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1981 ،ص 139 ؛عيسى بن طالب ،مالك بن المرحل أديب المرينيين ،مجلة الفيصل ،العدد 23 ،ابريل 1979 ،الرياض ،ص 107 .

الديباج ،و أبا علي الشلوبيين ،و أبا جعفر أحمد بن الفحام الذي أجازه ،من نظمه قصيدة التبيين و التبصير لكتاب التيسير التي عارض فيها الشاطبية .[1]

- **أبو القاسم بن الطيب الخضراوي (ت 701هـ)**: قال عنه تلميذه ابن عبد الملك: "روى عنه غير واحد من طلبة سبتة و لقيته و جالسته و حضرة اقراءه ،كان مجودا للقرآن العظيم ،من أحسن الناس صوتا به وأطيبهم نغمة في ايراده " .[2]
- **أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري ثم الأوسي من أهل مراكش الشهير بالمراكشي (ت 703هـ)**: يعد حجة في علوم القرآن ،خبير في القراءات محيط بكل ما ألف فيها، و أبدى رأيه فيها ،و أصدر حوله الأحكام كرأيه في ترجمة المقرئ قاسم بن الحاج الإشبيلي ، صنف في السبع "البديع" الذي كان مفضلا لدى كثير من الشيوخ على معظم ما صنف في فنه،[3] كما برع في عدة علوم كالفقه و و الحديث و الأدب ،روى عن كثير من العلماء كأبي الحسن الرعيني و ابي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن هشام ،أجاز له أبو جعفر بن الزبير صاحب "صلة الصلة" ،تولى قضاء مراكش ،و توفي بتلمسان .[4]
- **خلف بن عبد العزيز القبتوري الإشبيلي (ت 704هـ)**: أخذ عن أبي الحسن علي بن الديباج ،و أبي الحسن بن أبي الربيع ،و ابراهيم بن محمد ،أجازه جماعة من أهل المشرق .[5]
- **أبو الربيع سليمان الونشريسي (ت 705هـ)**: أحد مشايخ علم القراءات ،كان إمام و مقرئ جامع الأندلس بفاس .[6]

([1]) جذوة الاقتباس ،ج1 ،ص 328 ؛الوادي آش ،المصدر السابق ،ص 139 .

([2]) ابن عبد الملك المراكشي ،الذيل و التكملة ،السفر8 ،قسم1 ،ص 31 .

([3]) ابن فرحون ،الديباج ،ج1 ، ص 331 ؛ ابن عبد الملك المراكشي ،الذيل و التكملة ،السفر8 ،قسم1 ،ص 72.

([4])عبد الله كنون ،النبوغ المغربي ،ج1 ،ص 206 .

([5]) جلال الدين السيوطي ،بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،ج1 ،المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،بيروت ،1963 ،ص 238 ؛ابن القاضي ،درة الحجال ،ج1 ،ص 262 .

([6]) جذوة الاقتباس ،ج2 ،ص 515 ؛التنبكتي ،نيل الابتهاج ،ج1 ،ص 183 .

- **أبو بكر محمد بن عبد الله الأنصاري الإشبيلي نزيل سبتة (ت 706هـ)**: أخذ عن أبي الحسن بن علي بن الديباج ،و أبي محمد فضل المقرئ ،و ابي محمد بن ستاري ،و أبي عبد الله بن محلى السبتي ،و ابن الحسن الزيات ،و ابن أبي الربيع . [1]
- **عبد الله بن محمد الشيخ كمال الدين المغربي (ت 710هـ)**: ارتحل إلى بلاد المشرق ،ثم نزل ببيت المقدس ،توفي بالقدس الشريف . [2]
- **المقرئ أبو يعقوب المجسكي**[3] **(ت 712هـ)**: قدم إلى سبتة و قرأ بمسجد القفال القراءات السبع .
- **أبو اسحاق ابراهيم بن عيسى الغافقي الإشبيلي (ت 716هـ)**: أخذ القراءات بسبتة عن أبي الحساني . [4]
- **أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي (ت 721هـ)**: رحالة شهير من الأئمة الحفاظ الوعاة ،و الخطباء الأجلاء ولد ونشأ بسبتة ،كان محدثا مسندا متضلعا في النحو واللغة والعروض والأدب، حافظا للأخبار والتواريخ والسير، مشاركا في الأصلين ،عارفا بالقراءات السبع ،تولى الخطابة بمسجد غرناطة الأعظم ،ثم عاد إلى فاس، ارتحل إلى المشرق مرتين وأخذ عن مشايخه ،ثم عاد ليؤلف رحلته "ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة" ،استقر بفاس إلى أن توفي بها . [5]

([1]) درة الحجال ،ج2 ،ص 259 .

([2]) شمس الدين الذهبي ،المصدر السابق ،ج2 ،ص 596 .

([3]) مجسكة احدى قبائل غمادة التي مواطنها بين تيطوان و سبتة .مؤلف مجهول ،بلغة الأمنية ،ص 63 .

([4]) أبو الحسن النباهي ،تاريخ قضاة الأندلس المسمى المراقبة العليا ،المكتب التجاري للطباعة و التوزيع ،بيروت ،1983 ، ص 133 ؛أبو محمد عبد الله اليافعي بن أسعد بن علي بن سلمان ،مرآة الجنان و عبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ،ج4 ،ط2 ،مؤسسة الأعلمي ،بيروت ،1970 ،ص 266 .

([5]) ابن القاضي جذوة الاقتباس ،ج1 ،ص 289 ؛ابن الخطيب ،الاحاطة ،ج3 ،ص 136،137 ؛عبد الله كنون ،النبوغ المغربي ،ج1 ،ص 207،209 ؛السعيد بنفرحي ،المرجع السابق ،ص 66 .

- **أبو عبد الله محمد بن داود الصنهاجي الفاسي الشهير بابن آجروم (ت 723هـ)**: قرأ بفاس ،و أخذ عن أبي حيان ،و عن محمد بن على الغساني ،اشتهر بالنحو و القراءات التي له فيها تصنيفات و أراجيز كشرح جرز الأماني في القراءات ،و نظم البارع في قراءة نافع.[1]
- **أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن يوسف الأنصاري القصري السبتي (ت 723هـ)**: امام مقرئ قرأ مؤلفات كثيرة في القراءات ،ارتحل إلى المشرق سمع من الكثير في القراءات من علمائه بمصر و الحجاز و الشام ،ثم استقر ببيت المقدس ،له عدة مؤلفات منها "اختصار كتاب الكافي"،[2] أخذ القراءات عن أبي الحسين عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أبي القاسم محمد بن عبد الر حمن بن الطيب القيسي الذي أجازه اجازة عامة،[3] كما سمع عن الوادي آشي صاحب البرنامج الذي أجاز مؤلفاته و مروياته .[4]
- **المقرئ محمد بن البقال**: الذي أشتهر بكثرة تلاوته للقرآن الكريم .[5]
- **المقرئ محمد بن علي بن محمد بن الحسن التازي الشهير بابن بري (ت 731هـ)**: بارع في علوم اللغة و القراءات ،كان كاتبا بليغا متفنن في كثير من العلوم له مؤلف "الدرر اللوامع في قراءة نافع" ،كما له مصنفات في النحو و العروض .[6]
- **عبد الله بن محمد البكري الفاسي المعروف بالأندلسي**: صاحب ابن الأحمر الذي حلاه بالمقرئ في نثير الجمان .[7]

([1]) السيوطي ،بغية الوعاة ،ج1 ،ص 555 ؛حاجي خليفة ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 796 ؛عبد الله كنون ،مشاهير رجال المغرب ،ص 24 .

([2]) عماد الدين بن كثير ،البداية و النهاية ،ج14 ،مكتبة المعارف ،بيروت ،1977 ،ص 109 ؛شمس الدين ابن جزري ،غاية النهاية في طبقات القراء ،ج2 ،ط2 ،بيروت ،1980 ،ص 47 ؛ابن مريم ،البستان ،ص 20 .

([3]) الوادي آشي ،المصدر السابق ،ص 98،99 ؛ابن القاضي ،درة الحجال ،ج2 ،ص 258 .

([4]) الوادي آشي ،المصدر السابق ،ص 98 .

([5]) عبد الله كنون ،النبوغ المغربي ،ج1 ،ص 24 .

([6]) عبد الرحمن بن خلدون ،التعريف بابن خلدون ،ص 61 ؛ عبد الله كنون ،النبوغ المغربي ،ج1 ،ص 209 .

([7]) نثير الجمان ،ص 396 .

- **محمد بن عمر بن تومرت الموحدي التنملي:** من أهل فاس قال عنه صاحب نثير الجمان: "هو بحر الآداب ،و رئيس النحو و الحساب ،و اما القراءات فقد فاق فيها أهل عصره".[1]
- **أبو عبد الله محمد بن الصفار المراكشي:** و صفه ابن خلدون بشيخ القراءات بالمغرب .[2]
- **أبو عبد الله محمد بن أحمد الزواوي (ت 749هـ):** شيخ القراء بالمغرب،[3] كان إماما في في القراءات و صاحب ملكة فيها لا يجارى ،و كان له مع ذلك صوت من مزامير داوود.[4] كان يصلي التراويح بالسلطان أبي الحسن ،و يقرأ عليه بعض الأحيان حزبه .[5]
- **قاسم بن عمدان الحضرمي المقرئ السبتي:** عارف بالقراءات ،رحالة ،مصنف رواية ،يحمل صحيح البخاري ،و هو سند عال متصل السماع لا نظير له في المغرب .[6]
- **عبد الرحمن بن التاجر الفقيه:** قارئ الكتاب بجامع القرويين ،كان معاصرا ليحيى بن مليل المتوفى سنة 750هـ .[7]
- **أحمد بن محمد النقري الشهير بالسراج:** الأستاذ المقرئ الصالح .[8]
- **عبد الله بن أحمد بن مسلم القصري (ت 773هـ):** الفقيه المقرئ و الراوية .[9]

([1])نثير الجمان ،ص 397 .

([2]) العبر ،ج7 ،ص 689 .

([3]) ابن القاضي جذوة الاقتباس ،ص 122 .

([4]) يروى أن أبا موسى الأشعري كان يقرأ القرآن فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: "أعطيت مزمارا من مزامير داوود" و يعني بذلك حسن صوته و عذوبته .

([5]) العبر ،ج7 ،ص 526 .

([6]) مؤلف مجهول ،بلغة الأمنية ،ص 31،32 .

([7]) ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 538 .

([8]) نفس المصدر ،ص 123 .

([9]) مؤلف مجهول ،بلغة الأمنية ،ص 38 .

- **أحمد الشعار** : قال عنه صاحب بلغة الأمنية: "كان له تقدم في القراءات و معرفة برسم المصحف".[1]
- **أبو بكر الشريف الحسني الادريسي (ت 809هـ)**: امام اللغة و القراءات السبع ،قال عنه صاحب بلغة الأمنية: "كان يقرأ من كتب القراءات حرز الأماني في القراءات السبع ،و الدرر اللوامع في حرف نافع" .[2]
- **عبد الرحمن الجادري المديوني (ت 818هـ)**: كان يقرأ بالقراءات السبع .[3]
- **الحاج أبو عبد الله بن عبد الواحد:** كان مبرزا في التجويد .[4]

أ-3- الفقه و الفتيا:

إن كثرة الفتاوي ناتج عن اتساع العمران ،و كثرة النزاعات و الخصومات و الخلافات ، وكثرة العادات و الأعراف ،و جهل الناس لكثير من أمور دينهم و دنياهم .و اتلمسلم الجاهل لحكم الله في حادثة من الحوادث أو نازلة من النوازل مطالب بأن يسأل عن حكم الله فيها مصداقا لقوله تعالى: "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" [5]،و واجب أهل الذكر ،و هم العلماء أن يبينوا للناس ما يعلمون و لا يكتمونه ،و إلا حلت بهم لعنة الله و لعنة اللاعنين ،قال تعالى: "إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات و الهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون" .[6]

([1])مؤلف مجهول ،بلغة الأمنية ،ص 34 .

([2]) نفسه ،ص 49،50 .

([3]) ابن القاضي جذوة الاقتباس ،ص 404 .

([4]) نفسه ،ص 543 .

([5]) الآية 43 من سورة النحل .

([6]) الآية 159 من سورة البقرة .

لذلك كان لزاما على كل عالم بكتاب الله أن يستقرأ النصوص ،و يستنتج منها أحكام النوازل و الحوادث المستجدة أو المتوقعة ،لذلك فالفتوى لا تسند إلى أشخاص معينين من قبل السلطة ،و إنما يتصدر لها كل من أحرز درجة من العلم تؤهله لئن يفتي للناس بما يراه مناسبا.[1]

و على هذا الأساس كانت الفتوى و المناصب الشرعية كالقضاء كانت مستقلة عن أي تدخل للسلطة أو من قبل موظفيها ،و كلمة القاضي كانت نافذة في الكبير و الصغير ،و خير دليل على ذلك الشجار الذي جرى بين القاضي أبي الحسن الصغير و الوزير أبي يعقوب الوطاسي بسبب تعقب هذا الأخير لحكم القاضي ،فلم يكن من السلطان إلا أن سخط عليه و عزله .[2]

وقد اعتمد علماء المغرب في اصدار فتاويهم على مختصر ابن الحاجب و شروحه ، وتهذيب البرادعي ،ثم اعتمدوا بشكل شبه كلي على مختصر الشيخ خليل بعد دخوله لبلاد المغرب.[3]

و من الفقهاء الذين تصدروا للفتوى في العصر المريني نذكر:

- **يوسف بن موسى بن أبي عيسى الغساني (ت 700هـ)**: صاحب مؤلفي الإفادة الكبرى و الإفادة الصغرى على رسالة الشيخ أبي محمد بن أبي زيد ،و الذين سرد فيهما الأثر ،و ذكر فيهما غرائب من الفقه .[4]

([1]) السعيد بنفرحي ،المرجع السابق ،ص 71 .

([2]) عبد الله كنون ،النبوغ المغربي ،ج1 ص 200 .

([3]) محمد بن الحسين الحجوي الثعالبي ،الفكر السياسي في تاريخ الفقه الإسلامي ،ج2 ،مطبعة ادارة المعارف ،الرباط ، 1340هـ ،ص 427 .

([4]) ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 554 .

- **أبو الحسن الصغير علي بن عبد الحق الزرويلي (ت 719هـ)** [1]: فقيه من كبار القضاة و من الصدور الحفاظ ،له عدة مؤلفات منها"شرح الشاطبية" ،رسالة "الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر" ،و كتاب "فهرس ما لم يفهرس" ،و كتاب "الدر النثير[2] على أجوبة أبي الحسن الصغير"التي جمعها تلميذه أبو سالم ابراهيم بن عبد الرحمن التسولي. [3]
- **إبراهيم بن حكم الكناني السلوي الشهير بأبي إسحاق (ت 737هـ)** : قال عنه تلميذه أبو عبد الله المقري في مشيخته: "هو شيخنا مشكاة الأنوار يكاد زيتها يضيء و لو لم تمسسه نار". [4]
- **محمد بن يحيى الباهلي المسفر (ت 744هـ)**: مفتي ومدرس و محقق ،دخل فاس ولقي بها أبا الحسن الصغير . [5]
- **أبو القاسم ابراهيم بن ابي يحيى التسولي التازي ثم الفاسي (ت 747هـ)**: تلميذ أبي الحسن الصغير كان مجلسه وقفا علر التهذيب و الرسالة ،له تقييد على التهذيب . [6]

([1]) هناك امام آخر اشتهر باسم أبي الحسن الصغير مكناسي الأصل له مؤلف "الرد على الفقراء" الذي تهجم فيه على الصوفية و ذكر فيه ضلالهم ،و هو الذي رد عليه السنوسي الصوفي الأشعري في مؤلفه "نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير".

ينظر: أبو الوليد أيوب الخريبكي ،"أبو الحسن الصغير" ،مجلة دعوة الحق ،على الموقع ، www.ahlealhaderth.com، ص 2 .

([2]) الدر النثير على أجوبة أبي الحسن الصغير رتبها و بوبها و ذيلها بأقوال العلماء أبو سالم ابراهيم بن هلال بن علي السلجماسي (ت 906هـ) بخط محمد المصباح بن محمد اليعقوبي الرشيدي ،مخطوطة بقسم المخطوطات ،جامعة الملك سعود ،تحت رقم 5259 ف 1102 /4 .

([3]) أبو الوليد أيوب الخريبكي ،المرجع السابق ،ص1،2 ؛عبد الله كنون ،النبوغ المغربي ،ج1 ،ص 205 ؛السعيد بنفرحي ، المرجع السابق ،ص 71 .

([4]) أبو الوليد أيوب الخريبكي ،المرجع السابق ، ص 24.

([5]) ابن القاضي جذوة الاقتباس ،ص 85 .

([6]) جذوة الاقتباس ،ص 86 ؛أبو الوليد أيوب الخريبكي ،المرجع السابق ،ص1،2؛السعيد بنفرحي ،المرجع السابق ،ص71. ،ص71.

- **محمد بن علي بن سليمان السّطي (ت 749هـ)** [1]: الفقيه حافظ المغرب، العلامة الفرضي الجليل، أخذ العلم عن إمام المالكية بالمغرب أبي الحسن الصُّغير و تفقه عليه، و كان أحفظ الناس للمذهب و أفقههم فيه، أخذ الفرائض عن أبي الحسن الطنجي، ختم عليه الحوفية ثماني ختمات، و كان له في فهمه و إقرائه وحلّ عقده اليد الطولى، إختاره السلطان أبو الحسن المريني مع جماعة من العلماء لصحبته إلى تونس[2]. من تآليفه : تعليق صغير على المدوّنة و شرح جليل على الحوفية و تعليق على اِبن شاس فيما خالف فيه المذهب.

أخذ عنه اِبن عرفة و العقباني و اِبن خلدون، و المقرّي، و العبدوسي الكبير، و ابن مرزوق الخطيب ، و القباب.

حظي بمكانة مرموقة عند أبي الحسن المريني، إذ كان يؤم به و مفتيه و خطيبه، نشأ مكبًّا على النظر و القراءة و التقييد حتى في مجلس السلطان. [3]

حضر مع السلطان أبي الحسن واقعة القيروان و خلص معه إلى تونس و أقام معه بها نحوًا من سنتين ثمّ توفي غريقًا في سواحل بجاية مع من غرق من الفضلاء وغيرهم .[4]

- **إبراهيم بن عبد الكريم أبو إسحاق (ت بعد717هـ)**[5]: كان فقيها مدرّسًا بمكناسة الزيتون، يقدّر أقوال الأئمة و كلام الناس و يعلم الصبيان.
- **عبد الحق بن سعيد المكناسي (ت 761هـ)**: كان قائما على كتاب ابن الحاجب ،له مؤلف "الجازمة على الرسالة الحاكمة" و هو تقييد على فتوى الامام أبي بكر بن العربي أجاد فيه و أحسن . [6]

([1]) السطي نسبه إلى سطة بطن من قبيلة أوربة.

([2]) نيل الإبتهاج، ج2، ص 62- 63.

([3]) ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 228 .

([4]) التعريف بابن خلدون، ص 33.

([5]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 23.

([6]) ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 389 .

- **ابراهيم بن محمد اليزناسي (ت 775هـ)**: وصفه صاحب الجدوى بالفقيه المفتي العلامة المحقق له فتاوى كثيرة نقل جملة منها الونشريسي في المعيار .[1]
- **أحمد بن القاسم بن عبد الرحمن الجذامي القباب (ت 778هـ)**: ولي الفتيا بفاس له أجوبة[2] و هي مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1447 .
- **محمد بن الصبّاغ الخزرجي المكناسي** : قال عنه إبن خلدون : «كان مبرزًا في المنقول والمعقول عارفا بالحديث ورجاله، إمامًا في معرفة كتاب الموطّأ و إقرائه، أخذ العلوم عن مشيخة فاس و مكناسة، و لقي شيخنا أبا عبد الله الآبلي و لازمه و أخذ عنه العلوم العقلية فإستنفذ بقية طلبه عليه فبرَّزَ آخرًا، و إختاره السلطان فإستدعاه و لم يزل معه حتى هلك غريقا في ذلك الأسطول، يعني أسطول أبي الحسن آخر سنة خمسين و سبعمائة»[3].

كان إبن الصبّاغ من كبار العلماء فقيها شهيرًا عالمًا علاّمة إجتمع في رحلته إلى تونس التي إستصحبه فيها السلطان أبو الحسن بالإمامين إبن عبد السلام و إبن هارون والإمامين أبي زيد وأبي موسى إبني الإمام فأخذ معهم في العلم و أعطى. و ممّن مات معه في ذلك الأسطول الفقيه الحافظ السَطيّ و الأستاذ الزواوي، له نظم في علاقات المجاز[4].

- **أبو عبد محمد بن أحمد الفشتالي (ت 779هـ)**: مفت في المسائل الفقهية ،قدمه السلطان أبي عنان للخدمة قاضيا بحضرته .[5]
- **الحسن بن عطية التجاني الونشريسي المكناسي (ت 781هـ)**: و صفه ابن القاضي بالمفتي القاضي الصالح .[6]

([1]) جذوة الاقتباس ،ص 86،87 ؛السعيد بنفرحي ،المرجع السابق ،ص 72 .

([2]) ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 123 .

([3]) التعريف بابن خلدون، ص 46.

([4]) نيل الإبتهاج، ج2، ص 65.

([5]) ابن الأحمر ،نثير الجمان ،ص 358،389 .

([6]) ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 179 .

- **موسى بن محمد بن معطي العبدوسي** [1]: و به عرف أبو عمران الفاسي مدرّسها وعالمها و مفتيها، قال عنه اِبن الخطيب القسنطيني : «شيخنا و مفيدنا طريقة الفقه الشيخ الحافظ، مجلسه بفاس أعظم المجالس يحضره الفقهاء و المدرّسون و الصلحاء و حفاظ المدوّنة يحضره من نسخها بيد الطلبة نحو أربعين».

و يذكر اِبن الخطيب : «بأنّ الشيخ العبدوسي كان آية الله في المدوّنة، و كان الشيوخ يقولون : فقهاء العصر على ثلاثة أقسام : من أعطى الحفظ فقط و من أعطى الفهم فقط و من جُمعا له و هو سيدي العبدوسي، و قد قيّد عنه شيخنا الفقيه الحافظ عمر اِبن موسى تقييدًا كبيرًا في عشرة أسفار على المدوّنة، و له تقييد آخر عليها و آخر على الرسالة».

و يقول في موضع آخر : «كان له في الفقه مجلس لم يكن لغيره في زمانه، لازمته في المدوّنة و الرّسالة بفاس ثماني سنين».

و ممّن كان يحضر مجلسه من كبار الصالحين اِبن عبّاد و أبو حفص الرجراجي وأبو عبد الله الهواري و غيرهم من الأئمة.

- **أبو القاسم محمد بن عبد العزيز التازغدري (ت 833هـ)**: شيخ شهير و مفت محقق. [2]
- **محمد بن موسى بن محمد بن معطي العبدوسي** [3]: أبو عبد الله بن أبي عمران، و صفه بعضهم بالفقيه المدرّس العالم الخير الأزكى الورع الصالح العلامة اِبن الإمام العلاّمة، كان حيًّا بعد التسعين و سبعمائة، و هو والد الإمام عبد الله العبدوسي، و أخو أبي القاسم العبدوسي، والده الإمام الحافظ موسى العبدوسي.

([1])نيل الإبتهاج، ج2، ص 300، 301.

([2]) ابن القاضي ،جذوة الاقتبلس ،ص 239 .

([3]) نفسه، ص 148، 149.

- **عبد الله بن محمد موسى بن معطي العبدوسي (ت 849هـ)**: مفتي فاس و عالمها ومحدّثها و صالحها الإمام الحافظ العلامة الصالح، ولي الفتيا بالمغرب الأقصى و إمامة جامع القرويين بفاس، و مات فجأة و هو في الصلاة .[1]

له نظم حسن مشهور في مسألة شهادة السماع نقله، و نقل عنه الونشريسي جملة من الفتاوى[2].

- **الحسن بن علي بن باديس القسنطيني الشهير بابن قنفد (ت 810هـ)**:عالم فقيه له "المسائل المسطرة في النوازل الفقهية . [3]

- **أحمد بن سعيد العجيسي المكناسي الخطيب الشهير بالحبّاك (ت 870هـ)**: خطيب جامع القرويين بعد العبدوسي، كان فقيها متصوّفا شاعرًا فصيحًا، ظريفًا علاّمة، نظم مسائل اِبن جماعة في البيوع، كان يدرّس بالمدرسة المتوكلّية المعروفة بمدرسة أبي عنان . [4]

- **خلف الله المجاصي**: الفقيه الحافظ من علماء فاس و شيوخها و أحد الحفاظ بها، كان يحفظ المقدّمات والبيان و التحصيل لِابن رشد، أخذ عن أبي الربيع سليمان الونشريسي توفي سنة 732هـ. [5]

- **أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزرّوق (ت 899هـ)**: الإمام العالم الفقيه المحدّث الصوفي الولي الصالح الزاهد القطب الغوث العارف بالله، ذو التصانيف العديدة و المناقب الحميدة و الفوائد العتيدة، قد عرّف بنفسه و أحواله وشيوخه في كناشته وغيرها. [6]

([1]) السخاوي ، المصدر السابق،ج5، ص 67.
([2]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 249، 250.
([3]) اعلام الجزائر ،ص 67 .
([4]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 130، 131 .
([5]) نفسه ،ص 179 .
([6]) السخاوي، المصدر السابق، ج1، ص 222 ؛نيل الإبتهاج، ج1، ص ص 128- 130 .

- **محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد بن محمد القُوْري (ت 872هـ)**: اللّخمي المكناسي ثمّ الفاسي، أندلسي الأصل الشهير بالقوري نسبة لبليدة قريبة من إشبيلية، الإمام العلاّمة المحقق له مشاركة في العلوم العقلية و النقلية . [1]

ذكره السخاوي في الضوء اللاّمع : كان متقدّمًا في حفظ المتون و فقهها، علّق شيئا على المختصر و لم ينتشر و اِنتفع به الطلبة، أخذ عنه الفاضل أحمد زرّوق و قال : «إنّه مات آخر ذي القعدة عام اِثنين و سبعين»[2].

- **محمد بن علي بن أملال المديوني**: فقيه مفتي ولي الفتيا بعد عزل الشيخ القوري الذي أعيد إلى منصبه بعد وفاة المديوني . [3]
- **أبو محمد علي الورياغلي**: الفقيه العارف بالمذاهب ،و العالم بها التي كان يرجح منها المذهب المالكي ،أجوبته تدل على غزارة علمه إذ لا يذكر فيها إلا الخلاف العالي . [4]
- **أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي الشهير بالدّقون (ت 921هـ)**: الفقيه الأستاذ الرّاوية الشاعر الخطيب بجامع القرويين بفاس، أخذ عن الأستاذ الصغير، قرأ عليه بالسّبع و قارب الختم فمات الشيخ فكمل على اِبن غازي، و روى عن الإمام المواق فهرسته، و كان مقرئا كثيرًا المزاح، روى عنه أبو القاسم ابن اِبراهيم وغيره . [5]

([1]) الضوء اللاّمع، ج8، ص 280 ؛نيل الإبتهاج، ج2، ص ص 233- 235 .

([2]) الضوء اللاّمع، ج8، ص 280.

([3]) ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 240 .

([4]) عبد الله كنون ،النبوغ المغرب ،ج1 ،ص 200 .

([5]) نيل اللإبتهاج، ج1، ص 146 .

ب- العلوم اللسانية

ازدهرت العلوم اللسانية ازدهارا كبيرا على العهد المريني ،حتى بلغت ما لم تبلغه من قبل بالمغرب الإسلامي ،بل كان العهد المريني عصرها الذهبي كما ذكر عبد الله كنون[1] ،و ذلك بفضل تشجيع سلاطين بني مرين على تعلمها ،بل و تفرغ الكثير منهم لتعلمها .[2]

و من الذين برزوا في العلوم اللسانية:

- **محمد بن عمر بن محمد الأنصاري (ت 693هـ)**: المعروف بأبي عبد الله الدراج ،من أهل سبتة له مؤلف في شرح الجمل سماه " جمع الأمل لمتأمل الجمل " .[3]

- **مالك بن المرحّل السبتي (ت 699هـ)**: ولد سنة 604هـ بسبتة بفاس تعاطى صناعة التوثيق في بلدته، و تقرّب كثيرًا من يعقوب المنصور و خصّه بمدحه وكان إلى ذلك عالمًا، ترك عدة مؤلفات أغلبها منظوم ،منها أرجوزة في العروض ،و أرجوزة في نظم فصيح ثعلب في 1300 بيت، كما اخترع وزنا من أوزان الشعر هو مجزوء الدوبيت المركب من " فعلن مفاعلتن فعولن ".[4] كما له قصائد في المدح و التهنئة كالتي رفعها إلى الأمير أبي مالك عبد الواحد اِبن أمير المسلمين أبو يوسف يعقوب[5].

- **ابن عبد الملك المراكشي (ت 703هـ)**: كان ذا عناية بعلم العروض الذي ألف فيه "الجامع في العروض" ،كما برع في النحو الذي ألف فيه مقالة اشتملت على فوائد جليلة.[6]

([1]) النبوغ المغربي ،ج1 ،ص 205 .

([2]) السعيد بنفرحي ،المرجع السابق ،ص 78 .

([3]) الذيل و التكملة ،سفر 8 ،ق 2 ،ص 522 .

([4]) عبد الله كنون ،النبوغ المغربي ،ج1 ،ص 207 .

([5]) الذخيرة السنية، مصدر سابق، ص 119، 120.

([6]) الذيل و التكملة ،سفر 8 ،ق1 ،ص 106 و ص 109 .

- **محمد بن عبيد الأنصاري الإشبيلي (ت 706هـ)**: نزيل سبتة ،نحوي بارع ،له شرح نبيل لجمل أبي القاسم في سفرين . [1]
- **أبو بكر محمد بن القضاعي (ت 707هـ)**: المكنى بالقالوشي كان اماما في النحو واللغة ،شديد التعصب لسيبويه،[2] كما كان أستاذا في العروض و الفرائض أخذ عن ابن البناء ،من مؤلفاته كتابه في العروض المسمى "الختام المفضوض" ،و كتابه في الفرائض المسمى "الغوامض من معلقات مشكل الفرائض" . [3]
- **محمد ابن رشيد السبتي (ت 721هـ)**: من أهل المعرفة بصناعة العربية و علم البيان ، وكذلك علم العروض و القافية ،له عدة مؤلفات منها تقيد على كتاب سبويه ،و "أحكام التأسيس في أحكام التجنيس" و "ايراد المريع لرائد الالتسجيع و الترصيع" و "وصل القوادم بالخوافي في ذكر أمثلة القوافي " و هو شرح لكتاب " القوافي " لشيخه أبي الحسن حازم القرطجني . [4]
- **محمد بن محمد الصنهاجي (ت 723هـ)**: المعروف بابن آجروم نال ما لم ينله سيبويه في النحو حيث أطلق اسمه على هذا العلم الذي أصبح يعرف بالأجرومية ،حيث اصبح و كأنه هو واضعه ،رغم أن مؤلفه في ذلك لم يتعد وريقات عرض فيها أصول هذا العلم في ترتيب يتوافق مع آخر ما قررته البيداغوجية الحديثة في أساليب التعليم . [5]
- **علي بن محمد بن فرحون اليعمري (ت 746هـ)**: صاحب "نزهة الناظر و نخبة الفكر في شرح لامية العجم و صدرها و عجزها" . [6]

([1]) بلغة الأمنية ،ص 34 .
([2]) الذيل و التكملة ،السفر 8 ،ق 1 ،ص 42 .
([3]) جذوة الاقتباس ،ص 288 .
([4]) جذوة الاقتباس ،ص 473 .
([5]) عبد الله كنون ،النبوغ المغربي ،ج1 ،ص206 .
([6]) جذوة الاقتباس ،ص 488 .

- **عبد المهيمن الحضرمي (ت 749هـ)**: أعرف الناس بكتاب سيبويه الذي تصدر لإقرائه و هو ابن العشرين،[1] كما برز في علوم الاسناد ،اتخذه السلطان أبو سعيد المريني كاتبا ، وصاحب العلامة في بلاطه، وظل يتولى هذه الوظيفة حتى بعد تولى السلطان ابي الحسن المريني.[2]
- **أبو عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي السبتي (ت 750هـ)**: لغويا شهير كان دائما يعرب كلامه،[3] حافظا للغات متفننا في قول الشعر ،كما كان يحكم قراءة كتاب سيبويه و لا يستشهد بغيره في النحو ،كما كان في اللغة يقدم صحاح الجوهري عن سواها .[4]

- **أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم اِبن عبد العزيز بن إسحاق بن قاسم (ت 768هـ)**: الشهير بان الحاج النميري الغرناطي ، من فحول الشعراء، له التقدم في طريقة أشعار العرب والمحدّثين[5]. تقدّم لمشيخة الكتاب و كتابة السّر لدى السلطان أبي أبي عنان فارس.

قال عنه الحضرمي: «صاحبنا الفقيه الجليل الكاتب البارع الأديب البليغ، الناظم الناثر المتفنن القاضي العدل الماجد الحسيب، تولى القضاء بأحواز الحضرة»[6].

و ذكره اِبن الخطيب في الإحاطة فقال : «نشأ على عفاف و طهارة، و نظم الشعر و بلغ الغاية في جودة الخط، و حاصر بالأبيات و اِرتسم في الإنشاء، مع حسن صمت وجودة أدب وخط، و في أثناء ذلك يقيد و لا يفتي، مع تخوّل العناية، مليح الدُّعابة»[7].

---

(1) نثير الجمان ،ص 255 ؛ النبوغ المغربي ،ص 206 .
(2) العبر ،ج7 ،ص 522،523 .
(3) الإحاطة ،ج3 ،ص134 .
(4) بلغة الأمنية ،ص 24 ،25 .
(5) المسند، ص 376.
(6) نيل الإبتهاج، ج1، ص 31.
(7) الإحاطة، ج1، ص 343.

له عدّة تآليف منها: جزء في بيان الإسم الأعظم كثير الفائدة، و كتاب "اللباس والصحبة" جمع فيه طرق المتصوّفة المدعى أنّه لم يجتمع مثله، و جزء في الفرائض ورجز في الجدل، و آخر في الأحكام الشرعية سمّاه "الفصول المقتضبة في الأحكام المنتخبة، و له نظم و نثر كثير"، أمتحن بالأسر عام 768هـ، ثمّ فك، و ممن أخذ عنه القاضي أبو بكر بن عاصم صاحب تُحفة الحكام.[1]

- **أبو القاسم الشريف الغرناطي السبتي**: عرف بحصافة عقله و قوة فهمه ،متمكنا من علم العروض راسخا فيه ،بلغت شهرته الآفاق في الأدب ،شرح المقصورة لابن حازم ،كما قام بشرح القصيدة الخزرجية المعروفة ب "الرامزة" في علم العروض و التي سماها "رياضة الأبي من قصيدة الخزرجي" و ذلك لأنه أتم خاتمتها التي استعصت على الكثير ممن أراد ذلك قبله .[2]
- **محمد بن أحمد بن عبد الملك أبو عبد الله (ت 777هـ)**: المعروف بالقشتالي، قاضي فاس، من علماء الفقه المالكي ،و الأدب ،و أحد الكتاب البلغاء في عصره، خاطبه لسان الدّين بن الخطيب بأبيات، أوّلها : «من ذا يعدّ فضائل القشتالي»، تولى قضاء فاس سنة 756هـ ،من مؤلفاته "وثائق القشتالي" الذي علّق عليه الونشريسي في كتاب سمّاه : "غنية المعاصر" .[3]
- **عبد العزيز الملزوزي المكناسي (ت 697هـ)**: شاعر الدولة المرينية على عهد يعقوب المنصور ،قال في بني مرين :

هنيئًا يا مرين لقد علَوْتُم **** بني الأملاك بأسًا و إنتجابًا

و له عدة قصائد مواكبة لكلّ الأحداث التي مرّ بها بنو مرين خلال معاصرته لهم.

([1]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 32.

([2]) عبد الله كنون ،النبوغ المغربي ،ج1 ،ص 2 .

([3]) الإحاطة، ج2، ص 133.

ويقول في قصيدة رفعها إلى أمير المسلمين يعقوب بمدحه و يحرّضه على غزو يغمراسن بن زيان مما جاء فيها: [1]

بعثت إلى يغمور بالصلح معلما **** وقلت عساه بالبصيرة ينظر

فلم يغتبط بالصلح جهلاً و غلظة **** فيا عجبًا من خاسر كيف يحشر

أردت بأن تهديه للرشد و الهدا **** و كيف يرا رشدًا شقي مغير

- **عبد الرحمن بن صالح بن علي المكودي(ت 807هـ)**: من أعلام النحاة بمدينة فاس له شرح في ألفية ابن مالك أجاد فيه غاية الاجادة ،و شرح على مقدمة ابن آجروم ،درس كتاب سيبويه بمدرسة العطارين بفاس ،له قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه و سلم من 300 بيت.[2]
- **ابو بكر الشريف الحسيني (ت 809هـ)**: كان اماما في علوم اللغة عالم بجمل أبي القاسم ،و ألفية ابن مالك ،و هو أحد أساتذة صاحب بلغة الأمنية الذي قال: "قرأت عليه بلفظي كتاب الجمل تفقها ،على الوصف النتقدم ..." . [3]
- **أحمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي المكّي الحسني (ت 819هـ)**: برع في عدّة فنون خاصة الأدب فقال الشعر الرّائق و فاق في معرفة الوثائق و درّس و أفتى وحدّث قليلاً، سمع عن عز الدّين بن جماعة و أبا البقاء السبكي و غيرهما. [4]

ج- العلوم الإجتماعية:

عرفت العلوم الاجتماعية على عهد المرينيين نهضة كبيرة ،خاصة ما تعلق منها بالتاريخ ،حيث برز مجموعة من العلماء كتبوا في السير و التراجم ،و تاريخ البلدان و الأمصار ،ومن أهم هؤلاء نذكر:

([1])الإحاطة، ج2، ص ص 126- 128.

([2]) نثير الجمان ،ص 494 .

([3]) بلغة الأمنية ،ص 49 ،50 .

([4]) الضوء اللاّمع، ج2، ص 35 ؛نيل الإبتهاج، ج1، ص 114.

- **أبو فارس عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد الملزوزي (ت 697هـ)**: أول من عالج التاريخ بالشعر ،و أول من تناول تاريخ المرينيين من المغاربة،[1] كما جاء في قصيدته إلى المنصور:

مولاي هذا رجز صغته * * * و في الملوك منكم جعلته

سبقتي في التاريخ فيكم أولا * * * و فقت فيه كل خلق عولا[2]

له مؤلف "تاريخ المغرب " و مؤلف "نظم السلوك"[3] و عبارة عن أرجوزة".[4]

- **عبد الله أبو طالب بن محمد العزفي اللخمي (ت 713هـ)**: كان عالما عارفا بالتاريخ .[5]
- **أبو العباس أحمد بن أبي الزرع الفاسي (ت 712هـ) و قيل 726هـ**[6]: صاحب كتاب "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس"

الذي يعد حسب عبد الله كنون أهم مصدر لتاريخ المغرب الأقصى منذ انفاصاله عن الخلافة العباسية .[7]

- **محمد بن عمر بن رشيد السبتي (ت 721هـ)**: من الذين برزوا في السير ،له مؤلف "ترجمان التراجم في ابداء وجه مناسبة تراجم صحيح البخاري" .[8]

([1]) محمد بن تاويت ،الوافي بالأدب العربي ،ج2 ،ص 370 .

([2]) نفسه ،ص 367،368 .

([3]) يوجد هذا المؤلف بجبل غرناطة المقدس باسبانيا ،ينظر: شارل بروكلمان ،تاريخ الأدب العربي ،ترجمة يعقوب بكر ،مراجعة رمضان عبد التواب ،ج6 ،دار المعارف ،بيروت ،1977 ،ص 100 .

([4]) محمد بن تاويت الطنجي ،الوافي بالأدب العربي ،ج2 ،ص 370 .

([5]) جذوة الاقتباس ،ص 499 .

([6]) السعيد بنفرحي ،المرجع السابق ،ص 90 .

([7]) النبوغ المغربي ،ج1 ،ص 222 ؛ابن سودة ،المرجع السابق ،ص 154،155 .

([8]) جذوة الاقتباس ،ص 499.

- **محمد بن يحيى الباهلي المسفر (ت 744هـ)**: من العلماء الذين اهتموا بالتراجم والسير ،له مؤلف "نظم فوائد الجواهر في معجزات سيد الأوائل و الأواخر" . [1]
- **أبو عنان المريني**: ذكر ابن الأحمر أنه كان عارفا بالتاريخ عارفا بالرجال . [2]
- **محمد بن علي بن العابد الأنصاري (ت 761هـ)**: وصفه بابن القاضي بالامام في التاريخ. [3]
- **محمد بن محمد بن المجراد الفنزاري السلاوي (ت 788هـ)**: من العلماء الرواة ، كان عارفا بالرجال و المغازي و السير . [4]
- **محمد الأنجري (803هـ)**: العالم بالسير ،عرف بقوة حافظته ،و حسن القائه ،و القدرة على التبليغ ،كان يحفظ سيرة ابن اسحاق و يلقيها دون توقف و لا تلعثم و لا تكرارا إلا ما كان قاصدا . [5]
- **إسماعيل بن الأمير يوسف بن السلطان القائم بأمر الله محمد بن الرّئيس الأمير أبي سعيد فرج أمير مالقة اِبن الأمير إسماعيل اِبن يوسف المعروف بِابن الأحمر من ذرية سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي (ت 810هـ)**:

عاش هذا الرّجل هو و والده في كنف الدولة المرينية، و اِرتسم في جندها، أخذ العلم عن جماعة من الشيوخ منهم : أبو القاسم بن رضوان و أبي سعيد بن عبد المهيمن الحضرمي، و اِبنه عبد المهيمن، و أبي المكارم منديل اِبن آجروم، و الحسن بن عطية الونشريسي، و أبي زيد المكودي، و الفقيه الزموي المعروف بأنقشابو و أبي زكرياء السرّاج و غيرهم.

([1])جذوة الاقتباس ، ص 296 .

([2]) بيوتات فاس ،ص 64 .

([3]) ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 231 .

([4]) بلغة الأمنية ،ص 39 .

([5]) نفسه ،ص 45،46 .

له تآليف منها: "مستَودع العلامة و مستبدع العلامة" ذكر فيه من تولّى العلامة من الكتاب عن الملوك، و "حديقة النسرين في أخبار دولة بني مرين" تكلم فيها على بيوتات فاس و مشاهيرها و أخبارها، و " روضة النسرين في أخبار بني عبد الواد و بني مرين".[1]

- **أبو عبد الله محمد بن عبد الله المراكشي**: الشهير بتيجلات الأغماتي، كان حيا بعد سنة 720هـ ،له مؤلف "أثمد العينين و نزهة الناظرين في مناقب الأخوين" الذي ترجم فيه للأخوين الشيخين أبي زيد عبد الرحمن الهزميري (ت 706هـ)،و أبي عبد الله محمد (ت 678هـ) ،و هو عبارة عن مجلد وسط ،توجد نسخة منه بالخزانة الفاسية .[2]
- **أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب (ت 810هـ)**: الشهير بابن قنفد القسنطيني صاحب مؤلف "أنس الفقير و عز الحقير" الذي خصصه لترجمة الشيخ أبي شعيب ابي الحسن الأندلسي ،و قد أورد فيه رحلته إلى المغرب الأقصى ،و من لقي من رجال العلم و الصلاح.[3]
- **محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني (ت 782هـ)**: الشهير بالخطيب و الحفيد ، السالف الذكر ،صاحب مؤلف "المسند الصحيح الحسن في مآثر السلطان أبي الحسن" ،الذي ألفه في مخدومه أبي الحسن المريني الذي خصه بنفسه ،و جعله محل سره، وامام جماعته ،و خطيب منبره ،و أمين سره .[4]

3-2- العلوم العقلية :

اهتم المرينيون بالعلوم العقلية خاصة العلوم العدية و الطب ،و المنطق ،بينما عارضوا الفلسفة و الكيمياء لأنها تتعارض مع التعاليم الدينية في نظرهم .و من أهم العلوم العقلية التي أولها بنو مرين عنايتهم:

([1]) نفح الطيب، ج5، ص 7 ؛نيل الإبتهاج، ج1، ص 158، 159.

([2]) ابن سودة ،المرجع السابق ،ص 177 .

([3]) السعيد بنفرحي ،المرجع السابق ،ص 88 .

([4]) ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 266 .

أ- العلوم العددية (الرياضيات):

ازدهرت العلوم العددية على العهد المريني ازدهارا كبيرا ،حتى أصبح المغرب الأقصى مقصدا لطلابها من جميع الأقطار ،و كان هذا الازدهار نتيجة حاجة الدولة لضبط أملاكها ،و اررتباطها بعلم الفرائض ،و كذلك كونها لا تتعارض مع العلوم الدينية ،و لا تمس الفقهاء و لا تخل بسلطتهم .[1] و من العلماء الذين برزوا في هذا العلم ندكر:

- **عبد الله بن أبي بكر الجزولي الجذميوي:** الشهير بجمال الدين الصودي ،كان حيا سنة 699هـ ،مشهود له بتضلعه في علم الحساب و الفرائض ،من مؤلفاته "نهاية الرائض في علم الفرائض" ،و "كفاية المرتاض في تعليل الفراض" و "مفتاح الغوامض في أصول الفرائض"،[2] كما له شرح لمختصر الحوفي .[3]

- **عبد الرحمن الهزميري (ت 709هـ):** المكنى بأبي زيد ،الولي الشهير، شيخ الطائفة الهزميرية بالمغرب، العالم العامل ذو المناقب. ذكر اِبن الخطيب القسنطيني أنّ الشيخ أبا العباس اِبن البناء كان يقصده فيما يشكل عليه من مسائل الهندسة و غيرها، ثم قال فأجد الزمام عليه فيجيبني من طرف الحلقة فأنصرف بلا سؤال.[4]

- **موسى بن علي الأغصاوي أبو عمران بن العقدة (ت 711هـ):** الفقيه الفرضي الحسابي، ذكر بعضهم أنّه أوّل من أدخل شامل بِهرام إلى فاس، ذكره الونشريسي في وفياته ووصفه بالفقيه الفرضي[5].

([1]) السعيد بنفرحي ،المرجع السابق ،ص 95 .

([2]) المؤلفات الثلاثة مجموعة ضمن مخطوطة بالخزانة الناصرية بتمكروت تحت رقم 1647 .

([3]) السعيد بنفرحي ،المرجع السابق ،ص 96 .

([4]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 262، 263.

([5])نيل الإبتهاج، ج2، ص 303.

- **إبن البنّاء المراكشي (ت 721هـ)** : مفخرة المرينيين ،و شيخ الرياضيين و العلوم المرتيطة بهذا العلم ،عالم مراكشي متفنّن في علوم جمّة، برز بصفة خاصة في الرياضيات، و الفلك والتنجيم و العلوم الخفية، و كذلك في الطّب.

وهو أحمد بن محمّد بن عثمان الأزدي المعروف بأبي العبّاس بن البنّاء المراكشي كان أبوه البنّاء، ولد في مراكش عام 654هـ/1256م و قضى أغلب فترات حياته بها وهذا هو السبب في إنتسابه لهاو بها درس النحو و الحديث و الفقه، ثم ذهب إلى فاس ودرس الطب و الفلك والرياضيات، و كان من أساتذته إبن مخلوف السجلماسي الفلكي و إبن حجلة الرياضي، و قد حظي إبن البنّاء بتقدير ملوك الدولة المرينية في المغرب الذين إستقدموه إلى فاس مرارًا، و توفى في مدينة مراكش عام 721هـ/1321م[1].

من إسهاماته في الحساب أنّه أوضح النظريات الصعبة و القواعد المستعصية، و قام ببحوث مستفيضة عن الكسور، و وضع قواعد لجمع مربّعات الأعداد و مكعّباتها. و قاعدة الخطأين لحلّ معادلات الدرجة الأولى، و الأعمال الحسابية، و أدخل بعض التعديل على الطريقة المعروفة "بطريقة الخطأ الواحد"، و وضع ذلك على شكل قانون.

و جاء في دائرة المعارف الإسلامية أنّ إبن البنّاء قد تفوّق على من سبقه من علماء الرياضة من العَرب في الشرق، و خاصّة في حساب الكسور، كما عُدّ من أهمّ الذين إستعملوا الأرقام الهندسية في صورتها المستعملة عند المغاربة.

ألّف أكثر من الستين كتابًا في الحساب، و الهندسة و الجبر، و الفلك والتنجيم، ضاع أغلبها و لم يبقَ منها إلاّ القليل ،[2] و أشهرها:

([1]) http://www.isesco.org.ma/pub/arabic/fikr/page39.htm .

([2]) رضوان بن شقرون ،مؤلفات ابن البناء المراكشي و طريقته في الكتابة ،مجلة المناهل الصادرة عن وزرارة الشؤون الثقافية ،العدد 33 ،السنة 12 ،ديسمبر 1985 ،ص 207 ،و ما بعدها .

"كتاب تلخيص أعمال الحساب" ،"مقالات في الحساب"، "كتاب الجبر و المقابلة" ،"كتاب الفصول في الفرائض"، "رسالة في المساحات"، "كتاب الإسطرلاب و اِستعماله"، "كتاب اليسارة في تقويم الكواكب السيّارة" ،"منهاج الطالب في تعديل الكواكب" ،و "كتاب أحكام النجوم".[1]

و قد صدر للأستاذين محمد أبلاغ و أحمد جبّار كتاب بعنوان"حياة و مؤلفات اِبن البنّا" ضمن منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط سنة 2001 يتضمن جردًا شاملاً لمؤلّفاته. [2]

- **خلوف المغيلي اليهودي الفاسي (ت 757هـ)**: الملقب بشيخ التعاليم درس العلوم العددية و اشتهر بها ،حتى أصبح فريد عصره يقصده القاصي و الداني[3] ،أخذ عنه محمد الآبلي فنون الهندسة حتى استوفاها و حدق بها . [4]
- **محمد بن علي بن ابراهيم الآبلي (ت 757هـ)**: السالف الذكر ،شيخ الجماعة بفاس ،أخذ عن ابن البناء و خلوف المغيلي ،برع في الهندسة و علم المنطق و علم المخروطات الذي هو أعلى المراتب في علم الهندسة . [5]

- **الحسن بن عثمان بن عطية كان حيًّا سنة 790هـ** : و هو اِبن أخ الفقيه الحسن بن عطية المعروف بالونشريسي السالف الذكر، كان فقيها عدلاً من أهل الحساب و القيام على الفرائض والعناية بفروع الفقه يقرض الشعر وله أرجوزة في الفرائض مبسوطة العبارة مستوفية المعنى. [6]

([1]) المقدمة ،ص 422 ؛ السعيد بنفرحي ،المرجع السابق ،ص 96 ؛محمد السويسي ،حوليات الجامعة التونسية ،عدد 13 ، 1976 ،ص193 .

([2]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 184 .

([3]) السعيد بن فرحي ،المرجع السابق ،ص 98 .

([4]) التعريف بابن خلدون ،ص 36 .

([5]) العبر ،ج7 ،ص 732 ؛التعريف بابن خلدون ،ص 36 ؛محمد المنوني ،نشاط الدراسات الرياضية في مغرب الغصر الوسيط الرابع ،المناهل ،عدد 33 ،السنة 12 ،ديسمبر 1985 ،ص 96 .

([6]) محمد المنوني ،نشاط الدراسات الرياضية ،ص 104 .

قال عنه اِبن الأحمر : " شيخنا الفقيه المفتي المدرّس القاضي الفرضي الأديب الحاج أبو علي اِبن الفقيه الصالح أبي سعيد عثمان التجاني المنعوت بالونشريسي، أجازني عامة، أخذ عن الفقيه المفتي الخطيب المعمر القاضي المحدّث الرّاوية خاتمة محدّثي الغرب أبي البركات بن الحاج البلفيقي".[1]

- **عمر بن محمد الرجراجي أبو علي الفاسي (ت 810هـ)**: إمام في الفرائض و الحساب، قال عنه اِبن الخطيب القسنطيني : «كان من أولياء الله تعالى و صدور العلماء و شهرته بالصلاح أكثر من شهرته بالعلم، لازمته و قرأت عليه الحوفية في الفرائض... " تولّى الخطابة بجامع الأندلس بفاس. [2]

- **عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اِبن يوسف بن محمد بن عطية المديوني (ت 818هـ)**: الشهير بالجاديري ، الفاسي الشيخ الفقيه العالم الموقت الإمام، و لي التوقيت بجامع القرويين ،و كان متفنّنا مقرئًا نحويًا حيسوبيا موقتا. [3]

له تآليف منها: "روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار"، و"اِقتطاف الأنوار" ذكر فيه مسائلها نثرًا كالشرح لها، و"مختصر الإقتطاف" المذكور و كتاب جمع فيه بين العمل بآلة الإسطرلاب وبالصفيحة الشكارية و بربع الدائرة و العمل بالحساب و الجدول في إثنين و أربعين بابًا، و "تنبيه الأنام على ما يحدث في أيام العام"، و "شرح رجز أبي مقرع"، و "مختصر شرح الخاقانية للداني"، ورجز سماء "النافع في أصل حرف نافع"، وشرح رجز شيخه القيسي في الضبط، و شرح الدرر اللّوامع . [4]

([1]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 171.

([2]) نيل الابتهاج، ج1، ص 339، 340، 341 ؛ ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 495 .

([3]) ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 404 ؛التنبكتي ،نيل الابتهاج، ج1، ص 277، 278.

([4]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 185 ؛السعيد بن فرحي ،المرجع السابق ،ص 100 .

- **محمد بن أحمد بن عبد الله اليفرني الفاسي قاضي الجماعة بها الشهير بالمكناسي (ت 839هـ)** : كان فقيها قاضيا فرضيا حسابيا، أخذ عن القوري و غيره، تولّى قضاء فاس أزيد من ثلاثين سنة، كان فاضلاً ذا سياسة، هو من بيت علم من ذرية أبي الحسن الطنجي المعروف بالمكناسي، له تقييد على الحوفية، و لجدّه عبد الله أيضا تقييد عليها أجاد فيه، له تآليف في القضاء نقل عنه الشيخ إبن غازي في تكميل التقييد. [1]
- **إبراهيم بن المصمودي (ت 913هـ)**: الفقيه الفرضي الحيسوبي المتقدّم في الفرائض والحساب، تصدّر لهما بفاس، أخذ عن جماعة من العلماء منهم عبد الحق المصمودي و غيره. [2]

ب- الطب:

اهتم سلاطين بني مرين بالطب لحاجتهم و حاجة الرعية إليه ،فبنوا المستشفيات، واجروا الأرزاق على الأطباء ، و من العلماء الذين برزوا في الطب على عهدهم نذكر:

- **غالب بن علي بن محمد اللخمي الغرناطي (ت 741هـ)**: أخذ الطب بالقاهرة ، ومارسه على طريقة المشارقة ،كان في خدمة السلطان أبي سعيد ،ثم أبي الحسن نله عدة تآليف في الطب ،تولى الحسبة بفاس . [3]
- **أبو العباس أحمد بن شعيب (ت 749هـ) و قيل (750هـ)**: أخذ الطب بتونس على يد يعقوب بن الدارس،[4] أحد فضلاء وقته و نبلاء زمانه، فقيه مشارك تعاليمي، طبيب، أديب ونباتي و طبقة في قرض الشعر، و إمام في التعاليم، له معرفة كبيرة بالأشجار و النبات، بارع الخط

(1) نيل الابتهاج، ج2، ص 270 .
(2) نيل الابتهاج، ج1، ص 59 .
(3) ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 506 .
(4) نفسه ،ص 119،120 .

يحسن الكتابة و لذلك إستخدمه السلطان أبو الحسن المريني في ديوان الكتابة، [1] هلك بالطاعون في افريقية . [2]

- **أبو الحسن علي بن الشيخ بن أبي الحسن علي العنسي المراكشي:** الشهير بالطبيب ،برع في هذا الميدان ،له فيه رجز وضعه في خزانة السلطان أبي الحسن تناول من خلاله الأنكحة و صفاتها و ما يطلب و يتجنب فيها ،و الأمراض السرية و علاجها ،و طبائع النساء و ما يحمد و ما يذم فيهن . [3]
- **محمد الشريشي (ت 771هـ):** طبيب ماهر ،كانت له حظوة عند الملوك و الأمراء ،من الذين قال عنهم أبو الحسن المريني إن سبتة اختصت بهم دون سائر بلاد المغرب ،معروف عند العامة لأنه كانت له حانوت لعلاجهم . [4]
- **ابراهيم بن رزور اليهودي:** المقدم في الطب و الحجامة ،كان الطبيب الخاص لملك قشتالة بطرة ابن الهنشة بن أدفونش قبل أن يستقدمه أبو عنان ليجعله طبيبه الخاص ،و هو يومئذ بدار ابن الأحمر بالأندلس . [5]
- **محمد الجياني (ت 790هـ):** كان مهندسا و طبيبا ،كانت له حانوت لعلاج العامة التي كانت تعظمه لرفقه و حسن نصيحته . [6]
- **علي ابن غالب الادريسي (ت 801هـ):** أخذ الحجامة عن أمه ،اشتهر بالطب، واجراء العمليات الجراحية ،كان مقصدا للطلاب من أجل الاستفادة من علمه و خبرته . [7]

([1]) المسند ، ص 375.

([2]) العبر ،ج7 ،ص 527.

([3]) عبد الله كنون ،النبوغ المغربي ،ج1 ،ص 210 .

([4]) مؤلف مجهول ،بلغة الأمنية ،ص 51،52 .

([5]) العبر ،ج7 ،ص 551 .

([6]) بلغة الأمنية ،ص 53 .

([7]) السعيد بن فرحي ،المرجع السابق ،ص 103 .

- **محمد بن مروان المعافري (ت 817هـ)**: كان على دراية بأعمال السابقين من الأطباء المتقدمين منهم كدياسقور مدوس وأبقراط، والمتأخرين كالرازي وابن سينا و ابن طفيل ،عارفا بالغلل والشكايات، بصيرا بالغقاقير والأعشاب والنباتات، كما كان متمكنا من الطب عاملا على ايصاله إلى كل من يرغب فيه، حتى ولو كان ذلك على حساب أشغاله ،و دون أجر أو مقابل.[1]
- **عائشة بنت محمد الجيار كاتب سبتة و محتسبها**: كانت عارفة بالطب و العقاقير، وما يرجع إليهما، بصيرة بالماء وعلاماته، كانت متقنة للطب فنالت بذلك الجزاء و الهدايا والتحف.[2]

ج- الفلسفة:

لم تحظ الفلسفة على العهد المريني بالعناية التي التي حظيت بها باقي العلوم النقلية ،بل وتعرضت لمضايقات الفقهاء الذين كان لهم نفوذ و سلطة بلغت درجة الطغيان حيث كان الاشتغال في العلوم العقلية كان يتم تحت رقابة من علماء السنة على حد قول ابن خلدون[3]، ولعل ذلك ما كان سببا في نفور العلماء من الخوض فيها ،عدا النزر اليسير منهم،[4] و من بينهم: بينهم:

- **أحمد بن شعيب الجزنائي الفاسي (ت 749هـ)**: ذكر إبن خلدون بأنّه برع في اللّسان و الأدب و العلوم العقلية من فلسفة و تعاليم وطب و غيرها، و له شعر يسابق به فحول المتقدّمين و المتأخّرين، و له إمامة في نقد الشعر، [5] و ذكر ابن الخطيب أن الغالب عليه علوم الفلسفة،[6]كان طبيبا و كاتبا للسلطان أبي سعيد المريني ،و كذلك مع السلطان أبي الحسن،[7]

([1]) بلغة الأمنية ،ص 54 .
([2]) نفسه ،ص 55 .
([3]) المقدمة ،ص 1090 .
([4]) السعيد بن فرحي ،المرجع السابق ،ص 104 .
([5]) الإحاطة، ج1، ص 272 ؛التعريف بإبن خلدون، ص 48.
([6]) الإحاطة، ج1، ص 272 .
([7]) التعريف بإبن خلدون، ص 527 .

رغم أن هذا الأخير كان ينفر منه [1]،و لعل كذلك بسبب تعاطيه للفلسفة ،و كان ذلك بتأثير من الفقهاء الذين كان لديهم مكروها كراهية تحريمية كفيلسوف و كميائي.[2]

كما تعاطى الكثير من العلماء الفلسفة ،و إن لم يشتهروا بذلك كابن البناء المراكشي الذي ألف كتابه النقدي "الروض المريع في صناعة البديع " ،و الآبلي شيخ الغلوم العقلية ،و حتى عبد الرحمن ابن خلدون الذي درس على الآبلي . [3]

د- المنطق:

على عكس الفلسفة التي لقيت معارضة من فقهاء الدولة المرينية ،و عدم الاهتمام من سلاطينها فان المنطق احتفظ لنفسه بمكانته بين العلوم النقلية ،خاصة على عهد السلطان أبي عنان ،حيث كان حاضرا في مجالسه ،خاصة و أنه كان عارفا بالمنطق و أصول الدين ،و كان يناظر العلماء الجلة فيه. [4]

و مما يؤكد مكانة المنطق في هذا العصر أنه أصبح متدخلا في أدب هذا العصر ،و له صدى في علم الكلام ،و فيما ألف من كتب ككتاب القانون في النحو للجزولي. [5]

لكن هذه المكانة التي حظي بها علم المنطق على عهد الدولة المرينية لم يمنع من وجود معارضين له ،و منهم العبدري الذي قال: "و من المنكر عليهم – يقصد أهل المنطق – و النكر المألوف

([1]) يقول ابن مرزوق في المسند: " و كان مولانا رضي الله عنه – يقصد أبا الحسن المريني – ينفر منه لموجب الله أعلم بحقيقته، و لا يبدو على ظاهره ما يدل على طعن في طريقته في المعتقد" .

([2]) و لعل ما يدل على ذلك أن أبا الحسن لم يستغن عن الجزنائي كطبيب و كاتب ،و كان يصحبه معه حيث حل و ارتحل، وكان في جملة منهلك معه في حادثة تونس الشهيرة .ينظر: التعريف بإبن خلدون، ص 527 ؛عبد الله كنون ،النبوغ المغربي ، ص 237 .

([3]) السعيد بن فرحي ،المرجع السابق ،ص ص 105-107.

([4]) ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ج1 ،ص 508 .

([5]) محمد بن تاويت ،الوافي في الأدب المغربي ،ج2 ،ص 526 .

لديهم تدارسهم لعلم الفضول ،و تشاغلهم بالمعقول عن المنقول في انكبابهم على علم المنطق ، واعتقادهم أن من لا يحسنه لا يحسن أن ينطق ." [1]

و من العلماء الذين برزوا في علم المنطق نذكر:

- **أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى (ت 682هـ)**: الشهير بالشريف ،كانت له مشاركات في علم الأصول ،و في علم الكلام و المنطق ،غلب عليه البحث لا الحفظ ،ولي قضاء مراكش على عهد السلطان يعقوب المريني. [2]
- **مالك بن المرحل (ت 699هـ)**: من العلماء الذين كان لهم اهتمام بعلم المنطق ،له نظم اختصار اصلاح المنطق لابن عربي . [3]
- **محمد بن محمد المقري التلمساني (ت 759هـ)**: السالف الذكر له مشاركات في الجدل و المنطق. [4]
- **محمد بن الحاج البلفيقي (ت 771هـ)**: له مشاركات في عدة علوم منها في صناعة المنطق. [5]
- **عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ)**: قال عنه ابن الأحمر: "كان له باع طويل في علم المنطق"،[6] و أشار ابن القاضي إلى أنه كان له تقييد في المنطق. [7] و قال ابن الخطيب أنه علق للسلطان أيام نظره في العلوم النقلية تقييدا مفيدا في المنطق . [8]

([1]) رحلة العبدري ،ص 130 .
([2]) الذيل و التكملة ،السفر 8 ،القسم 1 ،ص 16،17 .
([3]) ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 328 .
([4]) ابن الخطيب ،الاحاطة ،ج2 ،ص 195 ؛ ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 298 .
([5]) ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 292 .
([6]) نثير الجمان ،ص 298 .
([7]) جذوة الاقتباس ،ص 411 .
([8]) الاحاطة ،ج3 ،ص 507 .

- **أحمد ابن الحسن المعروف بابن قنفد (ت 810هـ)**: السالف الذكر له مشاركة في المنطق ،حيث ألف كتاب "ايضاح المعاني" الذي شرح فيه رجزا لضرير المراكشي في المنطق ،و له كذلك تلخيص العمل في شرح الجمل في المنطق كذلك. [1]
- **عبد الله بن محمد البكري الفاسي**: المغروف بالأندلسي عاصر ابن الأحمر و صاحبه ، قال عنه هذا الأخير: "أخذ من المنطق بأوفى سهم" . [2]

(1) ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 154 .

(2) نثير الجمان ،ص 396 .

المبحث الثاني : التاريخ الثقافي للمغرب الأقصى في العهد الوطاسي .

1- السمات العامة للحياة الثقافية في العهد الوطاسي:

تجمع أغلب المصادر التاريخية ،و المؤلفات التي تناولت الحياة الثقافية و الحضارية والفكرية و الأدبية على العهد الوطاسي أن هذا العصر تعرض للغبن و التهميش وصل حد الالغاء، ولعل الكثير من الباحثين و الدارسين بنوا أحكامهم حول الحياة الثقافية لهذا العصر انطلاقا من الأوضاع السائدة آنذاك ،و التي تميزت بالفتن و الحروب ،و الأزمات السياسية والاقتصادية ،نتيجة تزايد الأطماع الأجنبية و تعرض العديد من الثغور و المدن الساحلية المغربية للاحتلال . و كذلك ما شهده المغرب من صراعات بين المرينيين و الوطاسيين حول السلطة ، وبين الوطاسيين و السعديين حول بسط النفوذ و السيطرة على المغرب الأقصى .

فكانت بذلك أحكام هؤلاء الباحثين مجرد استنتاجات توصلوا إليها عن طريق الإسقاط لا عن طريق الدراسة و البحث ،فوصفوا هذه المرحلة بالإنحطاط والجمود والفراغ الفكري والأدبي. [1]

و في هذا الصدد نجد الأستاذ النميشي يذكر في مطلع القرن العشرين ،و هو يرصد تطور الفكر و الأدب في مختلف العصور بالمغرب الأقصى: "إن الوطاسيين لم ير المغرب اقبح من أيامهم، إذ فيها انطمست معالم الأدب و كثر سفك الدماء ،و تعدد الثوار"،[2] و هذا ما ذهب إليه عبد الله كنون حين ذكر أن الحياة الثقافية على هذا العصر اعتراها الجمود،[3] و أن الحركة الأدبية قد توقفت توقفا كليا. [4]

([1]) الحسن الشاهدي ،الثقافة في العصر الوطاسي انطلاقا من كتابات الأستاذ بن شقرون ،ملتقى حول الثقافة أساس التفاهم و التطور و الحوار ،23 أفريل 1998 ،المعهد الجامعي للبحث العلمي ،جامعة محمد الخامس الرباط ،ص 371،372 .

([2]) مسامرة أحمد النميشي بفاس ،سنة 1924 ،مطبعة أندري بفاس .

([3]) عبد الله كنون ،النبوغ المغربي ،ج1 ،ص 239 .

([4]) نفسه ،ص 260 .

و يصف محمد حجي هذا العصر بالمغرب كله بالضعف السياسي و الفكري إذ يقول: "بلغ المغرب الإسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع ،و أوائل القرن العاشر الهجري (15-16م) حدا من التدهور لم يصل إليه قط من قبل." [1]

بينما كان ابراهيم حركات أكثر اعتدالا حين و صف الحياة الثقافية على العهد الوطاسي بأنها كانت أقل من غيرها نشاطا في العلم و الأدب و الفكر حين قال: "لم تتوقف الحياة الفكرية في العهد الوطاسي ،لكنها تراجعت من بعض الوجوه ،فلم ينجب المغرب في هذا العهد عددا كبيرا من العلماء الفطاحل." [2]

أما الأستاذان محمد بن تاويت و محمد الصادق عفيفي صاحبا كتاب "الأدب المغربي" فقد توصلا – بعد استعراض بعض النماذج و مقارنتها بغيرها – إلى أن: " الأدب في أواخر القرن الثامن و النصف الأول من القرن التاسع قد كان على العموم منحطا لدرجة عظيمة ،فلم نجد به كاتبا أو شاعرا يستحق هذا اللقب عن جدارة ،و إنما وجدنا في ذلك العهد شعراء أو نظامين على الأصح ،ينظمون الكلام نظما ليس فيه إلا اللفظ المركب المفيد في أحيان ،و غير المفيد في أحيانا أخرى ،و كلاهما لا يخاطب وجدانا ،و إن خاطبه فهو للغة غيره ." [3]

و لعل هذا التصور للحياة الثقافية و الفكرية بالمغرب الأقصى على العهد السعدي جعل مؤرخي الأدب المغربي يتجاوزون هذا العصر ،و يعتبرون الخوض فيه بلا جدوى، ولا يقدم أي اضافة أو فائدة. [4]

([1]) محمد حجي ،الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ،ج1 ،رسالة دكتوراه دولة في الآداب و العلوم الإنسانية ،كلية الآداب و العلوم الإنسانية ،جامعة الرباط ،1976 ،ص 37 .

([2]) ابراهيم حركات ،المغرب عبر التاريخ ،ج2 ،ص 253 .

([3]) محمد بن تاويت و محمد الصادق عفيفي ،الأدب المغربي ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1960 ،ص 283 .

([4]) الحسن الشاهدي ،الثقافة في العصر الوطاسي ،ص 373 .

و السبب في هذه الضبابية حول الحياة الثقافية و الفكرية لهذا العصر ،و التي حجبت عنا اخبار هذا الجانب يعود إلى قلة ما ألف عنه في ذلك الزمان .حيث يذكر في هذا الصدد ابن عسكر[1] أن ابا عبد الله محمد بن علي الشطيبي (ت 963هـ) ألف في علم التاريخ تأليفا عجيبا ،و لعله يقصد كتاب "الجمان في مختصر أخبار الزمان" الذي وقف به صاحبه عند نهاية عهد الموحدين ،و كان بإمكانه سد بعض الثغرات في أخبار هذه الفترة التي كان معاصرا لها.[2]

و يبقى بذلك المصدر الوحيد الذي[3] الذي أرخ للفترة السعدية هو الكتاب الذي عبارة عن نظم ،و المنعنون بـ: "عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل" لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكراسي (ت 964هـ)، [4] و الذي يضم أربعمائة بيت تحدث فيها عن أهم الأحداث السياسية على عهد بني وطاس و ما شبها من فتن و حروب ،و اضطربات.

غير أنه و رغم أهميته فإن هذا الكتاب لا يفيدنا بما يكفي للتعرف على الحياة الثقافية و الفكرية التي تميز بها هذا العصر. [5]

و من هنا تأتي أهمية كتابي كل من الأستاذ محمد بن شقرون و المعنون بـ: "الحياة الفكرية المغربية بالمغرب الأقصى على عهد المرينيين و الوطاسيين ،و الأستاذ محمد بن تاويت المعنون بـ: "الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى" بالنسبة لهذه الدراسة ،و خاصة الكتاب الأول الذي

([1]) دوحة الناشر ،ص 16 .

([2]) Mohamed (B.A) Benchekroun ,La vie intellectuelle Marocaine sous les Merinides et les wattassides ,imprimerie Mohamed 5 ,Fès ,1974 ,p 437 .

([3]) توجد مجموعة من مؤلفات هذا العصر ككتب الفهارس و المناقب ،و الفقه و النوازل ،و التصوف ،و التي وردت فيها بعض المعلومات عرضا لا تفصيلا و منها: مؤلفات أبي الحسن علي بن ميمون الغماري (ت 917هـ) كرسالة الاخوان و بيان غربة الاسلام ،و كتاب وصف افريقيا للحسن الوزان ،و الروض الهتون لابن غازي ،و دوحة الناشر لابن عسكر ،و نيل الابتهاج للتنبكتي ،و فهرس ابن منجور و غيرها من المؤلفات.

([4]) نشرت هذه المنظومة برعاية الأستاذ عبد الوهاب بن منصور بالمطبعة الملكية بالرباط سنة 1963 .

([5]) للمزيد من التفاصيل عن هذه المنظومة ينظر: Benchekroun ,La vie intellectuelle ,p 447 ؛محمد بن تاويت ،الوافي بالأدب المغربي ،ج2 ،ص ص 615 .

حاول النبش في التاريخ الثقافي و الفكري و الأدبي للدولة الوطاسية ،و الكشف عن ملامح ومعالم و مكونات الحياة الفكرية عامة ،خاصة و أنه اعتبر مرحلة الوطاسيين مرحلة قائمة بذاتها ،بخلاف ما كان سائدا من أنه ذيلا للدولة المرينية و امتدادا لهم .على الرغم من أنه نبه و منذ البداية إلى أن المعلومات عن هذه الفترة لا تشفي الغليل ،لأن الذين تناولوا هذه الفترة ،و على قلتهم ، لم يهتموا بغير التاريخ السياسي و الحربي ،و الغزو و الاحتلال خلال هذه الفترة ،حتى وإن أشاروا في بعض الأحيان إلى توسع الحركة الصوفية ،و انتشار طرقها. [1]

إلا أنه تحدث عن مدى اهتما السلاطين الوطاسيين بالعلم ،و عن مساهمتهم في انعاش الآداب ومختلف العلوم ،و عن تشجيعهم للأنشطة الفكرية و الدينية ،بأن أتاحوا فرص التعلم ،و وجهوا البحث ،و شجعوا على التأليف ،و أثروا المكتبة المغربية بأن حبسوا الكتب على الخزائن العامة.[2] الأمر الذي ساعد الكل على الانصراف إلى طلب العلم و تحصيله على يد الشيوخ الذين انتشروا في مختلف المراكز التعليمية كالمدارس و المساجد و الزوايا ،مذكرا بأن الفكر الوطاسي موشحا بالدين، [3] لذلك احتلت العلوم الدينية الصدارة في المواد المدرسة ،يليها التصوف ،فمهما كان تخصص العالم أو المتعلم يجب عليه أن يكون متمكنا من الفقه و الأصول و الفروع .

و يشير محمد بن شقرون إلى أن الحياة الفكرية على عهد الوطاسيين عرفت انتعاشا ملوحوظا بفضل عناية السلاطين بالعلم و العلماء كما سبق ذكره من جهة ،و كذلك بفضل توافد العلماء من المشرق و الأندلس على المغرب من جهة أخرى ،يضاف إلى ذلك انتشار المؤسسات التعليمية سواءا تلك التي ورثوها عن المرينيين أو تلك التي استحدثوها ،و خاصة المتاتيب التي ناهز عددها المائتان حسب الحسن الوزان، [4] أما المدارس التي اهتم بها بنو وطاس فقد واصلوا استعمال

---

(1) Benchekroun ,La vie intellectuelle ,pp 31-33.

(2) Ibid ,pp 34-56 .

(3) Ibid ,p 57 .

(4) وصف افريقيا ،ج1 ،ص 215 .

تلك التي ورثوها عن المرينيين بني عمومتهم بعد أن انتدبوا للتدريس بها رجالا من ذوي العلم والفضل من الفقهاء و الصلحاء من أمثال أبي عبد الله محمد بن القاضي المكناسي ،و عبد الرحمن بن محمد الزواوي (ت 895هـ)، [1] و قد كانت هذه المؤسسات التعليمية مفتوحة أمام جميع الشرائح من علماء و طلبة ،و حرفيين و عامة الناس . [2]

و كان التعليم يبتدءه الطفل في سن مبكرة حيث يبدأ بقراءة القرآن حتى يتم حفظه عن ظهر قلب في حوالي السابعة من عمره ،و كان يتعلم خلال هذه المرحلة النحو و الإملاء و قواعد اللغة التي تمكنه من الحفظ السليم للقرآن الكريم ،ثم يتفرغ لباقي العلوم. [3]

و لم تختلف طرق التدريس في العهد السعدي عن تلك التي كانت متبعة على العهد المريني ،حيث كان الطالب يسرد الدرس على الطريقة التقليدية في الكتاب بحضور أستاذه الذي يقوم بالشرح مع بعض التدخلات الخاصة ،ثم يفتح المجال للمناقشة أمام الطلبة ،و لعل هذه الطريقة كانت أنجح طرق التعليم في هذا العصر، [4] و كان اقبال الطلبة متزايدا على الدراسة و التحصيل في مختلف المراكز التعليمية ،البدوية منها و الحضرية ،على حسب ما ذكر ابن ميمون الغماري والحسن الوزان . [5]

و يذكر ابن ميمون الغماري أنه أتم الإلمام بالكتب الأساسية في علو القرآن و الفقه والفرائض، والحساب والنحو وغيرها ببلدته غمارة شمال المغرب ،ثم انتقل إلى الفاس لمواصلة التحصيل ،أين انبهر بمستوى التعليم الذي وجده بها ،و قد و صف ذلك بقوله: "فلما أتيت إلى

---

(1) ابن القاضي ،درة الحجال ،ج2 ،ص 360 .

(2) Benchekroun ,La vie intellectuelle ,pp 431-494 .

(3) ابراهيم حركات ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 254 .

(4) نفسه ،ص 255 .

(5) و يذكر ابن ميمون في رسالته المسماة "الرسالة المجازة في معرفة الاجازة" أنه لم ير مثل فاس في طرق التدريس و الاقبال على العلم ،إذ يقول: "فمنذ خرجت منها – يقصد فاس – و ذلك في جمادى الآخرة من سنة احدى و تسعمائة إلى تاريخ هذا الكتاب ما رأيت مثلها و مثل علمائها" .

فاس وجدتها روضة من رياض الجنة"،[1] و ذلك لكثرة مجالس العلم و الدروس ،و اجتهاد الطلبة و تنافسهم في التحصيل ،و كثرة المدرسين ،حيث أتي ابن ميمون على ذكر ستة و عشرين من أساتذته في مختلف العلوم .و يشير في موقع آخر إلى حرص الطلبة على حضور مجالس العلم وملازمة الدروس في كل وقت و حين ،و التنافس على التحصيل و التدوين ،حين يقول: "و كنت مع أبناء جنسي في اجتهاد في المطالعة و الدرس و الحفظ و المكابدة ليلا و نهارا ،فكان دأبنا في زمن الشتاء لا نأكل طعاما من الليل إلى الليل لكثرة المجالس" .[2]

و في نفس السياق نوه الحسن الوزان بالحركة التعليمية النشيطة آنذاك ،و انصراف الناس للتحصيل بالرغم من تقلص المنح و الأعطيات لتأثرها بالأحوال الاقتصادية نتيجة الأزمات والصراعات و الحروب ،إذ يقول: "... في كل مدرسة أساتذة لمختلف العلوم ،فهذا يلقي دروسه في الصباح و ذاك في المساء ،و يتقاضون جميعا مرتبات حسنة أوصى بها مؤسس المدرسة ،و كان كل طالب من طلبة الزمن الماضي معفى من مصاريفه و لباسه مدة سبع سنوات ،أما الآن فلم يبقى له غير السكن" .[3]

و من أهم مظاهر النشاط الفكري في هذا العصر كذلك انشاء الخزانات و العناية بها وتزويدها بمختلف الكتب النفيسة ،سواءا الخزانات العامة كخزانة مدينة فاس التي كان فيها من الكتب ما لا يحصى إلا بشق الأنفس ،و في مختلف فنون العلم[4] ،أو الخزانات الخاصة كخزانات

([1]) علي ابن ميمون الغماري ،رسالة الاخوان من أهل الفقه و حملة القرآن ،مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1780د، ص 20،21 .

([2]) نفسه ،ص 23 .

([3]) وصف افريقيا ،ج1 ،ص 179 .

([4]) يقول ابن ميمون الغماري: "و الكتب – يقصد في خزانة مدرسة فاس – كثيرة لا تكاد تحصى إلا بمشقة الأنفس من كل فن من فنون العلم ،و هذا شيء ما رأيته في بلاد المشرق من الشام و الحجاز ،و بلاد الترك" .محمد العابد الفاسي ،الخزانة العلمية بالمغرب ،مطبعة الرسالة ،الرباط ،1960 ،ص 37 .

السلاطين و الأسر ،كخزانة الأسرة العمرية في بعقيلة بالقرب من تزنيت باقليم سوس ،و خزانة تاجا رجوست بتاليوين. [1]

و كان أهل العلم من أساتذة و طلبة يستفيدون من هذه الخزانات إذ يذكر ابن عسكر في هذا الشأن: "... و ذكر لي الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الشريف و غيره أن الفقيه الخطيب أبا علي حرزوز المكناسي نقل للشيخ أبي عثمان سعيد بن أبي بكر الرجراجي هذه السلسلة النورانية من خزانة السلطان أبي العباس أحمد الوطاسي ،و قد أهديت إليه من الديار المصرية ،و فيها أن الشيخ عبد الرحمن المدني أخذ عن شيخيه تقي الدين الصوفي " . [2]

و نتيجة لعناية الوطاسيين بالعلم و العلماء – و رغم تراجع النشاط الفكري على عهدهم مقارة بعهد المرينيين — برز عدد من كبار العلماء و الفقهاء و المتصوفة . كما شهدة هذه الحقبة ازدهار أدب المقاومة و الشعر الشعبي ،اضافة إلى الاهتمام بالعلوم الرياضية خاصة باقليم سوس. كما انتشرت الكراسي العلمية[3]التي كان يتنافس الوطاسيون من سلاطين و محسنين في تخصيص الأوقاف لها لدعمها ،و خاصة بفاس،[4] و منها:

- كرسي ابن غازي (ت 919هـ) ،و الذي كان مخصصا لتدريس العمدة في الحديث ورسالو ابن زيدون ،و هو من وقف أبي فارس الورياغلي . [5]

([1]) ابراهيم حركات ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 255 .

([2]) دوحة الناشر ،ص 5 .

([3]) عن الكراسي العلمية في المغرب عموما ينظر: يوسف الكتاني ،ظاهرة الكراسي العلمية ،مجلة دعوة الحق ،العدد 244 ،يناير ،1985 .

([4]) ابراهيم حركات ،المغرب عبر التاريخ ،ج2 ،ص 255،256 .

([5]) ابن غازي ،الروض الهتون ،ص .

- كرسي التهذيب بالمدرسة المصباحية ،و الذي كان يدرس به الشيخ عبد الواحد الونشريسي بعد وفاة والده أحمد بن يحي ،و كان له كرسي آخر للتفسير ،و مختصر ابن حاجب في الفقه . [1]

- كرسي البخاري بشرح فتح الباري بالقرويين، و الذي أنشأه السلطان أبو العباس أحمد الوطاسي في حوالي منتصف القرن التاسع ،و شغله أيضا عبد الواحد الونشريسي . [2]

و لم يتوقف النشاط التعليمي حتى في أوقات تعرض الوطاسيين للاحتلال و إعلان الجهاد ،حيث تورد لنا كتب التراجم لعلمإء هذه الفترة مواقف رائعة أبلى فيها العلماء و الطلبة البلاء الحسن أيام الغزو أو الحصار الإبيري ،دون انصرافهم عن العلم و حلقاته ،حيث وزعوا أوقاتهم بين العلم ،تدريسا و تأليفا و اجازة و افتاءا ،و بين الجهاد في سبيل الله و المرابطة في الثغور لرد الصليبيين ،و من هؤلاء العلماء نذكر:

- **أبو عبد الله محمد الورياغلي (ت 910هـ)** و الذي كان من عادته الاشتغال بالتدريس في فصلي الشتاء و الربيع ،و يرابط للجهاد بالثغور الهبطية في فصلي الصيف و الخريف . [3]
- **أبو عبد الله محمد ابن غازي (ت 919هـ)** [4] الذي كانت له مواقف جهادية مشهودة بأصيلا .
- **أبو عبد الله محمد بن يحيى البهلولي (ت 930هـ)** ممن رابط بالثغور ،و سخر أزجاله للحث على التطوع للجهاد قال عنه ابن عسكر: "كان ممن لازم باب الجهاد و فتح له منه ،و له فيه أشعار و قصائد جليلات و غيرها." [5]

([1]) المقصود به تهذيب البرادعي في اختصار المدونة .

([2]) محمد المنوني ،كراسي الأساتذة بجامعة القرويين ،مجلة دعوة الحق ،العدد الرابع ،1966 ،ص 99 .

([3]) ابن عسكر ،دوحة الناشر ،ص 30،31 ؛السلاوي ،المصدر السابق ،ج4 ،ص112 .

([4]) دوحة الناشر ،ص ص45-47 ؛ الاستقصا ،ج4 ،ص113؛ ،الروض الهتون ،ص ص17-265 .

([5]) دوحة الناشر ،ص 59،60 ؛الحسن الشاهدي ،المرجع السابق ،ص 385 .

و أشار السلاوي الناصري إلى مجموعة من العلماء من الذين استشهدوا أو أسروافي ذلك الوقت.[1] و كان لهذه الحركة الجهادية أثر كبير في ازدهار أدب الجهاد ،سواءا كان شعرا فصيحا أو زجلا، أو نثرا فنيا ،أو تأليفا ،و تنوع هذا الأدب بين الاستصراخ و الحماسة و الوصف .[2]

2- أصناف العلوم المتداولة في العهد الوطاسي و أشهر العلماء:

1- العلوم الدينية:

برز على العهد المريني فقهاء كثر على المذهب المالكي ،تخصص بعضهم في الفتوى التي كانت ملجأ لحل المشاكل القضائية ،أما المؤلفات الفقية فكان معظمها يدور حول متن خليل والمدونة شرحا و تعليقا.

و من أهم ما ألف في هذا العصر:

- **تحفة الحكام** لابن الزقاق (ت 912هـ) و جد عبد الوهاب الزقاق المشهور.
- **رسالة الاخوان من أهل الفقه و حملة القرآن**[3] لابن ميمون الادريسي الغماري (ت 917هـ) الذي له مؤلفات أخرى كـ: "الرسالة المجازة في معرفة الاجازة"[4] و "بيان غربة الاسلام بواسطة صنفي المتفقهة و المتفقرة من أهل مصر و الشام"،و هو مخطوط بالخزانة العامة بالرباط
- **المفيد في الفقه** لابراهيم الفيجيجي (ت 900هـ).
- **شرح مختصر ابن الحاجب** لسعيد الكرامي السملالي.
- **الكليات الفقهية**[5] و **شفاء الغليل في حل مقفل خليل**[6] لابن غازي.

و من بين أبرز فقهاء هذا العصر:

([1]) السلاوي ،المصدر السابق ،ج4 ،ص 111،112 .

([2]) الحسن الشاهدي ،المرجع السابق ،ص 386 .

([3]) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 95 .

([4]) مخطوط ،ميكرو فيلم بالخزانة العامة بالرباط .

([5]) ابن غازي ،الروض الهتون ،مقدمة المحقق ،ص21 ؛ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 320 .

([6]) ابن غازي ،الروض الهتون ،مقدمة المحقق ،ص 19 .

- **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازي العثماني**[1](**ت 919هـ**): المكناسي المولد الفاسي النشأة[2] ،برز في عدة علوم إلى جانب الفقه كالحديث و النحو و الحساب ،من مؤلفاته "شفاء الغليل في حل مقفل خليل"[3] و "تكميل التقييد و تحليل التعقيد"[4] على المدونة و الذي أتم به تقييد أبي الحسن الزرويلي ،و "ارشاد اللبيب إلى مقاصد الحبيب" و "منية الحساب" و"الكليات الفقهية" و "الروض الهتون" و فهرسة لشيوخه ،و غيرها كثير. [5] أسندة له الكراسي العلمية بالقرويين و غيرها نظر لتمكنه من علوم كثيرة،[6]شارك في الحروب ضد البرتغاليين ،وكان من جلساء السلطان الوطاسي محمد البرتغالي. [7]
- **أبو مالك عبد الواحد الونشريسي** [8] (**ت 955هـ**): ابن صاحب المعيار ،أخذ العلم عن والده و غيره ،أسندت له الكراسي العلمية التي كانت لوالده ،توسع في التدريس ليشمل عدة علوم فضلا عن الفقه كالتفسير و الحديث ،و قاعد اللغة وآدابها .تولى قضاء فاس فجمع بذلك بين القضاء و الفتيا و التدريس على حد تعبير ابن عسكر. [9]

([1]) نسبة إلى بني عثمان قبيلة من كتامة الهبط .ابن غازي ،المصدر السابق ،ص 17 .

([2]) الكتاني ،زهرة الآس في بيوتات ناس أهل فاس ،ج2 ،الدار البيضاء ،2002 ،ص 46 ؛ Benchekroun ,op.cit ,p 385,386 .

([3]) ابن غازي ،المصدر السابق ،ص 19 .

([4]) مخطوط بجامع القرويين تحت رقم 1126/340 و بمكتبة ابن يوسف بمراكش تحت رقم 265/260 .

([5]) للإطلاع على مؤلفات ابن غازي ينظر: الروض الهتون ،ص ص 19،21 ؛ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 320 ؛الكتاني ،زهرة الآس ،ج1 ،ص 218 ؛التنبكتي ،كفاية المحتاج ،ج2 ،ص320 ؛محمد مخلوف ،شجرة النور ،ص 276 ؛ابن سودة ،الدليل ،ج1 ،ص 52 ؛محمد حجي ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 157 .

([6]) محمد حجي ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 346 .

([7]) ابراهيم حركات ،المغرب عبر التاريخ ،ج2 ،ص 258 .

([8]) للمزيد عن هذه الشخصية ينظر : ابن القاضي ،درة الحجال ،ص 139،140 و لقط الفرائد ،ص 300 ؛المقري ،نفح ،نفح الطيب ،ج7 ،ص 406 و أزهار الرياض ،ج1 ،ص ص 224-236 ؛القادري ،نشر المثاني ،ج1 ،ص 28 و ص 107 ؛الحضيكي ،الطباقات ،ج2 ،ص ص 200-204 ؛محمد العربي الفاسي ،مرآت المحاسن ،ص 164،165 ؛ Benchekroun ,op.cit ,p 411,412 .

([9]) دوحة الناشر ،ص50.

كان شديد الجرأة على السلاطين الوطاسيين لكنه ظل مخلصا لهم حتى قتل من أجلهم ، وذلك لأنه رفض خلع بيعة محمد البرتغالي لصالح محمد الشيخ أثناء حصاره لفاس ،فأرسل هذا الأخير من قتله نتيجة تصرفه هذا. [1]

له عدة منظومات في الفقه كشهادات السماع و مفوتات البيوع الفاسدة و موانع الإقالة، كما له فتاو محرر و شرح للبخاري لم يتمه. [2]

- **عبد الوهاب بن محمد الزقاق الفاسي (ت 961هـ)**: هو حفيد الزقاق صاحب "تحفة الحكام" ،كان له كرسي بالقرويين لإلقاء دروس في الفقه و التفسير و التصوف ،أخذ عن عمه أبي العباس و الونشريسي ،و من تلاميذته ابن منجور ،أعدمه محمد الشيخ لأنه كان مناهضا للسعديين. [3]

- **أبو الحسن عيل بن موسى بن هارون المطغري (ت 951هـ)**: خطيب القرويين و أحد تلامذة ابن غازي الذي أجازه مطلع القرن العشر الهجري (16م) في جميع الكتب التي قرأها عليه و عددها ثلاثة وسبعون كتاب ،بعدما لازمه ستة عشر سنة. [4]

([1]) لما حاصر محمد الشيخ السعدي مدينة فاس قيل له بأن أهلها لن يبايعوه إلا إذا بايعه الونشريسي ،فأرسل إليه رسولا من أجل هذا الغرض ،فرفض خلع بيعة السلطان الوطاسي إلا بموجب شرعي و هو غير موجود ،فأرسل محمد الشيخ من قتله بالقرب من الجامع. ينظر: دوحة الناشر ،ص50 .

([2]) محمد بن مخلوف ،شجرة النور ،ص 282،283 .

([3]) ابن القاضي ،درة الحجال ،ج3 ،ص 105 ؛التنبكتي ،كفاية المحتاج ،ج1 ،54 ؛ليفي بروفنسال ،مؤرخو الشرفاء ، ص89 .

([4]) ابن القاضي ،درة الحجال ،ج3 ،ص 254 ؛التنبكتي ،كفاية المحتاج ،ج1 ،ص 74 ؛أحمد المنجور ،الفهرس ،ص ص 21-23 ؛ابن غازي ،الروض الهتون ،ص 22،23 ؛ محمد حجي ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 105 ؛ Benchekroun ,op.cit ,p 421 .

- **علي الورياغلي**[1] **(ت 961هـ)**: برع إلى جانب الفقه في الرياضيات و الفرائض ،خلف شيخه عبد الحق بن أحمد المصمودي (ت 966هـ)[2]،بعد وفاته في تدريس الرياضيات و الفرائض بفاس.
- **أبو محمد عبد الرحمن بن علي سقين السفياني**[3] **(ت 956هـ)**: ابتدأ تعليمه بالمغرب ،ثم ارتحل إلى مصر و الحجاز اين أقام مدة طيلة ينتهل العلم عن مشايخها ،خاصة في علم الحديث ،حتى حصل له علم كثير و رواية واسعة لم تحصل لغيره من أهل عصره بالمغرب.[4] انتقل إلى السودان ،ثم إلى فاس ،فأقام بعدوة الأندلس يدرس في جامعها الحديث.

2- علوم اللغة و الأدب:

قل الاهتمام في العهد الوطاسي بعلوم اللغة و الأدب بسبب تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية و الاجتماعية ،حيث كان المغرب يتعرض للغزو الابيري ،ويعيش صراعات لا متناهية حول السلطة ،و زاد من سوء الأحوال هاته انتشار الوباء بين الرعية.[5] و أعاقت هذه الظروف الصعبة حركة الابداع و الابتكار و التأليف ،أو ظهور دراسات جديدة في علوم اللغة و آدابها،[6] فكان معظم رجال اللغة من الفقهاء ،و كان من هذا الأدب ما صدر عن مرابطين مجاهدين و عن علماء واعظين ،و عن صوفية متبتلين ،و الجميع حملوا على عاتقهم مسؤولية الجهاد أو التحريض عليه من خلال دروسهم و مواعظهم.

و من هؤلاء العلماء نذكر:

([1]) ابن القاضي ،درة الحجال ،ج3 ،ص 24؛ الفهرس المنجور ،ص 75؛ محمد حجي ،المرجع السابق ،ج2،ص 355 .

([2]) فهرس المنجور ،ص75 ؛ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 275 و درة الحجال ،ج3 ،ص 160،161 و لقط الرائد ،ص 301 ؛التنبكتي ،نيل الابتهاج ،ج2 ،ص 185 ؛الكتاني ،سلوة الأنفاس ،ج3 ،ص 294 .

([3]) ابن القاضي ، درة الحجال ،ج3 ،ص 96،97 و لقط الرائد ،ص 301 ؛التنبكتي ،كفاية المحتاج ،ج2 ،ص 51 ؛ محمد بن مخلوف ،شجرة النور ،ص 279 ؛ ليفي بروفنسال ،مؤرخو الشرفاء ،ص 88 .

([4]) فهرس المنجور ،ص33 .

([5]) محمد بن تاويت ،الوافي بالأدب ،ج2 ،ص601 .

([6]) ابراهيم حركات ،المغرب عبر التاريخ ،ج2 ،ص 260 .

- **محمد بن يحيى البهلولي** صاحب اللامية المشهورة التي حض فيها على الجهاد، وخاطب من خلالها السلطان الوطاسي محمد الشيخ حاثا إياه على الجهاد قائلا:

قل للأمير محمد * * * يا طلعة الهلال

لويلة في السواحل * * * من أفضل الليالي [1]

و من أشعاره في هذا المجال:

قم للجهاد رعاك منتهجا * * * نهج الرشاد إلى الأقوام لو فهموا

من بعد أندلس ما زلت محترما * * * لو كان يمكنني في الليل أحتزم

- **ابن غازي المكناسي** الذي له مشاركات في شتى أنواع العلوم و الفنون ،و من نظمه:

عجبت لمبتاع اضلالة بالهدى * * * لمشتري دنياه بالدين أعجب

و أعجب من هذين من باع * * * بدنيا سواه فهو أخزى وأعجب[2]

و قوله أيضا:

أقمت بمكناسة مدة * * * اعلم أبناءها ما الكلام

فلما توهمه بعضهم * * * علي به بخلوا بالسلام

و قال في مكناسة أيضا بعدما نفاهى عنها أميرها:

طلقت مكناسة ثلاثا * * * و الشرع يأبى الرجوع فيه

([1]) السلاوي الناصري ،المصدر السابق ،ج4 ،ص 121 .

([2]) عنه ينظر: ابن القاضي ،لقط الفرائد ،ص 284 ؛مخلوف ،شجرة النور ،ص 276 ؛الزركلي ،الاعلام ،ج6 ،ص 232 ؛ابن سودة ،الدليل ،ج1 ،52 ؛محمد حجي ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 346 .

لست بدار سوى لقاض * * * أو عامل الجور أو سفيه[1]

و له أيضا منظومات علمية في مختلف العلوم كـ:"المنية في الحساب". [2]

- **أبو الحسن علي بن موسى بن هارون المطغري** : السلف الذكر ،قاضي الجماعة بفاس ،كان من أدباء هذا العصر الذي له مدح في رسول الله صلى الله عليه وسلم ،و منه:

يا غريب الحي من حي الحمى * * * حلتم لا و حياة الأنفس

لم يحل عنكم ودادي بعدما * * * أنتم عيدي و أنتم عرسي

من عذيري في الذي أحببته * * * مالك قلبي شديد الرجا

بدر تم أرسلت مقلته * * * سهم لحظ لفؤادي جرحا

أن تبدي أو تثني خلته * * * غصن بان فوقه شمس الضحى[3]

- **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن (ت 920هـ)**: المعروف بابن يجيش التازي[4] ،متصوف مجاهد ،و أديب مشارك في علوم الدين و اللغة ،برز في النحو و العروض له مراسلات مع الإمام السنوسي ،له قصيدة عارض به منفرجة ابن النحوي ،جاء في أولها:

اشتدي أزمة تنفرج * * * قد أبدل ضيقك بالفرج

مهما اشتدت بك نازلة * * * فاصبر فعسى التفريج يجي

مولاك ارغب فاجابته * * * للمظطرين على درج

([1]) محمد بن تاويت ،الوافي بالأدب ،ج2 ،ص 603 .

([2]) جاء في أول هذا النظم:

فسرني بسرور مجد في الحلايا *** ليت شعري ما مداه في الملأ

عنها ينظر: محمد بن تاويت ،الوافي بالأدب ،ج2 ،ص 603 .

([3]) محمد بن تاويت ،الوافي بالأدب ،ج2 ،ص 604 .

([4]) عنه ينظر: ابن عسكر ،دوحة الناشر ،ص ص 66-71 ؛ابن القاضي ،درة الحجال ،ج2 ،ص 149،150 و لقط الفرائد ،ص 248 ؛التنبكتي ،نيل الابتهاج ،ج1 ،ص 334 و كفاية المحتاج ،ج1 ،ص 141 ؛محمد العربي الفاسي ،مرآة المحاسن ،ص 15 ؛الحضيكي ،الطبقات ،ج1 ،ص ص 17-21 ؛محمد حجي ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 434،435 .

و ألح عليه بمسألة * * * فهو الوهاج فسل وهج

أخلص فيما تدعهَ و قل * * * يسر عسري و أزل حرجي

لا حيلة لي لا قوة لي * * * إلا بك يا محيي المهج [1]

- **عبد الواحد الونشريسي**: السالف الذكر ،من بين ما نظمه قصيدة بمناسبة تجديد قنطرة الرصيف على عهد السلطان أبي العباس الوطاسي ،مما جاء فيها:

فخر السلاطين من أبناء وطاس * * * جسر الرسيف أبو العباس جدده

لمن يمر به من عدوتي فاس * * * فجاء في غاية الاتقان مرتفعا

من هجرة المصطفى المبعوث للناس * * * كان تجديده في نصف عام غنا [2]

- **أحمد الغزاني الفاسي (ت 920هـ)**: من الفهاء الشعراء من نظمه:

إذا كنت في فاس و لم تك ساكنا * * * بطالعها الأعلى فما أنت في فاس

لطريانة طارت همومي كلها * * * إذا شعشع الساقي و دار بأكواسي [3]

- **أحمد الصنهاجي (ت 921هـ)**: الشهير بالدقون[4]،خطيب القرويين ،درس بغرناطة قبل أن يحتل الاسبان ،برز في الفقه و اللغة ،من مؤلفاته "بداية التعريف في شرح شواهد الشريف" ،و من شعره نظم في الاجازة مما جاء فيها:

أشهدكم يا من حضر * * * أهل البوادي و الحضر

أني أجزت قاسما * * * ابن الفقيه المعتبر

([1]) محمد بن تاويت ،الوافي بالأدب ،ج2 ،ص 605 .

([2]) نفس المرجع ،ص 609 .

([3]) نفسه ،ص 609.

([4]) عنه ينظر: ابن القاضي ،درة الحجال ،ج1 ،ص 92،93 و لقط الفرائد ،ص 285 ؛المقري ،أزهار الرياض ،ج1 ،ص ص 103،108 ؛مخلوف ،شجرة النور ،ص 276 ؛ محمد حجي ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 348 .

و يقول في بيت آخر:

أجاز لك الدقون يا نجل سيدي * * * أبي جمعة و الآل كل الذي روى[1]

- **محمد بن عبد الرحمن الكراسي الريفي (ت 964هـ)**: الأندلسي الأصل ،أديب شاعر ،و فقيه محدث ،و مؤرخ ،تولى قضاء تطوان ،أخذ عن علماء الأندلس كالوراق الغرناطي ،و عن علماء المغرب كالونشريسي و ابن غازي ،من نظمه "عروس المسائل فيما لبني وطاس من فضائل"[2] التي أبياتها تربو عن أربعمائة بيت ،تعد ثاني المنظومات التاريخية بعد تلك التي نظمها الملزوزي في بني مرين .

و تنتهي أحداث هذه المنظومة سنة 950هـ ، جاء في أولها:

الحمد الله العزيز القادر * * * عالم كل وارد و صادر[3]

ثم قال:

تبعت فيه السيد الملزوزي * * * في ذكر كل ملك معزوز

و ابن الخطيب ذاكرا رقم الحلل * * * في الخلفاء و الملوك و الملل [4]

إلى أن وصل إلى الو طاسيين فابتدأ بذكر محمد الشيخ الوطاسي:

أولهم من حازها مبايعة * * * محمد الشيخ بلا منازعة [5]

و اختتم نظمه بقوله:

آخر شهر الحجة الحرام * * * متم خمسين على التمام

([1]) محمد بن تاويت ،الوافي بالأدب ،ج2 ،ص 610 .

([2]) ابن عسكر ،دوحة الناشر ،ص 21 ؛عروسة المسائل ،مقدمة المحقق ،ص ص 5-9 ؛ليفي بروفنسال ،مؤرخو الشرفاء ، ص 232 ؛محمد داود ،تاريخ تطوان ،ج1 ،ص 144،145 ؛ابن سودة ،الدليل ،ج2 ،ص423 ؛محمد حجي ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 418 ؛ Benchekroun ,op.cit ,p 447 .

([3]) الكراسي ،عروسة المسائل ،ص 10 .

([4]) نفسه ،ص 12 .

([5]) الكراسي ،عروسة المسائل ،ص 25 .

من بعد تسع مائة لهجرته * * * لطيبة طابت بطيب تربته [1]

- **أبو القاسم محمد الماجري النحوي (ت 911هـ)**: اشتهر بالنحو حتى عرف به ،و هو أستاذ عبد الرحمن بن الملجوم،[2] و يعقوب بن يوسف الرميكي (ت 965هـ) الذي كان أستاذا بتامزات بسوس ،و موسى بن سعيد الحافظي الزواوي المقرئ (ت 931هـ). [3]

3- التاريخ:

لم تنل الدولة الوطاسية حظها من الدراسات التاريخية ،كتلك التي حظيت به الدول التي قامت على أرض المغرب الأقصى .حيث تكاد تكون كل المصادر التي يعتمد عليها الباحثون حول هذه الفترة من تأليف مؤرخين لم يشهدوا العصر الوطاسي ،أو من الذين عايشوا الفترة السعدية ،أو ما بعدها ،لم يصلنا الكثير من نشاطات هذه الدولة سواء السياسية أو غيرها، إن على المستوى الداخلي أو الخارجي ،مما يدعوا إلى الإعتماد على التقارير التي وضعها الأجانب بعد زيارتهم للمغرب آنذاك. [4] و لعل من أهم المصادر المغربية عن هذه الفترة هي:

- كتاب "مشاهير بيوتات فاس الكبرى" لمؤلف مجهول. [5]
- "ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس" لأبي عبد الله محمد بن أحمد بوراس المعسكري. [6]

اضافة إلى مصادر متأخرة عن الدولة الوطاسية ،و منها:

- كتاب "ضوء النبراس لدولة بني وطاس" لمحمد بن محمد بن علي الدكالي .

([1])الكراسي ،عروسة المسائل، ص 27 .

([2]) من الشيوخ الذين درسوا بالقرويين ،عنه ينظر: فهرس المنجور ،ص15 ؛ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 260،261 ؛محمد حجي ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 189 .

([3]) محمد حجي ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 102 .

([4]) كتقرير باستيا دي فرجاس البرتغالي و تقرير بيار دو بيطون الفرنسي .ابراهيم حركات ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 260 .

([5]) مؤلف مجهول من تلامذة أبي عبد الله محمد بن قاسم ،و قد عاش إلى ما بعد بداية القرن التاسع الهجري ،اختصر كتابه أبو زيد الفاسي .ينظر: ابن سودة ،الدليل ،ج1 ،ص 10 .

([6]) لا يزال هذا المؤلف مفقود إلى يومنا هذا .ينظر ابراهيم حركات ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 261 .

- كتاب "وصف افريقيا" للحسن الوزان ،و الذي تضمن معلومات كثيرة عن عن الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية للدولة الوطاسية ،غير أن هذا الكتاب جغرافي في تصميمه أكثر منه تاريخي. [1]

4- الجغرافيا:

على الرغم من أن العصر الوطاسي لم يعرف بروز رحالة يضاهي بهم رحالة العصر المريني الذين دونوا كل أسفارهم تاركين لنا وصفا دقيقا لمختلف الأقاليم التي زاروها ،وصف جمع بين ما تعلق بالحياة السياسية و الاجتماعية ،و الاقتصادية و الثقافية ،و كذا الطبيعة الجغرافية .إلا أن هذا العصر – الوطاسي – شهد ظهور أدق كتاب جغرافي تم تدواله ،و هو كتاب "وصف افريقيا" (Description de l'Afrique) للحسن الوزان[2] و الذي يعد أهم رحالة عالمي ظهر خلال هذه الفترة .

وقد ألف الحسن الوزان هذا الكتاب و هو في نحو الأربعين من عمره ،و قد حصل هذا الكتاب على شهرة واسعة لدى المسيحيين حيث تم نشره منذ سنة 1550م بالبندقية على يد أحد المفكريين الإيطاليين و هو "جون بوبتيست راميسيو" (Jean Boptiste Ramusio) ، وكان الحسن الوزان قد ألف هذا الكتاب بالإيطالية معتمدا على مؤلفات مخطوطة بالعربية ،ضاع أثرها على ما يبدو.

([1]) ابراهيم حركات ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 261 .

([2]) عرف عند الأوربيين بجان ليون الافريقي ،غادر غرناطة مع أسرته بعد بضع سنوات من سقوط هذه المدينة في يد الاسبان متوجها إلى فاس ،أين أخذ عن علمائها ،اشتغل و هو حديث السن عدلا و سفيرا من قبل الوطاسيين ثم السعديين ،قام بعد رحلات في افريقيا ة آسيا إلى أن وقع أسيرا في يد قراصنة ايطاليين الذين قدموه هدية للبابا جون ليون ،الذي اشتغل عنده الوزان مدرسا للغة العربية ،و هناك الف كتبا عديدا أشهرها وصف افريقيا و معجم عربي لاتيني الذي توجد مخطوطة منه بالاسكوريال تحت رقم 598 .للمزيد عن هذه الشخصية ينظر: محمد حجي ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 348،349

Coline (G.S) l'Arabe dialectale Espagnol et Marocain (l'arabe dialed) , hespéris ,1935 ,pp ,94-98 ;Massignon (L) ,le Maroc dans les premières année du 15ème sciècles ,typogre ,Adolphe Jourdan ,Alger ,1906 ,t3 ,p 22,23 .

و قد ظهرت ترجمة لاتينية و أخرى فرنسية لهذا الكتاب سنة 1556م ،غير أن النسخة الأصلية لهذا الكتاب تعد مفقودة ،بينما ظهرت نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بروما سنة 1931م في شكل رديئ مقارنة بطبعة روميسيو ،و في سنة 1956 ترجم هذا الكتاب من جديد إلى اللغة الفرنسية من طرف ايبولار (A.Epaulard) .

و يتألف هذا الكتاب من ثلاثة مجلدات ضخمة ،خصص أحدها لآسيا ،و الثاني لأوربا والآخر لافريقيا ،و هذا الأخير يحوي تسعة أقسام هي:

- معلومات عامة عن افريقيا جغرافيا و اجتماعيا.
- وصف ناحية حاحة و سوس و مراكش و جدولة و دكالة و هكسورة و تادلة .
- وصف ناحية تامسنا و اقليم و أرغار و الهبط و الريف و الصحراء الشرقية و الحوز.
- وصف ناحية تلمسان .
- وصف مملكة بجاية و تونس.
- نوميديا (الصحراء الجنوبية لشمالي افريقيا و صحراء ليبيا).
- السودان.
- مصر.
- أهم أنهار و نباتات و حيوانات و أسماك و معادن افريقيا.

و الأقسام الثلاثة الأولى هي التي لها علاقة بالمغرب ،حيث تعرض فيه الوزان إلى وصف مدنه وقراه و جباله واحدا واحدا ،بالاضافة إلى تعرضه للحياة الاجتماعية من حيث عدد السكان و أنماط معيشتهم ،و سكناهم و ملبسهم ،و مأكلهم و عاداتهم و تقاليدهم ،و كذا نشاطهم الاقتصادي من زراعة وصناعة و تجارة ،و كذلك نشاطهم الفكري من مدارس و طرق التعليم ،و العلوم المتداولة ،اضافة إلى الحياة الدينية.

لذلك يعتبر كتاب الحسن الوزان إلى جانب كتابي مارمول كربخال و ليفيو سانطو (Livio Sanuto) أهم المصادر التاريخية التي اعتمد عليها الأوربيون في اكتشاف القاليم المجهولة في افريقيا. [1]

و إلى جانب كتاب "وصف افريقيا" ألف محمد بن غازي المكناسي كتاب "الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون" ،و الذي يحوي معلومات هامة في الجغرافيا الاقتصادية ،إذ وصف كل المنتوجات الزراعية بمكناس على عهد الموحدين و المرينيين و الوطاسيين ،كما وصف تطور عمرانها و احيائها و أحوالها السياسية. [2]

5- الطب:

لا شك أن فاس حاضرة الوطاسيين لم تخلو من وجود عدد من الأطباء ،إلا أن لا أحد منهم نال شهرة علمية تذكر خلال هذا العصر.

و رغم ذلك فكتب التاريخ تذكر لنا بعض العلماء الذين كانت لهم مشاركة في الطب كالفقيه عبد الوهاب الزقاق ،و عبد المحدث عبد الرحمن سقين الذي كان يدرس ألفية ابن سينا في الطب ،و نع أن هذين العالمين عدا من قبل الباحثين من رجال العصر السعدي غير أنهما عاشا تحت كنف الوطاسيين. [3]

6- الرياضيات:

في الوقت الذي قل فيه اهتمام الوطاسيين بالعلوم الطبيعية اشتدت عنايتهم بالرياضيات خاصة الحساب و الفرائض ،لحاجتهم الضرورية لهذين العلمين في ممارساتهم اليومية كالتجارة والتوثيق و القضاء [4]و غيرها.

([1]) ابراهيم حركات ،المرجع السابق ،ج2 ،ص264 ؛سلمى عمر السيد عمر ،المرجع السابق ،ص 113 .

([2]) ابن غازي ،المصدر السابق ،ص ص 43-131 .

([3]) عبد الله كنون ،النبوغ المغربي ،ج1 ،ص146 ؛عبد العزيز بن عبد الله ،الطب و الأطباء بالمغرب ،المكتبة الاقتصادية ، الرباط ،1960 ،ص ص 57-59 ؛ابراهيم حركات ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 265 .

([4]) ابراهيم حركات ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 266 .

و من بين العلماء الذين اشتهروا في هذا المجال نذكر:

- **عمر بن عبد الرحمن الجزنائي** المتوفى أوائل الفرن العاشر.
- **عبد الله بن عمر المطغري (ت 927هـ)**[1] و هو تلميذ محمد بن القاسم الغوري ،و استاذ السلطان المهدي السعدي.
- **يعقوب بن يحيى البدري**: كان عالما مشاركا في عدة علوم كالفقه و النوازل و الرياضيات.
- **عبد الحق المصمودي (ت 955هـ)** [2]: شيخ الجماعة بفاس في الرياضيات و الفرائض ،تلميذ ابي عبد الله اليفريني المكناسي الذي جمع هو الآخر بين الفقه و الرياضيات.

و لعل ما ميز هذا العصر أن من اشتغلوا بالرياضيات اهتموا بالتدريس دون التأليف ،فكان من طلبتهم العديد ممن برزوا في العصر السعدي ،و كان لهم الفضل في ازدهار هذا العلم دراسة وانتاجا على هذا العصر الأخير. [3]

([1]) من تلامذة الامام ابن غازي ،تكاثر عدد طلابه ،ومن بينهم الأميران السعديان أحمد و محمد ابنا محمد بن عبد الرحمن القائم بأمر الله .عنه ينظر: ابن عسكر ،دوحة الناشر ،ص 87،88 ؛ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 240 و درة الحجال، ج3 ،ص 55 ؛التنبكتي ،نيل الابتهاج ،ج2 ،161 ؛اليفريني ،النزهة ،ص 13 و ص 49 ؛الحضيكي محمد بن أحمد السوسي ،طبقات الحضيكي ،ج2 ،المطبعة العربية ،الدار البيضاء ،1938 ،ص 169 و ص 212،213 ؛السلاوي، الاستقصا ،ج5 ،ص 36 ؛العباس بن براهيم ،الأعلام ،ج4 ،ص170.

([2]) فهرس المنجور ،ص 75 ؛ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 275 و درة الحجال ،ج3 ،ص 161،162 و لقط الفرائد ،ص 301 ؛التنبكتي ،نيل الابتهاج ،ج2 ،ص 185 ؛الكتاني ،سلوة الأنفاس ،ج3 ،ص 294 ؛محمد حجي ، المرجع السابق ،ج2 ،ص 354 .

([3])ابراهيم حركات ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 266 .

المبحث الثالث: التاريخ الثقافي للمغرب الأقصى في عهد السعديين .

1- عوامل ازدهار الحياة الثقافية في الدولة السعدية.

أ-عناية الأشراف السعديين بالعلم و اهتمامهم بالعلماء و إجراء الأرزاق عليهم:

من المعلوم أن الأشراف السعديين و منذ ظهورهم على مسرح الأحداث بالمغرب الأقصى، حملوا على عاتقهم مهمة الجهاد ضد النصارى الذين كانوا قد استولوا على العديد من المراكز الهامة بالسواحل المغربية، لا بل حولوها إلى حصون و محطات تجارية و عسكرية يطوقون بها أرض المغرب و يحاصرون من خلالها شعبها الذي تردت أوضاعه في ظل غياب سلطة جادة تحميه و ترد عنه الأطماع الأوروبية التي ما فتئت تتنامى يوما بعد يوم.

و مع ظهور السعديين الذين حملوا لواء الجهاد و قضائهم على سلطة الوطاسيين من جهة، و دحرهم للأطماع الأوروبية من جهة أخرى، أخذت البلاد تنتعش، و دخل بذلك المغرب مرحلة جديدة، مع سياسة الاصلاحات التي انتهجها الأشراف السعديون، و التي شملت مختلف مجالات الحياة السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية و الثقافية، و لعل ما ميز الحركة الفكرية في هذه المرحلة هو انطباعها بالطابع الديني[1]، خاصة و أن السعديين بحكم نسبهم الشريف تحملوا مسؤولية الجهاد الديني للتحرير السياسي و الاصلاح الاقتصادي و الاجتماعي، و لم يكن ليتحقق ذلك إلا بإشعال الحماس الديني و إنقاذ المؤسسات الدينية و بعث الروح فيها من جديد[2]، و هكذا بدأت العناية بإصلاح و توسعة و تجديد العديد من المآثر العمرانية الدينية و التاريخية، كما تأسست منشآت عمرانية جديدة لدعم المد الروحي اللازم للجهاد الحربي، و مع انتشار هذه المؤسسات انتشر التعليم و انتعشت الحياة الفكرية من جديد.

و قد ساهم في هذا الانتعاش و بشكل كبير عناية السلاطين السعديين بالعلم واهتمامهم بالعلماء و إجراء الأرزاق عليهم، بل أن معظم ملوك الدولة السعدية وإن عرفوا كساسة و قادة

---

[1]- ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع في العصر السعدي، نشر و توزيع، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1987، ص374.

[2]- عثمان اسماعيل، تاريخ العمارة الاسلامية و الفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج5، عصر الأشراف السعديين والعلويين، ط1، سلسلة حضارة المغرب الاسلامي، 1993، ص63.

للمغرب محنكين، فقد عرفوا أيضا كعلماء و أدباء و فقهاء، يشاركون في الدروس و يحفظون المتون و يدعون إلى الدرس و الاجتهاد[1]، و قد تحدثت المصادر التاريخية المختلفة باسهاب عن مشاركة الخلفاء السعديين في الميدانين العلمي و الأدبي، فالخليفة محمد الشيخ[2] (1540- 1574م) السياسي المحنك كان أديبا و فقيها ذو ثقافة متينة، معروف بمقدرته على اقناع الفقهاء والمستشارين لديه بوجهة نظره، فقد قال عنه ابن القاضي: "كان حافظا للقرآن و كان فهمه له جيدا، و يحفظ ديوان المتنبي عن ظهر قلب، حافظا لصحيح البخاري، وكان عارفا بالتفسير و الفقه و غير ذلك"[3]، و بذلك فقد اجتمعت في هذا الخليفة شخصيتان بارزتان، شخصية السياسي المجاهد في سبيل توحيد صفوف المسلمين، و شخصية الفقيه و الأديب و المحدث[4].

و كان حفيده محمد بن عبد القادر (ت975هـ/ 1567م)، فقيها و شاعرا لامعا و ناثرا مبدعا[5]، كما كان الخليفة المتوكل على الله[6] (981- 983هـ/ 1574- 1576) عالما وأديبا رغم ظلمه و جبروته، فقد نقل اليفرني أثناء حديثه عنه، ما وصفه به غيره، قائلا: "كان متكبرا غير مبال و لا متوقفا في الدماء، شديد العسف على الرغبة، و كان مع ذلك فقيها عالما، مشاركا

---

[1]- نجاة المريني، شعر عبد العزيز الفشتالي، جمع ودراسة و تحقيق، ط1، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع الرباط، 1986، ص40.

[2]- هو والد المنصور، عنه ينظر، ابن القاضي، درة الحجال ، ج2، ص204 و الجذوة ، ج1، ص212.

[3]- ابن القاضي، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم 11952، و للعلم فقد تم تحقيق هذا الكتاب من قبل الأستاذ محمد رزوق في مجلدين بالرباط عام 1986 ،المراكشي، الأعلام، ج4، ص169.

[4]- نجاة المريني، المرجع السابق، ص40.

[5]- المراكشي العباس بن ابراهيم، الإعلام بمن حل بمراكش و أغمات من الأعلام، ج4، المطبعة الملكية، الرباط، 1974، ص171؛ ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع في العصر السعدي، المرجع السابق، ص375.

[6]- هو الملقب بالمسلوخ، مدة حكمه (981- 983هـ) قتل في معركة وادي المخازن، عنه ينظر، ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص223؛ اليفرني، نزهة الحادي ، ص52؛ السلاوي، الاستقصاء ، ج5، ص57؛ نجاة المريني، شعر عبد العزيز الفشتالي، ص40.

في الفنون، أديبا مجيدا، قوي العارضة نظما و نثرا"[1]، و قد كان أبو مروان عبد الملك المعتصم (1576- 1578م)، يجيد عدة لغات منها الايطالية و الاسبانية و التركية فضلا عن العربية[2].

أما أحمد المنصور (986- 1012هـ/ 1578- 1603م)، فقد أجمع المؤرخون على أنه خدم الحركة الفكرية لا بفضل نفوذه كملك، و إنما بفضل ثقافته الواسعة التي شملت علوما وفنونا عديدة، كالأدب و التاريخ و المنطق و البلاغة والفقه و الأصول و التفسير و الحديث والتراجم و الرياضيات و الفلك و علوم اللغة و غيرها[3]، فقد كان يجتمع إليه فطاحل العلماء و من كل صوب في مجالس تجري فيها المناقشات الأدبية و العلمية ،و بلغت شهرته العلمية المشرق، فارتحل إليه علماؤه، و حضروا مجالسه و تفانوا في خدمته و في مديحه، حيث يذكر ابن القاضي واصفا مجلسا من مجالسه: "و من غريب ما اتفق بين يديه أيده الله ذات يوم في ثلاثة نفر من أهل المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال و يتبرك بها النساء والرجال، أحدهم مدني و الثاني مكي، والثالث خليلي قرشي، ثم أنه ألقي في خاطره (أي في خاطر الخليلي) ما اتفق من اجتماعهم على إيالته، فأنشأ يقول بيتين في الحال و من معه من المعتفين الذين قصدوا الإيالة العلوية من الديار المكية والمدنية حاضرين، فقام على قدميه و قال:

إن أمير المؤمنين أحمد *** بحر الندى و فضله لا يجحد

فمكة و طيبة أهلها *** و المسجد الأقصى بذاك يشهد

فلما بلغ إلى قوله: فمكة و طيبة، أشار بيده إلى كل واحد من صاحبيه اللذين معه، و لما بلغ إلى قوله و المسجد الأقصى أشار بيده إلى نفسه ثم قال: نصرك الله، فابتسم لذلك أيده الله، و أجزل لهم في العطاء و اجراء النفقة عليهم، كما هو دأبه لكل وافد عليه من أي بلد كان، فهمته دائما طالبة للعلو، تواقة للسمو"[4].

---

[1]- اليفرني، نزهة الحادي ، ص52.

[2]- ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص 375، 376.

[3]- المقري، روضة الآس العاطرة الأنفاس، في ذكر من لقيته من أعلام الحاضرتين مراكش و فاس، تقديم عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1964، ص34.

[4]- ابن القاضي، المنتقى ، الورقة 60 ؛ المقري، روضة الآس، ص 14، 15؛ اليفرني، نزهة الحادي ، ص114.

و قد كان من جلسائه الدائمين المفتي عبد الواحد الحميدي[1]، و أبو فارس الفشتالي[2] ومحمد بن علي الهوزالي[3]، و سليمان بن ابراهيم التاملي.

و كان المنصور يؤثر العلماء بحبه و عطائه، حيث يقول ابن القاضي في هذا الصدد: "ومخدومنا أيده الله أبر الناس و الأمراء بأهل العلم، فقد استخلصهم لنفسه، و جمعهم من أقطار مملكته لمخاطبته و أنسه، فإذا سمع بمن له منزلة في العلم أقدمه على حضرته العلية بإمامته العلوية"[4]،

---

[1]- عبد الواحد الحميدي (930هـ/ 1003م) من قضاة المغرب في عصر المنصور، وصفه التنبكتي بأنه عالم بالفقه، مستحضر لمسائل توضيح خليل ملوكي الخزانة، حسن الأخلاق دؤوبا على الإقراء مع كثرة شغله تولى القضاء أزيد من 30 سنة، و كان بينه و بين المنجور منافسة، عنه ينظر: ابن القاضي، درة الحجال ، ج3، ص142 و لقط الفرائد ، ص290؛ المقري، روضة الآس ، ص19؛ القادري محمد بن الطيب، نثر المثاني لأهل القرن الحادي عشر و الثاني، ج1، تحقيق محمد حجي و أحمد التوفيق، طبعة الرباط، 1407هـ/ 1968م، ص27؛ اليفرني، صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر، طبعة حجرية، فاس، ب.ت، (نسخة بمكتبة ابن يوسف دار الثقافة بمراكش)؛ محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج2، دكتوراه دولة في الآداب و العلوم الانسانية، منشورات دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر، الرباط، 1976، ص361.

[2]- مؤرخ دولة و شارع الخلافة و رئيس ديوان الانشاء له عدة مؤلفات منها، مناهل الصفاء في أخبار الملوك الشرفاء، مدد الجيش شرح مقصورة المكوري الفقيه النحوي المشهور، مجموعة الرسائل و الظهائر السلطانية و غيرها، عنه ينظر: المقري، روضة الآس، ص1121؛ ابن القاضي، درة الحجال ، ج3، ص130و المنتقى المقصور في مواضع متفرقة و لقط الفرائد ، ص173؛ القادري، نثر المتاني، ج1، ص241؛ السلاوي، الاستقصاء ، ج5، ص90؛ محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج2، ص400؛ مخلوف، شجرة النور الزكية ، ص298؛ المراكشي عباس بن ابراهيم، المصدر السابق، ص152؛ ليفي بروفنسال، مؤرخو الشرفا ، ص80.

[3]- بن علي الهوزالي (ت1012)، من شعراء المنصور المقربين، وصفه الفشتالي: "شاعر الدولة الفقيه الجليل البليغ" أخذ عن المنجور، أغلب شعره في مدح الخليفة المنصور، و في الاشادة بشخصيته و جليل أعماله" ، عنه ينظر: مناهل الصفا، في مواضع متفرقة، ؛ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص233؛ عبد الرحمن التمنراتي، الفوائد الجمة في اسناد علوم الأمة، مخطوط مصور، المكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم 1420د، ص40؛ محمد الحضيكي، الطبقات ، ص47؛ ليفي بروفنسال، مؤرخو الشرفا ، ص102، هامش 2، المراكشي، الإعلام، ج5، ص182؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص408؛ محمد بن تاويت، الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، ج3، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1984، ص655؛ نجاة المريني، الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي، ط1، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999، ص449.

[4]- ابن القاضي، المنتقى، ص81.

ويروي ابن القاضي في كتابه المنتقى حديثا عن شيخه المنجور[1]، فيقول: "حدثني شيخنا أبو العباس أحمد بن علي المنجور عن كثرة علمه و غزارة فهمه فقال: كثيرا ما سامرته و ما رأيت أجود من فهمه و أكثر من علمه، أفاد مني و أفاد، لكن ما أفاد ،أكثر مما استفاد"[2].

و لشغف المنصور بالعلم فقد قام بتأليف عدد من الكتب أهمها: كتاب المعارف في كل ما تحتاج إليه الخلائق، و هو كتاب في سياسة تدبير الدولة، وصفه المقري بأنه لا نظير له[3]، و تأليف في الجواب عن حديث علي و العباس رضي الله عنهما و فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه و سلم في حديث لا نورث ما تركناه صدقة، يقول المقري عنه: "أخبرني من رآه أنه تأليف غريب في بابه، بالإضافة إلى كتاب "العود أحمد"[4]، و هو مجموع أذكار و أدعية تهم المؤمنين عامة، و يؤكد المقري أنه رآه و أعجب بعنوانه و جمال خطه، و ينتهي هذا المجموع بتقريظ لأبي فارس الفشتالي[5] (مدح و إطراء)، و قد ذكر هذه التآليف الفشتالي في كتابه "المناهل" متحدثا عن شخصيته الأدبية، ذاكرا مجموعة من أشعاره المتنوعة[6].

و بذلك استطاع المنصور أن يعيد للمغرب مجده العلمي و ارتقاءه الحضاري، فازدهرت حدائق الشعر و الأدب و أينعت ثمار دروس الفقه و التفسير، و تطورت علوم الطب و الحساب

---

[1]- الشيخ أحمد المنجور (ت926- 995هـ)، إمام فاس الكبير و عالمها المشارك، وصفه تلميذه ابن القاضي قائلا: "الإمام الفقيه المعقولي المؤلف، كان آية من آيات الله تعالى في المعقول و المنقول، و كان أحفظ أهل زمانه و أعرفهم بالتاريخ و البيان و المنطق و الأصول"، له عدة مؤلفات منها، نظم الفرائد لحل المقاصد، مراقب المجد في آيات السعد، و فهرسة المنجور، عنه ينظر: ابن القاضي، درة الحجال، ج1،ص156؛ ابن عسكر، دوحة الناشر ، ص59؛ القادري، نثر المتاني ، ج1، ص55؛ مخلوف، شجرة النور الزكية ، ص287؛ اليفرني، صفوة من انتشر ، ص4؛ الحضيكي، الطبقات ج1، ص32؛، التمنراتي، الفوائد ، ص ص 37- 50؛ المقري، روضة الآس ، ص 285، 286؛ التنبكتي، كفاية المحتاج ،ج1 ، ص17؛ ابن القاضي، لقط الفرائد ، ص289؛ محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج2، ص360.

[2]- المنتقى المقصور ، ورقة 82.

[3]- المقري، روضة الآس ، ص57.

[4]- هذا المجموع مخطوط بالخزانة الملكية تحت رقم 4911.

[5]- المقري، روضة الآس، ص57؛ الفشتالي، مناهل الصفا ، ص217؛ ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص377 ؛نجاة المريني، شعر عبد العزيز الفشتالي ، ص50.

[6]- الفشتالي، المصدر السابق، ص217.

بتشجيعه و مشاركته الفعلية[1]، فهو كما شهد له أستاذه المنجور: "خليفة العلماء، و عالم الخلفاء، و حافظ المؤرخين، و فائق الأدباء"[2].

لذلك فليس غريبا أن ينعت العصر السعدي بعصر العلم و الأدب و عصر النبوغ والتفوق، وأن يكون هذا العصر امتدادا تاريخيا و حضاريا و علميا للعصرين الموحدي و المريني، فيوقد من جديد ما خمد من أنوار الحركة الفكرية أواخر عهد المرينيين و أيام الوطاسيين لتكون النهضة العلمية و الأدبية موازية للنهضة السياسية و الاقتصادية و العمرانية[3].

و لهذا الغرض فتح البلاط السعدي أبوابه لعدد من المثقفين الذي كان منهم أساتذة كراسي في المعاهد التقليدية، و قد كان العلماء ينالون حظوة لا مثيل لها، وكانت تقدم لهم الهبات و العطايا في مناسبات مختلفة، فقد أشار الشيخ أحمد المنجور الذي عاش أيام الوطاسيين والسعديين إلى أنه: "ما عهدنا بدل المتين في الصلات إلا في أيام الشرفاء، و لا عهدنا بذل الألوف إلا في أيام أمير المؤمنين المنصور أيده الله"[4]، ويذكر الدكتور محمد حجي أنه إذا أقبل شهر شهر رمضان هرع العلماء إلى البلاط يؤمّون بالسلطان أشفاع التراويح بالليل و يعقدون لحضرته المجالس الحديثية بالنهار، ويتلقون من عطاياه و إكرامه يوم عيد الفطر ما تقربه أعينهم، و تلاحقهم الهدايا خلال السنة أيام عيد الأضحى، و عاشوراء[5]، و لما آلت الخلافة إلى أحمد المنصور جعل من المولد النبوي أكبر احتفال رسمي للدولة والأمة، فكان بلاطه في مراكش وبلاط

---

[1]- ذكر ابن القاضي براعة المنصور في الحساب و الهندسة فقال: "و له قدم راسخ في كل فن من معرفة الشعر و الخبر والمنطق و المعاني و البيان، و الأصلين و الفقه و اللغة، و التفسير و الحديث و علومه، والحساب و الهيئة و الهندسة و النحو و غير ذلك"، درة الحجال، ج1، ص107، و ينقل المقري خبرا آخر عن أبي القاسم الوزير فيقول: "و أخبرني الشيخ العلامة الماهر سيدي أبو القاسم الوزير حفظه الله – و لهذا الشيخ أبقاه الله ملكة في علم الطب مع المشاركة في غيره، قال: رأيت من إدراك هذا الخليفة أيده الله في علم الطب ما لم أر لغيره قط"،روضة الآس ، ص 35، 36؛ الفشتالي، المناهل، ص187، 188.

[2]- المنجور، الفهرس ، ص9.

[3]- نجاة المريني، شعر عبد العزيز الفشتالي، ص 41، 42.

[4]- الفشتالي، مناهل الصفا ، ص155؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص123.

[5]- محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص123.

أبنائه في الأقاليم أسواق عكاظ معظم شهر ربيع الأول[1]، يتنافس فيها العلماء و الشعراء و الأدباء بتقديم ابداعاتهم من أشعار وموشحات كبار رجال الصوفية، و انشاء قصائد المولديات بين يدي السلطان، إما في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم أو الإشادة بمآثر الشرفاء السعديين، حتى إذا انتهت الاحتفاليات انهالت الصلات[2] على جميع المشاركين.

و من نماذج صلات أحمد المنصور للعلماء، أنه أعطى الفقيه أحمد الزموري[3] ذات سنة – وكان من يؤم به في تراويح رمضان– نحو خمسة آلاف أوقية ذهبية، وجناحا، و ارضا للحراثة بمراكش[4]، و أعطى الأديب محمد بن عمر الشاوي[5]، وكان قد صاحب أخاه عبد الملك في غربته غربته عند أتراك الجزائر خراج قبيلة مسفيوة[6] كله باستثناء أعشار الزيت، فلما حان وقت قطاف الزيتون، و قدرت أعشار زيته بخمسين قنطارا، فكتب الشاوي أبياتا يناشده أن يترك له زيت ذلك الموسم، فتنازل له المنصور عنه مدى الحياة[7].

---

[1]- الفشتالي، مناهل الصفا ، ص222؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص123.

[2]- حدد أحمد بن القاضي في المنتقى، ص33، قيمة صلات أحمد المنصور للحاضرين في حفلات عيد المولد النبوي بما يتراوح بين 300 و 5000 أوقية من الذهب، تقدم في ظروف مختومة عليها توقيع السلطان.

[3]- أحمد بن علي الزموري (ت1001هـ/ 1593م) أستاذ القراءات و التفسير بكراسي القرويين و جامع الأندلس، و كان يقضي شهر رمضان في مراكش يؤم بأحمد المنصور في صلاة التراويح لحس قراءته وتجويده، عنه ينظر: ابن القاضي، جذوة الاقتباس ، ص68 و درة الحجال ، ج1، ص154 و لقط الفرائد ، ص327 و المنتقى ، ص59؛ المقري، نفح الطيب ، ج4، ص229 و ج7، ص75؛ التمنراتي، الفوائد ، ص50؛ اليفرني، نزهة الحادي ، ص 52، 53 و صفوة من انتشر ، ص96؛ القادري، نثر المثاني ، ج1، ص19؛ مخلوف، شجرة النور الزكية ، ج1، ص294؛ المراكشي، الإعلام ، ج2، ص43 و ج4، ص175؛ محمد حجي، المرجع السابق، ص 361، 362.

[4]- ابن القاضي، المنتقى ، ص59.

[5]- عنه ينظر: محمد بن تاويت، الوافي بالأدب المغربي، ج3، ص679؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص 123،124.

[6]- مسفيوة: قبيلة كبرى بجنوب المغرب شرق مراكش تشتمل اليوم على أربعة عشر عشيرة و قرى عديدة أشهرها قرية آيت وزير التي هي مركز القيادة، عنها ينظر: عبد الرحمن بن زيدان، العز و الصولة في معالم نظم الدولة، ج1، المطبعة الملكية بالرباط، 1962، ص153، هامش 3.

[7]- اليفرني، نزهة الحادي ، ص113.

و لعل مبالغة السلاطين السعديين في تقدير العلماء و تقريبهم[1] جعل طائفة من العلماء يتذمرون بعد ما أصبحوا يظنون أنهم دون غيرهم من أهل المودة و الخصوصية في الدولة، خاصة وأنهم باتوا يغارون على علمهم و جاههم من أن يشاركهم غيرهم في الأعطيات السلطانية، و من بينهم قاضي الجماعة بفاس عبد الواحد الحميدي السالف الذكر الذي تذمر من تفضيل المنصور لبعض الموسيقيين و العلماء عنه في العطايا، فغضب و قال: "إن بلغت فاسا لأردّن أولادي لصنعة الموسيقى لأن صنعة العلم كاسدة"[2].

و على العموم فإن السعديين قد فتحوا أبواب الرزق أمام العلماء مما جعلهم يقبلون على الدرس و الإفادة مما ساهم في تفعيل الحركة الفكرية بالمغرب.

ب–تأسيس الخزانات:

لم يقل اهتمام السعديين بالمكتبات عن أسلافهم المرينيين، حيث اتسمت فترة الاستقرار التي عاشها المغرب في العصر السعدي بتنافس الأسر و الخواص في اقتناء الكتب و تأسيس الخزائن، و شمل هذا التنافس وسط الأمراء و العائلات التي لها عناية بالعلم، و حتى بعض الخواص الذين لم يكن لهم حظ وافر من الثقافة، لكنهم شغفوا باقتناء الكتب رغبة منهم في افادة الدارسين و الباحثين، مثلما كان يفعل بعض الأساتذة و العلماء ممن كانوا يفتحون خزائنهم لطلبتهم أو زملائهم[3]، فيذكر ابن عسكر في دوحته: "أنه دعي مرة إلى بيت الفقيه أبي عمران موسى الوزاني فقرأ في خزانته كتبا في الفقه"[4].

---

[1]– بلغ تقدير العلماء إلى درجة أنهم كانوا يجالسونهم و يواكلونهم دونما كلفة، و يسامرونهم في مجالسهم الخاصة، لا بل يحضرون جنائزهم، فمحمد المتوكل حضر جنازة أبي القاسم الدكالي ،و محمد المأمون بن المنصور حضر جنازة عبد الواحد الحميدي قاضي الجماعة بفاس، ينظر: اليفرني، نزهة الحادي ، ص212؛ السلاوي، الاستقصاء ، ج6، ص82 ؛الكتاني محمد بن جعفر، سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء و الصلحاء بفاس، ج2، طبعة حجرية، فاس 1916، ص ص 60- 129؛ ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ص452.

[2]– اليفرني، نزهة الحادي ، ص143؛ محمد حجي، المرجع السابق، ص124.

[3]– ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص379.

[4]– ابن عسكر، دوحة الناشر، ص10.

و قد تنوعت الخزائن بين ملكية[1] و عامة و خاصة، لكنها اجتمعت اجمالا في بعض المميزات أهمها:

1- اتساع المساحة و انتشارها في المدن و البوادي على حد سواء، خاصة في جبال الأطلس و ما وراءها من بلاد تافيلالت و درعة و سوس[2].

2- دخول أعداد هائلة من الكتب الأندلسية و المشرقية و حتى السودانية، حيث تذكر المصادر التاريخية أن المنصور كان يرسل إلى كل الأقطار الاسلامية (القاهرة، مكة، استانبول) تجارا أمناء، يسلمهم مبالغ هائلة لشراء الكتب ثم يضمها إلى خزانته[3]، و قد ورد في إحدى الرسائل السعدية التي حققها الأستاذ عبد الله كنون أن موظفي القصر السعدي كانوا يجوبون الشرق الأوسط ثم يعودون بالمؤلفات الهامة بعدما كانوا يفرغون الأكياس المليئة بالذهب التي كانت تحملها قوافلهم[4].

3- وفرة المؤلفات المغربية و اقبال الطلبة عليها بالدراسة و البحث، فقد كان العلماء المغاربة يتنافسون على تأليف الكتب و إهدائها للخلفاء فيخبرنا المقري في روضة الآس: "أن المئات من المؤلفات في شتى المواضع المعرفية إنما كتبت برسم خزانة المنصور الذهبي[5].

---

[1]- تكونت الخزانة الملكية السعدية في الأصل من المخطوطات التي حصل عليها الأميران السعديان أحمد الأعرج و محمد أمغار لحظة اقامتهما في فاس أيام الوطاسيين، باعتبار أن الخليفة أحمد الوطاسي، لما التمس ثقافة و ذكاء هذين الأميرين عينهما معلمين لأبنائه، ففتح بذلك أبواب خزانته لهما، فلم يتردد الأميران في أخذ الكتب و الأبحاث التي انتهى بها المطاف إلى الخزانة السعدية فيما بعد، ينظر: المختار السوسي، المعسول، ج3، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1963، ص332 ؛أحمد شوقي بنين، اللمرجع السابق، ص90.

[2]- محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص182؛ أحمد شوقي بنين ،المرجع السابق، ص91.

[3]- عبد الله كنون، رسائل سعدية، دار الطباعة المغربية، تطوان، 1954، ص80، 81؛ السلاوي، الاستقصاء،ج5، ص79.

[4]- عبد الله كنون، رسائل سعدية، ص 80، 81.

[5]- من العلماء الذين برزوا في تأليف الكتب برسم المكتبة الملكية، العالم عبد الواحد الرجراجي صاحب كتاب "ترتيب ديوان المتنبي"، و العالم البحاثة سعيد الماغوسي صاحب "شرح لامية المعجم" و "شرح على درء السمط في أخبار ابن الأبار"، والرحالة التمكروتي الذي طلب منه المنصور تدوين رحلته إلى استنبول في كتاب أسماه "النفحة المسكية في السفارة التركية"،=

4- توفر وسائل الكتابة خاصة الورق المصنوع داخل المغرب أو المجلوب من أوروبا، و العناية بالخطاطين البارعين و النساخ الأكفاء حيث كان المنصور مثلا يولي عناية خاصة بالمختصين بفن الخط و فن التجليد، و قد بدأ الخطاطون والكتاب يكتبون بماء الذهب عوض المداد أو بالعنبر المرشوش بماء الورد، ثم ينشفون بواسطة البتر عوض التراب[1].

5- بقاء معظم كتب العصر السعدي إلى يومنا هذا باستثناء ما ضاع من المكتبة الملكية و نقل إلى الأسكوريال[2] و ذلك بنفس الشمول في الحواضر و البوادي، و في مدن عديدة كفاس و تطوان و مراكش و غيرها.

و لعل المغرب السعدي يزخر بعشرات المكتبات العامة و مئات المكتبات الخاصة، لن نتعرض لها كلها و إنما نكتفي بذكر نماذج منها فقط:

***المكتبات العامة:** لا يكاد يخلو مسجد أو جامع في أية مدينة مغربية من مكتبة عامة تشتمل على كتب متنوعة إضافة المصاحف كانت قليلة أم كثيرة، و هي مكتبات مفتوحة عموما لكل المستفيدين من العلماء و الطلبة في أوقات معينة[3]، ومن أشهرها:

=مخطوط بالخزانة العامة، الرباط، تحت رقم د795، ينظر: المقري، روضة الآس ، ص 69، 70 ؛اليفرني، نزهة الحادي ، ص119.

[1]- عن معامل الورق بالمغرب و عناية السلاطين بالوراقة ينظر: ابن أبي زرع، القرطاس ، ص49؛ القلقشندي، صبح الأعشى ، ج2، ص477؛ الجزنائي، زهرة الآس ، ص33؛ عبد الله كنون، رسائل سعدية ، ص 80، 81؛ محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1991.

[2]- حدث و أن تغلب الثائر أحمد بن أبي محلى علي زيدان ابن المنصور عام 1612، فحمل زيدان آلاف الكتب في جملة ما استطاع حمله من الذخائر إلى مرسى آسفي لينقلها في سفينة إلى أكادير، غير أن ربّان السفينة كاسطيلان الفرنسي فر في ليلة 22 جوان 1612 بالحمولة الثمينة باتجاه مرسيليا فاعترضته سفن قرصانية اسبانية، استولت على السفينة بما فيها من كتب ثمينة أرسلتها إلى الأسيكوريال حيث ما يزال بعضها إلى اليوم، بعدما ضاع جزء منها في حريق 1671، ينظر: محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص183، هامش 2.

[3]- غالبا ما كانت تفتح المكتبات بين صلاتي الظهر و العصر، عنها ينظر: ابن ميمون علي الغماري، الرسالة المجازة في معرفة الإجازة، ميكروفيلم بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم 1343، ص279.

- **مكتبة القرويين بفاس:** تضم مكتبتين أولاهما مرينية من تأسيس أبي عنان سنة 750هـ/ 1348م، و تقع في الركن الشرقي من الجامع و من محتوياتها "تاريخ العبر" الذي أوقفه ابن خلدون نفسه على طلبة القرويين و الثانية سعدية من انشاء أحمد المنصور في قبلة الجامع، و هي تحوي نفائس الكتب القديمة و الحديثة و في جميع الفنون، و التي لا تزال خزانة القرويين تحتفظ ببعض منها إلى يومنا هذا، وحفاظا على هذه الكتب، فقد كان القيم هو الذي يقدم الكتب مقابل شهادة استلام للأساتذة و الباحثين[1] بينما الطلبة فكان بامكانهم مطالعة الكتب في عين المكان من غير استشعارها[2].

- **مكتبة جامع الأندلس بفاس[3]:** معظم كتبها قديمة من مؤلفات عصر الموحدين والمرينيين في التفسير و الحديث بصفة خاصة.

- **مكتبة ابن يوسف بمراكش[4]:** أسسها عبد الله الغالب حوالي عام 965هـ/ 1558م، عندما جدد المدرسة الكبرى المتصلة بجامع علي بن يوسف المرابطي، وقد تنافس العلماء و المؤلفون على وقف الكتب عليها إضافة إلى الكتب التي أوقفها الغالب عليها، و هي إلى يومنا هذا تضم مخطوطات ثمينة، و بها قرأ الصوفي أبو عمرو القسطلي (ت992هـ/ 1584م) كتاب الأحياء للغزالي.

- **مكتبة جامع الشرفا بمراكش[5]:** هي أخت المكتبة السابقة، أسسها عبد الله الغالب في نفس التاريخ تقريبا و أوقف عليها من نفائس الكتب، كما ظل الأمراء السعديون و المحسنون من العلماء و الأثرياء يوقفون عليها من أمهات الكتب، مما جعلها تضاهي مكتبة القرويين في الشمال، و قد استفاد من هذه المكتبة أحمد بابا التنبكتي لتأليف كتبه الشهيرة في التراجم.

---

[1]- الجزنائي، زهرة الآس ، ص 68، 69؛ ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص379.

[2]- المقري، روضة الآس ، ص22.

[3]- ابن ميمون، الرسالة المجازة، ص279.

[4]- المراكشي، الإعلام، ج4، ص194؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص185؛ ابراهيم حركات، السياسة والمجتمع، ص380.

[5]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 53، 197، 265؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص185.

- **مكتبة الحرم العباسي بمراكش:** أسس هذه المكتبة الأمير أبو فارس عبد الله الواثق بن أحمد المنصور في قبلة الجامع الكبير الذي شيده بجوار ضريح أبي العباس السبتي، و قد عبر المقري في روضته عن كثرة الكتب التي أوقفها الأمير أبو فارس على هذه المكتبة بقوله: "و حبس عليها خزائن من الكتب العتيقة"[1]، فكأنه جمع فيها ما يملأ مكتبات عديدة.

- **مكتبة جامع الحرة بمراكش**[2]: أسستها الحرة مسعودة الوزكيتية أم أحمد المنصور حوالي عام 995هـ/ 1587م، بنتها في قبلة الجامع الذي شيدته بباب الدكالة، وأوقفت عليها كتبا كثيرة، وقد تنافس كل من أحمد المنصور و أبنائه و أحفاده والعديد من العلماء و المهتمين في اهداء الكتب العلمية إلى هذه المكتبة.

- **مكتبة الجامع الكبير بالمحمدية**[3]: أسسها محمد المهدي الشيخ حوالي عام 935هـ/ 1528م، عندما جدد بناء مدينة تارودانت، و قد اعتنى بهذه المكتبة الملوك السعديون و العلماء السوسيون و كذا التلمسانيون و الأندلسيون الذين استقروا بهذه المدينة.

- **مكتبة المسجد الأعظم بمكناس**[4]: هي مكتبة قديمة أحياها السعديون و أوقفوا عليها العديد من الكتب، و مع تعيين الأمير زيدان بن أحمد المنصور واليا على مكناس ازدادت العناية بها.

- **مكتبة جامع قصبة الرباط**[5]: معروفة بمكتبة الأوداية، عمّرها المهاجرون الأندلسيون الذين استوطنوا الرباط و القصبة أواخر القرن العاشر أوائل القرن الحادي عشر الهجري (16- 17م)،

---

[1]- المقري، روضة الآس ، ص59؛ المراكشي، الإعلام ، ج4، ص194؛ اليفرني، نزهة الحادي ، ص171؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص185؛ ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص380.

[2]- ابن القاضي، المنتقى ، ص ص 13- 17؛المقري، روضة الآس ، ص63؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص185.

[3]- محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص186.

[4]- نفسه، الصفحة نفسها.

[5]- من المخطوطات الهامة التي أوقفت على المكتبة و التي لا تزال جاثية إلى يومنا هذا بمكناس، عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني و التي اشتراها بالأسكندرية المجاهد عبد الله الأندلسي الشهير بالقصري عام 1039هـ/ 1629م، و حبسها على مسجد القصبة (الأوداية)، عنها ينظر: محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص186، هامش 17.

وهي مليئة بالكتب التي استقر هؤلاء الأندلسيون من بلادهم و تلك التي جلبوها من المشرق أثناء رحلاتهم الحجازية.

- **مكتبة دار العدة في فجيج**[1]: أسس هذه المكتبة الشيخ عبد الجبار ابن أحمد البرزوزي الفجيجي مطلع القرن 16م، و أوقف عليها هو و أولاده العلماء كتبا عديدة من ضمنها تآليفهم في التفسير و الفقه و الأدب، و قد ظلت هذه المكتبة مقصد العلماء في الصحراء المشرقية للمغرب طوال العصر السعدي بل والى ما بعده.

- **مكتبة الجامع الكبير بالدلاء**[2]: هي مكتبة تابعة للجامع الكبير الذي أسسه الشيخ أبو بكر بن محمد الدلائي أواخر القرن 16م، بزاوية الدلاء القديمة، و قد أوقف عليها الشيخ و أحفاده الأمراء و العلماء كتبا قدرت بالآلاف، و قد شبهها بعض المؤرخين بمكتبة الخليفة الأموي الحكم المستنصر في قرطبة.

***المكتبات الخاصة:** لم يكن منزل من منازل العلماء في العصر السعدي ليخلو من مكتبة صغيرة كانت أم كبيرة، في المدينة أو في البادية، و قد كان الملوك و الأمراء و ذووا المناصب السياسية يتنافسون معهم في اقتناء الكتب و استنساخها و قد كتبها تعاد من منزل إلى آخر و من بلد إلى آخر بعكس المكتبات العامة، لذلك لم تعمر المكتبات الخاصة طويلا كالمكتبات العامة بحيث تبدد معظمها على إثر موت أصحابها أو بعده بجيل أو أجيال معدودة، باستثناء بعض الأسر العلمية الثرية التي ظلت تحافظ على مكتباتها مئات السنين[3].

و من أشهر المكتبات الخاصة في العصر السعدي نذكر:

---

[1]- بدأت كتب هذه المكتبة تقل حين أخذ بعض أحفاد الشيخ عبد الجبار يبيعون هذه الكتب خارج فجيج، ولما زارها الرحالة محمد بن عبد السلام الناصري عام 1197هـ/ 1783م و جدها تفرقت لم يبق منها إلا الأثر، عنها ينظر: ابن عبد السلام الناصري، الرحلة الحجازية، مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط، تحت رقم 5658.

[2]- عبد السلام ابن الخياط القادري، تقاييد تاريخية، مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 248؛ محمد حجي، الزاوية الدلائية و دورها الديني و العلمي و السياسي، المطبعة الوطنية بالرباط، 1384هـ/ 1964م، ص71، الهامش4.

[3]- عنها ينظر: ابن عسكر، دوحة الناشر ، ص12؛المقري، روضة الآس ، ص ص 83- 200؛ اليفرني، صفوة من انتشر، ص103؛ محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج1، ص188.

– **مكتبة آل الفرديس بفاس:** هي أقدم مكتبة خاصة عرفت بالمغرب، حيث عرف آل الفرديس التغلبيين بفاس بالعلم و الرياسة و الثروة عمل علماؤهم الأوائل مع أمراء مغراوة أواخر دولة الأدارسة، و عمل آخرون مع المرابطين و الموحدين و المرينيين، و قد آلت مكتبتهم في القرنين (10- 11هـ/ 16- 17م) إلى الفقيه الصوفي محمد ابن القاضي محمد الفرديس، ثم إلى ابنه الأديب الشاعر أحمد الفرديس، و من هذه المكتبة استفاد الونشريسي في جمع مادته العلمية في مؤلفه الشهير "المعيار"، و كذا الشيخ أحمد المنجور حيث قال عن صاحبها: "...فكان لا يضن بكتاب علم عن طالب، فلكم أعانني رحمة الله عليه بكتبه العلمية"[1].

– **مكتبة بني ملجوم بفاس:** بنو الملجوم أحفاد القائد العربي الشهير الملهب ابن أبي صفرة الأزدي، عرفوا كذلك بالعلم و الرياسة و الثروة منذ أواخر القرن الثاني الهجري 8م، بل أن جدهم الوزير عمير بن مصعب هو الذي أشار على ادريس الثاني ببناء مدينة فاس في ذلك الموقع، وتذكر المصادر التاريخية أن أحد بني الملجوم قاضي فاس، بيعت أوراق كتبه و هي غير مجلدة بل متفرقة بستة آلاف دينار[2]، و قد عرف من أصحاب هذه المكتبة في القرن 10هـ/ 16م، عبد الرحمن ابن الملجوم من الشيوخ المدرسين بالقرويين[3].

– **مكتبة آل ابن القاضي بفاس:** تعود في الأصل إلى آل ابن القاضي الذين ينتسبون إلى الأمير موسى بن أبي العافية المكناسي المتغلب على المغرب أواخر عصر الأدارسة، و قد اشتهروا بالعلم والرياسة بفاس، فكانت مكتبتهم على عهد السعديين تزخر بكتب الرياضيات و الهندسة والفلك،

---

[1]– المقري، روضة الآس ، ص187؛ ابن القاضي، جدوة الاقتباس ، ص ص 151- 154؛ فهرس المنجور ، ص 14، 15 و ص 27، 28؛ عباس بن ابراهيم المراكشي، الأعلام، ج2، ص79؛ محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج1، ص188؛ ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص381.

[2]– المقري، نفح الطيب ، ج2، ص502.

[3]– فهرس المنجور ، ص15؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس ، ص 260، 261.

و التوقيت فضلا عن كتب الفقه و اللغة و الأدب[1]، و قد تملك هذه المكتبة على عهد السعديين محمد بن أبي القاسم ابن القاضي فولده القاسم فحفيده محمد.

– **مكتبة الهبطين بالريف**: جمع عبد الله الهبطي في منزله بالجبل الأشهب من ضاحية شفشاون أمهات المصادر في التفسير و الحديث و الكلام و الفقه والتصوف، اقتناها خلال رحلته العلمية إلى فاس و تازا، أو انتسخها له المريدون والطلبة الوافدون على زاويته، و نماها من بعده أبناؤه العلماء[2].

و قد كان الشيخ الهبطي و زوجته العالمة يفتحان باب مكتبتها أمام النساء و الرجال للإمارة والقراءة[3].

– **مكتبة الصومعيين بتادلا**: تقع في الصومعة (داي القديمة) بضاحية بني ملال، حيث عرف عن أحمد بن قاسم الصومعي شغفه باقتناء الكتب و استنساخها، وبالتدريس و التأليف، تضم مكتبة أكثر من ألف مصنف في مختلف العلوم اللغوية والشرعية خاصة في التصوف[4].

– **المكتبة الملكية بمراكش**[5]: هي أم المكتبات الخاصة في هذا العصر و أهمها على الاطلاق، ضمت نفائس المصنفات، أهدى إليها مئات المؤلفين كتبهم في المغرب والمشرق، و قد بلغت المكتبة السعدية ذروة مجدها مع أحمد المنصور الذي رتب لها في قصره خطاطين ماهرين للنساخة

---

[1]– بقي من هذه المكتبة العديد من المخطوطات محفوظة بالمكتبة الملكية بالرباط، منها ما هو بخط محمد بن القاسم ابن القاضي الحفيد، و يشتمل على بعض مؤلفات والده في الرياضيات و الهندسة، و أخرى في الأدب و الشعر سماها "أدبيات ابن القاضي".

[2]– ابن القاضي، جذوة الاقتباس ، ص153؛ القادري، نشر المثاني ، ج1، ص 117، 120، 156، 157؛ مجد العربي الفاسي، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، طبعة حجرية بفاس، 1324، 1906.

[3]– ابن عسكر، دوحة الناشر، ص12؛ المهدي الفاسي، ممتع الأسماع في ذكر الجزولي و التباع و مالهما من الأتباع، طبعة حجرية بفاس 1313هـ/ 1896، ص76.

[4]– المقري، روضة الآس ، ص300؛ عباس ابراهيم المراكشي، الأعلام ، ج2، ص74.

[5]– عنها ينظر: المقري، روضة الآس، ص 69، 70؛ اليفرني، نزهة الحادي، ص122، 123؛ محمد المنوني، دور الكتب في ماضي المغرب، مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط، تحت رقم 258.

وفنانين للتجليد و التسويق، فقد كانوا يكتبون بمحلول الذهب و العنبر المسقى بماء الورد بدلا من المداد، و ينشفون بمسحوق التبريد بدلا من التراب، فضلا عن الوراقين المشارقة الذين لم يبخلوا عليه بإمداده بما ينتجون في القاهرة و استنبول و الحرمين الشريفين.

ويضاف إلى هذه المكتبات الخاصة العديد من المكتبات الأخرى كمكتبة المزوار بالأطلس الكبير[1]، و مكتبة العياشين بوسط الأطلس[2]، و مكتبة آل طاهر بتفيلالت[3]، ومكتبة الناصريين

[1]- صاحبها عبد العزيز بن سعيد الوزكيتي من أخوال أحمد المنصور، و كبار رجال دولته، ولاه المنصور على الأطلس الكبير، فلقب بالمزوار كما لقب بصاحب جبل درن، فتح أبواب مكتبته لكل الطلبة و العلماء .عنها ينظر: ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص129؛ اليفرني، نزهة الحادي، ص152.

[2]- بدأت هذه المكتبة مع الشيخ محمد بن أبي بكر العياشي مؤسس الزاوية العياشية، و اتسعت بعد ذلك مع ابنه الرحالة أبي سالم العياشي فأحفاده، و تعرف هذه المكتبة اليوم بمكتبة الزاوية الحمزاوية، نسبة إلى حمزة حفيد الشيخ محمد بن أبي بكر العياشي، عنها ينظر: محمد حجي، الزاوية الدلائية، ص 64، 65.

[3]- هم من الشرفاء الحسنيين الذين شغفوا بالعلم، أسسوا مكتبة اشتملت على أمهات الكتب في التفسير والحديث، إذ كان عبد الله بن علي ابن طاهر من كبار المفسرين و المحدثين، عنها ينظر:المنوني، دور الكتب، ص102؛ محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج1، ص191.

بدرعة[1]، و مكتبة الحاحيين بزداغة[2].و مكتبة الأمراء السملاليين بإيليغ[3]، ومكتبة اليعقوبيين بالأطلس الصغير[4]، و المكتبة المسناوية بتيكورارين[5]، ومكتبات آقيمت و بغيغ بتمبكتو[6].

[1]- تأسست هذه المكتبة عام 1630م، حين انتقل الشيخ محمد ابن ناصر الدرعي إلى زاوية تمكروت لنشر العلم و تربية المريدين، وعندما ذاع صيت هذا الشيخ تكاثر عدد الوافدين عليه، و ازداد عدد الكتب، بما نسخه الشيخ و أهله و طليته وبما أهدي إليه، ثم خصص بيتا للكتب حين جدد بناء الزاوية و مرافقها، عنها ينظر، محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج1، ص192.

[2]- أصل هذه المكتبة من بلاد حاحا في قرية تفوغالت بين مراكش و الصويرة، نقلها آل سعيد الحاحيون إلى تافيلالت زداغة في الأطلس الكبير أواسط القرن 10هـ، و كانت تضم كتبا هامة في التوحيد و الفقه والتصوف خاصة في أيام عبد الله ابن سعيد الحاحي، و لما تولى ابنه الأمير يحيى أمر الزاوية تضخم حجم المكتبة بما انتسخه أو أهداه إليه العلماء و الطلبة المتوافدون عليه، ينظر: محمد المختار السوسي، خلال جزولة، المطبعة المهدية بتطوان، د.ت، ج2 و ج4، في مواقع متفرقة، ؛محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، ص192.

[3]- هي مكتبة أميرية أسسها الأمير أبو حسون السملالي عندما استبد بجنوب سوس عام 1612، واتخذ من إيليغ عاصمة له، عنها ينظر: المختار السوسي، إيليغ قديما و حديثا، المطبعة الملكية بالرباط، 1966، ص 142، 143 و خلال جزولة ، في مواضع مختلفة؛ محمد حجي، الزاوية الدلائية، ص142، هامش 25 و الحركة الفكرية ، ج1، ص193.

[4]- ظهرت هذه المكتبة في قرية تزموت شرق إيليغ على يد علمائها الكراميين المعروفين بنشاطهم في التعليم و التأليف منذ القرن9هـ/ 15م، و اتسعت مع اليعقوبيين النازحين إلى هناك أوائل القرن 11هـ/ 17م، الذين زودوها بعشرات مؤلفاتهم و مئات مستنسخاتهم ومستنسخات تلامذتهم، و قد تفرع منها ثلاث مكتبات في بعقيلة من الأطلس الصغير، عنها ينظر: المختار السوسي، خلال جزولة، ج2، ج4، في مواضع متفرقة، و سوس العالمة، مطبعة فضالة ،المحمدية، المغرب، 1960، ص 168، 169.

[5]- تأسست على يد محمد بن اسماعيل المسناوي الذي كون رفقة علماء تيكورارين بالصحراء أوائل القرن 11هـ مكتبة عظيمة اقتنى معظم كتبها من استنبول بواسطة الوزير الأعظم هناك، و استجلبت أخرى من المناطق التي زارها في شمال افريقية و السودان و مصر والحجاز و اليمن و العراق و غيرها، و قد أوصى عند موته أن تحمل كتبه إلى الحرم النبوي فلم يحمل منها إلا القليل و تبددت في الصحراء، عنها ينظر: القادري، نثر المثاني ، ج1، ص ص 207- 209؛ أبو سالم عبد الله العياشي، ماء الموائر المعروف بالرحلة، طبعة الحجرية بفاس، ج1، 1898، ص ص 40- 43؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، ص193.

[6]- توارث آل آقيت الصنهاجيون العلم فبقي تمبوكتو أجيالا عديدة، و كانت لهم مكتبات غنية بالمؤلفات القديمة في الفقه و الحديث، اقتنوا معظمها أثناء رحلاتهم الدراسية بالمغرب و المشرق، يضاف إليها ما استنسخوه محليا، و من أعظمها مكتبة أحمد بن أحمد آقيت والد المؤرخ الشهير أحمد بابا التنيكتي صاحب نيل الابتهاج، و اشتهرت أسرة بغيغ الونكرية التنبكتية بالعلم و الكتب على عهد السعديين، و أعظم مكتباتهم مكتبة محمد بن محمود شيخ أحمد بابا، عنها ينظر: أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج ، ص157؛ القادري، نثر المثاني ، ج1، ص152؛ عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، المطبعة الأمريكية و الشرقية بباريس، 1964، ص 42، 43.

ج-تأليف الكتب:

رغم التراجع الذي عرفته حركة التأليف على عهد الوطاسيين إلا أنها عرفت انتعاشا ونشاطا لا مثيلا له على عهد الأشراف السعديين الذين أولوا العلم و التعليم عناية خاصة، حيث بلغ فيه النشاط التعليمي تطورا ملحوظا، خاصة و أن السلاطين السعديين عرفوا بشغفهم للعلم، و تقربهم من العلماء، و حبهم للكتب، و التشجيع على تأليفها[1] و استنساخها و تأسيس الخزائن، فازدهر التأليف على عهدهم و أصبح يمثل مختلف ألوان الفنون و العلوم النقلية و العقلية، و لعل ما يسر ظاهرة التأليف على عهد السعديين، هو استنادها إلى أعراض و أهداف معينة وهي سبعة: "شيء لم يسبق إليه فيؤلف، أو شيء ألف ناقصا فيكمل، أو خطأ فيصحح، أو مشكل فيشرح، أو مطول فيختصر، أو متفرق فيجمع، أو منشور فيرتب"[2].

و على العموم إذا استعرضنا مؤلفات العصر السعدي من حيث الشكل وجدناها استوفت تلك الأغراض، لكن بشكل متفاوت، أقلها الأول الذي لم يسبق إليه، و أكثرها الرابع و الخامس المتعلقان بالشرح و الاختصار، مع إضافة ميزة جديدة هي "نظم المنثور" و الذي أكثروا منه خاصة نظم القصائد التعليمية التي فاقت آلاف الأبيات بدلا من الألفية المفردة التقليدية التي كانت سائدة[3]، أما إذا نظرنا إلى مضمون هذه المؤلفات على اختلاف مواضيعها وجدناها تحوي ظاهرتين هامتين، الدينية و الأدبية، فحتى و إن فتحنا كتابا علميا في الرياضيات أو الفلك أو الطب، وجدناه يستهل بمقدمة أو خطبة سيقت بأسلوب أدبي رصين تتخلله آيات و أحاديث أو ما أثر عن السلف الصالح، و الأمر نفسه بالنسبة لكتب النحو و الصرف والبلاغة فهي الأخرى تضم آيات قرآنية كثيرة إلى جانب الشواهد المستنبطة من كلام العرب و أشعارهم، إضافة إل أخبار الصوفية و أشعارهم و مصطلحاتهم و سلوكاتهم و غيرها[4].

---

[1]- يقول الفشتالي في المناهل : "و شحد أمير المؤمنين أيده الله – يقصد المنصور- الهمم و أغرى بكل فن أهله، و جذب بنسخ كل فهامة فتنافس الناس و نبغ التأليف في أيامه السعيدة"، المناهل، ص216، و يقول أيضا في ص 238: "تسامت همته الشريفة أيده الله إلى تدوين كتاب في علم السياسة...و سمى أيده الله هذا التأليف الشريف بكتاب المعارف في كل ما تحتاج إليه الخلائف"

[2]- المقري، أزهار الرياض ، ج3، ص 34، 35؛ ابن خلدون، المقدمة، ص ص 615- 617؛ محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج1، ص133.

[3]- محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج1، ص134.

[4]- محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج1، ص134.

و مع ازدهار حركة التأليف في العهد السعدي تقدم فن النساخة أو الوراقة، فأصبحت له مشيخة خاصة و أساتذة يلقون قواعد الخط في مجالس التعليم بالمساجد، و غدت دكاكين النساخين تنتشر في الأسواق العامة بالمدن و القرى[1]. وتعددت الخطوط بتعدد العناصر العاملة فيه من مغاربة و مشارقة و أندلسيين، واتجه الأثرياء المغاربة نحو أسواق المشرق لاقتناء الكتب والمصنفات و لو بأثمان باهضة.

و مع الجو العلمي المميز الذي عاصر الدولة السعدية، أقبل العلماء على التأليف و نشر الكتب في مختلف العلوم، و قد كان لتشجيع الملوك الشرفاء أثره الفعال في هذا المجال، حيث استمر التشجيع كما ذكرنا سالفا من عهد نشأة الدولة مع محمد المهدي الشيخ (الأكبر)، إلى عهد الإضمحلال مع محمد الشيخ (الأصغر)[2]، و برز و ازدهر أكثر على عهد أحمد المنصور الذهبي، هذا ما تؤكده مقدمات و خاتمات عشرات المؤلفات التي أهداها أصحابها لمكتبات الملوك، أو ألفت بإيعاز منهم[3].

و من الكتب التي ألفت في هذا العصر نذكر:

***كتب علوم القرآن و الحديث:** ألف علماء العصر السعدي عشرات الكتب في القراءات ورسم القرآن و ضبطه ما بين منشور و منظوم، و شروح و ذيول، و قد كانت هذه المصنفات تقرأ بين يدي مؤلفيها و تروى عنهم ثم تعرض على تلاميذهم للاستفادة منها و قد اشتهر منها:

– تقييد وقف القرآن[4]: لمحمد الهبطي السمائي الذي أثار ضجة كبيرة أثناء حياة مؤلفه، و لمكانته العلمية فقد كان و ما زال إلى يومنا هذا سندا قويا في تلاوة القرآن الجماعية بالمساجد أو في كتابة المصاحف المخطوطة و المطبوعة[5].

---

[1]– التمنراتي، الفوائد، ، ص 216، 217؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، ص134.

[2]– هناك ثلاث من الملوك السعديين يدعون بمحمد الشيخ: أولهم الأكبر (ت964هـ/ 1557م)، و الثاني الأوسط (ت1022هـ/ 1316م)، و الثالث الأصغر (ت1064هـ/ 1654م).

[3]– ابن القاضي، المنتقى، ص81؛ فهرس المنجور، ص9.

[4]– توجد منه نسخ مخطوطة عديدة بمكتبات المغرب و المشرق و أوروبا، منها بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم 4138 و7708، و أخرى بباريس تحت رقم 672.

[5]– آخر ما طبع من مصاحف بوقف الهبطي: المصحف الحسني بالمطبعة الملكية بالرباط عام 1971، والمصحف التونسي بمطبعة الدار التونسية للنشر عام 1969، عنها ينظر: محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، ص141، هامش 18.

- كتاب تفسير القرآن الكريم لعبد الجبار الفيجيجي[1]: في اثني عشر جزءا.
- كتاب اللباب في مشكلات الكتاب[2]: لمحمد بن علي الشطيبي.
- كتاب الدر الأزهر في مناسبات الآيات و السور[3]: لعبد الله بن علي ابن طاهر السجلماسي.
- كتاب مراقي المجد لآيات السعد[4]: لأحمد المنجور السالف الذكر.
- كتاب الفتح النبيل لما تضمنه من العدد و معنى الحساب و التنزيل: لأحمد بن القاضي[5].
- كتاب تفسير الفاتحة على طريق الإشارة: لعبد الرحمن الفاسي العارف[6].

كما قام علماء هذا العصر بتفسير "الكشاف" للزمخشري اعجابا بمباحثه البلاغية، وردا على شبهاته الاعتزالية فكتبوا عليه حاشيتين احداهما للملك أحمد المنصور و الثانية للقاضي محمد بن عبد الله الرقراقي، كما أمر أحمد المنصور بجمع تفسير الإمام ابن عرفة التونسي (ت803هـ/ 1400م) من تقاييد تلميذيه البسيلي و السلوي[7].

أما في علوم الحديث فقد ألف العلماء السعديون كتبا عديدة و متنوعة منها:

- ارشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبي: و هو شرح صحيح الإمام محمد بن غازي[8].
- شرح عمدة الأحكام من كلام خير الأنام[9]: لأحمد الفاسي

---

[1]- عبد السلام الناصري، الرحلة الحجازية ، ورقة 36.

[2]- مخطوطة بالمكتبة الملكية بالرباط، تحت رقم 1779.

[3]- للسجلماسي كتابان آخران يسمى كل منها الدر الأزهر و هما: "الدر الأزهر المستخرج من بحر الإسم الأطهر"، و كتاب "الدر الأزهر في السيرة النبوية"، عنهما ينظر: اليفرني، صفوة من انتشر ، ص4.

[4]- مخطوطة بالمكتبة العامة بالرباط، تحت رقم 812، و مخطوطات بالمكتبة الملكية بالرباط، أرقام 176، 5038، 5302.

[5]- مخطوطة بالمكتبة العامة بمراكش، تحت رقم 472.

[6]- مخطوطة بالمكتبة العامة بالرباط، تحت رقم 2074د.

[7]- ابن القاضي، درة الحجال ، ج2، ص231؛ اليفرني، نزهة الحادي ، ص122؛ المراكشي، الإعلام، ج2، ص47.

[8]- مخطوطات بالمكتبة العامةبالرباط، أرقام 367، 892، و مخطوطة بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم 5344.

[9]- عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس و الأثبات و معجم المعجم و المشيخات و المسلسلات، ج2، المطبعة الجديدة، فاس، 1927، ص 37؛ ليفي بروفنسال، مؤرخو الشرفا، ص244، هامش 4؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، ص142، هامش 27، و "عمدة الأحكام" في الأصل لعبد الغني المقدسي (ت600هـ/ 1203م).

– تخريج أحاديث الشهاب في المواعظ و الآداب[1]: لرضوان الجنوي

كما اعتنوا كثيرا بكتب الأربعين[2]، فألفوا فيها نثرا و نظما، و من أشهرها في العصر السعدي:

– الأربعين و شرحها: لعلي بن ميمون الغماري على غرار أربعين النووي

– الأربعين: لمحمد بن أبي بكر الدلائي في الرحمة و الزهد و المحبة[3].

– منظومة الأربعين[4]: لمحمد بن يحبش التازي في الأخلاق.

كما نظموا في مصطلح الحديث قصائد كثيرة فاق عدد أبياتها الألف و منها: "نظم ألقاب الحديث"[5] لمحمد العربي الفاسي، و نظم آخر للعربي الفاسي "لنخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر"[6] للحافظ بن حجر العسقلاني، و "ألفية مصطلح الحديث" لعبد الهادي ابن طاهر السجلماسي.

كما اختصروا "مقدمة ابن حجر" على شرحه الكبير لصحيح البخاري و منها: "نظم اللآلي و الدرر في اختصار مقدمة ابن حجر"[7] في الحديث لمحمد ميارة، كما طبعت مقدمة ابن حجر في مجلد مستقل عن الأجزاء 13 لكتابه "فتح الباري لشرح صحيح البخاري"[8].

***كتب التوحيد و الفقه و التصوف:** تكاد تكون معظم مؤلفات العلماء السعديين تختص بهذه العلوم الثلاثة و ملحقاتها لانتشار التصوف و طغيان النزعة الدينية آنذاك، فقد عدت بالمآت،

---

[1]– عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص326.

[2]– هي كتب تحتوي على أربعين حديثا في موضوع معين أو بحسب نوع خاص من الأسانيد و أشهرها كتاب الأربعين لمحي الدين النووي (ت676هـ/ 1277م) عنها ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، مطبعة وكالة المعارف باستانبول 1941- 1943، ص ص 52- 61.

[3]– المخطوطتان خاصتان بالرباط.

[4]– مخطوطة بالمكتبة العامة بتطوان رقم 542.

[5]– طبعة حجرية بفاس ضمن مجموع المتون، عنها ينظر: محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، ص142، هامش 31.

[6]– مخطوطة بالمكتبة العامة بالرباط، رقم 2173د، و أخرى بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم 7586.

[7]– توجد منه نسخ مخطوطة كثيرة، أهمها تلك الموجودة بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم 3702ز.

[8]– ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المطبعة المنيرية، مصر 1928.

فالفقيه الصوفي أحمد الصومعي وحده أحضر ستين كتابا من مؤلفاته أجاز بها أحمد المقري[1] وبيورك السملالي فاقت مؤلفاته فيها العشرين[2]، بل بات لا يوجد عالم لم يؤلف كتابا أو كتبا في هذا النوع النوع من العلوم الشرعية.

فأما التوحيد فقد اعتمد أكثر مدرسيه في هذا العصر على عقائد السنوسي الأربع، فكتبوا عليها نحو عشرين شرحا و حاشية منها شرحا محمد المأمون الحفصي على العقيدتين الكبرى والصغرى[3]، و حاشيتا أحمد المنجور على الكبرى والصغرى[4] أيضا، و الحواشي الثلاث لعبد الرحمن الرحمن الفاسي على الصغرى.

و شرحوا أيضا عقائد المهدي ابن تومرت و سعيد الحاحي[5] و "كفاية المريد" لأحمد بن عبد الله الزواوي (ت884هـ/ 1479م)، و منها شرح عبد الرحمن التمنراتي لكفاية المريد[6]، ومحصل ومحصل المقاصد لأحمد بن زكري التلمساني (ت899هـ/ 1493م)ومنها شرحا أحمد المنجور على محصل المقاصد (مطول و مختصر)[7] وغيرها.

كما ألفوا عقائد مستقلة نثرا و نظما، كانت تدرس للطلبة و منها:

- أرجوزة إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة: لأحمد المقري
- عقيدتان، كبرى و صغرى: لعبد الله ابن طاهر السجلماسي
- أرجوزتا مراصد المعتمد في مقاصد المعتقد[8] و تلقيح الأذهان بتنقيح البرهان[9] لمحمد العربي الفاسي.

---

[1]- المقري، روضة الآس، ص302.

[2]- المختار السوسي، سوس العالمة، ص183، و كتاب المعسول ، ج5، ص ص 45- 48.

[3]- هناك طبعتان الأولى حجرية بفاس، و الأخرى على الحروف بتونس.

[4]- مخطوطة بمكتبة القرويين، أرقام 989ز، 1511، 8054.

[5]- مخطوطات بالمكتبة الملكية بالرباط، أرقام 768، 6324، 7699.

[6]- مخطوطة بالمكتبة العامة بالرباط، رقم 2079د، ص ص 01- 209.

[7]- مخطوطات بمكتبة القرويين، أرقام 717، 725، 1373، 1381.

[8]- مخطوطة بالمكتبة العامة بالرباط، رقم 925د.

[9]- مخطوطة بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 6057.

و في القفه تداولوا كثيرا "مختصر الخليل" و كتبوا عليه نحو ثلاثين شرحا وحاشية و تعليقا أشهرها:

– شرح الإمام ابن غازي المسمى :شفاء الغليل في حل مقفل خليل"[1] في جزءين.

– شرح أحمد بابا التنبكتي المسمى "منن الرب الجليل ببيان مبهمات خليل"[2] في جزءين، وللتنبكتي أيضا خمس رسائل في التعليق على مواضع صعبة من مختصر خليل[3].

و شرحوا أيضا و علقوا على رسالة ابن أبي زيد القيرواني و منها "الشرح المطول على الرسالة" لعبد الواحد الونشريسي.

و "تحرير المقالة في نظم نظائر الرسالة لابن غازي[4].

كما شرحوا مختصر ابن الحاجب و منه شرح عبد الواحد الونشريسي في أربعة أسفار[5]، وشرح علي بن عبد الواحد الأنصاري السلوي و محمد ميارة تحفة الحكام لابن عاصم الغرناطي (ت829هـ/ 1426م) في كتاب بعنوان "الاتقان و الإحكام في شرح تحفة الحكام"[6]، و شرح محمد ميارة كذلك "لامية القضاء" لعلي بن قاسم الزقاق (ت912هـ/ 1506م) و وضع عليها تذييلا نظما، و شرح التذييل بعنوان "تحفة الأصحاب و الرفقة ببعض مسائل بيع الصفقة"[7]، كما وضع أحمد المنجور شرحين (مطول و مختصر) على "المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب" للزقاق وسماه "المختصر المذهب من شرح المنهج المنتخب"[8].

---

[1]– مخطوطات بمكتبة القرويين، أرقام 432، 434، 535، و بالمكتبة العامة بالرباط رقم 834د.

[2]– مخطوطات بمكتبة القرويين، رقم428، و بالمكتبة العامة بالرباط، رقم 420د، و بالمكتبة العامة بمراكش رقم 80 و 473.

[3]– توجد في مجموعتين في المكتبة الملكية بالرباط رقم 4468، 4975.

[4]– مخطوطات بالمكتبة العامة بتطوان رقم 890.

[5]– محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، ص144، هامش 43.

[6]– طبع هذا الكتاب على الحجر بفاس، و على الحروف بمصر.

[7]– يوجد التذييل و شرحه بخط المؤلف في المكتبة الوطنية بتونس تحت رقم 681.

[8]– طبع على الحجر بفاس في جزءين، 495 صفحة.

و لعل أشهر المؤلفات الفقهية الأصلية في العهد السعدي كتابان للإمام ابن غازي هما: "الكليات"[1] في أسس المذهب المالكي، و "اتحاف ذوي الذكاء و المعرفة بتكميل تقييد أبي الحسن و تحليل تعقيد ابن عرفة"[2]، علق به على المدونة في ثلاثة أسفار متتبعا فيها سقطات و هفوات شارحيها الشهيرين أبي الحسن الصغير الزويلي (ت719هـ/ 1319م) و ابن عرفة التونسي (ت803هـ/ 1400م)[3]، و لعبد الواحد الونشريسي "شنا المقتبس لفهم قواعد الإمام مالك ابن أنس"[4] نظم فيها كتاب والده مؤلف المعيار، المسمى "إيضاح المسالك إلى قواعد مذهب مالك"[5]. مالك"[5].

و ألف عبد الواحد ابن عاشر أرجوزة "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين"[6]، وقد وقد شرح هذا الكتاب محمد ميارة بعد أن قرأ على ناظمه بشرحين كبير وصغير.

كما ألف المغاربة في ذلك العصر كتب عديدة في مواضع خاصة تتعلق بالفقه كالفرائض والنوازل و التوثيق و الأصول و الجهاد و الديانات المقارنة و غيرها منها "الجامع المستوفي لجداول الحوفي"[7] لابن غازي و الذي علق فيه على الفرائض الحوفية لقاضي اشبيلية أبي القاسم الحوفي (ت580هـ/ 1184م) و "الرائض لطالبي الناهض بأعباء علم الفرائض"[8] لأحمد بن القاضي، وفي

---

[1]- طبعت على الحجر بفاس.

[2]- مخطوطات بمكتبة القرويين رقم 340، 1426، و بالمكتبة العامة بمراكش، رقم 260، 625.

[3]- محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص144.

[4]- مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم 6155.

[5]- هي أرجوزة تنيف أبياتها عن 1500 بيت معلمة فقهية شرحها تلميذه أحمد المنجور شرحا صافيا، عنها ينظر: محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص145.

[6]- يسمى "الشرح الكبير و الدر الثمين و المورد المعين في شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين"، و يسمى الصغير "مختصر الدر الثمين"، عنها ينظر محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص145، هامش 52.

[7]- مخطوطة بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 10136.

[8]- مخطوطة بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم 8840.

وفي النوازل "الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة"[1] لعبد العزيز الزياني، وفي التوثيق "اللائق لعلم الوثائق"[2] لأحمد بن عرضون الزجلي.

و في الأصول نظم عبد الهادي ابن طاهر السجلماسي كتابه المسمى "جمع الجوامع"[3] لتاج الدين السفكي (ت771هـ/ 1369م) و شرحه شرحا موسعا.

أما في الجهاد فقد نظم السجلماسي كتاب "فلك السعادة الدائر في تفضل الجهاد والشهادة"[4]، و ألف يوسف بن عبد الله السلامي في الديانات المقارنة كتاب "النور الباهر في نصرة الدين الطاهر"[5]، بينما ألف أحمد بن قاسم الحجري كتاب "ناصر الدين على القوم الكافرين"[6]، أما في التصوف فقد درسوا وشرحوا صلاة الأنوار للعلامة ابن مشيش العلمي و منها شرح "الصلاة المشيشية"[7] للحسن الزياتي، كما شرحوا مؤلف "أحزاب" لتلميذه أبي الحسن الشاذلي الشاذلي و منها شرح الحزب الكبير والمعروف "بحزب البر"[8] لعبد الرحمن الفاسي، و شرح أحمد الصومعي كتاب "نور المصباح في فضائل حزب الفلاح"[9]، كما شرح "حزب الفجر"[10]، و شرح محمد العربي الفاسي كتاب "دلائل الخيرات"[11]، و تلاهما محمد بن سليمان الجزولي كما ألف خلال هذا العصر كتبا مستقلة في مواضيع متنوعة من التصوف "كمراتب الأولياء وحقيقة القطبانية"[12]، و "آداب المريد و أسرار العبادات"[1] و "حكم الجهر بالذكر"[2]، و"السماع و الرقص

---

[1]- مخطوطة بالمكتبة العامة بالرباط، رقم66ج.

[2]- طبع على الحجر بفاس و على الحروف بتطوان في جزءين.

[3]- مخطوط خاص بالرباط، عنه ينظر: محمد حجي، الحياة الفكرية ، ج1، ص146، هامش56.

[4]- مخطوطة بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم2992.

[5]- راجعه و هذبه القاضي عبد الرحمن التمنراتي، مخطوط خاص بسوس.

[6]- مخطوطة بدار الكتب المصرية، رقم 1634ت.

[7]- توجد مخطوطتان احداهما بالمكتبة العامة بالرباط، رقم798ج، و أخرى بتطوان رقم 852.

[8]- مخطوطة بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 885.

[9]- المقري، روضة الآس ، ص301.

[10]- المقري، روضة الآس ، ص301.

[11]- مخطوطة بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم3994.

[12]- "شمس المواسم في معرفة الولي و حقيقة الولاية و القطب و الغوث و الخاتم" لأحمد الصومعي، مخطوطة خاصة بتادلا.

الرقص عند التواجد"[3] و ما إلى ذلك من أدعية و أوراد[4]، على أن أهم كتاب برز في هذه المرحلة هو كتاب "العود أحمد"[5] السالف الذكر للسلطان أحمد المنصور، و هو مجموع ضخم يضم أورادا و أحزابا صوفية للشاذلي وابن وفا و السهوردي، و ابن جابر الغساني و غيرهم، باختيار وجمع أحمد المنصور نفسه.

***كتب اللغة و الأدب:** تميز علماء العصر السعدي بولعهم الشديد بعلوم اللغة والأدب، فشرحوها و علقوا عليها، كما ألفوا عشرات الشروح و الحواشي على كتب النحو و الصرف والبلاغة و العروض التي اعتمدوها في الدراسة، كما ألفوا كتبا أخرى مستقلة في هذه المواضع، وقاموا بتدريسها لطلبتهم، و كانت أغلب شروحاتهم و تعليقاتهم على صحاح الجوهري.[6]

ومثلث قرطب[7]و لامية العرب[8] للشنفري الجاهلي، و لامية العجم للعميد[9] الطغرائي (ت514هـ/ 1120م)، و ديوان المتنبي[10] والمقصورة[11] لعبد الرحمن المكودي (ت807هـ/

---

[1]- "آداب المريد و أسرار العبادات" لأحمد الصومعي، مخطوطة بمكتبة القرويين، رقم707.

[2]- "رسالة حول الجهر بالذكر"، لأحمد الفاسي، طبعت على الحجر بفاس.

[3]- "حكم السماع و الرقص" لأحمد الفاسي، طبع أيضا على الحجر بفاس.

[4]- تعددت هذه الكتب و منها: "مفتاح الجنة المتوقف على الكتاب و السنة" لمحمد الشطيبي، و "حدائق الأنوار في الصلاة على النبي و إله الأبرار" لأحمد ابن عرضون الزجلي، مخطوطة بالمكتبة العامة بتطوان، رقم 875.

[5]- مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم4911، و هو في نسخة ملكية مذهبة كتبت لأحمد المنصور في قصره البديع بمراكش عام 1009هـ/ 1601م، زخرفت أوراقه بالذهب و الألوان، عنه ينظر: محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص148، هامش 75.

[6]- حاشية على صحاح الجوهري لعبد العزيز الرسموكي، مخطوط خاص بسوس.

[7]- الجملة المهدية في شرح أبيات القرطبية لمحمد بن مهدي الدرعي، مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 4515 و9324.

[8]- اتحاف ذوي الأدب بمقاصد لامية العرب لسعيد الماغوسي، مخطوطات بالمكتبة الملكية بالرباط، أرقام 153، 431، 6648.

[9]- إيضاح المبهم من لامية العجم لسعيد الماغوسي أيضا، مخطوطاتها بالمكتبة الملكية، بالرباط، رقم 2000.

[10]- شرح ديوان المتنبي للهوزالي، و ترتيب ديوان المتنبي لعبد العزيز الفشتالي بأمر من أحمد المنصور، المكتبة العامة بالرباط، رقم 609ج.

[11]- تعددت شروح مقصورة المكودي في العصر السعدي، و من أشهرها: شرح عبد الواحد الحسني، و شرح عبد العزيز الفشتالي، و شرح أبي بكر التملي.

1405م)، كما شرحوا و اختصروا أو عارضوا و خمسوا "بانت سعاد"[1] لكعب بن زهير، وقصيدتي البردة[2] والهمزية[3] للبوصيري و الوتريات في مدح أفضل الكائنات[4] لابن رشد البغدادي البغدادي (ت662هـ/ 1264م)، و المستطرف من كل فن مستظرف لمحمد الأبشيهي[5] (ت852هـ/ 1448م) و المحاضرات و المحاورات للسيوطي[6] و غيرها.

و من كتب النحو و الصرف و البلاغة و العروض التي شرحوها و وضعوا عليها حواشي، شافية ابن الحاجب[7]، و الألفية[8]، و لامية الأفعال[9] لابن مالك، والمقدمة النحوية[10] لابن آجروم آجروم الصنهاجي (ت723هـ/ 1323م)، و لامية الجمل[11] لابن المجواد السلوي، و المغنى[12]

---

[1]- شرح قصيدة بانت سعاد للعربي الفاسي عنها ينظر: القادري، نثر المثاني ، ج1، ص181، و معارضة بانت سعاد لعبد لعبد الهادي ابن طاهر السجلماسي، مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط، رقم 74د.

[2]- تعددت شروح البردة و تخصيصاتها و منها: شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح لعبد الواحد ابن عاشر الأنصاري، وشرح آخر لمحمد بن سعيد العباسي، و تخميس البردة لمحمد ابن يجبش التازي، وتخميس آخر لأحمد بن الحسن الحاحي.

[3]- تعددت شروح الهمزية و منها: شرح أحمد الصومعي، و شرح محمد بن سعيد العباسي.

[4]- معارضة الوتريات لعبد العزيز الرسموكي، و معارضة محمد ابن يجبش التازي، و الوتريات، و هي عبارة عن 29 قصيدة مرتبة قوافيها على حروف المعجم، عنها ينظر: علواش، فهرس المخطوطات العربية بالرباط، ج1، المطبعة الشرقية و الأمريكية بباريس، 1954- 1958، ص116.

[5]- اختصار المستطرف لييبورك السملالي.

[6]- مختصر المحاضرات لييورك السملالي أيضا.

[7]- كنز المطالب على شافية ابن الحاجب لسعيد الماغوسي بأمر من أحمد المنصور.

[8]- تعددت شروح الألفية و حواشيها و منها: شرح ألفية ابن مالك لابن غازي، و شرح أحمد المنجور بأمر من أحمد المنصور، و حاشية على شرح المرادي للألفية لعبد الواحد الحسني، و حاشية على شرح المكودي للألفية للحسن الزياتي.

[9]- تعددت أيضا شروح اللامية و حواشيها و منها: شرح لامية الأفعال لييبورك السملالي، و حاشية على شرح المكلاتي للامية الأفعال، المكتبة العامة بالرباط، رقم920ج.

[10]- تعددت شروح المقدمة الأجرومية و حواشيها، ومنها: شرح مقدمة ابن آجروم للحسن الزياتي، شرح شواهد الشريف على الأجرومية لأحمد الدقون، و الشمط المنظوم من جوهرة ابن آجروم للعربي الفاسي.

[11]- شروح لامية الجمل و حواشيها كثيرة منها: شرح جمل المجراد للسلوي للحسن الزياتي، و شرح لامية المجراد لييبورك السملالي و شرح آخر لعلي ابن أحمد الرسموكي، و حاشية على شرح الحسن الدرعي للامية الجمل لمحمد ميارة.

[12]- حاشية على مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ليوسف الرسموكي.

والموضح[1] لجمال الدين ابن هشام (ت761هـ/ 1360م) و نكت السيوطي[2] على الألفية و الكافية والشافية و نزهة الطرف،

وشذور الذهب وتلخيص المفتاح[3] للخطيب القزويني، و علاقات المجاز[4] لابن الصباغ المكناسي (ت749هـ/ 1348م)، و الرامزة الشافية[5] في العروض لضياء الدين الخزرجي (ت626هـ/ 1229م) و قد كانوا يدرسون لطلبتهم كذلك مداد بحر القصيد ببحري أهل التوليد[6] لابن غازي، و كافية النهوض في صناعة العروض لعبد العزيز الرسموكي، و الألفية النحوية[7] لعبد الهادي ابن طاهر السجلماسي، و خريدة الكلل في الجمل[8] للعربي الفاسي، و مفردات الوزير[9]، و مختصر مختصر حديقة الأزهار[10] لأبي القاسم الوزير الغساني.

و لشغفهم بالأدب و ألوانه، فقد ألفوا في ذلك كتبا لا تعد و لا تحصى، و منها "مدد الجيش"[11]، لعبد العزيز الفشتالي الذي عارض به جيش التوشيح[12] للسان الدين ابن الخطيب

---

[1]- شرح أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لمحمد بن سعيد العباسي و حاشية على أوضح المسالك إلى الفقيه ابن مالك للحسن الزياتي.

[2]- اختصار نكت السيوطي لعبد الواحد الحسني.

[3]- نظم تلخيص المفتاح لعبد الهادي ابن طاهر السجلماسي، عنه ينظر: ادريس الفضيلي، الدرر البهية، والجواهر النبوية في الفروع الحسنية و الحسينية، ج1، طبعة حجرية بفاس، 1314هـ/ 1896م، ص265.

[4]- شرح نظم علاقات المجاز لأحمد المنجور مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط رقم 1032د.

[5]- شرح خزرجية العروض لعبد العزيز الرسموكي.

[6]- مخطوطات بمكتبة القرويين رقم 1314، و بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 603، الأسكوريال رقم330.

[7]- عنها ينظر: الفضيلي، الدرر البهية، ج1، ص265.

[8]- توجد مع شرحها لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في مخطوط خاص بفاس.

[9]- مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم 2994.

[10]- مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم1063 و 7336.

[11]- كان مدد الجيش كاملا ضمن مخطوطات مكتبة القرويين بفاس أوائل هذا القرن، لكنه على ما يبدو ضاع بعدما استعاره بعضهم و لم يرده، و بقي منه ستة أوراق في مكتبة خاصة بسلا بخط المؤلف نفسه، ينظر: محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، ص152، هامش 107.

[12]- طبع بمطبعة المنار بتونس سنة 1967.

مستدركا عليه جملة من الموشحات الأندلسية التي أغفلها و مضيفا عليها بعضا من موشحات شعراء المغرب السعديين، أكثرها كانت في مدح المنصور الذهبي[1].

و كتاب "روض السلوان"[2] لابراهيم بن محمد الفجيجي، و هي قصيدة اشتملت على ذكر الصيد و فوائده، و ما يتعلق به من الأحكام الفقهية مع اشارات أدبية وتاريخية، و وصف للفرس و الصقر و الطرائد و الطيور و الصحراء و الواحات.

و كتاب "الفريد في تقييد الشريد"[3] لأبي القاسم الفجيجي، و الذي شرح به "روض السلوان" السالف الذكر.

و كتاب "تحفة الأدب في ذكر مسائل من كلام العرب"[4] لقاسم ابن القاضي، والذي احتوى احتوى على بعض ما أنشده أبو الفتح الموصلي في "المثل السائر" و ابن قتيبة في "أدب الكاتب"، مما ينفع الكتاب من قواعد الرسم و غيره.

و يضاف إلى هذه المؤلفات مجموعة هامة من المصنفات الأدبية الراقية كديوان محمد بن يجبش التازي[5]، و هو ديوان رائع في الأدب المغربي لا في القرن العاشر فحسب، و إنما في القرون السابقة السابقة لما اشتمل عليه من أشعار و موشحات رقيقة، وديوان الدغوغي[6] الشعري الذي يشتمل على أمداح للشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، أو مولديات أنشدت بحضرته في حفلات الزاوية الدلائية، أو مساجلات مع أبناء هذه الزاوية من الشعراء، و ديوان التمنراتي[7] و الذي جمعه أحد أبنائه و رتبه على أربعة أبواب، لم تحتفظ النسختان الباقيتان منه إلا على الباب الرابع منه كاملا،

---

[1]- ذكرها المقري في روضة الآس ، ص162.

[2]- توجد نسخ كثيرة مخطوطة من روض السلوان منها في المكتبة العامة بالرباط رقم 268د، ص ص 106- 117، ونشر ونشر عبد الله كنون نحو نصفها في النبوغ المغربي، ج3، ص ص 111- 119، و نسخة أخرى بمكتبة القرويين.

[3]- توجد مخطوطات منها بالمكتبة الملكية رقم 4198، 4260، 808، مكتبة حسن حسني عبد الوهاب بتونس، رقم412.

[4]- مخطوطة بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم 53 بخط المؤلف.

[5]- جمع هذا الديوان أحد تلاميذ الشيخ محمد السنوسي معاصر المؤلف، و المخطوطة الوحيدة لهذا الديوان في المكتبة الملكية الملكية بالرباط رقم 3792، عنه ينظر: محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، ص27، هامش 69.

[6]- نسخة منه موجودة ميكروفيلم بالمكتبة العامة بالرباط، رقم955 و مخطوطة رقم5139 بالمكتبة الوطنية بمدريد.

[7]- توجد نسختان منه مبتورتان في المكتبة الملكية بالرباط.

و هو في المراثي، أما القصائد الموجودة قبله فهي أغلبها اخوانيات و كلها مؤرخة، ومقدم لها بما يبين الظروف التي قيلت أو كتبت فيها.

و "أدبيات ابن عيسى"[1]، و هو مجموع أدبي مجهول مؤلفه، يشتمل قسمه الأول على شعر ونثر لأدباء سعديين، تتخلله استطرادات و تعقبه أدبيات الأندلسيين والمشارقة من غير هذا العصر، و قد أطلق عليه هذا الاسم لأن صفحاته الاثنتي عشرة الأولى تختص بأدبيات الكاتب والشاعر بن عيسى التملي.

و كتاب "روضة الآس" لأحمد المقري[2] الذي اشتمل على تراجم كتاب و شعراء البلاط السعدي و آثارهم، و التي سجلها المقري في رحلته الأولى إلى المغرب عام (1009- 1010هـ/ 1601 -1602م).

و "طلائع اليمن و النجاح"[3] لعبد العزيز التملي الذي ألفه لمحمد الشيخ المأمون أيام ولايته العهد و نيابته عن أبيه بفاس[4]، و يشتمل الموجود منه على قصائد في مدح المأمون لأربعة عشر شاعرا، أكثرهم من كتاب بلاطه بفاس و"أدبيات ابن القاضي"[5]، و لعله لمؤلف مجهول، لكن سمي سمي بهذا الاسم لأن أغلب ما فيه من انشاء محمد بن قاسم ابن القاضي أو منقول من خطه، و هو أكثر ما فيه مراسلات وتقاطع شعرية مؤرخة فيما بين (999- 1046هـ) (1591- 1636م).

---

[1]- مخطوطة بالمكتبة الملكية بالرباط، عدد 5408 في 157 صفحة الصفحات 56 الأولى منه تحتوي على أدبيات العصر السعدي و الباقي منها لأدباء أندلسيين و مشارقة.

[2]- المقري، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش و فاس، تقديم عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية بالرباط، 1383هـ/ 1964م، في 354 صفحة.

[3]- الاسم الكامل للكتاب "طلائع اليمن و النجاح فيما اختص مولانا الشيخ من الأمداح" توجد منه مخطوطة واحدة بخزانة السيد العابد الفاسي بفاس، و قد انتسخها محمد حجي بخطه في 59 صفحة من الحجم الصغير، عنه ينظر، محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، ص29، هامش 74.

[4]- انتهت ولاية عهد المأمون أوائل عام 1012هـ/ 1603م، حيث أودع السجن، ثم نازع اخوته الملك بعد وفاة والدهم أحمد المنصور، و سلم مدينة العرائش للاسبان مقابل مساعدتهم له، فكانت نهايته القتل على جماعة من المجاهدين بضواحي تطوان عام 1022هـ/ 1613م.

[5]- مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم7248، 29 ورقة.

و "رسائل سعدية"[1] لمؤلف مجهول نشرها عبد الله كنون عام 1954 و كذا "أشعار سعدية"[2] نشرها كذلك كنون كذيل لكتاب "مناهل الصفا" بعد أن وجدها ضمن التقاييد الخطبة الملحقة بالكتاب، و هي تشتمل على قصائد إما كاملة أو مختصرة لأشهر شعراء العصر السعدي و غيرها.

***كتب التاريخ و التراجم و الفهارس و الرحلات:** اجتمعت هذه الأصناف لأنها أفادتنا كثيرا في التأريخ للعصر السعدي و أحداثه، و لعل ليفي بروفنسال في كتابه "مؤرخوا الشرفا" لم يأت بأكثر من 34 كتابا[3]، لكن ظهرت بعده كتب كاملة أو أجزاء مما كان يظن أنها مفقودة.

ففي التاريخ و التراجم ألف عبد العزيز الفشتالي "مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا"[4]، وألف أحمد بن القاضي "المنتقى المقصور على مآثر خلافة المنصور"[5]، و ألف محمد بن عسكر "دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر"[6]، و ألف أحمد بن القاضي "درة الحجال في أسماء الرجال"[7]، و"جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس"[8]، و ألف

---

[1]- عبد الله كنون، رسائل سعدية، دار الطباعة المغربية، تطوان، 1373هـ/ 1954م في 271 صفحة.

[2]- عبد الله كنون، أشعار سعدية، المطبعة المهدية بتطوان، 1964، ص ص 263- 304.

[3]- منها 18 في التراجم و 9 فهارس، و 5 في التاريخ، و رحلتان.

[4]- عثر على جزء واحد منه في نسختين، الأولى بفاس نشرها عبد الله كنون بتطوان سنة 1384هـ/ 1964م، و النسخة الثانية بتونس كانت في حزانة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب ثم صارت ملكا للمكتبة الوطنية بتونس، عنها ينظر: محمد حجي، "كتاب المناهل"، مقال في دعوة الحق، السنة 9، العدد 8، جوان 1966، ص70 و ما بعدها.

[5]- مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط، رقم 1059ج، و توجد منه نسخ عديدة في المكتبات المغربية، و عن اختلاف هذه المخطوطات ينظر محمد حجي، مجلة دعوة الحق، السنة10، العدد1، نوفمبر 1966، ص100 و ما بعدها.

[6]- طبعت الدوحة على الحجر بفاس عام 1309هـ/ 1892م، في 104 صفحة و قد حققها و أعاد طبعها محمد حجي حجي في مطبعة دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر عام 1396هـ/ 1976م.

[7]- طبعت درة الحجال أولا بالمطبعة الجديدة بالرباط (1934- 1936) في جزءين 618 صفحة، ثم أعيد طبعها بالقاهرة بعناية محمد الأحمدي أبي النور في ثلاث أجزاء (1970- 1974) في 322، 349،و 561، صفحة.

[8]- طبعت الجذوة على الحجر بفاس عام 1309هـ/ 1892م، في 355 صفحة، و أعيد طبعها بالرباط عام 1975.

ألف أحمد بابا التنبكتي "نيل الابتهاج"[1] في مراكش عام 1005هـ/ 1597م مذيلا به "الديباج المذهب" لابن فرحون (ت799هـ/ 1397م) مستدركا به بعض التراجم التي أهملها هذا الأخير، وألف كذلك "كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج"[2] بمراكش أيضا عام 1012هـ/ 1603م 1603م مختصرا به كتابه السابق.

و ألف أحمد المقري "أزهار الرياض"[3] بفاس عام 1027هـ/ 1618م، معرفا فيه بالقاضي بالقاضي عياض السبتي (ت544هـ/ 1149م) ملما فيه استطرادا بأخبار كثيرة من علماء المغرب والأندلس، و به تراجم لبعض رجال العصر السعدي و ألف محمد العربي الفاسي "مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن"[4] عام 1046هـ/ 1636م، و الذي يضم أخبارا مهمة تتعلق بالحياة الفكرية في المغرب أيام السعديين، و تراجم عدد من رجالات هذا العصر.

و اختصر أحمد الصومعي كتاب "مروج الذهب و معدن الجوهر"[5] لأبي الحسن المسعودي (ت346هـ/ 957م)، و نظم رضوان الجنوي رجال "حلية الأولياء"[6] لأبي نعيم الأصبهاني

---

[1]- طبع نيل الابتهاج مرات عديدة و الطبعة التي اعتمدناها هي التي طبع فيها بهامش الديباج المذهب لابن فرحون، و التي حققها علي عمر في جزءين، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 2004، و طبعة القاهرة التي نشرتها مطبعة ابن شقرون عام 1351هـ/ 1932م، في 361 صفحة.

[2]- توجد مخطوطتان من كفاية المحتاج في المكتبة الملكية بالرباط، الأولى بخط مغربي رقم681، و الثانية بخط مشرقي رقم453، و قد اعتمدنا في هذه الدراسة على تحقيق الدكتور علي عمر في جزءين نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، 1425هـ/ 2004م.

[3]- توجد مخطوطات كثيرة من أزهار الرياض في المشرق و المغرب، منها بالمكتبة العامة بالرباط، رقم229ك، و أخرى بالمكتبة الملكية بالرباط رقم784 كل منها في سفرين ضخمين، طبع الجزء الأول منه بتونس عام 1904م، ثم طبعت الأجزاء الثلاثة الأولى منه بعناية المعهد الخليفي بتطوان في مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر بالقاهرة سنة 1339هـ/ 1924م، في 371، 429، و 368 صفحة، و هي التي اعتمدناها في هذه الدراسة.

[4]- طبعت مرآة المحاسن على الحجر بفاس عام 1906م، على ما بها من نقص لأن مؤلفها توفي قبل اتمامها.

[5]- مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط رقم4584.

[6]- مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط رقم3758 ضمن مجموع.

(ت430هـ/ 1038م)، و ذيل أحمد بن علي البوسعيدي "ألفية العراقي[1] في السير و الكتب"، ترجمة "اشراق البدر في عدد أهل بدر"[2] معتمدا على كتاب "الاستيعاب" للحافظ بن عبد البر (ت463هـ/ 1071م).

و ألف يحي بن سعيد الكرامي "خبر الزمان"[3] الذي تحدث فيه عن تاريخ العالم منذ بدء الخليفة بما فيهم العالم الاسلامي، كما كتب محمد ابن عبد الله الهبطي "المعرب الفصيح عن سيرة الشيخ الرضي النصيح"[4] الذي ترجم فيه لوالده و لشيوخه و تلاميذه و أحوال الطريقة الجزولية، والشاذلية عموما، كما كتب محمد العربي الفاسي "شذر الذهب في خير نسب"[5]، و ألف قاسم الحفناوي (ت بعد 1000هـ/ 1591م)، كتاب "شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة"[6]، و ألف محمد بن الفقيرة الزروالي "شمس القلوب لكل محبوب"[7]، و الكتابان في ترجمة العالم المتصوف أبي عمرو القسطالي صاحب الضريح الشهير برياض الزيتون في مراكش.

و ألف أحمد أدفال "أخبار الشيخ أحمد بن موسى"[8]، و ألف يبورك السملالي "مناقب السيد أحمد بن موسى"[9]، و هما في ترجمة أحمد بن موسى السملالي شيخ سوس الشهير، و نظمت نظمت أرجوزتان في الشهداء، احداهما لعبد الله العثماني[10] والأخرى للأمير يحي الحاحي[11].

---

[1]- مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط رقم 1594د.

[2]- مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط، رقم341ج.

[3]- مخطوطة بالمكتبة العامة بالرباط رقم 239ج، و أخرى بالمكتبة الملكية بالرباط رقم3523.

[4]- مخطوط بمكتبة القرويين، رقم 1389، و مخطوطة خاصة بالرباط.

[5]- هو عبارة عن قصيدة بائية في نحو 120 بيتا، مخطوطا خاص بفاس.

[6]- مخطوط بالمكتبة العامة بمراكش، رقم171، و أخرى بالمكتبة العامة بالرباط رقم764ح و 2552، 3165.

[7]- ميكروفيلم بالمكتبة العامة بالرباط رقم 188.

[8]- توجد نسخ مخطوطة منه خاصة في الرباط و في سوس، و كلها مبتورة، فقد استعمل المختار السوسي بعضه في المعسول، المعسول، ج12، ص ص 20- 43.

[9]- مخطوط خاص بسوس.

[10]- مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط، رقم157د، ورقة 128، 129.

[11]- عنه ينظر اليفرني، نزهة الحادي، ص189.

أما فيما يتعلق بالفهارس و الرحلات، كتب محمد بن يعقوب الأيسي فهرسا[1] هاما رواه عنه أحمد ابن القاضي، و ألف محمد العربي الفاسي فهرسا[2] جامعا لمشيخة فاس في مطلع القرن 11هـ/ 17م، و محمد يوسف التملي فهرسا[3] يغلب عليه الطابع الأدبي، و حتى الملك أحمد المنصور كتب فهرسا[4] شاملا لشيوخه ومقروءاته، و خصص عيسى بن محمد البطوئي الفصول الثلاثة الأخيرة من الباب السابع من كتابه "مطلب الفوز و الفلاح"[5] لفهرسه الجامع لمشيخة جبال جبال الريف و شرقي المغرب و تلمسان، محمد ميارة، الفصل الأول من كتابه "نظم اللآلئ و الدرر"[6] لفهرس ضم فيه شيوخه و مقروءاته و أسانيد.

أما عن "الرحلتان" المؤلفة أيام السعديين فمنها: الرحلة الكبرى لابن خروف التونسي[7] دفين فاس، اطلع على بعضها الكتاني صاحب "فهرس الفهارس" و رحلتان تتحدثان عن تنقل داخل المغرب احداها لمحمد بن قاسم ابن القاضي[8]، و الثانية لمحمد العربي الفاسي[9].

و ألف علي التمكروتي أواخر عام 999هـ/ 1591م، "النفحة المسكية في السفارة التركية"[10]، و هي رحلة مليئة بالمعلومات الجغرافية و التاريخية والاستطرادات الأدبية و المناظرات

---

[1]- عنه ينظر الكتاني عبد الحي، فهرس الفهارس و الأثبات و معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات، ج2، المطبعة الجديدة بفاس، 1927، ص- ص 427- 473، عبد السلام ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ج2، مطبعة دار الكتب، الدار البيضاء (1960- 1965)، ص213، المختار السوسي، سوس العالمة، ص187.

[2]- مخطوط خاص بالرباط.

[3]- مخطوط خاص بسوس.

[4]- الفشتالي، مناهل الصفا، ص ص 188- 191.

[5]- مخطوطة بالمكتبة العامة رقم 2613ك، و أخرى بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم 1667.

[6]- مخطوطة بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 855، 3702ز.

[7]- الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص279.

[8]- محمد الكتاني، سلوة الأنفاس، ص287؛ عبد السلام ابن سودة، المرجع السابق، ج2، ص343.

[9]- يوجد بعضها ضمن مجموع مخطوط خاص بفاس.

[10]- طبعة حجرية بدون تاريخ.

الشعرية إلى جانب ما ميز العلاقات السياسية و الثقافية بين المغرب السعدي و الامبراطورية العثمانية.

و ألف محمد السراج المعروف بابن مليح "أنس الساري و السارب"[1]، و قد ألفها بمراكش بعد أن رجع من رحلته الحجازية عام 1633م.

دون أن ننسى فهرس أحمد المنجور[2] الذي أجاز به تلميذه أحمد المنصور بمراكش عام 989هـ/ 1591م و كتاب "رائد الفلاح بعوالي الأسانيد الصحاح"[3] لأحمد ابن القاضي الذي أجاز به الأمير زيدان بن أحمد المنصور عام 1010هـ/ 1601م، وكتاب "أصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت"[4] (الفهرس الرحلة) الذي ألفه أحمد بن أبي محلى، و كتاب "الفوائد الجمة باسناد علوم الأمة"[5] الذي كتبه عبد الرحمن التمنراتي بترودانت عام 1045هـ/ 1636م، و فهرس عبد الواحد السجلماسي المسمى ب"الإلمام ببعض من لقيت من علماء الاسلام"[6] والذي ألفه عام 982هـ/ 1575م، "رسالة الاخوان من أهل الفقيه و حملة القرآن"[7] الذي ألفه علي بن ميمون الغماري، و الذي أثبت فيها سنده في التصوف و ذكر أشياخه بفاس و ما قرأ عليهم من علوم شرعية و لغوية و عقلية.

و قد أعاد ابن ميمون ذكر أشياخه في "الرسالة المجازة في معرفة الإجازة"[8].

---

[1]- الاسم الكامل للرحلة هو أنس الساري و السارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال و المآرب سيد الأعاجم والأعارب، و قد طبعت بفاس عام 1968 بتحقيق و تقديم محمد الفاسي.

[2]- حققه محمد حجي، طبعة الرباط عام 1306هـ/ 1976م.

[3]- تكاد تكون المخطوطة الوحيدة لرائد الفلاح تلك التي هي موجودة بمكتبة الأكاديمية الملكية التاريخة بمدريد، و هي بخط المؤلف، عنها ينظر: محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج1، ص24، هامش60.

[4]- مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم 100، في 146 ورقة.

[5]- مخطوطة بالمكتبة العامة بالرباط، رقم1420د، بها 377 صفحة.

[6]- مخطوطة خاصة بمكتبة ابراهيم الكتاني بالرباط.

[7]- مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط رقم 1780د، ضمن مجموع ص ص 150- 152.

[8]- ميكروفيلم بالخزانة العامة بالرباط، رقم 1343، و توجد مخطوطة منها بمكتبة خاصة بفاس، و قد نشر محمد الفاسي فصلا من هذه الرسالة تحت عنوان "الدراسة بالقرويين أيام الوطاسيين" بمجلة رسالة المغرب، السنة الأولى، العدد11، جويلية 1943، ص ص 41- 43.

***كتب علمية و تقنية:** هي أقل عددا مقارنة مع كتب الدين و اللغة و الأدب، لكنها شملت مجالات عديدة منها:

- **كتب الرياضيات:** منها "منية الحساب"[1] للإمام ابن غازي، و "بغية الطلاب على منية الحساب"[2] شرح بها ابن غازي نظمه السابق.

و "أجنحة الرغاب في معرفة الحساب"[3] المعروفة في سوس ب"المنظومة السملالية" لابراهيم أبي القاسم السملالي" و"شرح أجنحة الرغاب في معرفة الحساب"[4] لعلي بن أحمد الرسموكي، و "شرح كشف الأسرار عن علم حروب الغبار"[5] لحسن الموشتوكي شرح به كتاب أبي الحسن القلصادي الشهير في الحساب و الجبر.

- **كتب الهندسة:** منها "فتح الخبير بحسن التدبير لفك رموز الأكسير في صناعة التكسير"[6]، لأحمد بن القاضي شرح به "الاكسير الشهير في الهندسة" لابن ليون التجيني (ت750هـ/ 1349م) و "مقدمات علم التكسير"[7] لأحمد محمد الولاتي، علق به على "الإكسير" أيضا.

- علوم الفلك و التنجيم و الوقيت: كتب علماء السعديين شروحا عديدة لكتاب "البيسارة في تعديل السيارة" لابن البناء المراكشي (ت721هـ/ 1321م) منها شرح لأحمد بن حميدة المطرفي[8] وآخر لأحمد ابن معيوب الأندلسي[9]، و ثالث لعبد الرحمن البعقيلي[10]، و خمسة شروح "لروضة الأزهار في علم وقت الليل و النهار" لعبد الرحمن الجادري (ت839هـ/ 1435م) منها "لبلب

---

[1]- مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط رقم 2243، ضمن مجموع ص ص 94- 121.

[2]- طبعت على الحجر بفاس في 248 صفحة.

[3]- مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط رقم 1647د، ضمن مجموع.

[4]- مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط 1531د، ضمن مجموع.

[5]- مخطوط خاص بسوس.

[6]- مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم 5455.

[7]- مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط، رقم 2231د، ضمن مجموع، ص ص 95- 139.

[8]- اسمه "المقصد الأسنى في حل مقفل سيارة ابن البناء"، مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط، رقم 1596د ورقة16- 28.

[9]- اسمه "اليسارة في تقديم السيارة" عنه ينظر: اليفرني صفوة من انتشر ، ص104.

[10]- سماه "شرح اليسارة في الهيأة"، مخطوط خاص بسوس.

الفضة في شرح الروضة"[1] لأحمد بن حميدة المطرفي و "تفجير الأنهار خلال روضة الأزهار"[2] لمحمد بن قاسم ابن القاضي و"قطف الأنوار من روضة الأزهار"[3] لعبد الرحمن البعقيلي، و نظم البعقيلي أيضا "الرسالة الفتحية في الأعمال الجيبية" لمحمد سبط المارديني (ت912هـ/ 1506م) في أرجوزة سماها "تحصيل المطلوب من ربع الجيوب"[4].

و ألف أحمد بن حميدة المطرفي "جمع المهمات المحتاج إليها في علم الميقات"[5] و الذي فصل فصل فيه العمل بآلة الاسطرلاب، و ألف أيضا "المقرب في وصف المجيب"[6]، و ألف محمد بن عبد الله الزموري "أرجوزة في وصف المنازل"[7]، و ألف عبد الواحد ابن عاشر "منظومة الربع المجيب"[8]، وألف محمد بن علي الشطيبي "نبذة فلكية لطالب الاختبارات النجومية"[9].

– **في علم المنطق**: ألف عبد العزيز بن عبد الواحد المكناسي (ت980هـ/ 1572م) "الدرر المنطقية"[10]، و ألف محمد بن عبد الله الهبطي "مباحث الكلية و الجزئية"[11]، وألف عبد الرحمن البعقيلي "أرجوزة المنطق"[12]، و الف محمد بن عبد الله بن يعقوب "شرح أرجوزة المنطق"[13]، وألف محمد العربي الفاسي "الطالع المشرق من أفق المنطق"[14].

---

[1]– مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط، رقم 1412د، مجموع ، ورقة 1- 27.

[2]– مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم9312.

[3]– طبع على الحجر بفاس.

[4]– مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط ، رقم2187د، ضمن مجموع، ص ص 33- 50.

[5]– توجد منها مخطوطة بالمكتبة العامة بتطوان، رقم330، بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم5471 و6676.

[6]– مخطوط بالمكتبة العامة العامة بالرباط، رقم1425، ضمن مجموع ص ص 5- 23.

[7]– مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط، رقم2027د.

[8]– طبعت مع شرحها لمحمد الأغصاوي على الحجر بفاس.

[9]– مخطوطة بالمكتبة الوطنية بتونس، رقم26.

[10]– مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط، رقم1072د، ضمن مجموع.

[11]– مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط، رقم 2076د.

[12]– مخطوط خاص بسوس.

[13]– مخطوط خاص بسوس.

[14]– مخطوط بالمكتبة العامة بتطوان، رقم647، ضمن مجموع.

– **في الطب و الصيدلة**: ألف أبو القاسم الوزير الغساني[1] عدة مؤلفات في الطب

– وهي: "حديقة الأزهار في شرح ماهية العشب و العقار"[2]، و هو معجم نباتي، و"اختصار حديقة الأزهار"[3]، و"تفسير بعض الأعشاب و العقاقير" مقتطف من كتاب "ريحانة الجيوب في العقاقير و العشوب"[4] و هو معجم طبي، و"الروض المكنون في شرح رجز ابن غزرون"[5] و الذي شرح به رجز هارون بن اسحاق ابن عزرون في الحميات و الأورام، و هو ذيل لأرجوزة ابن سينا الطبية.

و ألف الطبيب عبد الغني بن مسعود الزموري "القانون المفيد في علاج الحصى بقول سديد"[6] أهداه لأحمد المنصور و "خواص النباتات"[7] شرح فيه الأدوية بلغات عديدة.

و كتب أبو القاسم الغول الفشتالي عام 1038هـ/ 1628م، "حافظ المتراج ولافظ الأمشاج بالعلاج"[8]، و يعرف أيضا "بأرجوزة الفشتالي الطبية، و ألف محمد بن أحمد البعقيلي "مجموع المنافع في علم الطب النافع"[9]، و عبد العزيز الرسموكي "كشف الرموز"[10] و الذي فسر فيه فيه الأعشاب و الأمراض و الأدوية بالشلحة.

---

[1]– تكاثر عدد الأطباء و الصيادلة بالمغرب السعدي، لذلك كان لهم رئيس يرجعون إليه في الشؤون الفنية، و يرخص للمتخرجين الجدد بمزاولة التطبيب و العلاج بعد الاختبار و التثبت، ينظر: عبد العزيز بن عبد الله، الطب و الأطباء بالمغرب، المطبعة الاقتصادية بالرباط، 1960؛ ابراهيم حركات، السياسة والمجتمع ، ص442.

[2]– مخطوطات بالمكتبة العامة بالرباط، أرقام 1684، 1685، 1686د، و كلها مبتورة، و أخرى بالمكتبة الملكية بالرباط بالرباط رقم 2994، و هي تامة.

[3]– مخطوطات بالمكتبة العامة بالرباط أرقام 760د، 359ج، و أخرى بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم1063، 7336.

[4]– مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط، رقم1121د، ضمن مجموع، ورقة 140- 154.

[5]– مخطوطات عديدة أحسنها مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط رقم 1386 بخط المؤلف.

[6]– مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط رقم 294ق.

[7]– مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط، رقم955د، ضمن مجموع، ص- ص 122- 138.

[8]– مخطوطات كثيرة أحسنها بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم 1705، 6083.

[9]– مخطوطات كثيرة أيضا أحسنها مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط رقم 1644د.

[10]– مخطوط خاص بسوس، عنه ينظر، المختار السوسي، خلال جزولة، المصدر السابق، ج4، ص18.

و ألف علي بن ابراهيم الأندلسي عدة كتب طبية منها: "أرجوزة الفواكه الصيفية والخريفية"[1]، و "أرجوزة علاج العيون"[2] و "أرجوزة في الأعشاب و خواصها في شفاء المرضى"[3]، المرضى"[3]، و"منظومته في النكاح"[4].

- **في التقنيات العلمية:** اهتم بها الصناع و الفلاحون و العسكريون و غيرهم، ومنها: "صناعة تفسير الكتب و حل الذهب"[5] لأحمد بن محمد السفياني (1620) و ألف محمد بن يعقوب الأيسي "السكة في المغرب"[6]، و ألف محمد بن علي الشطيبي رسالة في "صنعة الفلاحة"[7]، وصنف أبو القاسم الغول الفشتالي كتاب "كيفية قسم المياه لقواديس الديار"

د–انتشار المؤسسات التعليمية و المراكز الثقافية:

ظلت الحياة الفكرية بالمغرب قبل قيام الدولة السعدية تعاني من الخمول و الركود من جراء الفتن والاضطرابات التي عمت البلاد في عهد الوطاسيين، مما جعل عنايتهم بالمؤسسات الدينية والتعليمية قليلة من مساجد و زوايا و مدارس، لا بل لم تمتد إليها يد الاصلاح و الترميم و تمويل نفقات التسيير، ذلك أنهم عجزوا عن اقرار الأمن و مواصلة مشاريع الإنماء الاقتصادي، فنقصت مداخيل الأحباس، و ظهر العجز المالي للدولة، و قد سجل ذلك الحسن الوزان بكتابه "وصف افريقيا" بمشاهدته المباشرة في مراكش و فاس و غيرها[8].

---

[1]– مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط، رقم 284ق، و أخرى بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم 6499

[2]– مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم515.

[3]– عنه ينظر: عباس ابن ابراهيم، الأعلام ، ج9، ص126.

[4]– مخطوط خاص بفاس.

[5]– نشر لأول مرة سنة 1918 من قبل رئيس مصلحة الفنون الأهلية بالمغرب، ثم سنة 1925 بالمكتبة الشرقية بباريس، مع مع فهرس للكلمات العلمية الواردة في الكتاب و مقابلها شرحها بالفرنسية، عنه ينظر: محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، ص162، هامش 179.

[6]– مخطوط خاص بسوس.

[7]– عنه ينظر: عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص255.

[8]– عثمان عثمان اسماعيل، العمارة الاسلامية، ج5، ص63؛ محمد حجي، المؤسسات الدينية بالمغرب، مؤتمر المستشرقين الألمان، برلين، مارس1980.

و مع مجيء الأشراف السعديين و استقرار الأحوال السياسية بدأت الحياة الثقافية تزدهر وتنتعش[1] من جديد، سيما و أن السعديين تحملوا مسؤولية الجهاد الديني للتحرير السياسي والاصلاح الاقتصادي و الاجتماعي، و قوام ذلك اشعال الحماس الديني و انقاذ المؤسسات الدينية و بعث الروح فيها من جديد كما ذكرنا سالفا، لذلك بدأت عنايتهم باصلاح و توسعة من جديد مآثر معمارية دينية علمية تاريخية عديدة، كما تأسست منشآت أخرى لدعم المد الروحي اللازم للجهاد الحربي[2]، و هكذا انتشر التعليم على نطاق واسع، و اكن للنشاط الثقافي والعلم و أهله حظ من عناية الملوك السعديين الذين قام مقامهم بعد أن ضعفت دولتهم، زعماء الحركة الصوفية لا سيما الدلائيين، فشهدت عدة مناطق من المغرب ازدهارا علميا و ثقافيا لن تشهده من قبل كما هو الحال في درعة و سوس، فقد تنافست الأسر و العلماء والميسورون في بناء المدارس المحلية و اقتناء الكتب و تشجيع المعرفة بمختلف الوسائل[3].

و من المؤسسات الدينية التعليمية في العهد السعدي نذكر:

أ- **المدارس**: قليلة هي المدارس التي بناها السعديون، و يرجع ذلك إلى سببين، أولهما وفرة المدارس المرينية، و بخاصة في المدن الكبرى، و استمرارها في أداء مهمتها مع اختلاف في مواردها المالية التي تناقصت عما كانت عليه أيام مؤسسيها[4]، و ثانيهما اقبال كثير من العلماء و المتصوفة و الميسورين من عامة الشعب على بناء كثير من المنشآت التعليمية[5] و الدينية من مدارس و زوايا

---

[1]- محمد السيد محمد أبو رحاب، العمائر الدينية و الجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، دراسةأثرية معمارية، ط1، دار القاهرة للنشر، 2008، ص147.

[2]- عثمان عثمان اسماعيل، المرجع السابق، ص63.

[3]- ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص108؛ محمد الفاسي، سوس عند الجغرافيين و المؤرخين قديما و حديثا، بحث نشر في مجلة المناهل، ع23، السنة9، مطبعة الفضالة، المحمدية، مارس1982، ص21؛ محمد السيد رحاب، المرجع السابق، ص148.

[4]- الحسن الوزان، وصف افريقيا، ج1، ص227؛ مارمول، المصدر السابق، ج2، ص147؛ ابراهيم حركات، السياسة والمجتمع، ص307.

[5]- يبدو أن الاقبال الشديد على بناء المدارس من تلك الفئات، جعل بعض الفقهاء كأبي علي اليوسي (ت1102هـ/ 1691م) يحدد شروطا لبناء المدارس، أهمها أن يكون بناءها من مال حلال جمع بالكسب المشروع، و يجب على كل=

في عدة جهات لم يسبق أن عنيت السلطة المركزية بها مطلقا، من حيث تزويدها بهذه المؤسسات، مما جعل التعليم في هذا العصر يصطبغ بطابع الشمول من حيث التوزيع الجغرافي[1].

تنقسم المدارس التي شيدها سلاطين الدولة السعدية إلى نوعين أولهما المدارس الكبرى، وهي على غرار مثيلاتها المرينية من حيث اشتمالها على مساكن للطلاب، و قاعة للصلاة والدرس، و لعل المدرسة الوحيدة التي ذكرتها المصادر التاريخية من هذا النوع "المدرسة الغالبية" التي بناها عبد الله الغالب سنة 972هـ/ 1564م[2] بمراكش، و هي مستوحاة من تصميم مدرسة أبي عنان بفاس، و هي ذات شكل مربع و هندسة متناسقة، و بها طابقان سفلي و علوي، و بها حجرات كثيرة و فناء رحب تحيط به أروقة ترتفع على أعمدة، و تشغل قاعة الصلاة جوفها، وبوسطها صهريج مستطيل للوضوء[3].

أما النوع الثاني فهو عبارة عن مدارس صغيرة بنيت كملحق للمساجد الجامعة التي شيدوها، و تشتمل على مساكن للطلاب فقط[4]، و من هذا النوع مدرسة الجامع الكبير

=طالب أن يطلع على الشروط الخاصة بنظام المدرسة، و التي أوصى بها صاحب الوقف، ينظر: ابراهيم حركات، المرجع السابق، ص397؛ محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص148.

[1]- ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع، ص307، و المغرب عبر التاريخ ، ج2، ص392.

[2]- تعرف حاليا بمدرسة علي بن يوسف، و هي مدرسة ملحقة بمسجد علي بن يوسف بمراكش، و التي لم تكن تصميما لمدرسة أبي الحسن المريني، بل هي إعادة بناء شاملة من قبل عبد الله الغالب سنة 927هـ/ 1564م، عنها ينظر: اليفرني، نزهة الحادي ، ص51؛ ابن بطوطة، الرحلة، ص673؛ ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع، ص307 و المغرب عبر التاريخ ، ج2، ص443؛ Champion C.Pierre : le maroc et ses villes d'art librairie, renomard, paris 1927, p87.

[3]- محمد السيد محمد أبو رحاب، المرجع السابق، ص149.

[4]- بناها السلطان محمد الشيخ المهدي بالقرب من الجامع الأعظم عندما جدد مدينة تارودانت بعد أن اتخذها مقرا له أثناء خلافته بسوس نيابة عن أبيه و أخيه، و قد ظلت هذه المدرسة قائمة إلى غاية سنة 1957، ثم هدمت و بنيت مكانها ملحق للمعهد الجديد، و ذلك على الحشتمية، تيمنا بالأسرة الحشتمية العلمية الشهيرة لهذه المنطقة، عنها ينظر: الحوات الشهلسواني سليمان بن محمد، البدور الضاوية، م.خ.ع، الرباط، د.م.د261،د1454؛ مصطفى المسلولي، الحركة العلمية في الجامع الكبير بمدينة تارودانت خلال القرنين 10- 11هـ، مجلة دعوة الحق، العدد 325، السنة 38، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، يناير، فبراير، 1997، ص90.

بتارودانت[1]، و مدرسة جامع باب دكالة[2]، و مدرسة جامع المواسين[3]، ومدرسة جامع أبي العباس السبتي بمراكش[4]، و باستثناء مدرسة الجامع الكبير بتارودانت التي ظلت قائمة حتى سنة 1957م ثم هدمت و شيدت مكانها مدرسة جديدة، فإن هذه المدارس لا تزال قائمة حتى الآن، غير أن بعضها تعرض لتجديدات غيرت من تخطيطها الاصلي كمدرسة جامع باب دكالة.

أما المدارس الخاصة فتمتاز ببساطتها، و عدم تأثرها بغير الطابع المحلي، وقد شيدت أساسا للدراسة، على عكس مدارس الدولة و التي خصصت لسكنى الطلبة أيضا، و من المدارس الخاصة بسوس[5] نذكر:

1- مدرسة آقا التي نسبت إلى الشيخ محمد بن مبارك (ت920هـ/ 1514م) و هو من بادر من رجالات الزاوية الجزولية إلى الدعاية بسوس، لمبايعة القائم مؤسس الدولة السعدية[6].

---

[1]- محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص249.

[2]- شيدتها مسعودة بنت أحمد الوزكيتي، زوجة السلطان محمد المهدي، و والدة السلطان أحمد المنصور، كملحق للجامع الذي شيدته بحي باب دكالة بمراكش، الذي شيدته فيما بين عامي (965- 995هـ/ 1557- 1586م)، ينظر: محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص337.

[3]- أو مدرسة جامع الأشراف شيدها السلطان عبد الله بن محمد المهدي الملقب بالغالب بالله، كملحق للجامع الذي شيده بحي المواسين بمراكش سنة (970هـ/ 1562م)، و لم تعد هذه المدرسة تابعة للجامع حاليا بعد أن تغيرت وظيفتها، وأصبحت سكنا خاصا لعدة أسر، ينظر: محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص339.

[4]- شيدها السلطان عبد العزيز بن أحمد المنصور، كملحق للجامع الذي شيده بحي باب تغزوت بمراكش إلى جوار ضريح العزفي الشهير أبي العباس السبتي حوالي عام (1012هـ/ 1603م)، لذلك حمل الجامع اسم هذا الصوفي، كما عرفت هذه المدرسة باسم "المدرسة العباسية"، ينظر: محمد أبو رحاب، المرجع السابق، ص341، نقلا عن عبد اللطيف التباع، ترجمة الشيخ أبي العباس السبتي، مخطوط خاص، ص16.

[5]- بلاد سوس، أغلبها جبال و هضاب، و أودية و شعاب، يحدها اقليم درعة ضرقا و المحيط الأطلسي غربا، و مرتفعات الأطلس الكبير شمالا، و الصحراء الكبرى جنوبا، سكنها منذ القديم بربر مصمودة المعروفون بالشلوح، و قد أطلق الجغرافيون العرب القدامى على منطقة سوس الحالية، اسم السوس الأقصى، مقابل السوس الأدنى الذي يشمل سائر بلاد المغرب الأقصى حتى البحر المتوسط، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص172.

[6]- محمد المختار السوسي، سوس العالمة ، ص157.

2- مدرسة الحسن بن عثمان بن علي التاملي بتيوط (قرب تارودانت) ومؤسسها تلميذ الونشريسي مؤلف "المعيار"، و ابن غازي، كما أنه أستاذ لمحمد المهدي الشيخ[1].

3- مدرسة بعقيلة التي أسستها أسرة آيت عمرو.

4- المدرسة البرحيلية بقرية أولاد برحيل من قبيلة المنابهة المعقلية و التي نزلت ضواحي تارودانت[2].

و بفاس أنشأ محمد بن الحاج آخر رؤساء الزاوية الدلائية مدرسة باب الجديد[3]، و هي تحمل طبعا هندسيا أندلسيا.

و من الشروط التي وجب توفرها في طالب المدرسة حسبما أثبتها الونشريسي في معياره، أن لا يسكن بالمدرسة إلا من بلغ العشرين من عمره، و أن يشتغل بالدراسة أو التدريس و حضور الحزب صباحا و مساء، و دروس القرآن باستمرار، على الأستاذ المختص و كل طالب لم يظهر نبوغه أو تفوقه العلمي بعد مقامه عشر سنوات يطرد، حتى لا يضر بقاؤه في المدرسة بالوقف المخصص للطلبة[4].

ب- **المساجد و الجوامع**: كان للأشراف السعديين اهتمام زائد بالعمارة الدينية، و قد تجلى ذلك في أعمال التجديد و الزيادات التي أجروها بالمساجد الجامعة المشيدة في فترات سابقة، إضافة إلى تشييدهم للعديد من المساجد الجامعة بمختلف مدن المغرب الأقصى، خاصة في تارودانت و مراكش، حتى يتوفر لجمهور المصلين الظروف الملائمة للقيام بفريضتهم، بعد أن ضاقت عليهم المساجد القديمة.

---

[1] محمد المختار السوسي، سوس العالمة ، ص157.

[2] - نفس المصدر ، ص 159، 160.

[3] - نفسه، ص156.

[4] - ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2، ص444.

و مع أن المساجد السعدية أقل زخرفة[1] من مثيلاتها المرينية، فإنها أكبر منها مساحة، إذ تعد المساجد السعدية أكبر مساجد المغرب الأقصى مساحة بعد مساجد الموحدين، و قد امتازت بأنها مبنية ضمن مجموعة معمارية تضم مصلى جنائزيا ومدرسة وخزانة للكتب، و مكتبا لتعليم الصبيان، و بيتا للخطيب، و بيتا للاعتكاف وميضأة، و حماما و سقاية و أحواضا للدواب[2].

و من المساجد السعدية نذكر:

الجامع الأعظم بتارودانت: من أكبر المساجد السعدية على الاطلاق، تباينت آراء الباحثين حول تاريخ تأسيسه[3]، حيث يرى البعض منهم أنه يعود إلى الفترة المرابطية والموحدية، و جدد بناءه و توسعته السلطان السعدي محمد المهدي الشيخ[4]، في حين يرى البعض الآخر أنه تم تشييده من قبل السلطان المذكور عندما جدد مدينة تارودانت بعد أن اتخذها مقرا له أثناء خلافته بسوس نيابة عن أبيه و أخيه، كما بنى القصبة السلطانية داخلها، فنسبت إليه المدينة و سميت المحمدية[5].

و لهذا المسجد عدة ميزات معمارية، حيث تبلغ مساحته 3215 م^2 (يتسع لحوالي 4000 مصلي)، و له صومعة تعد من أشهر الصوامع المغربية، كما يتضمن قاعة لصلاة النساء (تتسع

---

[1]- أثارت زخرفة المساجد ضجة كبيرة بين الفقهاء، حيث أورد الترميذي بعض الأحاديث التي تنهى عن زخرفتها، و يرى عبد الرحمن الفاسي أنه إذا كانت بنايات غير دينية تزخرف، فالأولى أن تزخرف المساجد، ينظر: عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، تحفة الأكابر بمناقب الشيخ عبد القادر، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 2330ك، ص241.

[2]- محمد أبو رحاب، المرجع السابق، ص231.

[3]- وقع الباحثون في هذا التضارب لأن الجامع يخلو من أي نص تأسيسي يحدد تاريخ انشائه، مع اختفاء جل العناصر الزخرفية الأصلية بعد التجديدات و الاصلاحات التي تعرض لها هذا الجامع، حيث يمكن مقارنتها مع مثيلاتها من الآثار السعدية المؤرخة كجامع باب دكالة و المواسين و أبي العباس السبتي بمراكش، ينظر: محمد أبو رحاب، المرجع السابق، ص234.

[4]- محمد المختار السوسي، خلال جزولة ، ج4، ص148؛ مصطفى المسلوتي، المرجع السابق، ص188؛ زكي علي، أهم الآثار التاريخية بتارودانت، مجلة الصديق، جمعية أصدقاء الثقافة و الفن بتارودانت، ع2، أبريل 1977، ص16.

[5]- محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج1، ص126و ج2، ص405؛ ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص309، والمغرب عبر التاريخ ، ج2، ص444.

لأكثر من 400 مصلية)، مجهزة بميضأة و صحن، وتعود النقوش الموجودة في السقف إلى عهد أحمد المنصور[1].

و قد تعرض هذا الجامع لكثير من أعمال الترميم و التجديد بعد العهد السعدي، مما أفقده الكثير من عناصره الزخرفية الأصلية، أهمها تلك التي أجريت بأمر من السلطان العلوي الرشيد بن الشريف سنة (1082هـ/ 1671م) على يد محمد بن الرسموكي[2].

لكن للأسف تعرض هذا المسجد فجر يوم الثلثاء 7 ماي 2013 إلى حريق مهول أتى على الجامع بأكمله، فقد بذلك المغرب معلما تاريخيا مهما[3]، و أما عن مصير المخطوطات التي كانت تضمها خزانته، فقد وزعت قبل الحريق بفترة على الخزانات المغربية العامة و الخاصة.

و قد كان لهذا المسجد بالإضافة غلى دوره الديني دور ثقافي تجلى في مدرسته التي كانت تعد مركزا علميا هام، و مغرسا لمجموعة من آمال الطلبة والمطلعين، و منطلقا نحو حلقات العلم في المغرب خاصة، و العالم الاسلامي عامة، و قد توافد على هذه المدرسة العديد من العلماء والمدرسين نذكر منهم:

---

[1]- عن الوصف المعماري لهذا الجامع، ينظر: محمد أبو رحاب، المرجع السابق، ص ص 235- 249؛ مصطفى المسلوتي، المرجع السابق، ص89.

[2]- رسموكة هي احدى القبائل الجبلية الواقعة بالأطلس الصغير أو بلاد جزولة، و قد اشتهر في القرن 11هـ/ 1640م، بعض من رجالها بالعلم و الدين، فكان منهم علي بن أحمد الرسموكي (ت1049هـ/ 1640م) و الذي شيد مدرسته في قرية أفلاوكنس و قضى حياته فيها تدريسا و افتاء و تأليفا، و بعد وفاته خلفه ابنه أحمد (ت1083هـ/ 1663م) يدرس في هذه المدرسة، و شاركه في ذلك أخواه محمد و يحي، و قد نالوا جميعا حظوة لدى الأمير أبو حسون السملالي و من خلفه في إمارة ايليغ بعد نهاية العصر السعدي، ينظر: محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص ص 580- 588.

[3]- كان هذا الجامع قد تداعى إلى السقوط أيام الحماية الفرنسية، فبدأ ترميمه قبيل الاستقلال بأمر من السلطان محمد الخامس، و قد تم ذلك سنة 1955 بعد عشر سنوات من مباشرة الأشغال به، ينظر: ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع، ص309، هامش66؛ محمد أبو رحاب، المرجع السابق، ص235.

أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني ثم الترودانى المعافري المعروف بابن الوقاد (ت1001هـ)[1] و أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الجلال التلمساني[2] 981هـ الذي قدم سوسا مع السلطان محمد الشيخ أبو عبد الله، فأقام بها معه سنة، وقد أثار حوله حركة علمية جعلت الأنظار تتوجه إليه، و العلماء يأخذون عنه إذ قدم للإقراء بالجامع الكبير، و به أخذ عنه فقهاؤها، أي فقهاء تارودانت.

و من علمائها يحي بن حمزة التهالي التملي (ت950هـ)، و الذي كان قاضيا كأبيه و اشتغل بالعلم هو الآخر، و أحمد بن يحي بن حمزة التهالي التملي القاضي المتوفي أواخر القرن 10هـ والذي نشأ في تارودانت و استقر بها، و اشتهر علمه وشاع بين العلماء كأهله.

و عباد بن عبد الله التامازتي المنابهي السوسي (ت983هـ)، أحد عيون هذه الفترة و أحد رجالات التصوف، اشتهر بأخباره و خوارقه، و سعة تأثيره على معاصريه.

محمد بن ابراهيم بن الحسن بن عمرو الرسموكي المتوفى أواسط القرن 10هـ، فقيه نجيب مذكور حل بتارودانت، فقيه موثوق كما تدل عليه آثاره و ربما تولى القضاء.

عبد الكريم بن ابراهيم التملي قاضي جماعة تارودانت، ت1007هـ، علامة كبير الشأن.

سعيد بن علي بن سعيد الهوزالي[3] السوسي، الشيخ الفقيه، قاضي القضاة وقاضي الجماعة بتارودانت نيفا و ثلاثين سنة (ت1001هـ).

---

[1]- ترجم له التمنراتي، الفوائد الجمة، ص ص 14- 19؛ اليفرني، صفوة من انتشر ، ص 93، 94؛ الحضيكي، الطبقات، ج2، ص ص 40- 44؛ عبد الرحمن بن زيدان، اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج4، المطبعة الوطنية، الرباط، 1930- 1933، ص ص 36- 38.

[2]- ابن عسكر، دوحة الناشر ، ص123؛ فهرس المنجور، ص78؛ القادري، نثر المثاني، ج1، ص125؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص ص 66- 324؛ الكتاني، سلوة الأنفاس، ج2، ص26؛ الخفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص421؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص357.

[3]- ابن القاضي، درة الحجال ، ج3، ص 299، 300، التمنراتي، الفوائد الجمة ، ص ص 24- 27؛ اليفرني، صفوة، ص37؛ الحضيكي، الطبقات ، ج2، ص ص 341- 344؛ المختار السوسي، المعسول ، ج7، ص ص 47- 51، و سوس العالمة ، ص185؛ القادري، نثر المثاني ، ج1، ص23؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص407.

منصور بن محمد بن محمد بن يوسف المومني الراسلوادي (1006هـ) علامة متفنن، مدرس، أديب و شاعر بارع.

جامع (الحرة) باب الدكالة بمراكش: ذكر جورج مارسيه[1] أنه من تشييد السيدة مسعودة بنت أحمد الوزكيتي الورززاتي[2] والدة المنصور، و كان ذلك سنة 965هـ/ 1557م[3].

و يسوق الناصر رواية في سبب تأسيس السيدة مسعودة لهذا المسجد مفادها أنها دخلت يوما ما بستانا من بساتين قصورها و هي في حالة الوحم فرأت به خوخا و رمان، فتناولتهما، وأكلت منهما في نهار رمضان، ثم ندمت علة ما صدر منها، و فعلت أفعالا كثيرة من باب البر رجاء أن يتجاوز الله عنها، و منها الجامع المذكور، و لا زال النساء و الصبيان يذكرون قصتها إلى الآن، فيقولون: "عودة أكلت رمضان بالخوخ و الرمان"[4]، و رغم طرافة هذه الرواية، إلا أنها قد تشير إلى سبب بناء هذا الجامع إلى جانب منشآت عمرانية أخرى شيدتها السيدة مسعودة.

---

[1]- Marçais (G) : l'architecture musulmane d'accident, paris, 1955, p385.

[2]- نسبة إلى مدينة ورززات الواقعة جنوب شرق الأطلس الكبير و هي ما تزال تحمل هذا الاسم حتى الآن، و هي ابنة الشيخ الأجل أبي العباس أحمد بن عبد الله الوزكيتي الورززاتي أحد شيوخ قبائل وزكيتة المعروفة بالمغرب منذ عصر الموحدين، ينظر: السلاوي، الاستقصاء، ج5، ص117؛ Deverdum (G) : recherches archéologiques a marrakech, arts et méliers graphiques, paris 1952, p132, et des autres : le mausolée des princes saadiens à marrakech, paul geuthner, paris, 1925, p49.

[3]- اختلفت المصادر التاريخية في تاريخ انشائه، فرغم اعتماد اليفرني و الناصري في حديثهما عن هذا الجامع على مصدر واحد و هو "المنتقى المقصور لابن القاضي"، إلا أن اليفرني يورد تاريخ 965هـ/ 1557م، في حين يذكر الناصري تاريخ 995هـ/ 1586م، فضلا عن ذلك، فإن وثيقة الوقف التي تتضمن العيون التي حبستها السيدة مسعودة على هذا الجامع، والتي أورد المقري نصها كاملا في روضة الآس تحمل تاريخ عام 995هـ/ 1586م، غير أن الباحثين اتفقوا على رأي اليفرني، ربما لاعتباره تاريخ بدء العمل في بناء الجامع، و أن تاريخ 995هـ هو تاريخ الفراغ من انشائه، و كذلك هو تاريخ تسجيل الأملاك التي أوقفتها السيدة مسعودة للصرف على هذا الجامع، ينظر: اليفرني، المصدر السابق، ص79؛ الناصري، المصدر السابق، ج5، ص117؛ المقري، روضة الآس، ص ص 63-67؛ ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع، ص310، والمغرب عبر التاريخ ، ج2، ص394؛ Marçais (G) : op.cit, p385.

[4]- الناصري، المصدر السابق، ج5، ص118.

جامع (الأشراف) المواسين بمراكش: شيده السلطان عبد الله بن محمد المهدي بن محمد القائم بأمر الله الملقب بالغالب بالله سنة 970هـ/ 1562م[1]، و سمي بجامع الأشراف أو المواسين نسبة إلى أسرة من سلالة الرسول صلى الله عليه و سلم كانت تقطن بالحي الذي شيد فيه الجامع، فغلب هذا الاسم على الحي و الجامع معا.

و لعل هذا المجمع الديني لا يشبه باقي الجوامع الأخرى كما لاحظ ذلك دوفردان[2]، إذ ذكر أنه يضم بالإضافة إلى المسجد ميضأة و حماما و مدرسة قرآنية و مساكن للموظفين، وحسب هذا الباحث المستشرق فإن هذه الفكرة مستمدة من بعض الحجاج المغاربة التي لاحظوها في الجوامع المملوكية بمصر، و الحقيقة أن هذا النموذج وجد قبل بشكل آخر في العصر المريني، وخير مثال المدرسة العنانية بفاس التي أضيفت إليها بنايات أوقفت عليها مساكن و حوانيت وحمامات يستفيد منها المقيمون و القائمون على هذه المؤسسة.

و قد امتاز هذا الجامع بوجود سقاية كانت تزود مجموع المدينة بالماء العذب[3].

جامع أبي العباس[4] السبتي بمراكش: شيده السلطان عبد العزيز بن أحمد المنصور المكنى بأبي فارس و الملقب بالواثق بالله[5]، و يذكر ابراهيم حركات أنه ينسب إلى عبد الله الغالب و أبي فارس

1- Marçais (G) , Architecture, p385

و يوافقه في ذلك السلاوي نقلا عن اليفرني بقوله: "و عشرة السبعين و تسعمائة أنشأ السلطان الغالب بالله جامع الأشراف بحومة المواسين من مراكش، و السقاية المتصلة به التي عليها مدار المدينة..."، الاستقصاء ، ج5، ص39.

2- Deverdum, Marrakech, op.cit, p-p 367- 373.

3- ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص 309- 310؛ محمد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 287- 288.

4- هو الصوفي الشهير أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي، ولد بسبتة عام 524هـ/ 1129م) ثم نزل مراكش، و بها توفي عام 601هـ/ 1204م، و دفن بباب تاغزوت في موضع ضريحه المتعارف عليه الآن بمراكش، عنه ينظر: أبو يعقوب التادلي، التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1984، ص295؛ عبد الله التباع، ترجمة الشيخ أبي العباس السبتي، مخطوط خاص، ص15.

5- المقري، روضة الآس ، ص59؛ اليفرني، نزهة الحادي ، ص ص 193- 197؛ الناصري، الاستقصاء، ج6، ص ص 7- 17.

معا، و قد شيد هذا الجامع بجوار ضريح أبي العباس السبتي في شمال مدينة مراكش، و ألحقت به مدرسة و خزانة كبيرة[1].

مسجد زاوية سيدي بن سليمان الجزولي[2] بمراكش: في مدينة مراكش و غير بعيد عن ضريح الأشراف السعديين يوجد مجمع معماري يشتمل على مسجد و ضريح وكتاب، و مضيفة و حمام تعرف جميعها بزاوية سيدي بن سليمان الجزولي صاحب الطريقة الجزولية، الذي ذكر جورج مارسيه أنه نقل جثمانه إلى مراكش بأمر من السلطان الأعرج السعدي حوالي سنة 962هـ/ 1554م، غير أن الباحثين المحدثين لا يوافقونه على ذلك على اعتبار أن السلطان الأعرج قد نحي عن السلطة و أودع السجن ابتداء من عام 946هـ و تبدأ القصة بوفاة السلطان القائم بالله بآفغان من بلاد حاحا سنة 923هـ، و دفنه هناك بإزاء ضريح الشيخ أبي عبد الله بن سليمان الجزولي الذي كان موضع الاعتقاد حيا و ميتا[3]، ثم أن السلطان أبا العباس الأعرج بن القائم بالله، بمجرد أنه ملك مراكش و استقر بها بادر إلى نقل جثمان الشيخ الجزولي إلى مراكش، و نقل معه جثمان والده معه، و كان ذلك في حدود 930هـ[4].

جامع الفناء بمراكش: بدأ بناؤه في عهد المنصور، و سمي جامع الهناء مما يدل على الاستقرار الذي كان يسود البلاد وقت ذاك، و لما تسلط الوباء على البلاد وأهلك الناس في مراكش و من

---

[1]- ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص311 و المغرب عبر التاريخ ، ج2، ص446؛ عبد الحفيظ الفاسي، "العصر الذهبي لمدينة مراكش"، مجلة المغرب، ربيع الثاني، جمادى الأولى 1355هـ، 1936، ص65.

[2]- محمد بن سليمان الجزولي السملالي الحسني (807- 870هـ/ 1404- 1465م) عالم دين سني على طريقة الأشاعرة، و فقيه مالكي و صوفي على طريقة الشادلية، من ذرية ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب صاحب كتاب "دلائل الخيرات في الصلاة عل النبي صلى الله عليه و سلم"، ينظر:الزركلي ، الأعلام، ، ج6، ص151؛ الجزولي أبو عبد الله محمد، كتاب دلائل الخيرات، طبعة مصر، 1916؛ حسن حلاب، من أعلام التصوف المغربي محمد بن سليمان الجزولي، دعوة الحق، العدد271، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، الرباط.

[3]- ورد في أخبار عمرو السياف من أصحاب الشيخ الجزولي أنه لما توفي الشيخ الجزولي جعل جثمانه في تابوت و صار يستنصر به مدة عشرين سنة إلى أن دفن بآفغال، ينظر: الناصري، الاستقصاء ، ج5، ص15.

[4]- الناصري، الاستقصا، ج5، ص 15؛ عثمان عثمان اسماعيل، العمارة الاسلامية، ص65.

بينهم أحمد المنصور، أطلق على المسجد اسم جامع الفنا الذي يعني الهلاك، ثم سميت الرحبة المجاورة له أيضا بنفس الاسم[1].

و يضاف إليها بعض المساجد القديمة التي خضعت لبعض الإضافات على عهد السعديين كالجامع الأعظم بشفشاون الذي بناه أبو عبد الله محمد بن راشد في أواسط القرن 10هـ/ 16م، ثم وقع توسيعه على يد قاضي شفتاون أحمد بن الشريف العلمي سنة 1012هـ/ 1603م، بمساعدة من السلطان زيدان[2]، و في القرويين كذلك أحدثت إضافات منها بناء فسقية و قبة تعلوها[3]، و كلتاهما أسفل منار القرويين، وتزن البيلة الرخامية التي ترتكز عليها الفسقية مائة قنطار مع هذه.

و قد ساهم الدلائيون و غيرهم في بناء المساجد لا سيما مساجد الزاوية الدلائية بآيت اسحاق، و التي لم يسبق منها شيء يستحق الذكر[4].

ج- **الزوايا:** لم تكن الزوايا في العهد السعدي لتحصى، إذ أصبح عددها يفوق عدد المساجد، لأنها ظهرت بل انتشرت في فترة مضطربة من تاريخ المغرب، و هي الفترة التي تقع بين الدولتين السعدية في انهيارها و تصدعها[5] و العلوية في بدايتها واستقرارها، و هي فترة ازداد فيها تعرض

---

[1]- عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، المطبعة الأمريكية و الشرقية بباريس، 1964، ص205؛ ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع، ص310، والمغرب عبر التاريخ، ج2، ص446.

[2]- تمثل التوسعة امتدادا لقاعة الصلاة بعقود أوسع و أعلى، و ألحق بالمسجد خزانة و مدرسة، و كانت تمثل مركزا ثقافيا مرموقا في القرن 10هـ/ 16م، و ما بعده على أن المدرسة حولت بعد الاستقلال إلى داخلية لإيواء طلبة المعهد الديني، ينظر: سعيد أعراب، جامع شفتاون و مرافقه، مجلة دعوة الحق، أكتوبر 1962؛ ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص311، والمغرب عبر التاريخ، ج2، ص446.

[3]- شيدت الفسقية في عهد المنصور سنة 996هـ، و لها كرسي من المرس يدعى "بيلة"، بينما قبتها فقد بناها عبد الله بن الشيخ المأمون بن المنصور، ينظر: اليفرني، نزهة الحادي ، ص261؛ المقري، روضة الآس، ص21؛ الناصري، الاستقصاء ، ج6، ص59.

[4]- عبد الودود التازي بن عمر، نزهة الأخيار المرضيين في مناقب العلماء الدلائيين البكريين، م.خ.ع، الرباط، رقم 1264ك.

[5]- نجح السعديون أثناء ازدهار دولتهم في صرف العديد من شيوخ التصوف عن الخوض في السياسة التي طالما شغلتهم من قبل، فتحولت زواياهم إلى مراكز تعليمية نشطة، لكن و ما أن ضعفت الدولة عقب وفاة أحمد المنصور (1012هـ/=

المغرب للأطماع الاستعمارية، تلك التي كانت منذ القرن 15م، و التي نتج عنها احتلال بعض الشواطئ المغربية و المدن الهامة من قبل الاسبان و البرتغال[1]، و رغم محاولات الحكام السعديين الرامية إلى استرجاع هذه الشواطئ، فإن هذه المحاولات لم تحسم الموضوع حسما نهائيا، بل أن بعض المصادر تذهب إلى عجز السعديين المتأخرين عن ذلك لأسباب عديدة[2]، الشيء الذي أتاح الفرصة لنشوء حركة وطنية و دينية قادها شيوخ الزوايا من أجل القيام بما عجز عنه السعديون، ومحاولة صد هجومات و مضايقات العدو الاسباني و البرتغالي التي كانت تتزايد بين الحين والآخر، و من ثم فقد حمل هؤلاء الشيوخ على عاتقهم مسؤولية الجهاد من خلال هذه الزوايا، و بالتالي فقد لعبوا دورا متميزا في سبيل استرجاع العديد من الثغور و توجيه حركة الجهاد التي فرضتها الظروف.

و تجدر الاشارة إلى أن هؤلاء الشيوخ و نظرا لرغبتهم الملحة في الجهاد وتهيئ الناس لذلك دينيا و نفسيا، فقد كان منهم من كان لا يكتفي بإقامة زاوية واحدة، بل تعداها إلى تشييد أكثر من زاوية، سواء في المدينة الواحدة أو في عدة مدن ومناطق، و يكفي أن نذكر كمثال على ذلك الشيخ عبد الوارث الياصلوتي الذي أسس زاوية بفاس و أخرى ببني دركول، و الشيخ أبو المحاسن الفاسي صاحب زاوية بفاس وأخرى بتطوان، و الشيخ أبو محمد القاسم الملقب بالغازي الذي كانت له زوايا بفاس و أخرى منتشرة في الحواضر و البوادي[3]، و الشيخ أحمد بن محمد الشاوي صاحب الزوايا المتعددة بفاس كذلك، و في نفس المضمار نجد أفراد الأسرة الواحدة يؤسس كل منهم زاوية، كما هو الشأن بالنسبة للشيخ أبي المحاسن الفاسي الذي أسس زاوية بحي المخفية بفاس، و أخوه أبو زيد عبد الرحمن الذي أسس زاويته بحي القلقليين بفاس كذلك.

=1603م) حتى قامت بعض الزوايا بحركات مناوئة للدولة و كونت كيانات مستقلة عنها، و تعد الزاوية الدلائية من أبرز الأمثلة عن ذلك، ينظر: محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج1، ص81، و الزاوية الدلائية، ص ص 163- 165.

[1]- وقع احتلال سبتة عام 1415م، و طنجة عام 1461م، و أصيلا عام 1471م، و العرائش عام 1489م، وآسفي عام 1508م، و الجديدة عام 1502م، و أقادير عام 1505م، و أزمور عام 1513م، فالمعمورة عام 1515م.

[2]- للمزيد من التفاصيل ينظر: عبد اللطيف الشاذلي، الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17، نشر كلية الآداب و العلوم الانسانية، ط1، الرباط 1982.

[3]- عبد الكبير بن هاشم الكتاني، روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية، م.خ.ع، الرباط، رقم 1265/10ك، عبد العزيز بن عبد الله ، الزاوية المغربية كمنتدى للفكر و الاشعاع العلمي، دعوة الحق، ع243، ديسمبر1984.

و لعل هذه الرغبة في الجهاد عسكريا و روحيا هي التي حملت شيوخ الزوايا السعدية –أو نخبة منهم على الأقل– إلى دعم حركة الزوايا من خلال السماح لبعض تلاميذهم و مريديهم بإقامة زوايا جديدة، و في مناطق متعددة، و كنموذج لهذه الظاهرة نشير إلى:

– الشيخ عبد الله بن حساين الأمغاري صاحب زاوية أمصلوت، الذي أذن لتلميذه بن علي بن ريسون بتأسيس زاويته بقرية تاصروت قرب شفشاون.

– الشيخ عبد الله الخياط صاحب زاوية زرهون الذي أذن لتلميذه أبي الطيب يحي بن أبي القاسم الجباوي دفين ميسور بتأسيس زاوية ملوية.

– الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي صاحب الزاويتين بفاس و تطوان أذن لتلميذه محمد بن الحاج نوار بتأسيس زاوية تطوان.

– الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي صاحب الزاوية الدلائية الذي أذن لتلميذه محمد بن أبي بكر العياشي بإقامة زاويته بميدلت.

– الشيخ أحمد الشاوي و صاحب الزوايا بنواحي فاس، الذي أذن لتلميذه موسى بن سعيد الدراوي بتأسيس زاويته بمدشر تازغوت قرب صفرو نواحي فاس[1].

و قد حافظت هذه الزوايا على استمرارية المنهج السني في المغرب، كما استمر التمسك بالمذهب المالكي، الذي كان المغاربة و ما يزالون متشبثين به، عاملين بأحكامه و تشريعاته، و قد تجلى هذا الحفاظ من خلال الأعمال الفكرية و العلمية التي خلفها رجال هذه الزوايا أو درست في رحابها، و كذلك في انتهاج الطريقة الشاذلية المتصلة بالإمام أبي القاسم الجنيد، و خير دليل على ذلك الزاوية الدلائية التي كانت طريقتها هي الأخرى شاذلية، علما بأنها أكثر الطرق تجذرا في المجتمع المغربي لقربها من الكتاب و السنة، و ابتعادها عن مظاهر الغلق و التفلسف[2]، ومن ثم فقد كانت أكثر الطرق الصوفية انتشارا في المغرب حتى إنها لتعتبر الطريقة الرسمية في هذه البلاد، إلى جانب المذهب المالكي في الفقه و العقائد الأشعرية في التوحيد[3].

---

[1]– عبد الجواد السقاط، الزاوية المغربية في العصر السعدي، القسم الأول، العدد 264، ص ص 49- 58.

[2]– محمد المنوني، ورقات، ص236.

[3]– محمد حجي، الزاوية الدلائية ، ص56.

و قد جمع هذه العناصر الثلاثة عبد الواحد ابن عاشر[1] في رجزه "المرشد المعين"، فقال في عقد الأشعري و فقه مالك و في طريقة الجنيد السالك أن هذه الزوايا ساهمت إلى حد بعيد في اغناء الحركة الفكرية و الأدبية بالمغرب، ذلك أن هذه الزوايا اختلفت أدوارها من ديني إلى سياسي أو علمي، و قد تجمع بين الثلاثة كالزاوية الدلائية[2].

ومن الزوايا التي برزت في عهد السعديين نذكر:

زاوية سيدي سليمان الجزولي[3] **(ت870هـ)**: تقع بحي رياض العروس أحد الأحياء القديمة بمدينة مراكش، تنسب إلى الشيخ محمد بن سليمان الجزولي، من أجلة أعلام التصوف في عصره، إليه انتهت أسانيد الطريقة الشاذلية بأسرارها و معارفها، و عنه تفرعت جل الطرق الصوفية بالمغرب، توفي بسوس عام 870هـ، و بها دفن مدة تناهز 80 سنة قبل أن يقدم السعديون على نقل رفاته إلى مدينة مراكش فأقبر بها، وشريحه مشهور و مقصود[4].

زاوية الشيخ عبد الوارث اليصلوتي[5] **(ت971هـ/ 1563م)**: ببني زروال، و هو أكبر علماء بني زروال قاطبة، و أكثر صلحائهم ذكرا، درس على يد الإمام بن غازي، كان عالما مشاركا وأديبا

---

[1]- عبد الواحد بن عاشر الأندلسي الفاسي (ت990هـ/ 10400م)، هو أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر السلاوي (ت765هـ) عالم دين من المغرب، و من أبرز علماء المذهب المالكي، اشتهر بمنظومته "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين" و التي نظم عنها الفقه المالكي، بالإضافة إلى "باب العقيدة و التصوف" التي تعد مرجعا مهما عند أهل المذهب المالكي، و له مؤلف "شرح مورد الظمآن في علم رسم القرآن"، و شرح على مختصر خليل "من النكاح إلى العلم" و "رسالة في عمل الربع المجيب" و"تقييد على العقيدة الكبرى للسنوسي" و غيرها، عنه ينظر: عبد المغيث مصطفى بصير، الفقيه عبد الواحد بن عاشر، حياته و آثاره الفقهية، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، المغرب 2007؛ القادري، نثر المثاني ، ج1، ص283؛ مخلوف، شجرة النور الزكية ، ص299؛ الكتاني، سلوة الأنفاس ، ج2، ص ص 310- 312.

[2]- ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ ، ج2، ص447.

[3]- – اليفرني، نزهة الحادي ، ص22؛ الناصري، الاستقصاء ، ج5، ص 34، 35؛ معلمة المغرب، المصدر السابق، ج9، ص 3011، 3012.

[4]- محمد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 349- 350.

[5]- ترجم لليصلوتي، ابن عسكر، دوحة الناشر ، ص 5، 6؛ محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع في ذكر الجزولي و التباع، وما لهما من الأتباع، طبعة حجرية بفاس، 1896، ص 77،78؛ محمد البشير الفاسي، قبيلة بني زروال، مطبعة =

بارعا، أخذ أسس الطريقة على يد الشيخ عبد الله الغزواني أكبر رجال الطريقة الجزولية –الشاذلية في عصره–، عاش عبد الوارث في زاويته ببني دركول ما ينيف عن خمسين سنة قضاها في عقد المجالس العلمية و تربية المريدين و إرشاد العامة، له عدة مؤلفات و رسائل و أراجيز في التصوف منها: "المسلك القريب الموصل إلى حضرة الحبيب" و "نصح المؤمن".

زاوية أولاد الخزاز[1]: التي بناها الخواص ببني زروال أيضا.

زاوية تمكروت: التي أسسها الشيخ عمر بن أحمد الأنصاري الدرعي التمكروتي (ت983هـ/ 1575م)، ثم دعيت الزاوية الحسينية نسبة إلى الشيخ عبد الله بن حسين الرقي دفينها (ت1045هـ/ 1636م)[2]، و بعد أن استقر فيها الشيخ محمد ابن ناصر الدرعي[3]، و كثر بها آله و مريدوه و تلاميذه، سميت بالزاوية الناصرية، و قد اجتذبت هذه الزاوية منذ السنوات الأخيرة من القرن 10هـ/ 16م، عددا كبيرا من الأنصار وطلبة الدراسات الدينية، و تكونت بها خزانة عظيمة بها مخطوطات قيمة، تبقى جزء هام منها[4].

زاوية الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي: التي أسسها بتطوان سنة 1003هـ/ 1594م[5].

زاوية الشيخ السعيدي[6]: التي أسسها الشيخ قاسم الحاج بتطوان أوائل القرن 11هـ/ 17م.

الزاوية الدلائية[7]: توجد زاويتان دلائيتان، تبعد احداهما عن الأخرى بنحو 12 كلم.

=المنشورات التقنية بشمال افريقية، الرباط، 1962، ص 54، 55؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص ص 476،477.

[1]– محمد البشير الفاسي، قبيلة بني زروال ، ص19.

[2]– محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج2، ص594.

[3]– ترجم له اليفرني، صفوة، ، ص ص 173– 177؛ الحضيكي، الطبقات ، ج2، ص ص 74– 77؛ القادري، نثر المثاني ، ج2، ص ص 16– 20.

[4]– ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص313، و المغرب عبر التاريخ ، ج2، ص447.

[5]– محمد داود، تاريخ تطوان، معهد مولاي الحسن، ج1، تطوان، 1959، ص307.

[6]– نفسه، ص322.

[7]– محمد حجي، الزاوية الدلائية، الباب الثالث خاص بدراسة الحياة العلمية في الدلاء.

أسس أولاهما الشيخ أبو بكر بن محمد الدلائي[1] حوالي عام 974هـ/ 1566م في مرتفعات جبال الأطلس المتوسط، و شيد الثانية حفيده السلطان محمد الحاج الدلائي عام 1048هـ/ 1636م، في موقع زاوية آيت اسحاق الحالية بين خنيفرة و قصبة تادلا[2].

و قد عنى الشيخ أبو بكر الدلائي في زاويته بالعلم و العلماء عنايته بالتصوف و المريدين، كما اهتم يتعلم أبنائه الستة، حتى إذا تم تكوينهم العلمي أقبلوا على التدريس في زاويتهم، و قد تكاثر عدد الطلبة و العلماء و اتسع عمران الزاوية بعدما بنى حولها دور و أسواق و مساجد ومكتبات و مساكن لسكنى الطلبة الغرباء حتى قيل أنه كان "بالمدرسة التي بإزاء جامع الخطبة ألف و أربعمائة مسكن"، و أن المكتبة الكبرى بالزاوية أشبه بمكتبة الحكم المستنصر بالأندلس، و"جميعها عشرة آلاف سفر"[3].

و قد مرت الزاوية الدلائية في الميدان الثقافي بمرحلتين، أولاهما امتدت إلى وفاة أحمد المنصور، و هي الفترة التي كانت فيها مركزا ثقافيا بدويا لا يستطيع منافسة الحواضر التقليدية رغم ما أوتيت من بسط في العلم و المال، أما المرحلة الثانية فالتي تلي وفاة المنصور، بعدما قامت بين أبنائه و أنصارهم حرب أهلية في الشمال و الجنوب قضت على النشاط العلمي في الحواضر، فاتجهت الأنظار إلى زاوية الدلاء الآمنة بموقعها المنيع وسط قبائل زيان، فقصدها العلماء و الطلبة من كل جهة، فغدت مساجدها و مدارسها و مكتباتها تضاهي ما كان العهد به في فاس ومراكش.

و لما آل أمرها إلى محمد الحاج الدلائي أواسط القرن 11هـ/ 17م، و وجد نفسه في عز وسلطان لا يضاهى، ففكر في أن يحصل إلى جانب الزعامة الروحية على سلطة دنيوية ترفعه إلى درجة السلاطين، فكان له ذلك، فشيد زاوية دلائية جديدة على غرار مدينة فاس، بها أسوار و قصور ومساجد و مياه جارية، و انتقل إليها بحاشيته و بعض علماء قومه، لكن لم تعمر الزاويتان بعد ذلك إلا بضعة عقود من السنين، إلى أن اجتاحتهما جيوش الرشيد بن يوسف أوائل 1079هـ/

[1]- محمد حجي، الزاوية الدلائية، الباب الثالث خاص بدراسة الحياة العلمية في الدلاء.

[2]- محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج2، ص499.

[3]- نفسه ،الصفحة نفسها.

1668م، فتركتهما خاويتين على عروشهما[1]، و من أشهر العلماء الدلائيين الذين قاموا بالتدريس في زاويتهم، عبد الرحمن بن أبي بكر الدلائي[2]، (ت1020هـ/ 1611م)، ومحمد بن أبي بكر الدلائي (ت1046هـ/ 1636م)[3]، و محمد المرابط بن محمد الدلائي[4]، و الشاذلي بن محمد الدلائي[5]، و غيرهم كثير.

و من العلماء الذين وفدوا على الزاوية الدلائية و أقاموا فيها لأجل التدريس، خاصة بعد وفاة المنصور، أحمد ابن القاضي، و أحمد المقري، و محمد العربي الفاسي، عبد الواحد بن علي الأنصاري، و أحمد بن علي ابن عمران السلالي[6].

د- **الكتاتيب**: يذكر الحسن الوزان عن كتاتيب فاس في العصر السعدي باعتباره شاهد عيان أن عددها كان مائتين، و قد خصصت للأطفال الراغبين في الدراسة، وقد كان كل كتاب يحتوي على حجرة كبيرة بنيت على شكل مدرج يجلس عليه التلاميذ، و قد كان المعلم يعلمهم القراءة والكتابة ليس في كتاب ما، و إنما باستعمال لوح يكتب فيه الأطفال، و قد كانت الدرس اليومي تحفيظ القرآن الكريم آية آية إلى أن يحفظه الطفل عن ظهر قلب.

و بما أن القرآن الكريم كان يحتل الصدارة في جميع معاهد البلاد، فقد اهتم الملوك السعديون بإقامة مؤسسات أو معاهد لتدريسه و استقرائه، فها هو عبد الله الغالب يبني بالقسم الغربي من القرويين خلوة خاصة لقراء القرآن "الحزابة"، سميت بخلوة الحزابين[7]، و قد كان الأطفال يواظبون على حضور حلقات الحزابين حتى يزدادوا حفظا لكتاب الله، و يسهل عليهم فهمه

---

[1]- محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج1، ص ص 499- 560.

[2]- محمد حجي، الزاوية الدلائية ،ص 81- 82.

[3]- نفس المرجع، ص ص 76- 81.

[4]- نفسه، ص 82، 83، هامش35.

[5]- نفسه، ص 85، 86.

[6]- نفسه، ص ص 86- 127.

[7]- عبد الهادي التازي، جامع القرويين، ص86.

والاهتداء بهديه، خاصة و أن حفظ القرآن كان عاملا أساسيا في بث الروح الدينية لدى المغاربة عموما[1].

و تذكر المصادر التاريخية أسماء عدد من المعلمين منهم:

- محمد بن يوسف الترغي و هو مؤدب الأسرة المالكة، و كان له الفضل في نشر تعليم القراءات بالمغرب عن طريق تلاميذه العديدين، و قد كان فقيها ضليعا و نحويا مجبرا، أصله من فاس التي تلقى بها دراسته، ثم تولى وظائف أخرى بمراكش، قبل أن يعود للاستقرار بفاس[2]، توفي سنة 1009هـ/ 1600م.

- عبد الله بن عبد الرازق العثماني (ت1027هـ/ 1617م)، و قد كان يلقن القرآن بكتاب دراس بن اسماعيل[3] بفاس، و نسخ أكثر من 70 مصحفا كما ألف كتابا في التصوف[4].

- علي ملوك كان معلما بكتاب دراس المذكور أيضا[5].

- علي السلاسي و عبد الله بن موسى الورتيني، و قد ذكرا في وثيقة عدلية يعود تاريخها إلى سنة 929هـ، و كلاهما كان معلما بمدرسة الصفاح بفاس[6].

2- أصناف العلوم النقلية و العقلية و أشهر علمائها.

سبق و أن أشرنا باستفاضة إلى العلوم التي كانت أكثر تداولا و أبرز ما ألفه علماء العصر السعدي، لكن لا بأس أن نتحدث عن وضعية هذه العلوم في هذه الفترة و أشهر علمائها.

---

[1]- ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص395.

[2]- عباس بن ابراهيم، أعلام، ج4، ص204.

[3]- دراس بن اسماعيل من طبقة المالكية الأوائل بالمغرب و الذين كان لهم الفضل في نشر المذهب المالكي بهذه البلاد، توفي بمسقط رأسه فاس سنة 357هـ/ 967م، و قد ترجم له في مدارك عياض، ينظر، ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع، ، ص396، هامش88.

[4]- القادري، التقاط الدرر و مستفاد المواعظ و العبر، من أخبار أعيان المائة الحادية و الثانية عشر، م.خ.ع الرباط، رقم 676د.

[5]- أبو زيد الفاسي، أزهار البستان في مناقب الشيخ عبد الرحمن، م.خ.ع، رقم 583، ص17.

[6]- نفسه، الصفحة نفسها.

1.2- العلوم النقلية:

أ- العلوم الدينية:

من المعلوم أن المذهب المالكي فرض نفسه بالمغرب بصورة نهائية منذ عصر المرابطين، على الرغم من تقهقره في العهد الموحدي بسبب ظهور عقيدة ابن تومرت و المذهب الظاهري، إلا أن ذلك لم يمنع المذهب المالكي من اثبات ذاته حتى هذه الفترة، حيث ظل المرجع الرئيسي في القضايا الشرعية، أما في العهد المريني فقد عرف نشاطا كبيرا في تأليف الكتب الفقهية، سيما ما يتعلق منها بشرح "المدونة ومتن خليل" و من ثم فقد انصبت معظم دراسات فقهاء هذا العصر على فروع المذهب المالكي دون غيره، مما يعد نقصا كبيرا في النشاط الفقهي.

أما في القرنين (10- 11هـ/ 16- 17م) فقد تواصل الاهتمام بتأليف الكتب الفقهية، كما ازداد اهتمام العلماء بالقراءات و التفسير و الرياضيات و التصوف، ومع أن جل اهتمام العلماء كان منصبا على علوم الدين و الشريعة، إلا أنهم أولوا عناية خاصة لعلوم أخرى سيما الحساب و الهيئة باعتبارهما سندا قويا في معرفة الأوقات و المنازل و المواريث و غير ذلك[1].

كما ازدهر في العصر السعدي فقه النوازل و الفلتاوى ذلك أن تعدد الأحداث والوقائع المحلية التي ترتبط بحياة الناس، جعل أمورا كثيرة تستجد مما استوجب رأي الفقهاء و فتاويهم على اختلاف وجهات نظرهم و تأويلهم للأسانيد الشرعية، و من القضايا التي اقتضت رأي الفقهاء، قضايا الأسرى و الجهاد[2] و تناول التبغ و صرف السكة و ما إلى ذلك.

- **القراءات:** وجدت القراءات القرآنية اقبالا منقطع النظير بالموازاة مع باقي العلوم الشرعية من تفسير و فقه، و لعل قائمة القراء في هذه الحقبة طويلة جدا نكتفي بذكر المبرزين منهم:

---

[1]- ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص413، و المغرب عبر التاريخ، ج2، ص459.

[2]- لا شك أن الاحتلال الأجنبي للعديد من مدن المغرب كان حافزا للتشيع بالروح الدينية كرد فعل للتدخل المسيحي، مما جعل الناس يقبلون على دراسة العلوم الدينية، و قد ساهمت في ذلك الزوايا و الطرق الصوفية التي كانت تلهب حماسهم للجهاد، كما أن هذه العلوم كان لها دور في الحياة الإدارية و شغل المناصب، لذلك شجعت الدولة المقبلين على هذا النوع من العلوم، ينظر: ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2، ص 459، 460.

– محمد بن يوسف الفاسي من أهل القصر الكبير (959- 998هـ/ 1551- 1589م)، ودفين فاس بالكعادين[1].

– محمد بن يوسف الترغي تلميذ رضوان الجنوي و أبي عبد الله الخروبي[2].

– أبو فارس عبد العزيز الزياتي (ت1055هـ/ 1645م).

– أبو العباس أحمد بن القاسم القدومي الغساني[3] (ت992هـ/ 1584م)، و يعد مرجعا في القراءات.

– محمد بن عبد الرحمن بن يوسف الزروالي[4] المعروف بابن الفقيرة و تلميذ أبي عمرو المراكشي وأبو عبد الله الخروبي، و هو نحوي ضليع في القراءات العشر، توجه إلى المشرق، و قضى بقية حياته بمكة، و له بها مناظرات مع الشيخ الحطاب أحد شيوخ المالكية بمكة[5].

– محمد بن محمد بن مجبر المساري[6].

– الحسن بن أحمد الهداجي الدراوي (ت1006هـ/ 1597م) بفاس[7].

– محمد بن يعقوب الترغي العالم بالقراءات[8] السبع، و مؤدب العائلة الملكية ومدرس حر، من تلاميذه ابن القاضي صاحب "درة الحجال"، و محمد بن يوسف التاملي وغيرهما.

---

[1]- عبد الرحمن بن زيدان، اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج4، المطبعة الوطنية بالرباط، 1930- 1933، ص34.

[2]- ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص624.

[3]- محمد البشير الفاسي، قبيلة بني زروال ، ص64.

[4]- عباس بن ابراهيم، أعلام ، ج4، ص 202، 203.

[5]- هو محمد بن محمد الرعيني المعروف بالحطاب، فقيه و صوفي مغربي الأصول، ولد بمكة و توفي بطرابلس عام 954هـ/ 1547م، من مؤلفاته، "مواهب الجليل" الذي يعد مرجعا هاما في الفقه ابتداءا من القرن 10هـ/ 16م.

[6]- القادري، نشر المثاني ، ج1، ص12.

[7]- نفسه، ص17.

[8]- القادري، نشر المثاني ، ج1، ص23؛ عباس بن ابراهيم، أعلام ، ج4، ص ص 209- 229.

– أحمد بن علي الصنهاجي الزموري[1] (930- 1001هـ/ 1523- 1592م) قارئ مجيد وعارف بالفقه و النحو و التفسير، من شيوخه ابن غازي و محمد بن ابراهيم الدكالي ، البستيثني[2]، أجازه نجم الدين الغيطي أحد شيوخ مصر البارزين.

– محمد بن يوسف التاملي[3] السوسي، درس بمراكش ثم فاس، من شيوخه محمد بن يوسف الترغي، و أبو العباس المقري، و الحسن الدراوي، خلف هذا الأخير كمؤدب للعائلة المالكة بمراكش، درس في مدرسة ابن يوسف و اعتمد في تدريسه في القراءات على الشاطبية كغيره من الأساتذة، من تلاميذه محمد الرحماني، والمرغبتي، و عبد العزيز الزياتي.

– محمد بن محمد الرحماني[4]، الذي تخصص في القراءات العشر، من شيوخه محمد البوعناني، ومحمد العمري و محمد التاملي و آخرون، حصل على إجازات عديدة تحتفظ بها خزانة الأوقاف بفاس، عاش إلى مولد الدولة العلوية له منظومة في القراءات، خاصة قراءة ابن كثير سماها: "الهداية المرضية لطالب القراءة المكية"، تشتمل على 204 بيتا.

و مع أن أساتذة القراءات التي ألفت كذلك في هذا العصر نذكر، "اتقان الصنعة في القراءات السبعة" لأحمد بن شعيب[5] (ت1015هـ/ 1606م)، و"شرح فتح المنان على مورد الظمآن" لعبد

---

[1]- القادري، نشر المثاني، ج1، ص9؛ عباس بن ابراهيم، أعلام ، ج2، ص43

[2]- البستيثني، أستاذ التفسير و الإلهيات، درس بالقرويين، و عاصر الوطاسيين، لكنه عرف كيف يستغل الظروف السياسية الخطيرة التي عاشتها فاس حينذاك، و في عهد السعديين حظي بثقة الملك محمد المهدي الشيخ، فصار من خاصته و أهل مودته، حتى أصبح محمد الشيخ يحضر مجلسه في التفسير و يوسع عليه في العطايا، فحسنت أحواله و تزاحم الطلبة في حلقات تدريسه، عنه ينظر: ابن القاضي، درة الحجال ، ج2، ص201، و لقط الفرائد، ، ص303، التنبكتي، كفاية المحتاج، ص145، ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص89.

[3]- العباس بن ابراهيم، أعلام ، ج4، ص ص 280- 288.

[4]- نفسه، ص308.

[5]- القادري، التقاط الدرر ، ص7.

لعبد الواحد بن عاشر الفاسي[1] (ت1040هـ/ 1631م)، و "تقييد في وقف القرآن" لمحمد السوماتي الهبطي[2] (ت930هـ/ 1524م).

● **التفسير**: أقبل علماء العصر السعدي على تفسير ما استنسخ من الشروح التي عجت بها الخزائن العامة و الخاصة و اقتصر تدريسه على المستوى العالي من التعليم، في حين كان يلقن دروسا للناس في المساجد ، و من أهم التفاسير التي ألفت في هذا العصر:

– اللباب المختصر لأهل العبادات و النظر[3] للحاج الشطيبي محمد بن علي البرحي (ت963هـ/ 1555م)، و شرحه هذا هو مختصر لشرحه "اللباب في حل مشكل الكتاب".

– تفسير الفاتحة لعبد الرحمن بن محمد الفاسي[4] (ت1036هـ/ 1626م).

– حاشية على تفسير الجلالين لنفس المؤلف[5].

و قد اشتهر من المفسرين أبو القاسم بن ابراهيم الدكالي المشترائي الذي اختص في القراءات السبع[6] و علي بن محمد الأنصاري السجلماسي (ت1054هـ/ 1644م).

● **الحديث**: ازداد الإقبال عليه لا كعلم فحسب، بل باعتبار مقام صاحبه الرسول صلى الله عليه و سلم، لذلك فقد كان كل ما يتصل بالرسول الكريم له مكانة خاصة ومميزة في هذا العصر، و قد زاد في ترسيخ هذه المكانة انتماء الأسرة المالكة لآل البيت، لذلك فقد كان صحيحا البخاري

---

[1]– مورد الظمآن، من وضع محمد الخراز الأموي (ت718هـ/ 1618م) و موضوعه خط المصحف الذي يعتبر في اطار القراءات، ينظر: ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع، ص416، و المغرب عبر التاريخ، ج2، ص460.

[2]– حركات، السياسة و المجتمع ، ص 416، و المغرب عبر التاريخ، ج2، ص460.

[3]– محمد البشير الفاسي، قبيلة بني زروال ، ص54، و توجد نسخة من هذا الكتاب في خ.ع. بالرباط، رقم 1644د.

[4]– القادري، نشر المثاني ، ج1، ص66.

[5]– يوجد بالخزانة العامة بالرباط، رقم 1837ر.

[6]– الكتاني، سلوة الأنفاس، ج2، ص128.

ومسلم يدرسان في كل مكان[1]، و قد ذكر ذلك التمكروتي صاحب "النفحة المكية" و أنه قرأ صحيح البخاري بتطوان و هو ينتظر وصول الباخرة التي ستقله إلى المشرق قادمة من الجزائر[2].

ومن المؤلفين في الحديث في هذا العصر:

– محمد بن أبي بكر الدلائي الذي شرح موطأ عياض، و الذي وصف بأنه آخر نحاة العرب[3].

– عبد الرحمن بن محمد الفاسي (ت1036هـ/ 1626م)، و له شرح على صحيح البخاري يحتوي على مسائل مفيدة ذكرها صاحب نشر المثاني[4]، و له كتب أخرى في الفقه و الأصول وتفسير القرآن و الحديث.

– حرزوز المكناسي (ت961هـ/ 1553م)، و قد ألف "الكوكب الساري في اختصار صحيح البخاري"، و منه نسختان بالرباط[5].

• **علم الكلام**: أكثره منظومات أو شروح على السنوسية، و على العموم فقد كان تدريس هذه المادة عقيما في طريقته و نتائجه بسبب الجدل الفلسفي الغامض الذي يصطبغ به مع كثرة الشروح و الأراجيز، و مع ذلك فقد وضعت كتب كثيرة في علم الكلام أو التوحيد جلها خصصت للطلبة، و من بين المؤلفين و المؤلفات في هذا الباب نذكر:

---

[1]– من كتب الحديث الأكثر تداولا في هذا العصر، و التي كانت تدرس للطلبة كتاب "العمدة" و "الشفاء" لقاضي عياض.

[2]– التمكروتي، النفحة المسكية ، ص9.

[3]– اليوسي، الفهرست، م.خ.ع الرباط، رقم 1234د.

[4]– القادري، نشر المثاني ، ج1، ص66، المحبي محمد، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج2، المطبعة الوهبية، القاهرة، 1867م، ص378.

[5]– الحسن بن أحمد حرزوز: من أسرة مكناسية اشتهرت بالعلم و السياسة، حظي بمكانة مرموقة لدى المتأخرين من أمراء بني بني وطاس، الذين كان يناصرهم على المنابر، و ينفر الناس من خصومهم السعديين، لذلك كانت نهايته أن مات هو و ابنه على يد أعوان محمد الشيخ، عنه ينظر: ابن عسكر، دوحة ، ص82؛ ابن القاضي، درة الحجال ، ج1، ص228، و جذوة الاقتباس، ص105، و لقط الفرائد، ص204؛ الحضيكي، الطبقات ، ج1، ص159، ابن زيدان، اتحاف، ج3، ص 6، 7؛ محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج2، ص439.

– محمد بن عبد الله الهبطي (ت1001هـ/ 1592م)، و له تقييد يتعلق بمعنى كلمة توحيد، ولا يتجاوز صفحتين، و لكنه يتضمن معلومات لغوية مفيدة[1].

– الحسن بن محمد الهداجي الدراوي (ت1036هـ/ 1626م) له شرح في العقيدة الصغرى للسنوسي.

– عبد الرحمن بن محمد الفاسي (ت1036هـ/ 1626م)، له تقرير على شرح عقيدة السنوسي[2].

– محمد المأمون الحفصي المراكشي (ت1037هـ/ 1627م) له شرح على العقيدة الصغرى[3].

– عبد الرحمن بن محمد التمنراتي (1060هـ/ 1650م) له شرح على منظومة "كفاية المريد"

– أحمد التزركيني، له منظومة في العقائد، و منظومة في التوحيد[4].

– أيبورك بن عبد الله[5]، له شرح عقيدة سعيد بن محمد الهبطي، و شرح عقيدة المهدي بن تومرت. تومرت.

– أحمد بن عبد الله[6]، له شرح على العقيدة الصغرى.

● **الفقه:** وجبت الإشارة إلى التقدم الذي حققه الفقهاء في ميدان الفتيا و النوازل مراعين للأعراف المحلية، و متشبثين في نفس الوقت بأصول الشريعة.

أما ما يميز هذا العصر هو اختفاء "مدونة سحنون"[1] من المؤسسات الدراسية بعدما فرضت نفسها في الفقه المالكي بالمغرب الاسلامي عدة قرون، ليستأثر بالرجوع إليها كبار الفقهاء و المفتين و المؤلفين.

---

[1]– ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص418.

[2]– نفسه، ص418.

[3]– نفسه، الصفحة نفسها.

[4]– محمد المختار السوسي، سوس العالمة ، ص179.

[5]– نفس المصدر، ص183.

[6]– محمد المختار السوسي، سوس العالمة ، ص 184.

بينما ظلت مؤلفات "خليل"[2] تتصدر الكتب الفقهية في المؤسسات التعليمية آنذاك.

و من أبرز المؤلفين في الفقه نذكر:

– أبو العباس أحمد بن علي المنجور الفاسي[3] (ت 995هـ/ 1586م) السالف الذكر، و هو أستاذ أحمد المنصور و ابن القاضي و التنبكتي، صبغ بين الفقه و الاصول والأدب و التاريخ والبلاغة و القراءة و الفرائض و الحساب، كان شديد التقشف والارتباط بالسنة، من مؤلفاته، "شرح على قواعد الزقاقية" و "شرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب"، و "خلاصة شروح ألفية بن مالك"

– عبد الواحد بن عاشر الأنصاري[4] (ت1040هـ/ 1630م)، درس على القصار والجنوي، وأبي عبد الله الجنان و غيرهم، جمع بين الثقافة الدينية و الرياضية، ومن مؤلفاته: "نظم المرشد المعين في مبادئ الفقه و التوحيد"، و قد مال شهرة فائقة تضاهي شهرة الأجرومية في النحو، و له حاشية

---

[1]– سحنون هو أحد الفقهاء المغاربة الأولين الذي يعتمد على آرائهم و فتاويهم في الفقه المالكي، و اسمه عبد السلام بن سعيد التنوخي، ولد بالقيروان سنة 160هـ/777م، و أصله من سوريا، تولى القضاء، واشتهر في العالم الاسلامي بأكمله،= =ينظر: الزركلي، أعلام ، ج4، ص129؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك و تقريب المسالك، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، ج4، مطبعة الرباط، 1965، ص ص 44- 88.

[2]– خليل بن اسحاق الجندي (ت776هـ/ 1374م) فقيه مالكي وضع مختصرا للفقه بالغ الاختصار والشمول، اشتهر باسمه و نال حظوة كبيرة في العالم الاسلامي في حياة صاحبه و بعده، ينظر: الزركلي، أعلام ، ج2، ص364، و من فقهاء تونس الذين اعتمدت آراؤهم في النوازل أبو القاسم البرزلي (ت 844هـ/ 1440م)، و هو تلميذ للفقيه ابن عرفة.

[3]– ابن القاضي، درة الحجال ، ج1، ص156؛ ابن عسكر، دوحة الناشر ، ص59، و لقط الفرائد، ص289 ؛القادري، نشر المثاني ، ج1، ص55؛ مخلوف، شجرة النور الزكية ، ص287؛ اليفرني، صفوة ، ص4؛ الحضيكي، الطبقات ، ج1، ص32؛ التمنراتي، الفوائد ، ص ص 37- 50؛ المقري، روضة الآس ، ص285، 286؛ التنبكتي، كفاية، ص17؛ المحتبي، خلاصة الأترج، ج3، ص96؛ ابن زيدان، اتحاف ، ج1، ص319.

[4]– القادري، نشر المثاني ، ج1؛ اليفرني، نزهة، ص234؛ الحضيكي، الطبقات ، ج2، ص273، 274؛ مخلوف، شجرة النور ، ص300؛ ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص256.

على شرح مختصر خليل للتتائي، و محاذاة مختصر خليل و هو أستاذ ميارة الذي شرح له "نظم المرشد"[1] (صغير وكبير).

و أكثر ما ألف في هذا العصر من كتب الفقه و العقائد حوادث و شروح، ومن أهم كتب النوازل: "الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة" لعبد العزيز الزياتي[2]، و نوازل المسناوي و الفتاوي لميارة، و جمع نوازل ابراهيم بن هلال لعلي بن أحمد التامنراتي[3]، و بالإجمال فإن القرنين العاشر و الحادي عشر (16- 17م) يمثلان أخصب فترتين في تأليف النوازل بالمغرب، و من المؤلفين هذا العصر كذلك.

- عيسى بن عبد الرحمن السكتاني الرجراجي صاحب "نوازل الرجراجي"[4].
- محمد العربي الفاسي (ت1052هـ/ 1642م)، صاحب "سهم الاصابة في حكم طابة"[5].
- علي بن ابراهيم اللحياني الذي جمع نوازل ابراهيم بن هلال[6].

- **التصوف**: من الذين ألفوا فيه:

- عبد الوارث الياصلوتي السالف الذكر (ت971هـ/ 1564م)، و له "المسلك القريب" عالج فيه صفات النفس و واجبات الشيخ المريد[7].

---

[1]- محمد ميارة، الدر الثمين و المورد المعين في شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، مطبعة أحمد بابي الحلبي، القاهرة، جزئين، 1305هـ/ 1887م.

[2]- يوجد عدة نسخ منه بالمغرب كمخطوطتي خ.ع. بالرباط، رقم 66ج، و رقم 1698د، و به 500 صفحة، و المؤلف من فقهاء تطوان و يوجد قبره بها، ينظر: محمد داود، تاريخ تطوان، ج1، ص341.

[3]- محمد المختار السوسي، سوس العالمة، ص178.

[4]- عيسى السكباتي (ت1062هـ/ 1652م) توجد بعض النسخ من نوازله مخطوطة كنسخة خ.ع. بالرباط، رقم 84، وقد كان السكتاني، مفتيا و قاضيا بمراكش، و من مؤلفاته أيضا "حاشية على شرح أم البراهين للسنوسي"، ينظر: الزركلي، أعلام، ج5، ص288.

[5]- ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص420.

[6]- محمد المختار السوسي، سوس العالمة ، ص180.

[7]- محمد البشير الفاسي، قبيلة بني زروال ، ص 54، 55؛ ابن عسكر، دوحة، ص 5، 6.

– أبو العباس أحمد الشعيبي الصومعي التادلي[1] (ت1013هـ/ 1604م)، و من مؤلفاته "شرح الحكم العطائية" في أربعة مجلدات[2] المعروف بمطالع الأنوار.

– محمد بن أحمد المسناوي له فوائد في التصوف.

– محمد بن علي النيجي الزروالي (ت1030هـ/ 1621م) له شرح "صلاة القطب" عبد السلام ابن مشيش[3].

– عبد الله بن محمد الغزواني (ت935هـ/ 1528م) بمراكش، له تقاييد في التصوف في نحو 270 صفحة[4].

عبد الله بن عبد الرزاق العثماني (ت1027هـ/ 1528م)، له "بداية السلوك" في 17 ورقة، و هو منظومة في التصوف، وضع لها شرحا كذلك[5].

– عبد الله بن محمد الهبطي الطنجي[6] (ت963هـ) و له ألفية في ذم البدع المتفشية في أيامه.

ب– الأدب:

---

[1]– عالم صوفي تخرج بفاس على طبقة عبد الواحد الونشريسي، أسس زاوية بضاحية بني ملال، حيث أخذ يعلم فيها الصبيان القرآن الكريم، و العلوم اللغوية و الشرعية للكبار، عنه ينظر: المقري، روضة الآس ، ص ص 300- 303 اليفرني، صفوة،= =ص ص 22- 25؛ العباس بن ابراهيم، الأعلام، ج2، ص ص 72- 78؛ الحضيكي، الطبقات، ج1، ص ص 74- 77، الكتاني، فهرس الفهارس ، ص 116- 117، ليفي بروفنسال، الشرفاء ، ص 239- 240.

[2]– و من مؤلفات الصومعي أيضا: "التشوف الصغير" و هو مجموع تراجم لصوفية العهد السعدي خاصة، و شرح المنظومة الرائية التي وضعها أبو العياش الشريشي، و "مناقب أبي يعزى"، و "مناقب أبي مدين وأبي العباس السبتي"، و يذكر المقري في "الروضة" أنه اطلع على أزيد من ستين مصنفا للصومعي، ينظر: روضةالآس، ص300؛ العباس بن ابراهيم، أعلام ، ج2، ص ص 72- 78.

[3]– ترجم له اليفرني، صفوة، ص43، العربي الفاسي، مرآة المحاسن، من أخبار الشيخ أبي المحاسن، المطبعة الحجرية بفاس، 1324هـ/ 1906م، ص 77، 78، 210، 214.

[4]– توجد نسخة مخطوطة منه بالخزانة العامة بالرباط، رقم 2002د.

[5]– مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم1، 1824د، و رقم2، 1824د.

[6]– ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ ، ج2، ص462.

اجتمعت كل العوامل و الظروف التي تشجع على ازدهار الحركة الأدبية، فهناك مراكز وحواضر ثقافية منتشرة في ربوع البلاد منها فاس و مراكش، وسوس...و غيرها، و هناك عناصر بشرية كثيرة كان لها تأثير بالغ الأهمية في الحياة الأدبية من أندلسيين و سودانيين و أتراك، وأوروبيين و مغاربة[1] و مشارقة وغير ذلك مما انبثق تنوع أدبي، خاصة و أن البلاد كانت تعيش ظروف الجهاد والمقاومة و الاستنفار، بالإضافة إلى وجود أدب شعبي فطري متنوع بعد الملحون من أبدع فنونه[2]، كما أن كثيرا من الملوك و الأمراء السعديين تميزوا بذوق أدبي رفيع مما جعلهم يشجعون الشعراء و الكتاب على الإبداع و التأليف، كما ذكرنا سابقا، ولوفي إطار المدح و المناسبات الدينية كالمولد النبوي و الأعياد أو الانتصارات التي حققها السعديون.

و قد كانت ميزة هذا العصر اتقان المدح حتى من الفقهاء، للتعبير عن ولائهم للملوك والأمراء و كبار رجال الدولة و بالتالي الحصول على عطاياهم و صلاتهم.

و في عهد المنصور توفرت الوسائل المادية لتشجيع الفكر و الثقافة عامة، فحظي الأدب و الأدباء برعاية فائقة، و أغلقت المكافآت بصورة خاصة و أحيانا مفرطة ومبالغ فيها.

و تعد انتصارات الملوك أخصب موضوعات المدح[3]، حيث تنافس فيها الشعراء للحصول على رضى و تشجيع الملوك و ذوي الجاه، بالمقابل فإن أشهر الشعراء ذكرا هم من الموظفين السامين الذين يحظون بعطف خاص من البلاط، وقد كان هذا المدح لا يقدم جديدا في صفات

---

[1]- سنأتي على ذكر هذه التأثيرات الثقافية لهذه العناصر البشرية في الفصل الأول من الباب الثالث، باعتبارها من العوامل المؤثرة في الروابط الثقافية بين الاقليمين في القرن 10هـ/ 16م، عنها ينظر: محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج1، ص ص 64- 71؛ عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص ص 227- 305.

[2]- ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ ، ج2، ص454.

[3]- أغلب قصائد المديح السياسي قيلت في المنصور الذهبي بعد أن حقق انتصارين عظيمين، الأول على المسيحيين في معركة وادي الخزائن، و الثاني على بلاد السودان بإخضاعها للسلطة السعدية، هذا إضافة إلى قصائده على الثورات الداخلية التي كانت تشب من حين لآخر في الريف أو الجنوب، و قد تخير الشعراء المادحون لقصائدهم مقدمات في وصف السيوف والأسلحة أو في وصف النصر حينا أو في الغزل حينا لآخر، ينظر: نجاة المريني، الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي، ص111.

الممدوح التقليدية، و التي عرفت منذ العصر العباسي، حيث كان الخلفاء يوصفون بالبطولة والدفاع عن حوزة الاسلام والكرم إلى ذلك[1].

و يعد أبو فارس الفشتالي[2] من أقدر الشعراء في هذا الباب، من ذلك أنه ألقى بين يدي المنصور على إثر فتحه لأصيلا، قصيدة قال فيها:

بكر الفتوح لكم تهلل بشرها *** وافتر عن شنب المسرة ثغرها

و عقيلة الأمصار و هي أصيلة *** أنت العزيز لذا أطاعتك مصرها

و أتى بها الفتح المبين يزفها *** لكم و ليس سوى قبولك مهرها

خضعت لكم بخضوعها الدنيا و قد *** لباك من بطحاء مكة حجرها

أو طيء جيوشك أرض أندلس فقد *** آن الحصاد لها و ارطب بسرها[3]

و لم تخل الإمارات و الجمهوريات المستقلة ذاتيا من شوراء يمدحونها أو يحمسونها، كما كان للزاوية الدلائية مثلا شاعرها أحمد الدغوغي[4]، و له فيها عدة قصائد، كما برع في الأدب من رؤساء الزاوية أنفسهم كمحمد بن الحاج آخرهم الذي خاطب أهل فاس و كانوا ضد الحكم الدلائي بقوله:

يا أهل فاس فيكم خصلة *** لم يحترف بها سوى من أسا

للكيد قد أظهرتم ودكم *** و ذاك أمر من أمور النيسا

أقسم بالله و آياته *** و الطبل لا يضرب تحت اليكسا

ان لم تردوا النفس عن غيرها *** لأضربن وتينكم و النيسا[5]

---

[1]- ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص424، و المغرب عبر التاريخ ، ج2، ص 454- 455.

[2]- عنه و عن شعره، ينظر، ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص190؛ الفشتالي، مناهل الصفا في أماكن متفرقة ؛اليفرني، نزهة الحادي في أماكن متفرقة؛ المقري، روضة الآس ، ص7؛ القادري، نشر المثاني ، ج1، ص174؛ العباس بن ابراهيم، الإعلام، ج5، ص221؛ بروفنسال؛ مؤرخو الشرفا، ص82؛ محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج2، ص399 ؛محمد بن تاويت، الوافي بالأدب المغربي ، ج3، ص692؛ نجاة المريني، الشعر المغربي ، ص ص 417- 445.

[3]- المقري، روضة الآس ، ص113.

[4]- الحوات الشفشاوني، البدور الضاوية ، ص ص 170- 180.

[5]- الحوات الشفشاوني، البدور الضاوية ، ص 239.

أما المديح النبوي فقد تعزز على الخصوص بمساهمة المكون، و يعد عبد العزيز المغراوي أكبر شعراء هذه الحقبة في فن المكون، و قد كان أناس يضربون المثل بشهرته حيث قال: "كل طويل خاوي غير النخلة و المغراوي"[1].

كما نالت حركة الجهاد نصيبا كبيرا من اهتمام الشعراء إذ اعتبر شعر المقاومة و النضال أهم سمات أدب القرنين العاشر و الحادي عشر[2]، و معركة وادي المخازن، خير محفز لقرض الشعر إذ تهافت فيها الشعراء على بذل أفضل ما عندهم، أما فتح السودان الذي لم تتكافأ فيه قوى الطرفين، فقد تعددت القصائد التي أنشئت فيه حيث كان المغرب يعيش في الواقع فترة تطلع إلى افتتاح الأندلس[3].

و إثر فتح تيكورادين ألقى عبد العزيز الفشتالي قصيدة من أبياتها[4]:

تبدي هلال السعد من مطلع النصر *** و لا حث بروق المجد من علم فخر

فمن همم أضحى الثريا لها ثرى *** و من عسكر يقتاده رائد النصر

مقام ملوك الأرض من سطواته ***مقام بغات الطير من مخلب الصقر

و لما كان أحمد المنصور تراوده أحلام فتح الأندلس، نجد الأديب علي بن أحمد المسفيوي[5] المسفيوي[5] يدعوه إلى التحرك نحو اسبانيا و الأراضي الاسلامية بعد فتحه السودان، فأنشد:

فملكت أقطار الجنوب و ما تسمت *** لمنال ذلك همة الاسكندر

و تنال أندلسيا بجود ربوعها *** برد المنية من قتام العثير

---

[1]- محمد الفاسي، الأدب الشعبي المغربي الملحون، مجلة البحث العلمي، ع1، الرباط، 1964، ص57.

[2]- ينظر مجموعة الأشعار السعدية، ملحق مناهل الصفا، ص263؛ عبد الحق المريني، شعر الجهاد في الأدب المغربي من عهد الأمير يوسف بن تاشفين المرابطي، حتى عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام العلوي، رسالة لنيل دكتوراه الدولة في الأدب المغربي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، 1996، ص107.

[3]- عبد الحق المريني، المرجع السابق، ص 128- 129.

[4]- المقري، روضة الآس ، ص165.

[5]- الفشتالي، مناهل الصفا ، ص 89- 90؛ المقري، روضة الآس ، ص163؛ابن القاضي، درة الحجال ، ج1، ص240؛ المقري، نفح الطيب ، ج6، ص49؛ الناصري، الاستقصاء ، ج5، ص152؛ ابن القاضي، المنتقى المقصور، في أماكن متفرقة؛ العباس بن ابراهيم، الإعلام، ج3، ص150؛ محمد بن تاويت، الوافي بالأدب المغربي ، ج3، ص681 ؛نجاة المريني، المرجع السابق، ص ص 355- 367.

و يقول بعد ذلك:

فكأن بمصر اعتراض من بعد المدى *** من جوهر[1] بحسام بأسك جؤذر[2]

فلسوف يطوي مغربا و مشارقا *** و يزور دجلة و الفرات بعسكر

و بغض النظر عن هؤلاء الشعراء الرسمين الذين يتوجهون بقصائدهم إلى العاهل، نجد طبقة من الشعراء و الأحرار يتوجهون مباشرة إلى الشعب المغربي وسائر الأمة الاسلامية قصد احياء أمجادها و رفع الذل عنها، فهذا ابن يجبش التازي[3] يحض على الجهاد و التضامن في تائية رائعة فيقول[4]:

أيا معشر الاسلام يا أمة المهدى *** ترقوا إلى أعلى مقام الأخوة

فقد شاع في الأقطار حال افترائكم *** و ما بان في الاسلام من سوء شلمة

فلم يطمح الملعون فيما أصابه *** من القوم إلا باختلاف و فرقة

على البر و التقوى جميعا تعاونوا *** و ما هو إلا باجتماع و ألفة

و لأن ابن يجبش عايش ظروف تأسيس الدولة السعدية، و ظروف انقسام المغرب إلى عدة دويلات من بعدهم فقد كان خطابه للأمة و دعوته إلى النضال دعوة جماعية.

و قد كانت المرثيات تحتل مقاما كبيرا في الشعر المغربي، لأنها تشغل ذلك الجانب الأخروي الذي يجعل الفرد يفكر يقينا بالموت و البعث، و مما رثي به سعيد الجزولي[5] محمد الحران نجل المهدي الشيخ المتوفى سنة 955هـ/ 1548م، قوله:

نعي أتاني و النعي محمد *** رددت عليه و الدموع جواب

يكاد لمن شدت عدى الملك كفه *** و من رأيه في المعضلات شهاب

---

[1]- يقصد به جوهر الصقلي قائد جيوش المعز الفاطمي الذي فتح مصر سنة 358هـ.

[2]- يقصد به جوذر قائد جيش المنصور الذي فتح بلاد السودان سنة 999هـ.

[3]- - ابن يجيش التازي (ت920هـ/ 1514م)، عالم صوفي، أديب و فقيه له عدة مؤلفات أهمها: "تنبيه الهمم العالية على الصدقة و الانتصار للملة الزاكية، و قمح الشرذية الطاغية" و هي رسالة في الجهاد في سبيل الله، و هي ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط، رقم336، بالإضافة إلى كتاب "أحكام فقهية" و "تخسيس بردة البويصري"، ينظر: أبو بكر البوخصيبي، أضواء على بن يجيش التازي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1976،ص 109.

[4]- أبو بكر البوخصيبي، المرجع السابق، ص101.

[5]- مؤلف مجهول، مجموعة أشعار سعدية ، ص290، ملحق المناهل الذي نشره عبد الله كنون.

و قد كان الشعراء يرثون مدنهم التي احتلها العدو لاسيما العرائش التي سلمها محمد المأمون بن المنصور للاسبان فرثاها قاضي القصر الكبير محمد بن عبد الله الزيات بقصيدة مطلعها[1]:

ألا يا ملوك الغرب دالت شموسكم***و ألبستم ثوب الردى و الفضيحة

و مما لا يدع مجالا للشك أن أجمل فترة للنثر الفني بالمغرب هي هذه الفترة، حيث نجد أسلوب الجدل بارزا منطلقا من روعة الاستدلال، و حسن الاقتناع و الانسجام بين اللفظ و المعنى، و ما يكتبه الأدباء من مؤلفات يتميز في الغالب برشاقة الأسلوب و الاطلاع الواسع على أسرار اللغة، كما يتجلى ذلك في مناهل الصفا للفشتالي و الذي تأثر بأسلوب ابن خلدون في "العبر"[2].

و من الأدباء البارزين في هذا العصر نذكر:

– أبو فارس عبد العزيز بن ابراهيم الفشتالي[3]: ولد بفشتالة سنة 952هـ/ 1545م، أو 956هـ/ 1549م، اشتهر أمره كمؤرخ للدولة السعدية من خلال كتابه "مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا"، و كرئيس لديوان الانشاء بقصر أحمد المنصور السعدي أو وزير القلم الأعلى في مراسلاته السياسية للعثمانيين و الأفارقة[4]، و كشاعر العصر من خلال قصائده المدحية المتعددة[5]، المتعددة[5]، من أكبر شعراء المغرب على عهد السعديين، برع في علوم الأدب و التاريخ فنال حظوة حظوة عند السلطان عبد المالك السعدي الذي تباهى به فقال: "نفخر به على ملوك الأرض و نباري به لسان الدين بن الخطيب"[6].

---

[1]– القادري، نشر المثاني ، ج1، ص58.

[2]– ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص429.

[3]– ينظر ترجمته في اليفرني، نزهة الحادي ، ص267؛ المقري، نفح الطيب ، ص112؛ عبد الله كنون، أبو فارس الفشتالي، سلسلة مشاهير المغرب، و رسائل سعدية.

[4]– مصطفى الشليح، عبد العزيز الفشتالي شعره، لنجاة المريني، دعوة الحق، العدد 248، شعبان 1405، ماي 1985م، ص1.

[5]– يرى المقري لأنه لو لم يكن للدولة السعدية من شاعر سوى أبي فارس الفشتالي لكفاها فخرا، ينظر المقري، روضة الآس، الآس، ص113.

[6]– المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص223.

و قد كان الفشتالي وزيرا للمنصور و أحد شعراء الريحانة و السلافة، قرأ بفاس و مراكش، تتلمذ على المنجور و عبد الواحد الشريف، و أساتذة آخرين بفاس، ومن مؤلفاته، "مناهل الصفا في أخبار موالينا الشرفاء" في عدة مجلدات، ظهر الجزء الثاني منها ملخصا على يد المحقق الأستاذ عبد الله كنون بالرباط، المركز الجامعي للبحث العلمي (1384هـ/ 1964م) و نفس المجلد نشر سنة 1973 على يد الدكتور عبد الكريم كريم بالرباط، وزارة الأوقاف مع زيادات في هذه النسخة.

"مدد الجيش"[1] و هو تقليد لجيش التوشيح لابن الخطيب، و يضم موشحات مغربية بينها موشحات لأحمد المنصور، و "شرح المقصورة" للمكودي، كما رتب أبو فارس ديوان المتنبي حسب الحروف الهجائية بأمر المنصور، و قد نقل المقري الكثير من رسائل الفشتالي و أشعاره[2] التي ورد عدد منها أيضا في "مناهل الصفا" لأبي فارس، توفي سنة 1032هـ/ 1622م، في أيام زيدان بن المنصور.

– محمد بن علي الهوزالي[3]: هو شاعر[4] الدولة السعدية (ت1012هـ/ 1604م)، المعروف بالنابغة، أديب بارع، شارح ديوان المتنبي[5]، فقيه مشارك تولى القضاء ببعض المناطق السوسية، قبل قبل أن ينتقل إلى بلاط أحمد المنصور في مراكش، كما أسندت إليه الفتوى و التدريس بحاضرة المحمدية، حيث يمزج بين دروس الفقه والأدب و التاريخ، و من الأدباء المرموقين في هذا العصر أيضا:

---

[1]– كانت توجد نسخة منه بالقرويين حتى أوائل القرن 14هـ/ 20م، ابن سودة دليل المؤرخ، ج2، ص406.

[2]– تشتمل مجموعة الرسائل سعدية التي نشرها الأستاذ عبد الله كنون على 33 رسالة من انشاء أبي فارس.

[3]– ترجم له: الفشتالي، مناهل الصفا ، ص236؛ ابن القاضي، درة الحجال ، ج2، ص233؛ المغزي، روضة ، ص ص 99- 107؛ التمنراتي، الفوائد ، ص 40- 41؛ الحضيكي، الطبقات ، ج2، ص47؛ ليفي بروفنسال، الشرفا، ص102، هامش2؛ محمد حجي ، الحركة الفكرية، ج2، ص408؛ عبد الله كنون، النبوغ ، ص263.

[4]– للاطلاع على بعض أشعاره ينظر: محمد المختار السوسي، سوس العالمة ، ص77؛ و مجموعة أشعار سعدية لمؤلف مجهول لملحق مناهل الصفا، ص301.

[5]– العباس بن ابراهيم، إعلام ، ج4، ص201.

- سعيد الماغوسي[1].

- محمد بن علي الفشتالي (ت1021هـ/ 1612م).

- عبد الخالق بن محمد بن أبي بكر الدلائي[2].

- أحمد بن محمد المعروف بابن الغرديس التغلبي[3].

و من كتب الأدب المؤلفة في هذا العصر غير التي ذكرناها سالفا:

"طلائع اليمن و النجاح" لمحمد بن عبد العزيز التاملي (ت1030هـ) في مدح المأمون السعدي ،"شرح مقصورة المكودي" لأبي بكر التاملي[4] ،"مجموع نثر و شعر" لمحمد أمحاولو ،"ديوان سعيد بن علي الجامدي" ،"ديوان محمد بن عبد العزيز الرسموكي"[5] ،"ديوان عبد العزيز الفشتالي"[6] ،"ديوان أشعار العلويين" نسب لأحمد المنصور الذهبي و يتضمن أزيد من ألف ترجمة[7] ،"ديوان عبد الله بن علي بن طاهر" (ت1044هـ/ 1634م)[8].

أما في النثر، فإضافة إلى ما كتبه الفشتالي، تعد رسالة بن يجبش التازي في الجهاد[9] من أروع ما كتب في أدب القرن العاشر عامة.

ج- علوم اللغة:

شهدت هذه العلوم اقبالا واسعا سيما في الأوساط البربرية على الرغم من أنه لم يحدث أي تجديد يستحق الذكر في هذا المجال، ذلك أن المصنفات و المنظومات التي وضعت في العصر المريني ظلت تستعمل بعده إلى وقت متأخر، فقد ظلت الألفية و الأجرومية بمختلف شروحها تتصدران

---

[1]- المقري، روضة الآس، ص263.

[2]- عبد الودود التازي، نزهة الأخبار المرضيين في مناقب العلماء الدلائيين البكريين، م.خ.ع الرباط، رقم 1264ك.

[3]- المقري، روضة الآس ، ص183.

[4]- محمد المختار السوسي، سوس العالمة، ص224.

[5]- نفسه، الصفحة نفسها.

[6]- ابن سودة، الدليل، ص387.

[7]- الفشتالي، مناهل ، ص216؛ ابن سودة، المرجع السابق، ص387.

[8]- ابن سودة، الدليل، ص387.

[9]- أبو بكر البوخصيبي، المرجع السابق، ص ص 85- 104.

عناية الطلاب و الأساتذة، أما كتاب سيبويه فقد قل الاهتمام به في الوقت الذي استمرت العناية فيه بشرح المرادي على الألفية و المغني لابن هشام، و التلخيص لابن البناء[1].

و من أشهر النحاة و اللغويين في هذا العصر:

– أحمد بن الحسن بن عرضون قاضي شفشاون و مؤلف مجموعة الوثائق العدلية الشهيرة[2].

– يوسف التدغي[3].

– محمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي[4] الملقب بالمرابط و الذي وصفه اليوسي بخاتمة النجاة.

– أبو الحسن علي بن الزبير السجلماسي (ت1035هـ/ 1625م)[5] الذي وصفه المحبي بإمام النحاة في عصره، و قد برز في علوم اللغة عامة، و زاول التدريس بفاس، وهو تلميذ ابن مجبر المساري و أحمد المنجور، و من بين طلبته السكتاني[6].

– القاسم بن محمد بن أبي العافية المعروف بابن القاضي[7]، و كان أستاذ كرسي بجامعة القرويين، و من مؤلفاته، شرح الألفية، شرح الأرجومية، تقاييد دقيقة حول شرح المرادي.

و من أهم كتب اللغة و النحو:

– حديقة الأزهار في شرح ماهية العشوب و العقار لأبي القاسم الغساني رئيس الأطباء في عهد المنصور، و قد وضع ملخصا لمعجمه هذا سماه "كشف الرموز" وهو معجم طبي يتناول شرح المفردات الطبية، و بذلك يكون كتاب لغة و طب[8].

---

[1]- ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص433 و المغرب عبر التاريخ، ج2، ص463.

[2]- ابن القاضي، درة الحجال ، ج1، ص679.

[3]- نفسه، ص624.

[4]- اليوسي أبو علي، الفهرست، م.خ.ع الرباط، رقم 1234د، ص135.

[5]- المحبي، خلاصة الأثر ، ج1، ص116.

[6]- المقري، روضة الآس، ص 340، 341؛ المحبي، المصدر السابق، ج1، ص117؛ العباس بن ابراهيم، أعلام، ج4، ص190.

[7]- المقري، روضة الآس، ص 325-، 226.

[8]- المقري، روضة الآس ، ص227.

- فتح اللطيف في علم التصريف لمحمد المرابط الدلائي[1].
- نتائج التحصيل في شرح التسهيل لنفس المؤلف.
- حاشية على شرح المرادي للقدومي.
- مقصورة في الثاء و الذال و الظاء في القرآن.

هناك قائمة طويلة يصعب حصرها من الكتب التي تدور في مجملها حول شرح الألفية.
و من جهة أخرى اهتم السعديون كثيرا بالخط باعتباره من وسائل تعليم اللغة وتحصينها من حيث الشكل، حيث خصصوا له كراسي على غرار ما كان معروفا بالمشرق لا سيما العثمانيين، و منها كرسي بالقرويين.

د- التاريخ و الجغرافيا:

اهتم مؤرخو الدولة السعدية بالتاريخ السياسي لدولتهم و إلى حد ما بتاريخها الفكري وأغلبهم ممن نالوا حظوة لدى البلاط أو كلفوا رسميا بوضع تاريخ الدولة أو لبعض ملوكها مركزين الأحداث في أشخاص الملوك و الأمراء دون أن يطلعونا على ما يشفي الغليل من بعض الأحداث المحلية الرئيسية كثورة ابن أبي محلي و نشاط رجال حركة الجهاد البحري، و مواقف فئات الشعب وزعمائها من الأحداث العامة.

و يمثل عبد العزيز الفشتالي في "مناهل الصفا"، و ابن القاضي في "المنتقى المقصور"، مثالا لهؤلاء المؤرخين الذين اهتموا بالجوانب الحسنة من أعمال الدولة، ربما لأنهما عاشا معا فترة أمجاد هذه الدولة و لم يشهدا إلا قليلا من فترة ضعفها، إضافة إلى أن المغاربة أهملوا كثيرا ما يتعلق بالتاريخ و الأخبار المتعلقة بماضيهم خلال القرنين 10- 11هـ، خاصة و أن النصف الأول من هذا الأخير شهد مولد دويلات و إمارات و حركات انفصلت كليا أو جزئيا عن السعديين، وبالتالي فإن هذه الفترة التي تمتد قرنا و نصفا تتضمن أحداثا: تاريخ دولة السعديين، و تاريخ الدلائيين، و تاريخ المقاومة الشعبية التي تزعمها العياشي، و حركة الجهاد البحري، و تاريخ سائر

[1]- نشر هذا المؤلف بفاس بالمطبعة الحجرية بفاس خلال القرن الماضي.

الإمارات و الثورات الشعبية الداخلية كإمارة أبي حسون في سوس وثورة ابن أبي محلى[1]، و تاريخ إمارة أبي رقراق، و تاريخ حكم الشابانات بمراكش، وغيرها من الأحداث الهامة.

و قد تنوعت الوثائق و المصادر التي اهتمت بالتاريخ أ, كانت مساعدة له، فهي إما في التاريخ العام لهذه الفترة أو توجد على شكل تراجم و مناقب و فهارس شيوخ أو كتب أنساب أو تقارير أجنبية، و من بين مؤلفات هذا العصر:

– مناهل الصفا: لأبي فارس عبد العزيز الفشتالي، و هو يشمل تاريخ الدولة السعدية إلى غاية عهد زيدان، لكن لم يعثر حتى الآن على المجلد المتعلق بعصر المنصور.

– الجمان في تاريخ الزمان: للحاج محمد الشطيبي (ت963هـ/ 1555م)، و منه نسخة ببني زروال بضواحي فاس[2].

– الممدود و المقصور من سنا أبي العباس المنصور لأبي عبد الله محمد بن عيسى الذي توفي بالسجن سنة 990هـ/ 1582م، بإيعاز من المنصور نفسه[3].

– تقييد في أخبار دولة الشرفاء السعديين: لأبي زيد عبد الرحمن السعدي، و توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط.

– تقييد في بعض حوادث الدولة السعدية لابراهيم الورياغلي[4] (ت1047هـ/ 1637م).

– المنتقى المقصور على مآثر مولانا المنصور: لأحمد بن القاضي[5].

– لمحة في تاريخ الدولة السعدية: لأبي زيد عبد الرحمن الفاسي[1].

---

[1]– السوسي أبو علي، المحاضرات، طبعة حجرية، فاس1899، ص282؛ ابراهيم حركات، السياسة والمجتمع ، ص435، والمغرب عبر التاريخ، ج2، ص 464- 465.

[2]– محمد البشير الفاسي، قبيلة بني زروال، المقدمة.

[3]– ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ ، ج2، ص465.

[4]– محمد المكي الناصري، الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة، م.خ.ع، الرباط، رقم 265، ص ص 142- 258؛ ابن سودة، دليل، ج1ص144.

[5]– م.خ.ع، الرباط، رقم764د.

– روضة الآس العطرة الأنفاس: لأحمد المقري (ت1041هـ/ 1631م)[2]، وهو يجمع بين النشاطين السياسي والفكري للدولة.

– ديوان قبائل سوس: لابراهيم الحساني معاصر المنصور، و هو يحدثنا عن قبائل سوس ونشأة الدولة السعدية[3].

– تاريخ السودان: لعبد الرحمن السعدي[4] (1066هـ/1655م)، و هو المصدر الوحيد الذي يزودنا بنشاط الجيش السعدي بالسودان إلى جانب "تاريخ الفتايت"[5].

و من أهم تراجم الملوك و الشخصيات:

– مرآة المحاسن: الذي يعالج حياة وأفكار يوسف الفاسي وأسرته لمحمد العربي الفاسي، والكتاب متداول إذ طبع على الحجر بفاس سنة 1324هـ/ 1906م.

– دوحة الناشر: لابن عسكر[6] (ت986هـ/ 1578م)، و هو مجموع تراجم لعدد من الصوفية وغيرهم ممن شخصيات القرن 10هـ/ 16م.

– مجموعة من مناقب سيدي أحمد أدفال الدرعي[7] (ت1023هـ/ 1614م).

– روضة التحقيق: لعلي بن محمد الدوماني الصحراوي[1]، و هو مجموع تراجم.

---

[1]– توجد نسخة منه خ.ع بالرباط و أخرى عند العلامة عبد السلام ابن سودة صاحب كتاب دليل مؤرخ المغرب الأقصى، بخط مؤلفه، ج1، ص144.

[2]– طبع بالرباط سنة 1383هـ/ 1964م، المطبعة الملكية، تحقيق عبد الوهاب منصور.

[3]– نشره الكولونيل جوستيار سنة 1933، Archives Marocaines, n°29 .

[4]– نشره هوداس و ترجمه سنة 1901.

[5]– محمود دكعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس و ذكر وقائع التكرور، تحقيق هوداس، باريس 1981.

[6]– الطبعة الحجرية بفاس عام 1309هـ/ 1892م)، و بالنسبة للجزء الثاني، طبعة دار المغرب، الرباط، 1976.

[7]– محمد المختار السوسي، سوس العالمة ، ص219.

– الدرر المرصعة في أخبار أعيان درعة: لمحمد المكي الناصري، و مؤلفه من معاصري القرن 12هـ/ 18م، لكن كتابه تضمن تراجم كثيرة من رجالات درعة وأحداثها في القرنين السابقين 10 و11هـ.

– ثلاثة معاجم في التراجم لابن القاضي: جذوة الاقتباس، درة الحجال[2]، غنية الرائض في طبقات أهل الحساب و الفرائض.

– مجموع تراجم خاص بكبار المالكية لعبد الله بن يعقوب[3].

أما فهارس الشيوخ التي تتضمن عادة أسماء الكتب التي درسها مؤلفو هذه الفهارس، لكن تتخللها بعض التفاصيل المتعلقة بالحياة الاجتماعية و التقاليد في بعض المناطق و كذا طرق التعليم و ظروفه، و نذكر منها:

– فهرست شيوخ المنصور لأحمد المنجور.

– الفوائد الجمة لعبد الرحمن التمنراتي.

– فهرست ابن يعقوب اليوسي الذي عاصر أحمد المنصور.

– بذل المناصحة للبوسعيدي (ت1060هـ)

– فهرست عبد الواحد الشريف (ت1003هـ/ 1594م)[4].

– تنوير الزمان بقدوم مولانا زيدان للقاسم بن محمد القاضي (ت1022هـ/ 1613م)[5].

– فهرست عبد الواحد الونشريسي (ت955هـ/ 1548م)[6].

---

[1]– نفسه، الصفحة نفسها.

[2]– نشره علوش بالرباط سنة 1936.

[3]– محمد المختار السوسي، سوس العالمة ، ص183.

[4]– توجد نسخة منه في مكتبة الشيخ الكتاني بالرباط، ينظر، ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الاقصى ، ج2، ص288.

[5]– و هو عبارة عن فهرست شيوخ زيدان بن منصور. ابن سودة ،الدليل، ج2، ص295.

[6]– ابن سودة ،الدليل، ج2 ، ص311.

– فهرست الحسن بن حرزوز المكناسي (ت955هـ/ 1548م)[1].

– فهرست المنصور، و قد ذكره ابن سودة صاحب دليل مؤرخ المغرب الأقصى[2] نقلا عن اليفرني في الصفوة، و هو يتضمن أسماء شيوخ أحمد المنصور، و يمكن أن يكون هذا الفهرس هو الذي وضعن المنجور و قد سبقت الإشارة إليه.

– فهرس محمد القصار الذي أنجزه سنة 998هـ/ 1589م.

– فهرس أحمد التادلي الصومعي.

– فهرس محمد بن أبي بكر الدلائي.

– فهرس علي بن أحمد اللنجري الهبطي (ت1037هـ/ 1627م)[3].

أما المؤلفات و الأخبار عن الحركات الشعبية و الثورية فقد كتبت غالبا بعد سقوط الدولة السعدية بزمن متأخر، و نذكر منها: "الخبر عن ظهور المجاهد العياشي" لأبي أملاق من القرن 13هـ/ 19م، و "البذور الضاوية" لسليمان الحوات في أخبار الدلائيين[4].

أما عن الرحلة فقد كانت مؤلفات هذه الفترة قليلة جدا بسبب انعدام الأمن والاستقرار مقارنة مع القرنين السابع و الثامن الهجريين/13- 14م، اللذين تميزا بتعدد الرحلات التي كانت الغاية السياسية منها وصف البقاع المقدسة و مراحلها ذهابا و إيابا، نجد أن هذه الرحلات تساهم بكيفية مجدية في الجغرافيا التاريخية والتاريخ الاقتصادي و الاجتماعي[5].

ولعل أهم المؤلفات في هذا العصر:

---

[1]– ابن سودة ،الدليل، ج2 ، ص312.

[2]– نفس المصدر ،الصفحة نفسها.

[3]– ابن سودة ،الدليل، ج2 ، ص 213 .

[4]– هناك مؤلفات عديدة وضعت بعد السعديين و تعالج أحداثا وقعت في عصرهم منها: نزهة الحادي لليفرني (ت1140هـ/ 1728م) و الترجمان المعرب لأبي القاسم الزياني (ت1249هـ/ 1809م).

[5]– ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص438.

– رحلة التمكروتي إلى الديار التركية و التي سماها "النفحة المسكية في السفارة التركية"[1]، حيث قام المؤلف بسفارة لدى البلاط العثماني، و التي دون من خلالها كل ما شاهده أثناء إقامته بتركيا ووصفه بدقة، و قد أعجب التمكروتي كثيرا بما بذله العثمانيون من جهود لتجمع القوانين المدنية والعسكرية و ضبطها.

– وصف افريقيا للحسن الوزان[2]، و الذي يتألف في الأصل من ثلاثة مجلدات احداها عن آسيا والثاني عن أوروبا و الثالث عن افريقيا و هو الذي أكسب المؤلف شهرة واسعة كجغرافي لم يصف أحد قبله مناطق افريقيا بمثل دقته و شموله، حيث قسم إلى تسعة أقسام استهله بلمحة جغرافية اجتماعية عن افريقيا، ثم وصف لمناطق الجنوب الغربي من المغرب، ثم المناطق الشمالية و الشرقية منه، ثم وصف لتلمسان وبجاية وتونس والصحراء المغربية عموما، وكذا السودان ومصر لينتقل إلى الثروات الطبيعية من أنهار و نباتات، وحيوانات، ومعادن واسماك وغيرها

هـ– الطب:

اعتاد المغاربة منذ القدم أن يجعلوا من الدراسات الطبية تكميلا لتخصص آخر في العلوم الدينية أو غيرها، لذلك فقد كان المختصون في الطب وحده قليلين في العصر السعدي، و من هؤلاء أبو القاسم بن أحمد بن عيسى المعروف بالغول الفشتالي[3] (ت1059هـ/ 1649م) الذي كان فقيها مشاركا في جملة من العلوم، مبرزا في الطب متفردا فيه و في الهندسة و الحساب، حيث

---

[1]– امتدت هذه الرحلة عامية حتى سنة 999هـ/ 1590م، و رافقه فيها محمد بن علي الفشتالي و هو أيضا من الشخصيات المثقفة في الأوساط الرسمية، و قد قام بتسليم هدايا قيمة باسم أحمد المنصور إلى السلطان مداد سليم، ينظر: ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص439.

[2]– عن حياته ينظر: Léon l’africain, description de l’afrique, traduit de l’italien par, A.Epaulard, lib.d’Amérique et d’Orient, paris, 1956.

[3]– عنه ينظر، عبد الله كنون، النبوغ المغربي ، ج1، ص255؛ محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج1، ص 160، 162، 493؛ جمال يامي، أبو القاسم الغول الفشتالي، جريدة ميثاق الرابطة الالكترونية، العدد 81، 9- 15 مارس 2012؛ أيمان عبد الرحمن العثمان، الفشتاليون في المغرب الأقصى و دورهم في الحياة العامة، مجلة كلية العلوم الاسلامية، العدد 13، 2013.

ألف فيها كتبا عديدة منها: "منظومة المخمس الخالي الوسط"، و شرح نصوص في كيفية قسم الماء لقواديس الديار، أما في علم الطب فقد ألف فيه: "منظومة في الجمع بين الأحاديث النبوية وكلام الأطباء و الحكماء في الطواعين و الأوباء"، و كتاب "حافظ المزاج و لافظ الأمشاج بالعلاج"[1].

و تذكر المصادر التاريخية أسماء أخرى لبعض العلماء المشاركين في علوم عديدة منها الطب أمثال عبد الوهاب بن عاشر، و أحمد بن عبد الله ابن يعقوب السملالي، و ابن سعيد المرغيني[2]، والحسن بن أحمد المسفيوي[3] الأديب البارز في بلاط المنصور و الذي تحدث عنه المقري كعالم قدير في الطب[4].

و على الرغم من أن عدد الأطباء الخبراء تناقص في ظل الحكم السعدي مقارنة مع أسلافهم المرينيين، فإن المؤلفات في الطب قد تعددت أي أن عدد الأطباء النظريين تكاثر عما كان عليه من قبل.

و مع حركة الترجمة التي نشطت في أوروبا فقد ازدهر الطب هناك بفضل ترجمة المؤلفات الاسلامية إلى اللاتينية، لذلك نجد العديد من الأطباء الأوروبيين يلتحقون بالبلاط السعدي ومنهم

---

[1]- هذا الكتاب هو عبارة عن منظومة رجزية تقع في نحو ألف و خمسمائة بيت، مرتب على أربع وعشرين بابا، فيها الحديث عن وجع الرأس و الشقيقة، و الزكام و القروعة و جرب الرأس و داء الثعلب، و ختم بالحديث عن أنواع الأشربة و المربيات والأدهان و الأوزان و المقادير، مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط، رقم 3620.

[2]- هو الفقيه المحدث المشارك أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغيثي السوسي، ولد بمرغيثه سنة (1007هـ/ 1598م)، نشأ مكبا على الدراسة، حتى ظهر نبوغه في العلوم الدينية و الأدب و الحساب والتوقيت و الطب، تصدر لعلاج الناس بمراكش لكنه اعتزل التطبيب، عنه ينظر، جمال يامني، من أعلام المغرب محمد بن سعيد المرغيتي، جريدة ميثاق الرابطة، الكترونية أسبوعية تصدر عن الرابطة المحمدية للعلماء، العدد 88، بتاريخ 27- 4- 2012/ 3- 05- 2002.

[3]- هو أبو علي الحسن بن أحمد المسفيوي المراكشي الأديب الطبيب المزداد عام 968هـ/ 1560م، أخذ علم الطب على شيخه أبي القاسم الوزير الطبيب المشهور، و أخذ المنطق و الحساب و الهندسة على الشيخ أحمد القاضي، و كان المسفيوي على إلمام بعض اللغات الأجنبية، لذلك ذكر المقري أنه قام بتعريب بعض الكتب بإذن من السلطان أحمد المنصور، و لم يبق من آثاره إلا بعض القصائد المديحية، توفي سنة 1003هـ/ 1594م، عنه ينظر: ابن القاضي، درة الحجال ، ج1، ص 240- 241، و لقط الفرائد، ص108، و المنتقى المقصور، ص20؛ الفشتالي، المناهل ، ص 47، 89، 91؛ المقري، نفح الطيب ، ج6، ص49، و روضة الآس، ص ص 163- 173؛ اليفرني، النزهة ، ص173 ؛السلاوي، الاستقصاء، ج5، ص152.

[4]- المقري، روضة الآس ، ص171.

غليوم بيرا طبيب عبد الملك المعتصم، و قنصل فرنسا سابقا بالمغرب، و أرنولد وليل طبيب المنصور ثم ابنه زيدان من بعده[1].

و قد أشار الحسن الوزان إلى الأمراض التي كانت منتشرة في هذا العصر (ت10هـ) و منها: الطاعون و الصرع أو داء النقطة، و حب الافريج و هو مرض الزهري المعروف عند المغاربة بالنوار، و داء المفاصل و الجرب أو الحكة، و القرع، وتضخم الغدة الدرقية و داء الغباوة الناتج عن نقص في البنية، و تكثر هذه الأمراض حيث الفقر و الماء الملوث، و كذا داء الجذام الوراثي، و تذكر بعض المصادر التاريخية أن اليهود الأندلسيين اللاجئين إلى المغرب هم الذين أدخلوا بعض الأمراض التناسلية كالزهري[2].

و من أبرز الأطباء السعديين:

- **أبو القاسم الغساني**[3] محمد بن أحمد من اصل أندلسي المعروف بالوزير، من عائلة مثقفة، ولد سنة 955هـ/ 1548، و بعد دراسة عامة تخصص في الطب على يد والده الذي كان طبيبا أيضا، له عدة مؤلفات منها:

حديقة الأزهار في شرح ماهية العشب و العقار: ألفه سنة 994هـ/ 1558م، و هو يشرح طبيعة و مزايا النباتات المستعملة في العلاج الطبي، و قد رتبه بالحروف الأبجدية[4]، و "شرح منظومة ابن عزرون في الحمية"[5].

1- Jaque Caillé: la petite histoire du maroc, E.d, Casablanca.

2- عبد العزيز بن عبد الله، الطب و الأطباء بالمغرب، مطبعة الرسالة، الرباط، 1960، ص63؛ عبد الصمد العشاب، مساهمة علماء المغرب في ميدان الطب و التطبيب، مجلة التاريخ العربي، ع15، طنجة، ص2.

3- ابن القاضي، درة الحجال ، ج3، ص289؛ المقري، روضة الآس ، ص ص 217- 223؛ محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج2، ص 381- 382؛ عبد الله كنون، النبوغ المغربي ، ج1، ص255.

4- عبد الله كنون، النبوغ المغربي ، ص259.

5- وضع المؤلف مختصرا لكتابه هذا أسماه كشف الرموز، و قد عثر على نسخة منه تعود إلى العصر السعدي، ينظر، ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص442، هامش321.

كان أبو القاسم الطبيب الرئيسي في الإدارة المركزية بمراكش، وصفه ابن القاضي بأنه أحد الأطباء القلائل الذين سلم اعتقادهم لأنه لم يكن يتعاطى الفلسفة كما كان الأطباء قديما[1].

- **عبد الغني بن مسعود بن الحسن الزموري** تلميذ أبي القاسم الغساني، له مؤلف بعنوان "القانون المفيد في علاج الحصى بقول سديد" و توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط[2].
- **محمد بن علي البعقيلي** و له مجموع باسم "طب البعقيلي"[3]
- **أحمد بن عبد الحميد المراكشي** المعروف بالمريد (ت 1048هـ)[4].
- **أبو عبد الله محمد الطبيب**، و قد نسب إليه أنه أنقذ المنصور من مرض مهلك سنة 987[5].

[5]987.

- **أحمد بن عبد الله يعقوب السملالي** السالف الذكر، و قد أشار محمد المختار السوسي إلى أن له مؤلفا في الطب[6].
- **أحمد المنجور** (ت995هـ/ 1587م) و له كتاب "مراقي المجد"[7].
- **أبو محمد سقين السفياني القصري**[8] أحد مشاهير رجال الحديث بالمغرب، له مشاركة في الطب حيث درس ألفية ابن سينا في الطب، و عنه أخذها الناس سنة 956هـ/ 1549م، ومثله الفقيه عبد الواحد ابن عاشر (ت1040هـ/ 1630م) وكانت له معرفة بالطب، وحسن

---

[1]- ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص442، و المغرب عبر التاريخ، ج2، ص468.

[2]- الكانوفي محمد العبري، الطب و آثاره بعاصمة مراكش، مجلة دعوة الحق، يناير، 1966، ص137.

[3]- محمد المختار السوسي، سوس العالمة ، ص 53، 184،187.

[4]- المقري، روضة الآس ، ص ص 212- 215؛ العباس بن ابراهيم، أعلام، ج2، ص114.

[5]- اليفرني، نزهة الحادي ، ص146؛ السلاوي، الاستقصاء ، ج5، ص92.

[6]- محمد المختار السوسي، سوس العالمة، ص184.

[7]- مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط، رقم5302.

[8]- عبد الله كنون، النبوغ المغربي ، ج1، ص246.

الشوشاوي السوسي، وهو من أهل القرن التاسع، وابن عزرون المراكشي الذي ألف كتابه "ذهاب الكسوف في طب العيون"[1].

و– الرياضيات و الهيئة:

شهد المغرب في العصر السعدي انبعاثا علميا و صناعيا جديدا، ظهر ذلك بشكل خاص في عدد من العلوم الرياضية و علم الهيئة، كما ظهر في صناعات عسكرية و اقتصادية و غيرها، وقد كان للمنصور السعدي فضل في تشجيع هذا الانبعاث، و في هذا الصدد يذكر ابن القاضي[2] القاضي[2] أنه طهر في أيام هذا السلطان علوم و صناعات مهمة لم تكن قبل في المغرب، و يذكر من بين ذلك الحساب و الهندسة و المساحات، و قد غذى هذا الانبعاث أيضا ما تجدد في هذا العصر من صلات بين المغرب و المشرق ساهمت في هذه اليقظة الجديدة، حيث يذكر أحد مهندسي هذه الحقبة أن مصادر ثقافته ما تلقاه من أستاذه ميقاتي القاهرة محمد بن محمد الميقاتي الشهير بالطحان[3]، و يضاف إلى ذلك الرصيد العلمي و الصناعي الذي ورثه السعديون من أسلافهم في عصورهم المزدهرة ثم آل إليهم لينبعث من جديد مطبوعا بطابع هذا العصر[4].

و قد بلغ الاقبال على دراسة الرياضيات و الفلك أوجه خلال القرنين 10 و11هـ، فأما دراسة الرياضيات فلحاجتهم إليها في المواريث و هندسة المباني، وتطور المقايس المعمارية، أما دراسة الفلك و الهيئة، فلحاجة البلاد إلى الموقتين وتنظيم أوقات الصلاة و الصوم و الأعياد.

و لعل أشهر ما ألف في هذا المرحلة عن الحيسوبيين و تراجمهم ما وضعه ابن القاضي عن حيسوبيي هذا العصر المسمى "غنية الرائض لطالبي فهم الناهض و أعباء علم الفرائض" الذي انتهى من تأليفه بفاس في 18 جمادى الثانية عام 1018هـ[5].

و من أشهر رياضيي هذا العصر:

---

[1]– عبد الله بن عبد العزيز، الطب و الأطباء بالمغرب، ص57، و ما بعدها؛ عبد الصمد العشاب، المرجع السابق، ص2.

[2]– ابن القاضي، المنتقى المقصور ، الباب14.

[3]– محمد المنوني، أساتذة الهندسة و مؤلفوها في المغرب السعدي، مجلة دعوة الحق، ع2، السنة9، 1965، ص1.

[4]– نفسه، الصفحة نفسها.

[5]– المقري، روضة الآس ، ص298، المصطفى البوعناني، أحمد بن القاضي الفرضي الحيسوبي، مجلة دعوة الحق، العدد 337، ربيع الثاني/ جمادى الأولى، 1419هـ/ أوت- سبتمبر 1998.

- **محمد بن أحمد بن أبي العافية المكناسي** (ت981هـ/ 1573م) والد أحمد بن القاضي مؤلف "الجذوة"، و "درة الحجال" و غيرهما[1]، و الذي أخذ عنه أوائل الأصول لإقليدس[2].
- **أحمد بن القاضي** (ت1025هـ/ 1616م) الذي عرف بأنه فقيه و محدث و أديب ومؤرخ وفرضي و حيسوبي الذي أخذ علم الفرائض عن والده أو عن شيخه أبي راشد يعقوب البدري (ت999هـ)، فقد نعته كل من ترجم له بالفرضي و أنه كان وحيدا في هذا المجال[3]، و من مؤلفاته: "مقدمة في الهندسة"، "غنية الرائض"، "القانون الوافي بجداول الحوفي" و يعد من الكتب المفقودة[4].
- **أبو عبد الله محمد السالمي** أستاذ المنجور[5] (ت1002هـ/ 1593م).
- **عمر بن علي الحصيني للجائي**[6] المولود سنة 956هـ/ 1549م، و هو معاصر ابن القاضي.
- **محمد بن القاسم بن القاضي**[7] (ت1040هـ) و هو ابن أخي صاحب "الجذوة" وتلميذه، وقد وقد كان فلكيا رياضيا ترك مؤلفات في العلمين منها: "البرق الوامض في الحساب والفرائض"، "محاذي على قصيدة ابن ليون في التكسير"، "محاذي على الروضة في التوقيت".
- **الرسموكي محمد بن أحمد الجزولي** (ت1020هـ)، الذي درس بمراكش ثم تعاطى التدريس بتمنرات[8].

---

[1]- ابن القاضي، درة الحجال ، ج1، رقم698.

[2]- يسمى أيضا كتاب أوقليدس و كتاب الأركان، راجع التعريف به في مقدمة ابن خلدون، طبعة المطبعة البهية المصرية، ص424.

[3]- التمبكتي، نيل الابتهاج ،ج2 ، ص81؛ المصطفى البوعناني، المرجع السابق، ص02.

[4]- المقري، روضة الآس ، ص298.

[5]- العباس بن ابراهيم، أعلام، ج4، ص206.

[6]- ابن القاضي، درة الحجال ، ج2، رقم1161.

[7]- عبد الرحمن بن زيدان، اتحاف ، ج4، ص40.

[8]- ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ ، ج2، ص469.

- **ابراهيم بن عبد الله الصنهاجي**[1].
- **محمد بن سعيد الطنجي** (ت992هـ) و يعرف بابن سليمان[2].
- **أبو العباس أحمد بن التقليتي**[3]، كان على قيد الحياة عام 999هـ/ 1590م، قال عنه ابن القاضي: "عارف بالحساب و التعديل و المساحات و بعض مبادئ الهندسة، وهو شيخ جماعة هذه الفنون بمراكش.
- **عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الدكالي المشترائي ثم الفاسي** المعروف بابن ابراهيم، كان على قيد الحياة أواخر عام 1011هـ/ 1603م، كانت له مشاركة في الهندسة والتنجيم و غيرهما[4]، و يذكر أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أبي محلى السجلماسي[5]: "أنه قرأ عليه شيئا يسيرا في أوائل كتاب ابن الهيثم في الهندسة و الهيئة".
- **محمد بن أحمد الصباغ العقيلي المكناسي ثم الفاسي**[6] المتوفى عام 1076هـ/ 1665م، أستاذ أبي زيد عبد الرحمن بن أبي السعود الفاسي الفهري الذي كان هو الآخر ضليعا في المساحات و الهندسة[7] و غيرهما.

أما عن الذين برزوا في علم الهيئة و الفلك فمنهم:

- **أبو العباس أحمد بن التقليتي** السالف الذكر الذي كان يجمع بين الرياضيات والتعديل، اعتبره معاصر ابن القاضي أستاذ الحيسوبيين و الفلكيين[8].

---

[1]- محمد المختار السوسي، سوس العالمة ، ص180.

[2]- ابن القاضي، لقط الفرائد ، ص180، و درة الحجال، ص 659.

[3]- ابن القاضي، درة الحجال ، ج1، ص 215.

[4]- المقري، روضة الآس، ص ص 336- 338؛ ابن القاضي، درة الحجال ، ص 1008.

[5]- راجع ترجمة ابن أبي محلى عند العباس بن ابراهيم، أعلام، ج2، ص ص 83- 91.

[6]- الكتاني، السلوة، ج1، ص239.

[7]- نفسه، ص ص 314- 316.

[8]- ابن القاضي، درة الحجال ، ج1، ص 215.

- **أحمد بن محمد الوليتي الطاطائي المراكشي** (ت1061هـ) و هو أستاذ ابن سعيد المرغيتي، و عالم قدير في الفلك، و كان مؤقتا بجامع "الحرة" بمراكش[1].

- **أبو زيد عبد الرحمن البوعقيلي الجزولي** (ت1006هـ) و هو الذي صنع الساعة الرخامية بالجامع الأعظم بتارودانت، و أخرى بجامع القصبة بمراكش، و من مؤلفاته: "شرح السيارة" في الهيئة و روضة الأزهار[2]، و كان المنصور يلقبه بالجرادي، و قد عرف عن المنصور الذهبي أنه هو نفسه كان مولعا بالرياضيات إلى درجة أنه قد استطاع أن يدرس كتاب اقليدس و يفك غوامضه بنفسه[3]، و قد تدارسه معه ابن القاضي الذي كان يتولى قراءته بين يديه أبو علي الحسن المسفيوي المسفيوي المراكشي[4].

- **محمد بن سعيد المرغيتي** صاحب منظومة "المقنع" في الفلك، و هو من الفلكيين المتأخرين[5].

- **أحمد بن القاسم بن معيون** (ت1022هـ/ 1613م) و له كتاب: "السيارة في تطويق السيارة"، و هو على ما يبدو نقد لكتاب "السيارة" لعبد الرحمن الجزولي.

- **أحمد بن حميدة المطرفي** (ت1001هـ/ 1592م، بمراكش، و له شرح روضة الأزهار للجرادي أو عبد الرحمن الجزولي[6].

و لعلنا بهذه الدراسة لم نشر إلا لأمثلة قليلة من رجالات العلوم النقلية والعقلية الذين ساهموا في تنشيط الحركة الثقافية و الفكرية في المغرب السعدي و الذين كانوا موضع اهتمام مؤلفي التراجم، في حين أغفلوا عن ذكر الكثيرين منهم.

---

[1]- اليفرني، صفوة من انتشر ، ص80.

[2]- اليفرني، نزهة الحادي ، ص221؛ محمد مختار السوسي، سوس العالمة ، ص31.

[3]- المقري، روضة الآس ، ص 172- 173.

[4]- نفسه ، ص164.

[5]- محمد المختار السوسي، سوس العالمة ، ص182.

[6]- العباس بن ابراهيم، أعلام، ج2، ص42.

المبحث الأول: العلاقات السياسية بين الزيانيين والمرينيين.

تعود العلاقات السياسية بين بني عبد الواد و بني مرين إلى ما قبل تأسيس دولتهما بحكم جوارهما في الموطن و تنافسهما على رئاسة زناتة ،لتتحول هذه العلاقات إلى صراع سياسي وعسكري دام سنين طويلة، غذته تلك الضغائن والرغبة اللامتناهية في تحقيق الريادة وبسط النفوذ على كامل المغرب الإسلامي ،خاصة بعد أن أصبح لكل واحدة منهما كيان سياسي مستقل خاص بها ،وكانت كل منها ترى في نفسها الوريث الشرعي لدولة الموحدين في حكم بلاد المغرب الإسلامي ،و هو الأمر الذي نافستهما عليه الدولة الحفصية كذلك. [1]

و قد تراوحت هذه العلاقات بين الحرب و السلم حسب فترة قوة و ضعف كل دولة ،خاصة الدولة الزيانية على اعتبار أن الدولة المرينية كانت أكبر منها قوة و أكثر عددا [2].

و يمكنا تتبع المراحل التي عرفتها هذه العلاقات على النحو التالي:

1- على عهد يغمراسن بن زيان :

لم تكن دولة بني مرين الناشئة لترضى بمجاورة بني عبد الواد المنافسين لها وذلك بعدما تيقنت من المكانة الرفيعة التي يتبوأها هذا القبيل في ميدان السياسة والحرب، فنشأ عن ذلك حقد وعداوة كان مبعثها المنافسة على رئاسة زناتة والسلطان المطلق على المغرب الأوسط[3]، ويعود تاريخ هذا التنافس إلى ما بعد هزيمة الموحدين بضواحي تلمسان أمام بني مرين ،واستيلاء الأمير أبو بكر المريني على مدينة فاس ،إذ توجه بعدها في ربيع الأول 647هـ إلى فزاز[4]، لتأكيد

([1]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 206 ؛مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تقديم وتصحيح محمد الميلي، م و ك، الجزائر، 1986، ص 422.

([2]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 15 ،هامش 5 .

([3]) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 100.

([4]) عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص 148- 154 و ص 162، 163؛يحي بن خلدون، البغية، ج1، ص ص 104-108 ؛التنسي، المصدر السابق، ص ص 11-16.

سلطان بني مرين فيها وجباية المغارم من قبائلها، وكان قد استخلف على مدينة فاس مولاه السعود بن خرباش الجشمي من أحلاف بني مرين[1].

وكان الأمير أبو بكر بعد استيلائه فاس قد استبقى من كان فيها من الجند الرومي[2] المرتزقة الذي كان في خدمة الموحدين، فانتهز الموحدون وأنصارهم من الصنهاجيين بالتحالف مع هذا الجند فرصة خروج الأمير المريني من فاس وانقضوا على واليه عليها فقتلوه، وأعلنوا عودة المدينة إلى طاعة الموحدين، وكتبوا بذلك إلى الخليفة الموحدي أبي حفص عمر المرتضى بن السيد أبي إبراهيم بن أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن علي، فلما علم الأمير أبو بكر الذي بذلك ،وكان حينها محاصرا لمدينة فزاز ، فك الحصار عنها وعاد مسرعا إلى فاس لاسترجاع ما ضاع منه، فضرب عليها الحصار محكما ،وقطع عنها الماء والغذاء ،ومنع عنها الداخل والخارج[3].

استنجد أهل فاس بالخليفة المرتضي الموحدي لفك هذا الحصار عنهم ،و نظرا لعجزه عن مقاومة القوة المرينية المتصاعدة لم يجد الخليفة الموحدي من حل لنجدة أنصاره سوى الاستنجاد يغمراسن بن زيان واعدا إياه بالتنازل له عن كل الأراضي التي يستولي عليها خلال زحفه على فاس ،وهي الأراضي التي تملكها بنو مرين[4].

أجاب يغمراسن الدعوة وخرج من تلمسان لعرقلة جهود أبي بكر في فاس[5] فتقدم نحو ممر تازا واستولى عليه، فسار نحوه أبو بكر قبل وصوله إلى تخوم بلاده فلقيه بوادي إيسلي في ذي الحجة 647هـ/ مارس 1250م بالقرب من وجدة، أين دارت بينهما معركة عظيمة انتصر فيها بنو مرين ،و قتل خلالها عبد الحق بن محمد بن عبد الحق المريني على يد إبراهيم بن هشام من بني

([1]) كان هذا الجند تحت قيادة قائد منهم يدعى شرير الزنجي الذي تحالف مع الموحدين من أهل فاس للفتك بالمسعود وتحويل الدعوة إلى المرتضى

([2]) حسين مؤنس، تاريخ المغرب، ص 18.

([3]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 206 .

([4]) نفس المرجع ،الصفحة نفسها .

([5]) حشد يغمراسن قواته ، إذ شاركه بنو توجين وكافة القبائل من زناتة والمغرب، ينظر في ذلك: العبر، ج7، ص 184؛ ابن عذارى، المصدر السابق،ج4، ص 299؛ ابن أبي زرع ،روض القرطاس، ص 305.

عبد الواد[1]، ثم توجه أبو بكر بعد انتصاره إلى فاس ودخلها بعد حصار دام أزيد من تسعة أشهر فقتل كثيرا من أشياخ الموحدين وأغرمهم وأهل المدينة مالا ضخما، و دام [2]. وفي في حين كان يغمراسن قد فر بعد انهزامه في فلوله نحو تلمسان تاركا محلته بما فيها نهبا وسلبا لبني مرين. [3]

وتعتبر هذه المعركة أول حرب نظامية جمعت بين بني عبد الواد و بني مرين.ثم جمعتهما معركة أخرى بأبي سليط سنة 655هـ/ 1257م انهزم فيها بنو عبد الواد مرة أخرى، وتعهد الأمير أبو بكر بمتابعة يغمراسن حتى القضاء عليه قبل أن يثنيه أخوه يعقوب بن عبد الحق عن رأيه لعهد تأكد بينه وبين يغمراسن[4].

بعد هزيمته في معركة أبي سليط توجه يغمراسن بن أبي زيان إلى سجلماسة لضمها إلى ملكه لتحالف كان بينه و بين أهلها ،لكن الأمير المريني سبقه إليها ودخلها قبله بيومين بعدما وصله الخبر وهو في طريق عودته إلى فاس [5].

نزل يغمراسن بعد وصوله إلى سجلماسة[6]خارجها مضطرا ينتظر فرصة سانحة لدخولها، لكنه عاد أدراجه بعد معركة متكافئة مع بني مرين. [7]

([1]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 172؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 305.

([2]) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 305.

([3]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 207 .

([4]) السلاوي، الاستقصا، ج3، ص 18-19.

([5]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 208،207 .

([6]) سجلماسة: مدينة تقع جنوب المغرب الأقصى في مقاطعة تافيلالت، وصفها الرحالة ابن حوقل في صورة الأرض، ص65، والبكري في المغرب، ص 148، وصفا شاملا فقال عنها أنها: كثير ة النخيل والأعناب والقصور والأبواب، ثم تحدثا عن أهلها الذين كانوا يقصدون بلاد السودان بالملح والنحاس، ويرجعون بالذهب إلى بلادهم، ولهذا كانوا في سعة من العيش، إضافة إلى أنها كانت مركزا لتجارة الذهب فقد جلبت عددا كبيرا من التجار اليهود الذين نالوا الكثير من الاضطهاد في عهد الفاطميين، ينظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 206،207.

([7]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 208 .

قبل أن يرجع الأمير أبو بكر المريني إلى فاس عقد ولاية سجلماسة ودرعة[1]مع سائر بلاد الجهة الشرقية للمغرب الأقصى ليوسف بن يزناسن [2].

وبذلك ضاع الجنوب من الموحدين كما ضاع منهم الشمال وانحصر ملكهم في سهل مراكش بما فيه حوض نهر تنسيفت[3].

وبعد وفاة أبي يحيى أبي بكر بن عبد الحق المريني سنة 656هـ/1258م خلفه أخوه أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بعد نزاع طويل مع ابن أخيه عمر ، وكان أبو يوسف يعقوب قبل هذا عاملا على ناحية تازا[4]، وهو الآخر لم يتوان في محاربة يغمراسن بن زيان الذي أعلن بيعته للخليفة الموحدي أبي دبوس في شهر ذي القعدة من سنة 665هـ/ 1267م يدعوه فيها إلى التحالف ضد بني مرين قائلا: " إياك أن تطمع بني مرين فيما لديك، وأنا أكفيك شرهم وأنا وأنت يد واحدة في حربهم "[5].

وكرد فعل على هذا الحلف، حاصرت جيوش الأمير أبو يوسف عاصمة الموحدين مراكش في السنة الموالية وشددت الخناق عليها، فلم يجد الخليفة أبي دبوس بدا لفك الحصار المضروب عليه من الاستنجاد بحليفه يغمراسن الذي بعث إليه بوفد مصحوب بالهدايا الثمينة قائلا: " كن معي يدا على حربهم "[6]، فهم يغمراسن من ذلك أن الخليفة الموحدي يطلب منه شن غارات مكثفة على الحدود الشرقية لبني مرين، لاجبار أبي يوسف على رفع الحصار على مراكش ولو مؤقتا ،و ذلك ما كان فعلا ،إذ اتجه هذا الأخير صوب فاس أين جهز الجيش وأعد العدة لتأديب

([1])درعة: مدينة تقع جنوب المغرب الأقصى، وراء جبال الأطلس يخترقها نهر طويل يعرف بوادي درعة، فكانت محطة تجارية هامة في القرون الوسطى، ينظر: ابن الخطيب، تاريخ المغرب، القسم الثالث، ص 139.

([2]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص175-176.

([3]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 208 ؛حسين مؤنس، تاريخ المغرب ،ج2، ص 19.

([4]) تازا: مدينة بشرق المغرب الأقصى، وهي حده الفاصل بينه وبين المغرب الأوسط، ينظر، محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1975، ص 128.

([5])هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 208 ؛الذخيرة السنية، ص 112.

([6]) الذخيرة السنية، ص 115؛ الأنيس المطرب ، ص 305.

يغمراسن ثم غادر نحو تلمسان في 15 محرم 666هـ/ 15 أكتوبر 1267م على رأس حشود ضخمة مكتسحا أراضي المغرب الأوسط ، وفي ضحى يوم الاثنين 12 جمادى الثانية 666هـ/ 28 فبراير 1268م جمعت بينه وبين جيوش يغمراسن معركة ضارية بوادي تلاغ[1]،عدت من أعنف المعارك التي جمعت الطرفين ،حيث بلغ حماس الجانبين للقتال حد أن النساء برزن في القباب سافرات على سبيل التحريش والتحريض[2].

ومع التفوق المريني عدة وعددا، كانت الغلبة لصالحهم ،بعدما ألحقوا ببني زيان هزيمة نكراء،و تمكنوا من قتل الامير أبو حفص عمر كبير أبناء يغمراسن وولي عهده، إضافة إلى نفر من كبار رجال بني عبد الواد ووجهائهم أمثال: ابن عبد الملك بن حنيفة، وابن يحي بن مكن، وعمر بن إبراهيم بن هشام[3].

كانت هذه الهزيمة ضربة قاسية لبني عبد الواد، حيث مزقت صفوفهم وهزت عزائمهم مدة طويلة ،خصوصا بعد فرار يغمراسن إلى تلمسان، وهو منهار المعنويات[4].

في ظل هذه الأوضاع المتوترة بين بني عبد الواد وبني مرين وفد على يعقوب بن عبد الحق المريني وفد من بني الأحمر أصحاب غرناطة يستنجدون به ويستصرخونه لمآزرة المسلمين في الأندلس، فاضطر إلى مصالحة يغمراسن ليأمن جانبه ،و تأمين الجهة الشرقية من بلاده، فأرسل إليه وفدا يبلغه ما عزم عليه من الجهاد ويدعوه إلى الصلح[5]، ولكن يغمراسن الذي لم تجف دموعه بعد حزنا على ولده عمر تعنت ورفض الصلح وأساء في القول لرسول السلطان المريني قائلا: " لا صلح بيني وبينه ولو بلغت في حربه الردى، لقد قتل ولدي وقرّة عيني وولي عهدي

([1]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 371؛ الذخيرة السنية، ص 116؛ الأنيس المطرب، ص 305؛ الاستقصا، ج3، ص 25.

([2]) الاستقصاء، ج3، ص 26؛ الأنيس المطرب، ص 305؛ العبر، ج7، ص 371.

([3]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 209 .

([4]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 176-177.

([5]) محمد مكيوي ، المرجع السابق، ص 70 ؛ حسين مؤنس ، تاريخ المغرب ،ج2، ص 129؛ مبارك الميلي، المرجع السابق، السابق، ج2، ص 422.

عمر، أصالح وأهدر دمه؟ والله لا كان هذا أبدا، ولا أترك دم ولدي يمضي سدا حتى آخذ منه الثأر وأضيق بلاده التبارى[1] "، كما كتب إليه قائلا:

فلا صلح حتى نروي السيف والقنى **** وتأخذ عبد الواد منكم بثارها

وأشفي غليلي من مرين التي طغت **** بسبب غوانيها و قتل خيارها[2]

ونتيجة لهذا الرفض ترك السلطان أبو يوسف يعقوب شأن الأندلس وسار نحو تلمسان لقتال يغمراسن فخرج إليه هذا الأخير في قومه وحلفائه من مغراوة والعرب والتقى الجمعان في منطقة إيسلي قرب وجدة في 15 رجب 670هـ / فبراير 1272م[3]، انهزم الزيانيون فيها مرة أخرى وفرّ يغمراسن من محلته بعدما أضرمت فيها النيران وقتل ولده أبو عنان فارس، وفيها حطم المرينيون مدينة وجدة ثم حاصروا تلمسان وأطلقوا الأيدي في ساحتها بالنهب والسلب[4] وقد كان مع الأمير يعقوب شاعره الملزوزي الذي كتب إليه مهنئا بهذا الانتصار قائلا:

هنيئا لكم نصر مبين على العدا **** وصول بسعود شأنها متدوام

أمير تلمسان أبدت جيوشه **** وما هو مظلوم ولا أنت ظالم

فديتك يا يغمور هل لك زاجر **** أيقضان حس أنت أم أنت نائم؟

أفي كل عام تترك ابنك للقنى **** وتسبي لك الغير الحسان الكرائم؟

أتيت لأخذ الثأر ويحك منهم **** وقلت عسى الأيام سالم

وخلفت أيضا للصوارم فارسا **** وليدك لم تشفق عليه الضراغم

فها أنت كالعير الذي يبتغي **** بحرمانه قرنا فمر يزاحم [5]

([1]) الذخيرة السنية، ص 130؛ الأنيس المطرب، ص 309 ؛العبر، ج7، ص 307؛ الاستقصاء ج3، ص 25.

([2]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 210 ؛مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 422.

([3]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 176-177.

([4]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 211 ؛عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص 104-105 ؛حسين مؤنس، تاريخ المغرب ،ج2، ص 129 ؛محمد مكيوي ، المرجع السابق، ص 71.

([5]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 211 ؛محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، ص 86.

وبينما كان يعقوب بن عبد الحق يحاصر تلمسان، انضم إليه نفر من أبناء عمومة يغمراسن ممن كانوا يحقدون عليه ويحسدونه، وكان على رأسهم أبو زيان محمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية كبير بني توجين من زناتة[1]؛ الذي قدم في جيش كبير من قومه لدعم السلطان يعقوب، نتيجة عداوة شديدة بين توجين ويغمراسن، فأكرم السلطان وفادته، واستمر الحصار على تلمسان دون أن ينال منها شيئا فقرر السلطان يعقوب رفع الحصار والعودة إلى بلاده[2]، ورأى قبل أن يفعل ذلك أن يطمئن إلى بني توجين يصلون إلى ديارهم في أمان خصوصا بعدما عظمت نكايتهم في تلمسان وأهلها بالتخريب وقطع الثمار وإفساد الزرع وإحراق القرى كرد فعل لما كان يقوم به يغمراسن بن زيان في بلادهم[3]. ورجع بنو توجين إلى مقرهم من جبال الونشريس، بعدما أغدق عليهم السلطان يعقوب العطايا من الخيول والجمال والأموال، ثم مضى هو ومن معه إلى المغرب الأقصى محملا بالغنائم والأسلاب فوصل رباط الفتح في ذي القعدة سنة 670هـ/ ماي 1272م، وبذلك نجت تلمسان مرة أخرى من سيطرة بني مرين وبطشهم[4].

فأتيحت ليغمراسن بن زيان الفرصة لأن يعاود نشاطه ويلم شعث إمارته، كما أمن من ناحية جاره القوي يعقوب بن عبد الحق الذي شغل بعد ذلك بأمر سبتة وطنجة ثم أمر الجهاد في الأندلس[5]. الأندلس[5].

اضطر يغمراسن بعد توالي الهزائم عليه إلى تغيير سياسته تجاه المرينيين، حيث كف عن مناوءتهم و اتجه إلى التوسع شرقا على حساب أراضي الحفصيين[6].

وفي سنة 673هـ/1274م، عقد يغمراسن هدنة مع أبي يوسف يعقوب بمبادرة من هذا الأخير، التزم بمقتضاها يغمراسن بعدم الاعتداء على الأراضي المرينية[1].

([1]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 212 .

([2]) حسين مؤنس ، المرجع السابق، ص 129؛ محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور، ص 87.

([3]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 177-178.

([4]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 211 ؛محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، ص 86.

([5]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 212 ؛حسين مؤنس، تاريخ المغرب ،ج2، ص 129.

([6]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 212 .

بادر السلطان المريني لعقد هذا الصلح لتلبية نداء بني الأحمر والوقوف إلى جانبهم لصد هجمات الصليبيين القشتاليين المتتالية على أراضيهم، بينما استغله يغمراسن بن زيان للثأر من بني توجين لانحيازهم لبني مرين[2].

لكن هذا الصلح سرعان ما تم نقضه على اثر اقدام أبو يوسف يعقوب اقتحام سجلماسة[3] التي كانت تحت ملك يغمراسن سنة 673هـ/ 1274م الأمر الذي دفع يغمراسن إلى اعلان الحرب على بني مرين، الذين بسطوا نفوذهم على شطر كبير من الأندلس[4]، الأمر الذي دفع بملوك بني الأحمر إلى الاستنجاد بيغمراسن بن زيان بعدما أغدقوا عليه بالهدايا الأندلسية الفخمة والأموال العظيمة على أن يتولى أمر مرين وتعليق ملكهم بالمغرب فيلهيهم بالمشاكل ،وكان يغمراسن حاقدا عليهم فبادر إلى إجابة بني الأحمر[5].

بعد ما علم يعقوب بهذا الاتصال هم إلى طلب الصلح من يغمراسن فكاتبه بذلك سنة 678هـ/ 1280م، غير أن يغمراسن تعصب لفكرته متصلبا في عداوته، ثم عاود المرينيون الكرة بعد ثلاثة أشهر فامتنع يغمراسن مرة أخرى عن الصلح بل أساء القول للرسول وقال له: "لا صلح بيني وبينه أبدا، وليس له عندي ما عشت إلا الحرب وكلما وصله من صلح مع ابن الأحمر، فهو حق، فقل له يتأهب للقائي وليستعد لنزالي وقتالي"[6]. فكان رد السلطان أبي يوسف عنيفا، حيث

([1]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 178.

([2]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 212 .

([3]) بايع أهل سجلماسة يغمراسن سنة 662 هـ/ 1263م، فاستعمل عليهم ولده يحي.

([4]) في سنة 676هـ/1277م جاز يعقوب إلى الأندلس لمساعدتهم، فحاصر إشبيلية، ثم قرطبة وهاجم مدينة (جيان) واكتسح حصونا كان العدو قد استولى عليها وتخلى له (ابن اشقيلولة) عن مالقة فملكها، الأمر الذي أقلق أمير بني الأحمر محمد المدعو بالفقيه وهو الذي استدعى يعقوب بن عبد الحق للجهاد، ينظر: محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، ص 87.

([5]) هوارية بكاي ، المرجع السابق ،ص 213 ؛عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 105؛ محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور ، ص 87.

([6]) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ، ص 335؛ عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج7، ص 417.

زحف على يغمراسن ومزق صفوفه بوادي التافنة وشتت شمله، ففر يغمراسن في فلوله إلى الصحراء ناجيا بنفسه وذلك سنة 678هـ/ 1280م، تاركا محلته نهبا مستباحا لبني مرين[1].

وفي سنة 680هـ عاود يعقوب بن عبد الحق الكرة على تلمسان بعد تحالفه مع سيد بني توجين محمد بن عبد القوي، لكنهما عجزا عن الاستيلاء عليها الأمر الذي دفع بيغمراسن إلى تأديب بني توجين لانحيازهم لبني مرين، كما وطئت عساكره أرض مغراوة وعاد ظافرا إلى حاضرته[2].

لكن وبعد توالي الهزائم[3]على يغمراسن على يد بني مرين تيقن يغمراسن أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال مجابهتهم، لعدم تكافؤ القوى بينهما، وتلافيا لتكرار المأساة مع ولده عثمان، أوصاه بمسالمة المرينيين وعدم الاعتداء على أراضيهم[4] والتوسع نحو الشرق على حساب ملك الحفصيين. [5]

2- مع خلفاء يغمراسن بن زيان:

2. 1- الحصار الطويل على تلمسان 698هـ/1299م وآثاره:

([1]) هوارية بكاي ، المرجع السابق ،ص 213،214 ؛ محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور ، ص 89.

([2])هوارية بكاي ، المرجع السابق ،ص 214.

([3]) عن الحروب التي وقعت بين يغمراسن وبني مرين راجع، عبد الرحمن بن خلدون، العبر،ج7، ص 171، 174،176،178،363،381؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ، ص 197 ،198،203،204،207،209؛ الذخيرة السنية، ص 83،97،131،132،145،151.

([4]) يقال أن يغمراسن وهو على فراش الموت حذر ولي عهده عثمان بقوله:" اعلم يا بني أن بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على حضرة الخلافة بمراكش لا طاقة لنا بلقائهم فإياك أن تحاربهم، فإن مددهم موفور ومددك محصور ولا يغرنك أني كنت أحاربهم، ولا أنكص عن لقائهم ، لأني كنت أخشى معرة الجبن عنهم بعد التمرس بهم، والاجتراء عليهم، وأنت لا يضرك ذلك لأنك لم تحاربهم، ولم تتمرس بهم فعليك بالتحصن ببلدك متى زحفوا إليك وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين أصحاب تونس،ليستفحل بها ملكك، و تكافئ حشد العدو، بحشدك ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك " ينظر: السلاوي، الاستقصا، ج3، ص 56؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 189، 190؛ عطاء الله دهينة وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 80؛ عطاء الله دهينة، وصية يغمراسن، مجلة التاريخ وحضارة المغرب العربي، العدد 6، جويلية ، 1969، ص ص 22- 26.

([5])هوارية بكاي ، المرجع السابق ،ص 15.

من خلال وصية يغمراسن أدرك أبو سعيد عثمان أن بني مرين أصبحوا قوة لا قبل للزيانيين بها، وأن قتال أبيه لهم كان محتما عليه، فلا مجال له لمواجهتهم، وإن هاجموه يلتجأ إلى الحصون وبالمقابل دعاه إلى تقوية جهازه الاقتصادي والبشري بالتوسع شرقا على حساب الحفصيين وبالتالي يعمل جاهدا على تقوية جهازه الحربي وتدعيمه حتى يستطيع فيما بعد مواجهة المرينيين بحشود تعادل حشودهم، كما نصحه باتخاذ معقل لذخيرته في الثغور الشرقية البعيدة عن العدو المريني[1].

ومهما كانت درجة أصالة هذه الوصية الرسمية، فإنها وجهت سياسة حلفاء يغمراسن لمدة ثمانين سنة، والتي تمثلت في موقفهم من الدفاع بشكل أساسي من ناحية الغرب وفي رغبتهم في التوسع شرقا[2].

وبالفعل استهل عثمان عهدته بمهادنة بني مرين، إذ أوفد أخاه " محمد بن يغمراسن" على يعقوب بن عبد الحق الذي كان مرابطا في الأندلس لكي يصالحه وتم الصلح بينهما[3]؛ وبالمقابل توجه لتأديب الإمارات الشرقية الموالية للحفصيين – بني توجين ومغراوة- فوصل بجاية فحاصرها لكنها امتنعت عليه[4].

مرض يعقوب بن عبد الحق بالجزيرة الخضراء فمات سنة 687هـ/1286م فخلفه ابنه أبو يعقوب يوسف، فحدث أن ابنا له يسمى أبا عامر كان قد ولاه مراكش فثار بأبيه وظاهره في ذلك وزير له يسمى " ابن عطو "، فسار إليه أبوه وهزمه، فانتهب الأمير ووزيره مال مراكش وفرا إلى تلمسان سنة 688هـ/ 1289م؛ فما كان من أبي سعيد عثمان إلا أن أكرمهما وأجار أبا

([1]) هوارية بكاي،المرجع السابق ،ص 214،215 ؛محمد مكيوي ، المرجع السابق، ص 78- 79.

([2]) هوارية بكاي،المرجع السابق ،ص 215 ؛عطاء الله دهينة وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 370.

([3]) هوارية بكاي،المرجع السابق ،ص 215.

([4]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 7، ص ص 190- 192؛ هوارية بكاي،المرجع السابق ،ص 215 ؛الطمار، تلمسان عبر العصور ، ص 98؛ محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 81.

عامر على أبيه[1]، ثم عفا السلطان أبو يعقوب يوسف المريني عن ابنه وأعاده إلى فاس[2] ثم طلب إلى أبي سعيد عثمان أن يسلمه الوزير ابن عطو، فرفض، فأثار ذلك حفيظة أبي يعقوب[3] فقرر غزو تلمسان وحصارها، فاحتشد في ذلك احتشادا لم يسمع بمثله وسار إليها حتى بلغها، غير أن عثمان لاذ بأسوارها متحصنا، فحاصرها أبو يعقوب بعدما نصب عليها المجانيق، وقطع شجرها وخرب ما حولها من القرى والزرع ويقول ابن خلدون في هذا الصدد: " إنه بلغ من تصميم السلطان أبي يعقوب يوسف بن عبد الحق على الاستيلاء على تلمسان أنه أدار عليها سورين بينهما فصيل، وشدد في الحصار حتى لم يخطر إليها الطير لا بل الطيف وابتنى مدينة كاملة إلى جوارها، وأقام على الحصار مائة شهر وعندما دخلت سنة 702هـ/ 1302م، اختط إلى جانب ذلك السور بمكان فسطاطه وقبابه قصرا لسكناه واتخذ به مسجدا لصلاته وأدار عليها سورا يحزهما، ثم أمر الناس بالبناء حول ذلك، فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحيبة والقصور الأنيقة، واتخذوا البساتين وأجروا المياه وأمر السلطان باتخاذ الحمامات والفنادق والمارستان، وابتنى مسجدا جامعا أقامه على الصهريج الكبير وشيد له منارا رقيقا، وجعل على رأسه تفافيح من ذهب سير عليها سبعمائة دينار ثم ادار السور على ذلك كله، فصارت مدينة عظيمة استبحر عمرانها، ونفقت أسواقها، ورحل إليها التجار بالبضائع من جميع الآفاق وسماها المنصورة "[4].

ومضى يشن الغارات حول البلاد حتى أضر بها فاستولى على المدن التابعة لتلمسان منها: ندرومة وهنين ووهران وتالموت، وتامزدكت، ومستغانم وشرشال وبرشك، والبطحاء ومازونة

([1])عرفت الأيام الأولى لأبي يعقوب يوسف العديد من الثورات التي قام بها الطامعون من الأسرة المالكة والعرب، كثورة محمد بن إدريس بن عبد الحق بن عم الملك بنواحي الورغة جنوب فاس، فأرسل إليه أخاه لكنه انضم إلى الثائر وحاول الفرار إلى تلمسان، فقبض عليهما بتازة وقتلا بفاس، وثار أيضا عرب المعقل بسوس، وثار في الريف بنو وطاس، فقصدهم أبو يعقوب وأوقع بهم، لكن عمر بن يحي الوزير فر إلى تلمسان، ولم يلبث أن رجع وعفا عنه السلطان، فكان عثمان بن يغمراسن= =يستقبل كل الثوار وأغاظ السلطان المريني موقف عثمان من أعدائه، فعقد السلم مع ملك قشتالة وتنازل لابن الأحمر عن ثغوره بالأندلس، حتى يتفرغ لحرب بني عبد الواد، ينظر: الطمار، تلمسان عبر العصور ، ص 98.

([2]) التنسي، المصدر السابق، ص 131.

([3]) نظم الدر، ص130؛ العبر، ج7، ص 441، 442 ؛ الأنيس المطرب ، ص 278.

([4]) العبر، ج7، ص 256، 257؛ نظم الدر، ص 178،179؛ البغية ، ج1، ص 121؛الأنيس المطرب ، ص 386.

والونشريس ومليانة والقصاب والمدية وتافرجينيت وجميع بلاد بني عبد الواد وبلاد بني توجين، ومغراوة[1]، فأضحت تلمسان تعاني الأمرين الخوف والجوع بعد تشديد الخناق عليها، لكن ورغم كل الأساليب التي استعملها المرينيون للتضييق على تلمسان وإخضاعها إلا أن صمود أهلها واستماتتهم في الدفاع عن وجودهم قد أحبط كل تلك المحاولات وحال دون سقوط تلمسان، ولم يستسلم السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن حتى الموت[2]، فخلفه ابنه محمد بن عثمان الذي دام حكمه أربع سنوات (703-707هـ)/(1034-1308م)[3]، والذي أبلى بلاء حسنا في الدفاع عن عاصمته، بينما تأسف أبو يعقوب يوسف لموت عثمان وعجب من صرامة قومه، وقد استمر الحصار إلى أن هلك أبو يعقوب يوسف عام 706هـ/137م، فكان موته إنقاذا لبني زيان من الهلاك المحقق بعد أن دام الحصار ثمانية أعوام وأربعة أشهر وبضعة أيام، حصارا لا يدانيه حصار في التاريخ الإسلامي[4]، اضطر فيه أهل تلمسان بعد أن نالهم الجوع إلى أكل القطط والكلاب والثعابين إذ يصف لنا صاحب الاستقصا أن أهل تلمسان قبل رفع الحصار: "نالهم فيها من الجهد والشدة ما لم تنله أمة من الأمم، واضطروا إلى أكل الجيف والقطط والفئران حتى أكلوا أشلاء الموتى من الناس، وخربوا السقوف للوقود وظلت أسعار الأقوات والحبوب وسائر المرافق تجاوز العادة وقد وصل ثمن مكيال القمح الذي يسمونه البرشالة ويبتاعون به مقداره اثني عشر رطلا ونصف مثقالين من الذهب العين، وثمن الرأس الواحد من البقر ستون مثقالا، ومن الضأن

([1]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 256، 257؛ حسين مؤنس، تاريخ المغرب ،ج2، ص 132.

([2]) هلك السلطان أبو سعيد عثمان بعد خمس سنوات من الحصار وقيل أنه شرب شرابا مسموما تفاديا من معركة الهزيمة والانكسار، وكانت وفاته سنة 703هـ/1304م، فبويع ولده أبو زيان الأول، ينظر، التنسي، المصدر السابق، ص 178-179، ويقول ابن خلدون في العبر، ج7، ص ص 90- 97:" أخبرني شيخنا العلامة محمد إبراهيم الأبلي وكان في صباه قهرمان دارهم (أي بني زيان) ، قال: هلك عثمان بن يغمراسن بالديماس وكان قد أعد لشربه لبنا، فلما أخذ منه الديماس وعطش دعا بالقدح فشرب اللبن ونام، فلم يكن لأوشك أن فاضت نفسه، وكنا نرى معشر الصنائع أنه ذاق فيه السم تفاديا من معرة غلب عدوهم إياهم ".

([3]) التنسي ، المصدر السابق، ص 178.

([4]) حسين مؤنس، تاريخ المغرب ،ج2، ص 133؛ محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 83؛ عطاء الله دهينة وآخرون، المرجع السابق، ص 375.

سبعة مثاقيل، وأثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال والحمير بثمن مثقال ومن الخيل بعشرة دراهم، ورطل من الجلد البقري ميتة بثلاثين درهما، والهر بمثقال ونصف، والكلب بمثله والفأر بعشرة دراهم والدجاجة بثلاثين درهما والبيضة بستة دراهم...."[1].

فاستهلك أهل تلمسان أموالهم وموجودهم وضاقت أحوالهم في حين استفحل ملك يوسف بن يعقوب حيث اتسعت مدينة المنصورة المشيدة ورحل إليها التجار بالبضائع من الآفاق واستبحرت في العمران ما لم تبلغه مدينة.

وقد بلغ عدد من مات من أهل تلمسان في هذا الحصار الطويل مائة وعشرون ألف إنسان[2] مما كان له وقع كبير في نفوس الشعراء ومنهم أبو عبد الله محمد بن خميس الذي كان مقيما بألمرية فأساءه ما حل بأهل تلمسان من طول المحنة واشتداد البلاء فنظم قصيدة يقول فيها اشتياقا:

سل الريح إن لم تسعد السفن أنواء **** فعند صباها من تلمسان أنباء

وفي خفقان البرق منها إشارة **** إليك بما تنمي إليها وإيماء

تمر الليالي ليلة بعد ليلة **** وللأذن إصغاء وللعين إكلاء

وإني لأصبو للصبا كلما سيرت **** وللنجم مهما كان للنجم إصباء

وأهدي إليها كل يوم تحية **** وفي رد إهداء التحية إهدء

وإني لمشتاق إليها ومنبئ **** ببعض اشتياقي ولو تمكن أنباء

وكم قائل تغنى غراما بحبها **** قد أخلقت منها ملاء وإملاء

ثم انتقل إلى الحديث عن حالها وهي تحت وطأة الحصار فقال:

لعشرة أعوام عليها تجرمت **** إذا ما مضى قيظ بها جاء إهداء

يطنب فيها عابثون وخرب **** ويرحل عنها قاطنون وأحياء

([1]) السلاوي ، الاستقصا، ج9، ص ص 56- 85؛ عبد الرحمن بن خلدون ، العبر، ج7، ص 95، 96؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 210، 211؛ التنسي، المصدر السابق، ص 179، 180.

([2]) يحي بن خلدون ، المصدر، السابق، ج1، ص 125.

كأن رماح الناهبين لملكها **** قداح وأموال المنازل أبداء

فلا تبغين فيها مناخا الراكب **** فقد قلصت منها ضلال و أفياء[1]

ويقول المقري: " فإن من الاتفاق الغريب سرعة وقوع ما تمناه ابن خميس لتلمسان هذه من الخير بطول المحنة واشتداد البلاء ولم يتأخر عن تاريخ القصيدة غير أربعة أشهر"[2].

هكذا وبعدما أوشكت تلمسان على السقوط أنقذها العلي القدير بفضل رحمته فكان لاغتيال أبي يعقوب يوسف [3] واختلاف قومه على من يتولى مكانه الفرج ورفع الحصار فخرج أهل تلمسان وكأنهم نشروا من قبور وعمدوا إلى المنصورة بعد ذهاب بني مرين فخربوها وحطموا كل ما كان بها من دور وقصور ومن تلك الحادثة نقش بنو عبد الواد على سكتهم الجديدة: " ما أقرب فرج الله "[4].

3- بنو زيان وبنو مرين بين الحرب والصلح:

1- عهد أبو زيان محمد:

بعد رفع الحصار، وانتهاء النكبة، حاول أبو زيان لم شتات ملكه، فنهض من آخر ذي الحجة من 706هـ لاسترجاع نفوذ دولته في شرق البلاد منتقما ممن كان منهم في طاعة بني مرين فقصد بلاد مغراوة، فأعاد إلى حضيرته منطقة شلف وجبل الونشريس والمدية وغيرها، ثم عرج على

([1]) ابن الخطيب، الاحاطة،ج2، ص 539.

([2]) المقري، أزهار الرياض ، ص 33.

([3]) يقول التنسي: " وتمادى بها الحصار ثماني سنين وثلاثة أشهر، وحرك الله تلك المدة الولي الشهير أبا زيد عبد الرحمن الهزميري من مدينة أغمات حتى ورد على يوسف بن يعقوب، وهو محاصر لتلمسان، فكلمه بالانصراف عنهم، ورغبه فيه غاية الترغيب فأبى إلا التصميم على ما هو عليه، فلما يئس منه قام عنه مغضبا، وقال: يجيء سعاد يقضي هذا وكان يوسف بن يعقوب قد قتل الفقيه العالم أبا علي المليانى واستلب أمواله، ومن جملة ما أخذه خصبا اسمه – سعادا– كان قد رباه أبو علي المليانى فكان يقول له المليانى أنت أخي، فلما أخذه يوسف بن يعقوب صيره من جملة الخصيان المتصرفين بين يديه، فلما كان يوم الأربعاء 7 ذي القعدة 706هـ دخل الخصي المذكور على يوسف بن يعقوب وهو نائم، فألقى الله في قلبه طلب ثأر مولاه فطعنه بسكين في بطنه فكان ذلك الحتف ولأهل تلمسان اللطف ". وهذه القصة غير موجودة عند يحي بن خلدون أو عند أخيه عبد الرحمن بن خلدون، وإنما وجدت عند بن أبي زرع في الأنيس المطرب ص 285، وعند المقري، في أزهار الرياض، ج2، ص 335،336.

([4])هوارية بكاي، المرجع السابق ،ص 219،220 .

السرسو جنوبي وهران، ثم مر ببلاد توجين فنكل بأعدائه وأرغم الجميع على الخضوع[1]، ثم عاد إلى تلمسان في رمضان سنة 707هـ، وفور وصوله أمر بإصلاح ما أفسدته الحرب في المباني والقصور والأسوار والمزارع غير أن الموت فاجأه بعد ذلك بقليل في 21 شوال 707هـ[2].

2- عهد أبو حمو موسى الأول (708هـ/ 1308م- 718هـ/1318م):

لم ينس أبو حمو ما قاسته تلمسان أيام الحصار، لذلك فبعد أن تولى الحكم بعد وفاة أخيه أبي زيان افتتح عهده بإبرام الصلح[3] وتحقيق السلم مع أمراء بني مرين تأمينا لظهره، حيث أوفد كبار وزرائه إلى السلطان أبي ثابت[4] فأمضوا معا صلحا، ثم تفرغ للشؤون الداخلية، فبادر إلى جمع ما أمكنه من المواد الغذائية والأسلحة وإذابة قدر كبير من الشحوم أفعم بها أحواضا عديدة، وملأ الأهراء ملحا وفحما وحطبا وحفر مطامير كثيرة شحنها قمحا وشعيرا حتى يمكن لتلمسان الثبات في وجه حصار متوقع، كما هدم مدينة يوسف بن يعقوب وأصلح ما تهدم من تلمسان وبنا الأسوار وحفر الخنادق[5].

ولما اطمأن السلطان أبو حمو على ملكه من الناحية الغربية ولى وجهه شطر الجهة الشرقية ليضرب على يد من طغى وبغى ونبذ الطاعة أيام الحصار[6]، فقصد بني توجين ومغراوة فشرد "محمد بن عطية الأصم عن الونشريس، وراشد بن محمد عن نواحي من شلف، وضم الإقليمين إلى بلاده، واستعمل عليهما ولاة، فعقد لمولاه " مسامح " على بلاد مغراوة، وعقد لمحمد بن عمه

([1]) هوارية بكاي،المرجع السابق ،ص 220 ؛الطمار، تلمسان عبر العصور ، ص 112؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 134.

([2]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 212؛ التنسي، المصدر السابق، ص 180،181.

([3]) لما قتل يوسف بن يعقوب، ولي مكانه ابنه أبو سالم، وكان بن أَمَة فلم يرض أبو ثابت بن أبي عامر، فبعث إلى السلطان أبي حمو أن يعينه بالطبول والرايات وما أمكنه من الجيش، مصطلحين ما عاشا، ففعل وغلب أبو ثابت وقتل عمه وانصرف موفيا بما التزم، ينظر في ذلك: التنسي، المصدر السابق، ص 183.

([4]) تولى السلطان المريني أبو ثابت الحكم من سنة 706هـ/ 1307م إلى سنة 708هـ/ 1038م وهو حفيد السلطان يوسف بن يعقوب وكان والده أبو عامر قد فر إلى تلمسان، ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص 186.

([5]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص112؛ الطمار ، تلمسان عبر العصور ، ص 113.

([6])هوارية بكاي، المرجع السابق ،ص 221.

يوسف على مليانة ويوسف بن حيون الهواري على بني توجين ومد سيطرته بعد ذلك إلى متيجة[1] ومدينة الجزائر نفسها التي سلمها له أميرها " ابن علان " بعد أن استبد بها حوالي أربعة عشر عاما. فالتحق بتلمسان مع أبي حمو حتى توفي، ثم سيطر على مدينة برشك، ودلس وأسس مدينة آزفون على الساحل، ومد نفوذه إلى إقليم الزاب بالصحراء الشرقية، وبذلك توسع نفوذ بني عبد الواد[2]، حتى بلغوا بجاية وقسنطينة[3].

وفي الوقت الذي كان أمراء بني عبد الواد يركزون نفوذهم ويوسعون ملكهم في الجهات الشرقية، كان السلطان المريني أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق يستعد للعدوان من جديد على تلمسان، وبالفعل قاد حملة عسكرية إليها عبر ممر تازة ووجدة، ونزل في ضواحيها لكنها استعصت عليه فاضطر إلى الانسحاب بعدما تحصن أبو حمو بالأسوار وكان ذلك سنة 714هـ/1314م[4].

بعدها اغتنم أبو حمو هذه الفرصة وراح يصفي نفوذ المرينيين بالمغرب الأوسط فقضى على إمارة الثعالبة بمتيجة المشايعة لبني مرين وطارد أمراءها إلى جهات كثيرة من حوض شلف، كما لاحق الثائر المغراوي راشد بن محمد إلى بلاد القبائل، كما قام بتشييد قصره المعروف باسم " قصر عمي موسى " الذي تحول إلى قرية بهذا الاسم جنوب شرق واد رهيو ، بالإضافة إلى قرية آقبو

([1]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص128؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 209.

([2]) الطمار، تلمسان عبر العصور ، ص 113، 114؛ محمد مكيوي ، المرجع السابق، ص 91.

([3]) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص 16، 17؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص134؛ عطاء الله دهينة وآخرون، المرجع السابق، ج3، ص 384.

([4]) يذكر عبد الرحمن بن خلدون سبب هذه الحملة ومفاده أن السلطان المريني طلب من أبي حمو أن يسلم له بعض أعدائه الفارين إلى تلمسان، فأبى أبو حمو ولم يرض أن يخفر ذمته فيهم، ومن بين هؤلاء أخو السلطان المريني يعيش بن يعقوب بن عبد الحق الذي استراب بمكانه عند أخيه السلطان أبي سعيد لما سعى عنده، فنزع إلى تلمسان، وأجاره السلطان أبو حمو =على أخيه، فعزم على النهوض إلى تلمسان، ينظر: ذلك بالتفصيل عند، عبد الرحمن بن خلدون، العبر ، ج7، ص 505؛ التنسي المصدر السابق، ص 187؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 213.

على الضفة اليسرى من وادي الصومام والساحل بين تازمارت وبجاية على السفوح الشرقية بجبل آكفادو وبجرجرة[1].

لكن مما يؤسف له أن الأمير أبا تاشفين ثار على والده عام 718هـ/ 1318م فدبر له مكيدة، أفضت إلى اغتياله لإثارة ابن عمه أبا سرحان مسعود بن أبي عامر عليه وتفضيله إياه ثم تقلد الحكم مكانه[2].

3- عهد أبو تاشفين عبد الرحمن الأول(718هـ/1318م – 738هـ/ 1337م) وحصار أبو الحسن المريني لتلمسان:

هو خامس ملوك الأسرة الزيانية جلس على كرسي العرش سنة 718هـ/ 1318م بعد اغتياله لأبيه السلطان أبي حمو موسى الأول، وكان عمره لا يتجاوز الخامسة والعشرين سنة، استهل حكمه بجمع سائر قرابته الذين كانوا بتلمسان ونفاهم إلى الأندلس[3]، وكان يريد بهذا التصرف القضاء على تأثيرهم وتفادي المتاعب التي قد يتسببون فيها ضده، فقلد حجابته مولاه هلالا وقرب أعوانه إليه ومن يثق فيهم، ووزع قيادة الأقاليم على أنصاره وعقد لموسى بن علي الكردي على قاصية الشرق وكلفه بحصار بجاية و " أغرق دولته بتشييد القصور واتخاذ الرياض والبساتين " حسب تعبير ابن خلدون[4].

([1]) عاشت دولة بين مرين فترة مظلمة في تاريخها امتدت من مصرع أبي يعقوب سنة 706هـ/ 1307م، حتى وفاة أبي سعيد سنة 731هـ/ 1331م، لذلك أخذت حدودها تتقلص حتى وصلت إلى ما وراء تاوريرت غربا، كما انقطعت الإمدادات من الأندلس، فعاشت الدولة كأنها في حالة راحة بعد فترة الازدهار التي عرفتها مرحلة أبي يوسف يعقوب، ولولا انشغال بني عبد الواد بالتوسع شرقا لكان بإمكانهم الاستيلاء على عدة مدن من مملكة بني مرين، ينظر في ذلك: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 517؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 213؛ السلاوي، الاستقصا، ج3، ص 110؛ التنسي، المصدر السابق، ص 187.

([2]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 216، ويذكر يحي بن خلدون في هذا الصدد قائلا : " وكان رحمه الله مؤثرا بابن عمه أبي السرحان مسعود بن أبي عامر بن يغمراسن بن زيان، عن ابنه السلطان أبي تاشفين ومفضلا إياه عليه في السر والجهر والنهي والأمر، فكثيرا ما كان يعيره به ويوبخه في الملإ بسببه، وربما أسمعه هجو القول غير مبال عاقبته "، ينظر: البغية، ج1،ص 214.

([3]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 219.

([4]) نفسه، ص 219.

لم يكن أبو تاشفين يختلف عن سلفه فيما يتعلق بخطتهم الرامية إلى التوسع نحو الشرق والقضاء على القبائل المناهضة لحكمهم[1]، فكان أول عمل قام به هو أن نهض للقضاء على محمد بن يوسف المغراوي الثائر على أبيه بجبل الونشريس وضواحيه ومن انضم إليه من مغراوة وتوجين، إذ حاصرهم في ربوة توكال ثمانية أيام بعدما جمع حشودا من زناتة وعرب سويد[2]، فجاعت مواشيهم ونفذت ذخائرهم فاقتحمهم، وألقى القبض على الثائر محمد بن يوسف وأمر بقتله، وعقد لعمر بن عطية على جبل " الونشريس "، وأعمال بن عبد القوي، ولسعيد العربي من مواليه على عمل " المدية "[3]، واستمر في التوسع شرقا حتى وصل بجاية فأمر قائده موسى بن علي الكردي بمحاصرتها والضغط عليها وكرّر عليها الهجمات مرة في كل سنة تقريبا[4].

ظل أبو تاشفين يتذكر تلك الحملة الشنعاء التي شنها عليهم الحفصيون في عهد أبي زكريا الأول 639 هـ/ 1242م وانكسار الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان وانهزامه أمام هذه الحملة.

ومن ثم أخذ يتحين الفرص السانحة للثأر من خصومه، فانتهز فرصة حدوث اضطرابات في أعمال قسنطينة التي ضعضعت أركان الدولة الحفصية، فضيق عليها الحصار دون أن يقتحمها سنة 720هـ/ 1320م لحصانتها [5] وشدة مقاومة أهلها، ثم اتجه إلى بلاد العناب وجال في ربوعها،

([1]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 216؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 220.

([2]) عرب سويد هم من بطون عرب بني مالك بن زغبة ربطتهم علاقات طيبة ببني عبد الواد قبل ظهور دولتهم بالمغرب الأوسط، وبعد سيطرة بني عبد الواد على تلمسان وضواحيها اختص عرب سويد بحلفهم دون سائر بطون زغبة، وقرب يغمراسن رؤساءهم من أولاد عيسى بن عبد القوي، وبعدما تدهورت العلاقات بين سويد وبني عبد الواد طردوا من التل واستقروا بجوار أوطان بني توجين في الصحراء وتصاهروا فيما بينهم حتى صاروا حلفاء ضد بني عبد الواد، لكن عندما تولى أبو تاشفين الأول الحكم تقرب إليه (عريف بن يحي) زعيم عرب سويد لعلاقة ربطته به في الصبا لكن سرعان ما انحازوا إلى بني مرين سنة 720هـ/ 1320م، ولذلك لعبت سويد دورا تاريخيا في غزو بني مرين للمغرب الأوسط سواء بالتحريض أو بالاشتراك في قوات المرينيين مما جعلهم في وضع مميز في الدولة المرينية، ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص ص 46-48.

([3]) هوارية بكاي، المرجع السابق ،ص 15 ؛الطمار، تلمسان عبر العصور ، ص 123- 124.

([4]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 221.

([5]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص216؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 221.

ثم عاد إلى وادي بجاية[1] ، حيث ابتنى في أول مضيقه حصن " بكر "[2] وأنزل به الجند والعتاد وترك عليه القائد يحي بن موسى الجمي وعاد[3].

واستمرت التحرشات والغارات الزيانية على أملاك الحفصيين، إذ حاول أبو تاشفين الأول غزو بجاية ثم قسنطينة التي حاصرها ثلاث مرات ما بين 721 هـ/ 726هـ - 1321م / 1326م لكن بدون جدوى، إذ عجز عن اقتحام أسوارها، فاضطر جيشه أن يعود إلى حصن بكر [4]؛ الذي رأى أنه لم يعد صالحا لتأدية مهامه الدفاعية والهجومية، فاختط قاعدة بديلة لانطلاق جيوشه إلى الأقاليم الشرقية، وتكون مقرا للإمدادات المستعجلة أطلق عليها اسم حصن تامزيزدكت[5] تشبيها لها بالحصن الموجود جنوب مدينة وجدة وولى عليها موسى بن علي الكردي[6]، وأمده بجيش يناهز تعداده ثلاثة آلاف مقاتل وزوده بالمؤن اللازمة، فأثقل على بجاية وشدد في حصارها حتى غلت أسعارها ووهنت قواتها[7].

ظلت هذه الحامية العسكرية تهاجم مدينتي بجاية وقسنطينة وأطرفهما حتى وصلت إلى بلاد العناب، خاصة سنة 728هـ/ 1328م، ويبدو أن أبا تاشفين لم يكتف بالحصون التي بناها

([1]) وادي بجاية هو وادي الصومام حاليا . هوارية بكاي،المرجع السابق ،ص 224 .

([2]) سمى برونشفيك هذا الحصن باسم " تغار "،ينظر: برونشفيك روبير، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي إلى القرن 15م، ج1، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 178.

([3]) يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص 216؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر،ج7، ص 221.

([4])يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص 217؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر،ج7، ص 220، 221 ؛ هوارية بكاي،المرجع السابق ،ص 224 .

([5]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 223.

ولا تزال هذه المنطقة تسمى تامزيزدكت، ومعناها المحلي المصفاة على تكلت وهي عبارة عن قلعة بنيت على أنقاض المدينة الرومانية القديمة التي كانت تعرف باسم "تبسكتو" قرب بجاية، وقد افترض الباحثون أن الموقع الاستراتيجي لتكلت والذي يتحكم في ممر الصومام للسكك الحديدية المؤدية من بجاية إلى بني منصور يشبه قمة تل المحصر المتحكم في ممر تافنة للسكك الحديدية الرابطة بين تلمسان وفاس، انظر، الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 11.

([6]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 223؛ التنسي، المصدر السابق، ص 143.

([7]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 223.

للتضييق على بجاية وخنق أهلها، إذ أمر ببناء حصن آخر في أعلى الوادي سنة 729هـ/ 1329م كنقطة مراقبة جديدة لبجاية وأحوازها سماه "الياقوتة "[1].

وفي السنة التالية قام أبو تاشفين بتجهيز حملة بقيادة يحي بن موسى الجمي السنوسي يرافقه أحد الأمراء الحفصيين المناوئين للسلطة المركزية بتونس[2]، فلقيهم السلطان أبي يحي الحفصي بالواد الشارف من إفريقية، فانخذل عنه أحياء العرب من أولاد مهلهل الذين كانوا معه، فانكشفت جموعهم واستولى بنو زيان على ذخائره وحريمه ومحلاته وولديه أحمد وعمر، ومحلاته[3] وأرسلوا بها إلى تلمسان[4]، بينما نجا السلطان أبو يحي بأعجوبة بعدما احتمى بأسوار مدينة قسنطينة وبذلك وبذلك تمكنت الجيوش الزيانية من دخول مدينة تونس وأقامت بها أربعين يوما، ثم تركتها تحت قيادة ابن أبي عمران وحمزة بن عمر السلمي، وعادت إلى قواعدها بوادي بجاية سنة 730هـ/ 1330م، بعدما اخذت الولاء والطاعة من أعيان تونس، وعهدا على تقديم الجباية، وفي طريقها ضيّقت الحصار على قسنطينة وبجاية، وحالت بينهما وبين الإمدادات فاشتد الغلاء لنقص المؤونة والذخيرة[5].

([1]) هو مكان يقع في مصب نهر الصومام، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 225؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 218؛ التنسي، المصدر السابق، ص 144.

([2]) هي سياسة انتهجها أبو تاشفين في اعتماده على مساندة ودعم خصوم العرش الحفصي واستقبالهم في بلاطه وخاصة منهم شيوخ الأعراب وأبناء الأسر الحاكمة الثائرون على السلطان والمطالبون بالعرش، فكان يدعمهم ويساندهم ويشجعهم ماديا ومعنويا بتقديم الجند والمال وتحريضهم على النهوض والثورة، ينظر : برونشفيك، المرجع السابق، ج1، ص179؛ أبو ضيف مصطفى، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 134.

([3]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 138؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 224.

([4]) أسر الجيش الزياني ولدا أبي يحي الحفصي وبعض نسائه، ولكن أطلق سراح الولدين مع مرضعة واحدة ورفض إطلاق سراح سراح النساء الحفصيات، ينظر: برونشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 179.

([5]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 218؛ التنسي، المصدر السابق، ص 143.

في هذه الأثناء حاول أبو يحي الحفصي المحاصَر بقسنطينة أن يبرم صلحا مع أبي تاشفين إلا أن هذا الأخير أبى[1]، فاضطر إلى طلب النجدة من بني مرين، فبعث إليهم ابنه أبو زكريا يحي، ووزيره أبو محمد بن تافراجين[2] يطلب من أبي سعيد المريني (710هـ- 731هـ) (1310م- 1331م) مساعدته لصد هجومات بني زيان المتكررة على بلاده، عارضا عليه المصاهرة بتزويج ابنه أبي الحسن بإحدى الأميرات الحفصيات[3]، فاستقبل السلطان المريني هذا الوفد أحسن استقبال ووافق على تلبية طلب أبي يحي وعلى عقد الزواج، ولم يتوان في إرسال وفد هام إلى تلمسان[4] يطلب من أبي تاشفين الأول الكف عن مهاجمة بلاد إفريقية، والإقلاع عن حصار بجاية، إلا أن هذا الطلب قوبل بالرفض، بل تحدى أبو تاشفين بني مرين في عقر دارهم، إذ وجه جيشا لغزو مدينة تاوريرت القريبة من الحدود الزيانية وهزم جيشها، ثم قفل عائدا إلى تلمسان[5].

وفي سنة 731هـ/ 1335م توفي السلطان المريني أبو سعيد وخلفه ابنه أبو الحسن[6]، فاتبع سياسة والده مع بني حفص أصهاره، وبني زيان خصومه، حيث أعاد عليهم الطلب الذي أقره أبوه شافعا للسلطان الحفصي، الأمر الذي رأى فيه تاشفين تدخلا في شؤون دولته وتهديدا لسيادتها واستقلالها، فكان رده لشفاعة أبي الحسن أسوأ من الأول[7]، بل قام بهجوم معاكس على وادي (صا) المتاخم لبلاده، وأرسل تحذيرا فيه تهديد لأبي الحسن إن هو أصر على مطلبه[8].

([1]) كان أبو يحي الحفصي قد أرسل رسولين إلى أبي تاشفين وهما: قاضي أنكحة المدينة، وفقيهها أبو عبد الله محمد القريشي الزبيدي، غير أن مهام هذه السفارة لم تكلل بالنجاح بسبب إصرار أبي تاشفين وعناده لأنه يعد في مركز قوة، ينظر: ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 30.

([2]) العبر، ج7، ص 224؛ يحي بن خلدون، البغية، ج1، ص 193؛التنسي، نظم الدر، ص 144.

([3]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 218.

([4]) استغل بنو مرين الفرصة لتحقيق حلمهم الذي يراودهم وهو القضاء على دولة بني زيان والاستيلاء على المغرب الأوسط.

([5]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 218.

([6]) تولى السلطان أبو الحسن المريني الحكم من سنة 731هـ/ 1331م إلى سنة 749هـ/ 1348 م.

([7]) يورد عبد الرحمن بن خلدون أن أبا تاشفين أساء الرد وأسمع الرسول بمجلسه هجو القول. العبر، ج7، ص 226.

([8]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 219؛ ابن مرزوق، المسند، ص 120، 121.

عندئذ لم يبق أمل في استمرار السلم بين الدولتين، فشرع أبو الحسن المريني يستعد للهجوم على المغرب الأوسط ويتأهب للحرب[1].

نهض أبو الحسن المريني في جيش كبير سنة 732هـ/ 1332م، واتجه نحو تاسالة بالغرب من سيدي بلعباس وضرب عليها حصارا طويلا وبعث منها إلى صهره الحفصي في بجاية بعض المدد مع قائده الحسن البطوي انطلاقا من سواحل وهران، الأمر الذي مكّن السلطان الحفصي من هدم حصن تامزيزدكت، فتراجع بنو زيان إلى خلف حدودهم[2].

ولما تغلّب السلطان أبو الحسن المريني على أخيه الثائر عليه وقتله سنة 734هـ/ 1334م، وأعاد الاستقرار لبلاده قرر العودة لغزو تلمسان وحصارهان فنهض إليها سنة 735هـ/ 1335م، فهاجم وجدة، ندرومة، هنين، تاسالة ووهران[3]، ثم حاصر تلمسان عندما لم يستطع اقتحام أسوارها، وأعاد بناء المنصورة[4]، لتصبح مقرا له ولحاشيته ويشدد من خلالها الخناق عليها، فدام هذا الحصار أكثر من ثلاثين شهرا، قاوم بنو زيان أثناءه مقاومة شديدة خاصة وأن أبا الحسن سخر لهذه الحرب أحدث الآلات المعهودة آنذاك، ولم يدخل أبو الحسن عاصمة بني زيان، إلا بعد أن تفطن لمصدر المياه الذي تتزود منه المدينة، فقطعه عنها[5].

وفي 28 من شهر رمضان سنة 737هـ/ 1336م تمكن جيش بني مرين من اختراق الأسوار ودخول المدينة، فوجدوا السلطان أبو تاشفين وأولاده ووزرائه في مقدمة المقاومين يقاتلون بشدة إلى أن قتلوا جميعا أمام باب القصر برحبة أيمن تجمعي[6].

([1]) التنسي، المصدر السابق، ص 146.

([2]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 226.

([3]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 227؛ برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 180.

([4]) يعيد الأثريون آثار المنصورة حاليا إلى بقايا أبي الحسن وليس إلى مدينة أبي يعقوب يوسف بن يعقوب المندثرة سنة 707هـ/ 1307م. G.et.W Marcais,les monuments arabes,pp 192- 201.

([5]) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 46.

([6]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 219؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 229، ودفن الأمير أبو تاشفين بباب وهب قريبا من ضريح أبي يعقوب التيفريسي .

وبذلك أفل نجم بني عبد الواد، واختفى رسم الدولة الزيانية وزال نفوذهم، وحل محلهم بنو مرين في إدارة المغرب الأوسط، مدة زمنية زادت عن اثنتي عشر سنة[1].

ومهما يكن من أمر، فإن أبا الحسن المريني قد استفاد من خدمات من تبقى من أسرة بني عبد الواد، حيث عامل أمراءهم وفرسانهم معاملة حسنة فشملهم بعطفه، وأبقى لهم مناصبهم وامتيازاتهم وكفل أبناء أبا تاشفين الصغار وأنزلهم في قصوره، كما استعمل من توسم فيه الكفاءة والشجاعة من الضباط والجنود والفرسان في جيشه وإدارته، لتوسيع نفوذه، حتى صار المغربين الأوسط والأقصى تحت لوائه، فتحقق بذلك حلم بني مرين بأن أصبحوا أقوى من حَكم بلاد المغرب الإسلامي وبالتالي أصبحوا جديرين بإرث الإمبراطورية الموحدية[2].

وبعد أن قوي نفوذ أبي الحسن وذاع صيته، بعث إليه الملوك سفراءهم يحملون التهاني والهدايا خاصة ملك قشتالة وسلطان مالي[3] والتف حوله من كانوا بالأمس القريب أعداءه من بني عبد الواد ومغراوة وتوجين[4]،الأمر الذي شجعه على الاستيلاء على تونس دون أن يقدر العنصر العربي حق قدره فوقع ما لم يكن في الحسبان، حيث وقفت القبائل العربية ضده وكانت له بالمرصاد في القيروان في شهر صفر من سنة 748هـ/ 1347م[5]، وحالت دون استكمال مشروعه الهادف إلى الاستيلاء على إفريقية، والذي ظل يحضر له أكثر من عشر سنوات، وكان أبو الحسن قد غادر مدينة تلمسان تاركا ابنه أبي عنان نائبا له، وفي طريقه اكتسح بلاد الزاب وبجاية وقسنطينة ثم عاصمة بني حفص التي دخلها في شهر جمادى الثانية من سنة 748هـ/ 1347م[6] 1347م[6] دون مقاومة من أهلها[1]

([1]) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 47؛ الطمار، تلمسان عبر العصور، ص 125.

([2]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 537؛ السلاوي، الاستقصا، ج3، ص 126.

([3]) عطاء الله دهينة وآخرون، المرجع السابق، ج3، ص 389؛ برونشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 197.

([4]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 235.

([5]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 558؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 235.

([6])ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 170.

لكن الأعراب رفضوا إجراءاته الجديدة[2]، وبايعوا أحمد بن عثمان بن أبي دبوس (750هـ-751هـ) / (1349م- 1350م)، وجعلوه رمزا للمقاومة وثاروا ضد بني مرين وهيمنتهم، فالتقى الخصمان في معركة حاسمة بالقيروان[3] كان الانتصار فيها لصالح القبائل العربية التي انضم إليها الزيانيان أبو ثابت وأبو سعيد في التاسع من محرم لسنة 746هـ/08 أفريل1348م، وانهزم أبو الحسن وضاع أمره[4]، فأراد العودة إلى سلطانه في المغرب فوجد ابنه أبا عنان فارسا المتوكل قد نادى بنفسه سلطانا بحجة أنه قد أُبلغ بوفاة أبيه في حربه مع العرب، فغادر تلمسان إلى فاس بصفته ولي العهد وترك عثمان بن جرار العبد الوادي حاكما على تلمسان والمغرب الأوسط وذلك سنة 749هـ/ 1348م[5].

4- عهد أبو سعيد عثمان وأبو ثابت وعودة بني زيان إلى تلمسان:

بعد انصراف أبي عنان فارس عن تلمسان إلى فاس، و انهزام أبي الحسن المريني بالقيروان وشيوع وفاته، انتهز الأميران الزيانيان أبو سعيد عثمان وأخيه أبو ثابت الفرصة لاسترجاع ملك أجدادهم

([1]) ابن مرزوق، المسند، ص 194، وفي تلك الأثناء راح أبو الحسن يزور أضرحة الأولياء ومقابرهم، فزار القيروان والمهدية والمنستير لجلب عواطف الناس واحترامهم وكسب ودهم وخاصة منهم الفقهاء .

([2]) استاء أبو الحسن حينما وجد نفوذ القبائل العربية مهيمنة على الدولة الحفصية ولم يطمئن لذلك الامتياز الذي يحظون به فاتخذ بعض الإجراءات التي تحد من شوكتهم وتدخلهم في شؤون الدولة ، فألغى الضرائب التي فرضها الحفصيون بواسطة القبائل العربية، التي تطالب الفلاحين بأدائها وأراد أيضا أن يلغي الإقطاع الذي فرض عليهم، ينظر: ابن قنفذ القسنطني، الفارسية، ص 170؛ عطاء الله دهينة وآخرون، المرجع السابق، ج3، ص 389؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 47.

([3]) ابن مرزوق ، المسند، ص 495؛ ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 171.

([4]) أفلت أبو الحسن من الحصار الذي فرضته عليه القبائل العربية في القيروان، وعاد إلى تونس، فوجد بها وباء الطاعون الذي مات منه خلق كثير، فشاع خبر وفاته بالطاعون، وخشي أبو عنان أن يؤول الملك إلى غيره من الأمراء المرينيين وكان ابن أخ له قد دعا لنفسه بالإمارة بفاس- فغادر تلمسان وقضى على منافسه في الحكم وانتصب على العرش، فدخل في صراع مرير مع والده إلى أن توفي أبو الحسن المريني في 27 ربيع الأول 752هـ/ 24 مايو 1351م، ينظر: عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى ، ص 27؛ حسين مؤنس، تاريخ المغرب،ج2، ص 51، 52.

([5]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 580.

فبويع أبو سعيد بن عبد الرحمن أميرا بعدما عملوا على كسب تأييد كل من مغراوة وتوجين وتحالفهما، فتوجهوا جميعا نحو المغرب الأوسط، إلا أن مغراوة خذلتهم عندما وصلوا شلف وتبعها بنو توجين، وبقي الأميران يقاتلان في طريقهما إلى تلمسان إلى أن وصلا إلى سكاك[1]، أين التقيا أحد إخوة ابن الجرار نائب السلطان أبي عنان على المغرب الأوسط فقاتلوه حتى انتصروا عليه[2]، وتابع الأميران سيرهما فدخلا تلمسان في 22 جمادى الآخرة 749هـ، وأعادا لقبيلتهما ملكها الذي فقدته نحو اثنتي عشرة سنة، وأحيا بذلك أبو سعيد دولة أجداده، وتقاسم الملك مع أخيه أبي ثابت فالتزم كل واحد منها بصلاحياته[3]

وبدأ أبو ثابت باسترجاع نفوذ الدولة الزيانية في المغرب الأوسط، الذي خلع طاعة بني زيان بعد ذهاب رسم دولتهم، فأخضع الساحل الشمالي لتلمسان، واحتل ندرومة وهنين ووهران، بعدما استنفر لهذا الغرض بعض قبائل زناتة والعرب[4]، في هذه الأثناء وردت إليه أخبار من الشرق عن قدوم الناصر بن أبي الحسن المريني إلى المغرب الأوسط على رأس جيش معزز ببعض القبائل العربية مثل: سويد والديالم والعطاف وحصين (وهي قبائل معادية لبني زيان)، فأرسل أبو ثابت إلى ابي عنان فارس يخبره بأمرهم ويطلب منه المساعدة.

وفي محرم 750هـ نهض أبو ثابت بعد أن وصلته الإعانات[5] من أبي عنان بقومه متجها نحو الشرق، ولقي الناصر في منطقة شلف بوادي ورك من أرض العطاف وانتصر عليه وأخضع القبائل

([1]) سكاك: وادي صغير في ملتقى وادي الصفصيف يصب في نهر يسر، الذي يصب بدوره في نهر تافنة، ويقع شرق تلمسان، ينظر، التنسي، المصدر السابق، ص 151.

([2]) يحي بن خلدون، العبر، ج7، ص 236، 237؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 25؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج1، ص 48.

([3]) تقلد أبو سعيد مراسيم الملك من خطبة وسكة وكرسي العرش، بينما تقلد أبو ثابت قيادة الجيوش. ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص 151، 152

([4]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 243.

([5]) كان أبو عنان يريد القضاء على أخيه وأبيه المنافسين له، ولذلك أرسل إعانة سريعة لأبي سعيد وأبي ثابت، والمتمثلة في إطلاق سراح بني عبد الواد من سجون فاس، وعودة الرهائن إلى تلمسان، بالإضافة إلى بعض المال والرجال الذين أرسلهم لمؤازرة أبي ثابت، ينظر: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج1، ص 49؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 26

العربية، فتراجع الناصر إلى بلاد أفريقية، بينما عرج أبو ثابت على وهران للمرة الثانية وفتحها عنوة في نفس السنة، ثم غزا ناحية شلف في أواخر شوال 750هـ وأخضع مغراوة ومازونة وما جوارهما، فأذعنت كلها إلى طاعة أبي سعيد[1].

وفي الوقت الذي كان فيه بنو زيان يعملون على توسيع نفوذهم وتوطيد أركان دولتهم وصل إلى تلمسان نبأ نزول أبي الحسن المريني الجزائر وذلك في شهر شوال من سنة 750 هـ/ 1349م في أسطول ضخم قادم من بجاية[2]، بعد أن انضمت إليه سويد بقيادة ونزمار بن عريف، وتوجين بقيادة عدي بن يوسف، ومغراوة برئاسة علي بن راشد[3] ولردّ هذا الهجوم بعث أبوعنان بمساعدات مرينية لأبي ثابت الذي قام بعملية واسعة النطاق في الناحية الشرقية، ففتح من خلالها المدية وعين عليها عمران بن موسى الحبنوني، ثم اقتحم جبال التيطري جنوب المدية وأخضع بها عرب حصين، وتوغل إلى فحص حمزة ثم عاد إلى تلمسان في رجب سنة 751هـ[4].

ورغم هذه الانتصارات[5] إلا أن الأوضاع لم تستقر بالمغرب الأوسط لأن أبا الحسن وابنه الناصر تحركا من جديد نحو الغرب، فاستولوا ومؤيديهم على مدينة المدية وملیانة وقتلوا عمران الحبنوني.

والظاهر أن أبا ثابت استطاع إقناع زعيم مغراوة بالانضمام إليه لمواجهة مرين فاختص هو بلقاء أبي الحسن، وتكفل علي بن راشد المغراوي بلقاء ولده الناصر[6] والتقيا بتيعزيزن[7] في ناحية شلف شلف في 10 شعبان 751هـ/ 1350م، فانتصر أبو ثابت وقتل الناصر وبعض كبار أنصار أبي

([1]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 243

([2]) كان هذا الأسطول يتكون من 600 سفينة، غرق بعضها بين سواحل بجاية ودلس، بسبب الزوابع البحرية ورداءة الطقس وغرق معها 400 عالم وفقيه، كانوا رفقة السلطان أبي الحسن المخلوع، الذي نجا بأعجوبة من هذه الكارثة مع طائفة من حاشيته وخواصه، ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 591؛ابن أبي دينار ، المؤنس، ص 148.

([3]) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 27؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 50.

([4]) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 27.

([5]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 243؛ التنسي، المصدر السابق، ص 153.

([6]) نفسه، ج1، ص 243؛ نفسه، ص 153.

([7]) يذكر عبد الرحمن بن خلدون، بتعمرين في شلف، ينظر: العبر ج7، ص 249.

الحسن الذي نجا مع الشيخ ونزمار بن عريف إلى سجلماسة عن طريق الصحراء، أما أبو ثابت فقد عاد إلى تلمسان في الفاتح شوال سنة 751هـ/ 1350م[1]، بعدما تمكن من إبعاد خطر بني مرين مرة أخرى.

ولم يبق أمام أبي ثابت إلا توطيد أركان دولته وتوسيع نفوذه، حيث خرج قاصدا برشك[2] وشرشال وملیانة[3] والمدية[4] وسهل متجية واستولى على الجزائر[5]، ثم عاد إلى أرض مغراوة وشدد وشدد عليها الخناق، فاستنجد رئيسها علي بن راشد بأبي عنان المريني الذي هدد بدوره العاهل الزياني وطلب منه رفع يده عن مغراوة، غير أن أبا ثابت واصل تأديب مغراوة[6] وإخضاعها لأنها خصمهم اللّدود في كل الأوقات، حيث ألحق بها هزيمة ثقيلة وقتل زعيمها في مدينة تنس ثم عاد إلى عاصمته سنة 752هـ/ 1351م[7] بعد أن ضم إلى جيشه الكثير من فرسان مغراوة، وبذلك تمكن بنو زيان من جمع شتات قبائل المغرب الأوسط وتكوين قوة عسكرية وإبعاد الخطر المريني عن قطرهم، فأصبحت حدود الدولة تمتد بين إفريقية والمغرب الأقصى[8].

([1]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 244.

واحترما لنساء أبي الحسن وشأنه، قام أبو ثابت بإرسالهن إلى أبي عنان معززات مكرمات مع وفد زياني رسمي.

([2]) برشك عند التنسي وبريشك عند الوزان، مدينة قديمة بنها الرومان على الساحل، تبعد عن مستغانم بعدة أميال، لم يبق لها أثر بسبب زلزال 1531م،ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 32.

([3]) ملیانة مدينة قديمة بناها الرومان وأطلقوا عليها اسم ماكنانة، تقع في سفح جبل زكار الغربي على بعد نحو 40 ميلا من البحر ، ينظر، الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 33.

([4]) المدية: مدينة بناها الأفارقة في تخوم نوميديا على بعد نحو 80 ميلا من البحر ، وتقع في سهل خصيب، ينظر، الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 41.

([5]) التنسي، المصدر السابق، ص 153.

([6]) كان سبب نهوض أبي ثابت إلى مغراوة أن احد أمراء بني عبد الواد ويدعى محمد بن عمر الجمي، اجتاز بمنطقة شلف آتيا آتيا من تونس، وعندما مر بمازونة قتله بعض الناس من مغراوة، فانتهز أبو ثابت هذه الفرصة وقرر الزحف إليها للأخذ بالثأر، ينظر، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 29.

([7]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 244- 245.

([8]) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 30.

لكن سرعان ما تلاشت هذه السيطرة، بعدما نهض أبو عنان فارس منتقما من أبي ثابت وأبي سعيد متذرعا برد شفاعته لمغراوة، واتخاذها مبررا لغزو تلمسان والمغرب الأوسط والإطاحة بعرش بني زيان[1].

وفي تلك الأثناء وصل نبأ زحف أبي عنان إلى مسامع أبي ثابت الذي كان معسكرا في منطقة شلف فأقلع عنها فورا وعاد إلى تلمسان يعد العدة ويجمع المتطوعين من مختلف القبائل[2] بعدما اجتمع بأهل الحل والعقد وتشاور معهم في هذا الأمر، فوقع اتفاقهم على قرار المواجهة والمقاومة والتصدي للجيش المريني، عندئذ خرج أبو ثابت وأخيه أبا سعيد على رأس الجيش وأقاما معسكرهما بسهل أنجاد[3] بالقرب من وجدة، أين دارت معركة بين الجيشين، كان النصر فيها حليف أبي عنان بعدما تخلت بعض القبائل عن أبي سعيد وعلى رأسها بني عامر[4]، الذي أسره أبو عامر وأَمر بقتله في العاشر من جمادى الأولى سنة 753هـ/ 1352م[5]، أما الأمير أبو ثابت فقد نجا من المعركة، وعاد إلى تلمسان ثم غادرها نحو الشرق للاستعانة بقبائل المنطقة والاحتماء بهم، وقد وجد منهم العون والتعضيد والاستعداد للدفاع عن عرشه، عندها توجه نحو الغرب يريد مفاجأة المرينيين فانكسر جيشه للمرة الثانية في حوض شلف[6]، ولم يجد الأمير أبو ثابت بدا من الانسحاب بما تبقى من جنده[7] إلى مدينة الجزائر ومنها إلى تدلس، ثم توجهوا نحو إفريقية، ولما

([1]) التنسي، المصدر السابق، ص 153- 154.

([2]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 245.

([3]) نفسه، الصفحة نفسها.

([4]) لا تزال قرية تدعى " العامرية " تقع ما بين وهران وعين تموشنت ،أنظر، العبر، ج6، ص 105- 106.

([5]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 246، بينما يذكر التنسي وفاة أبي سعيد يوم 11 جمادى الأولى أما ابن خلدون فيحددها بيوم تسعة من نفس الشهر، ينظر العبر، ج7، ص 399؛ الزركشي، المصدر السابق، ص94.

([6]) التنسي ،المصدر السابق، ص 154؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 246.

([7]) لم يبق مع أبي ثابت إلا قيلا من الأنصار وعدد قليل من الأسرة الزيانية من بينهم أبي زيان محمد بن سعيد، وأبي حمو موسى الثاني، ووزيره يحي بن داود، حيث تنكر الجميع بملابس بالية بعدما يئسوا من مساعدة القبائل ومن التغلب على بني مرين فتوجهوا إلى إفريقية حيث تعرضوا لمحن كثيرة من قبل زواره، ينظر في ذلك: التنسي، المصدر السابق، ص 155 ؛يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 246.

وصلوا وادي بجاية قبض عليهم صاحب بجاية أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء الحفصي وهو من أتباع بني مرين فقام باعتقالهم ثم تسليمهم إلى زعيم سويد ونزمار بن عريف الذي سلمهم إلى بني جرار للانتقام منهم[1] فقتلوا أبا ثابت ووزيره في شهر رمضان سنة 753هـ/ 1352م، اما أبو حمو موسى الثاني، فقد نجا إلى تونس وبذلك زال سلطان بني زيان مرة أخرى على يد السلطان أبي عنان المريني الذي استقر بمدينة تلمسان[2]، وبذلك انتهى حكم الأميرين أبي سعيد وأبي ثابت، واستولى بنو مرين من جديد على تلمسان وسائر المغرب الأوسط[3].

5- عهد أبو حمو موسى الثاني وإحياء الدولة الزيانية للمرة الثانية – العهد الزياني الثاني – (760هـ- 962 هـ) / (1359م- 1555م) :

أعلن السلطان أبي عنان المريني نفسه خليفة لأبيه أبي الحسن، لتبقى تلمسان تابعة لسلطة بني مرين مدة سبع سنوات أخرى، إلى أن تمكن أبو حمو موسى الثاني[4] من استرجاعها من المرنيين عام 760هـ/ 1359م.

وقد استغل أبو حمو موسى الثاني حالة الضعف التي آل إليها بنو مرين، وفشل مشروع السلطان أبي عنان في توحيد المغرب، وإخفاقه في الاستيلاء على إفريقية، وراح يعد العدة لاسترجاع ملك أسلافه.

كان أبو حمو مقيما لدى السلطان أبو إسحاق بن أبي يحي الحفصي(751هـ- 770هـ) / 1350م- 1378م) ووزيره ابن تافراجين الذي استقبله استقبال الأمراء مدة خمس سنوات[5]،

([1]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص247؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 254.

([2]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 247.

([3]) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 32.

([4]) هو أبو حمو موسى الثاني وهو ابن أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن بن زيان، ولد بالأندلس في مدينة غرناطة سنة 723هـ ، وقد نشأ أبو حمو في تلمسان لينتقل إلى فاس أثناء الاستيلاء المريني على تلمسان سنة 737هـ، ليعود إلى تلمسان ويستقر بندرومة ، وعاش هناك بعيدا عن كل نشاط سياسي إلى غاية تنقله إلى تونس سنة 753هـ/ 1352م، ونزل بها على الحاجب أبي محمد بن تافراجين فأكرم نزله وقد أقام لديه إلى أوائل 758هـ/ 1357م ، ينظر: البغية، ج1، ص ص 13- 17؛ عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص ص 69- 76.

([5]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 17.

مما دفع بأبي عنان إلى إرسال وفد إلى السلطان الحفصي يطلب منه طرد أبي حمو موسى وإخراجه من بلاده، إلا أن أبا إسحاق رفض طلبه، ولعل هذا الرفض كان من الأسباب التي عجلت بخروج أبي عنان لاحتلال إفريقية سنة 758هـ/ 1357م[1]، وفرار أبي حمو موسى الثاني رفقة السلطان الحفصي ووزيره إلى الجريد بجنوب إفريقية، حيث استقر الجميع مدة من الزمن، وعندئذ بعث عرب الدواودة إلى أبي إسحاق يعرضون عليه طاعتهم، والتحالف ضد أبي عنان عدوهم المشترك الذي كانوا قد نقضوا طاعته، ثم اجتمعوا بالوزير تافراجين ورغبوه في إلحاق أبي حمو موسى الثاني بالمغرب الأوسط[2]، وذلك حتى يشغلوا الجيش المريني عن تونس، ويقطعون عنه الإمدادات من المغرب الأوسط، فضمنوا له المساعدة والمناصرة، في الوقت نفسه استطاع بنو حفص إعادة عرشهم ورجعوا إلى عاصمتهم ومعهم أبو حمو الذي أخذ يعد العدة لمشروعه، فوفد عليه شيوخ الدواودة وبني عامر وجماعة من زناتة[3]، فتعزز صفه وقوي جيشه هذا فضلا عن مساعدة بني حفص[4].

بعدها ارتحل أبو حمو موسى نحو الجريد ومنها إلى مدينة ميلة يقتفي أثر أبي عنان وجنوده سنة 759هت/ 1358م، فاحتلها وطرد من كان فيها من بني مرين[5]، ثم نهض إلى " غتية " فعسكر فعسكر بها، ثم قصد إلى بلاد الزاب يريد تلمسان، خاصة بعدما بلغه مهلك أبي عنان ، فقويت عزيمته على استرجاع ملكهم الضائع؛ وفي طريقه نازل عرب سويد الذين استولوا على وادي ملال، وقتل قائدهم عثمان بن ونزمار بن عريف، وطردهم من الوداي في ذي الحجة سنة 759هـ/ 1358م[6]، ثم اقتحم بجموعه مدينة تلمسان وطرد منها ابن السلطان أبي عنان الذي كان أميرا عليها خلفا لأبيه مع طائفة من قومه[7].

([1]) عن هذه الحملة، ينظر: ابن الحاج النميري، ص 157 و ما بعدها.

([2]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 255.

([3]) التنسي، المصدر السابق، ص 158.

([4]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص 20- 22.

([5]) هي منطقة تقع ما بين جبل الأوراس وجبل عياض. هوارية بكاي،المرجع السابق ،ص 236 .

([6]) البغية، ج2، ص ص 22- 24؛ نظم الدر، ص 158؛ العبر، ج7، ص 256.

([7]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 256.

فدخل أبو حمو مدينة تلمسان مع أنصاره يوم الأربعاء الثامن من ربيع الأول سنة 760هـ/ 1359م، ليُبايع سلطانا على مملكته[1].

وبعد أن استولى أبو حمو على تلمسان أخذ يبسط نفوذ دولته على تراب المغرب الأوسط بالترغيب حينا، والترهيب أحيانا، فجاءته وفود القبائل المختلفة تقدم الولاء والبيعة والطاعة، من مناطق عديدة، لاسيما منهم سكان ندرومة وهنين ووجدة ومن بني عامر والمعقل، حيث بذل لهم أبو حمو العطاء والهدايا من بيت المال، ووزع عليهم المحاصيل الزراعية وأهدى لرؤسائهم الخيول والسروج التي غنمها من بني مرين، كما أقطعهم كثيرا من الأراضي الخصبة[2].

كما وصلته وفود أخرى من مستغانم وتمزغران والبطحاء للمبايعة والتهنئة ثم تلاهم وفد قلعة هوارة، غير أن المدن الأخرى مثل وهران ومليانة والمدية والجزائر، كانت لا تزال تحت سلطة بني مرين، فأرسل أبو حمو إلى وهران جيشا بقيادة الوزير ابن برغوث لكنه انهزم وقبض عليه في 8 ربيع الثاني 760هـ[3]، وبعث بوالده أبي يعقوب إلى المنطقة الشرقية، فاستطاع أن يفتح شلف ومليانة والمدية والجزائر التي اختارها أن تكون مقرا لولايته[4].

لم يقف بني مرين مكتوفي الأيدي أمام هذه الحوادث، خاصة بعدما وصل إلى بلادهم عرب سويد بعد هزيمتهم بوادي ملال ورغبوهم في الزحف إلى تلمسان، وكان عرش فاس تحت حكم الأمير الصغير أبي بكر السعيد بن أبي عنان إلا أن زمام الأمر كان بيد الوزير الحسن بن عمر الفودودي، الذي حشد جيشا قصد استرجاع تلمسان وأحوازها حيث سيّر إليها القائد مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي قاصدا أبا حمو موسى الذي رأى أن يغادر تلمسان لقلة ما كان لديه من الجنود، وأن يلتحق بقبيلة بني عامر في الجنوب أوائل جمادى الأولى 760هـ.

([1]) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 54- 55.

([2]) يحي بن خلدون، البغية، ج2، ص ص 28- 30.

([3]) الجزائر في التاريخ، ج3، ص 402، 403؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 55؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 93.

([4])التنسي، المصدر السابق، ص 185.

بعدها بقليل استولى ماساي على تلمسان وأخذ يعمل على إعادة النفوذ المريني في سائر أنحاء المغرب الأوسط، لكن سرعان ما عاد إليها أبو حمو بعد صلح عقد بينه وبين الأمير المريني منصور سليمان[1].

والجدير بالذكر أن السلطان أبو حمو موسى الزياني الثاني، اضطر خلال فترة حكمه التي امتدت أكثر من ثلاثيين سنة، أن يخرج من عاصمته، والفرار بأهله وحاشيته إلى الفياني[2] أربع مرات، نتيجة الغزو المريني المكثف لها، فكانت الغزوة الأولى سنة 760هـ/ 1359م، غادر خلالها السلطان أبو حمو عاصمته لمدة خمسة وعشرين يوما[3] وكانت الثانية في سنة 761هـ/ 1360م أخرجه منها السلطان المريني أبو سالم (760هـ- 762هـ) / (1359م- 1361م) لمدة أربعين يوما[4]، وكانت الثالثة – وهي الأطول زمنيا- بيني سنتي 772هـ/ 1371م- 774هـ/ 1373م في عهد عبد العزيز المريني(768هـ- 774هـ/ 1366م- 1372م) الذي تمكن من احتلال تلمسان أكثر من سنتين والهيمنة على المغرب الأوسط وقد أصاب أبو حمو موسى الشريد الطريد في هذه الفترة من الاحتلال المريني ضيقا شديدا أثناء إقامته في الصحراء بين أحلافه، بعيدا عن رعيته وعاصمته[5] التي ظلت تحت حكم بني مرين مدة تقرب من ست سنوات[6].

لم يسلم أبو حمو موسى الثاني من الصراعات العائلية حول العرش، إذ أن أحد أبناء عمومته وهو أبو زيان بن عثمان ابن أبي تاشفين الأول نهض إليه يطالبه بحقه في ولاية عرش أبيه[7]،

([1]) الجزائر في التاريخ، ج3، ص 403؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 93- 94.

([2]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 50- 51.

([3])يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 52.

([4]) البغية، ج2، ص ص 57- 76؛ روضة النسرين، ص 56؛ العبر، ج7، ص ص 206- 208، وفي جمادى الثانية سنة 762هـ عقد الصلح بين أبي حمو الزياني وأبي سالم المريني ، ينظر: البغية، ج2، ص89.

([5]) البغية، ج2، ص 236؛ روضة النسرين، ص 56؛ العبر، ج7، ص 281.

([6]) عن هجومات بني مرين على مدينة تلمسان في عهد أبي حمو الثاني، ينظر، العبر، ج7، ص 260، وما بعدها ؛البغية، ج2، ص 270، وما بعدها؛ روضة النسرين، ص 56 وما بعدها.

([7]) كان هذا الأمير يرى أنه أحق بالإمارة من أبي حمو ولم يتمكن من إعلان حقه في الإمارة لأنه كان سجينا عند بني مرين بفاس منذ سقوط إمارة أبيه سنة 753هـ، وبعد انعقاد الصلح بين أبي حمو وبني مرين، وإطلاق سراح بني مرين فر أبو زيان

مدعوما من خالد بن عامر من أعداء بني زيان[1]. والذي لم يتوان في التحرك بين السلطتين المرينية والحفصية طلبا للمساعدة، والتي ناصرته ودعمته بالمال والرجال للإطاحة بعرش أبي حمو الثاني، غير أنه فشل في ذلك بعد حدوث مواجهات عديدة بينهما، كان أهمها تلك التي وقعت سنة 769هـ/ 1368م والتي كادت تودي بحياة السلطان أبي حمو[2].

ولذلك لم يتأخر أبو حمو الثاني في ضرب منافسيه، بدءا بابن عمه أبي زيان الذي خارت قواه وسكن ريحه[3]، كما ضرب مغراوة وبني توجين وأدبهما، ولم يفلت من قبضته حتى المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون سنة 774هـ/ 1373م عندما أحس بميوله إلى عدوه السلطان عبد العزيز المريني على الرغم من وجود أخيه يحي بن خلدون في بلاطه ككاتب سره الخاص[4].

وفي أوائل سنة 765هـ تأزم الوضع من جديد بين المرينيين والزيانيين، وذلك لأن أبا حمو الزياني كان يساعد أمراء بني مرين الذين ثاروا بسجلماسة ضد السلطان المريني المتوكل على الله، فكان رد فعل هذا الأخير أن ألّب أبا زيان القبي حفيد السلطان أبي تاشفين الأول لمنافسة أبي حمو بعدما

من السجن والتحق بأولاد حسين بن المعقل ثم خالد بن عامر الذين أقاموه منافسا لأبي حمو، ينظر في ذلك: عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 105.

([1]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 113؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 263.

([2]) وصف يحي بن خلدون ما تعرض له أبو حمو الثاني خلال المعركة وصفا دقيقا قال فيه: " ...إلى أن أفرده الناس سوى شرذمة قليلة أنا منهم... وبلغ هو مأمنه، فسر خلصاؤه بسلامته، ثم حملوا ذخائرهم، ونبذوا الأهل والمال عرضة للنهب ، وساروا مع مولاهم... فجددنا السير يومنا وخمسة بلياليها بعده لم نطعم فيها....قوتا ولا ذقنا النوم فيها إلا غرارا....وبعد غروب الشمس من اليوم السابع وبعد الست من شوال دخل أمير المسلمين دار ملكه ". ينظر: البغية، ج2، ص ص 203-206، ويذكر عبد الرحمن بن خلدون أن انهزام أبي حمو في هذه المعركة كانت سنة 777هـ/ 1357م وربما اختلطت كثرة المعارك مع هذا الخصم والتي ظلت مشتعلة أكثر من 20 سنة، العبر، ج7، ص 271- 272.

([3]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 290.

([4]) أوعز أبو حمو موسى الثاني إلى بعض حلفائه من عرب المعقل، فاعترضوا طريق عبد الرحمن بن خلدون، فأنزلوه عن فرسه، ثم تركوه في القفر بعد أن جردوه من كل متاعه، ينظر، العبر،ج 7، ص 281 ؛ يحي بن خلدون، البغية ، ج2، ص 82، 133،135.

أمده بالجيش والمال وأرسله إلى المنطقة مصحوبا بابن برغوث وبعض وجهاء بني عبد الواد، معززا بعرب المعقل وبحصة مرينية[1].

فخرج أبو حمو للقائه، وكان قد نزل بعين الصفاء من جبل بني يزناسن فلم يظفر به، وتبعه إلى جبل دبدو في الجنوب، ثم عاد إلى عاصمته في الثامن من شعبان 765هـ، ثم سرح أبو حمو وزيره ابن مسلم على رأس جيش لمطاردة أبي زيان القبي، غير أنه قتل في حربه، فخرج أبو حمو بنفسه في 11 ذي الحجة في اتجاه الأعداء، فلقيهم قرب البطحاء، وبعد معركة حامية الوطيس فر أبو حمو مهزوما إلى تلمسان التي دخلها في 28 ذي الحجة 765هـ، مطاردا من طرف أحمد بن رحو شيخ أولاد حسين، وبعد انصراف بني عامر عن أبي زيان القبتي ضعف حزبه وانتهى أمره بانفضاض جموعه من حوله بدون قتال، والتحقت حاشيته من وجهاء بني عبد الواد بأبي حمو بعد أن عفا عنهم[2].

وفي الوقت الذي استطاع أبو حمو موسى الثاني أن يصمد أمام أعدائه، فشل في تربية ابنه وولي عهده، فقد سقط في كمين أو مؤامرة دبرها له أعداؤه من بني مرين وحاكوا خيوطها في تلمسان، بل في بلاطه، إذ وجدوا ثغرة نفذوا منها إلى بيته، إذ قاموا بتوسيع الخلاف الذي كان قائما بين أبي حمو وبين ولي عهده أبي تاشفين الثاني، وبعض مساعديه وإخوته، وشجعوا أبا تاشفين للنهوض ضد والده بعدما ساعدوه لتحقيق فرصتهم[3] الثمينة التي طالما انتظروها للإطاحة بعرش أبي حمو الثاني، فبعث السلطان أحمد المريني (789هـ-796هـ)/(1387م- 1394م) مع أبي تاشفين قوة عسكرية بقيادة زيان بن عمر الوطاسي إلى تلمسان، الأمر الذي أحزن أبو حمو، غير أنه خرج

([1]) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى ، ص 108؛ هوارية بكاي،المرجع السابق ،ص 238 ؛الجزائر في التاريخ، ج3، ص 407.

([2]) عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى، ص ص 109- 113؛ الجزائر في التاريخ، ج3، ص ص 408- 409.

([3]) التنسي، المصدر السابق، ص 181؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 291 وما بعدها.

لملاقاة ولده بجبل بني ورنيد، فاقتتلوا قتالا شديدا سقط على إثره أبو حمو موسى الثاني قتيلا، وذلك سنة 791هـ/ 1390م[1].

وهكذا كانت وفاة أبي حمو الثاني خاتمة هذه المأساة، التي شهدت اصطدام السلطان الزياني بفلذة كبده وولي عهده، فلقي حتفه وقد بلغ من العمر 68 سنة، بعد حياة ملأى بالحوادث ذاق فيها الحلو والمر[2].

6- عودة بني مرين إلى تلمسان واستمرار نفوذهم:

وبعد وفاة أبي حمو الثاني، تأكدت تبعية الدولة الزيانية لملوك بني مرين، إذ أصبح أبو تاشفين الثاني يخضع لنفوذهم باعتبارهم أصحاب انتصاره ونعمته في التربع على العرش الزياني، فأزاح معارضيه من أسرته، وأصبح يخطب لسلاطين بني مرين على المنابر التلمسانية في المغرب الأوسط، ويؤدي الإتاوة السنوية[3]، غير أن البيت الزياني لم تعجبه هذه الاستكانة والهيمنة المرينية الجديدة، فثار أخوه أبو زيان بن أبي حمو حاكم مدينة الجزائر يؤازره في ذلك عرب حصين وبني عامر، إذ قصد تلمسان محاصرا لها سنة 792هـ/ 1391م يريد إسقاط أخيه أبي تاشفين ، لكنه تراجع بسبب تراجع حلفائه عن نصرته وتخاذلهم، ليعود مرة أخرى بعدما جمع العدة، وتقابل مع أبي تاشفين بضواحي تلمسان في معركة كان النصر فيها لأبي تاشفين وفر أبو زيان مدحورا إلى الصحراء مستجيرا بعرب المعقل، الذين أمدوه بالمساعدة، غير أنه فشل مرة أخرى، مما اضطره إلى سلك طريق أبي تاشفين واللجوء إلى بني مرين ينافس أخاه في ودهم، فرحبوا به ووعدوه بتلبية طلبه حين يحين الوقت[4].

([1]) ابن الأحمر، روضة النسرين، ص 58، حول تفاصيل الصراع بين أبي تاشفين وأبي حمو، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 300 وما بعدها

([2]) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى ، ص 155.

([3])هوارية بكاي،المرجع السابق ،ص 242 ؛الجزائر في التاريخ، ج3، ص 425؛ الطمار، تلمسان عبر العصور، ص 209؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 66.

([4]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 303.

وفي سنة 795هـ/ 1394م، جهزوه بالمال والرجال بعدما أحسوا بتراجع سياسة أبي تاشفين نحوهم، غير أن القدر كان أقوى منهم، إذ لما وصل أبو زيان إلى مدينة تازا بلغه نبأ وفاة أخيه إثر مرضه في رمضان من سنة 795هـ/ 1394م، ومبايعة ابنه أبو ثابت خلفا له، وتعيين الوزير أحمد بن المعز وصيا عليه لأنه صغير السن، كما برز عنه أبو الحجاج يوسف بن أبي حمو المشهور بابن الزابية مطالبا بالعرش، فضلا عن أبي زيان بن أبي حمو الثاني الذي يدعمه بنو مرين، حيث آل الحكم في الأخير إلى أبي الحجاج يوسف[1]، بعدما تخلص من ابن أخيه ووزيره الوصي عليه[2]، وتولى شؤون البلاد في جمادي الأولى سنة 795هـ/ 1394م[3]، الأمر الذي أغضب أبو العباس المريني فقرر معاقبة بن الزابية، فأرسل ابنه أبا فارس عبد العزيز إلى تلمسان لامتلاكها، فاحتلها وأقام فيها الدعوة المرينية، واستولى على معظم أنحاء المغرب الأوسط، أما ابن الزابية فقد اعتصم بحصن تاحجمومت، حيث ضرب عليه الحصار، وفي هذه الأثناء مرض السلطان أبو العباس المريني وهو مقيم بتازا، وتوفي في محرم سنة 796هـ، فغادر ابنه أبو فارس عبد العزيز تلمسان، وأسرع إلى فاس ليتولى عرش أبيه[4].

تولى أبو فارس كرسي العرش سنة 796هـ/ 1395م، وأطلق سراح أبي زيان بن أبي حمو الثاني، وأرسله مع حامية مرينية إلى تلمسان، فبويع فيها في شهر ربيع الثاني من نفس السنة، فعاد الكيان الزياني للمغرب الأوسط تحت النفوذ المريني، ليدخل في صراع مع أخيه أبي الحجاج، إلى أن تخلص منه في ربيع الأول من سنة 797هـ/ 1396م، فاستتب له الأمر وأعاد الهدوء والاستقرار

([1]) قدم ابن الزابية من مدينة الجزائر، واستولى على تلمسان، وقتل أحمد بن الفر، و الأمير الذي نصبه على العرش، بعد تولية دامت أربعين يوما، ينظر في ذلك: عبد الحميد حاجيات، الجزائر في التاريخ، ج3 ،ص 426.

([2]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 307.

([3]) التنسي، المصدر السابق، ص 207.

([4]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص308؛ السلاوي، الاستقصا، ج2، ص140.

إلى البلاد، وتفرغ لبناء دولته وترميم ما أفسدته الحرب، فعادت تلمسان إلى سابق عهدها[1]، الأمر الذي لم يرض صاحب فاس.

وهو أن تكون دولة في المغرب الأوسط تضاهي دولته و تنافسها، ومن أجل كسر شوكة أبي زيان لجأ إلى أحد إخوة أبي زيان، وهو أبو محمد عبد الله بن أبي حمو الثاني، فأمده بالمال والرجال ووجهه إلى عاصمة بني زيان سنة 801هـ/ 1400م [2] حيث فرض عليها حصارا محكما أجبر أبا زيان على مغادرة المدينة، تاركا إياها لأخيه ولجأ إلى المنطقة الشرقية يطلب النصرة من الأحياء العربية و الزيانية غير أن أيادي بني مرين طالته عن طريق محمد بن مسعود الوغزاني الذي تظاهر بخدمته حتى يتقرب منه- بإيعاز من بني مرين- ، و لما سنحت له الفرصة اغتاله سنة 805هـ/ 1404م [3].

وبذلك أصبحت الدولة المرينية تتدخل مباشرة في شؤون البيت الزياني، تطيح بمن تشاء، و تولي عرش تلمسان لمن تشاء، في هذه المرحلة التي صارت فيها دولة بني زيان ضعيفة، لأن حكامها نصبوا بسيوف مرينية من جهة، ومن جهة أخرى تفشي الفوضى السياسية والفتن الداخلية التي أفقدتها الكثير من الأقاليم و المناطق التي خرجت عن نفوذها وصارت تحت نفوذ بعض القبائل، وتدخل بني مرين في شؤون المغرب الأوسط ظل مستمرا، إذ لم يتورعوا عن عزل أبي محمد عبد الله، وإلقاء القبض عليه و سجنه بفاس وولوا مكانة أخاه أبا عبد الله محمد المعروف بابن خولة سنة 804هـ/ 1403م [4]. الذي حكم المغرب الأوسط تحت نفوذ ورعاية و حماية بني مرين نحو تسع سنوات إلى أن أدركه الموت سنة 813هـ/ 1411م[5].

([1]) ويقول التنسي في هذا الصدد: " فأقام سوق المعارف على ساقها و أبدع في نظم مجالسها و أسباقها، وأوضح لأهل الأبصار و البصائر رسمها، و أثبت في رسوم التخليد و سمها ...فلاحت للعلم أيامه شموس و ارتاحت للاستغراق فيه نفوس بعد نفوس "، ينظر في ذلك: التنسي، المصدر السابق، ص 210-211.

([2]) التنسي، المصدر السابق، ص227 و يحددها صاحب روضة النسرين سنة 802هـ/ 1401م، ص 59 .

([3])التنسي، المصدر السابق ، ص 228.

([4]) التنسي، المصدر السابق، ص 299؛ ابن الأحمر، روضة النسرين، ص 60.

([5]) هوارية بكاي،المرجع السابق ،ص 244.

فخلفه ابنه عبد الرحمن الذي يبق على العرش إلا حوالي شهرين، و ذلك أن عمه السعيد بن أبي حموا الثاني، كان قد فر من سجنه بفاس، فانقلب على عرش تلمسان وخلع سلطانها و أرغمه على مغادرة تلمسان في شهر محرم سنة 814هـ/ 1412م[1].

فعارض رجال البلاط المريني السلطان الجديد، وأطلقوا أحد إخوته من السجن وهو أبو مالك عبد الواحد، و جهزوه بالمال و الرجال و أرسلوه للإطاحة بالسعيد، فتحقق لهم ذلك في رجب سنة 814هـ/ 1412م[2].

وهكذا صار بنو زيان لعبة في يد المرينيين، يتحكمون فيهم بالترهيب حينا وبالترغيب أحيانا، فأضعفوا كيان الدولة وكسروا شوكتها بهذا التدخل المستمر، وأصبح أفراد البيت الزياني يتنافسون على كرسي العرش عن طريق فاس، متسابقين على استرضاء سلاطينها و نيل حظوتهم[3].

ليدخل المغرب الأوسط في مواجهة أخرى مع الحفصيين بعد ما ساءت العلاقات بينهما وتأزمت الأوضاع لفترة تقارب ستين سنة ننتج عنها امتداد نفوذ مملكة إفريقية إلى المغرب الأوسط[4]، و لم تخف وطأتها عليه إلا في عهد أحمد العاقل بعد ما أصبحت تواجه هجمات النصارى على سواحلها [5] فشغلهم ذلك عن شؤون المغرب الأوسط الذي لم يسلم هو الآخر من من هذه الهجمات التي عجلت بسقوطه و دخول الأتراك العثمانيين الذين خلعوا السلطان الحسن بن عبد الله بن محمد الثاني، آخر أمراء بني زيان سنة 962هـ/ 1554م. و بذلك انقرضت الدولة الزيانية التي دامت أكثر من ثلاثمائة سنة[6].

([1]) التنسي، المصدر السابق، ص 234؛ عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3 ، ص 427.

([2]) نظم الدر، ص 235؛ الجزائر في التاريخ ، ج3، ص 427؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 69.

([3])هوارية بكاي،المرجع السابق ،ص 245 ؛عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 69.

([4]) التنسي ، نظم الدر، ص 236؛ الزركشي، المصدر السابق، ص109؛ برونشفيك، المرجع السابق، ج1،ص 257.

([5]) بعد سقوط الأندلس الإسلامية، سنة 895هـ/ 1492م، أصبحت سواحل المغرب ومدنه عرضة للتهديدات الإسبانية وهجوماتهم المتكررة، بسبب استقبالهم للأندلسيين الفارين إليهم، من سيوف الإسبان، ومن محاكم التفتيش، ينظر في ذلك: المقري، نفح الطيب، ج4، ص 524؛ محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، القاهرة، 1949، ص ص 172- 205.

([6])عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 457.

وهو نفس مصير بني مرين الذين و بعدما بلغت دولتهم غاية الضعف، فتولى أمر حكمهم بنو وطاس[1] (875- 957هـ/ 1470- 1550م)، وهم فرع من بني مرين، بدأ ظهورهم حين قام أبو زكريا يحي الوطاسي حاكم إقليم سلا بالولاية والوصاية على الطفل المريني عبد الحق أبي سعيد عثمان، والذي واجه الهجوم البرتغالي على طنجة، ودافع عن المدينة حتى ردهم منهزمين.

غير أن الظروف المضطربة مكّنت البرتغاليين في فترة لاحقة من احتلال طنجة دون مقاومة، وذلك سنة 876هـ/ 1471م، لأن الوطاسيين لم يتمكنوا من ردعهم في عهد أبي العباس أحمد حتى استولوا على كل الساحل المغربي إلى مضيق جبل طارق[2].

ثم ظهر الأشراف السعديين الذين دخلوا في صراع مع الوطاسيين إلى أن تمكنوا من القضاء على دولتهم بسقوط مدينة فاس سنة 957هـ، ليتولى هؤلاء مهمة رد هجمات النصارى على سواحل المغرب [3] .

المبحث الثاني: العلاقات السياسية بين المغربين الأوسط و الأقصى خلال القرن 10هـ/16م.

ليس من السهل الخوض في موضوع العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب الأقصى خلال هذه الفترة (ق 10 هـ / 16 م) لما ميز هذه المرحلة من تشابك و تعقيد ،و غموض في كثير

([1]) للمزيد من التفاصيل عن الوطاسيين، ينظر:الفصل الثاني من الباب الأول من هذا البحث.

([2]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 246 .

([3]) نفس المرجع ،الصفحة نفسها .

من الأحيان ،و لعل ذلك يرجع إلى تعدد القوى السياسية التي كانت قائمة في البلدين ،حيث كان المغرب الأقصى تحت سيطرة أربع قوى سياسة هي: الوطاسيون، السعديون، الإسبان، والبرتغاليون. إضافة إلى العديد من الإمارات المستقلة كإمارة دبدو بالشرق، وإمارات بادس، وشفشاون، وتطوان في الشمال.[1] و لم يكن الوضع السياسي في الجزائر يختلف عن الوضع السائد في المغرب الأقصى ،حيث كانت هي الأخرى تحت سيطرة أربع قوى سياسية هي: الزيانيون ،العثمانيون الأتراك ،الحفصيون ،و الإسبان .و إمارات مستقلة كإمارات كوكو ،و بني عباس ،و تنس بالشمال ،و إمارتي بني جلاب ،و علاهم بالجنوب ،و غيرها [2].

و أمام هذه التشكيلات السياسية ،اختلاف أهدافها و تباين مصالحها يجد الباحث في موضوع العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب الأقصى خلال هذه الفترة – القرن 10هـ/ 16م – صعوبة كبيرة في تحديد طبيعة هذه العلاقات التي لم تكن ثابتة ،و تشوبها العديد من الدسائس

([1]) أصبح المغرب الأقصى مطلع القرن 10 هـ / 16 م مجزءا إلى وحدات سياسية صغيرة ،كان أغلبها تحت سيطرة زعامات دينية أو قبلية ،أو مجالس محلية مستقلة عن الوطاسيين تماما ،أو تابعة لهم اسميا فقط منها بالشمال و الجنوب الشرقي: إمارة بني راشد بشفشاون ،و آل المنظري بتطوان ،و آل عبد الحميد بالقصر الكبير ،و آل رحو بدبدو ،و أما بالوسط و الوسط الغربي فنجد إمارة ابن حدو و أخيه أبي فارس بالجبل الأخضر ،و إمارة ابن عامر بتنسيتة ،و إمارة آل فرحون بآسفي ، وإمارات مدن تافزة ،و الجمعة ،و آزمور . أما بالجنوب و الغرب فظهرت إمارات آشنتوف بمراكش ،و مولاي ادريس الهنتاتي بالأطلس الكبير ،و إمارات مدن تارودانت ،و تدسي ،و تفتنت ،و نفوذ الشيخ يحي في ثيوط ،و نفوذ المرابط ابن المبارك في آقة ،و عرب أولاد زرقان في تافيلالت ،و هي كلها إمارات مستقلة عن نفوذ الوطاسيين في فاس . مارمول كربخال ،المصدر السابق ،ج2 ،في مواقع متعددة ؛ عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 46،47.

([2]) تقاسم النفوذ على الجزائر كل من الدولتين الزيانية بالجزء الغربي ،و الحفصية بالجزء الشرقي ،و قد نجم عن ضعفهما وتردي أوضاعهما اضطراب الجزائر و تجزئتها إلى عدة وحدات سياسية صغير و متنافرة أغلبه في المدن الساحلية كوهران و تنس وشرشال و بجاية و مدينة الجزائر و غيرها .و التي كانت إما تحت حكم أمير زياني منشق كأبي يحي بن محمد الزياني في تنس ، أو أمير حفصي منشق كعبد الرحمن الحفصي في بجاية أو تحت حكم مجلس من اختيار سكان المدينة كما في وهران ،أو شيخ قبيلة كسالم التومي شيخ قبيلة الثعالبة بمدينة الجزائر ،أما المناطق الجبلية فكانت تحت حكم إمارات مستقلة كإمارتي بني عباس وكوكو في جبال القبائل جنوب بجاية .أما الجنوب فاستقلت به آسر حاكمة كأسرة بني جلاب بتوقرت وأسرة علاهم بورقلة،= =واستقلت بعض القبائل بالمناطق السهلية كقبيلة بني عامر بالغرب ،و الذواودة بالشرق. عن ذلك ينظر: الحسن الوزان ، المصدر السابق ،ج2 ،ص ؛ مارمول كربخال ،المصدر السابق ،ج2 ،في مواقع متعددة.

والمؤامرات والتحالفات، ولا تخضع – في أغلب الأحيان – إلا للمصلحة الخاصة لكل قوة سياسية ،إذ من أجلها يتفق الأعداء و يختلف الأشقاء.

لذلك كان لزاما علينا – لمعرفة حقيقة العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب ، وطبيعتها – دراسة العلاقات بين مختلف القوى السياسية في البلدين خاصة منها تلك التي كان لها نفوذ قوي و حضور كبير ،و من ثم كان لابد من الوقوف على طبيعة العلاقات السياسية بين:

- الزيانيين و الوطاسيين .
- الزيانيين و السعديين .
- حكام الجزائر العثمانيين و الوطاسيين .
- حكام الجزائر العثمانيين و السعديين .

مع إبراز مواقف الإسبان و البرتغاليين ،و كذلك الحفصيين و زعماء الإمارات و المناطق المستقلة في كلا البلدين ،و الإشارة إلى تأثيرهم في هذه العلاقات و تأثرهم بها .

1- العلاقات السياسية بين الزيانيين و الوطاسيين .

سار الوطاسيون على نهج أسلافهم و بني عمومتهم المرينيين الذين سعوا جاهدين في ضم تلمسان إلى مملكتهم و القضاء على نفوذ الزيانيين فيها . غير أن الظروف لم تكن في صالح السلطان الوطاسي محمد البرتغالي (910-932هـ/1504-1526م) [1] ،و ابنه أبي العباس أحمد (932هـ-956هـ/1526-1549م) [2]،و التي لم تسمح لهما بتوجيه أنظارهما إلى تلمسان أو حتى التدخل في شؤونها كما فعل أسلافهم من المرينيين ،حيث كان المغرب الأقصى

(1) أوغست كور ،المرجع السابق ،ص ص 72-95 ؛ إبراهيم حركات ،المغرب عبر التاريخ ،ج2 ،ص 199 .
(2) نفسه، ص ص 96-113 ؛ نفسه، ص 201 .

يعيش حالة من الاضطرابات والانقسامات، اضافة إلى الغزو البرتغالي و الإسباني و احتلالهما للعديد من المدن الإستراتيجية الساحلية [1].

لذلك كان هم الوطاسيين الكبير هو مواجهة هذه الأخطار، خاصة المد السعدي المتصاعد من الجنوب، كما كان لزاما عليهم توجيه كل جهودهم واهتماماتهم لمواجهة الخطر الأجنبي، و تحرير المدن التي احتلها الغزاة الإسبان و البرتغاليين .[2]

في ظل هذه الظروف صرف الوطاسيون نظرهم نهائيا عن التدخل في مملكة تلمسان ، واكتفوا بإيواء الأمراء الزيانيين الفارين إليهم خوفا من بطش الأسرة الحاكمة ،أو الطالبين للعون والمدد ضد العثمانيين الأتراك الراغبين في الإستيلاء على تلمسان ،دون تقديم أدنى مساعدة لهم ، تخوفا من أي اضطراب قد يطهر من الجهة الشرقية أو خطر يأتي منها ،بل سعوا إلى اقامة علاقات تتميز بحسن الجوار مع سلاطين تلمسان ،أو الوافدون الجدد من العثمانيين الأتراك ،و من ذلك رفض السلطان الوطاسي محمد البرتغالي مساعدة السلطان الزياني أبي حمو الثالث التي استجار به

([1]) لما استكمل الإسبان وحدتهم سنة 1469م ،دخلوا في منافسة قوية مع البرتغاليين ،فاحتلوا منطقة عند وادي نون على المحيط الأطلسي و بنوا عليها حصن سانتا كروز (Santa Cruz) و حصن ماريبكينا سنة 1478م ،ثم عزموا على التوسع في باقي المناطق ،فدخلوا في صراع مع البرتغاليين لم ينتهي إلا بعد توقيع العديد من اتفاقيات الصلح و التفاهم و التي من أهمها: اتفاقية طليطلة سنة 1480م ،و اتفاقية طورديسلاس سنة 1494م ،و اتفاقية سينترا سنة 1509م و التي حددت مجال توسع كل طرف ،فكان مجال الإسبان من حجر بادس إلى ما يليها شرقا ،أما ما يلي الحجر غربا فكان مجالا للبرتغاليين ،لذالك كان تركز الاحتلال الإسباني على سواحل المتوسط ،و البرتغاليين على سواحل مضيق جبل طارق والسواحل الأطلسية .عن الغزو الإسباني البرتغالي لسواحل المغرب ينظر: مارمول كربخال ،المصدر السابق ،ج2 ؛السلاوي ،الإستقصا ، ج4 ،في مواقع متعددة ؛عبد الكريم كريم ،المرجع السابق ،ص ص 5-12 ؛عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ج1، ص47،48 .

([2]) كانوا قد احتلوا مدن مليلية سنة 1497م ،و غساسة سنة 1504م ،و حجر بادس سنة 1508م ،و كان البرتغاليون قد احتلوا مدن ماسا سنة 1497م ،و مازكان سنة 1502م ،و موكادور سنة 1506م ،و آسفي سنة 1508م ،و آزمور سنة 1513م ،و تطلعوا سنة 1515م إلى احتلال مدينة مراكش لكن حماتهم باءت بالفشل ،و هو نفس مصير حملتهم ، وفي نفس السنة على موقع المعمورة المنفذ البحري الوحيد لمدينة فاس. ينظر في ذلك: مارمول كربخال، المصدر السابق،ج2؛ السلاوي ،الإستقصا ،ج4 ،في مواقع متعددة ؛عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 47،48 ؛عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ،ص ص 5-12 .

طالبا مساعدته على استرجاع عرشه الذي استولى عليه عروج بربروس [1] ، وكان سبب الرفض هو انشغال السلطان الوطاسي بحربه ضد البرتغاليين و عملائهم في المغرب [2] ، ومحاولته اخضاع جميع الوحدات السياسية التي انفصلت عن دولته ،و بسط نفوذه على كامل التراب المغربي .اضافة إلى تخوفه من التورط في الجبهة الشرقية إن هو تدخل ضد العثمانيين الأتراك، والتي قد تنسف كل الجهود التي بذلها من أجل استرجاع سلطته على المغرب الأقصى .

و يذكر في هذا الصدد هايدو أن السلطان الوطاسي رفض التدخل في تلمسان ضد عروج لأن هذا الأخير كان قد أرسل إليه عقب دخوله إلى تلمسان سفراء يعرض عليه من حلالهم التحالف ،و مساعدته على محاربة أعدائه بالمغرب . [3]

أمام رفض محمد البرتغالي مد يد العون للسلطان أبي حمو الثالث لجأ هذا الأخير إلى الإسبان الذين لم يتأخروا في تلبية طلبه، [4] لأنهم وجدوا في ذلك الفرصة المناسبة للقضاء على عروج و قواته لأنه كان يشكل خطرا يهدد وجودهم بوهران و المرسى الكبير ،و كذلك لقطع الطريق أمام أي اتفاق أو تحالف قد يحصل بينه و بين السلطان الوطاسي محمد البرتغالي.

تمكن السلطان أبو حمو الثالث من استرجاع ملكه بفضل المساعدات الإسبانية ،كما تمكن الإسبان من القضاء على عروج بربروس خلال محاولته الفرار من الحصار الذي ضربوه على قواته بمدينة تلمسان.[5]

رغم أن السلطان أبا حمو تمكن من استرجاع عرشه إلا ان الأمور لم تستقر له بتلمسان نحيث سرعان ما نشب خلاف بينه و بين أخويه عبد الله و مسعود – بعدما كان عروج قد أطلق

([1]) مؤلف مجهول ،غزواة عروج و خير الدين ،ص 32 .

([2]) قام السلطان الوطاسي محمد البرتغالي سنة 1517م بحملة ضد البرتغاليين و عملائهم من عرب عبدة بإقليم دكالة. ينظر: عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 94 ،هامش 17 .

([3]) Haédo (F.D), histoire des Rois d'Alger ,p 30 .

([4]) مؤلف مجهول ،غزواة عروج و خير الدين ،ص 33 ،و يذكر هايدو أن شارلكان قد قرر مساعدة أبي حمو الثالث بعشرة آلاف مقاتل لمحاربة عروج ،و استرجاع ملكه . ينظر: Haédo, op.cit ,p 31,32 .

([5]) محمد بن عمرو الطمار ،تلمسان عبر العصور ،ص ص 228-233 ؛ Haedo, op.cit ,p 32,33

سراحهما من السجن – اللذان لجآ إلى السلطان الوطاسي محمد البرتغالي ،[1] فأرسل إليه السلطان أبو حمو الثالث يطلب استرجاعهما خشية أن يجدا لديه الدعم و المدد ،أو يتحالف معهما ضده ،لكن السلطان الوطاسي رفض طلبه بحجة الخوف عليهما من بطشه ،و يذكر هايدو أن أبا حمو الثالث أرسل إلى محمد البرتغالي مرة ثانية بأيمان مؤكدة أنه ما أراد لأخويه إلا خيرا ،وأنه اشتاق للقائهما .[2] عندها ترك السلطان الوطاسي للأخوين عبد الله و مسعود حرية الاختيار بين البقاء لديه أو العودة إلى تلمسان ،فاختارا أمرا ثالثا حيث التجأ عبد الله إلى الإسبان الذي تولى عرش تلمسان بعد أخيه أبي حمو الثالث سنة 925هـ/1520م ،و ظل يحكمها تحت اشراف الإسبان حتى سنة 934هـ/1528م . بينما التجأ مسعود إلى الأتراك بمدينة الجزائر ،أين أرسل معه خيرا لدين بربروس حملة إلى تلمسان تمكن من خلالها من انتزاع الملك من أخيه عبد الله .[3]

و بعد تولى أبي العباس أحمد الوطاسي عرش فاس سنة 932هـ/1526م ،سار على نهج والده في علاقته مع الزيانيين ،حيث استمر في استقبال اللاجئين إليه و إيوائهم دون التدخل في شؤونهم أو مد يد العون إليهم سواءا ضد بعضهم البعض ،أو خصومهم من الأتراك أو الإسبان.

و كان من جملة من التجأ إليه الأمير أبو زيان محمد بن عبد الله بعد فشله في انتزاع الملك من أبيه بعد أن ثار ضد سنة 937هـ /1531م ،فرفض السلطان أبو العباس أحمد تقديم المدد له، ومساعدته لتنفيذ مراده ،مما اضطره – محمد بن عبد الله – إلى اللجوء إلى حكام الجزائر من العثمانيين الأتراك الذين أعانوه على انتزاع الملك من والده و التربع على عرش تلمسان في فبراير من سنة 941هـ/1534م . [4]

---

(1) Haédo, op.cit ,p 32 .

(2) Haédo, op.cit ,p 45 .

(3) Ibid p 46 .

(4) محمد بن عمرو الطمار ،تلمسان عبر العصور ،ص 232 ،233 ؛

Elie de la Primodaie ,Documents inédites su l'histoire de l'occupation Espagnole en Afrique(1506-1774) ,Alger ,1875 ,p 73 .

كما أن السلطان أبو العباس لم يتدخل في النزاع القائم بين السلطان أبي زيان محمد الثاني – السالف الذكر – و اخويه أبي عبد الله محمد و أبي زيان أحمد ،و اكتفى مرة أخرى بإيواء السلطان أبي زيان محمد الثاني بعد أن أطاح به أخوه الأمير أبو زيان أحمد ،خاصة و أن الخطر السعدي بقيادة محمد الشيخ أوشك أن يطرق أبواب العاصمة فاس .

ويذكر محمد الكراسي رواية لم ترد عند غيره مفادها أن السلطان احمد الوطاسي قد أمد السلطان المخلوع أبو زيان محمد بالرجال و السلاح لاسترجاع عرشه من أخيه و قال له: " ... داري دارك و أنا لك بمنزلة الوالد و ابني بمنزلة أخيك ". [1] لكن يبدو أن ذلك مجرد وعود لم تجد طريقها للتجسيد ،خاصة و أن الأحداث التاريخية لم تثبت أي دعم مادي قدمه السلطان أحمد الوطاسي للسلطان الزياني المخلوع أبو زيان محمد بن عبد الله .[2]

و رغم أن الوطاسيين لم يقدموا أي دعم للأمراء الزيانيين الملتجئين إليهم إلا أن المغرب الأقصى ظل الملجأ الآمن الذي يلجأون إليه كلما داهمهم الخطر . من ذلك لجوء السلطان أحمد بن عبد الله الزياني رفقة وزيره منصور بن غانم و العديد من الأمراء الزيانيين و وجهاء تلمسان إلى دبدو شرق المغرب الأقصى بعد استيلاء خيرالدين على تلمسان سنة 952هـ/ 1545م ،غير أن حاكمها – دبدو – عمر بن يحي الوطاسي غدر به و اعتقله ،هو و من رافقه ،و استولى على أموالهم، [3] و لم يطلق سراحهم إلا بعد مضي عدة أشهر سنة 953هـ/1546م ،الأمر الذي جعل السلطان أحمد بن عبد الله لا يلجأ إلى المغرب الأقصى بعد ما أطاح به حسن بن خير الدين للمرة الثانية في رمضان سنة 955هـ/أكتوبر 1548م ،خاصة و أن الصراع كان على أشده بين الوطاسيين والسعديين الذين فرضوا حصارا شديدا على فاس بقيادة محمد الشيخ . وظل هذا السلطان – أحمد بن عبد الله – يجوب بوادي تلمسان و أطرافها على أمل الحصول على دعم

([1]) محمد الكراسي ،عروسة المسائل ،ص 39 ؛محمد المنوني ،ملامح من تطور المغرب العربي ،مجلة مجمع اللغة العربية ،دمشق ،1976 ،ص 839 ؛عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 78 .

([2]) عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 78 .

([3])الإستقصا ،ج4 ،ص 163 ؛ الطمار ،تلمسان عبر العصور ،ص 233 ؛بن خروف ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 78 .

الإسبان أو الوصول إلى اتفاق صلح مع حسن بن خير الدين،[1] لكنه ظل على تلك الحال إلى أن توفي سنة 956هـ/1549م . بعدما رفض الإسبان مساعدته ،و قرر العثمانيون الأتراك الاحتفاظ بتلمسان بعدما عينوا عليها سلطانا تابعا لهم ،و تركوا بها حامية عسكرية تركية حتى تمكنوا من ضمها إلى حكمهم نهائيا سنة 958هـ/1551م .[2]

إذا و من خلال تتبعنا للعلاقات الوطاسية الزيانية خلال النصف الأول من القرن 10هـ/16م نجد أنها تميزت بالتزام الوطاسيين للحياد و عدم التدخل المباشر في شؤون مملكة تلمسان على الرغم من وجود مناوئين للحكم الزياني في بلاطها ،و الساعين إلى الحصول على دعمها ضد هذا الحكم ،أو ضد خصومهم من الأتراك أو الإسبان .[3]

لذلك يمكن القول أن العلاقات بين الطرفين – الزيانيين و الوطاسيين – قد تميزت بحسن الجوار ،و انعدام التعاون و التنسيق بينهما لمواجهة الأخطار الداخلية و الخارجية التي كانت تتهدد كلا منهما [4]،و قد كان لذلك انعكاسات سلبية على الطرفين ،حيث اضطر الزيانيون أمام رفض الوطاسيين لمساعدتهم إلى الاستعانة بالإسبان أحيانا و بالعثمانيين الأتراك أحيانا أخرى لرد خطر أحد هذين الطرفين .[5] فكانت النتيجة أن فقد كل من الزيانيين و الوطاسيين على حد سواء ملكهم ،فتلمسان أصبحت تابعة لحكام الجزائر الجدد و هم العثمانيون الأتراك ،و الوطاسيون حل

([1]) عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 78.

([2]) عن انضواء الجزائر تحت الحكم العثماني التركي ينظر: صالح عباد ،المرجع السابق ؛عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ج1، ص 23،24 ؛ Haédo, op.cit ,pp 15-36 .

([3]) منذ مطلع القرن 10هـ/16م انشغل الوطاسيون بصراعاتهم مع المسيحيين و السعديين ،و انشغل بنو زيان بصراعاتهم الداخلية من جهة ،و صرعاتهم مع الإسبان و الأتراك العثمانيين من جهة أخرى الأمر الذي شغلهم عن الاهتمام بعلاقاتهما، وعن الاهتمام بما كان يجري في المنطقة حولهما. ينظر: مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية، ص 1،2 ؛ الزهراء النظام، المرجع السابق ،ص 191 .

([4]) لم يقم الزيانيون و الوطاسيون بأي مبادرة لتنسيق جهودهما في مجال الجهاد ضد المسيحيين ،و لم بدعم بعضهما البعض ضد العثمانيين الأتراك في محاولاتهم لضم تلمسان و السعديين في محاولاتهم للسيطرة على المغرب الأقصى، واكتفى كل طرف= =بمراقبة ما يجري داخل حدود الطرف الآخر من أحداث دون تدخل أحدهما في شؤون الآخر . الزهراء النظام ،المرجع السابق، ص 191 .

([5]) عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 78 ،79 .

محلهم الأشراف السعديين في حكم المغرب الأقصى سنة 659هـ/1549م ،رغم تقربهم هم الآخرون أحيانا من الإسبان ،و أحيانا من البرتغاليين ،و احيانا أخرى من الأتراك العثمانيين . لتعرف الدولتان خصوما جددا و تدخلان في مواجهات جديدة .

2- العلاقات السياسية بين الزيانيين و السعديين .

إذا أمعنا النظر في الظروف التي كانت تمر بها كل من الجزائر و المغرب خلال الفترة التي واكبت امتداد نفوذ السعديين إلى شمال المغرب الأقصى و اعتلائهم عرش هذا البلد في العقد الخامس من القرن 10هـ/16م ،و ما قابله من حالة الضعف و الانحطاط التي آلت إليها الدولة الزيانية ،يتضح لنا جليا أنها ظروف لا تسمح بوجود علاقات قوية أو فعالة بين البلدين ،لا لشيء إلا لأن الزيانيين لم يسعوا أبدا إلى التقرب من السعديين أول ظهورهم ،أو إلى إقامة علاقات معهم ،و ذلك حتى لا يغضبوا جيرانهم الوطاسيين من جهة ،و لانشغال السعديين في بداية أمرهم بتحرير سواحل المغرب المحتلة، واحكام سيطرتهم عليه ،و من ثم التطلع إلى اخضاع مملكة تلمسان.[1] ثم إن الزيانيين ورغم حاجتهم الماسة إلى الدعم والسند– الذي لم يجدوه عند الوطاسيين – ضد الإسبان أو ضد العثمانيين الأتراك ،فإنهم لم يلجأوا إلى طلب ذلك من السعديين رغم قوتهم التي أظهروها واتساع نفوذهم الذي مكنهم من السيطرة على المغرب الأقصى، و قضائهم على الوطاسيين ، وذلك خشية تزايد أطماعهم ،امتداد نفوذهم إلى مملكتهم مثلما كان الأمر مع المرينيين، خاصة وأن السعديين اجتمعت فيهم العديد من الصفات التي تجعلهم يحظون بالقبول في تلمسان أكثر من العثمانيين الأتراك أو الإسبان نفهم من الأشراف الذين برزوا كمجاهدين في سبيل الله يسعون إلى تحرير أرضهم من المحتل المسيحي ،و لعلها صفات منحتهم السلطة والتفوق المعنويين ،إضافة إلى نيلهم تأييد الطرق الصوفية و على رأسها الطريقة الشاذلية[2] التي تتفرع عنها طرق عديدة في المغرب و الجزائر على السواء ،كما كان لها أتباع كثر

([1]) نفسه، ص 79 .

([2]) أوغست كور ،المرجع السابق ،ص 124 ؛الزهراء النظام ،المرجع السابق ،ص 198 ،199 ؛ عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 79 .

في تلمسان،[1] مما جعل الزيانيون يتوجسون منهم خيفة ،بل و يتخوفون منهم أكثر من تخوفهم من العثمانيين الأتراك ،أو الإسبان ،خاصة و أن شعبية سلاطين بني زيان ما فتئت تتناقص لدى الرعية بتلمسان[2]. و من هنا أدرك هؤلاء السلاطين أنه يستحيل اخراج السعديين من تلمسان إن حدث و أتيحت لهم فرصة الاستيلاء عليها .

و على الرغم من الظروف المواتية للسعديين من أجل التدخل في تلمسان قبل العقد الخامس من القرن 16م إلا أنهم لم يقدموا على ذلك لأن هدفهم الأول كان توحيد المغرب الأقصى تحت رايتهم . [3]

ولما تمكن السعديون من اخضاع المغرب الأقصى ،شهد البلاط الزياني هجرة بعض العلماء والفقهاء إلى البلاط السعدي أين أحسن سلاطينه استقبالهم ،و أكرموا وفادتهم ،و قلدوهم مناصب علمية و دينية هامة ،و من بينهم الشيخ المفتي الخطيب و المدرس أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني الذي أسند إليه محمد الشيخ السعدي الفتوى بمدينة فاس، والتدريس و الخطابة بجامع الأندلس ثم القرويين .[4]

([1]) كان نفوذ الطريقة الشاذلية يمتد على معظم جهات الغرب الجزائري ،و يشمل على الخصوص مدينة تلمسان و ضواحيها، وضواحي وهران ،و هي المناطق التي تضررت كثيرا من الاحتلال الإسباني بسبب السياسية الضريبية التي فرضها على أهاليها ، والتي في أغلبها كانت تتم عبر اتفاقيات موقعة مع أمراء بني زيان المتنازعين حول السلطة ،كما تضررت هذه المناطق من سلوكات الإنكشارية ،و سياسة الحكام الأتراك منذ وصولهم إلى المنطقة . ينظر: Ruff Paul ,La domination Espagnole à Oran sous le gouvernement du comte d'Alcaudete (= 1534 – 1558) ,Paris ,1900 ,p 128 ;Pière Boyer ,Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la régence d'Alger (16 – 19 s) , Revue de l'Occident musulmane et de la Méditerrané ,n°1 ,année 1966 ,Aix En Provence ,p 23.

([2]) حاولت بعض القبائل و كبار المتصوفة اقامة سلطة محلية مستقلة عن الأتراك بتلمسان و بعد فشلها في مسعاها لجأت إلى محمد الشيخ السعدي آملين منه اخراج الأتراك من تلمسان و تخليصهم من حاكمها الزياني الموالي لهم ،و تزعمت هذه الدعوة فبائل من نواحي تلمسان كانت تتزعمها الطريقة الشاذلية . ينظر: الزهراء النظام ،المرجع السابق ،ص 198 ؛ Cour (A) ,) ,l'Etablissement ,p 83 .

([3]) عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 79 .

([4]) ابن عسكر ،دوحة الناشر ،ص 90 ،91 ؛عبد الهادي التازي ،التاريخ الدبلوماسي للمغرب ،مج8 ،ص 16.

في هذا الوقت كانت الاتصالات قائمة بين أحمد الأعرج السعدي الذي خلعه أخوه محمد الشيخ سنة 951هـ/1549م ،و بين السلطان أحمد الزياني الذي خلعه القائد العثماني حسن بن خير الدين ،سعيا منهما للحصول على دعم من الإسبان يمكن كل منهما من استعادة ملكه . (1)

حيث يذكر هايدو أنه و وفقا لوثيقة معاصرة بتاريخ 17 جويلية 1549م (2) فإن أحمد الأعرج كان قد أرسل رسولا يدعى يحيى إلى السلطان أحمد الزياني يطلب منه و من وزيره المنصور بن أبي غانم الاتصال بالإسبان لمساعدته ضد اخيه محمد الشيخ ،و إنه على استعداد للاحتفاظ بمملكة مراكش و تفيلالت فقط ،و التنازل للإمبراطور شارلكان عن باقي المقاطعات بما فيها مدينة فاس. (3)

غير أن هذا الأخير فشل في الحصول على أي دعم من الإسبان له و للمستصرخ به أحمد الأعرج ،الأمر الذي جعله يسعى إلى التقرب من السلطان السعدي محمد الشيخ أواخر أيامه. و قد بلغ مسامع الإسبان نبأ هذه المحاولة فعجل حاكم وهران الكونت دالكوديت بإحباطها عن طريق اقتراحه تقديم مساعدة عاجلة للسلطان أحمد الزياني المعزول نغير أن هذا الأخير بقي مشردا في بوادي تلمسان إلى أن مات دون ان يحصل على تلك المساعدة التي كان يرغب فيها لاسترجاع ملكه . (4)

في الوقت نفسه كان السلطان محمد الشيخ السعدي على علم بكل ما يجري حوله ،فقد كان يلحظ سيطرة العثمانيين الأتراك على الجزائر عامة ،و تلمسان خاصة ،و بأنهم عينوا عليها السلطان الحسن بن عبد الله الثاني الموالي لهم ،كما كان على علم بتحركات أخيه أحمد الأعرج الساعي من خلالها في الحصول على دعم الإسبان عن طريق السلطان المعزول أحمد الزياني و وزيره

---

(1) عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 80 .

(2) الوثيقة منشورة في المجموعة المسماة Sources inédite de l'histoire du Maroc 1ère série dynastie Saâduénne ,T3 ,Paris ,1905 ,p 313 و التي جمعها و حققها هنري دوكاستري و آخرون (S.I.H.M),t 3 ,p 313.

(3) Ibid ,pp 298 ,302 .

(4)

المنصور بن أبي غانم المقربين من الإسبان ،الأمر الذي دفعه إلى الدخول في مفاوضات مع هذين الأخيرين من أجل استمالتهما قطعا لأي تحالف أو تآمر عليه مع أخيه و الإسبان . و كان في الوقت نفسه كان يحضر لغزو تلمسان و وهران عن طريق استغلال القبائل الموالية للسلطان أحمد الزياني و وزيره المنصور، [1] و قد نجح في مسعاه هذا بعدما تمكن من استمالة هذا الأخير الذي أصبح من المقربين للسلاطين السعديين بعدما قدم لهم خدمات جليلة في حملاتهم على الغرب الجزائري [2]،و منها الحملة التي و جهها إلى تلمسان في ربيع 1550م و التي تمكن خلاله من القضاء على حكم بني زيان بتلمسان بعد أن ألقى القبض على السلطان الحسن بن أبي عبد الله في 23 جمادى الأولى سنة 957هـ/9جوان سنة 1550م [3]،و إرساله إلى فاس ،لكن العثمانيون تمكنوا من استرجاع تلمسان منه ،و هذا ما سنأتي على ذكره بالتفصيل لاحقا .

و مما تقدم يمكن القول أن العلاقات السياسية بين الزيانيين و السعديين لم تعرف أي تطور ،و مرد ذلك لانشغال السعديين في بداية أمرهم بتحرير المدن المحتلة ،و القضاء على الحكم الوطاسي بالمغرب.[4] لذلك لم يقدموا شيئا للزيانيين يمكنهم من الحد من توسع نفوذ الأتراك والإسبان معا ،بل تحولوا هم أنفسهم أحد الطامعين في توسيع نفوذهم على حساب تلمسان والغرب الجزائري بعدما تمكنوا من القضاء على الوطاسيين و أصبحوا قوة في المنطقة . لكنهم اصطدموا بقوة العثمانيين الأتراك في الجزائر و دخلوا معهم في صراعات عسكرية عديدة ،خاصة

---

(1) Ibid ,pp 252 ,253.

(2) اليفرني ،نزهة الحادي ،ص 176 .

(3) اليفرني ،نزهة الحادي ،ص 295 .

(4) اهتم السعديون منذ ظهورهم بإصلاح الأوضاع في الداخل ،و بالجهاد ضد المسيحيين ،و بذلك لم يتطلعوا إلى الجزائر فإلى غاية سنة 1547م لم تسجل أي محاولة من جانبهم في هذا الشأن، وكذلك الأمر بالنسبة للعثمانيين الأتراك، وقد= =انحصرت العلاقة بينهما في التعاون و التنسيق في مجال الجهاد ضد النصارى . ينظر: Ricard (R) et autre , Sources inédite de l'histoire du Maroc ,P 128 ,335 ,357 ,366 ؛ابن حادة عبد الرحيم ، المغرب و الباب العالي من منتصف القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر ،منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات ،زغوان ،تونس ،نوفمبر 1998 ،ص 64 .

وأن العثمانيين كانوا يأملون في بلوغ المغرب الأقصى الذي ظل المنطقة الوحيدة من بلاد المغرب الإسلامي الذي لم يلحق بالخلافة العثمانية .

و بتعدد أطراف الصراع و تباين اهدافها ظلت تلمسان تتجاذبه التيارات فتارة الأتراك وتارة السعديون و تارة أخرى التحرشات الإسبانية المستمرة عليها ،يضاف إليهم الطرق الصوفية الداعمة للسعديين خاصة الطريقتين الشاذلية و الجزولية ،و هذا ما أدى في الأخير إلى انهيار الدولة الزيانية و زوال رسمها سنة 951هـ/ 1554م .

3- العلاقات السياسية بين الأتراك العثمانيين حكام الجزائر و الوطاسيين .

لم تكن العلاقات بين المغرب الأقصى و العثمانيين وليدة القرن 10هـ/16م ،بل هي مرتبطة بالأساس بالانتصارات و الانجازات التي حققها العثمانيون منذ أواسط القرن 9هـ/15م ،و التي أهمها فتح القسطنطينية سنة 857هـ/1453م من طرف السلطان محمد الفاتح ،حيث أرسل بهذه المناسبة السلطان عبد الحق المريني – كغيره من ملوك الدول الإسلامية – رسالة تهنئة إلى السلطان محمد الفاتح تعبيرا منه عن ابتهاجه بهذا النصر العظيم [1]،إضافة إلى ما حققه هذا السلطان من فتوحات في شرق أوربا ،و بلوغ بايزيد الثاني البندقية شرقي المتوسط ،و كذلك سيطرة سليم الأول على شرق المتوسط وضمه سوريا و مصر و الحجاز ، ثم تطلعه إلى ضم الشمال الإفريقي . [2]

و رغم أن العثمانيين لم يكونوا غافلين عما حققه حكام المنطقة في مواجهة الغزو الإيبيري ،غير أن استصراخ أهل الأندلس بالسلطان العثماني بعد سقوط غرناطة سنة 1492م[3] شجع العثمانيين على ضم المنطقة ،فكانت البداية بسواحل الجزائر التي دخلها أوائل الأتراك تحت قيادة

([1]) محمد المنوني ،علاقات المغرب بالمشرق في العصر المريني ،مجلة دعوة الحق ،العدد 6-7 ،المغرب ،1965 ،ص 99 ؛عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 81 .

([2]) عن انجازات و فتوحات كل من محمد الفاتح و بايزيد الأول و سليم الثاني ،ينظر: ليلى الصباغ ،تاريخ العرب الحديث والمعاصر ،دمشق ،1981 ،ص 65 ،ص ص 73-76 ،و ص 98 .

([3]) نفس المرجع ،ص 74 .

الإخوة بربروس (عروج و خير الدين و إسحاق) فدخلوا مدينة جيجل سنة 1514م ،ثم مدينة الجزائر سنة 1517م ،ثم تمكنوا من دخول تلمسان للمرة الأولى سنة 923هـ/1517م ،بعدما تمكن عروج من عزل السلطان أبي حمو الثالث الزياني .[1]

أما فيما يخص المغرب الأقصى فيورد هايدو أن عروج أرسل رسله إلى السلطان الوطاسي محمد البرتغالي يعرض عليه التحالف ضد عدوهما المشترك من النصارى، مبديا له تقديم كل الدعم و المساندة ضد خصومه السعديين بمراكش ،و ضد كل المناوئين له بالمغرب الأقصى.[2]

و يبدو من خلال إقدام عروج على هذه الخطوة أنه أراد تأمين الحدود الغربية للجزائر ،و قطع الطريق على أي دعم قد يقدمه السلطان الوطاسي للسلطان الزياني المعزول أبو حمو الثالث الذي لجأ إليه طالبا دعمه ،و ذلك حتى يتفرغ لمواجهة الإسبان الذي باتوا يهددون وجوده بتلمسان .[3]

وجد السلطان الوطاسي محمد البرتغالي في هذا العرض فرصته لتقوية جانبه ،خاصة و أنه كان يبحث عن التحالف مع طرف قوي يعينه على طرد الإسبان و البرتغاليين من سواحل بلاده، وعلى وضع حد للنفوذ السعدي الذي بدأ يتوسع حتى أوشك على الوصول إلى مدينة فاس عاصمة الوطاسيين .[4]

وقد أورد الحسن الوزان معلومات هامة عن رغبة السلطان الوطاسي في ايجاد حليف قوي يعينه على أعدائه حيث كان مبعوث هذا الأخير إلى حكام بلاد السودان الغربي و تونس والمشرق من أجل تحقيق هذه الرغبة ،و كان من بين من اتصل بهم و هو بالمغرب الأوسط (الجزائر) عروج

([1]) بعد دخول عروج إلى تلمسان استقبله أهلها بحفاوة ،بينما التجأ السلطان أبو حمو الثالث إلى و هران أين احتمى بحاكمها و طلب منه المساعدة و المدد لاستعادة ملكه . و قد اجلس عروج على عرش تلمسان السلطان أبا زيان الثالث المسعود بدل عمه الذي اغتصب منه الملك . ينظر: محمد عمرو الطمار ،تلمسان عبر العصور ،ص 299 .

([2]) Haédo, op.cit ,pp 30 .

([3]) عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 82 .

([4]) عبد الكريم كريم ،المرجع السابق ،ص 30 ،31 .

بربروس الذي وجده محاصرا لمدينة بجاية في سبتمبر 1515م/921هـ ،و قد رافقه إلى أن رفع الحصار عنها .[1]

و من المؤكد أن الحسن الوزان كان قد أطلع عروج بجهود السلطان الوطاسي في محاربة النصارى ،و محاولاته المتكررة لتحرير المدن و المناطق التي احتلوها من المغرب الأقصى، وقد يكون قد عرض عليه فكرة التحالف معه مبديا استعداد السلطان الوطاسي لتجسيد هذه الفكرة .[2]

و لعله السبب الذي شجع عروج بعد استيلائه على تلمسان سنة 1517م على الاتصال بمحمد البرتغالي الوطاسي و يعرض عليه فكرة التحالف ضد أعدائهما في المنطقة ،و هي الفكرة التي رحب بها السلطان الوطاسي ،و وافق على تجسيدها حسب ما أورده هايدو، علها تعيد له هيبته و تعزز مكانته في المغرب الأقصى .[3]

و قد يكون هذا الاتفاق قد تم فعلا استنادا إلى الخطوتين الهامتين اللتين أقدم عليهما السلطان الوطاسي و المتمثلتين في:

1- رفض السلطان الوطاسي تقديم العون و المساعدة للسلطان الزياني أبي حمو الثالث الذي عزله عروج، والذي كان يرغب في استرجاع ملكه من هذا الأخير .[4]

2- زحف السلطان الوطاسي على رأس قواته نحو تلمسان لدعم عروج ضد الإسبان الذين تحركوا نحو تلمسان لإعادة السلطان أبي حمو الثالث إلى عرشه ،قبل أن يتراجع إلى محلته بفاس بعدما علم بمقتل عروج ،و انتصار الإسبان عليه .[5]

لكن إذا أمعنا النظر في تفاصيل الأحداث آنذاك يبدو لنا أن هذا التحالف لم يكن سوى تحالفا شكليا ،و اتفاقا شفهيا إذ أن الحصار الذي ضربه الإسبان و حليفهم أبو حمو الثالث على عروج

([1]) الحسن الوزان ،المصدر السابق ،ج2 ،ص 410 .

([2]) الحسن الوزان ،المصدر السابق ،ج2 ،ص 410 ؛ Haédo, op.cit ,pp 30 .

([3]) Haédo, op.cit ,pp 30.

([4]) مؤلف مجهول ،تاريخ الدولة السعدية ،ص 32 .

([5]) Haédo, op.cit ,pp 34.

و قواته دام أكثر من ستة وعشرين يوما [1]،و في رواية أكثر من ستة أشهر [2]،و هي فترة كافية لوصول أي امداد من المغرب لمساندة عروج ،خاصة أن تلمسان متاخمة لحدود الدولة الوطاسية ، ولو كان السلطان الوطاسي جادا في تحالفه مع عروج لكان تحرك لنجدته في مدة زمنية تقل عن المدة التي ذكرنا سابقا ، [3] خاصة و أن عروج كان قد أبلغ حليفه الوطاسي باستعداد الإسبان للهجوم عليه دعما للسلطان الزياني المعزول أبي حمو الثالث ،و أكد له حاجته الماسة لدعمه ، ووعد السلطان الوطاسي عروج بأنه سيقدم له الدعم المناسب قريبا [4]،الأمر الذي جعل هذا الأخير يتمسك بتلمسان رغم قلة رجاله و عدته و تراجع نفوذه فيها ،و غضب الأهالي منه بعد سياسة الشدة التي انتهجها ضدهم ،فكان هذا ،و خذلان السلطان محمد البرتغالي له سببا في مقتله هزيمة جيشه ،و من ثم استرجاع السلطان الزياني أبو حمو الثالث لعرشه .[5]

و يبدو أن عدم تقديم محمد البرتغالي الوطاسي الدعم المرجو منه لعروج لم يكن نقضا للعهد – إن كان قد حدث بينهما تحالفا – بقدر ما كان تجنبا للتورط في حرب خارج حدود مملكته ،خاصة و أنه كان في صراع داخلي مع السعديين و المناوئين له من جهة ،و مع النصارى من الإسبان و البرتغاليين المحتلين لمدن مملكته . ما يؤيد هذا الطرح امتناعه عن تقديم أي دعم لسلاطين بني زيان المستنجدين به لاسترجاع عرشهم ،سواءا من بعضهم البعض أو من الأتراك العثمانيين كما سبق ذكره في العنصر الأول من هذا المبحث . [6]

([1]) مؤلف مجهول ،تاريخ الدولة السعدية ،ص 34 .

([2]) محمد عمرو الطمار ،تلمسان عبر العصور ،ص 203 ؛ Grammont (H.de) ,Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830) ,vol1 ,Paris ,1887 , p 34.

([3]) يذكر محمد عمرو الطمار أن عروج و رجاله تحصنوا بقلعة المشور منتظرين مددا يأتيهم من السلطان الوطاسي تنفيذا لاتفاق عقد بينهم ،فأرسل إليه جيشا ليفك عنه الحصار لكن هذا الجيش سار على طريق مليلية فطال به السير ،و لم يصل في الوقت المناسب ،فلما قضي على عروج قفل راجعا . ينظر: تلمسان عبر العصور ،ص 230 .

([4]) Haédo, op.cit ,pp 30-32.

([5]) ابن عسكر ،دوحة الناشر ،ص 98 .

([6]) عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 83 .

و لعل سبب رفض السلطان محمد البرتغالي تقديم الدعم و المساعدة لعروج ،هو تخوفه من أطماع هذا الأخير التوسعية أن تطال مملكته بعد الأقاليم التي سيطر عليها بالجزائر ،خاصة وأن سفنه أخذت تجوب المياه الإقليمية للمغرب الأقصى غربي البحر الأبيض المتوسط منذ 923هـ/1517م [1]. و يذكر هايدو أن التحرك المتأخر للسلطان الوطاسي بجيشه إلى شرق المغرب الأقصى قد لا يكون الهدف منه تقديم الدعم لعروج و إنما يمكن أن يكون موقفا احتياطيا لصد خطر عروج على المغرب فهو في حال انتصاره على الإسبان قد يستغل ذلك لانتزاع مليلية التي مر الجيش الوطاسي بجوارها . [2]

و بذلك ،و نتيجة عدم وجود أي صيغة للتعاون الجاد بين الطرفين عروج و السلطان الوطاسي تمكن الإسبان من القضاء على عروج كما كانوا قد تمكنوا من القضاء على أخيه اسحاق الذي كان متحصنا بقلعة بني راشد [3]،و كادوا يقضون على الوجود العثماني بالمغرب الأوسط لولا وجود قوة متحصنة بمدينة الجزائر تحت قيادة خير الدين بربروس الذي تمكن من احباط محاولة الإسبان في الاستيلاء على مدينة الجزائر ،بفضل حسن تخطيطه و قوة ارادة رجاله و شجاعتهم ، وبمساعدة الظروف الطبيعية التي جاءت في صالحه . [4]

أما الطرف المقابل و المتمثل في محمد البرتغالي الوطاسي فقد أخفق في بسط نفوذه على كامل المغرب الأقصى بعدما فشل في الحد من نفوذ السعديين الذين كانت قوتهم تتزايد في الجنوب

([1]) نفسه ،الصفحة نفسها .

([2]) Haédo, op.cit ,p 32 .

([3]) أمد حاكم وهران السلطان الزياني المعزول أبا حمو الثالث بالعدة و العدد لاسترجاع تلمسان من عروج ،و في طريقه إليها عرج على قلعة بني راشد حيث كان اسحاق بربروس مرابطا بها ،فنازله هناك ،و لم يستسلم اسحاق إلا بعد أن تعهد له أبو حمو الثالث بأن يتركه يغادر و رجاله إلى تلمسان ،فكان له ما طلب ،و في طريقهم إليها تمكنوا منهم رجال السلطان الزياني المعزول وقضوا عليهم ،و كان ذلك في الفتح من يناير 1515م . ينظر: تلمسان عبر العصور ،ص 230.

([4]) عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 83 .

،كما فشل في تحرير المدن و المواقع التى احتلها كل من الإسبان و البرتغاليين ،ما عدا حجر بادس الذي تم تحريره سنة 928هـ/1522م . [1]

و نتيجة لهذه التطورات السياسية السابقة ،لم يقدم أيا من الطرفين (خير الدين بربروس ومحمد البرتغالي) على الاتصال ببعضهما البعض لانشغال كل واحد منهما بمواجهة أعدائه ،فبينما كان محمد البرتغالي في مواجهة خصومه من السعديين و المناوئين له بالمغرب ،كان خير في مواجهة الإسبان الذين قاموا حملة ضخمة ضده من جهة [2]،و المؤامرة التي تمت ضده بين سلطاني تونس و تلمسان من جهة أخرى ،اضافة إلى تمرد أحمد بن القاضي الزواوي بتحريض من السلطان الحفصي الذي تمكن من اخراجه من مدينة الجزائر لبضع سنين قضاها خير الدين بمدينة جيجل. [3]

هذه الظروف و الأحداث جعلت العلاقات بين العثمانيين الأتراك في الجزائر والوطاسيين في حالة من الفتور و صلت حد الانقطاع ،لكنها لم تدم طويلا حيث عادت سفن حكام الجزائر العثمانيين سنة 930هـ/1523م للتردد على ميناء العرائش المغربي الذي كان محطة رسو لها في فصل الشتاء . [4] لتشهد هذه العلاقات تحسنا بعد اعتلاء أبو العباس أحمد بن محمد البرتغالي

([1]) نفسه ،الصفحة نفسها .

([2]) أغضب استيلاء خير الديس على مدينة تونس الهامه الإسبان ،فصمم شارلكان على إخراجه منها ،فاستغل فرصة اتصال السلطان الحسن الحفصي المخلوع به ،وطلب المساعدة منه لاسترجاع ملكه من خير الدين ،و جهز حملة ضخمة إلى تونس سنة 942هـ/1535م ،تمكن خلالها من انتزاعها من خير الدين ،و اعادة السلطان الحسن الحفصي إلى عرشه بعد أن كبله بعدة شروط منها: احتفاظ الإسبان بصفة دائمة بمنطقة حلق الواد ،و إقامة حصن بها ،و فرض ضريبة تبعية عليه .ينظر: ابن أبي دينار القيرواني ،المؤنس ،ص 164 ؛أحمد بن أبي الضياف ،اتحاف أهل الزمان و أخبار ملوك تونس و عهد الأمان ،ج2، تونس ،1963 ،ص 13 ؛مارمول كربخال ،المصدر السابق ،ج2 ،ص 460 و ما بعدها .

([3]) آثر خيرالدين اللجوء إلى مدينة جيجل بعدما تقلص نفوذه في الجهة الشرقية ،و تذبذب السلطان الزياني في ولائه ،وعدم اطمئنانه على نفسه و قواته القليلة إن في مدينة الجزائر ،و انشغال السلطان سليمان القانوني عنه في حروبه بأوربا الشرقية، ولأن مدينة جيجل أثبت أهلها الولاء له و لإخوته من قبل . ينظر: مؤلف مجهول ،غزوات عروج و خير الدين ،ص 64 ؛كارل بروكلمان ،تاريخ الشعوب الإسلامية ،تر،نبيه أمين فارس و منير البعلبكي ،بيروت ،1968 ،ص 450 ،451 ؛ Grammont (H.de) ,Histoire d'Alger p23 ؛ Haédo op.cit ,p 37

([4]) عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 84 .

عرش بني وطاس ،و عودة خير الدين إلى مدينة الجزائر ،و احرازه انتصارا باهرا على الإسبان في "حصن البنيون " و تحرير من بين أيديهم في 27 ماي 1529م .[1]

في أعقاب هذا الانتصار الباهر على الإسبان ذاع صيت خير الدين بين المسلمين والنصارى ،و طمح في تحرير وهران ،و لتحقيق هذا الهدف أرسل إلى السلطان الوطاسي ابي العباس أحمد ،و إلى أمير بادس أبو حسون الوطاسي ،و إلى سلطان تلمسان ،و كافة غزاة البحر في تونس يدعوهم للمشاركة في حملته إلى وهران بكل ما يملكون من قوات و سفن .[2]

لم يتمكن الوطاسيون كعادتهم من المشاركة في هذا المشروع لأن الظروف لم تكن تسمح لهم بذلك بعدما دخلوا في صراع مباشر مع السعديين الذين استولوا على مراكش و أحوازها ورفضوا الاذعان للسلطان الوطاسي و إعلان الطاعة له ،فخاض ضدهم معركة بأنماي خارج مراكش في ذي القعدة 935هـ/جويلية 1529م انتهت بعقد صلح معهم .[3]

لكن عدم مشاركة الوطاسيون في مشروع خير الدين السالف الذكر لا يعني أنهم لا يرغبون في التعاون معه ،أو أنهم لا يسعون إلى تحسين علاقتهم معه و تطويرها ،و دليلنا في ذلك ما أقدم عليه السلطان أبو العباس أحمد الوطاسي بأن سمح لسفن خير الدين في شعبان 937هـ/أفريل 1531م بالرسو في الموانئ الشمالية للمغرب ،و التزود منها بكل ما يحتاجه منها من مؤن ،خاصة منها الحبوب لأن الجزائر كانت تعيش فترة جفاف خلال هذه السنة .[4]

في حين أرسل خير الدين في نفس السنة وفدا إلى السلطان الوطاسي يعرب له عن استعداده التام لتقديم المساعدة له و بنفسه لمهاجمة أي موقع يريد ،كما طلب منه تزويده بالملح والبارود المتوفر لديه ،و هو الأمر الذي قبل به السلطان أبو العباس الوطاسي و استجاب له.[5]

---

(1) مؤلف مجهول ،غزوات عروج و خير الدين ،ص ص 66-68 ؛ Elie de la Primaudaie ,op.cit ,p 32 ؛ Haédo op.cit ,p 41 .

(2) Elie de la Primaudaie ,op.cit ,p 32 .

(3) اليفريني ،نزهة الحادي ،ص 20 ،السلاوي ،الإستقصا ،ج4 ،ص 150 .

(4) (S.I.H.M) Esp ,t 2 ,p 1,2 .

(5) (S.I.H.M) Esp ,t 2 , pp 41-43.

أقلق هذا التوافق بين خير الدين و أبو العباس الوطاسي الإسبان و البرتغاليين ،و جعلهم في حالة تأهب و استعداد لأي هجوم تركي وطاسي، و ذلك بتعزيز قواعدهم بسواحلهم الجنوبية ، وبشمال المغرب ،كما قام الإسبان بتحريض السلطان الزياني عبد الله الثاني[1] على القيام بثورة ضد خير الدين ،فاستجاب لطلبهم ،و جهز حملة لهذا الغرض [2] لكن خير الدين افشلها ولاحق السلطان الزياني إلى تلمسان ،و أرغمه على طلب العفو – خاصة و أن المساعدات الإسبانية لم تصل إليه – فعفا عنه .[3]

و أمام هذه الهزيمة لحليفهم تعاظمت مخاوف الإسبان و البرتغاليين من أي تعاون بين خير الدين و أبو العباس أحمد ،خاصة و أن استعداد خير الدين لمساعدة الوطاسيين شجعهم على محاصرة موقع غساسة و تحريره من الإسبان سنة 941هـ/1534م . [4]

و ازدادت مخاوف الإسبان و البرتغاليين بعد عودة خير الدين من القسطنطينية على رأس أسطول عظيم استولى به على تونس صيف 941هـ/1543م [5] دون أي مقاومة تذكر، وهو الأمر الذي دفع بالبرتغاليين إلى التفكير في إخلاء المواقع التي كانوا يحتلونها ولم يعد في مقدورهم الدفاع عنها ،و دفع بالإمبراطور الإسباني شارلكان إلى إخلاء مدينة هنين [6]بعد تخريبها تخريبها سنة 941هـ/1534م و نقل حاميتها إلى وهران لتعزيزها . [1]

([1]) هو عبد الله بن أبي حمو الثالث بن محمد الثابتي تولى عرش تلمسان في الفترة الممتدة ما بين 934 – 947 هـ / 1528 – 1540 م ،عنه ينظر: عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ج2 ،500 ،501 .

([2]) ينظر نص رسالة السلطان الزياني عبد الله الثاني إلى إمبراطور إسبانيا بخصوص ترتيب هذه الحملة في كتاب تاريخ الجزائر العام ج2 لعبد الرحمن الجيلالي ،ص 209 ،210 .

([3]) مؤلف مجهول ،غزوات عروج و خير الدين ،ص ص 78 -80 .

([4]) فرض عليها الوطاسيون حصارا في جانفي 1533م .ينظر: مارمول كربخال ،المصدر السابق ،ج2 ،ص 289 ؛
(S.I.H.M), Esp ,t 1 ,pp 61 -65 .

([5]) استولى خير البدين على تونس في 16 أوت 1534 م . ينظر:
Elie de la Primaudaie ,op.cit ,pp 94 -99 .

([6]) كانت هنين تشكل مركزا تجاريا هاما مع أوربا باعتبارها عصب اقتصاد تلمسان الزيانية ،لذلك أمر الإمبراطور الإسباني شارلكان قائده دون بازان في شهر أوت من سنة1531م بمهاجمة هنين و احتلالها تمهيدا لاحتلال تلمسان غربا و امارة

و في سنة 1535م أعد الإمبراطور العثماني حملة ضخمة ضد خير الدين بتونس، بعدما استنجد به السلطان الحسن الحفصي الذي خلعه خير الدين لاستعادة عرشه ،و هي الحملة التي انتصر فيها الإسبان ،بعد أن تمكنوا من اخراج خير الدين من تونس و إعادة السلطان الحفصي إليها ،و دعمه بحامية إسبانية كبيرة .[2]

في هذا الوقت كان السلطان الوطاسي ينتظر الدعم و المساعدة من خير الدين لاستعادة طنجة و أصيلا من البرتغاليين، خاصة بعد الانتصار الكبير الذي حققه في غساسة نغير أن ذلك لم يتم لأن خير الدين اضطر إلى العودة للقسطنطينية .[3]

تولى أمر الجزائر بعد خير الدين حسن آغا الذي لم يستطع تقديم أي مساعدة للوطاسين، وذلك لانشغاله بالتصدي للتهديدات الإسبانية المتتالية على الجزائر ،الأمر الذي اضطر أبو العباس أحمد الوطاسي إلى مسالمة الإسبان و البرتغاليين و مهادنتهم نخاصة بعد الهزيمة النكراء التي مني بها أمام السعديين على مشارف وادي العبيد سنة 943هـ/1596م حتى يأمن جانبهم و يأمن شرهم .[4]

استجاب البرتغاليون لعرض السلطان أحمد الوطاسي في اقرار الهدنة و الصلح معهم وذلك لقطع الطريق الطريق أمام أي تحالف بينه و بين العثمانيين الأتراك في الجزائر ،و بالتالي منع أي تدخل لهم في المغرب ،و قد تضمن هذا الاتفاق بنودا هامة تتعلق بعلاقة الوطاسين بالعثمانيين الأتراك في الجزائر نو التي من أهمها امتناع رعايا السلطان الوطاسي من شراء الأسرى المسيحيين في

الحفصيين شرقا ،غير أنه و بعد استفحال أمر خير الدين و عجز الإسبان عن مواجهته أمر شارلكان بتخريبها و الجلاء عنها . ينظر: محمد بن عمرو الطمار ،تلمسان عبر العصور ،ص 31 ،32 .

(1) Ruff Paul ,La domination Espagnole à Oran p 35 .

(2) عن تفاصيل حملة شارلكان على تونس ينطر: مارمول كربخال ،المصدر السابق ،ج2 ،ص 450 و ما يليها ؛
Mediana (G), Expédition de Charles-Quint ,à Tunis ,Revue Tunisienne ,T13 ,Tunis ,1906 ,pp 185-194 et pp 301-307 .

(3) (S.I.H.M), Esp, t1 , p79 .

(4) توصل ابو العباس أحمد الوطاسي إلى عقد اتفاق سلام مع البرتغاليين في شهر ماي 1538م يمتد على مدة أحدى عشر عاما على أن يشمل الإسبان كذلك . عنه ينظر: (S.I.H.M), Esp ,t1 , p79 .

مناطق طنجة و أصيلا و القصر الصغير و سبتة في حال قدوم السفن الجزائرية إليها ،و مصادرة بضائعها و ارجاعها إلى أصحابها التي سلبت منهم إن أمكنهم ذلك.[1]

رغم الاتفاق الموقع بين الوطاسيين و البرتغاليين غير أن أمراء الوطاسيين لم يحيدو عن التعامل و التعاون مع حكام الجزائر العثمانيين ،خاصة منهم أبو حسون الوطاسي حاكم بادس الذي كان على وفاق دائم معهم من قبل ،و ظل كذلك في حلفه معهم ضد النصارى من البرتغاليين و الإسبان [2]. و قد ورد في الوثائق المعاصرة ما يؤكد ذلك ،حيث تشير إحداها إلى اقدام ابو حسون الوطاسي عدد كبير من الأسرى النصارى من الأتراك في سبتمبر 1540م بمبلغ خمسة آلاف دوكات .[3] ،و تشير أخرى إلى طلبه أربعين سفينة من الجزائر لمواجه أسطول القائد العام للبحرية الإسبانية بيرناردينو ديموندوزو(Don Bernardino de Mondouzo).[4] و وثيقة أخرى تشير إلى ارسال حسن آغا لمبعوث إلى ابي حسون لشراء سفن و مستلزمات أخرى.[5]

كما تشير المصادر التاريخية إلى دور السيدة الحرة و زوجة أحمد الوطاسي و حاكمة تطوان في دعمها للعثمانيين الأتراك بالسماح لسفنهم بالتردد على ميناء تيطوان ،و رسوها به ،بل ذهبت إلى أكثر من ذلك حين سمحت لسفنها بالمشاركة في غزواتهم البحرية .[6]

أدت هذه المواقف من الوطاسيين تجاه العثمانيين الأتراك في الجزائر إلى خرق اتفاق الهدنة الموقع بينهم و بين البرتغاليين ،الأمر الذي أدى في الأخير إلى إلغاء الاتفاق رسميا سنة 1543م.[1]

---

(1) Ibid. Ibidem.

(2) (S.I.H.M), Esp ,t1 , p 80 ; Elie de la Primaudaie ,op.cit ,p 35.

(3) (S.I.H.M), Esp ,t1 , p 80 .

(4) Ibid ,p 90 ,91 .

(5) Elie de la Primaudaie ,op.cit ,p 253.

(6) (S.I.H.M), Esp ,t1 ,p 107 .

ونستنتج مما سبق أن العلاقات السياسية بين الوطاسيين و حكام الجزائر من العثمانيين الأتراك عرفت تحسنا ملحوظا على عهد خير الدين و عهد خليفته حسن آغا لما تميزت به من تقارب و تعاون خاصة ما تعلق بعدائهم المشترك للإسبان و البرتغاليين .

و استمرت العلاقة بين الطرفين على نفس الحال بعد تولي حسن بن خير الدين شؤون الجزائر (951-958هـ/1544-1551م) ،و الذي استولى على تلمسان أواسط سنة 952هـ/1545م ،و عزل سلطانها ابي زيان ،الأمر الذي اضطره إلى اللجوء لأمير دبدو عمر بن يحي الوطاسي و الاستنجاد به .[2]

ومن الشواهد الدالة على استمرار التواصل و التعاون بين الطرفين على هذا العهد ،استمرار تردد السفن العثمانية على موانئ المغرب الشمالية ،و تزودها بمستلزمات التعاون الذي كان يتم بينهما في مجال الجهاد البحري .إضافة إلى انتقال عدد كبير من الأتراك العثمانيين بصفة فردية للعمل في البلاط الوطاسي ،و حتى في صفوف الجيش حيث يذكر طوريس أن عدد العثمانيين في الجيش الوطاسي قد فاق الأربعمائة عشية معركة درنة ضد السعديين سنة 952هت/1545م.[3]

و مما يؤكد كذلك على استمرار التعاون بين الطرفين ،رفض الوطاسيين للتعاون مع أي طرف ثائر ضد العثمانيين الأتراك ،أو مع جهة مناوئة لهم ،و من ذلك رفضهم تقديم يد العون والمساعدة للثائر بوطريق[4] الذي التجأ إلى المغرب بعد فشل ثورته التي اعلنها ضد العثمانيين سنة 951هـ/1544م [5].و كذلك الأمر بالنسبة للسلطان الزياني المعزول أبو زيان أحمد الثاني والذي

---

(1) عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 86 .

(2) محمد بن عمرو الطمار ،تلمسان عبر العصور ،ص 233 .

(3) اليفريني ،المصدر السابق ،ص 27 ،28 ؛السلاوي ،المصدر السابق ،ج4 ،ص 156 ؛دي طوريس ،المرجع السابق ، ص ص 151 ،157.

(4) ظل بوطريق لاجئا بالمغرب إلى أن قام أبناء محمد الشيخ السعدي بحملة على تلمسان فشاركهم فيها . ينظر:
Haedo ,op.cit ,p 71

(5) Ibid ,ibidem .

أسره عمر بن يحي الوطاسي و من معه بعدما التجأ إليه مستنجدا به[1] ،و لم يطلق سراحه، وسراح أتباعه إلا بعد مرور ستة أشهر ،وذلك خشية أن يستولي السعديون على تلمسان إن هم استولوا على فاس.[2]

أما من جهة العثمانيين الأتراك فإنهم اشترطوا في مفاوضاتهم مع شارلكان لعقد اتفاق سلام ،أن يشمل هذا الاتفاق الوطاسيين كذاك . [3]

و لعل الحدث الأبرز الذي عرفته العلاقات السياسية بين الجزائر و الوطاسيين على عهد حسن بن خير الدين ،خاصة بعد الهزيمة الساحقة التي مني بها الوطاسيون على يد السعديين في معركة درنة السالفة الذكر و التي أسر فيها السلطان أحمد الوطاسي و ابنه أبي بكر،[4] هو مسارعة أتباع السلطان الوطاسي المعتقل إلى إعلان الطاعة و الولاء للسلطان العثماني طالبين منه الدعم والمساعدة ضد خصومهم السعديين ،مناشدين إياه بالتدخل للإفراج عن السلطان أبي العباس وابنه المعتقلين لدى محمد الشيخ السعدي .[5]

و مما لا شك فيه أن حكام الجزائر الأتراك لم يتوقفوا عن مساندة الوطاسيين و تأييدهم ،ليس لوجود علاقات ود و تعاون معهم من قبل ،بل لأنهم كانوا يدركون تمام الإدراك مدى خطورة المد السعدي المتنامي ،خاصة و أنهم يتمتعون بشعبية كبيرة بسبب نسبهم الشريف الذي مكنهم من النفوذ الوحي و الزعامة الدينية في أوساط المتصوفة و المرابطين ،و عامة المسلمين، وهم الذين كانوا يرون العثمانيين غرباء عن البلاد، ومغتصبون للسلطة شأنهم شان الإسبان والبرتغال، وبذلك قد أصبح تفوق السعديين في المغرب خطرا غلى العثمانيين في الجزائر .[6]

---

(1) السلاوي ،المصدر السابق ،ج4 ،ص 163 ؛محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور ،ص 233 .

(2) محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور ،ص 233 .

(3) جاء ذلك في رسالة فوكات بتاريخ 1554/07/17 .ينظر: (S.I.H.M) ,T11 ,p 10 .

(4) اليفريني ،المصدر السابق ،ص 27 ،28 ؛السلاوي ،المصدر السابق ،ج4 ،ص 156 ؛دي طوريس ،المرجع السابق ،ص ص 151 ،157 .

(5)دي طوريس ،المرجع السابق ،ص 207 ؛عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 87 .

(6) Cour (A) ,l'Etablissement ,p 79.

لذلك لم يكن من مصلحة أتراك الجزائر أن يستقيم الأمر للأشراف السعديين في المغرب، حتى لا يوجهوا أنظارهم نحو تلمسان ،خاصة و أنهم فتحوا أبواب مراكش أمام المناوئين للسلطة العثمانية و المتمردين و الثائرين عليها ،من أمثال الثائر بوطريق الذي رفض الوطاسيون إيواءه، فآواه السعديون ،ثم صحبوه معهم في حملتهم على غرب الجزائر،[1] و زاد من تخوف حكام الجزائر العثمانيين من السعديين اهتمام هؤلاء بالغزو البحري ،و هو ما قد يجعل منهم منافسا قويا لهم في هذا المجال بالمنطقة .[2]

و تحسبا لأي تطورات سياسية قد يعرفها السعديون الذين ما انفكت قوتهم تتعاظم، واستجابة لاستنجاد أتباع السلطان الوطاسي أبو العباس أحمد ،أرسل السلطان العثماني سليمان القانوني سفارة إلى مراكش في جويلية 1548م/955هـ ،تحمل أوامره بنبرة من التهديد إلى محمد الشيخ بإطلاق صراح السلطان الوطاسي فورا ،و التعويض له عن الأضرار التي ألحقها به بعد مهاجمة محلته بفاس.[3]

و قد وصف دي طوريس الذي أورد الحدث، [4] حالة الغضب و الانزعاج و الغيظ التي التي سيطرت على الشريف السعدي محمد الشيخ بسبب لهجة التهديد التي تضمنها خطاب السلطان العثماني ،و الذي نعته ب " شيخ العرب " بدل " أمير المؤمنين " و هو اللقب الذي كان يفضله ،و هذا ما يفسره رد الفعل السريع له ،حيث كاد يهم بقتل السفير العثماني قبل أن

---

(1) Haédo ,op.cit ,p 71 .

(2) Cour (A) , op.cit ,p 79 .

(3) اليفرني ،نزهة الحادي ،ص 69 ،و يذكر السلاوي الناصري أن السلطان العثماني طلب أيضا بهذه المناسبة أن تكون الخطبة باسمه في مناطق نفوذ الشريف السعدي نما يعني الدعوة إلى الإعتراف بالسلطة الروحية لسلطان الأتراك ،و الدخول تحت لوائه ،الإستقصا ،ج3 ،ص ص 14-22 ،و أيضا:

=Garot (Henri) ,histoire général de l'Algérie ,Alger ,1910 ,p 419 .

=Berthier (P) les Ibériques face au péril Turque sur le Maroc à la veille de la bataille de Wadi-L-Makhazin (4 Aout 1578) ,Revue d'histoire Maghrébine n° 31-32 , Décembre ,1983 ,p 111 .

(4) دي طوريس دييغو ،تاريخ الشرفاء السعديين ،طبعة 1988 ،ص 127 .

يصرفه ،ليقوم بتوجيه أوامره بعد انصراف هذا السفير إلى ابنيه محمد الحران بتارودانت و عبد القادر بمراكش بحشد قواتهما للزحف على مدينة فاس [1]،فانطلقا الأخوان نحو فاس و ضربا عليها حصارا تمهيدا لإخضاعها ،لكن استماتة أهلها في الدفاع عنها حالة دون تمكنهما من ذلك .

و هكذا رفض محمد الشيخ الإذعان لطلب السلطان العثماني ،و بقي السلطان أحمد الوطاسي رهن الأسر ،فأدرك الوطاسيون أن لا جدوى من التدخل العثماني لصالحهم ،خاصة وأنه لم يكن لهم رد فعل قوي ضد عصيان محمد الشيخ ،ثم انسحابهم من تلمسان سنة 954هـ/ 1547م ،و التي استردها منهم السلطان أبو زيان محمد الثاني بمساعدة الإسبان.[2]

و من ثمة لم يبقى أمام الوطاسيين الذين طال الأمر بسلطانهم (حوالي سنتين) سوى الرضوخ لشرط محمد الشيخ ،و المتمثل في تسليم مدينة مكناسة له [3]،مقابل إطلاق سراح السلطان الأسير.[4]

و لعل الشريف السعدي كان يرمي من اخذ مكناسة القريبة من فاس إلى مراقبة تحركات الوطاسيين ،و السيطرة على بلاد الغرب للحيلولة دون حصول أي تقارب أو تعاون بين المراكز البرتغالية و الوطاسيين ،اضافة إلى عزل خصومه في فاس و وضعهم تحت رحمته . [5]

و بتخلي الأتراك العثمانيين بالجزائر عن السلطان أحمد الوطاسي ،و بعد عودة السلطان أبو زيان أحمد الزياني إلى ملكه بتلمسان سنة 1547م [6]،التجأ السلطان الوطاسي بعد إطلاق

---

(1) Cour (A) ,l'établissement ,p 79 .

Mercier (Ernest) ,histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête , Française (1830) ,Paris ,1891,T3,p67 .

(2) للإطلاع على تطورات الصراع الإسباني العثماني على مدينة تلمسان ،و موقف الزيانيين منه ،ينظر:

Haédo ,histoire des roi d'Alger ,p 74 .

(3) للتعرف على تاريخ هذه المدينة ،ينظر: ابن غازي ،الروض الهتون ،ص ص 43-131 .

(4) . T1,France ,p 168, (S.I.H.M) ،و يذكر عبد الكريم كريم أن محمد الشيخ السعدي لم يطلق سراح السلطان الوطاسي إلا بعد أن تنازل له هذا الأخير عن مكناسة و بلاد الغرب ،قبوله بتزويج ابنته من ابنه عبد القادر، وأن يصبح هذا الأمير السعدي (عبد القادر) الوزير الأكبر للسلطان الوطاسي في فاس . المرجع السابق ،ص 69 .

(5) عبد الكريم كريم ،المرجع السابق ،ص 69 .

(6) دي طوريس ،المصدر السابق ،ص 215 .

سراحه إلى البرتغاليين طلبا للمساعدة، [1] الأمر الذي أزم الوضع بينه و بين الأتراك العثمانيين في الجزائر ،و زاد في تأزمه مع السعديين ،و وجد في ذلك محمد الشيخ السعدي الفرصة المواتية لغزو مدينة فاس . [2] و هي الفرصة التي لم يفوتها فدخل مع الوطاسيين في معارك طاحنة ،تدخل فيها كذلك الأمير السعدي زيدان بن أحمد الأعرج حينما منع عمه من عبور وادي سبو الذي كان يعسكر به، ودخل معه في معركة عنيفة انتهت بتراجع محمد الشيخ إلى مكناس ،و انسحاب زيدان إلى تافيلالت ،بعدما لم يلقى الدعم من السلطان الوطاسي .[3]

لما علم محمد الشيخ بانسحاب ابن أخيه زيدان إلى تافيلالت أعاد الكرة على فاس، وتمكن من احراز نصر كبير علة قوات السلطان الوطاسي نو استولى على منابع العيون التي تزود كدينة فاس بالماء ثم فرض عليها حصارا محمكما حتى ساءت أحوال الرعية فيها ،مما استدعى تدخل الأمير أبوحسون الوطاسي حاكم بادس الذي هاجم قوات عبد القادر بن محمد الشيخ السعدي ،و الذي أمده والده بقوات اضافية لنجدته فنصبت كمينا لأبي حسون فعزلته عن رجاله الذين اعتقدوا أنه قد قتل ،ففرو إلى مدينتهم بادس ،أما أبو حسون فقد عاد إلى فاس رفقة اثنا عشر فارسا من قواته بعدما استطاعوا النجاة .[4]

و لما طال الحصار السعدي لفاس بسبب صمود أهلها ،و حاول محمد الشيخ السعدي استمالة أشياخها ،و أهاليها ،فكاتبهم يدعوهم إلى الدخول في طاعته ،لكن بعض المشايخ من أمثال الشيخ الونشريسي و القاضي طروق الأموي و أخوه أحمد أفشلوا مسعى محمد الشيخ هذا بعد أن حرضوا اهل فاس على حربه ،و اشاعوا بينهم أن بيعة السلطان أحمد الوطاسي و بيعة ولده في أعناقهم فلا يحل لهم نقضها . [5]

([1])كان ذلك برسالة مؤرخة في 4 نوفمبر 1547 م . ينظر: S.I.H.M) ,T1,Esp ,p 214 (.

([2]) مارمول كربخال ،المصدر السابق ،ج1 ،ص ص 467-470 ؛اليفريني ،نزهة الحادي ،ص 53 ،54 ؛ابن عسكر ، دوحة الناشر ،ص ص 60-62 ؛القادري ،نشر المثاني ،28 و ص 107 .

([3]) أوغست كور ،دولة بني وطاس ،ص 123 ،124 .

([4])أوغست كور ،دولة بني وطاس، ص 124 .

([5]) مؤلف مجهول ،تاريخ الدولة السعدية ،ص 10 ؛الزياني ،الترجمان المعرب ،ص 346 .

و بعد حصار دام عدة اشهر سقطت فاس العتيقة (فاس البالي) يوم الثلاثاء الثامن عشر فبراير 1549م، وفر السلطان أبو العباس أحمد و الأمير أبو حسون إلى فاس الجديد ، وبعد مطاردتهما اضطر السلطان أحمد الوطاسي إلى الاستسلام ،و نقل إلى مراكش مع أفراد عائلته وحاشيته ،و هناك قتل مسموما رفقة اربعين رجلا من اتباعه ،بينما تمكن أبو حسون من النجاة فاتجه نحو الشمال . [1]

و باستيلاء محمد الشيخ على مدينة فاس عاصمة الوطاسيين أصبح المغرب الأقصى تحت حكم الدولة السعدية .[2]

أما في الجهة المقابلة حيث حكام الجزائر من الأتراك العثمانيين ،فقد تمكن هؤلاء من بسط نفوذهم مرة أخرى على تلمسان سنة 1548م تحت قيادة حسن باشا بن خير الدين، [3] وكان بإمكانهم يوم إذ نجدة الوطاسيين ،لكنهم أحجموا عن ذلك [4]،ربما إدراكا منهم للقوة التي أصبح عليها السعديين ،فأرادوا أن يتركوا مجالا للتقارب و التواصل معهم ،و لعله الأمر الذي جعل ابا حسون الوطاسي لا يلجأ إلى حكام الجزائر الأتراك بعد سقوط فاس في يد السعديين رغم ما كانت تربطه بهم من علاقات حسنة منذ عهد خير الدين بربروس ،و يفضل اللجوء إلى الإسبان و البرتغاليين، [5] و يحذرهم من تحالف محتمل بين العثمانيين و السعديين .

و يمكن أن نستنتج مما سبق أن العلاقات السياسية بين حكام الجزائر العثمانيين والوطاسيين كانت علاقات ود و تعاون لكنها لم ترتقي إلى مستوى التعاون الفعلي والجاد، والدفاع

([1]) مؤلف مجهول ،تاريخ الدولة السعدية ،ص 15 ؛عبد الكريم كريم ،المرجع السابق ،ص 70 .

([2]) للمزيد حول الصراع السعدي الوطاسي و سقوط مدينة فاس في يد السعديين ينظر: De.Torres ,histoire des chérifs ,p p 224-248 ؛مؤلف مجهول ،تاريخ الدولة السعدية ،ص ص 9-15 ؛ (S.I.H.M) ,T1,Esp ,p 149 et T1 ,Port ,p 268 .

([3]) (S.I.H.M) ,T1,Esp ,p 214 .

([4]) لكن احجام حكام الجزائر من العثمانيين لم يمنع من إيوائهم اللاجئين إليهم من الوطاسيين الفارين من فاس بعد استيلاء السعديين عليها .ينظر: عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ص 91 .

([5]) De.Torres ,op.cit ,pp ,246-248 ؛مؤلف مجهول ،تاريخ الدولة السعدية ،ص 16 ،17 ؛ (S.I.H.M) ,T1,Esp ,p 203 .

المشترك لرد هجمات الأعداء والمناوئين في حدود البلدين، الأمر الذي سهل على السعديين الاستيلاء على بسط سيطرتهم على المغرب الأقصى، والقضاء على الدولة الوطاسية، وسهل على آل زيان استرجاع سيطرتهم على تلمسان كلما أخرجهم العثمانيون منها ،و سهل على الإسبان كذلك احكام سيطرتهم على العديد من المناطق الساحلية بالجزائر.

إذا وبظهور قوة جديدة في المنطقة و المتمثلة في الدولة السعدية التي أصبح لها نفوذ واسع ليس على المغرب الأقصى فحسب بل حتى في الجزائر ،و ذلك بفضل الدعم الذي كانوا يحظون به من طرف الطرق الصوفية خاصة الطريقتين الشاذلية والجزولية واللتين كان لهما أتباع كثر في المغرب والجزائر، أمام هذا الوضع بات لزاما على حكام الجزائر الأتراك تبني سياسة اللين والمهادنة تجاههم، ومحاولة اقامة علاقات حسنة معهم .

4 – العلاقات السياسية بين حكام الجزائر العثمانيين و السعديين .

لا تتوفر المصادر التي بين أيدينا على معلومات حول أية اتصالات تمت بين عروج قائد النفوذ التركي العثماني في الجزائر و محمد القائم بأمر الله زعيم الأسرة السعدية في المغرب ، وهذا ما يؤكد لنا أن العلاقات بينهما كانت منعدمة أو كانت في احسن الأحوال سطحية لم ترقى إلى مستوى كبير تذكره المصادر التاريخية .

وعلى ما يبدو فحتى فكرة التحالف والتعاون التي عرضها عروج على السلطان الوطاسي كانت نابعة من رغبته في ايجاد حليف يدعمه ضد مناوئيه من الزيانيين وحلفائهم الإسبان ،و لعدم ارتياحه لتزايد النفوذ السعدي بالمغرب الأقصى ،خاصة بعد الانتصارات المتتالية التي ما إنفكوا يحققونها ضد الوطاسيين .

و لعل الاشارات الأولى لاتصال أتراك الجزائر بالمغرب عموما تبرز بشكل مثير ضمن جيشي الوطاسيين و السعديين ،حيث نجدهم كما محاربين في صفوفهما في كل المواجهات التي دارت بينهما أو بين أحدهما والبرتغاليين. وتقدم المصادر التاريخية أرقاما مختلفة لأعدادهم في

صفوف الطرفين، والتي يمكن أن نستشف من خلالها أهميتهم ضمن جيشي الطرفين في هذه المرحلة ،بعيدا عن أهميتهم العددية .[1]

وتشير وثيقة برتغالية إلى وجود أتراك عثمانيين في صفوف السعديين منذ سنة 935هـ/1529م [2]،كما نجدهم إلى جانب أحمد الأعرج في حصاره لآسفي سنة 1539م يقومون بحفر الخنادق ،و رمي المدينة بالمدفعية،[3] كما لعبوا دورا كبيرا في حصار حصن سانتا كروز، وتحرير مدينة أغادير سنة 948هـ/1541م . [4]

كما نجدهم في معركة درنة التي وقعت سنة 1545م بين الوطاسين و السعديين كرماة في صفوف الطرفين . [5]

وكان لظهور السلاح الناري كوسيلة و تقنية جديدة ،بالغ الأثر في تغير المنظور العسكري ،و في طبيعة المواجهات التي أصبح يعرفها شمال إفريقيا ،و من ثم أصبح امتلاكه ضرورة حتمية لكل الأطراف في المنطقة . ولعب التدخل الإيبيري في السواحل المغربية عموما دورا كبيرا في دفع كل من الوطاسيين و السعديين إلى البحث عن الوسائل الكفيلة التي تمكنهم من توظيفه ضمن جيوشهم .[6]

وإذا كانت مداخيل التجارة الصحراوية و الضرائب قد وفرت للوطاسيين والسعديين الموارد المالية اللازمة لاقتناء الأسلحة النارية ،إلا أنهما كانتا تفتقدان للخبرة اللازمة لاستعماله والاستفادة

([1]) كان عدد الأتراك المحاربين يقدر بخمسمائة (500) محارب ،بينما بلغ عددهم في صفوف السعديين سبعمائة و الف (1700) محارب . مارمول كربخال ،المصدر السابق ،ج2 ،ص ص 468-473 ؛

Cour (A) ,l'établissement ,p 177 .

([2]) (S.I.H.M) , Port ,T1 ,p 391 .

([3]) De. Torres, op.cit, p 68.

([4]) (S.I.H.M) , Port ,T1 , pp 366- 391 .

([5]) مارمول كربخال ،المصدر السابق ،ج2 ،ص ص 468-473 ؛

Cour (A) ,l'établissement ,p 177 .

([6]) عبد الحفيظ الطبايلي ،العلاقات المغربية العثمانية خلال القرن 16م ،رسالة لنيل ديبلوم الدراسات العليا ،جامعة محمد الخامس الرباط ،1989 ،ص 43 ،44 .

من إمكانياته القتالية [1]،و هو الأمر الذي تطلب منهما الاستنجاد بالأتراك للاستفادة من خبراتهم في هذا المجال ،و كذلك إسهامهم في صناعة الأسلحة إلى جانب كل من المسلمين العلوج والأسرى المسيحيين . [2]

والحقيقة أن الأتراك وجدو في المغرب مجالا مغريا جعلهم يقبلون عليه ،مستغلين حاجة الوطاسين والسعديين لخبراتهم للمطالبة بالمبالغ المرتفعة التي كانت تدفع لهم [3]،و تمكنوا بذلك من تشكيل مجموعات كان لها تأثير على المستوى العسكري ،خاصة في صفوف السعديين لما قدموه لهم من دعم في توسيع نفوذهم نحو الشمال من اجل بلوغ فاس عاصمة الوطاسيين . [4]

ومهما كانت الصفة التي التحق بها الأتراك بالمغرب للدخول في خدمة طرف دون الآخر، وهل كانوا مبعوثين من طرف الباب العالي أو ممثليه بالجزائر ،فالأكيد أنهم شكلوا عنصرا مهما و فعالا في الجيش السعدي،[5] و قد زاد من تكريس تواجدهم هذا سياسة محمد الشيخ الهادفة إلى تحديث جيشه ،و اعطائه بعدا يتماشى و توجه الدولة السعدية الناشئة .[6]

أما من الجانب الرسمي فتشير احدى الوثائق البرتغالية إلى وجود اتصالات بين أحمد الأعرج والأتراك العثمانيين، وهي الاتصالات التي أثارت مخاوف البرتغاليين ،خاصة و أن السعديين تزايدت قوتهم وتوسع نفوذهم في هذه الفترة.[7] وهو الأمر الذي جعل البرتغاليين يفكرون جديا في في الجلاء عن المناطق التي كانوا يحتلونها بجنوب المغرب و وسطه كآسفي و آزمور ، وذلك لتعزيز

([1]) يبدو من خلال ما أورده مارمول كربخال أن المغاربة لم تكن لديهم خبرة في مجال الأسلحة النارية ،بل كانوا ينظرون إليها بكثير من الحذر .

([2]) مارمول كربخال ،المصدر السابق ،ج2 ،ص 473 ؛

Dzinbinski ,l'Armée et la flotte de guerre Marocaines à l'époque des sultans de la dynastie Sadienne ,Hisp-Tam ,vol12 ,1972 ,p 84,85.

([3]) Dzinbinski ,op.cit ,p 85 .

([4]) (S.I.H.M) , Esp ,T1 ,p 148 ,153 ,167 ,230 ,274 ,338 .

([5]) Dzinbinski ,op.cit ,p p 71-85 .

([6]) Brignon et Coll ,histoire du Maroc ,Paris ,1967 ,p 209 .

([7]) (S.I.H.M) , Port ,T3 ,p 166 .

تواجدهم في المناطق الشمالية ،مع العمل على قطع الطريق أمام أي تقارب بين السعديين وحكام الجزائر من العثمانيين الأتراك ،و كانت وسيلتهم لذلك محاولة عقد اتفاق سلام مع السعديين لأطول مدة ممكنة كاتفاق السلام الذي عقد سنة 944هـ/1537م والذي يمتد لمدة ثلاث سنوات . [1]

وبعد أن تمكن السعديون من تحرير مدينة أغادير سنة 948هـ/1541م، وانتصار الأتراك العثمانيين على شارلكان ،و صدهم لحملته على مدينة الجزائر في نفس السنة ازدادت مخاوف البرتغاليين من حصول أي تقارب سعدي عثماني ضدهم، خاصة بعدما لاحظوا تزايد عدد الأتراك في صفوف الجيش السعدي كمدفعيين ومدربين خلال حصارهم لسانتا كروز (أغادير) سنة 1541م [2]، مما جعلهم يتخلون تلقائيا نهاية سنة 1541م عن المراكز التي أدركوا مدى صعوبة الدفاع عنها، وارتفاع تكلفة تحقيق ذلك كآسفي وآزمور، من أجل تعزيز مراكزهم في الشمال،[3] كما أسلفنا .

و باستثناء ما ورد ذكره من تخوف البرتغاليين من أي تقارب سعدي عثماني ،و وجود ووجود عناصر تركية في الجيش السعدي كمدربين أو كصناع للأسلحة، [4]أو كمشاركين في الحركة التوسعية للسعديين أو كحراس للسلطان السعدي نفسه،[5] فإننا لا نملك من الوثائق ما يدل على على وجود تحالف رسمي أو علاقات تعاون بين حكام الجزائر من العثمانيين و الأشراف السعديين

---

(1) Ibid ,p 44 .

(2) للإطلاع على رسالة ملك البرتغال إلى سفيره بمدريد حول هذا الموضوع ،و المؤرخة في 12 ديسمبر 1541م ينظر: (S.I.H.M) , Port ,T3 ,p 560 .

(3) مارمول كربخال ،المصدر السابق ،ج2 ،ص ص 85-109 ؛ Luiz De Sousa ,les Portugais et l'Afrique du nord ,trad.(R) Ricard ,Lisbonne ,1940 ,p 90 ,156 ,160 .

(4)مارمول كربخال ،المصدر السابق ،ج2 ،ص 69 ؛ Luiz De Sousa , op.cit .p 90 ,156, 160 .

(5) الزياني ،الترجمان المعرب ،ص 69 .

بالمغرب على عهد أحمد الأعرج (1517م – 1544م). لذلك اعتبر دي طوريس سنة 1548م تاريخ بداية العلاقات الرسمية بين الباب العالي و السعديين . [1]

فخلال موقعة درنة التي دارت بين الوطاسيين والسعديين بالقرب من تادلة في رجب 592هـ / سبتمبر 1545م ،تم أسر السلطان أحمد الوطاسي، واشترط محمد الشيخ السعدي التنازل له عن مدينة مكناس[2] مقابل إطلاق سراحه ،فبادرت أم السلطان الوطاسي و ابنه محمد القصري وعمه أبي حسون إلى مراسلة السلطان العثماني يطلبون منه بصفته "السلطان الأعظم" التدخل لدى الشريف السعدي لإرغامه على إطلاق سراح السلطان الوطاسي وابنه .فبعث السلطان سليمان القانوني (1520م-1566م) سفيرا إلى محمد الشيخ السعدي ينعته فيها بـــ "شيخ الأعراب" ويأمره بالإفراج عن السلطان الوطاسي . [3]

وقد ذكرنا آنفا حالة الغيظ والانزعاج التي تملكت الشريف السعدي بسبب لهجة التهديد التي تضمنها خطاب السلطان العثماني،[4] خاصة عندما نعته بـــ "شيخ الأعراب" وهو ما يفسره رد فعله الفوري بأن وجه أوامره لابنيه محمد الحران بتارودانت، وعبد القادر بمراكش لحشد قواتهما

([1]) اعتمد كثير من المؤرخين على المعلومات التي أوردها دي طوريس و اعتمدوا سنة 1548م تاريخا لبداية العلاقات والمواجهات بين العثمانيين و السعديين ،إلا أن الوقائع التاريخية لا تسمح باعتبار الأحداث التي أوردها المؤلف متجانسة ، حيث تم إطلاق سراح السلطان الوطاسي قبل أوت 1547م .و هنا إما أن دي طوريس قد أخطأ في ضبط تاريخ وصول السفارة ،أو ربط بين حدثين منفصلين ،أو أن المعلومات التي أوردها بهذا الخصوص لا أساس لها من الصحة .

و يبدو أن خطأ المؤلف هو الأرجح ،حيث سبق له و أن أخطأ في تواريخ بعض الأحداث كتاريخ تخلي أحمد الوطاسي عن مكناس ،و تاريخ حملة محمد الشيخ على تلمسان .ينظر: (S.I.H.M) , Port ,T3 ,p 124 ؛

De Torres ,op.cit ,p 118 et p 156.

([2]) (S.I.H.M) , Port ,T1 ,p 268 . ؛أوغست كور ،المرجع السابق ،ص 113 ؛عبد الكريم كريم ،المرجع السابق ،ص 69 .

([3]) اليفريني ،نزهة الحادي ،ص 69 ؛السلاوي ،الإستقصا ،ج3 ،ص ص 14 ،22 ؛

De Torres ,op.cit ,p 118 et p 156 .

([4]) De Torres ,op.cit ,p 127 .

والزحف بها نحو فاس.[1] وهي الحملة التي تمكن على إثرها السعديون من السيطرة على عاصمة ملك الوطاسيين بعد حصارها لعدة أشهر كما ذكرنا في العنصر الثالث من هذا المبحث .

و بسيطرة محمد الشيخ على فاس توطد ملك السعديين ،و دانت لهم قبائل و إمارات عديدة كانت بالأمس مستقلة،[2]و بذلك الشريف السعدي إلى خصم عنيد للأتراك العثمانيين، ولكل المعارضين لسياسته التوسعية في بلاد المغرب عموما، [3]خاصة بعد توسعه نحو المناطق الشمالية و سيطرته على بلاد الريف والمغرب الشرقي، وهو الأمر الذي لم يكن ليرضي حكام الجزائر العثمانيين الذين باتوا يفرضون سيطرتهم على تلمسان والمناطق المجاورة لها بفضل حسن باشا بن خير الدين الذي ثبت أقدام الأتراك العثمانيين بها منذ سنة 1549م ،حيث لم يعد حكم بني زيان لها إلا شكليا فقط. [4]

و أمام هذا الوضع حاولت بعض القبائل مدعومة بزعماء الصوفية[5] إقامة سلطة محلية بتلمسان بعيدة عن نفوذ الأتراك ،خاصة بعد معاناتهم من سلوكات الإنكشارية وسياسة الحكام

---

(1) Cour (A) ,op.cit ,p 79 ; Mercier (E) , op.cit ,t3 ,p 67 .

(2) أعلن قادة مناطق عديدة تأييدهم للسعديين كعلي أعراس قائد نواحي مليلية ،و محمد بن رشيد حاكم شفشاون الذي سارع إلى محاصرة أصيلا و طنجة و أتلف محاصيلهما ،و كذلك حاكم تيطوان المنظري الذي ثبته محمد الشيخ على ولايته ، والقائد العروسي حاكم القصر الكبير ،و من القبائل التي أعلنت ولاءها للسعديين فنجد بني راشد و مديونة و عرب عياشة ، كما ثار أهل بادس ضد حكم أبي حسون الوطاسي ،و أعلنوا الطاعة لمحمد الشيخ ،و هو الأمر الذي سهل على السعديين احتلال جرسيف ،و السيطرة على إمارة دبدو التي فر منها أميرها عمرو بن يحي إلى مليلية .ينظر:
(S.I.H.M) , Esp ,T1 ,p 183 ,208 ,244 ,254 ,264 ,337 ,423 .

(3) عبد الكريم كريم ،المرجع السابق ،ص 83 .

(4) (S.I.H.M) , Esp ,T1,p 202 .

(5) كانت أغلب هذه القبائل على الطريقة الشاذلية و تخضع لزعمائها من المتصوفة .ينظر: Cour (A) ,op.cit ,p 83 ؛الزهراء النظام ،المرجع السابق ،ص 198 .

الأتراك على السواء [1]،و قد كانت هذه القبائل تنحدر في معظمها من المناطق التي تضررت كثيرا كذلك من الوجود الإسباني. [2]

و بعد فشل هذه القبائل في محاولتها التجأت إلى السعديين طلبا للدعم و المساندة ،بينما لجأ السلطان أحمد الزياني و وزيره المنصور إلى الإسبان الذين ظلوا يقدمون له الوعود بمساعدته على استرجاع ملكه من الأتراك العثمانيين بتلمسان ،قبل أن يتصل حاكم وهران بالباشا التركي في محاولة لإعادته إلى عرشه ،واعدا إياه بتقديم كل العون و المدد في حلة رفض الأتراك لطلبه.[3]

و لعل الإسبان تصرفوا مع السلطان الزياني بهذه الطريقة لاقتناعهم بعدم تحقيق هذا السلطان لأي انتصار على العثمانيين ،خاصة بعد أن تخلت عنه العديد من قبائل المنطقة،[4] كما أن حاكم وهران الكونت ألكوديت على علم بالاتصالات التي كان يجريها الوزير المنصور مع كل من الأتراك و السعديين حسب التقارير التي كان يرسلها هذا الكونت إلى حكومته .[5]

ولما تأكد الأمير أحمد الزياني و وزيره من أن الإسبان لن يقدموا له أي مساعدة لاسترجاع ملكه، لم يجد أمامه من خيار سوى اللجوء إلى الشريف السعدي محمد الشيخ ،خاصة بعدما أصبح السعديون القوة الوحيدة التي يمكنها مواجهة الأتراك العثمانيين في المنطقة ،فدخل وزيره المنصور و القبائل الموالية له بداية من فبراير 1549م في اتصالات مع السلطان السعدي دعوه من خلالها إلى التدخل في تلمسان لحماية اهلها من اضطهاد الإسبان و تعسف الأتراك ، وإنقاذ أهلها من الحاكم الزياني الذي أثقل كاهلهم بالضرائب .[6]

---

(1) Ruff (P) ,op.cit ;p128 ;Boyer (P) ,op.cit ,p23 .

(2) تضررت هذه القبائل كثيرا من السياسة الضريبية المدعومة بالاتفاقيات المبرمة مع أمراء بني زيان المتنافسين على السلطة والتي كان يفرضها الإسبان عليهم .ينظر: Ruff (P) ,op.cit ;p128 .

(3) الزهراء النظام ،المرجع السابق ،ص 119 .

(4) نفس المرجع ،الصفحة نفسها .

(5) La Véronne (Ch.de) ,relation entre Oran et Tlemcen dans la première partie partie du 19ème siècle ,Paris ,1981 ,p 279 .

(6) Ruff (P) ,op.cit ;p128.

و تزامنت هذه الدعوة مع انتصار السعديين على الوطاسيين ،و دخولهم إلى مدينة فاس ، وهو الخبر الذي وصل صداه إلى تلمسان ،و أغلب مناطق الغرب الجزائري ،حيث وفد على الشريف السعدي جماعة من أهل تلمسان مدعومين بشيوخ القبائل و زعماء الصوفية ،يطلبون مساعدته ضد الأتراك .[1]

و قد انضم المورسكيون المقيمين بمدينة الجزائر – حسب المصادر الإسبانية – إلى المطالبين بالتدخل السعدي ضد الأتراك الذين كانوا يكرهونهم كرها شديدا ،حيث أرسلوا إلى محمد الشيخ يطلبون منه إرسال احد أبنائه إلى مدينة الجزائر واعدين إياه بإعلان الطاعة والولاء له. [2]

وجد السلطان السعدي محمد الشيخ في هذه الدعوات مبررا للتدخل في مدينة تلمسان ، ووضع حد للتهديد الذي بات الأتراك العثمانيين في الجزائر يشكلونه على دولته الفتية ،فعبر للمستنجدين به عن استعداده لتلبية طلبهم والتدخل من أجل إعادة السلطان الزياني إلى عرشه. وبذلك أصبحت تلمسان رهانا للتنافس والنزاع بين حكام الجزائر العثمانيين والسعديين، خاصة وأن بني زيان لم يعد لهم سلطان عليها، أو تأثير فيها. وبذلك وجد محمد الشيخ السعدي الفرصة المناسبة لمواصلة مشروعه التوسعي للسيطرة على كامل بلاد المغرب. [3]

وبعد اطلاع محمد الشيخ على معانات أهل تلمسان من التعسف العثماني – عن طريق الجالية التلمسانية المقيمة بفاس، أو المهاجرين إلى المغرب بعد استيلاء الأتراك على تلمسان وضواحيها[4] – و بعد اقتناعه برأي هذه الجالية و أتباع الطريقة الجزولية بفاس و القاضي بضرورة نجدة أهل تلمسان ،و بعد أن وجد الدعم و التأييد من القبائل و زعماء الصوفية بتلمسان ،قرر غزو المدينة ،حيث كلف ابنه محمد الحران بإعداد جيش قوامه ستة آلاف رجل و التوجه نحو

---

(1) Ruff (P) ,op.cit ,p128 ; Mercier (E) , op.cit ,T3 ,p 71 .

(2) (S.I.H.M) , Esp ,T1 ,p 321 .

(3) De Torres ,op.cit ,p 127 ;Haédo , op.cit ,p 263 .

(4) شكلت فاس و منذ العهد المريني مركز استقطاب و جلب للعديد من الشخصيات من المغرب الأوسط و منها أسر: المقري ،الونشريسي ،العبادي ،و العقباني ،و آل مرزوق .ينظر: ابن عسكر ،دوحة الناشر ،ص 119 ،123 ،125؛ Haédo , op.cit ,p 263 ; Cour (A) ,op.cit ,p 84 .

تلمسان ،و في مارس 1549م صلت هذه الحملة إلى جبال بني يزناسن [1]،و منها زحفوا على جرسيف [2] التي أعلن أهلها الولاء للسعديين ،و منها إلى وجدة[3] التي فر منها حاكمها العثماني ،و تمهيد لحصار تلمسان عقد الشريف السعدي اتفاقا مع عمر بن يحي حاكم دبدو الذي أعلن ولاءه للسعديين [4]،و على مشارف تلمسان أعلنت القبائل المجاورة لها الولاء للشريف السعدي ومنها ندرومة ،و ترارة ،و ولهاصة ،و مديونة ،كما أعلن سكان تلمسان انحيازهم له[5] ،و طلب أعيان ندرومة و دار ابن مشعل من محمد الشيخ تعيين قائدين عليهم من السعديين [6]،كما وضع وضع مائتان من الجنود الإنكشارية بتلمسان أنفسهم في خدمته ،و لم يعارض هذه الحملة السعدية على تلمسان إلا قبيلة الأحلاف العربية بعد أن رفض شيوخها تقديم رهائن للشريف السعدي .[7]

أثار هذا التقدم السعدي نحو تلمسان مخاوف الإسبان حيث سارع "الكونت دالكوديت" إلى ارسال ابنه "دون مارتن" إلى إسبانيا بتاريخ 20مارس 1549م بتقرير يعرض فيه الوضعية الصعبة التي ستؤول إليها الحامية الإسبانية بوهران إذا سيطر الأشراف السعديين على تلمسان ،مطالبا حكومته بضرورة التحرك للحد من نفوذ السعديين في هذه المدينة . [8]

---

(1) كان ذلك في صفر من سنة 956هـ . Le Tourneau (Roger) ,les début de la dignastie Saâdiènne jusqu'à la mort du sultan Mohamed ech-cheikh ,Alger ,1954 ,p 54 .

(2) (S.I.H.M) , Esp ,T1 ,p p 203-208 .

(3) كان ذلك في ربيع الأول من سنة 956هـ . Le Tourneau (R) ,op.cit ,p 54 .

(4) حكم عمر بن يحي إمارة دبدو منذ سنة 1542م ،و كانت إمارته تشمل المناطق الممتدو من وادي زا إلى مدينة تازة ، وبعد تدخل السعديين في تلمسان لجأ إلى مليلية و لم يعد إلى دبدو إلا سنة 1551م . Haédo , op.cit ,p 263 ; La veronue (Ch. de) ,op.cit ,p 277 ; Mercier (E) , op.cit ,T3 ,p84 .

(5) Le Tourneau (R) ,op.cit ,p 54 ; (S.I.H.M) , Esp ,T1 ,p p 268-270 .

(6) La veronue (Ch. de) ,op.cit ,p 276 ; (S.I.H.M) , Esp ,T1 ,p 211 .

(7) Cour (A) ,la dignastie Marocaine ,p 207.

(8) La veronue (Ch. de) ,op.cit ,p 276 ; (S.I.H.M) , Esp ,T1 ,p 211 .

في حين اعتقد العثمانيون بوجود اتفاق بين السعديين و الإسبان في هذه الحملة ،رغم أن هايدو[1] و دي طوريس[2] أشارا إلى أن الشريف السعدي نبه ابنه إلى ضرورة تجنب الأراضي التي يسطر عليها الإسبان لتجنب مواجهة شارل الخامس الذي يحترمه ،و يخشى مواجهته ،إضافة إلى أنهم يأوون عدوه أبا حسون الوطاسي ،كما يذكر دي طوريس.[3]

و بناءا على هذا يمكن القول أنه إذا كان قد حصل فعلا اتفاق بين السعديين و الإسبان ،فإن ذلك قد تم بدافع خوف محمد الشيخ من دعم الإسبان لأعدائه من بني وطاس ،و خاصة أبا حسون الذي لجأ إليهم بمليلية بعد دخول السعديين إلى فاس ،[4] أما الإسبان و بعد تراجع نفوذهم في المنطقة الغربية من الجزائر لصالح العثمانيين ،أصبحوا يسعون إلى التقارب مع السعديين من أجل ضمان استمراريتهم بتلمسان ،خاصة و أنهم تخلوا عن دعمهم للأمراء الزيانيين حلفائهم في المنطقة ،و الذين لم يعد لهم أي نفوذ أو تأثير بها .[5]

وأمام هذا التغير في موازين القوى بالمنطقة ،و بروز السعديين – المدعومين بشيوخ القبائل وزعماء الصوفية – كمنافسين أقوياء للعثمانيين بها ،أصبح لزاما على هؤلاء التدخل لصرف السعديين عن تلمسان، وعرقلة أي تحالف قد يتم بينهم وبين الإسبان .[6] وهذا ما قام به السلطان العثماني إذ تشير الوثائق الإسبانية أن باشا الجزائر حسن بن خير الدين بعث برسالة

---

(1) Haédo , op.cit ,p 76 .

(2) جاء دي طوريس إلى المغرب في جوان 1546م في اطار مهمة رسمية تحت غطاء افتداء الأسرى .
De Torres ,op.cit ,p 106 ; Mercier (E) , op.cit ,T3 ,p 88 .

(3) De Torres ,op.cit ,p 169 .

(4) Cour (A) ,l'Etablissement ,p 98 .

(5) الزهراء النظام ،المرجع السابق ،ص 204.

(6) Mercier (E) , op.cit ,T3 ,p 71 ; Ruff (P) ,op.cit ,p128 .

وصلته من السلطان سليمان القانوني إلى الشريف السعدي محمد الشيخ يدعوه من خلالها إلى التحالف والتعاون مع حكام الجزائر العثمانيين ضد المسيحيين الإسبان .[1]

مكن هذا الخطاب فعلا من كسر الحواجز بين الطرفين ،و مهد للتقارب الذي حصل بينهما ،إذ و بعد أن تمكن محمد الشيخ السعدي من اخضاع قبائل شرق المغرب دخل في اتصالات مع حكام الجزائر ،و دخل مع قائد حامية تلمسان "صفا بك" في مفاوضات عن طريق ممثل عنه في إبريل 1549م بمدينة مستغانم ،انتهت باتفاق الطرفين على القيام بحملة مشتركة لطرد الإسبان من وهران و المرسى الكبير،[2] على أن تؤولان في حالة نجاح هذه الحملة إلى الأتراك،[3] مقابل تنازلهم عن تلمسان للسعديين،[4] كما اتفقا على توسيع حملاتهما نحو السواحل الإسبانية ،على أن يتكفل السلطان السعدي بتمويل الأسطول التركي الذي سيقود الحملة على وهران.[5]

و في الوقت الذي كان يتم فيه التفاوض بين حكام الجزائر و السعديين حول توحيد جهودهما ظهرت بنواحي مستغانم حركة معارضة للسعديين ،تزعمها قائد المدينة والمرابطين الأخوين الفغول حلفاء الأتراك ،و لعل هؤلاء كانوا ينتمون إلى الطريقة القادرية المعادية للشرفاء السعديين، وانضم إلى هذه الحركة التي كان زعماؤها عازمين على منع السعديين من دخول تلمسان القائد صفا بك، وهذا ما أدى إلى حركة موازية بتلمسان ونواحيها داعمة و مؤيدة للشرفاء السعديين تزعمتها القبائل العربية كبني سنوس.[6]

---

(1) (S.I.H.M) , Esp ,T1 ,p 298 .

(2) و قد أطلق كل من هايدو و عبد الرحمن الجيلالي على هذا الاتفاق تسمية "حلف الصداقة و معاهدة الود" بين الحكومتين السعدية و التركية في الجزائر ، التي عقدت لقمع حركة الإسبان و تطهير المنطقة منهم .ينظر: تاريخ الجزائر العام ، ج3 ،ص 85 ؛ Histoire des roi d'Alger ,p 264 .

(3) (S.I.H.M) , Esp ,T1 ,p 246 .

(4) (S.I.H.M) , Esp ,T1 ,p 246 ;Boyer (P) ,contribution ,p 23 .

(5) (S.I.H.M) , Esp ,T1 ,p 151 ,203 ,246 , p 247 ,p 248 .

(6) La veronue (Ch. de) ,op.cit ,p 278 .

غير أن حكام الجزائر ظلوا متمسكين بهذا التحالف ،حيث و في هذا الإطار جهز حسن باشا أسطولا من خمسة وثلاثين (35) سفينة تحت قيادة "درغوث رايس"، وأمره بالتوجه غربا لمهاجمة السواحل التي يحتلها الإسبان .[1]

أدخل التحالف السعدي العثماني الرعب في صفوف الإسبان ،و هذا ما تؤكده التقارير والرسائل التي بعث به حاكم وهران الإسباني الكونت دالكوديت إلى الحكومة الإسبانية، والتي يذكر فيها بأن محمد الشيخ قد كتب إلى باشا الجزائر يقترح عليه القيام بعمليات مشتركة لاسترجاع وهران و المرسى الكبير ،كما بعث بهدايا إلى درغوث باشا و اقترح عليه الدخول في حرب ضد الإسبان ،و أضاف أن الكثير من رياس البحر ينضمون إلى أمير البحر هذا ليدخلوا جميعا في خدمة محمد الشيخ .[2] قبل أن يطلب – دالكوديت – من حكومته إرسال المساعدات اللازمة للتصدي للسعديين و الأتراك في مملكة تلمسان، والدفاع عن وهران التي ستصبح معزولة كما ذكر بشكل تام إذا ما نفذ الحليفان الجديدان اتفاقهما، وقامت قوتهما بمحاصرتها مع المرسى الكبير.[3] في هذا الوقت الذي أوشكت فيه نار الحرب على الاشتعال بين الحلف السعدي العثماني والإسبان، كان الأمير أحمد الزياني مع وزيره المنصور بن غانم يبحث عن الدعم والمساندة في الصحراء قبل أن يلجأ إلى الجبال المحاذية لتلمسان أين تجمعت حوله قبائل أولاد طلحة، والأحلاف، وأولاد خراج، ومنها انتقلوا جميعا ناحية تافنة في انتظار المساعدة الإسبانية المأمولة.[4] المأمولة.[4]

- **تراجع محمد الشيخ عن مهاجمة تلمسان .**

---

(1) Ibid ,p 285 .

(2) (S.I.H.M),Esp ,T1 ,p 244 et p 246 ؛عبد الكريم كريم ،المرجع السابق ،ص 76 .

(3) La veronue (Ch. de) ,op.cit ,p 277 ; (S.I.H.M) , Esp ,T1 ,p p 246-251 .

(4) الزهراء النظام ،المرجع السابق ،ص 206 ،207 .

بينما كانت القوات السعدية في طريقها إلى تلمسان تنفيذا لما اتفقوا عليه مع حكام الجزائر العثمانيين خلال مفاوضات إبريل 1549م ،عدل الشريف السعدي عن قراره و أمر قواته بالعودة ،و ذلك بعدما علم بقرار تخلي الملك البرتغالي جوان الثالث عن مدينتي أصيلا والقصر الصغير،[1] بعدما أطلع الملك الأسباني على هذا القرار،[2] والذي جاء على ما يبدو تجنبا للدخول في مواجهات مع الحلف السعدي العثماني، والذين بات يهدد حتى الإسبان في بلادهم.[3]

خلف تراجع محمد الشيخ عن غزوه لمدينة تلمسان خيبة أمل كبيرة في أوساط التلمسانيين ،و تبخرت كل أحلامهم في طرد الأتراك من مدينهم على يديه ،الأمر الذي دفعهم إلى الاتصال بالوزير المنصور بن غانم لتخليصهم من الأتراك ،و تلبية لدعوتهم عاد الأمير أحمد الزياني و وزيره إلى ناحية وهران أين اتفقا مع حاكمها على مهاجمة مدينة الجزائر ،لكنهم لم يستطيعوا فعل ذلك ،الأمر الذي اضطر العديد من سكان تلمسان إلى مغادرة مدينتهم و اللجوء إلى قبيلة ترارة التي أعلنت مساندته ودعمها للأمير أحمد الزياني وخاله الوزيره المنصور بن غانم.[4]

وفي الوقت الذي فقد فيه الأمير أحمد الزياني كل الأمل في استرجاع عرش تلمسان من الأتراك بعدما خذله الإسبان والسعديون[5]، اتصل أحمد الأعرج بالوزير المنصور يدعوه إلى التحالف معه ومع حاكم وهران ضد محمد الشيخ لاسترجاع مراكش وتافيلالت، مقابل التنازل

---

(1) (S.I.H.M) , Port,T3 ,p 550 et T4 ,p p 338-341 .

Ricard (Rober) ,les Portugais et l'Afrique du nord sous Jean 3 , Hespéris ,4ème trimestre ,T24 ,1937 ,p p 308-331 .

(2) (S.I.H.M) ,Port,T4 ,p 341 ؛ اليفريني ،نزهة الحادي ،ص 82

La veronue (Ch. de) ,op.cit ,p 280 ; Le Tourneau (R) ,op.cit ,p 52 ; Ricard (R) ,op.cit ,p p 259-337.

(3) (S.I.H.M) , Port,T4 ,p 337 .

(4) La veronue (Ch. de) ,op.cit ,p 282.

(5) الزهراء النظام ،المرجع السابق ،ص 209 .

للملك شارل الخامس عن مدينة فاس و شمال المغرب[1]، غير أن الإسبان عجزوا عن القيام بذلك ففشلت هذه المحاولة .[2]

في هذه الأثناء اقترح [3]حسن باشا بن خير الدين عن طريق صفا بك على السلطان الزياني و وزيره المنصور تسليمه السلطة في تلمسان بعد أن يغادرها السلطان الزياني حسن الثابتي ،و اشترط على الأمير الحضور إلى تلمسان ،و على وزيره المنصور الالتحاق بمدينة الجزائر ،و قد اعتمد حسن باشا على المرابطين محمد الخروبي و الأخوين عامر و محمد الفغول في اقناع الأمير ووزيره بهذا الاقتراح ،فرضاه و غادرا وهران و اتجها غربا نحو حلفائهما العرب ،ثم انسحب نحو تافنة بعد مطاردة القائد صفا بك لهم.[4] و من ثمة خابت آمال المنصور و أميره في استرجاع العرش الزياني ،خاصة بعدما تحلف الأتراك مع محمد الشيخ السعدي و الفرنسيين ضدهما ،و تخلت عنهما قبائل ناحية وهران و انحازت إلى الأتراك الذين باتوا يحكمون سيطرتهم على تلمسان ، ودانت لهم الكثير من قبائلها التي راحت تلاحق الأمير أحمد الزياني و وزيره المنصور ،و نهبت أموالهما ،فكان ذلك ايذانا بنهاية الحكم الزياني .[5]

- **زحف محمد الشيخ على تلمسان و استيلائه عليها (957هـ/1550م) .**

بعد أن تأكد محمد الشيخ من مغادرة البرتغاليين لأصيلا و القصر الصغير ،و اطمأن على الأوضاع ببلاده ،وجه اهتمامه من جديد نحو مملكة تلمسان التي وجه قواته إليها في ماي

---

(1) (S.I.H.M) ,Esp ,T1 ,p 313 ; La veronue (Ch. de) ,op.cit ,p 282 .

(2) الزهراء النظام ،المرجع السابق ،ص 209 .

(3) لعل هدا الاقتراح كان حيلة من الأتراك لعزل أمراء بني زيان ثم التخلص منهم و من أي قوة معارضة لهم في المنطقة ،إذ أنه من غير المنطقي أن يعزلوا السلطان حسن الثابتي الموالي لهم ليعنوا مكانه أميرا ظل معارضا لهم و يبحث عن الفرصة المناسبة لطردهم من تلمسان ،و هذا الطرح يؤكده رفض الأمير أحمد الزياني و خاله الوزير المنصور برفضهم هذا الاقتراح.

(4) La veronue (Ch. de) ,op.cit ,p 287 .

(5) في الوقت الذي أبدت فيه قبائل ناحية وهران ،و قبائل تلمسان ولاءها للعثمانيين الأتراك ،تخلى زعماء الصوفية عن دعمهم بسب تحالفهم مع الفرنسيين . La veronue (Ch. de) ,op.cit ,p 287

1550م بعد أن وضع على رأسها ثلاثة من أبنائه محمد الحران الذي قدم من سوس،[1] و عبد القادر و عبد الله [2] .

و في يوم الاثنين 23 جمادى الأولى 957هـ/9 جوان 1550م،[3]وصلت القوات السعدية إلى تلمسان لبت دخلتها دون مقاومة تذكر ،بعدما تراجعت الحامية العثمانية إلى قلعة المشور ،و تولى أمر المدينة الأمير عبد الله على رأس ألف من الفرسان. [4] و نظرا للسهولة التي سقطت بها تلمسان قرر أبناء الشريف السعدي مواصلة عملياتهم التوسعية على حساب الأراضي الخاضعة للأتراك رغم معارضة سكان تلمسان . [5]

توجهت القوات السعدية إلى الصفصاف و منها إلى تسالة ،و في طريقها تضاعفت قوات أبنا محمد الشيخ بعدما بعد ما دانت لهم بالولاء قبائل زناتية وعربية كانت بالأمس معارضة لهم، ولضمان اخلاص و ولاء هذه القبائل أخذ أبناء الشريف منها رهائن ،كما أعادوا الوزير المنصور بن أبي غانم قائدا على قلعة بني راشد التي عزله الأتراك عنها [6] وتركوا معه مائة محارب .وفي

([1]) يذكر دي طوريس أن محمد الحران حين خرج في حملته إلى تلمسان كان معه 30 ألف فارس ،انضاف إليهم في الطريق 500 من المقاتلين استقدمهم قائد ناحية تازة .ينظر: Cour (A) ,l'Etablissement ,pp 84-86 ; De Torres ,op.cit ,p 168 .

([2]) مارمول كربخال ،المصدر السابق ،ج1 ،ص 480 و ج2 ،ص 232؛ La veronue (Ch.de),op.cit ,p 294 .

([3]) اليفريني ،نزهة الحادي ،ص 29 .

([4]) De Torres ,op.cit ,p 169 ؛اليفريني ،المصدر السابق ،ص 71 ،و ص 82 .

([5]) يذكر دي طوريس أن سكان تلمسان قد التفوا حول الحران ،و أيدوه حين وصل إليهم ،لكن حين طرح عليهم رغبته في مواصلة حملته لضم الأراضي الخاضعة للأتراك رفضوا ذلك ،و نصحوه بعدم التحرش بالأتراك لأنهم لا يستطيعون مواجهتهم ، وقد يسلبونهم ملكهم . De Torres ,op.cit ,p 169 .

([6]) انضم المنصور بن أبي غانم إلى ابناء الشريف في حملتهم على تلمسان رغم أنه لم يتخلى عن ولاءه للإسبان ،و قد عين مساعدا لعبد الله بن محمد الشيخ في تسيير شؤون تلمسان لخبرته حيث كان وزيرا لابن أخته السلطان أحمد الزياني قبل أن يعزله الأتراك . Carrol (H) ,op.cit ,p 421 La veronue (Ch.de),op.cit ,p 294-295 ; (S.I.H.M) ,Esp ,T1 ,p 321 .

مستغانم أيدهم سكانها بدعوة من المرابط عامر الفغول[1]، فتمكنوا من السيطرة عليها ،بعد أن كانت أهم مراكز الدعم التركي في المنطقة .

و نتيجة لهذه التوسعات السريعة جاء رد فعل العثمانيين الأتراك سريعا بحيث أغاروا على مستغانم و أرغموا السعديين على التخلي عنها، ثم التخلي عن كل المناطق التي سيطروا عليها وتراجعوا إلى تلمسان .

وبذلك دخل العثمانيون والشرفاء في مرحلة من العداء لم يتوقف إلا سنة 1585م،[2] خاصة وأن الشريف وأبناءه لم يلتزموا بالاتفاق الذي أبرموه مع الأتراك، إذ كان على محمد الحران أن يواصل مسيرته بعد سيطرته على تلمسان نحو وهران التي كان من المتوقع محاصرتها من طرف القوتين التركية والسعدية، لكن ذلك لم يحدث، مما اضطر القوات التركية إلى التدخل والتصدي للقوات السعدية [3]،عند مستغانم وبني راشد، وملاحقتهم إلى تلمسان.[4] الأمر الذي دفع بمحمد بمحمد الحران إلى سحب قسم من قواته من تلمسان في جويلية 1550م ،إلى دبدو لمهاجمة حاكمه الأمير عمر بن يحي الموالي للوطاسيين ،و الذي تحالف مع الأتراك ضدهم ، لكنه تمكن من الفرار إلى مليلية مع ثلاثمائة من أتباعه .[5]

- **كرة حسن بن خير الدين على تلمسان (958هـ/1551م) .**

([1]) هو أحد كبار الصوفية المؤيدين لمحمد الشيخ السعدي ،سجنه الأتراك بسبب هذا التأييد ،و تحريضه للقبائل العربية ضدهم، ثم نفي إلى مدينة الجزائر . (S.I.H.M) ,Esp ,T2 ,p 162,163 .

([2]) (S.I.H.M) ,Esp ,T1 ,p 321 ؛الزهراء النظام ،المرجع السابق ،ص 212 .

([3]) Mercier (E) , histoire de l'Afrique ,T3 ,p 71.

([4]) يذكر عبد الرحمن الجيلالي بأن الحكومة السعدية نهضت بما كان مقررا ،و احتلت تلمسان يوم 23جمادى الأولى 957هـ و بسطت نفوذها على النواحي و نثرت أعلامها على مستغانم و أحوازها ،و جميع أعمال تلمسان إلى حدود شلف ،غير أن داعي التنافس سرعان ما تحرك بينهما ،فكانت بذلك بداية القطيعة بهما . تاريخ الجزائر العام ،ج3 ،ص 85 .و هذا الأمر ينفيه اليفريني .ينظر: نزهة الحادي ،ص 36 ؛المكي جلول ،مسألة الحدود بين الجزائر و المغرب (631-1234هـ/1269-1847م) ،رسالة ماجستير ،جامعة الجزائر ،1993 ،ص 86 .

([5]) (S.I.H.M) ,Esp ,T1 ,p 441.

Boyer (P) ,contribution ,p 23 ; Le Tourneau (R) ,op.cit ,p 55 .

بعد دحر القوات السعدية بمستغانم و تراجعها إلى تلمسان ،جهز حسن باشا بن خير الدين حملة لإخراجهم منها أسند قيادتها لصفا بك .[1] ولما علم محمد الشيخ بذلك ارسل امدادات اضافية لقواته بتلمسان،[2] والتقى الجيشان في معركة ضارية في أوائل محرم من سنة 958هـ /فبراير 1551م بمنطقة بوعزون بالقرب من تلمسان،[3] انتهت بهزيمة نكراء للسعديين الذين قتل ثلاثة أرباع جيشهم، [4] من بينهم الأمير عبد القادر بن محمد الشيخ ،كما كان أخوه عبد الرحمن من بين الجرحى ،و الذي تمكن من النجاة بمشقة كبيرة بعد أن طاردهم الأتراك حتى نهر ملوية ،و دبدو. [5] قبل أن يعودوا إلى تلمسان التي دخلوها بسهولة و أنزلوا العقاب الشديد بأنصار السعديين فيها. [6] ثم اقاموا بها حامية تحت قيادة صفا بك ،بعد أن نصبوا الأمير مولاي عمار سلطانا عليها خلفا لأخيه الحسن الذي أسره السعديون [7]،قبل أن يخلعوه في رجب 958هـ/ جويلية 1551م .[8]

كان لانهزام بوعزون نتائج وخيمة على السعديين ،فإضافة إلى الخسائر الكبيرة في الأرواح والعتاد التي تكبدوها ،تمكن الأتراك من استرجاع نفوذهم على تلمسان ،بينما انحصر نفوذهم إلى ما وراء نهر ملوية ،كما عاد الاضطراب الى المغرب بعد أن ثارت ضدهم مناطق عديدة بالشمال والشرق و الأطلس الكبير .[9]

---

(1) صفا بك تركي الأصل من منطقة الأناضول ،كان يتمتع بثقة حسن باشا بن خير الدين الذي كلفه بالسفارة الأولى إلى محمد الشيخ سنة 1546م ،ثم كلفه بهذه الحملة ،ثم بخلافته سنة 1551م .عنه ينظر: Haédo ,op.cit ,p 83,84. .

(2) (S.I.H.M) ,Esp ,T1 ,p 530,531 .

(3) (S.I.H.M) ,Esp ,T1 ,p p 531-535 ;Barges ,compliment de l'histoire des Beni Ziène ,Paris ,1887 ,p 528,529 .

(4) (S.I.H.M) ,Esp ,T1 ,p 531 .

(5) (S.I.H.M) ,Esp ,T1 ,p 535 .

(6) De Torres ,op.cit ,p 300 .

(7) (S.I.H.M) ,Esp ,T1 ,p 535 .

(8) Ibid ,p p 599-602 .

(9) من بين هذه الثورات ،ثورة درن بالأطلس الكبير ،و ثورة القبائل العربية و البربرية في دبدو و ثورة قبائل تطوان ،و ثورة قائد قائد بادس نو ثورة فاس البالي و غيرها .ينظر: (S.I.H.M) ,Esp ,T1 ,p 544 ,553 ,600 ,605 De Torres ,op.cit ,p 300 .

كما أن هذه الهزيمة كشفت تسرع محمد الشيخ السعدي في اثارة خصم قوي قبل أن يستقر له الأمر، وقبل أن يقضي نهائيا على أعدائه ومناوئيه، من بقايا الأسرة الوطاسية كأبي حسون، وأمير دبدو عمرو بن يحي ،أو من الأسر السعدية كأخيه أحمد الأعرج وابنه زيدان، أو من المعارضين لسياسته كشيوخ الأطلس الكبير وجبال الريف .[1] والذين تحالفوا في الكثير من الأحيان الأحيان مع أعداء السعديين كالأتراك العثمانيين بالجزائر والذين لم يتوانوا في استقبالهم، والتدخل في شؤون المغرب لصالحهم .[2]

ومن هنا يجب الإشارة إلى وجود عدم التكافؤ بين القوتين السعدية والعثمانية ،فالثانية عبارة عن امبراطورية مركزية تجر ورائها أزيد من قرن من الغزو جعل منها اكبر قوة اسلامية في حوض البحر المتوسط ،بينما الدولة السعدية قامت منذ فترة وجيزة بمنطقة هامشية لم تتمكن بعد من تركيز سلطتها .[3]

- **تدخل أتراك الجزائر في المغرب (960-961هـ/1553-1554م) .**

فتح التدخل السعدي في مملكة تلمسان و ضواحيه باب الصراع بينهم وبين حكام الجزائر من الأتراك العثمانيين ،و سمح لكل طرف بالتدخل المباشر في شؤون الطرف الآخر، وكانت البداية باستقطاب المناوئين و المنشقين و دعمهم .

وفي هذا الاطار سارع الأتراك العثمانيون إلى الاتصال بخصوم السعديين من بقايا الوطاسيين وحلفائهم كأبي حسون الوطاسي والأمير عمر بن يحي صاحب دبدو الفار إلى مليلية،[4] من أجل التعاون معهم ضد السعديين، والاستفادة من أنصارهم وحلفائهم من القبائل، القبائل، لاسيما بشمال المغرب و شرقه .

---

(1) (S.I.H.M) ,Esp ,T1 ,p 544 ,553 ,600 ,605 .
De Torres ,op.cit ,p 300 .

(2) عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 145 .

(3) عبد الحفيظ الطبابلي ،المرجع السابق ،ص 66 .

(4) (S.I.H.M) ,Esp ,T1 ,p 443 .

وفي هذا السياق استغل الأتراك العثمانيون ثورة أهالي دبدو ضد والي محمد الشيخ لإرجاع أميرها السابق، فكتب القائد صفار رسالة إلى الأمير عمر بن يحي يطلب منه فيه القدوم إليه على جناح السرعة ليعيده إلى إمارته ،و لينصبه على فاس التي كان يعتزم السير إليها لإخراج محمد الشيخ منها، كما راسل في نفس الوقت السلطات الإسبانية التي كانت تؤويه بمليلية يطلب منها ارساله فورا لنفس الغرض . [1]

و في سنة 1551م[2] وفى الأتراك بوعدهم و أعادوا هذا الأمير إلى إمارته دون أي مواجهة ،غير أنه لم يكن مخلصا لهم ،كما لم يكن وفيا للإسبان رغم تظاهره بذلك . [3]

و لوضع حد لهذا الصراع بين السعديين و حكام الجزائر قام السلطان العثماني سليمان القانوني بعزل حسن باشا بن خير الدين في سبتمبر 1551م ،و كان سبب عزله كما جاء في رسالة هذا السلطان لمحمد الشيخ " إنه لم يحسن المجاورة مع جيرانه ،و مال إلى جانب العنف والإعتساف، ونبذ وراءه طرق الوفاق والائتلاف ، وسد باب الإتحاد مع المجاهدين حماة الدين "[4]

ومهما كانت أسباب عزل حسن باشا [5]،فلا شك أن خليفته صالح رايس كان عازما على تحقيق ما أمره به السلطان العثماني من الرفق بالرعية و اقامة العدل بينهم و فق الشريعة المحمدية، ومحاربة أعداء الإسلام ،و التعاون مع أمراء الدول المجاورة . [1]

---

(1) Ibid ,p 443 .

(2) Ibid ,p 544 ,547 ,550 .

(3) حيث تشير الوثائق الإسبانية أن عمر بن يحي كان صديقا غير موثوق به رغم أنه كان يتظاهر بالولاء و الود بتقديم الهدايا، ويزود الإسبان بما يتعلق بالأتراك ،و أنه وعدهم بتأخير حملة هؤلاء على إلى حين موافقة الإسبان، ولعل هذا ما جعل الإسبان والأتراك يتخلون عنه حينما عزل من منصبه سنة 1551م من طرف السعديين، فاضطر إلى اللجوء للصحراء في انتظار الفرصة السانحة لاسترجاع ملكه. 591, 559, 557 , 440 p ,T1 ,Esp, (S.I.H.M).

(4) للإطلاع على نص رسالة السلطان سليمان القانوني إلى محمد الشيخ ينظر:خليل الساحلي ،تقليد صالح باشا ولاية جزائر الغرب 1552م ،المجلة التاريخية المغربية ،عدد 2 ،تونس ،1974 ،ص ص 131-136 .

(5) لقد أثار عزل حسن بن خير الدين في هذه الفترة بالذات مجموعة من التساؤلات ،و حسب هايدو فإن عزله كان بسبب دسائس الصدر الأعظم رستم باشا ضده لد الباب العالي ،و دسائس السفير الفرنسي غابريال أرمون بسبب عداء حسن باشا للفرنسيين بسبب أطماعهم في الجزائر ،و بذلك التقت مصلحة رستم باشا بمصلحة السفير الفرنسي فاستغلا الظروف التي

غير أن بداية ولاية صالح رايس عرفت اندلاع عدة ثورات بالجزائر من بينها ثورة بني جلاب[2] بتوقرت[3]،و ثورة ورغلة،التي اندلعت بسبب الضرائب المجحفة التي فرضها عليهم العثمانيون الأتراك مقابل حمايتهم من هجمات القبائل العربية ،و التي رفضوا دفعها لهم ،كما طالبوا بالاستقلال عن الحكم التركي .[4]

وقد امتدت هذه الثورات إلى الواحات المجاورة، والتي أعلن أهلها كذلك التمرد والعصيان ضد الأتراك، ورفضوا دفع الضرائب لهم .

ولا يستبعد أن يكون للشريف السعدي[5] يد في هذه الثورات ،خاصة و أنه لم يتخل عن أطماعه التوسعية في المغرب الأوسط ،إذ و بعد أن استعصت عليه الجهة الشمالية الغربية من

كانت تمر بها البلاد ضده ،و اتهموه لدى السلطان بمحاولة الاستقلال بولايته ،و هذا ما اكدته رسالة السفير الفرنسي باستانبول إلى ملكه ،و المؤرخة في جوان 1552م . ينظر: Hédo ,op.cit ,p p ,268-282 .

Grammont (H.de) ,histoire de d'Alger ,p 77,78 .

Mouloud (Gaide) ,l'Algérie sous les Turcs ,2ème édition ,Alger (s.d) ,p 68 .

عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق ،ج3 ،ص 86 ؛عزيز سامح ،الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا ،تر: عبد السلام أدهم ،بيروت ،1969 ،ص 20 .

(1) ينظر نص رسالة التولية في المجلة التاريخية المغربية ،خليل الساحلي ،المرجع السابق ،ص 131 .

(2) بنو جلاب من أصل مريني ،ينتسبون إلى الحاج سليمان المريني الجلابي مؤسس هذه الإمارة ،كانوا يحكمون توقرت باسم المرينيين ،و لما دب الضعف في دولة هؤلاء استقلوا بالمنطقة .ينظر: Feraud (L.Charles) , « les Ben-Djellabe sultans de Tougourt » ,Revue Africaine ,année 1879-1880 ,p 269

(3) توقرت عبارة عن مجموعة من الواحات تمتد شرق منطقة الزاب بين منطقتي بسكرة شمالا و ورغلة جنوبا هذه الأخيرة استوطنها بنو ورغلا الذين هم حسب عبد الرحمن بن خلدون بطن من بطون زناتة تقع مواطنهم شرق منطقة الزاب ،و تعد هذه المنطقة مع منطقة توقرت محطتين تجاريتين رئيسيتين على الطريق بين جهات الجزائر الشرقية و منطقة الواد الغربي.

عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج7 ،ص ص 65 -70 ؛مارمول كربخال ،المصدر السابق ،ج3 ،ص ص 165-167 .

(4) Feraud (L.Ch) ,op.cit ,p 269 .

(5) تذكر الزهراء النظام فير رسالتها "العلافات المغربية الجزائرية" ،ص 228 ،أن الشريف السعدي اتخذ هذا الموقف من منطلق الحقوق التاريخية التي كانت للمغرب في هذه المناطق ،و التي –كما تذكر– كانت خاضعة للحكم الموحدي ثم المريني، وكانت توقرت تخضع لملوك مراكش قبل أن تعلن تبعيتها فيما بعد لحكام تلمسان ،و قد اعتمدت في هذا على ما ذكره مارمول كربخال و الحسن الوزان ،ينظر: افريقيا ،ج3 ،ص 165 ؛وصف افريقيا ،ج2 ،ص 136 .

هذه المنطقة، وجه أنظاره نحو المناطق الجنوبية، وقام بإثارة أمرائها ضد الحكام الأتراك .[1]

لذلك فإن أول ما قام به صالح رايس[2] هو اخضاع القبائل الثائرة، وإعادة الهدوء إلى المناطق التي ظهرت بها خاصة الجنوبية منها. وهو ما تمكن منه، إذ وبعد اخضاعه لمنطقتي الحضنة والزاب زحف نحو الواحات الجنوبية[3]، وأعاد توقرت وورغلة إلى الحكم التركي، وأقر عليها حاكميها بعدما أعلنا الطاعة له وقبلا بأداء الضريبة الواجبة عليهما[4]. ثم التفت بعد ذلك نحو المغرب .

- **سفارة محمد بن علي الخروبي و الحلول الدبلوماسية مع المغرب .**

اصبحت الإدارة العثمانية خلال هذه الفترة تسعى إلى حل المشكل السياسي بينها وبين المغرب دبلوماسيا حرصا منها للحفاظ على السلم في المنطقة، وتجنب الدخول في مواجهات مع الحكام السعديين ،خاصة و أنها على مشارف مواجهات جديدة.[5] ولتحقيق هذه الغاية لجأت

([1]) حاول محمد الشيخ الاستفادة من الاضطرابات التي كانت تمر بها السلطة العثمانية في الجزائر خلال هذه المرحلة ،فعمل على الانتقام منه بالتدخل في هذه المناطق و اثارة أهلها ضدهم ،و ربما كان يريد أن يعوض خسارته في غرب الجزائر باحتلال المناطق الجنوبية ،مستغلا ما كان للمغاربة هناك من تأثير و نفوذ .ينظر: الزهراء النظام ،المرجع السابق ،ص 228.

([2]) صالح رايس هو أحد رياس البحر الأتراك الذين رافقوا خير الدين بربروس أثناء قدومه إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط ،وشارك معه في حروبه ضد الإسبان في المنطقة ،عنه ينظر: Haedo ,op.cit ,p 271 .

([3]) استعان صالح رايس في حملته على الوحات الجنوبية بحاكم امارة بني عباس عبد العزيز أمقران الذي أمده ب1600 من الفرسان و 1800 من المشاة ،اضافة إلى قواته المكونة من 3000 من البنادقة الأتراك و 1000 فارس و مدفعين .ينظر: عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق ،ج3 ،ص 86؛

Haedo ,op.cit ,p 272; Feraud (L.Ch) ,op.cit ,p 421

([4]) Haedo ,op.cit ,p p 271-273 .

Garrot Henri ,histoire générale de l'Algérie ,Alger ,1910 ,p421 .

([5]) من هذه المواجهات تحرك الصفويين بإيران من أجل استرجاع المناطق التي ضمها العثمانيون إلى امبراطوريتهم ،و صراعهم مع فرسان مالطا في طرابلس بعد سيطرة العثمانيين عليها سنة 1551م ،اضافة إلى المشروع العسكري العثماني الفرنسي لمهاجمة السواحل الإيبيرية .ينظر: Braudel ,la méditerranée ,T2 ,p p 238-242 .

هذه الإدارة إلى رجال الدين من متصوفة وعلماء، وشيوخ زوايا لما لهذه الفئة من تأثير ونفوذ في المجتمع المغاربي في عمومه ، ولأنها وضعت نفسها في خدمة الأتراك العثمانيين . [1]

لذلك اختار صالح رايس الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي[2]للقيام بمهمة السفارة عنه لدى محمد الشيخ السعدي. وقد تم اختيار الخروبي لعلاقاته الطيبة مع علماء المغرب وخاصة علماء فاس ،و كذلك لمعرفته الجيدة بأحوال المغرب ،حيث كان قد وفد إلى مدينة فاس منذ ايام السلطان أحمد الوطاسي .[3]

وصل الخروبي إلى مراكش سنة 559هـ/1552م حاملا معه رسالتين[4] من السلطان العثماني إلى محمد الشيخ الذي خصه باستقبال مميز يليق بمقامه[5]،و تشير الرسالة الأولى إلى موقف السلطان العثماني من الاصطدام السعدي العثماني حول مدينة تلمسان، وظروف وأسباب عزل حسن باشا بن خير الدين، كما أكد فيها حرص الدولة العثمانية و رغبتها في توحيد كلمة المسلمين ضد الكفار، ومما جاء فيها: "... هو اطفاء ثائرة الكفرة اللئام، وذلك المرام يكون باتفاق أمراء الإسلام و اتحاد أمناء شرع سيد الأنام ..." . [6]

وتشير الوثائق الإسبانية أن الرسالة تحمل عرضا صريحا من السلطان العثماني إلى محمد الشيخ بإقامة تحالف بينهما، وهذا ما حصل بداية من نوفمبر 1552م.[7] كما أشارت إلى أنه من بين المطالب التي حملها السفير الخروبي عقد هدنة بين الطرفين، ومشروع تحديد الحدود بينهما

([1]) حول دور العلماء و رجال الزوايا في دعم الاستقرار التركي بالمغرب الأوسط ينظر:
Boyer (P) ,contribution ,p 16 et suiv

([2]) راجع ترجمة له في الفصل الثاني من الباب الثالث الخاص بالعلاقات الثقافية بين الإقليمين .

([3]) محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع، المطبعة الحجرية ،فاس، 1896، ص65.

([4]) الرسالتان مؤرختان في أواخر محرم 959هـ/يناير 1552م ،و توجدان بقصر طوب قابي ،مكتبة قوغوشلر باسطنبول ، مهمة دفتري (وثائق عثمانية في الأرشيف الوطني بالجزائر مصورة من أرشيف رئاسة الوزراء التركية) دفتر المهمة رقم 888 ، ص9 ،و قد سبق نشرها عند خليل الساحلي ،المرجع السابق ،ص ص 127-133 .

([5]) ابن عسكر ،دوحة الناشر ،ص 126 ؛السلاوي الاستقصا ،ج5 ،ص 27 ؛ابراهيم حركات ،السياسة و المجتمع ،ص 56 و ص 144 .

([6]) خليل الساحلي ،المرجع السابق ،ص ص 127-133 .

([7]) (S.I.H.M) ,Esp ,T2 ,p p 46-49 .

بنهر ملوية [1]، ومن بين الأسباب التي حركت موضوع الحدود، ودفعت الأتراك إلى الاهتمام بتثبيتها من الجهة الغربية للجزائر في هذه الفترة بالذات، هي سعيهم إلى ضبط تحركات القبائل التي كانت تثير بتمرداتها الاضطرابات ضد هم، والتحكم فيها [2]، وحماية القبائل الموالية لهم في المنطقة، وخاصة قبيلة بني عامر الموالية للأتراك ،و التي تمتد مواطنها ما بين عين تموشنت الحالية وأغبال .[3] وربما كان المقصود به عرقلة كل محاولة للتقارب بين السعديين والإسبان، وسد الباب أمام تدخلاتهما في غرب الجزائر .

و يبدو أن سفارة محمد بن علي الخروبي قد فشلت في تحقيق أهدافها بدليل تجدد المواجهات بين الطرفين – والتي كانت فيها المبادرة لحكام الجزائر كما سنرى لاحقا –، وإذا كانت كذلك بالنسبة للعثمانيين الأتراك فيمكن اعتبارها انتصارا سياسيا لمحمد الشيخ الذي و إن خسر ميدانيا فإنه كسب اعتراف الأتراك بوجود دولته كأمر واقع .

- **حملة صالح رايس على فاس (961هـ/1554م) .**

أثار رفض محمد الشيخ للمقترح العثماني بتحديد الحدود حفيظة صالح رايس حاكم الجزائر ،و أخذ يتحين الفرصة للانتقام منه ،و بعد مرور أقل من ثلاثة أشهر على هذه الحادثة قام مجموعة من قطاع الطرق المغاربة باقتحام اقليم تلمسان. [4] فوجدها صالح رايس الفرصة المناسبة لمهاجمة السعديين ،و حرك حملة في أواخر سبتمبر 1553م تتكون من ستة آلاف بندقي ،و ألف

---

(1) Ibid ,p p 80-90 .
Le Tourneau (R) ,les début de la dynastie ,p 57.
Terrasse (H) ,histoire du Maroc ,T2 ,Paris ,1950 ,p 167 .

(2) الزهراء النظام ،المرجع السابق ،ص 238 .

(3) يذكر دي غرامون (De Grammont) أن هذه القبيلة تقع ضمن المنطقة التي احتفظ بها صالح رايس الذي اشترط في الاتفاق الذي وقعه مع محمد الشيخ سنة 1553م عدم التعرض لهذه القبيلة . De Grammont (H.D) , « Quel est le lieu de la mort d'Aroudj ? » ,Revue Africaine ,T22 ,année 1878 ,p 396 .

(4) . Haedo ,op.cit ,p 274,275 ،لقد أورد هذا الخبر ثم شكك فيه حين قال " ...و هناك من يقول إن هذا الهجوم لم يحدث أصلا ... " ،لكنه لم يورد من هؤلاء الذين نفوا الخبر .

صبايحي ،و أربعة آلاف فارس من أهالي الجزائر، ومن زواوة خصوصا، [1] و اتجه غربا حتى دخل تلمسان أين قام بعزل السلطان الحسن الزياني ونفيه إلى مدينة الجزائر ،و ألحق تلمسان بالحكم التركي بصفة نهائية ،واضعا بذلك حدا للحكم الزياني على المغرب الأوسط الذي دام أكثر من ثلاثة قرون . [2]

و لما علم محمد الشيخ الذي كان بمراكش لمحاربة ابن أخيه زيدان بن أحمد الأعرج بحملة صالح رايس على فاس خرج إليها مسرعا ،و نظم بها جيشه ثم خرج لمواجهه الأتراك على رأس قوة تتشكل من ثلاثين ألف فارس ،و عشرة آلاف راجل[3] تحصن بهم بمدينة تازة استعدادا للمعركة ، التي انهزم فيها ،و انسحب إلى مراكش فاسحا المجال أمام الأتراك المدعومين بأبي حسون[4] وعمر بن يحي ،فدخلوا فاس البالي في 4يناير 1554م ،ثم فاس الجديد يوم 6يناير . [5]

وفي فاس استولى الأتراك على أموال الشريف السعدي[6] ،و نهبوا المدينة ،و عاثوا فيها فيها فسادا. [7] الأمر الذي دفع بأهل المدينة إلى الثورة ضدهم ،و يقول صاحب تاريخ الدولة السعدية في هذا الصدد: " ... أنهم – يقصد الأتراك – كانوا ينهبون ما شاؤوا، ويقبضون على النساء والصبيان، وكثرت شكايتهم منهم ،و لما كانت أحكام أبي حسون مرفوعة عنهم ،فقد صار

---

(1) De Torres ,op.cit ,p 178 ; De Grammont (H.D) ,op.cit ,p 80 .

(2) أحمد توفيق المدني ،المرجع السابق ،ص 329 ؛ De Torres ,op.cit ,p 178 .

(3) مارمول كربخال، المصدر السابق،ج1، ص 483 .

(4) لم يكن هدف صالح رايس مساعدة أبي حسون الوطاسي على اخضاع فاس و استرجاع عاصمة الوطاسيين بقدر ما كان الانتقام لمكانة و لهيبة السلطان العثماني من السلطان السعدي محمد الشيخ الذي عصى أوامره ،و لم يستجب لمطالبه ،لذلك كان صالح رايس يرى في الانتصار على السعديين في فاس تأكيدا لسلطة الأتراك ،و ضمانا لنفوذهم في المغرب. De Torres ,op.cit ,p 192 ;Cour (A) ,la dynastie Marocaine ,p 217

(5) (S.I.H.M) ,Esp ,T2 ,p p 128,129 .

(6) قدر طوريس هذه الأموال بثلاثة ملايين دوكات ،بينما ذكر الجنابي أنها خمسة عشر قنطارا من الذهب ،و أضافت إليها الوثائق الإسبانية 700 أسير ،و 30 ألف دوكات دفعها اليهود لدفع خطر النهب عنهم .ينظر: بن الحسن الجنابي ،البحر الزخار و العلم الطيار ،الجزائر ،1924 ،ص 338 ؛

De Torres ,op.cit ,p 361 ; (S.I.H.M) ,Esp ,T2 ,p p 351-353 .

(7) De Torres ,op.cit ,p 371.

أهل فاس يقتلونهم ويخبئونهم، ويدخلون عليهم ليلا فيقتلونهم في مواضعهم، فمات منهم جماعة كبيرة..."[1].

و كان الأتراك قبل التوجه إلى فاس تفاوضوا مع أبي حسون الوطاسي حول شروط التبعية و التعويضات التي يؤديها لهم ،و دخلوا فاس دون الوصول إلى اتفاق ،فرف أبو حسون حينها الرضوخ لإملاءات الأتراك ،الذين قاموا بسجنه و تعيين أحد الأشراف الأدارسة حاكما على فاس لعلمهم أن أهلها لن يقبلوهم حكاما عليهم .[2]

و بذلك يكون الأتراك قد انتهجوا في فاس نفس الطريقة التي انتهجوها في تلمسان ،بأن عينوا حكاما موالين لهم من بني زيان ،يحكمون باسمهم حتى تمكنوا من القضاء على الدولة الزيانية ،لكن الأمور في فاس لم تسر كما سارت في تلمسان ،و ذلك بأن ثار أتباع أبي حسون وأجبروا صالح رايس على إطلاق سراحه .

و بمجرد تحرره من قبضة الأتراك سارع أبو حسون إلى التخلص منهم بعدما سلمهم الأموال التي وعدهم بها ،و أضاف إليها مقدارا آخر جمعه من تجار فاس ،اضافة إلى بعض الهدايا. و بذلك فشلت أول محاولة تركية على فاس [3]

و في طريقه إلى الجزائر أرسل صالح رايس فرقة عسكرية تتكون من خمسمائة جندي إلى حجرة بادس لأهميتها الإستراتيجية في مواجهة و مراقبة التحركات العسكرية المسيحية في حوض المتوسط ،و بعد السيطرة عليها جعل عليها قائدا و حامية تتكون من مائتي انكشاري لتحصينها وحمايتها، [4] كما عرج على دبدو و رتب أحوالها و أقر عليها عمر بن يحي . [5]

([1]) مؤلف مجهول ،تاريخ الدولة السعدية ،ص 19 .

([2]) محمد القبلي ،مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور السعديين ،مجلة كلية العلوم الإنسانية بجامعة الرباط ،العدد 3-4 ،سنة 1978 ،ص 58 .

([3]) مؤلف مجهول ،تاريخ الدولة السعدية ،ص 92 ؛ De Torres ,op.cit ,p 209 .

([4])مارمول كربخال ،المصدر السابق ،ج1 ،ص 487 ؛ (S.I.H.M) ,Esp ,T2 ,p p 139-146 ؛ De Torres ,op.cit ,p 197 .

([5]) مؤلف مجهول ،تاريخ الدولة السعدية ،ص 20 ؛اليفريني ،نزهة الحادي ،ص 30 ؛ (S.I.H.M) ,Esp ,T2 ,p 154 .

أما أبو حسون فحصن مدينة فاس و أعاد تنظيم جيشه ،و جمع من حوله القبائل استعدادا لهجوم مرتقب من الشريف السعدي،[1] كما تحالف مع محمد الأعرج مقابل اقتسام ممتلكات محمد الشيخ بعد القضاء عليه .و في سبتمبر 1554م حدث ما توقعه أبو حسون ،إذ وبعد أن ألقى القبض على أخيه أحمد الأعرج و أبنائه و نقلهم إلى مراكش ،جمعته معركة ضد الشريف السعدي بالقرب من منطقة تادلا انتصر فيها هذا الأخير ،و تمكن من القضاء على أبي حسون الذي فر اثنان من أبنائه برفقة الشريف الإدريسي إلى مدينة الجزائر .[2]

و بمقتل أبي حسون انتهى رسم الدولة الوطاسية ،و أصبحت فاس تابعة نهائيا للدولة السعدية منذ هذه السنة – 1554م – [3]،و التي انتقم محمد الشيخ من أهلها شر انتقام ،و جرد القبائل العربية التي تحالفت ضده مع بني وطاس و الأتراك من خيلها ،و فرض عليها الخراج ، وجعلها من القبائل الغارمة بعدما غرب رؤساءها و أعيانها إلى مراكش .[4] كما صب جام غضبه على أتباع الطريقة القادرية بفاس لمساندتهم لأعدائه، ولم ينجوا من سخطه حتى علمائها وفقهائها، والذين تخلص من الكثير منهم .[5]

وفي نفس الفترة والظروف كانت نهاية الدولة الزيانية التي قام الأتراك بعزل آخر سلاطينها، السلطان الحسن الزياني، وانتهى به المطاف لاجئا لدى الإسبان في وهران سنة 1554م ،أين توفي بمرض الطاعون بعد ثلاث سنوات .[6]

---

(1) Le Tourneau (R) ,les début de la dynastie ,p 60

(2) Cour (A) ,la dynastie Marocaine ,p 118 .
Le Tourneau (R) ,les début de la dynastie ,p 60 .

(3) Cour (A) ,la dynastie Marocaine ,p 226 ; De Torres ,op.cit ,p 114 .

(4) الفشتالي ،المصدر السابق ،ص 109 ؛ Cour (A) ,la dynastie Marocaine ,p 207 .

(5) ابن عسكر ،دوحة الناشر ،ص 55 ،55 ،82 ؛اليفرني ،نزهة الحادي ،ص 75-77 ؛ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ،ص 454

(6) أحمد توفيق المدني ،المرجع السابق ،ص 33 ،34 ؛De la Veronne ,relation ,p 310
Mercier (E) ,op.cit ,T3 ,p 88 .

بعد أن وطد الشريف السعدي ملكه بالمغرب الأقصى أصبح يفكر في الوسائل التي يحافظ به على هذا الملك ،فهو لن يرتاح له بال و الأتراك يجاورونه بحجر بادس ،و بتلمسان التي عززوا فيها تواجدهم ،و الذي أثار مخاوفه أكثر هو إيواء الأتراك لبقايا الوطاسيين الفرين من موقعة تادلا كأحمد بن أبي حسون ،و أبنا مولاي زيان[1].اضافة إلى تقريبهم للبعض الآخر كأبي بكر بن أحمد الوطاسي الذي اتخذه صالح رايس صهرا له ،و صار لا يرد له طلبا [2].

في ظل هذه الظروف لم يجد محمد الشيخ أمامه إلا التقرب من الإبيريين لمواجهة الأتراك العدو المشترك بينهم ،فأرسل إلى مدريد و لشبونة يطلب المساعدة العسكرية لهذا الغرض[3]، ووافق الإسبان و البرتغاليين على تلبية طلبه بشرط منع تردد الأتراك على جميع موانئه ،و تحمل نفقات الحملات العسكرية من بدايتها إلى نهايتها ،و أن تكون مدينة الجزائر من نصيب الإسبان إن تم الاستيلاء عليها.[4]

و كرد فعل على التقارب السعدي الإبيري قام الأتراك حكام الجزائر بمحاصرة مدينة وهران على اعتبار أن حاكمها كان أداة اتصال بين فاس و مدريد ،لكن الحصار فشل بسبب وصول نجدات سريعة من إسبانيا ،المر الذي دفع بالأتراك إلى ارسال وفد إلى فاس اقترح على الشريف السعدي الذي استقبله بفاس الهدنة و السلم ،و مساعدة السلطان العثماني في محاربة المسيحيين ،و الاعتراف بالسيادة العثمانية ،و ضرب السكة باسم السلطلن العثماني . [5]

أغضبت هذه الشروط محمد الشيخ ورد عليه بعد طول انتظار بأن يبلغ سلامه إلى سلطانه أمير القوارب ،و حاء في الترجمان المعرب أن محمد الشيخ قال لرسول السلطان العثماني:

---

(1) (S.I.H.M) ,Esp ,T2 ,p p 245-248 .

(2) Ibid ,p 223 et 248 .

(3) مؤلف مجهول ،تاريخ الدولة السعدية ،ص ص 26-28 .

(4) (S.I.H.M) ,Esp ,T2 ,p ,181 ؛عبد الكريم كريم ،ص 83 .

(5) اليفريني ،المصدر السابق ،ص 83 .

"قل لسلطان الحواتة – أي صيادي السمك – أن سلطان المغرب لابد أن ينازلك على محمل مصر ،و يكون قتاله معك عليه انشاء الله و يأتيك إلى مصر و السلام ." [1]

بعد أن بدد هذا الرد من محمد الشيخ آمال الأتراك في إقامة تحالف معه ،جهز صالح رايس حملة عسكرية للهجوم على وهران قبل أن يصلها غريمه السعدي و حلفاؤه ،و كان السلطان العثماني قد أمده بأربعين سفينة و ستمائة جندي إنكشاري ،غير أن الطاعون لم يمهله القيام بهذه الحملة بعد أن قضى عليه بالقرب من وهران سنة 963هـ/1556م،[2] ليواصل خليفته حسن قورصو هذه الحملة التي توقفت – و هي على وشك اسقاط المدينة – بطلب من السلطان العثماني الذي طلب من الأسطول التوجه فورا إلى مضيق البوسفور لمواجهة التهديدات المسيحية هناك . [3]

أغضب هذا القرار المفاجئ الإنكشارية و أثار سخطهم لأنه حرمهم من غنائم كثير كانوا قريبين من الوصول إليها ،و دخلت الجزائر في حالة من الاضطراب و الفوضى كثرت خلالها الاغتيالات خاصة بعد مقتل حسن قورصو . [4]

في ظل هذه الأوضاع غير المستقرة عين السلطان العثماني في جوان 1557م حسن باشا بن خير الدين من جديد حاكما على الجزائر ،و طلب منه إعادة الاستقرار و الهدوء إلى البلاد[5]، البلاد[5]، و تزامن وصول حسن باشا إلى الجزائر مع حملة عسكرية أرسلها الشريف السعدي على تلمسان ،و الذي استغل فشل حملة الأتراك على وهران ،و الاضطرابات التي كانت تعيشها الجزائر لشن هذه الحملة ،و التي شارك القائد المنصور بن أبي غانم و قبيلة بني راشد ،لكن هذه الحملة

---

(1) Haedo ,op.cit ,p 281,282 .

(2) Berthier (P) ,op.cit ,110 ; Haedo ,op.cit ,p 283,284 .

(3) Mercier (E) ,histoire de l'Afrique ,T3 ,p 82 ;Garrot (H) ,op.cit ,p 425 . ،و لعل هذه العمليات كانت اشارة عن بداية تحدي اليولداش لسلطة الباب العالي ،و يشكل هذا منعرجا جديدا في سياسة أتراك الجزائر ،و في موقف الجيش من السلطة العثمانية ،و سيتمخض عنه استقلال السلطة العسكرية في نهاية القرن 16م .

(4) Haedo ,op.cit ,p 325 ; Mercier (E) ,histoire de l'Afrique ,T3 ,p 84 .

(5) اليفريني ،نزهة الحادي ،ص 82 ؛ Mercier (E) ,histoire de l'Afrique ,T3 ,p 82 .

باءت بالفشل بسبب صمود صفا بك و جنوده الخمسمائة المتحصنين بقلعة المشور ،و وصول القوات الضخمة التي قادها حسن باشا لنجدة المدينة سنة 1557م .[1]

بعد هذه الحملة السعدية على تلمسان تأكد الأتراك أنه لا مناص للتخلص من تهديدات محمد الشيخ إلا بمقتله ،و هو الأمر الذي تم فعلا بعد أن دس حسن باشا أحد رجاله و يدعى صالح الكاهية ،و مائتان من جنوده بالبلاط السعدي نو الذين استغلوا فرصة خروج محمد الشيخ لإخماد ثورة بجبال الأطلس و قاموا بتصفيته هناك في يوم 29 ذي الحجة 964هـ/23 أكتوبر 1557م ،وحمل رأسه إلى تلمسان ،و منها إلى مدينة الجزائر ،و منها إلى اسطنبول .[2]

وبمقتل محمد الشيخ ستدخل العلاقات بين الجزائر والمغرب مرحلة أخرى ،فقد تخلى خلفاؤه عن المواجهة المباشرة مع حكام الجزائر العثمانيين، وسيعتمدون في هذه المرحلة على التحالفات والمناورات كأسلوب جديد في التعامل معهم .

---

(1) اليفريني ،المصدر السابق ،ص 95 ؛ Cour (A) ,l'Etablissement ,p 128 .

(2) Berthier (P) ,op.cit ,110 .

المبحث الأول: الروابط الثقافية بين الزيانيين والمرينيين

تعود الروابط الثقافية التي كانت قائمة بين الدولتين الزيانية والمرينية إلى مجموعة من النشاطات العلمية و الفكرية التي أثرت الحياة الثقافية في االقليمي الدولتين، فكانت مثالاً حيًّا للتواصل الفكري الذي أبرزته بوضوح تلك الرّحلات العلمية لعلماء الدولتين و تنقلهما بين العواصم العلمية للانتهال و التحصيل و التدريس كذلك و ما نتج عنها من حوار فكري ومناظرات علمية هامة بين أجلة العلماء للخروج بالعلوم من قوقعة المحلّية إلى الخوض في مختلف العلوم حتى التي كانت فيما مضى علوما محظورة بالإضافة إلى المنشآت العمرانية الدينية والعلمية التي أنشأها بنو مرين في تلمسان والتي كانت شاهدًا حيًّا على رقيهم العلمي والفكري و صورة واضحة عن إسهامات بني مرين في التطوّر العلمي بالمغرب الإسلامي ككل، والذي يمثله ذلك الجيل الهام من العلماء والفقهاء والأدباء الذين أنجبتهم هذه المدارس العلمية[1].

ومن مظاهر التواصل الثقافي والفكري بن الدولتين:

1. الرحلات العلمية:

كانت الرحلة في طلب العلم من المسائل المحمودة في المغرب الإسلامي عمومًا، إذ نتج عن ذلك تبادل للمعارف و الآراء في مختلف العلوم العقلية و النّقلية، حيث كان علماء المغرب يتصلون بعلماء المشرق و الأندلس و يتداولون معهم الكتب و المصنّفات و شتى ألوان المعارف، فكانت الحركة متواصلة بين فاس و تلمسان وتونس وغرناطة "والشام و مصر و العراق والحجاز، للاستزادة من العلوم و للإجازة والتعمق أكثر في دراسة الفقه وأصوله، والعلوم الأخرى[2]، فكان التأثير الثقافي والفكري واضحًا من خلال مجموعة كبيرة من العلماء والفقهاء والأدباء المغاربة

([1]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 247 .

([2]) رشيد الزواوي، التبادل العلمي بين المشرق و المغرب الإسلامي، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد1، 1993، ص ص 324-339.

والأندلسيين، الذينَ تزَوَّدوا بمعارف المشرق لينقلوها إلى بلادهم، و من بين المؤلفات الهامة التي أدخلت إلى بلاد المغرب عن طريق الرحلة" مختصر ابن الحاجب في الفروع "الذي جاء به إلى المغرب أبو علي المشدالي(ت 646هـ) و تحديدًا إلى تلمسان[1]، كما أدخل الفقيه العقبة محمد بن الفتوح التلمساني "مختصر خليل بن إسحاق المالكي" فنتج عن ذلك تكوين نخبة من العلماء الذين تميزوا بغزارة العلم و وفرة التحصيل، حتى أصبحوا حجة في العلوم نقلية كانت أم عقلية[2]،لينقلوها إلى أوطانهم و ليلقنوها لأبنائهم، مما ساعد على إزدهار الحركة الثقافية والفكرية بين دويلات المغرب الإسلامي عامة و بين المغربين الأوسط والأقصى خاصّة.

ومما زاد من تمتين هذه الروابط حرص سلاطين بني زيان، و بني مرين على التقرب من العلماء و الإهتمام بهم، و إجراء الأرزاق عليهم، و تقريبهم من مجالسهم حتى أن منهم من ألحق بالبلاط الزياني أو المريني للعمل فيه، و الأمثلة كثيرة لا تحصى كالأخوين إبن خلدون، والآبلى، وغيرهم، حيث تضاعف الإتصال عن طريق هذا النشاط الدبلوماسي[3] و تبادل الرسائل الديوانية والإخوانية[4] وعن طريق الرحلة العلمية، التي أتاحت فرصة للتلاقح الفكري و دعم الروابط بين الإقليمين، على الرغم من الصراع السياسي الذي كان قائما بينهما[5]، إلا أنه لم يمنع من تنقل الدّارسين التلمسانيين لطلب العلم والإستزادة منه، و لقاء كبار الشيوخ المشهورين، فقد كانوا لا يكلّون عن السعي في سبيل الدرس و التحصيل و تبادل الآراء في مختلف العلوم كما ذكرنا سابقا ومدّ جسور العلم والثقافة عبر الأجيال، و لعل الفائدة المرجوة من هذا الاتصال تكمن في تداول

([1]) المقري، نفع الطيب، ج5، ص 212.

([2]) إبن خلدون، المقدمة، ص 322.

([3]) عن النشاط الدبلوماسي لبني زيان، ينظر: عطاء الله دهينة مساعدة الزيانيين لمسلمي الأندلس، مجلة تاريخ وحضارة المغرب،عدد13، جانفي1976، ص ص 7-17، و أيضا ملاحق كتابه :

Royaume Abdel ouadide, p p 220- 237

([4]) عن الرسائل الديوانية و الإخوانية، ينظر: المقري، نفع الطيب، ج6، ص204، 205، 377، 388، 389 ؛التعريف بابن خلدون، ص 102-103 ؛الإحاطة ، ج3، ص ص 118-130.

([5]) Dhina(A) : op.cit, p 111 .

المعارف والكتب، وتبادل الإجازات، اعترافا متبادلا فيما بين الشيوخ أنفسهم لما يجدونه من معارف ولما يحصّلونه من علوم بعضهما سواء كان باللقاء المباشر أو عن طريق المكاتبة[1].

فتنافس لذلك جميعهم في المداومة على المجالس و الحلقات العلمية على اختلاف حظوظهم من التحصيل على أعلام المغربين و المساهمة من جهة أخرى في نشر ما عندهم من علم و معارف لطلاب هذين الإقليمين بمراكزه الثقافية الهامة[2] كفاس وتلمسان، ومكناس، و مراكش. و غيرها من المدن، فكان لهم باع طويل في هذا المجال، فتركوا آثارًا علمية، و بصمات فكرية و سمعة طيبة في المغرب والمشرق الإسلامي[3].

ومهما كانت دوافع هذه الرحلة و بواعثها، فإن المقصد العلمي كان أقواها وأشملها[4] حيث كان طلاب العلم من أهل تلمسان يشدون رحالهم، إلى مختلف الحواضر المغربية والأندلسية والمشرقية، متجشمين مشقة السفر في سبيل الدرس و التحصيل والتعمق في العلم و المعارف حتى صاروا شيوخا وأساتذة و علماء، ساهموا بقسط كبير في إثراء النهضة الفكرية و التعليمية في أقطار المشرق و المغرب وخاصة في المغربين الأوسط والأقصى، فجعلوا بذلك العهدين الزياني والمريني من العهود المزدهرة ثقافيا وفكريا في تاريخ المغرب الإسلامي، و أعطوا صورة واضحة عن رغبة بني زيان وبني مرين في طلب العلم و السفر من أجله و ركوب صعابه، خاصةً أهل تلمسان، كآل مرزوق، وآل التنسي، وآل الإمام، وآل المقرّي، و آل الشريف التلمساني، وآل النجار وبنو أبي الحسن، وبنو أبي العيش، و آل زاغو و السراغنة و غيرهم من البيوتات والأسر التي أنجبت العديد من العلماء و الفقهاء و الأدباء[5].

([1]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 248 ؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 327.

([2]) التعريف بابن خلدون، ص 37.

([3]) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 327.

([4]) لقد دعت الأحاديث النبوية إلى طلب العلم و رغّبت في الرحلة من أجله ينظر في ذلك، صحيح البخاري، باب الرحلة في طلب العلم م1 ص27.

([5])هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص249 ؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 329.

حتى أن بعض فقهاء تلمسان و علمائها، قرأوا في مختلف المدن التي زاروها قصد لقاء مشيختها و درسوا فيها تطوّعا، و رفضوا المرتب و الجرايات.

والأمثلة كثيرة عن علماء تلمسان و فاس الذين تنقلوا بين الحاضرتين للتحصيل والاستزادة أو التدريس نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، هذه الفئة و إن كان عددها قليل ،إلاّ أنها كافية لإعطاء صورة واضحة عن جهودها في تمتين الروابط الثقافية والعلاقات الفكرية و المساهمة في النهضة العلمية بالمغرب عامة و نذكر منهم:

1- أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (ت سنة 680هـ/1281م) :

ولد و نشأ بتنس، جاب أقطار المغرب و المشرق طلبا للعلم و الإستزادة، درس بمسقط رأسه بتنس و مليانة و شلف[1] كما قرأ بتلمسان و بجاية و تونس، و القاهرة والشام فأخذ عن فطاحل علماء هذه الأقطار أمثال الأصبهاني و القرافي و السيف الحنفي ثم رجع إلى المغرب، واستقر بتلمسان للإقراء إلى أن توفي سنة 680هـ/1281م[2].

وكان الأمير المصري "طبرس" قد عرض عليه وظيفة التدريس في المدرسة الجديدة المعروفة بالطبرسية، فإعتذر أبو إسحاق عن هذه الوظيفة، فحاول معه الأمير المصري بتكليف تقي الدين بن دقيق العيد قاضي القضاة ومن كان معه من الأعلام بالإتصال بأبي إسحاق، وإقناعه بالتدريس، و خصصّ له مرتبا سخيا ومغريا ولكن أبا إسحاق أصر على موقفه[3].

وكان أبو إسحاق كلما زار مدينة فاس سواءً في مهمة خاصة أو في إطار المهمات الدّبلوماسية، التي كان يقوم بها بين العاهلين الزياني و المريني، يجتمع به فقهاء المدينة ويطلبون منه

([1]) درس أبو إسحاق بمسقط رأسه تنس و بمليانة و شلف ثم إنتقل إلى تلمسان حيث قرأ على مشايخها، و درس ببجاية على مجموعة من معاصريه كالشيخ أبي فارس عبد العزيز بن كحيلا و أبي علي ناصر الدين المشذالي ينظر ترجمته في البستان، ص 67 و ص 71.

([2]) للمزيد من المعلومات عن أبي إسحاق ينظر: نظم الدرّ، ص 9؛ بغية الرواد،ج1، ص 114 ؛نيل الإبتهاج، ج1، ص8،9 ؛العبدري، الرحلة المغربية، ص 11،12؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص 15،16؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص 15؛ عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 439.

([3]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص250 ؛ عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ج2، ص 329.

دروسًا في الحديث، وقد كان يدرّس هذه العلوم بمكة والمدينة، و كان يحضر مجلسه عالم فاس في ذلك الوقت أبو الحسن الصغير و صار يعد من أساتذته بهذه الديار.

ترك أبو إسحاق سمعة علمية طبية في الأقطار التي زارها، و كانت له هيبة عند الفقهاء والأمراء، فقد قال عنه السلطان المريني أبو يعقوب «ما صافحني أحد قط إلاّ أحسست بإرتعاش يده لهيبة السلطان، إلاّ الفقيه أبو إسحاق التنسي، فعندما يصافحني تدركني منه مهابة فكانت يدي ترتعش من هيبته».[1]

2- أبو عبد الله محمد النّجار[2] (ت 750هـ-1349م) :

و قد سبق ذكره مراكشي الأصل، ولد و نشأ بتلمسان أخذ العلم عن الكثير من مشيختها كالآبلي، ثم اِنتقل إلى المغرب الأقصى، فدرس على أبي عبد الله محمد بن هلال شارح "المجسطي" بسبتة، ثم أخذ بمراكش عن أبي العبّاس ابن البنّاء، فنبغ في العلوم العقلية و التعاليم، ثم عاد إلى تلمسان، بعلم غزير حتى صار إمام علوم النجامة وأحكامها[3]، ثم إلتحق ببلاط أبي الحسن المريني أيّام استيلائه على المغرب الأوسط، فصحبه إلى إفريقية حيث توفى سنة 749هـ أو 750هـ بالطاعون، و من تلامذته: أبو عبد الله الشريف، و المقرّي الكبير، و ابن الفحّام[4].

3- أبو عبد الله محمد بن اِبراهيم الآبلي (ت 757هـ/1356م) :

أحد أعلام العلوم العقلية، درس بمدينة تلمسان على أبي موسى بن الإمام وعلى جدّه، وأبي الحسن التنسي[5]، ولما استولى يوسف بن يعقوب المريني على تلمسان، اِستخدمه، إلاّ أنه قبل الوظيفة على مضض، لكن سرعان ما تركها[6].

([1])هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص251؛ عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ج2، ص 330.

([2]) التعريف بابن خلدون، ص 47، 48؛ بغية الروّاد، ج1، ص 55؛ نفح الطيب، ج7، ص ص 160، 162.

([3]) التعريف بابن خلدون، ص 47.

([4]) التعريف بابن خلدون، ص 48؛ نيل الإبتهاج، ج1، ص 239؛ نفح الطيب، ج7، ص 162 ؛بغية الروّاد، ج1، ص119.

([5]) نفح الطيب، ج5، ص 244 ؛البستان، ص 215؛ نيل الإبتهاج، ج1، ص 66.

([6]) التعريف بابن خلدون، ص 34، 35؛ بغية الروّاد، ج1، ص 17.

وأثناء رحلته إلى الحجاز لأداء فريضة الحج مرّ بالدّيار المصرية و الشام العراق حيث إلتقى بعلمائها كابن دقيق العيد و ابن الرفعة و الصفي الهندي والتبريزي وغيرهم[1]، ثم عاد إلى تلمسان، حيث عرض عليه السلطان أبو حمّو موسى ضبط جباية أمواله[2]، غير أنّ الآبلي أعرض عن ذلك، ففرّ إلى فاس، حيث اختفى عند شيخ التعاليم خلوف المغيلي اليهودي، الذي هيّأ له كلّ الظروف لإستكمال دروسه و التبحّر في مختلف العلوم[3]، و منها توجّه إلى مراكش سنة 710هـ/1310م، حيث نزل عند العلامة الإمام أبو العباس أحمد بن البنّاء الذي أخذ عنه فنون التعاليم. فلازم الآبلي علماء فاس و مراكش وانظمّ إلى مجلسهم و انتصب للتدريس في عواصم بلاد المغرب و حواضره، فانهال عليه طلبة العلم من كل ناحية، فانتشر علمه و اشتهر ذكره، وكان قد أقام في رحلته إلى تونس عند أسرة ابن خلدون نحو ثلاث سنوات، درّس خلالها لعبد الرحمن بن خلدون و أجازه في علم الأصلين و المنطق، و سائر الفنون الحكمية و التعليمية[4].

4- أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي، نزيل تلمسان (ت 770هـ 1368م) :

ولد ببجاية سنة 710هـ و نشأ بها، و أخذ عن والده و شيوخ مدينته منهم: منصور المشذالي و أبي العباس أحمد بن عمران ويوسف الزواوي، وقاضي الجماعة ببجاية أبي عبد الله محمد بن يوسف[5].

و بتلمسان درس على أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي، و أبي إسحاق بن أبي يحيى، وعلى العباس بن يربوع و غيرهم.

([1]) البستان، ص 214، 215.

([2]) عبد الحميد حاجيات، أبوحمو موسى، ص 54؛ الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية، ص 236.

([3]) البستان، ص 215؛ بغية الروّاد، ج1، ص 17 ؛ نفح الطيب، ج5، ص 244 ؛ التعريف بابن خلدون، ص 37 ؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص 94.

([4]) التعريف بابن خلدون، ص ص 34- 37.

([5]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص252.

اِرتحل إلى الأندلس، فأقرأ بها، و أخذ عن ابن الفخّار البيري الذي أجازه، ثم اِنتقل إلى المغرب الأقصى، فأخذ عن القاضي الشريف الحسني السبتي الذي قرأ عليه «تسهيل الفوائد لإبن مالك»[1]. و بعد ما أستفتي في مسألة شرعية، خالف فيها فقهاء الفروع في زمانه في الأندلس، فاِشتدّ هؤلاء في معارضته و إذايته فاضطر إلى الإرتحال إلى تلمسان سنة 765هـ، حيث اِستقرّ بها يقرئ و يدرّس[2].

5- أبو عبد الله محمّد الحسيني الشهير بالشريف التلمساني (ت 771هـ/1369م) :

أخذ العلم بتلمسان عن مشيختها كابني الإمام والآبلي[3]، ثم اِرتحل إلى تونس فاجتمع بإبن عبد السلام أبو عبد الله، و ابن عرفة وغيرهما من علمائها، ثمّ عادَ إلى تلمسان في عهد السلطان أبي عنان فارس، فقرّبه منه واِستصحبه إلى فاس حيث تتلمذ بها على يد العالم السطي، فدرس عليه أحكام عبد الحق الصغرى و التهذيب والموطأ والصحيحين، ومن فاس راح يجوب سبتة وسجلماسة طلبا في العلم والتحصيل إلى مصر والحجاز «فضربت إليه رباط الإبل شرقا و غربا»[4] حيث كانت تأتيه الأسئلة من غرناطة فيجيب عنها[5]، و كان الفقيه الكبير موسى العبدوسي شيخ فقهاء فاس في عصره، يبحث عما يصدر من أبي عبد الله الشريف بتلمسان، من تقييد أو فتوى فيقيده و هو أكبر سنًّا[6].

([1]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 310 ؛بغية الروّاد، ج1، ص 132؛ البستان، ص 293 و أيضا الإحاطة ج3، ص 328.

([2]) الإحاطة، ج3، ص 325.

([3]) كما أخذ أبو عبد الله عن أبي زيد بن يعقوب، و الولي المحاصي و عمران المشذالي و اِبن النجّار و محمد بن محمد البيروني.

([4]) البستان، ص 167.

([5])هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص254.

([6]) نفس المرجع ،ص نفسها.

و بتلمسان اِستقبله أبو حمّو موسى الثاني، اِستقبالاً حسنًا و أنكحه إبنته و اِبتنى له المدرسة اليعقوبية، حيث اِستقر أبو عبد الله يلقي الدّروس و يحضر مجلسه طلبة كثيرون إلى أن وافاه الأجل سنة 771هـ/1369م[1] وهو الذي ملأ بلاد المغرب معارفا وتلاميذ[2].

6- أبو إسحاق التلمساني إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري :

ولد بتلمسان سنة 609هـ، اِنتقل مع أبيه إلى الأندلس، فاستوطن غرناطة ثم مالقة التي قرأ فيها على أبي بكر بن دحمان و أبي صالح محمد بن محمد الزاهد، و أبي عبد الله بن حفيد، و أبي الحسن بن سهل بن مالك، و أبي بكر بن محرز، و أبي الحسن بن طاهر الدباج و أبي الحسن الشلوبيني، ثم اِنتقل إلى سبتة و اِستقر بها و لقي بها الحسن بن عصفور الهواري و أبا المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة، و أبا يعقوب يوسف بن موسى الغماري المحاسني، فأصبح حينئذ فقيها عارفا مبرزًا في الفرائض و العدد، متضلّعا في الأدب له أرجوزة محكمة بعلمها، ضابطة، عجيبة الوضع[3] و له منظومات في السير و المدائح النبوية و قصائد في المولد النبوي، و أرجوزة في علم الفرائض تعرف بالتلمسانية لم يصنّف في فنّها أحسن منها[4].

7- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب (ت 781هـ/1379م) :

ولد بتلمسان سنة 711هـ[5]، و اِرتحل مع والده إلى المشرق سنة 718هـ، فأقام بالقاهرة فأخذ على برهان الدين الصفاقصي ثمّ عاد إلى بلاده سنة 733هـ، فوجد أبا الحسن المريني محاصرًا لتلمسان، فالتحق ببلاطه ونال حظوة عنده، فصحبه في سائر تنقلاته، و في سنة 752هـ، أجاز إلى الأندلس، فخطب بجامع الحمراء بغرناطة و تناوب الخطابة مع قاضي الجماعة أبي القاسم

([1]) البستان، ص 166 ؛التعريف بابن خلدون، ص ص 64- 66 ؛نظم الدر، ص 179.

([2]) التعريف بابن خلدون ، ص 63.

([3]) بغية الروّاد، ج1، ص 109.

([4]) الإحاطة، ج1، ص 326 ؛ الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية، ص 243.

([5]) المسند، ص 19.

الشريف ؛ كما تناوب الخطابة مع آخرين على منبر المسجد الجامع بغرناطة مدّة ثلاث سنوات، ودرس بمدارسها فخطب على منبر مسجد مالقة و فاس ومرّاكش و تونس و القاهرة[1].

وتشير المصادر إلى أنّه خطب على أكثر من ثمانية و أربعين منبرًا في المشرق و المغرب والأندلس[2] و بعد عودته إلى تلمسان إتصل بالسلطان أبي عنان المريني ومكث في بلاطه، و في أيام أبي سالم المريني، عظم نفوذ اِبن مرزوق الخطيب، وأصبح زمام الأمر في الدولة المرينية بيده، ولما قتل أبو سالم، أمر وزيره الثائر عمر بن عبد الله بسجن اِبن مرزوق آخر سنة 762هـ، و بعد إطلاق سراحه توجه اِبن مرزوق نحو تونس، و اِستقر بها خطيبًا بجامع الموحّدين و مقرئًا ببعض مدارسها[3]، من أهمّ مؤلّفاته كتاب المسند الصحيح الحسن في أخبار المولى أبي الحسن. توفي بالقاهرة سنة 781هـ/1379م[4].

8- عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني (ت 792هـ – 1389م) :

من أكابر علماء تلمسان و محققيهم، ولد سنة 748هـ، نشأ حريصًا على طلب العلم والإستزادة منه، قرأ على مشيخة تلمسان، ثم اِنتقل إلى فاس حيث أخذ عن الأستاذ النحوي أبي عبد الله بن زيد النجدي، و أبي عبد الله اِبن حياتي و أبي عمران موسى العبدوسي، وأبي العباس القباب، و الونشريسي، و أبي العباس اِبن الشماع و غيرهم من الشيوخ والعلماء[5].

له مشاركة في العلوم العقلية و النقلية، دخل غرناطة فأخذ عن شيوخها و توفي غريقا و هو عائد إلى تلمسان[6].

([1]) نفح الطيب، ج5، ص 415 ؛التعريف بِابن خلدون، ص 49، 50.
([2]) نفح الطيب، ج5، ص 415.
([3]) عبد الحميد حاجيات و آخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 442.
([4]) المسند، ص 19.
([5]) البستان، ص ص 117 - 120.
([6]) نفسه، ص 120.

9- محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني (ت 818هـ – 1415م) :

ولد بتلمسان، ونشأ و تعلم بها ثم اِنتقل إلى فاس سنة 805هـ لدراسة الفقه والتعمّق فيه، و هو أوّل من أشاع فيها "مختصر خليل"، و بها أخذ عن أبي موسى عيسى بن علال المصمودي الذي أجازه و درّس بمدرسة أبي عنان فارس، و عرضت عليه رئاسة الفقه بمدرسة العطارين، فاِعتذر و رحل من فاس إلى مكناسة الزيتون فتوفي بها عام 818هـ[1].

10- محمدبن الحسن اليحصبي (ت 734هـ – 1333م) :

هو أبو عبد الله محمد بن الحسن اليحصبي الشهير باِبن الباروني، ولد و نشأ بتلمسان، ثم اِنتقل إلى فاس فأخذ عن أبي الحسن الصغير و أبي زيد الجزولي و يوسف الجزولي و أبي زيد الرجراجي، ثم عاد إلى تلمسان و مكث بها إلى أن توفي سنة 734هـ/1333م، فكان من أعلام الفقه و صدوره[2].

11- أبو يحيى عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني(ت826 هـ– 1422م) :

درس أبو يحي عبد الرحمن بتلمسان ثم توجّه إلى فاس للإستزادة في التحصيل والإحتكاك بعلماء فاس، فقرأ على والده، و درس أصلي اِبن الحاجب عن سعيد العقباني وكذلك التفسير والنحو والمنطق، وأخذ العربية عن اِبن حياتي. فكان من طلاب العلم الذين ظلّوا يشدّون الرحال متنقلين بين الحواضر الإسلامية المغربية و المشرقية والأندلسية، من أجل الظفر بحضور المجالس العلمية التي كان يديرها كبار المشايخ والإنتفاع من علمهم، متحملين مشقة السفر و مصاعب الطرق[3]، وقد نتج عن هذا الإختلاط و الإمتزاج تواصل فكري و تأثير ثقافي، و صارت المشيخة

([1]) نيل الإبتهاج، ج2، ص 303، 304؛ البستان، ص 264.

([2]) نيل الإبتهاج ،ج2، ص 228، ؛محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 423؛هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 256.

([3]) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 334.

متبادلة، فقد ذكر المقري أنّ تعداد أساتذة اِبن الخطيب من بلدان المغرب بلغ أكثر من ثمانية وأربعين أستاذًا، كان قد تتلمذ عليهم، فضلا عن أساتذته من الأندلس، و كذلك ذكر اِبن مرزوق الخطيب بأنّ عدد أساتذته بلغ مائتين و خمسين أستاذًا من مختلف حواضر الأندلس والمغرب والمشرق[1].

12- أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق الحفيد (ت 842هـ – 1438م) :

سبق ذكره آنفا، أخذ العلم في البداية بتلمسان عن والده و عمّه و الشيخ سعيد العقباني وأبي إسحاق المصمودي، ثم اِرتحل إلى تونس فأخذ عن اِبن عرفة، و حجّ رفقته سنة 790هـ وأخذ عن الشيخ القصار، ثمّ سافر إلى فاس، فأخذ عن مشايخها أمثال: اِبن حياتي، و أبي زيد المكودي، والحافظ محمد بن سعود الفيلالي[2] ثمّ اِنتقل إلى المشرق، حيث أجازه بعض الشيوخ منهم "أبو القاسم محمد الخشاب"، ومحمد علي الحفار الأنصاري ومحمد القيجاطي، ولقي الإمام اِبن حجر، اِشتهر بفضله و بعلمه في الأمصار التي زارها حتى أحبته قلوب العامة والخاصة[3].

13- أبو عبد الله محمد بن محمد المقري :

ولد و نشأ بتلمسان، و بها درس على علمائها أمثال اِبني الإمام و أبي موسى عمران المشذالي، و أبي محمد المجاصي، و اِبن هدية، و أبي عبد الله التميمي، رحل إلى بجاية و تونس وأخذ عن كثير من علمائها، ثم توجّه نحو المشرق، فلقي بها أبا حيان النحوي و شمس الدين الأصبهاني و ابن عدلان، ثم رحل إلى الشام فلقي اِبن قيم الجوزية، و صدر الدين الغماري المالكي وغيرهما.

وأثناء الاحتلال المريني للمغرب الأوسط سنة 737هـ، اِصطحب السلطان أبو الحسن جمع كبير من العلماء معه، فاِنتقل المقري إلى فاس، و أخذ عن علمائها، كأبي زيد عبد الرحمن بن

([1]) نفح الطيب، ج5، ص 415.

([2]) نيل الإبتهاج، ج2، ص 172؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص 290،291؛ معجم مشاهير المغاربة، ص 486.

([3]) البستان، ص ص 206- 209.

عفان الجازولي و أبي العباس المكناسي، ثمّ اِنتقل شمالاً إلى سبتة و بعد رحلته إلى المشرق، عاد إلى تلمسان و منها توجّه إلى الأندلس، ثمّ رجع إلى المغرب الأوسط، فصحب السلطان أبو عنان إلى فاس فولاّه القضاء بها و التدريس إلى أن توفي بها سنة 759هـ[1] فحمل إلى مسقط رأسه تلمسان و دفن بها.

14- أحمد بن حسن بن علي الخطيب بن قنفذ القسنطيني :

هو والد اِبن قنفذ صاحب الفارسية، ولد سنة 740هـ، عاش متنقلا ما بين بجاية وإفريقية المغرب الأقصى، و زار الحجاز[2] مكث بالمغرب الأقصى ثمانية عشر عامًا، فحصّل علومًا كثيرة وقد اِلتقى بالمغرب بالشريف أبي القاسم السبتي و أخذ عنه وقال في وفياته، بعد الثناء على علمه، «..و بالجملة فهو ممّن يحصل الفخر بلقائه»[3].

15- أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي التلمساني

ولد سنة 834هـ، بتلمسان و نشأ بها، أخذ عن كبار شيوخها كالإمام أبي الفضل قاسم العقباني، و ولده أبي سالم، و حفيده محمد بن أحمد بن قاسم العقباني، و الشيخ أبي عبد الله الجلاب، و اِبن مرزوق الكفيف، و غيرهم[4].

وفي الفاتح محرّم من سنة 874هـ، حصلت له كائنة من جهة السلطان، فانتهبت داره ففرّ إلى مدينة فاس، فاستوطنها فكان عالمها و مدرّسها و مفتيها، و أخذ عنه خلق كثير من العلماء كالفقيه أبي عماد بن مليح اللّمطي، و الشيخ أبي زكرياء السوسي، والفقيه المحدّث محمد بن عبد

([1]) التعريف بابن خلدون، ص 853- 854 ؛البستان، ص ص 154- 160؛نيل الإبتهاج، ج1، ص ص250-255؛ بغية الروّاد، ج1، ص 121؛ الإحاطة، ج2، ص ص 136- 145؛حاجيات، أبو حمو موسى، ص ص 46-48؛ عادل ذويهض، المرجع السابق، ص 180.

([2]) نيل الإبتهاج، ج 1، ص 110؛ عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 441.

([3]) نيل الإبتهاج، ج 1، ص 110.

([4])نيل الإبتهاج، ج 1، ص 110 ؛البستان، ص53؛ الاستقصاء،ج4، ص165؛ عادل نويهض،المرجع سابق،ص334.

الجبار الورتيدي و الفقيه عبد السميع المصمودي، و الفقيه محمد بن قاضي البلد الجديد الفرديس التغلبي[1]

16- أبو عبد الله محمد بن عمر بن عثمان بن منيع بن عياشة بن سيّد الناس بن أمين الناس الغياري المغراوي الشهير "بسيدي الهوّاري" :

هو فقيه، متصوّف، زاهد، متقشف ذائع الصيت في أقطار المغرب[2]، ولد سنة 751هـ/1351م، بمغراوة و نشأ بها و أخذ علومه الأولى، ثمّ إرتحل نحو بجاية فأخذ عن عبد الرحمن الوغليسي، و أحمد إدريس، ثمّ إنتقل نحو مدينة فاس، و فيها أخذ عن الشيخ موسى العبدوسي المتوفى سنة 776هـ[3]، و الشيخ القباب الذي أخذ عنه الكثير من العلوم الدينية والدنيوية، و من فاس إرتحل إلى المشرق للحجّ و زيارة حواضره العلمية للأخذ عن علمائه[4]، كما أخذ عنه الشيخ إبراهيم التازي المتوفى سنة 866هـ الذي لازمه طويلاً، و الشيخ أبركان بن مخلوف المزيلي الرّاشدي، و كان قد أخذ عنه الكثير من الطلبة خاصة عندما زار مدينة فاس، حيث كانوا يقرؤون عليه القرآن والعربية والفقه، ويتحدّثون أنّهم ما رأوا أبرك من قراءته. توفي سنة 843هـ/1439م[5].

17- علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود الخزاعي أبو الحسن التلمساني :

من أسرة أندلسية، ولد بتلمسان عام 710هـ، و بها نشأ و تعلّم، و قد برز في التاريخ والفقه و الحساب فتنافس عليه ملوك المغربين الأوسط و الأقصى، فإتخذه أوّلاً السلطان إبراهيم بن علي المريني صاحب علامته، ثم إنتقل إلى بلاط بني مرين كاتبًا للأشغال قريبا لقلم الدولة، و نال

([1]) نيل الإبتهاج، ج2، ص 145؛ البستان، ص 54.

([2]) نيل الإبتهاج، ج2، ص 192؛ البستان، ص 288؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص 337 ؛حاجيات و آخرون، المرجع السابق، ج3، ص 450.

([3]) نيل الإبتهاج، ج2، ص 300.

([4]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 112؛ البستان، ص 228- 229؛ أبو عمران الشيخ، معجم مشاهير المغاربة ، ص 547.

([5]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 192؛ البستان، ص228، 229؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص 337.

حظوة ما وصل إليها غيره من العلماء لدى الملوك. توفي بفاس سنة 789هـ[1]؛ كان قد ألف كتاب " تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف و الصنائع والعمالات الشرعية "، ألّفه للسلطان المتوكّل على الله أبي فارس المريني و إنتهى منه سنة 786هـ.

18- إبراهيم التازي : نزيل وهران.

عالم أديب صوفي إسمه الكامل إبراهيم محمد بن محمد بن علي، و نسبه في بني لنت، من مضافات قبيلة التسول الزيانية. وهم يتفرّعون إلى ثلاثة بطون : الحرشة والخندق و مقورة : و لا يزال إسم بني لنت معروفًا قرب مدينة تازا إلى الشمال الغربي منها.

إنتقلت أسرته قبل ولادته إلى مدينة تازا، حيث كان مولده بها في تاريخ ربّما يرجع إلى أوائل القرن التاسع الهجري و بنفس المدينة، كانت نشأته و دراسته للقرآن الكريم على أستاذه يحيى الوازعي.

وبعد هذه المرحلة الأوّلية فإنّ المصادر التاريخية لا تذكر شيئًا عن أساتذته بالمغرب، و من المؤكّد أنه أخذ العلوم الدينية و اللسانية ببلدته أو جهة أخرى من المغرب، قبل أن يتم دراسته خلال رحلته للحج، حيث تحصّل على ثلاث إجازات من أساتذته[2].

و كان التازي قد تتلمذ على يد شيوخ كبار خارج المغرب و هم أبو الطيب الفاسي محمد بن أحمد بن علي المكي الحسيني الإدريسي (ت 828هـ/1429م)، و أبو محمد الزواوي صالح بن محمد بن موسى الحسني الرياحي المدوكالي (ت 839هـ/1435م) الذي لبس منه الخرق القادرية و المدينية و الشاذلية و أبو الفتح المراغي محمد بن أبي بكر الحسين العثماني المريني (ت 859هـ/1455م)، و العبدوسي عبد العزيز بن موسى بن معطي الفاسي نزيل تونس (ت 837هـ/1434م) و إبن مرزوق الحفيد[3] (ت 842هـ/1439م)، و في وهران إتصل بشيخه

([1]) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص 113- 115.

([2]) محمد المنوني، الشيخ إبراهيم التازي ، ص ص 145- 148.

([3]) ترجمته في نيل الإبتهاج، ج1، ص ص 293- 299.

الذي طبع إتجاهه الصوفي، وهو محمد بن عمر الهواري، حيث لازمه نحو عشرة أعوام إلى وفاته سنة 843هـ/1439م.

وبعدها إستقر التازي بوهران[1] يترّسم النهج الصوفي لأستاذه، ينشر فضائله وينسخ كلامه بخطه، و يجمع متفرّقه في دفاتر، و صار يفتتح مجالس إقرائه بتلاوة كتب شيخه، فيمليها بتعبير مؤلفها، و يفسّر مجملها و يفتح مقفلها.

وبذلك فقد إهتم التازي بدعوة الجماهير إلى معرفة عقائد التوحيد، فأقام سوق الأذكار بوهران، و أبان بها معالم الإسلام و الإيمان، و رتب المواسم الشرعية، و من بينها المولد النبوي الشريف، و نبّه على الآداب الدّينية و الدنيوية، فنقل أهل مدينته عمّا كانوا فيه من التبدّي إلى الحضارة، و جلب إليها الماء من مسافة بعيدة بعدما كان بها قليلاً، فعظمت بذلك كله عمارتها، فارتحل إليها كثير من الناس، و قصدها الواردون من جميع الآفاق؛ و لعلّ الزاوية التازية بوهران خير دليل على إنجازات هذا العالم المتصوّف[2].

روى عن هذا العالم نخبة من الأعلام كالسنوسي محمد بن يوسف بن عمر التلمساني، والفيجيجي بن أحمد بن موسى، البرزوزي، و ابن زكري أحمد بن محمد المغراوي، و زروق أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي[3]، و التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل المغراوي الأموي التلمساني والرّاشدي نزيل تونس، و أحمد حجي الوهراني[4] والتالوتي[5] على بن محمد الأنصاري التلمساني، و إبن تاغزوت و إبن يجبش[6] محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن التازي، و القلصادي[7] الذي الذي سجّل إتصاله به.

([1]) محمد المنوني، الشيخ إبراهيم التازي، ص 149.
([2])محمد المنوني، الشيخ إبراهيم التازي، ص 149، 150.
([3]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 85.
([4]) البستان، ص 104.
([5]) نفس المصدر، ص 140، 141.
([6]) نفسه ، ص 53.
([7]) القلصادي، المصدر السابق، ص 111.

2. المحاورات و المناظرات العلمية :

كانت المناظرات العلمية بين العلماء والفقهاء شكل من أشكال التطوّر والتفوّق العلمي، ومسرح لإثبات الذات و إبراز القدرات العلمية، و إظهار الكفاءات و تأكيد اِستحقاق الإجازات التي منحت لهم من قبل المشايخة، فكانت مظهرًا من مظاهر الحركة الفكرية النشيطة التي سادت المغربين الأوسط و الأقصى ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / 13و، 15م، إذ كانت تتمّ داخل البلدين و خارجه، ممّا جعلها عاملاً أساسيا في توطيد العلاقات الثقافية بين المغربين، و شكلاً من أشكال التواصل الفكري و الثقافي، حيث جرت بعض المناظرات والمحاورات العلمية المكتوبة والشفوية بين فقهاء تلمسان و غيرهم من رجال الفقه المغاربة و الأندلسيين والمشارقة[1]، تناولت الفقه المالكي بالدرجة الأولى فضلاً عن التفسير و التصوّف و علم الكلام واللغة وغيرها من المسائل الفقهية المطروحة للنقاش و الجدال، و نخصّ بالذكر تلك المناظرات التي تمت بين فقهاء تلمسان و فاس، و من أبرزها تلك التي وقعت بين أبي العباس أحمد بن قاسم القباب (ت 778هـ/1376م) و أبي عثمان سعيد بن محمد العقباني التلمساني (ت 811هـ/1408م) عندما كان هذا الأخير قاضيا بمدينة سلاَ، و كانت تدور حول مسألة درهم الإعانة التي أثارها التجّار بسبب الضرائب المخزنية الثقيلة[2]، جمع أبو العباس أحمد الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/1408م)، هذه المحاورة في كتاب سمّاه " لبّ اللّباب في مناظرة العقباني والقباب" ذكر الونشريسي بأنّها كانت متداولة بين رجال الفقه في تلمسان[3].

كما جرت مناظرة قصيرة حول عموم الرسالة النبوية، وقعت بمراكش بين الإمام الشيخ أبي عثمان سعيد العقباني، و أحد علماء اليهود كان يشتغل بمسائل علمية عديدة[4].

([1]) هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 263 .

([2]) موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1971، ملحق رقم 14، ص122.

([3]) الونشريسي، المصدر السابق ، ج5، ص 326.

([4]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 306.

و قد عقدت مناظرة أخرى بين أبي عثمان سعيد العقباني و أبي العباس القباب، تتضمّن مسألة من الإيلاء تتعلق بقضايا الطلاق[1].

كما شهدت تلمسان الزيانية نقاشا فكريا حادا دام أكثر من قرنين من الزمن بين فقهاء السنة وبين رجال التصوّف، و لعلّ ظهور هذه الظاهرة كانت في عهد الأديب الشاعر الصوفي المتفلسف محمد اِبن خميس السالف الذكر، و الذي تصدّى له و لأفكاره بعض فقهاء تلمسان وعلى رأسهم القاضي اِبن هدية القرشي (ت 737هـ/1337م)، والذي كان له حظوة سياسية ونفوذ سياسي و أدبي في الدولة الزيانية، إذ اِتّهم اِبن خميس بالكفر والزندقة[2]، لأنّه ألّف الرسالة المسمّاة "بالعلق النفيس في شرح رسالة اِبن خميس" وأرسلها إلى المشرف على مدينة فاس والقائم عليها آنذاك، أبي الفضل محيي بن عتيق العبدري[3]، يدافع فيها عن نفسه و يُبرئها بعدما وضعه الفقيه الشريف أبو البركات[4] في خانة الكفر والضلالة إبان مثوله أمام المحكمة الخاصّة، بمدينة فاس والتي حضرها قاضي تلمسان اِبن هدية و شارك فيها، و هو الذي كان يضمر الحقد الشديد لِابن خميس حيث خاطبه قائلاً: «و لولا أن الألبق إيثار الأعراض من اِستتار مقاصدك السيئة، لأومأت من ذلك إلى ما يوجعك مني الثقاف و يرميك بثالثة الأقافي، فإنّك من تناولك هذا السجال، وتجوالك في ذلك المجال، بين جهل فاضح أو كفر واضح فأختر وما فيهما...»، ثمّ راح يصف أجواء المحاكمة قائلاً : «فإتفق أن اِجتمع في بعض محافلها الحافلة، ومجالسها العامرة، بأهل الفضل، الآهلة بطائفة من حذّاق الأشعرية و جماعة من فقهاء المالكية، كالشريف أبو البركات،

([1]) الونشريسي، المصدر السابق، ج5، ص ص 326- 331.

([2]) المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 131.

([3])نفسه، ص 133.

([4]) الشريف أبو البركات هو محمد بن علي الحسيني، من فقهاء المالكية البارزين في فاس، تولى الإشراف على مناظرة اِبن خميس و محاكمته بفاس.

وغيرهم، ففتحوا باب المذاكرة، وسلكوا سبيل المناظرة، و تفنّنوا في الكلام، إلى أن أخذوا في علم الكلام اِستدراجًا لِابن خميس واستخراجًا لخبّ مذهبه الفلسفي الخسيس»[1].

فوقف اِبن خميس موقف الشجعان، حيث دافع عن آرائه، و أفكاره ببلاغة، وبحجج قاطعة، أفحم خصومه حتى لم يبق في المناظرة إلاّ اِبن هدية و أبو البركات ألدّ خصومه، وكان اِبن خميس يصمت في بعض الأحيان أثناء المحاكمة، لا لأنّه مدحوض الحجة كما وصفه اِبن هدية، وإنّما تفطّن للكمين الذي نصب له من قبل خصومه[2].

و اِنتهت المحاكمة بإصدار حكم الإعدام ضد اِبن خميس إلاّ أنّه تمكن من النجاة بالفرار إلى تلمسان مسقط رأسه التي عاش فيها، في عزله و اِنزوائه يترقب مرور الأخطار التي كانت تحيط به، من المراقبة الشديدة التي كانت مفروضة عليه، وقد وصف حالة الظلم و الاضطهاد التي عاشها في العديد من أشعاره[3]، حيث عاش مجهولا بين أهله.

3. المنشآت المرينية في تلمسان :

خلّد بنو مرين وجودهم في تلمسان، فتركوا لنا العديد من المنشآت الدّينية، و المدنية والعسكرية، التي كانت شواهد على إهتمام أمراء بني مرين بالعمارة و الإنشاء، دليلاً واضحًا على عنايتهم البالغة بالعلم و العلماء، وهذه المنشآت عبارة عن مساجد و مدارس و قصور و غيرها، وكلّها تحمل معاني الإبداع و روح الإبتكار الموجودة لدى الفنّان المريني، لما نلمسه في هذه العمائر من إحساس مرهف و رقة في العمل، كما يعطينا فكرة واضحة عن تلك المنافسة الفكرية و الثقافية التي لازمت الجارتين، و التي كانت الوجه الآخر لذلك الصراع السياسي الذي كان دائرًا بينهما والذي لم يكن أمرًا سلبيًا كله بل يحمل في طياته الكثير من المنافع، و لعلّها تلك الآثار الخالدة التي حظيت بها مدينة تلمسان، و التي تلتها حركة علمية و ثقافية مشهودة لذلك العهد، كانت قد

([1]) المهدي البوعبدلي، أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني، مجلة الأصالة، العدد 49، 50، سبتمبر-أكتوبر 1977، ص8 و ما بعدها.

([2]) نفسه، ص 8 و ما بعدها.

([3]) للإطلاع على هذه الأشعار، ينظر، الإحاطة، ج2، ص ص 550- 556.

مهدت لها الدولة الزيانية من قبل؛ وساهمت بشكل كبير في تقويه الروابط و العلاقات الثقافية بين الزيانيين والمرينين حيث أنّ هذه المؤسسات الدينية و التعليمية، اِحتوت كبار العلماء والفقهاء والأدباء، الذين تتلمذوا فيها و تخرّجوا منها، حاملين أكبر الإجازات العلمية، كما كانت تستقطب طلبة من مختلف البقاع خاصة من المغرب الأقصى و الذين ساهموا في نشر العلوم بألوانها، نتيجة لذلك الإحتكاك و التقارب بين علماء بني زيان و بني مرين، وتبادل العلوم و المصنّفات والمناظرات التي كانت تقام في هذه المؤسسات التعليمية. ومن أهمها المساجد والمدارس:

أ–المساجد :

لم يترك المرينيون إلاّ ثلاثة مساجد بتلمسان، و هي توجد في أطراف المدينة، لا أحد ينفي روعة عمارتها و رونقها و جمال زخرفها و عظمة دورها التاريخي في نشر الدّين و العلم واِستقطاب العلماء و هذه المساجد هي:

1/ مسجد المنصورة :

منشئ هذا المسجد هو السلطان أبو يعقوب بن عبد الحق وذلك سنة 702هـ/1302م، أثناء الحصار الذي ضربه على تلمسان[1]، و يعدّ من أشهر المساجد في الجزائر بفضل مئذنته الشهيرة التي يبلغ اِرتفاعها 38 م، ممّا يجعلها أعلى مئذنة شيّدت في الجزائر[2].

وهناك لوحة أعلى مدخل هذه المئذنة منقوشة نشرها بروسلار جاء فيها : «الحمد لله ربّ العالمين و العاقبة للمتقين أمر ببناء هذا الجامع المبارك أمير المسلمين المجاهد في سبيل ربّ العالمين المرحوم أبو يعقوب بن عبد الحق رحمه الله» و من رواية اِبن خلدون نستشف بأنّ تاريخ المسجد

(1) عبد الرحمن بن خلدون ، ج7، ص 458،459.

(2) صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 115، 116.

ومئذنته كان في وقت واحد؛ و قد بني هذا المسجد من الطوب المدكوك على مساحة تقدر بـ 5600 م^2 و له 13 بابًا[1].

وقد كان لهذه المئذنة المبنية بحجر مغرة نواة مركزية، مكوّنة من غرف موضوعة بعضها فوق بعض، تدور حول منحدر مثلما نراه في مآذن مسجدي الكتيبة بمراكش، وحسّان بالرباط، و في مسجد إشبيلية الموحدّي، و قد اِندثرت هذه الغرف و لكنّنا ما زلنا نشاهد آثار المنحدر[2].

2/ مسجد سيدي أبي مدين الغوث :

شيده السلطان أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 739هـ/1339م بقرية العبّاد[3]، و أعطاه اِسم ضريح الولي الصالح أبي مدين شعيب بن الحسن أحد متصوّفي المغرب الإسلامي و الأندلس و المتوفى سنة 594هـ[4].

و قد أشرف على بنائه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق عمّ اِبن مرزوق الجدّ صاحب المسند.

وهذا المسجد آية في الجمال والروعة بفضل سقفه المنضبط الأشكال، وبابه – المصنوع من البرونز ذي المصراعين–، و محرابه و قبّته و زخرفة جدرانه، و أقواسه وصحنه و قاعة صلاته، و لا يزال هذا المسجد بهجة للناظرين و آية من الفنّ المغربي الأندلسي بما في ذلك الصحن والحراب والمئذنة[5].

و قد كتب على تيجان الأعمدة بخط أندلسي :

([1])صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 115، 116.

([2]) رشيد بورويبة و آخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 499.

([3]) يمثل هذا المكان حاليًا الضاحية الشرقية لمدينة تلمسان.

([4]) هو شعيب بن حسين الأنصاري الأندلسي، من حصن قطنيانة من أحواز إشبيلية، توفي سنة 594هـ ودفن بتلمسان، ينظر : التنسي ، المصدر السابق، ص 145، 146؛ اِبن مريم، المصدر السابق، ص ص 108- 114؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق ، ج1، ص 126.

([5]) المسند، ص 270، 271.

«هذا ما أمر بعمله مولانا أمير المسلمين أبو الحسن اِبن مولانَا أبو المسلمين أبي يعقوب» التاج الأيمن.

أمّا في التاج الأيسر فقد كتب : «اِبتغاء وجه الله العظيم و رجاء ثوابه الجسيم كتب الله له به أنفع الحسنات و أرفع الدّرجات»[1].

وقد أعطى اِبن مرزوق الخطيب وصفًا دقيقا لهذا المسجد الذي قال عنه : أنّه اِشتمل على الوضع الغريب و هو أنّ سقفه كلّها أشكال منضبطة بخواتم و صناعات نجارة على جهته تخالف الجهة الأخرى في الوضع، قد رقمت على نحو ما يرقم عليه أشكال النجارة، فلا يختلج في النفس شك و لا يعرض لها وهم أنها أشكال منجورة منقوشة و هي كلّها مبنية بالآجر و الفضة، واِشتمل على المنبر العجيب الشكل المؤلّف من الصندل و العاج و الأبنوس المذهب، و أمّا الباب الجوفي الذي يفتح على المدرّج الذي ينزل فيه إلى قبر الشيخ و إلى الشارع وهو باب النحاس المشتمل على مصراعين كلّ مصراع منهما مصفّح بالنحاس المختوم المنقوش بالخواتم المستوفاة المشتركة العمل و تخريمه على أشكال من نحاس ملوّنة، فهو من غريب ما يتحدّث به السّفار[2].

3/ مسجد سيدي الحلوي:

تمّ تأسيس هذا المسجد بأمر من السلطان المريني أبو عنان فارس سنة 754هـ/1353م كما ينصّ على ذلك النقش التأسيسي الذي يعلو واجهة المدخل الرّئيسي للمسجد و فيما يلي نصّه: «الحمد لله وحده، أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان أبو عنان فارس (اِبن) مولانا السلطان أبي الحسن علي بن مولانا السلطان أبي عثمان بن مولانا أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أيّده الله و نصره عام أربع و خمسين وسبع مائة»[3].

([1]) محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 296.

([2]) اِبن مرزوق، المسند، ص 403، 404؛ حاجيات، أبو حمو موسى، ص 64، 65.

([3]) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 148.

وقد شيّده تخليدًا لذكرى وفاة العالم الشهير و المتصوّف المعروف الشيخ الولي أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي نزيل تلمسان المتوفى سنة 737هـ/ 1337م[1].

وهذا المسجد يكاد يكون نسخة مطابقة لمسجد سيدي أبي مدين[2] فله مثله بيت صلاة مكوّنة من خمس بلاطات عمودية على جدار المحراب، و صحن مربع و مئذنة موضوعة في الزاوية الشمالية الغربية، و مدخل مزخرف. و لا يختلف عنه إلاّ في بعض العناصر المعمارية[3].

وقد وصفه اِبن الحاج النمري كاتب السلطان أبي عنان فارس قائلاً : «و كم أبقى (يقصد أبي عنان) بتلمسان من آثار حسان و مصانع يعجز عن وصفها كلّ لسان، و لا كجامع الخطبة الأعظم الذي أمر بِاختطاطه في حضيض البيت الذي فيه ضريح الشيخ الصالح أبي عبد الله الشوذي المعروف بالحلوي رضي الله عنه و هو أجمل الجوامع قد أحكمت فيه أنواع الصنائع، وأبدى الإحتفال به ما شاء من البدائع...»[4].

ب–المدارس :

و من حسن الحظ، فإن المدارس التي بناها آل مرين، لم تعرف نفس المصير الذي عرفته المدارس الزيانية، فلا تزال مثلاً مدرسة العبّاد قائمة إلى يومنا هذا تعاني صروف الدّهر وإهمال الإنسان، إذ أنّنا سنستعرض لهذه المدرسة، ومدرسة سيدي الحلوي باختصار كنموذج لمدارس بني مرين في تلمسان؛ والتي تخرّج منها عدد كبير من العلماء والفقهاء والأدباء الذين أثّروا في الحياة الثقافية في المغرب الأوسط.

([1]) عن شخصية سيدي الحلوي، حياته ووفاته، ينظر، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 127،128 ؛ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 68- 70.

([2]) العربي لقريز، المرجع السابق، ص 31.

([3])رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان،ص181؛ الجزائر في التاريخ، ج3، ص 503.

([4]) عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص 237.

1/ مدرسة أبي مدين بالعبّاد :

قام بتشييدها السلطان أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني عندما إستولى على تلمسان سنة 737هـ/1337م بقرية العبّاد[1]، فوق ربوة مطلّة على تلمسان إلى جانب روضة أبي مدين الغوث سنة 747هـ/1347م أي بعد إنشائه للمسجد بثماني سنوات، وقد أشار إلى ذلك إبن مرزوق بقوله: «...و بالعبّاد ظاهر تلمسان وحذاء الجامع...أنشأ مدرسة وبالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب إختلاف البلدان...» [2].

وقد سميت هذه المدرسة أيضا باسم المدرسة الخلدونية، حيث أطلقت عليها هذه التسمية في وقت متأخر، ربّما بسبب ما أنجبته من فطاحل العلماء كعبد الرحمن بن خلدون الذي درس بين جدرانها. وقد ظلت هذه المدرسة قائمة تصارع عوادي الزمن بالرّغم من أنّ كثيرًا من زينتها وزخرفتها الأصلية قد إندثرت بفعل الترميم و الإصلاحات التي أدخلت عليها على مرّ العصور فأفقدتها كثيرًا من أصالتها[3].

وتعدّ هذه المدرسة أجمل مدرسة عرفت بالمغرب الأوسط[4]، تمتاز بزخرفتها وفنّها المعماري ذي الأقواس المنكسرة و الآجر المدهون باللّون الأخضر، و يوجد في فنائها صهريج مزخرف و فيه صحن دائري من الرّخام مخصّص للشرب و الوضوء شيّد أمام قاعة كبيرة للمحاضرات و إلقاء الدروس[5]، و هي تضم طابقين : الطابق السفلي يحتوي على عشر حجرات و الطابق العلوي يتضمن ثماني حجرات، كانت مخصصة لطلاّب العلم الدّاخليين (الغرباء والفقراء)، كما كانت

([1]) العبّاد قرية عتيقة تقع في الجنوب الشرقي من تلمسان، و هي كثيرة الازدهار، وافرة السّكان و الضياع...بها دفن ولي كبير ذو صيت شهير، و هناك مدرسة جميلة جدًّا...أسّسها بعض ملوك فاس من بني مرين، ينظر: الحسن الوزّان ،المصدر السابق، ج2، ص 24.

([2]) عن مجموعة منشآت أبي الحسن بالعبّاد، ينظر: ابن مرزوق، المسند، ص 401 وما بعدها؛ عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص ص 233- 235.

([3])عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص 317، 318.

([4]) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 65.

([5])عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 143.

توجد بالمدرسة حجرات أخرى عند المدخل يتضح أنّها كانت مخصصة لتخزين المواد الغذائية وأدوات التنظيف وتحضير الطعام[1].

2/ مدرسة سيدي الحلوي :

أسست هذه المدرسة من قبل السلطان المريني أبو عنان فارس بعد خمس سنوات من بناء أبي الحسن لمدرسة العبّاد، و الذي لم يكن أقل من والده في مجال البناء والتعمير حيث حذا حذوه بعد استيلائه على تلمسان سنة 754هـ/1454م فإختار لها موقعا منحدرًا يشغله حي سكني، بالقرب من ضريح الولي الصالح أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي الملقب بالحلوي[2]، الذي يقع شمال المدينة، حيث يوجد المسجد.

وبهذا الحي شيد أبو عنان مجموعة مبان تخليدًا لذكرى العالم الجليل سيدي الحلوي وتتكوّن هذه المجموعة من مسجد و مدرسة و زاوية و ضريح[3].

وكانت الزاوية و المدرسة قائمتين حتى أوائل القرن 10هـ/16م فقد ذكرهما إبن مريم في ترجمته للفقيهين سيدي أحمد بن عيسى الورنيدي المعروف بأبركان، و أحمد بن الحسن الغماري (ت 894هـ/1489م) [4] لكنّ هذه المدرسة لم تنل شهرة كبيرة، مقارنة بالمدارس الأخرى[5].

4- مشاركة علماء تلمسان في المجالس العلمية السلطانية لبني مرين:

سبق و أن أشرنا إلى المجهودات التي بذلها سلاطين بني مرين لتفعيل الحركة العلمية والفكرية، ومنها اشرافهم المباشر على استقطاب كبار العلماء من مختلف الأقطار ،و ضمهم إلى مجالسهم، ومن بين هؤلاء علماء الدولة الزيانية الذين كان لهم حضورا بارزا في المجالس العلمية

([1])نفسه، ص 143.

([2]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 127- 128؛ إبن مريم، المصدر السابق ، ص ص 68-70 ؛عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص ص 232- 235.

([3]) Marçais (G) , L'architecture, p, 278 .

([4]) إبن مريم، المصدر السابق، ص 25.

([5]) يحي بن خلدون، المصدر السابق ، ج1، ص 127، 128.

و أيضا: Dhina (A) , Royaume Abdelouadide, p 38.

السلطانية لسلاطين بني مرين ،فكان حضورهم هذا مظهرا من أهم مظاهر التواصل و الترابط الثقافي بين الزيانيين و المرينيين ،و من أبرز العلماء الذين حضروا تلك المجالس العلمية السلطانية نذكر:

أ- **مجلس السلطان أبي يعقوب يوسف بن عبد الحق**: الملقب بالناصر ،و الذي تردد عليه علماء كثر ،و من بينهم العلامة الامام أبي اسحاق التنسي ،الذي قدم إليه ي سفارة من السلطان يغمراسن بن زيان [1] فأكرمه و أحسن وفادته[2] و اجتهد في حضور مجلسه ،حيث قال عنه: "ما صافحني أحد قط إلا أحسست بارتعاش يده لهيبة السلطان إلا أبو اسحاق التنسي ،فعندما يصافحني تدركني منه مهابة ،فكانت يدي ترتعش من مهابته." [3]

ب- مجلس السلطان أبي الحسن المريني: ضم مجلسه من جهابذة الفكر و فطاحلة العلم مما لايحصى عددهم ،حيث قال عبد الرحمن في هذا الصدد: "...هذا ذكر من حضرنا من جملة السلطان أبي الحسن من أشياخنا و أصحابنا..." [4] و ابن مرزوق: "...و لنسرد الآن من حضرني من المشاهير الملازمين له...". [5]

و من علماء تلمسان الذين انتظموا في مجلس أبي الحسن العلمي نذكر:

- **ابني الامام**: أبو زيد عبد الرحمن و أبو موسى عيسى السالفي الذكر ،تقرب منهما السلطان أبو الحسن المريني بعد استلائه على تلمسان سنة 773هـ/1339م ،حتى صار لا يفارقهما ،و كان لأبي زيد عبد الرحمن مكانة خاصة عنده كما كانت لدى سلاطين بني زيان

([1]) ابن مزوق ،المناقب المرزوقية ،ص ص 278-293 ؛عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 330 .

([2]) ابن مزوق ،المناقب المرزوقية ،ص ص 278- 293 .

([3]) ابن مزوق ،المناقب المرزوقية ،ص ص 293 ؛ عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 330 ؛هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 231 .

([4]) عبد الرحمن ابن خلدون ،التعريف بابن خلدون ،ص 55 .

([5]) ابن مزوق ،المسند ،ص 261 .

،حيث حظي برئاسة العلماء في مجلسه ،و بعد وفاة هذا الأخير ازداد مقام أخيه أبو موسى عيسى عند السلطان أبي الحسن مكانة و رفعة حتى وفاته سنة 749هـ/1350م. [1]

- **أبو عبد الله الآبلي**: السالف الذكر استدعاه أبو الحسن إلى مجلسه بعد ما سم عنه وعن علمه من أبي موسى بن الامام ،و ضمه إلى مجلسه ،و كان يصحبه معه أين ما حل وارتحل. و بعد وفاة أبي الحسن قربه خليفته السلطان أبي عنان فارس منه . [2]
- **أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن النجار التلمساني**: التحق ببلاط أبي الحسن عند استيلائه على تلمسان ،و ظل ملازما له حتى وفاته سنة 749هـ/1350م. [3]
- **أبو عبد الله محمد بن عبد النور الندرومي**: ضمه أبو الحسن المريني إلى مجلسه بايعاز من ابني الامام الذين تفقه عليهما ،ظل ملازما لمجلس هذا السلطان إلى و فاته 749هـ/1350م.[4]
- **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق الخطيب**: خصه السلطان أبو الحسن بنفسه و جعله محل سره و امام جماعته و خطيب منبره و أمين رسالته. [5]

([1]) يحي بن خلدون ،المصدر السابق ،ج1 ،ص 130 ؛التنبكتي ،نيل الابتهاج ،ج1 ،ص ص 139-142 ؛ابن مريم ، المصدر السابق ،ص 123،124 ؛المقري ،نفح الطيب ،ج7 ،ص ص 142-147 ؛عبد الرحمن بن خلدون ،التعريف بابن خلدون ،ص ص 42-47 ؛عبد الحميد حاجيات ،أبو حمو موسى ،ص ص 44-46 ؛عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق، ج2 ،ص ص 152-156 ؛محمد بن عمرو الطمار ،تاريخ الأدب العربي ، ،ص ص 109-111 .

([2]) ابن مريم ،المصدر السابق ،ص 215 .

([3]) المقري ،نفح الطيب ،ج7 ،ص ص 160-132 ؛ابن مريم ،المصدر السابق ،ص 154 .

([4]) يحي بن خلدون ،المصدر السابق ،ج1 ،ص 121،122 ؛التنبكتي ،نيل الابتهاج ،ج2 ،ص 240 ؛المقري ،نفح الطيب، ج5، ص 235،236 ؛عبد الرحمن بن خلدون ،التعريف بابن خلدون ،ص 45 .

([5]) ابن مزوق ،المسند ،ص ص 22-47 ؛يحي ابن خلدون ،المصدر السابق ،ص 155 ؛عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ، ج7 ،ص ص 242-248 ؛ابن مريم ،البستان ،ص ص 184-190 ؛المقري ،نفح الطيب ،ج5 ،ص ص 390-418 ؛التنبكتي ،نيل الابتهاج ،ج1 ،ص ص 272-276 .

ج- مجلس السلطان أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن المريني: ضم مجلس هذا السلطان كبار العلماء ،و من بينهم عبد الرحمن بن خلدون و أستاذه محمد بن ابراهيم بن الحاج البلفيقي.[1]

د- مجلس السلطان أبي عنان فارس: يعد مجلسه من أعظم المجالس العلمية لما ضمه من كبار علماء ،و أنبغ أدباء ،و فطاحلة الشعراء من المغرب الأقصى و خارجه ،من أمثال أبي القاسم بن يوسف بن رضوان صاحب القلم الأعلى ،و أبي الفضل القاسم بن رضوان ،و أبي الحسن علي الخزاعي، و أبي الحسن علي بن أبي مدين شعيب العثماني ،و أبي الحسن علي بن محمد الصباغ العقيلي القاضي ،و محمد بن جزي الكلبي الكاتب الشهير مدون رحلة ابن بطوطة ،و أبي العباس أحمد بن عبد المنان ،و العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون[2] ،و الآبلي شيخ التعاليم[3] ،و أبي عبد الله محمد بن الصفار المراكشي شيخ القراءات بالمغرب[4] ،و ابن مزوق الخطيب[5] ،و أبو عبد عبد الله المقري ،و أبو الحسن علي بن أحمد بن الفحام،و أبي عبد الله الشريف.[6]

([1]) عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج7 ،686 .

([2]) ابن الحاج النميري ،فيض العباب ،ص 131 .

([3]) ابن القاضي جذوة الاقتباس ،ص 304 .

([4]) عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج7 ،ص 689 .

([5])ابن الحاج النميري ،فيض العباب ،ص 131 .

([6]) يحي بن خلدون ،المصدر السابق ،ج1 ،ص ص 120-122 ؛ابن الخطيب ،الاحاطة ،ج2 ،ص191 ؛المقري ،نفح الطيب ،ج5 ،ص 204 و ص 272 ،و أزهار الرياض ،ج5 ،ص 28،29 ؛التنبكتي ،كفاية المحتاج ،ج2 ،ص ص= =60- 62 ؛عبد الر حمن بن خلدون ،التعريف بابن خلدون ،ص 46،47 و ص 120 ؛ابن مريم ،البستان ،ص 144، وص 272 .

المبحث الثاني :الروابط الثقافية بين المغربين الأوسط و الأقصى خلال القرن 10هـ/16م:

1- العوامل المشتركة لتطور الحياة الثقافية في البلدين خلال القرن 10هـ/16م:

ظلت الروابط بين المغربين الأوسط و الأقصى قائمة طوال القرون السابقة للقرن 10هـ/16م، رغم وجود حواجز طبيعية و حدود فاصلة بين الاقليمين، و ذلك لتوفرهما على عناصر الوحدة المشتركة و المتمثلة في وحدة الدين و اللغة و العقيدة والمذهب، ثم خضوعهما لقرون طويلة لسلطة زمنية واحدة، كل هذه العناصر شكلت الأساس لوجود تواصل ثقافي بين البلدين، استمر منذ الفتح الاسلامي إلى العصر الحديث.

و بالرغم مما أحدثه استقرار الأتراك في الجزائر من خلافات سياسية وصلت في الكثير من الأحيان إلى حد المواجهة و الاصطدام بينهم و بين الحكام المغاربة، إلا أن ذلك لم يؤثر على العلاقات بين البلدين، و ظل التواصل الاجتماعي و الثقافي القائم بينهما لم ينقطع، و استمر السكان و بينهم كثير من المثقفين يتنقلون بين المنطقتين مستفيدين مما تحقق في عهد هؤلاء وأولئك من استقرار سياسي رقم تحقيقه و إنجازه على يدهم من تقدم و تطور في المجال الفكري.

و لعل هذا التطور لم يحدث من عدم أو فراغ، بل كان امتدادا لما شهدته المنطقتان خلال القرون السابقة، من نمو و ازدهار ثقافي رغم التقلبات و العواصف التي اجتاحت الاقليمين خلال القرن 9هـ/ 15م، و ما نتج عن ذلك من تراجع وتدهور عام، لذلك فإن الرقي الذي وصلت إليه الثقافة الزيانية- المرينية لم يخب، إذ أن المنشآت الثقافية التي أقامتها سلاطين بني مرين و بني زيان و حتى التي أنشأها قبلهم المرابطون و الموحدون، ظلت ماثلة، و الحركة العلمية التي ظهرت في عهدهم لم تخمد رغم ما شابها من فتور خلال فترة الانحطاط، و لعل ذلك يعود إلى أن الزيانيين والمرينيين كانوا قد نهضوا بها نهضة واسعة و دفعوا بها دفعة قوية، مما جعلها تثبت و تصمد في وجه الاضطرابات التي توالت على االبلدين طيلة هذه المرحلة.

و لم يكن هذا الازدهار الثقافي الذي عرفته المنطقتان خلال القرن 10هـ/ 16م من صنع السلطات الرسمية فحسب، بل كان للفئات الاجتماعية على اختلافها مشاركة فعالة فيه، و ذلك لما بذلته من مجهودات كبيرة في المجال الثقافي والتعليمي، على اعتبار أن بني زيان و بني مرين و من بعدهم الأتراك و السعديون، بذلوا قصارى جهدهم لنشر التعليم و تعميمه عن طريق المؤسسات الثقافية المختلفة من كتاتيب و مساجد و مدارس أقاموها في مناطق عديدة من البلدين، النائية والحضرية، رغم أن السعديين و الأتراك ركزوا على المدن الكبرى مثل مراكش و فاس و تارودانت والجزائر و تلمسان و بجاية و غيرها، في حين ظلت باقي المراكز تفتقر إلى هذا النوع من المؤسسات، فكان بذلك لزاما على الفئات الاجتماعية خاصة منهم رجال الدين و العلماء، أن ينهضوا بالجانب التعليمي و الديني، و ذلك لسد الفراغ في كثير من هذه المناطق، عن طريق بناء الكتاتيب و المدارس و المساجد والزوايا التي أصبحت مراكز هامة للتربية و التعليم، و قد اجتمعت الكثير من العوامل التي ساهمت في تفعيل الحركة الفكرية بين الاقليمين أهمها:

أ- المؤثرات الثقافية:

و المتمثلة أساسا في وجود عناصر بشرية خارجية أثرت في المجتمع المغاربي عموما، و في حياته الثقافية و الفكرية في هذه المرحلة التاريخية، و منها:

- **العنصر الأندلسي**: ظل المغرب الاسلامي و لمدة ثمانية قرون مركز اجتذاب للعنصر الأندلسي، و عبر مراحل انتقلت مجموعات كبيرة من الأندلسيين من عدد من المدن الأندلسية مثل غرناطة وبلنسية و أرغون و قطلونيا[1] إلى حواضر بلاد المغرب، و قد ازداد عدد الوافدين الأندلسيين مع الهجرة التي حصلت خلال القرن 9هـ/ 15م[2] نتيجة اضطهاد المسلمين خاصة بعد سقوط غرناطة سنة 1429هـ.

---

[1]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص55؛ Haedo F.D de: Topographie et histoire générale d'alger, revue africaine, année 1870- 1871, p495.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر ، ج4، ص 204، 205.

و قد استوطن هؤلاء مدن الجزائر و المغرب كتلمسان[1] و الجزائر و شرشال والرباط و سلا، و تطوان، و غيرها من المدن الساحلية و الهامة.

و قد استفاد المغاربة عموما من التجربة الأندلسية في الحياة الحضرية[2]، ذلك أنه كان من المهاجرين علماء و قضاة و كتاب و شعراء و أدباء و فقهاء و أطباء وحرفيين[3]، لا بل ظهر لكثيرين منهم تميز في عدة مجالات، و برز منهم في المجالين السياسي و الاداري، فكان لبعضهم حظوة لدى الحكام الاقليميين إذ اشتغلوا ككتاب و حجاب أو أصحاب مشورة[4]، كما كان منهم مشاركة في المجال العسكري، حيث انخرط عدد منهم في الجيش، لا بل اعتلى بعضهم مراكز قيادية فيه[5] خاصة خلال القرن 16م، إذ كون السعديون و الأتراك من هذه العناصر فرقا خاصة في جيشهم لما أبرزوه من تمرس على القتال في حروبهم بالأندلس، و عزيمة في الجهاد و الدفاع عن الاسلام[6].

---

[1]- حنفي هلايلي، الموريسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16- 17م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة وهران، 1999/ 2000، ص 119، 120.

[2]- روجي لي تورنو، فاس قبل الحماية، ج1، ترجمة محمد حجي و الأخضر محمد، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1996، ص76؛ أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، طبعة الجزائر، 1931، ص26؛ Berque (A): l'algérie, terre d'art et d'histoire, alger, 1937, p225.

[3]- ترددت أسماء كثيرين من هؤلاء الوافدين الأندلسيين ممن اشتهر ذكرهم في المغربين الأوسط و الأقصى كعلماء و أدباء في عدد من كتب التراجم، عنهم ينظر، ابن عسكر، دوحة الناشر؛ محمد العربي الفاسي؛ مرآة المحاسن، ابن مريم، البستان، وغيرها.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر ، ج7، ص93.

[5]- ضم كل من الجيش المغربي و التركي في الجزائر فرقا من الأندلسيين و كان على رأسها قواد منهم أبلت بلاء حسنا في مشاريعهم العسكرية، ينظر، أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر ، ص33؛ الفشتالي، مناهل الصفا، ص 41، 45، 203 ؛اليفرني، نزهة الحادي ، ص192.

[6]- كان لوجود الأندلسيين بالمغرب الاسلامي تأثير كبير على حركات الجهاد التي عمته أواخر القرن 15م، و خلال القرن الثاني غداة توالي الهجمات الاسبانية و البرتغالية على سواحله، سيما و أن حكامه من المغربين الأوسط و الأقصى أعلنوا عن=

أما في المجال العلمي فقد كانت مساهمتهم قوية لما حملوه معهم من تراث أندلسي متميز في مختلف أنواع المعرفة و العلوم[1]، مما ساهم في اغناء الخزائن العلمية[2] و اثراء الحياة الأدبية و العلمية، من خلال مشاركة عدد منهم في مجال التأليف، و التدريس[3]، حيث كان منهم كتاب و علماء وأساتذة مبرزون في مجالات علمية مختلفة، و قد اشتهر من الأندلسيين، موسيقيون مهرة كان لهم الفضل في نشر الموسيقى الأندلسية في الاقليمين[4].

كما ساهم بعض العلماء الأندلسيين بفضل اتقانهم لبعض اللغات الأجنبية كالاسبانية والبرتغالية والإيطالية والفرنسية[5]، في ترجمة عدد من المؤلفات العلمية في الطب و الهندسة والصيدلة والفلك والفنون الحربية إلى اللغة العربية، مما ساهم في تفعيل الحركة العلمية التي شهدتها المنطقتان خلال القرن 16م، و القرون التي تلته.

=عزمهم على استرداد الأندلس "فردوس الاسلام المفقود"، ينظر: عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص279، ؛الزهراء النظام، المرجع السابق، ص474.

[1]- محمد حجي، الحركة الفكرية ، ص66؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص173.

[2]- ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني ، ص58؛ أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص26.

[3]- ابن القاضي، المنتقى المقصور ، ج2، ص 791، 792؛ محمد عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور ، ص221؛ G.Selle, (G) Marçais, (G) Yver: Histoire d'algerie, paris, 1929, pp 158-161.

[4]- محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 171، 172؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص67؛ عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر منذ العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، طبعة تونس، 1955، ص416.

[5]- كان من بين الوافدين الأندلسيين على بلاد المغرب خلال القرن 15م عدد من اليهود الذين برزوا في معرفتهم باللغات الأجنبية، لذلك اشتغل العديد منهم كمترجمين، و قام بعضهم بمهام دبلوماسية لفائدة حكام المنطقتين، ينظر: Haedo, topographie, pp 90- 93- 95, Chantal de lo Véronne: relation entre oran et tlemcen dans la première partie du 16ème siècle, paris, 1981, pp 15- 16- 51- 54- 90- 93.

● **العنصر التركي**: عرفت الجزائر خلال الفترة الحديثة هجرات مكثفة للأتراك الذين أصبحوا يكونون إلى جانب الطبقة الحاكمة نسبة مهمة من سكان البلاد[1].

و قد كانت وجهتهم مدينة الجزائر التي كانت تتميز خلال القرن 16م بمكانة مرموقة في البحر المتوسط، لما تتوفر عليه من أسباب الثروة و الرخاء لذلك توافدت عليها أجناس مختلفة راغبة في الحصول على الجاه و المال و الوظائف، و منهم الأتراك[2] الذين كان أغلبهم من الجنود والمتطوعة الذين اجتذبهم غنى الجزائر والغنائم الكثيرة التي كانوا يحصلون عليها من خلال القرصنة[3].

و قد كانت مدينة الجزائر قبلة فئة كبيرة من المثقفين و الفقهاء و العلماء والقضاة والمتصوفين[4]، و كان منهم المبعوثون في مهام دينية أو سياسية، حيث كثيرا ما كانت حكومة الباب العالي تكلف بعضهم بنشر المذهب الحنفي في بلاد المغرب عموما و الجزائر خاصة، و منهم من كان يأتي من أجل الدعاية للسلطة العثمانية، و فيهم من كان يكلف بمهام خاصة في المنطقتين[5].

المنطقتين[5].

---

[1]- و منهم الكراغلة هؤلاء الذين نتجوا عن تزاوج الجزائريات من الأتراك، و كان أغلبهم يوجد في المدن الكبرى كتلمسان والجزائر و المدية، و مع الوقت اندمجت هذه الفئة مع الجزائريين الأصليين (بربر و عرب) و أصبحت تشكل شريحة اجتماعية واحدة، ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص145.

[2]- كان هؤلاء إما أتراكا بالأصل أو أتراكا بالمهنة، و يقصد بهم العناصر المسيحية (و منهم العلوج أو الصقالبة الذين انخرطوا في صفوف الجيش أو البحرية التركية، و كانت ترسل إلى الجزائر في مهام سياسية أو عسكرية، عنهم ينظر، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص ص 180- 184؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص475، الهامش 13.

[3]- Haedo: topographie, p496.

[4]- من أبرز العائلات العلمية التي وردت على الجزائر من استنبول عائلة ابن المفتي و عائلة العنابي التي استقرت ف مدينة عنابة، و منها أخذت اسمها و انتقلت بعدها إلى مدينة الجزائر، و قد تقلد أفراد هاتين العائلتين وظائف دينية كالافتاء و القضاء في الجزائر، ينظر، أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج3، ص ص 195- 208؛

Berque (A): l'algérie, terre d'art et d'histoire, p224.

[5]- كان البعض من هؤلاء العلماء الوافدين على الجزائر يكلفون بمهام دبلوماسية في المغرب، لذلك كانوا يمرون عبر الجزائر قبل قبل وصولهم إلى المغرب وفق ما تقتضيه الاجراءات الدبلوماسية، ينظر أبو القاسم سعد الله، أبحاث و أراء، ج3، ص ص 195- 208؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص476، هامش16.

و قد كان هؤلاء العلماء يغتنمون فرص وجودهم في الجزائر أو في المغرب للتدريس و نشر العلم و الإدلاء بآرائهم في بعض القضايا العلمية التي كانت تطرح، و بذلك فقد كان هؤلاء يساهمون في تفعيل الحياة الفكرية في المنطقتين[1] و حتى الاجتماعية نتيجة انتقال الكثير من تقاليدهم و عاداتهم إلى الجزائر و المغرب نتيجة الاحتكاك بسكان الاقليمين[2]، هذا علاوة على انتشار اللغة التركية في الجزائر نتيجة استعمالها في المؤسسات الادارية و العسكرية[3]، و عبر الجزائر انتقلت كثير من المصطلحات التركية إلى المغرب و أدخلت بعضها في اللهجة الدارجة المغربية[4].

أما عن التأثيرات التركية في المغرب فقد تعددت مظاهرها، و أكثر ما تجلت في المجال العسكري، حيث اقتبس حكام المغرب النظم المتبعة عند الانكشارية، خاصة ما يتعلق بالألقاب والرتب، أما ما يتعلق بوضعية الأتراك داخل المجتمع المغربي، فقد كان لهم في مدينة مراكش العاصمة حي خاص، خصوصية عاداتهم وتقاليدهم و لغتهم، لكن بمرور الأيام تفاعلوا مع السكان تدريجيا لوجود عامل الدين الاسلامي الذي يجمع بينهم، فأخذ عنهم المغاربة نظما وعادات في الأكل و الشرب و اللبس، و في البناء و العمران[5].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث و أراء ، ج3، ص ص 195- 208.

[2]- انتقلت إلى الاقليمين العديد من العادات و التقاليد التركية المتعلقة باللباس و الأفراح و الأكل والمعاملات و التسميات، و كذا في ميدان البناء و العمران، ينظر: عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص278، أبو القاسم سعد الله، أبحاث و أراء ، ص 195-208.

[3]- استعمل اللغة التركية إلى جانب الأتراك، العلوج و سكان مدينة الجزائر، و حتى الأسرى المسيحيين الذين تعلموها بفعل احتكاكهم مع الأتراك، كما كان الأطفال يتعلمونها إلى جانب العربية في المدارس.

Haedo: topographie, pp 62- 63.

[4]- الزهراء النظام، المرجع السابق، ص 476،477.

[5]- لا تزال حتى اليوم بعض المناطق بمراكش تحمل أسماء تركية مثل (حي الدباش) نسبة إلى القائد الدباشي التركي أحد قادة المنصور، ينظر، Deverdum: Marrakech…, p267 ؛ عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص278.

● **العنصر الأوروبي**: كان للقرب الجغرافي بين بلاد المغرب و أوروبا دورا في توافد أجناس أوروبية مختلفة من اسبان و برتغاليين و انجليز و فرنسيين و بوسنيين وغيرهم[1]، و قد سكنت هذه العناصر مدن الجزائر و المغرب كفاس و مراكش والجزائر و تلمسان، و كان منهم تجار و بحارة و رحالة ومبعوثون يفدون إلى المنطقتين في مهام سياسية أو دينية أو علمية.

و كثير منهم كانوا يجلبون إلى البلدين كأسرى و فيهم من كان يفد إليهما للانخراط في سلك الجندية، و قد اعتنق كثير منهم الاسلام رغبة في الحصول على مناصب ادارية أو عسكرية، كما اشتغل عدد كبير منهم قراصنة، ونالوا شهرة كبيرة في حوض المتوسط[2].

و كثيرا ما كانت هذه الطوائف تحمل معها إلى الاقليمين كثيرا من مدنيتهم وعاداتهم وتقاليدهم المتعلقة بالاحتفالات العامة و الخاصة و في المأكل و الملبس، مما جعل حضارة المنطقتين مزيجا بين الحضارتين الأوروبية و العربية الاسلامية[3].

و لولا ظروف الاحتلال الاسباني البرتغالي لسواحل المغرب، و ما ترتب عنه من قتال وحذر مستمر لكانت الصلات بينهما اكتست أهمية كبرى[4].

و رغم ذلك فقد أخذت الثقافة حظها في هذا الاتصال و لو في نطاق محدود، حيث تمكن علماء المنطقتين من خلال احتكاكهم بالعلماء الأوروبيين من الاستفادة من خبراتهم التعليمية، و فيما وضعوه من كتب و مؤلفات تناولت مواضع علمية مختلفة كالطب و الصيدلة والهندسة[5]، كما ساهم هذا الاحتكاك في انتشار استعمال بعض اللغات الأوروبية كالاسبانية

---

[1]- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص213، الزهراء لنظام، المرجع السابق، ص477.

[2]- الزهراء النظام، المرجع السابق، ص477.

[3]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص213؛ عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص281،

Haedo: topographie, p p 52- 60- 94.

[4]- محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج1، ص71.

[5]- محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج1، ص71؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص477.

والبرتغالية في المدن الكبرى مثل فاس و مراكش و الجزائر و تلمسان[1]، كما نتج عن هذا التمازج ظهور لغة خاصة في الجزائر خلال هذا العهد تدعى "الافرنجية" و هي خليط من اللغتين الاسبانية والايطالية و من بعض الكلمات البرتغالية[2].

كما درس الأوروبيون اللغة العربية[3] و اقتنوا من الكتب العلمية و الأدبية ما أغنى مكتباتهم الخاصة و العامة، كما تعرف فريق آخر من الأدباء الأوروبيين على بلاد المغرب عموما عن طريق ما كتبه عنها أو تحدث به إليهم مواطنوهم من التجار و البحارة و غيرهم، فاتخذوا من أحداث بلاد المغرب و شخصياته المعاصرة موضوعات لكتاباتهم القصصية و المسرحية[4].

---

[1]- شاع استعمال اللغتين الاسبانية و البرتغالية إلى جانب اللغة العربية في بعض المدن التي استقر بها الوافدون الأوروبيون أو القريبة من مراكز الاحتلال، و يشير هايدو إلى أن سكان مدينة الجزائر كانوا يتكلمون اللغة التركية إلى جانب العربية، ينظر: Haedo: op.cit ; p p 93- 94.

[2]- انتقلت اللغة البرتغالية إلى الجزائر مع الأسرى البرتغاليين الذين نقلوا من تطوان و فاس، بعد معركة وادي المخازن ، ينظر: Haedo: op.cit, p94.

[3]- من الأوروبيين الذين استعربوا في المغرب: الفرنسي Arnould de liste، الذي استقر بالمغرب بين 1588-1599م، و تعلم اللغة العربية إلى درجة أنه أصبح أستاذا للغة العربية في باريس، ثم الفرنسي Etienne humbert، الذي وصل إلى المغرب سنة 1598 و تعلم اللغة العربية و أتقنها، و لما عاد إلى فرنسا حمل معه كثيرا من المخطوطات العربية الهامة، كما أصبح أستاذا للغة العربية بكلية الطب بباريس، ينظر: عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص281 ؛محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص 72، 73؛ Deverdum, Marrakech, p p 342- 343, Terrasse(H): Histoire du maroc, T2, edit Atlantides, casablanca 1951, p227.

[4]- من الروائيين و الأدباء الأوروبيين الذين اهتموا بأحداث المغرب و كتبوا عنها: جورج بيل الذي كتب مسرحية في لندن عام 1002هـ/ 1594م، عن وادي المخازن، و ويليام شكسبير أشهر الشعراء المسرحيين للانجليز الذي أشار لأحداث المغرب في كثير من آثاره الأدبية على أنه تناول أبرز الشخصيات المغربية منها: اليهودي هارون الذي يمثل دورا مهما في مأساة تيتوس أندرونيكوس التي كتبها شكسبير عام 997هـ/ 1589م، و شخصية أحمد المنصور في مسرحية تاجر البندقية و الذي خصته بالشهامة و النخوة، أما الشخصية الثالثة فهي عطيل الذي حملت اسمه مسرحية شكسبير سنة 1013هـ/ 1604م، وهو قائد مغربي نبيل ينحدر من أسرة حربية عريقة من برابرة الأطلس، دخل في صراع مع أعدائه، ينظر: محمد حجي ،الحركة الفكرية ، ج1، ص ص 74- 77.

● **العنصر السوداني**: لا شك أن اتصال بلاد المغرب بالمسالك السودانية يعود إلى العهود الأولى للاسلام، حيث ساهم انتشار الاسلام في تلك المسالك في مد الجسور بينها و بين دول المغرب الاسلامي، و على أساس هذا الترابط الديني نسجت علاقات اجتماعية و ثقافية بينهما[1].

و قد لعبت بعض الحواضر الصحراوية الواقعة جنوب المغرب و الجزائر، كتوات وتيكورارين و تقرت و تمبوكتو دورا هاما في تحقيق التواصل بين دول شمال الصحراء وجنوبها و غربها، إذ كانت هذه المراكز محطات للتجار و العلماء الذين كانوا يترددون على حواضر المغرب و الجزائر[2]، وعبرها انتقلت عناصر الثقافة السودانية إلى أقاليم البلدين[3] بما في ذلك عادات السودانيين في مجالي الرقص والموسيقى[4].

و بعدما سيطر السعديون على منطقة السودان الغربي، و امتد سلطان الأتراك و نفوذهم إلى الأقاليم الجنوبية، توطدت الصلات الثقافية و تعمقت بين المغرب والجزائر و تلك الأقاليم، وفتحت مدن فاس و تلمسان و مراكش و تارودانت أبوابها نحو الثقافة السودانية، إذ أصبحت مقصدا لعدد من فقهاء و علماء السودان ومتصوفتها، الذين كانوا يترددون عليها للأخذ من

---

[1]- محمد الطيب ابن جيدة، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق محمود فرج، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977، ص ص 15- 99؛ أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين و بني مرين، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص ص 263- 271.

[2]- عن هذه الحواضر و دورها في توطيد العلاقات التجارية و الثقافية ينظر: مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص ص 237- 333.

[3]- عرفت الجزائر و المغرب وجود عشرات الآلاف من السودانيين و الذين أحدثوا نوعا من التغيير في المجتمعات المغاربية، حيث أن الرقيق الأسود كان موجودا منذ القدم، و كان أغلبهم يعملون في القصور والحقول و الجيش، و منهم الجواري اللائي كن يسخرن للخدمة في المنازل، و قد كان هؤلاء العبيد مرغوبا فيهم لاتقانهم للأعمال المنزلية في الحقول و الجيش، وكانت أثمانهم مرتفعة، و يخضع سعر العبد إلى عمره و حالته الصحية و قوته البدنية، و حدقه بالمهن و الصناعة، ينظر: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 184، 185؛ عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص281، الفشتالي، مناهل الصفا، ص197.

[4]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص146؛ محمد الطيب ابن جيدة، المصدر السابق، ص ص 107- 113، ؛الزهراء النظام، المرجع السابق، ص478.

علمائها و الاستزادة و التحصيل أو التدريس بمساجدها و مدارسها، لا بل أصبحوا يناظرون ويجادلون علماءها وازدحم الطلبة على دروسهم في مختلف العلوم، على أن كثيرا من علماء المغرب والجزائر قصدوا هذه الممالك السودانية و استوطنها البعض نهائيا[1].

و قد ترك عدد من هؤلاء العلماء بصماتهم في الحياة الفكرية في المنطقتين وبرز منهم أسماء لبعض الأعلام السودانيين[2] ممن وردت أعمالهم ضمن كتب الفهارس و التراجم التي ألفها الجزائريون و المغاربة[3] و لعل أبرز مثال عن هؤلاء العالم الفقيه أحمد بابا التنبكتي السوداني الذي لمع اسمه في المغرب خلال العصر السعدي و أخذ عنه كثير من طلبة المغرب و علمائه[4].

ب- انتشار المراكز الثقافية:

تميزت هذه الفترة بظهور عدد كبير من المراكز الثقافية في المغرب و الجزائر، حيث اهتم كل من السعديين و الأتراك في الجزائر بالنهوض بالحركة الثقافية و بعثها من خلال انشائهم لعدد من

---

[1]- ابن جيدة، المصدر السابق، ص 15، 89، 93، 107؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، ص 71،70؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص478.

[2]- من الأعلام السودانيين الذين كانوا يترددون على حواضر بلاد المغرب العالم و الفقيه أحمد بابا التنبكتي الذي حمل أسيرا من طرف المنصور إلى مراكش، حيث استفاد من علمه عدد من علماء المغرب والجزائر، و القاضي سالم العضوني الذي شاع ذكره ببعض من هذه المدن، ينظر: ابن مريم، البستان ، ص 254، 255، ابن جيدة، المصدر السابق، ص ص 99-114؛ ابن عسكر، دوحة الناشر ، ج1، ص271؛ محمد الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص171.

[3]- منها كتب: القادري، نشر المثاني، الكتاني، سلوة الأنفاس، ابن عسكر، دوحة الناشر، ابن مريم، البستان، الخفناوي، تعريف الخلف، و غيرها.

[4]- ترجم لأحمد بابا التنبكتي في القسم الأخير من كتابه كفاية المحتاج، المقري، روضةالآس، ص ص 303- 315 ؛التمنراتي، الفوائد الجمة ، ص 45، 46؛ الحضيكي، الطبقات، ج1، ص 43، 44؛ محمد مخلوف، شجرة النور،= =ص298، ص1157؛ الزركلي، الأعلام، ج1، ص98؛ ليفي بروفنسال، تاريخ الشرفا ، ص ص 255- 290؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص383.

المراكز الثقافية و احياء لأخرى قديمة بما تم تجديده واستجداثه من منشآت دينية و تعليمية[1]، ولعل أهم الحواضر الثقافية و المراكز الفكرية التي برزت خلال هذا العهد نذكر:

- **تلمسان:** رغم انتقال مركز السلطة في العهد التركي إلى مدينة الجزائر إلا أن ذلك لم يؤثر على دور تلمسان الثقافي و الحضاري، و استمرت المدينة بفضل ارثها العمراني و الحضاري من مدارس و مساجد و معاهد أنشيء معظمها خلال العهد الزياني و المريني[2] تقوم بدورها العلمي.

و على الرغم من أن تلمسان عاشت عهدها الذهبي خلال حكم بني زيان، إلا أنها احتفظت خلال القرن 10هـ/ 16م بكل مقومات التقدم و الرقي الحضاري، و قد شهد الوزان بأهميتها الثقافية عندما زارها مطلع القرن 10هـ/ 16م، و ذكر بأنها كانت تتوفر على مساجد عديدة جميلة[3]، و على خمس مدارس شيدها ملوك تلمسان و فاس، و أن هذه المدارس كانت تعج بالطلبة و الأساتذة المتخصصين في علوم شتى[4].

---

[1]- تجاوز عدد المساجد و الجوامع التي بناها الأتراك في الجزائر أواخر القرن 16م أكثر من مائة جامع ومسجد، ينظر: عبد الجليل التميمي: "من أجل كتابه تاريخ الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، المجلة التاريخية المغاربية، العدد19- 20، أكتوبر1980، تونس، صص 155- 169، Berque (A): l'Algérie, terre d'art et d'histoire, alger, 1937, p226, devreulx (A): les éditifices religieux de l'ancien alger, Revue Africaine, année, 1862, p371.

[2]- عن هذه المؤسسات التعليمية و الثقافية و دورها ينظر الفصل الأول من الباب الثاني، الخاص بالتاريخ الثقافي في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني.

[3]- بلغ عددها خلال العهد الزياني ما يقارب الستين مسجدا و جامعا، غير أنه لم يتبق منها خلال هذا العهد الذي يدرسه سوى عدد قليل، ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص252.

[4]- الحسن الوزان، وصف افريقيان ، ج2، ص 20، 21؛ أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص201؛ الطمار، تلمسان عبر العصور ، ص258.

كما احتفظ الجامع الأعظم بتلمسان بأهميته العلمية و الدينية، و ازدادت مكانته خاصة بعد توافد العديد من العلماء و الأدباء الأندلسيين الذين عمروه، فأصبح بذلك معهدا للتدريس لا يقل أهمية عن جامع الزيتونة بتونس و القرويين بفاس مطلع القرن 16م[1].

● **الجزائر**[2]: منذ أن تحولت الجزائر إلى إيالة عثمانية سنة 1518م، أصبحت مدينة الجزائر العاصمة الإدارية و السياسية للأتراك و انتقلت إليها كل مصادر القوة التي ميزت تلمسان خلال فترة حكم بني زيان و خلال العهد التركي عرفت المدينة أجمل أيامها فترافدت عليها أجناس مختلفة و امتزجت المدنيات، و اتسعت رقعة المدينة من الناحية العمرانية، و انتشرت المساجد في كل أرجائها، فأصبحت أعدادها تقدر في نهاية القرن 16م بالمئات ما بين كبيرة و صغيرة إلى جانب مساجدها القديمة، وانتقل إليها العلماء و الفقهاء، و كثر طلابها و تعددت الكتب التي كانت منتشرة بها[3]، وظل جامعها الكبير الذي بني على عهد المرابطين يؤدي دوره التعليمي و الديني[4].

● **بجاية:** ارتبط اسم هذه المدينة بدولة بني حماد باعتبارهم اتخذوها عاصمة لملكهم، فأصبحت على عهدهم من أهم حواضر شمال افريقيا، إذ كانت تضاهي في عظمتها القيروان و فاس، ثم انتقل حكمها إلى الموحدين و من بعدهم الحفصيين الذين ظلت بيدهم إلى أن انتزعها منهم الاسبان سنة 1510م، ليسترجعها منهم الباشا التركي صالح راس سنة 1555م، و رغم ما عانته بجاية بخضوعها للاحتلال الاسباني إلا أنها استطاعت أن تحافظ على بعض مقومات اشعاعها الثقافي الذي ميزها خلال القرون السابقة[5]، و قد ذكر الحسن الوزان الذي زارها مطلع

---

[1]- الطمار، تلمسان عبر العصور، ص221.

[2]- كانت المدينة من قبل خاضعة لقبيلة الثعالبة العربية التي كانت تحكم أيضا في سهل متيجة، و تعاقب على حكمها عدد من أفراد الثعالبة، و كان آخرهم سالم التومي، الذي تم خلعه من طرف عروج، ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص39.

[3]- التمكروتي، النفحة المسكية ، ص139.

[4]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص206؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص485.

[5]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص196.

القرن 10هـ/ 16م: "أن المدينة كان يوجد فيها جوامع كافية و مدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم بالإضافة إلى الزوايا..."[1].

- **وهران:** هي من أعظم مدن الجزائر، توافد عليها جمع كبير من المهاجرين الأندلسيين الذين استقروا بها مشكلين جالية مهمة، و قد اشتهرت المدينة بتعدد مساجدها و مدارسها و منشآتها العمومية، كما بقيت المدينة محافظة على مقوماتها الحضارية و الثقافية الاسلامية إلى مطلع القرن 16م، حيث سقطت بيد الاحتلال الاسباني سنة 1509م[2].
- **قسنطينة:** و تدعى أم المدن بالناحية الشرقية من الجزائر، انتزعها الأتراك من الحفصيين خلال القرن 16م، و جعلوها احدى مراكزهم الهامة في الشرق، و طلت على عهدهم تحتفظ بمكانتها الادارية و الثقافية و التجارية، و استمرت منشآتها الدينية تنشط بنفس المستوى الذي كانت عليه من قبل، كما ظل مسجدها الأعظم الذي شيد سنة 628هـ/ 1221م يؤدي دوره التعليمي والديني خلال القرن 10هـ/ 16م[3].
- **توات:** هي احدى أهم الأقاليم[4] في جنوب غرب الصحراء الجزائرية، و التي ظلت لفترات طويلة همزة وصل بين الشمال و الجنوب، و بين المغرب الأوسط و السودان الغربي باعتبرها الممر

---

[1]-الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص50؛ Carrot (Henri): Histoire générale de l'algérie, alger 1910, p349.

[2]- الحسن الوزان ، المصدر السابق، ج2، ص30، Fey Henri- léon: Histoire d'oran avant, pendant et après la domination espagnol, oran 1858, p51.

[3]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص231؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص485.

[4]- اقليم توات: يطلق على ثلاث مناطق، و هي أدرار (توات)، و تيميمون (قورارا أو تيقورارين)، و عين صالح (تيديكلت)، و تجتمع كلها تحت اسم اقليم توات، و قد تحدث ابن خلدون عن أهميته التجارية فقال: "وطن توات..بلد مستبحر في العمران و هو ركاب التجار إلى مالي"، ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون، العبر ، ج7، ص118، ابن جيدة، المصدر السابق، ص 1 ، 5، 84، 107.

الطبيعي لتجارة السودان الغربي و قوافل المغرب الاسلامي إليه، و لوقوع توات[1] في قلب الصحراء، فقد كانت أحيانا كثيرة ملجأ للفارين من النزاعات و الحروب، و لمن ضاقت بهم السبل من العلماء و الفقهاء[2]، و بذلك أصبح الاقليم مركز اشعاع علمي[3] و مزود لمنطقة السودان الغربي بالثقافة والحضارة العربية الاسلامية، ذلك أن التجار التواتيين كان لهم دور في تمكين الأفارقة الوثنيين من اعتناق الاسلام بعدما التمسوه فيهم من معاملة حسنة و أمانة طاهرة، لذلك فقد كان لحركة القوافل بين الاقليمين أثر كبير في التواصل الروحي بين توات و العديد من حواضر السودان الغربي كتومبوكتو، جيني، غاو، و غيرها، فقد أسهموا في بناء المساجد و المدارس و الزوايا والمعاهد العليا التي ساعدت على انتشار التعليم والثقافة العربية الاسلامية[4].

و قد اشتهر من رجالات توات خلال القرن 10هـ الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت940هـ/ 1533م)، الذي اشتغل بها قاضيا لفترة و اتخذ من منطقة توات منطلقا لحركته

---

[1]- خضع اقليم توات من قبل للموحدين و بعدهم المرينيون الذين كانوا يعينون عليه ممثلين من قبلهم لحكم هذا الاقليم، وكانت مهمتهم تتمثل إلى جانب إقامة السلطة المغربية في فرض الضرائب التي كانت تعد شكلا أو عربونا على التبعية والخضوع، و قد كانت توات أفضل طريق أمام المنصور الذهبي لبلوغ مملكة سنغاي، ينظر، ابن جيدة، المصدر السابق، ص26؛ الفشتالي، مناهل الصفا ، ص272.

[2]- من هؤلاء العلماء الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي دفعته الأوضاع السياسية المتردية في تلمسان إلى مغادرتها خاصة بعد اكتشاف سلطانها مؤامرة مدبرة من خصومه للإطاحة بملكه و اغتياله، و قد اتهم بذلك بعض العلماء و من بينهم الإمام أحمد بن يحي الونشريسي صاحب المعيار، الذي مكنه أصحابه من مغادرة تلمسان خفية، و نظرا للعلاقة التي تربط المغيلي بالونشريسي، خرج هو كذلك من تلمسان و اتجه نحو توات التي كانت ملجأ أمينا للمضطهدين. بن زيطة حميدة، دور علماء توات في ارساء العلاقات العلمية في الحواضر الاسلامية، الشيخ المغيلي نموذجا، بحوث الملتقى الوطني بأدرار، الفقه المالكي في بلاد توات اجتهادا و تدريسا، 23- 24 جوان 2010، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، ص151.

[3]- عندما دخل المغيلي توات و علم فيها و تعلم قال قولته المشهورة: "دخلنا توات فوجداناها دار علم وأكابر فانتفعنا منهم و انتفعوا منا". حاج أحمد صديق، التاريخ الثقافي لاقليم توات من القرن 11هـ إلى 14هـ، 17م إلى 20م، ص50.

[4]- مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص304؛ كريمي ماجدة، العلاقات بين المغرب و السودان في العصر المريني، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1987، 1988، ص ص 75- 79.

المضادة لليهود[1] التي امتدت آثارها إلى تلمسان و كادت تنفجر في مدينة فاس[2] بسبب معارضة فقهائها له، والذين اتهموه بأن طموحه الشخصي والسياسي أكثر من القضايا الشرعية، لذلك عقد لهم حلبة فكرية ناظر فيها معارضيه و طلابه، الذين أتى بهم من السودان لمناقشته في هذه القضية[3].

ومن أهم مدن توات: تمنطيط[4] و تقرت[5].

---

[1]- المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، ص 8، 9.

[2]- هزت الفتوى التي أوجبها المغيلي بخصوص هدم بيع اليهود في اقليم توات الأوساط العلمية و الفقهية نهاية القرن التاسع الهجري/ 15م في بلاد المغرب و الأندلس، فانقسم الفقهاء المعاصرون في تلمسان وفاس و توات إلى قسمين، قسم تصدى للفتوى و الاجراء و أنكر ذلك على المغيلي، و على رأسهم أبو عبد الله العضوني قاضي قصور توات، و قسم شجع المغيلي وأيده في فتواه، و تزعم هذا الاتجاه كل من محمد بن يوسف السنوسي، و أبو عبد الله الجليل التنسي (ت899هـ/ 1493م)، ينظر، المهدي البوعبدلي، أهم الأحداث الفكرية بتلمسان و المغرب عبر التاريخ، مجلة الأصالة، ع26، السنة الرابعة، جويلية، أوت 1975، ص128؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص413.

[3]- عبد القادر زبادية، التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي، بعض آثاره و أبحاثه في الجنوب الجزائري و بلاد السودان، مجلة الأصالة، ع26، جويلية، أوت 1975، ص212؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص414.

[4]- تمنطيط: قاعدة اقليم توات و مركزها التجاري و الثقافي و الديني، و مقرا لحركة علمية نشيطة، و قد اشتهر بها آل العضوني الذين اشتغلوا في القضاء، و أبرزهم، القاضي سالم بن محمد العضوني، و عمه عبد الله العضوني الذي عارض المغيلي في قضية اليهود، ابن جيدة، المصدر السابق، ص31؛ بن زيطة حميدة، المرجع السابق، ص152.

[5]- تقرت: قاعدة واحات الجنوب الشرقي في الجزائر، كانت مقرا للإباضية قبل أن تستقر بها أسرة بني جلاب المرينية خلال القرن 9هـ/ 15م، و التي شكلت بها إمارة ما لبثت أن اتسعت على حساب الإمارات المجاورة فغدت بذلك خلال القرنين 15، 16م مركزا تجاريا و دينيا و ثقافيا مهما، كما كانت مقرا لعدد من الصوفية و رجال العلم، و قد استمر حكم بني جلاب بتقرت إلى أن انتزعها منهم الأتراك على يد صالح رايس، حين دخلها مع ورقلة سنة 1552 و أخضعها لسلطتهم، ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص135؛ أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص182، Léon charless Féraud: Les Ben- Djellab, sultans de touggourt, revue africain, année 1879, 1880, p- p 49- 366.

● **فاس**[1]: بالرغم من تقلص دور مدينة فاس السياسي و الفكري، خلال القرن 10هـ/ 16م، إلا أنها حافظت على مكانتها و تميزها الثقافي الذي عرفته في العهد المريني، لاهتمام سلاطينها بالعلم و العلماء فأنشأوا لذلك العديد من المؤسسات التعليمية والثقافية و الدينية إلى جانب المؤسسات المدنية، من قصور و بيمارشنات و فنادق، لذلك شهدت فاس على عهدهم نهضة ثقافية واسعة لانتشار المدارس و المساجد والمعاهد في كل أرجائها، و قد حافظت هذه المؤسسات على بعض من اشعاعها الثقافي و الديني، و قد عد الوزان بفاس، مطلع القرن 16م، أكثر من 11 مدرسة، وأزيد من 700 جامع و مسجد[2].

و على الرغم من انتقال العاصمة إلى مراكش إلا أن فاس ظلت مصدر اهتمام من قبل السعديين الذين قاموا بتجديد جوامعها و مدارسها، و منها جامع القرويين، الذي اعتنى المنصور بتوسيع خزانته أواخر القرن 16م، و أضاف لها عدد من المرافق الاجتماعية[3].

● **مراكش**[4]: استعادت مراكش مجدها العلمي على عهد السعديين و الذي شهدته أيام المرابطين و الموحدين، بما جدد أو أنشيء فيها من معاهد و مساجد ساهمت في النهوض بالتعليم، لذلك أصبحت قبلة لعدد من الأساتذة و المثقفين من أقطار المغرب العربي و السودان و حتى من المشرق[5].

---

[1]- عن هذه المدينة و دورها الحضاري، ينظر، روجي لو تورنو، فاس قبل الحماية، ج1، و أيضا، فاس في عصر بني مرين لنفس المؤلف، ترجمة نقولا زيادة، سلسلة مراكز الحضارة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، 1967.

[2]- الحسن الوزان ، المصدر السابق، ج1، ص 179، 193، 218، 219.

[3]- روجي لو تورنو، المرجع السابق، ج2، ص654.

[4]- لم تحتفظ مراكش بأمجادها العلمية القديمة أيام المرابطين و الموحدين فتناقص العمران منذ هجرها المرينيون إلى الشمال وتوالى عليها الخراب و لم تعد إليها مواكب العلم إلا مع دخول طلائع السعديين في العقد الثالث من القرن 10هـ، ينظر: محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج2، ص375.

[5]- ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع، ص384.

فكثرت مدارسها و مساجدها، و عقدت بها المجالس العلمية في حضرة سلاطينها على اعتبار أنها كانت مقرا للمجلس العلمي الذي أنشيء في عهد المنصور[1] و الذي كانت تحضره شخصيات علمية مهمة و من مختلف الأقطار الاسلامية، و من الذين وردوا على مراكش في هذه الفترة، محمد هبة الله الوهراني البارز في علوم الشريعة و الأستاذ الخروبي الفقيه و الناقد الاجتماعي الليبي الأصل، كما لقي أحمد باب التنبكتي الكثير من التقدير لمعارفه الواسعة، فاجتمع من حوله الطلبة و العلماء على حد سواء، و غيرهم كثير[2].

● **تارودانت (اقليم سوس)**: العاصمة الثانية للسعديين بعد مراكش، و قد أنشأ محمد المهدي الشيخ بها مسجدا كبيرا لعب دورا فعالا في حقل التعليم و الاشعاع الفكري[3] كما اشتهرت هذه المدينة بمؤسساتها العلمية و الدينية و مدارسها، خاصة تلك التي أنشأها محمد الشيخ بالإضافة إلى المساجد الصغرى و الكتاتيب التي ساهمت في تفعيل الحركة العلمية في المنطقة[4] على أن الأحداث السياسية التي عاشتها المنطقة أيام انحطاط السعديين لم توقف ركب التقدم الفكري و لم تعق هذه المؤسسات الثقافية عن ممارسة نشاطها المعتاد[5]، و لعل الفضل يعود كليا إلى الأسر الشعبية التي تنافست في بث التعليم و الاشعاع الفكري، و نذكر منها: الأسرة الواحدية نسبة إلى عبد الواحد بن خميس و آيت عابس و الأسرة الأغضضية، و منها الفقيه عمر بن يعزى، و الطالبيون نسبة إلى طالب محمد بن ابراهيم، و المزواريون و هم من شرفاء جزولة، و منهم الفقيهان محمد عبد الملك، ومحمد إيكيك[6]. وفي العهد السعدي احتفظت تارودانت بنشاطها العلمي، حتى بعد

---

[1]- الزهراء النظام، المرجع السابق، ص480.

[2]- ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع، ص384.

[3]- ينظر، المبحث الخاص بالجوامع السعدية في الباب الثاني من هذه الدراسة.

[4]- الزهراء النظام، المرجع السابق، ص481.

[5]- ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص388.

[6]- محمد مختار السوسي، سوس العالمة، ص122، 125، 127

انتقال العاصمة إلى مراكش، واستقبلت عددا من العلماء القادمين من تلمسان كمحمد الوقاد الذي شغل منصب أستاذ وإمام وخطيب بالجامع الأعظم[1].

● **درعة:** لعبت منطقة درعة دورا كبيرا في نشر الحركة الثقافية في جنوب المغرب، واكتسبت المنطقة أهميتها كمركز علمي بعدما شهدت ولادة الدولة السعدية[2] و لأنها أنجبت خلال هذا العهد عددا من العلماء الذين ساهموا في تنشيط الحياة الثقافية ومنهم: أحمد البوسعيدي الدرعي[3] الملقب بأكحيل تلميذ أبي القاسم التفونتي الذي كان ضليعا في الفقه و النحو، و أحمد بن محمد الدرعي الملقب بأدفال[4] الذي تتلمذ على يد عبد الوهاب الزقاق و علي بن هارون و أحمد بن موسى الجزولي، و مفتي مراكش أبو عبد الله الحساني[5]، و مؤلف ديوان قبائل سوس محمد بن علي الجزولي الجزولي البكري[6] الذي كانت له رواية بتمكروت و غيرهم.

و من أهم مراكز درعة: زاوية تمكروت[7] التي أسسها في النصف الثاني من القرن 10هـ، الشيخ عمر بن أحمد الأنصاري التمكروتي، و التي كانت مركزا تعليميا و فكريا هاما اشتهرت بخزانتها العلمية الغنية[8].

---

[1]- ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع، ص389.

[2]- نفسه، ص390.

[3]- العباس بن ابراهيم، أعلام،ج2، ص38؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص166؛بروفنسال،الشرفا، ص98،99.

[4]- العباس بن ابراهيم، المصدر السابق، ص ص 91- 93؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص166؛ اليفرني، صفوة من انتشر، ص21، الحضيكي، الطبقات ، ج1، ص ص 41- 43؛ القادري، نثر المثاني، ج1، ص126.

[5]- العباس بن ابراهيم، أعلام ، ج4، ص171.

[6]- ابراهيم حركات، المرجع السابق، ص391.

[7]- عنها ينظر: محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص549.

[8]- الزهراء النظام، المرجع السابق، ص481.

● **تكمدارت**[1]: مهد الدولة السعدية، تقع جنوبي شرق مدينة زكورة، عرفت مطاع القرن 10هـ/ 16م، نشاطا علميا لا مثيل له، إذ كانت مركزا ثقافيا يمتاز بحيوية خاصة لما ضمته من شخصيات بارزة في عالم الفكر و السياسة و منهم: الصوفي المجاهد محمد بن عبد الرحمن الزيداني التكمدارتي جد الأسرة السعدية و الملقب بالقائم بأمر الله[2] (ت 923هـ/ 1517م)، و العالم المشارك عبد الله بن محمد العنابي الدرعي[3] (ت922هـ/ 1516م)، و الأديب عبد الرحمن بن عبد الله العنابي العنابي[4] (ت989هـ/ 1581م) و الذي كان أحد كتاب ديوان أحمد المنصور و محمد بن أحمد العثماني التكمدارتي[5] (ت حوالي 1020هـ/ 1611م) و غيرهم.

كما عرفت منطقة غمارة في شمال المغرب حركة علمية نشطة خاصة مع استقرار عدد من المهاجرين الأندلسيين بها، و قد أنجبت هذه المنطقة خلال هذا العصر عددا من رجال الفكر، من بينهم عدد من مؤلفي كتب النوازل[6].

---

[1]- عنها ينظر: محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص538.

[2]- عنه ينظر: ابن القاضي، المنتقى، المقدمة، و مواضع متفرقة؛ الفشتالي، مناهل ، ص 17و ما بعدها؛ اليفرني، نزهة الحادي ، ص ص 6- 19و صفوة من انتشر، ص ص 11- 19؛ الناصري، الاستقصاء ، ج5، ص ص 6- 14.

[3]- عنه ينظر: ابن عسكر، دوحة الناشر ، ص 91، 92؛ أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج،ج2، ص161؛ محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج2، ص539.

[4]- الفشتالي، مناهل الصفا ، ص129؛ المقري، روضةالآس، ص176؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص540.

[5]- محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج2، ص541.

[6]- برز منهم عبد العزيز بن الحسن ين المهدي الزياتي (ت1055هـ/ 1646م) مؤلف "الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من من النوازل بجبال غمارة" (م.خ.ع، الرباط، رقم ج66، د 270)، و علي بن ميمون حسني الغماري مؤلف "رسالة الاخوان"، الذي كان أحد المقدمين بالدراسات الصوفية و بالنقد الاجتماعي، ينظر: الزهراء النظام، المرجع السابق، ص482، هامش 42.

● **تطوان**[1]: عرفت هذه المدينة تقلبات سياسية عديدة أيام الأدارسة و الموحدين والمرينيين، ثم تعرضت للخراب نهاية القرن 8هـ من قبل الاسبان، و ظلت مهجورة إلى أن استوطنها الأندلسيون حيث خضعت إلى حركة تجديد و تعمير على يد أبي الحسن المنظري سنة 888هـ/ 1483م[2]، و بذلك استعادت المدينة مجدها تدريجيا بعدما أصبحت قبلة للمهاجرين الأندلسيين الذين كان من بينهم عدد من العلماء إلى جانب بعض العلماء الذين وفدوا إليها من المغرب الأوسط و الذين كان لهم تميز في مجال التدريس و الخطابة[3].

● **تادلة:** هي احدى الولايات السعدية الهامة التي تميزت بنشاطها العلمي و الديني والفقهي وازدادت أهميتها خلال القرن 10هـ/ 16م، لما أسند أحمد المنصور حكمها إلى ابنه زيدان الذي اتخذ من مدينة الصومعة قاعدة بلاد تادلا، و مقرا لملكه، بعد التقسيم الذي قام به سنة 992هـ/ 1584م[4]، و قد اشتهر من أبناء هذه المنطقة شخصيات علمية أبرزها: العالم الصوفي أحمد بن أبي القاسم التادلي الصومعي (ت1013هـ/ 1604م)[5]، الذي اتخذ من زاويته بالمدينة[6] مقرا

---

[1]- عنها ينظر: محمد داود، تاريخ تطوان، ج1، ص 106.

[2]- عنها ينظر: محمد داود، تاريخ تطوان، ج1، ص 107، 108.

[3]- ومنهم: محمد الرزيني الأندلسي (ت934هـ/ 1528م)، أبو القاسم بن سلطان القسنطيني (ت بعد 999هـ/ 1591م)، و أحمد بن يوسف الزياتي (ت1003هـ/ 1594م).

[4]- محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص504.

[5]- له تأليف عديدة بلغ عددها أزيد من ستين مؤلفا، ذكر محمد الطيب القادري عددا منها، و من بينها كتابه المسمى "المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى"، دفين تاغيه (ت572هـ/ 1177م) ينظر ترجمته في نشر المثاني، ج1، ص113، ؛ليفي بروفنسال، مؤرخو الشرفاء، ص167؛ المقري، روضة الاس، ص ص 300- 303، اليفرني، صفوة من انتشر، ص ص 22- 25؛ العباس بن ابراهيم، الأعلام، ج2، ص 72، 73.

[6]- ما تزال هذه الزاوية بساحتها و بيوتها قائمة بضاحية مدينة بني ملال و في وسطها ضريح الشيخ أحمد بن قاسم الصومعي، ينظر: محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج2، ص505.

للتأليف و التعليم، حيث كان يعلم الصبيان القرآن الكريم و يدرس للطلبة الكبار العلوم الشرعية واللغوية.

و عبد الرحمن بن اسماعيل التادلي الصومعي[1] (ت بعد 1010هـ/ 1601م) العالم الصوفي الذي اشتهر بكتابه "التشوف الصغير"[2] الذي يضم تراجم لمجموعة من أعلام الفكر بالمغرب الاسلامي، وقد اشتغل هو الآخر في التدريس والتأليف[3] والعالم المشارك و الصوفي الصالح محمد بن عبد الرحمن الزمراني الصومعي[4] شارح "سينية ابن باديس" و"همزية البويصري".

● **القصر الكبير**[5]: و يسمى أيضا، قصر كتامة و قصر عبد الكريم، و قد كانت هذه المدينة مركزا مركزا تجاريا هاما يقصده التجار المسلمون من فاس و القرى المجاورة لها، والتجار المسيحيون من سبتة وطنجة وسائر ثغور الشمال المحتلة، وقد ازدادت شهرة القصر الكبير بعد معركة وادي المخازن أو الملوك الثلاثة التي جرت بضواحيه، وقد برز من الكثير من علمائه و الذين كانوا يوزعون أيامهم بين التدريس و الجهاد، و من بين هؤلاء نذكر: الفقيه النوازلي المفتي أحمد بن ابراهيم الجرفطي[6] (ت953هـ/ 1546م)، و العالم المشارك عبد الرحمن بن محمد الخباز القصري[7]

---

[1]- عنه ينظر: ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ج1، ص257؛ محمد حجي، الزاوية الدلائية، ص293 و الحركة الفكرية، ج2، ص 506،507.

[2]- العنوان الكامل للكتاب هو: "تشوف الراغبين إلى السادة الكرام المتصوفين"، و يسمى أيضا "التشوف الصغير" تميزا له عن كتاب "التشوف إلى رجال التصوف" لابن الزيات التادلي (ت617هـ/ 1220م).

[3]- محمد حجي، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ج2، ص506.

[4]- محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج2، ص507 و الزاوية الدلائية ، ص 121-122.

[5]- يوصف هذا القصر بالكبير تميزا له عن القصر الصغير القريب من سبتة، و يسمى بقصر كتامة لوقوعه في وسط بلاد هذه هذه القبيلة، أما عبد الكريم الذي ينسب إليه القصر فلعله عبد الكريم ابن العجوز الكتامي الذي كان عالما رئيسا لقومه في كتامة مطاعا فيهم، إلى أن قتله المرابطون بعد أن دخلوا قلعتهم وتغلبوا عليهم، ينظر: محمد العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص145- 146؛ محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج2، ص427، هامش1.

[6]- ينظر ترجمته عند، ابن عسكر، دوحة الناشر ، ص39؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص 427، 428.

[7]- محمد العربي الفاسي، مرآة المحاسن ، ص9؛ محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج2، ص428.

(ت964هـ/ 1556م) الذي ألف شرحا على أرجوزة "تفصيل الدرر" لابن غازي سماه: "بذل العلم و الرد في شرح تفصيل العقد"، و الفقيه الصوفي علي بن يوسف الفاسي[1] (ت1030هـ/ 1621م)، و ابنه محمد بن علي بن يوسف (بوعسريه)[2] الفاسي (ت1048هـ/ 1636م) و الفقيه المشارك محمد بن علي القنطري[3] (ت1018هـ/ 1609م) الذي كان شغوفا بالجهاد و غيرهم كثير.

● **مكناس:** مدينة عريقة قريبة من فاس، و لعله العامل الذي غطى على اشعاعها العلمي الذي عرفته خلال العهدين المريني و السعدي، اشتهرت المدينة بكثرة منشآتها العلمية التي شيدها المرينيون[4]، كما برز فيها علماء كثر نالوا شهرة كبيرة منهم: الإمام العالم محمد بن أحمد ابن غازي المكناسي[5] (ت919هـ/ 1513م) و الذي برز اسمه بين علماء فاس كمدرس و مؤلف في ألوان عديدة من العلوم الأدبية و الدينية، و أحمد بن علي بن القاضي[6] (ت955هـ/ 1548م) الذي كان قاضيا و مدرسا بمكناس، و عبد الرحمن بن علي الوقاء الأندلسي[7] (ت934هـ/ 1528م)

---

[1]- ترجم له، محمد العربي الفاسي، المصدر السابق، ص 150، 151؛ المحبي، الخلاصة، ج3، ص198؛ الحضيكي، الطبقات، ج2، ص 236- 237؛ محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج2، ص429.

[2]- محمد العربي الفاسي، المصدر السابق، ص ص 232- 235؛ محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج2، ص429.

[3]- محمد العربي الفاسي، المصدر السابق، ص25؛ القادري، نثر المثاني ، ج1، ص130؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص 429، 430.

[4]- الزهراء النظام، المرجع السابق، ص483.

[5]- ابن القاضي، لقط الفرائد ، ص284؛ محمد مخلوف، شجرة النور، ص276؛ الزركلي، الأعلام، ج6، ص232، ابن سودة، الدليل ، ج1، ص52؛ ليفي بروفنسال، مؤرخو الشرفا ، ص ص224- 230.

[6]- ابن القاضي، درة الحجال،ج1، ص106 ص 147؛ و لقط الفرائد، ص301؛ ابن زيدان، اتحاف، ج1، ص304؛ ص304؛ محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج2، ص 437، 438.

[7]- من أسرة أندلسية هاجرت من اشبيلية بعد أن استردها الاسبان في منتصف القرن7هـ/ 13م، واستقرت بفاس، ثم انتقل بعض أفرادها إلى مكناس. الكتاني، سلوة الأنفاس؛ج3، ص158،159؛ابن زيدان، اتحاف،ج5، ص278،279.

المدرس والنوازلي و العالم الخطيب و المفتي الحسن بن أحمد حرزوز المكناسي[1] (ت961هـ/ 1553م) و غيرهم كثير.

ج- التعليم و طرقه:

إضافة إلى الدور الذي لعبته المراكز الثقافية بما كانت تحتويه من مدارس ومعاهد علمية ومساجد، فقد نتج عن التحسن السياسي الذي طرأ على المغربين الأوسط و الأقصى في هذه الفترة مع ظهور الأتراك و السعديين، و تصديهما للغزو الأجنبي، فقد شهد الاقليمان انتعاشا على مستوى التعليم و استطاعت الحركة التعليمية تحقيق اتساع و تقدم لا يقل عن العصر السابق، لذلك أن حكام الجزائر وملوك السعديين وضعوا في مقدمة اهتماماتهم التعليم و اعتنوا بنشره وتعميمه.

فبالنسبة للسعديين فقد اهتموا في البداية بالمدن الكبرى خاصة في الجنوب مثل مراكش وترودانت، في الوقت الذي كانت المراكز الشمالية واقعة تحت حكم الوطاسيين، الذين تولوا أمر التعليم فيها من خلال الاشراف على المؤسسات التعليمية خاصة في فاس، و الانفاق عليها وعلى أساتذتها و طلبتها[2].

و عندما آل الحكم للسعديين كلية، نهضوا بالحركة التعليمية فيها خاصة في فاس، فجددوا مدارسها و مساجدها، و أضافوا إليها مرافق تعليمية عديدة، ساهمت في انعاش الحركة الثقافية في فاس و المناطق الشمالية.

و شهدت الجزائر خلال القرن 10هـ/ 16م، نهضة تعليمية و ثقافية مماثلة رغم ما ينسب إلى الأتراك من عدم العناية بالثقافة عنايتهم بالحرب و الجيش، وشاع عنهم أن وجودهم في الجزائر

---

[1]- ابن عسكر، دوحة الناشر، ص62؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص228و جذوة الاقتباس، ص105و لقط الفرائد، ص304؛ الحضيكي، الطبقات، ج1، ص159؛ ابن زيدان، اتحاف، ج3، ص ص 5- 7؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ج2، ص439.

[2]- الزهراء النظام، المرجع السابق، ص487.

كان سياسيا عسكريا و لم يكن حضاريا، و أن اهتمامهم تركز على الجيش و الإدارة و الضرائب و أنه لم يكن لهم أي اهتمام بالعلوم أو الفنون، و هو قول ظل يتردد على ألسنة الكثيرين ممن اهتموا بتاريخ الوجود التركي في الجزائر[1]، إلا أنها على ما يبدو مغالطة تاريخية، بالنظر للمعطيات التي تشير إلى أن الأتراك لم يهملوا الجانب الثقافي[2]، و يتجلى ذلك من خلال المؤسسات التعليمية والدينية التي أنشأوها و حجم الأوقاف التي كان يتم إيقافها عليها[3]، و مستوى الهيئات التعليمية والدينية التي كانت تشرف عليها و كذا قيمة المبالغ التي كانت تخصص لها على شكل هبات وعطايا متنوعة، و كل ذلك لتشجيعهم على النهوض بالحياة التعليمية و التعليم عموما[4] مستفيدين من انجازات الزيانيين في هذا المجال، الذين و إن تراجعت سلطتهم على عدد من المناطق، إلا أنهم لم يتخلوا عن الجانب العلمي، خاصة و أنهم كانوا يؤثرون العلماء و يكرمونهم، وأن سلاطينها تنافسوا على تشييد المؤسسات الدينية و التعليمية من مدارس ومساجد و وزوايا وغيرها و بذل الأموال عليها[5] و التي توافد عليها العلماء من كل صوب و حدب، و تخرج منها الكثير من الأدباء و الشعراء و الفقهاء و المؤرخين والرياضيين[1].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء، ج3، ص186؛ مبارك الميلي، المرجع السابق، ج3، ص317.

[2]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص 35- 89؛ Devoulx (A): les iédifices religieux de l'ancien Alger, revue africaine, année 1862, p372.

[3]- تشير الدراسات الخاصة بالعهد التركي في الجزائر إلى أن أوقاف الأتراك في الجزائر كانت تعد من بين أغنى أحباس عواصم العالم الاسلامي، و ذلك أن جزءا مهما من غنائم الأسطول التركي كان يذهب لأحباس مدن الجزائر و قسنطينة و تلمسان، و من ربعها كان يتم الانفاق على التعليم في جميع مراحله، ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائرص 89،90 ؛ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني ، ص58؛ Haedo, topographie, p p 61- 62. و خير مثال عن ذلك في وثيقة خاصة بالأملاك التي حبست باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر منذ سنة 947هـ/ 1540م، و على طرق انفاقها و هي تدل فعلا على أهمية هذه الأحباس في الجزائر، ينظر؛ عبد الجليل التميمي، من أجل كتابه تاريخ الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، ص ص 155- 169؛ العربي الفاسي، مرآة المحاسن ، ص107.

[4]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 35، 37، 89.

[5]- للمزيد من التفاصيل حول الأوقاف و الأحباس ينظر: الونشريسي، المعيار ، ج7، ص3 و ما يليها؛ محمد بن عبد الله، الوقف في الفكر الاسلامي، ج1، مطبعة فضالة، المغرب، 1996، ص131؛ ابراهيم بلحسن، المرجع السابق، ص 96،=

و لم يكن التعليم في المنطقتين ليختلف عن ما كان عليه في الأقطار الاسلامية، حيث كان المتعلمون يمرون فيه عبر نفس المراحل التقليدية، من التعلم في المدارس الابتدائية أو الأولية، و هي الكتاتيب حيث كان المتعلم يلقن فيه مبادئ القراءة و الكتابة بالعربية و تعلم القرآن و بعض مبادئ اللغة و الحساب و الخط[2]، وصولا إلى المعاهد العليا، حيث كانوا يستكملون دراستهم في مختلف العلوم[3]، كما كانت المساجد تقوم بدور ديني و تعليمي إلى جانب كونها بيوتا للعبادة، فقد كانت تعقد فيها حلقات العلم، و قد كان الطلبة بعد اجتيازهم المرحلة الابتدائية في الكتاتيب، يلتحقون بالمساجد للتعمق في مختلف العلوم المتصلة بالقرآن الكريم والشريعة، من فقه و تفسير وحديث و غيرها يدرسوا فيها بعد علوم اللغة و الأدب والنحو[4].

و لم تكن طرق التعليم في هذه المؤسسات تختلف من حيث المنهج عما كانت عليه في الماضي[5] بل ظلت تمارس بالطريقة نفسها و في المنطقتين[6] حيث كانت تعتمد على الالقاء والحفظ

Brosselard (CH): Habous des mosqués –Sidi senouci– revue africaine, ؛69= n°29, septembre, 1861, p321.

Berbrugger (H): Notes Historique sur les mosqués et autres édifier religieux d'alger, revue africain, n°4, 1859– 1860, p467.

[1]– عن اهتمام الزيانيين بالعلم و العلماء و ازدهار الحياة الثقافية في عهدهم ينظر الفصل الأول من الباب الثاني من هذه الدراسة.

[2]– ابن خلدون، المقدمة، ص1038؛ عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص 40، 41.

[3]– محمد العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص221؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص75؛ عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص389.

[4]– عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص 75- 78؛ أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص87؛ عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص389.

[5]– لم تكن المدارس تختلف عن المساجد من حيث أسلوبها أو طبيعة المواد التي كانت تدرس بها، لكنها كانت تزيد عليها بتدريس العلوم الطبيعية و الرياضية. عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص389؛أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص87.

[6]– محمد العربي الفاسي، المصدر السابق، ص221؛ عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص389؛ ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص395؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص489.

والتلقين، حيث كان أحد الطلبة يقوم بقراءة نص من الكتاب المقرر بحضور الأستاذ الذي كان يقوم بشرحه، و يطبق إليه بعضا من ملاحظاته و تأويلاته، ثم يقوم بمناقشة الطلبة فيما بينهم[1]، على أن القرآن الكريم كان أول ما يلقن للطالب و بعده النحو، و رسالة ابن أبي زيد القيرواني وألفية بن مالك، و بعد ذلك يتفرغون لدراسة الفقه و بقية العلوم[2].

و إلى جانب المدارس و المساجد فقد لعبت الزوايا دورا هاما في مجال التعليم، إضافة إلى دورها الاجتماعي و الديني، حيث كانت توفر للطلبة تربية دينية، كما كانت تطلع أيضا بدور التنشئة و التعليم لا سيما في الأرياف حيث كانت تعلمهم القراءة و الكتابة، إضافة إلى علوم دينية أخرى كالتفسير و الحديث و الفه، معتمدة على ما كانت تتوفر عليه من أوقاف خاصة وعلى ما كان يصلها من هدايا وصدقات و تبرعات من مريديها و من الوافدين عليها[3].

و قد اهتم الاقليمان اهتماما بالغا باللغة و علومها باعتبارها وسيلة للتواصل والتلقين، لذلك فقد ازدادت اللغة العربية تركزا في المنطقتين، و رغم دخول اللغة التركية[4] إلى الجزائر في القرن القرن 10هـ/ 16م، إلا أنها ظلت لغة النخبة من الجزائريين و الأجانب، في حين بقيت العربية هي اللغة الرسمية، و أداة التواصل بين العلماء ومثقفي و سكان المنطقتين، و ساعد انتشارها في الجزائر والمغرب على تعميم التعليم في مختلف جهات البلدين و نشر الثقافة العربية الاسلامية.

---

[1]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص180؛ عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص392.

[2]- ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2، ص224 ؛ Haedo, topographie, p62.

[3]- ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع ، ص395؛ مبارك الميلي، المرجع السابق، ج3، ص317.

[4]- كانت توجد في الجزائر مدارس عامة لتعليم الأطفال اللغتين العربية و التركية، إلى جانب مدارس خاصة لتدريس اللغة العربية و أخرى لتعليم اللغة التركية، ينظر: Haedo: topographie, p26.

كما ظل المذهب المالكي في المغرب و الجزائر المذهب السائد و الرسمي خلال القرن 10هـ/ 16م، و منه كانت تستخلص الأحكام الشرعية، و كان الأساس المعتمد في مجال التسيير والمعاملات، و مجالا خصبا للدارسين و الباحثين في المنطقتين، رغم وجود مذاهب أخرى[1].

أما عن المواد التي كانت تدرس في هذا العصر و رغم أنها اصطبغت بطابع التنوع و التعدد إلا أنها لم تكن تختلف من المعاهد الجزائرية سواء في العهد الزياني أو التركي عما كان يدرس في القرويين أو في مدارس و مساجد المغرب الأخرى، وكلما كانت تنحصر في نطاق المواد التقليدية التي كانت تدرس في العصور السابقة و هي في معظمها عبارة عن مختصرات و منظومات و شروح و حواشي[2]، و ظل الحفظ هو السمة المميزة لطرق التعليم في مختلف مراحله حيث اعتاد الطلبة على حفظ المتون اللغوية و الدينية و استعراضها أمام شيوخهم[3].

و كانت الدراسة عموما تعتمد على العلوم الدينية كالتفسير و القراءات والحديث و الفقه والتوحيد و التصوف و الفلسفة و العلوم الأدبية كاللغة و الأدب والنحو، إضافة إلى التاريخ والموسيقى و بعض العلوم العقلية[4] مثل الرياضيات والطب و الفلك و التنجيم، و قد كان لكل مادة كتبها الخاصة، و التي تميزت بتعددها و تنوعها[5].

---

[1]- استمر العمل بالمذهب الإباضي في جنوب الجزائر، كما جاء الأتراك بالمذهب الحنفي الذي أصبح معتمدا إلى جانب المذهب المالكي.

[2]- محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج1، ص ص 136- 139.

[3]- الحسن اسكان، المرجع السابق، ص114؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص491.

[4]- رغم الجهود التي بذلت من طرف أولي الأمر في المنطقتين في مجال العلوم العقلية إلا أنها لم تعرف تطورا يذكر في هذا العهد خاصة في عهد المنصور الذهبي. ينظر: ابن القاضي، درة الحجال، ص ص 106- 120والجذوة، ص 55،54 ولقط الفرائد، ص ص 301- 315 والمنتقى، في مواضع متفرقة؛ المقري، روضة الآس،ج3، ص71؛ التمنراتي، الفوائد، ص32،31؛العباس بن ابراهيم،الأعلام ،ج2، ص ص 46- 69؛محمد حجي، الحركة الفكرية ،ج2، ص386،387.

[5]- أورد ابن غازي في فهرسه "التعلل برسوم الاسناد" أن عدد الكتب التي كانت مقررة للتدريس في عهده قد بلغت ما يزيد عن الثلاثمائة كتاب ذكر بعضها في كتابه. ينظر: الزهراء النظام، المرجع السابق، ص491، هامش 81.

و من الظواهر العامة و المشتركة بين الجزائر و المغرب في هذه الحقبة، نظام الكراسي العلمية[1] و الاجازات العلمية[2]، حيث كان الأول احدى الوسائل المساعدة على تنشيط الحركة العلمية و تشجيع العلماء المدرسين على بذل المزيد من العطاء، و قد اشترك الاقليمان في هذه الخاصية، حيث كانت هذه الكراسي تسند عادة إلى البارزين من العلماء، و تخصص لتدريس مختلف العلوم الدينية، و خلال القرن 10هـ/ 16م تضاعفت أهميتها، حيث أحدث الحكام الأتراك و السعديون، عددا منها في العديد من مساجد و جوامع المدن الكبرى مثل فاس ومراكش والجزائر وتلمسان، و شاركهم في ذلك بعض الخواص، مما زاد من أعداد الكراسي العلمية ومن أهميتها في الحياة التعليمية[3].

أما الاجازات العلمية فتاريخ الجزائر و المغرب حافل بها سواء كانت خاصة أو جماعية، والتي حصل عليها أصحابها من علماء البلدين، و شهد القرن 10هـ/ 16م، عددا منها نذكر منها على سبيل المثال إجازة الإمام محمد بن ابن غازي سنة 906هـ، لعلي بن هارون المطغري بفاس في جميع كتبه الثلاثة و السبعين التي قرأها عليه أو سمعها منه، أو عرضها عليه[4]، و إجازة

---

[1]- ظهر نظام الكراسي العلمية خلال العهدين الزياني و المريني و استمر العمل به خلال القرن 10هـ/ 16م، و اكتسى أهمية خاصة في حياة الأساتذة باعتبارها دعما ماديا و معنويا، و من أشهرها كرسي ابن غازي و الونشريسي و القيسي. عنها ينظر: يوسف الكتاني، ظاهرة الكراسي العلمية، مجلة دعوة الحق، ع244، جمادى الأولى، 1405/ يناير 1985.

[2]- هي درجة علمية يصل إليها طالب العلم بعد اجتياز فترة معينة من الدرس و التحصيل يؤهله لرواية العلم عن شيوخه وتلقينه للآخرين، كما هي اعتراف من الشيخ لطالب العلم بهذا التفوق، و هي نوعان خاصة تتعلق بعلم أو علوم معينة يرويها المجاز عن المجيز، و عامة يحصل عليها الطالب عادة بعد نهاية دراسته و تشمل جميع علوم المجيز.

[3]- محمد العربي الفاسي، المصدر السابق، ص107؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص140؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1،ص119؛ ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2، ص225؛ الزهراء النظام، المرجع السابق،ص497.

[4]- أحمد المنجور، فهرس المنجور ، ص41؛ محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج1، ص105.

أحمد بن أبي القاسم التادلي الصومعي لأحمد المقري، و هي إجازة عامة في ستين كتابا من مؤلفاته[1].

و إجازة أحمد الدقون الأندلسي[2] لمحمد شقرون بن أبي جمعة المغراوي[3] إجازة عامة بفاس سنة 921هـ/ 1515م[4]، و إجازة محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي[5] لمحمد بن عسكر سنة 969هـ/ 1562م، في جميع مروياته و كل ما سنعه عن أشياخه[6] وإجازة أحمد المقري عام 1026هـ/ 1617م، بفاس لمحمد بن يوسف التملي[7].

و خلاصة القول أن تعدد المراكز العلمية و تزايد المؤسسات التعليمية والدينية ساهم في نشر التعليم، كما ساهمت كل مكونات الحياة الثقافية لكلا الاقليمين في ازدهار الحركة العلمية

---

[1]- المقري، روضة الآس، ص ص 300- 302؛ القادري، نثر المثاني ، ج1، ص114؛ ليفي بروفنسال، مؤرخو الشرفا، ص167؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص 505، 506.

[2]- ترجم له: ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص 92، 93 و لقط الفرائد، ص285؛ المقري، أزهار الرياض، ج1، ص ص 103- 108؛ محمد مخلوف، شجرة النور، ص276؛ محمد ابن تاويت، الوافي بالأدب المغربي ، ج2، ص609؛ ليفي بروفنسال، مؤرخو الشرفا ، ص226، هامش5؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص348.

[3]- ترجم له: ابن القاضي، درة الحجال ، ج2، ص151 و جذوة الاقتباس، ص204 و لقط الفرائد، 289؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ج2، ص129؛ كفاية المحتاج، ج2، ص37؛ الكتاني، سلوة الأنفاس، ج3، ص280؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص348.

[4]- ابن القاضي، درةالحجال، ج1، ص93؛ محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج1، ص109.

[5]- ترجم له: ابن عسكر، دوحة الناشر، ص86؛ ابن مريم، البستان ، ص261؛ أحمد المنجور، الفهرس ، ص42؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس ، ص207و درة الحجال، ج2، ص215؛ القادري، نثر المثاني، ج1، ص60؛ التنبكتي، كفاية المحتاج ،ج2 ، ص146؛ الحضيكي ،الطبقات، ج2، ص 29،30؛ الكتاني، سلوة الأنفاس ، ج3، ص382؛ العباس بن ابراهيم،الأعلام،ج4،ص190؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص377، الطمار،تلمسان عبر العصور،ص235.

[6]- ابن عسكر، المصدر السابق، ص ص 116- 123.

[7]- المقري، فتح المقال في مدح النعال، مطبعة حيدر أباد، الهند، 1334، 1915، ص 238- 239؛ محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج1، ص109؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص498.

وشكل هذا التطور أرضية مهمة للتواصل الثقافي بين علماء المنطقتين و هيأ لهم المجال للتواصل العلمي فيما بينهم و عقد المناظرات و تبادل الآراء حول العديد من القضايا الفكرية.

2- دور العلماء في تنشيط الروابط الثقافية بين البلدين (الرحلة العلمية):

على الرغم من حالة التوتر و الاضطراب التي ظلت تخيم على العلاقات بين حكام الاقليمين خلال القرن 10هـ/ 16م، فإن العلاقات الاجتماعية و الثقافية بين البلدين، لم تتأثر بهذا الوضع، و حتى تلك المنازعات و المناوشات المستمرة التي كانت تتم على الحدود لم تحل دون استمرار التواصل بينهما، و الذي جسدته تنقلات السكان أفرادا و جماعات بين البلدين طيلة هذا القرن، لأسباب و أهداف اختلفت أشكالها، إما علمية أو اجتماعية أو سياسية أو دبلوماسية أو تجارية أو دينية فكثيرون هم طلبة العلم من المغاربة و الجزائريين من كانوا يشدون الرحال إلى الحواضر الكبرى مثل الجزائر و تلمسان، و قسنطينة و فاس و مراكش، طلبا في التحصيل العلمي والاستزادة، و الاطلاع على ما أنتجه المثقفون في المنطقتين وفي مختلف ألوان الفنون و العلوم.

وقد كان هناك كثير من العلماء و الفقهاء ممن كانوا يقصدون بلاطات المنطقتين بصفتهم سفراء عن بلدهم، إما عن السلطة السعدية أو عن الأتراك في الجزائر، كما كانت الرحلة بهدف المتاجرة أو الحج، باعتبار أ الجزائر كانت طريقا لا بد منه، و غالبا ما كانت تقترن أهداف هذه الرحلات لديهم بطلب العلم، إذ كانوا يغتنمون فرصة وجودهم هنا و هناك للأخذ عن علماء البلدين و فقهائهما، أو لعقد المناظرات و تبادل الروايات و الأسانيد و الإجازات و طرح القضايا الفكرية التي تشغل بالهم و كثيرة هي الهجرات و الرحلات التي ارتبطت بأسباب سياسية، إما بسبب الغزو الاسباني و البرتغالي لبعض من الاقليمين، و الذي جعل سكانها يعيشون حالة من الرعب دفعتهم إلى الهجرة إلى مناطق أكثر أمنا إما داخل بلدانهم أو خارجها، أو بسبب ظروف سياسية كان السيد فيها سياسة الحكام سواء السعديين أو أتراك الجزائر تجاه رعيتهم خاصة العلماء، فيذكر المؤرخ المجهول صاحب كتاب "تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية" أن محمد الشيخ السعدي لما دخل فاس للمرة الثانية سنة 961هـ/ 1554م، بعد أن قتل أبا حسون الوطاسي،

واستقر فيها أنه تحكم في أهلها بالإذلال و الإهانة، و أدى حسائنه فيهم، و قهر أهلها بأنواع الأفعال و نفى أكثرهم للمشرق...[1]، و ذلك انتقاما منهم لتأييدهم أبا حسون، و رغبة منه في تصفية الوجود الوطاسي في المدينة، مخافة منه في تعاون هؤلاء مع أعدائه الأتراك و التخلص من مؤامراتهم[2].

كما تذكر المصادر التاريخية أن ثلاثة من الأمراء السعديين و عديدا من أتباعهم، قد هاجروا من المغرب إلى الجزائر بعد أن آل الحكم فيه إلى أخيهم عبد الله الغالب، حيث مكثوا في الجزائر سنين عديدة، و حصلوا على مراتب و إقطاعات لهم و لأتباعهم من حكامها، و هؤلاء الأمراء هم عبد الملك و أحمد و عبد المؤمن أبناء محمد الشيخ، و قد عاد الأولان إلى المغرب بعد وفاة أخيهما[3].

وفي الجزائر وبعدما دخل حسن بن خي الدين إلى تلمسان في سنة 952هـ/ 1545م، فر منها الأمير أحمد الزياني، و وزيره المنصور بن أبي غانم إلى المغرب مع أن إنضاف إليهما من أمراء تلمسان[4]، و لكن أمير دبدو اعتقلهم و أخذ أموالهم ثم أطلق سراحهم بعد ذلك[5].

---

[1]- مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تصحيح جورج كولان، الرباط، 1934، ص22، مهمة دفتري (وثائق عثمانية في الأرشيف الوطني بالجزائر، مصورة من أرشيف رئاسة الوزراء التركية).

[2]- تشير العديد من الوثائق المعاصرة، أن أفراد الأسرة الوطاسية لجأوا إلى الجزائر مرات عديدة، و أن شيوخ فاس و مكناس وقادة نواحي الغرب في مملكة فاس قد هاجروا أيضا إلى الجزائر حقنا لدمائهم. عمار بن خروف،ج2،ص 112.

[3]- عمار بن خروف،ج2،ص 112، نقلا عن مهمة دفتري (وثائق عثمانية في الأرشيف الوطني بالجزائر، مصورة من أرشيف رئاسة الوزراء التركية، رقم12، ص536، و رقم 18، ص15).

[4]- السلاوي، الاستقصاء ، ج4، ص163.

[5]- نفسه، ج4، ص163.

كما حدثت هجرة جماعية لعلماء تلمسان إلى فاس، و ذلك في أعقاب الفتنة التي وقعت في تلمسان بين أولئك العلماء و أتراك الجزائر العثمانيين سنة 968هـ/ 1560م[1]، و من بين هؤلاء العلماء نذكر:

- **أبو العباس أحمد بن أحمد العتادي** (ت985هـ/ 1577م)[2]: الفقيه العالم الذي يقال أن عبد الله الغالب السعدي شمله بعنايته و من جملة ما خصه به أنه: "وصله بألف مثقال ذهبا، وأمر له بكساء و بإقامة جليلة، و قال لا تسووه بأحد من الفقهاء و غيرهم فإن همته كبيرة"[3].
- **أبو العباس أحمد بن محمد العقباني**[4] (ت980هـ/ 1571م): الذي ارتحل إلى فاس قادما من تلمسان مع جملة من وفد إليها مع الشيخ أبي العباس أحمد العتادي، و الذي كان له اهتمام بالفقه، و تصدر مدة للتدريس بالقرويين، و هو من علماء تلمسان الذين التقى بهم ابن عسكر.
- **أبو عبد الله محمد بن شقرون هبة الله الوجديدي**[5] (ت983هـ/ 1576م): فقيه مشارك وخطيب فصيح و شيخ الفتيا بتلمسان و إمامها الأكبر، ارتحل إلى فاس بعد فتنة 968هـ/ 1560م، فأسند إليه الغالب الفتوى و الرئاسة العلمية بمراكش، و سائر جهات المغرب، كما تولى الخطابة و التدريس بجامع المنصور بالقصبة بمراكش أيضا، كما نصب له كرسيا للتدريس

---

[1]- ابن عسكر، دوحة الناشر، ص118.

[2]- ابن عسكر، دوحة الناشر، ص118؛ الحضيكي، الطبقات، ج2، ص72؛ العباس بن ابراهيم، الأعلام، ج4، ص190؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص377.

[3]- ابن عسكر، دوحة الناشر، ص118.

[4]- دوحة الناشر ، ص123؛ نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء ، ص86.

[5]- ابن عسكر، دوحة الناشر، ص ص 116- 123؛ المنجور، الفهرس، ص78؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص215 و جذوة الاقتباس، ص207؛ القادري، نثر المثاني، ج1، ص60؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ج2، ص340 وكفاية المحتاج، ج2، ص146؛ ابن مريم، البستان، ص261؛ الكتاني، سلوة الأنفاس، ج3، ص382؛ التمنراتي، الفوائد، ص 20،21؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص377؛ الطمار، تلمسان عبر العصور ، ص235.

داخل القصر، و لازم دروسه عدد من العلماء والطلبة و أجاز عددا منهم في العلوم العقلية والنقلية[1].

و لنفس الظروف السياسية هاجرت قبائل "الشراقة" التي كانت تستوطن ناحية تلمسان إلى المغرب فرارا من سلطة الأتراك عليهم، و إثقالهم بالضرائب الباهضة فدخلوا بذلك في خدمة الأشراف السعديين[2]، كما حدثت هجرة كبرى من تلمسان سنة 961هـ/ 1554م، نحو فاس بعد أن أفتى مجلس علماء تلمسان بخلع الحسن بن عبد الله آخر أمراء بني زيان، و سقوط تلمسان نهائيا تحت سيطرة الأتراك[3].

و في منتصف القرن 10هـ/ 16م، أرسلت قبائل مديونة –و مواطنها بين وهران وتلمسان– و التي كانت موالية للسعديين إلى محمد الشيخ تحثه على دخول المنطقة، و هي المحاولة التي تصدى لها الأتراك، محبرين السعديين على الانسحاب، فانسحبت هي الأخرى معهم إلى المغرب خوفا من بطش و انتقام الأتراك العثمانيين منها[4].

و في نفس السياق اضطر "بوطريق" بعد فشل ثورته ضد الأتراك في الأربعينات من هذا القرن إلى الفرار إلى المغرب التي أحسن سلاطينها استقباله في إطار سياسة —عدو عدوي صديقي– و استقبال أي طرف أو حركة مناوئة ومعارضة لكليهما، حيث مكث هناك سنين

---

[1]– من تلامذته المغاربة محمد بن عسكر، الشفشاوني، الفقيه الصوفي، الذي ولاه السعديون قضاء شفشاون و التدريس بها، توفي في معركة وادي المخازن سنة 986هـ/ 1578م، ذكر في دوحته أنه تتلمذ على يد الشيخ محمد شقرون و أنه صحبه سنين عديدة و أخذ عنه العلم و أجازه سنة 969هـ/ 1562م، في جميع مروياته، و كل ما سمعه عن أشياخه، كما أجازه سنة 972هـ/ 1565م في "عقائد الشيخ السنوسي" وشروحاته، و "محصل المقاصد" للشيخ ابن زكري، و حصل منه بمكناش سنة 983هـ/ 1576م، على تقييد بجملة أسماء شيوخه و علومهم، ينظر: ابن عسكر، دوحة الناشر، في أماكن متفرقة؛ العباس بن ابراهيم، الإعلام، ج5، ص154، ليفي بروفنسال، مؤرخو الشرفا، ص ص 231-237.

[2]– اليفرني، نزهة الحادي، ص174؛ السلاوي، الاستقصاء، ج4، ص52؛ عمار بن خروف، المرجع السابق، ج2، ص113؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص504.

[3]– أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر ، ص34؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص504.

[4]– السلاوي، الاستقصاء ، ج4، ص130.

عديدة قبل أن يعود في منتصف القرن 10هـ/ 16م، مع جملة أبناء محمد الشيخ السعدي على المنطقة[1].

و لعلها نفس السياسة المنتهجة لدى الأتراك في الجزائر تجاه الزواويين الذين أرغمهم صالح رايس سنة 961هـ/ 1554م، على البقاء في المغرب للعمل في صفوف أبي حسون و عبد الملك، و نفس الإجراء اتخذه رمضان باشا سنة 982هـ/ 1576م عند عودته من المغرب[2].

و إلى جانب هذه الهجرة القسرية، كانت هناك هجرة طوعية بين الاقليمين (من المغرب إلى الجزائر و العكس) و قد شملت فئات مختلفة كالطلبة و العلماء وجسدتها الرحلة العلمية كما ذكرنا سابقا، فكثيرون هم طلبة العلم من المغاربة و الجزائريين من كانوا يشدون الرحال إلى الحواضر الكبرى مثل الجزائر، و تلمسان، و قسنطينة، وفاس، و مراكش، طلبا في الاستزادة و التحصيل العلمي أو الاطلاع على ما أنتجه المثقفون و العلماء في المنطقتين و في مختلف العلوم و ألوان الفنون، و من الطلبة المغاربة الذين وفدوا على الجزائر لهذا الغرض نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- **ابراهيم بن عبد الجبار الفجيجي**[3] **(ت954هـ/ 1547م)**: عالم و أديب أخذ العلم عن أبي و عن علماء فجيج، ثم توجه إلى فاس التي أخذ بها عن الإمام ابن غازي و طبقته، ثم قصد تلمسان للقراءة على علمائها، فأخذ عن الإمام السنوسي صاحب "العقائد"، ثم عاد إلى مسقط

---

[1]- Haedo, Histoire des rois d'Alger, Trad.H.de Grammond, Alger1881, p71.

[2]- مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية، ص ص 53-70؛ الفشتالي، مناهل الصفا، ص 34،35، عمار بن خروف، المرجع السابق، ج2، ص113.

[3]- ابن عسكر، دوحة الناشر، ص132؛ ابن القاضي، الجذوة، ص 94،95؛ الحفناوي، تعريف الخلف ، ج2، ص8 وما بعدها؛ الكتاني، التراتيب الإدارية، المطبعة الأهلية بالرباط، 1927، ص 99،100؛ عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج3، ص ص 111- 119؛ الودغيري محمد، حياة الرجلين ابراهيم بن عبد الجبار و ابن أخيه بلقاسم، مجلة دعوة الحق، السنة 11، العدد2، 1967، ص115؛ عبد القادر زمامة "الفجيجيون"، مجلة البحث العلمي، العدد 20، جويلية 1972، ص126؛ محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج2، ص512.

رأسه ليتفرغ للتدريس و القضاء، و بعد اضطراب حبل الأمن في فجيج، و مقتل مفتيها، ارتحل إلى السودان حيث أقام هناك مدرسا ومرشدا.

و من آثاره قصائد مطولة أشهرها "المفيدة" في العقائد و العبادات و مكارم الأخلاق، هي أرجوزة في 817 بيتا، و "روض السلوان"[1] و هي قصيدة في 213 بيتا نظمها في الصيد وفوائده، وأخرى موجهة إلى سكان توات و قاضيها يذكر عليهم موالاتهم لليهود[2].

● **محمد بن عبد الجبار الفجيجي** (ت956هـ/ 1549م): عالم صوفي و فقيه محدث، قرأ على والده و علماء فجيج، ثم ارتحل إلى فاس حيث أخذ عن ابن غازي، و ابن مرزوق الضرير، وطبقتهاما، و منها رحل إلى تلمسان للأخذ عن شيوخها، وبعد عودته استقر بمسقط رأسه يدرس مختلف العلوم الشرعية. [3]

● **أبو القاسم بن عبد الجبار الفجيجي** (ت1011هـ/ 1603م): أشهر علماء فجيج وأكثرهم ذكرا في الفهارس و كتب التراجم، قرأ على علماء أسرته، و منهم والده، ارتحل إلى فاس ومراكش ثم تلمسان و بلاد المشرق العربي، حيث أخذ هناك عن علمائها و أخذوا عنه، وأجازهم وأجازوه، ثم عاد إلى بلده فجيج ليتولى بها خطتي الفتوى و القضاء إلى جانب التدريس من أشهر تلامذته: الإمام القصار[4] بفاس، وأحمد بن أبي محلي[5] الذي حصل منه علي إجازة عامة.

---

[1]- توجد نسخ منه كثيرة منها مخطوط في خزانة القرويين رقم 1314، و أخرى بالخزانة العامة بالرباط رقم د268، نشر عبد الله كنون نحو نصفها في "النبوغ" ج3، ص ص 11- 119.

[2]- محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص513.

[3]- ابن عسكر، الدوحة ، ص132؛ ابن مريم، البستان، ص287، الحضيكي، الطبقات، ج2، ص32؛ المهدي الفاسي، التحفة، ص69؛ الودغيري، المرجع السابق، ص110؛ عبد القادر زمامة، المرجع السابق، ص ص 124- 126؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص513.

[4]- محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص514.

[5]- هو أحمد بن أبي محلي الثائر الشهير الذي جاءه من قرى بني عباس في توات و ختم عليه "صحيح البخاري" و نال منه إجازة عامة، له عدة مؤلفات منها: "منجنيق الصخور لهدم بناء شيخ الغرور و رأس الفجور". عنه ينظر: محمد حجي، المرجع السابق، ص515.

● **أبو عبد الله محمد بن أحمد البسيتني**[1] (ت959هـ/ 1552م): أستاذ في التفسير والغلهيات، اشتغل بالعلم أيام الوطاسيين، و في عهد السعديين حظي بثقة محمد الشيخ المهدي لما دخل فاس، فصار من خاصته ارتحل إلى تلمسان للأخذ عن علمائها، و منهم عبد الله محمد بن موسى الوجديجي، مفتي تلمسان و أحد كبار علمائها.

● **سعيد بن مسعود الماغوسي**[2] (ت1016هـ/ 1607م): أديب و لغوي، درس في المغرب والمشرق، كما أخذ عن علماء قسنطينة و أجازه عدد منهم، له عدة تآليف منها: "نظم الفرائد الغرر في سلك فصول الدرر" شرح به كتاب "درر السمط في مناقب السبط" لمحمد بن الأبار[3] (ت658هـ/ 1260م) ، و فهرس ذكر فيه أشياخه المغاربة و المشارقة و إجازتهم له[4]، و شرح مقصورة المكودي.

أما عن العلماء و الطلبة الجزائريين الذين هاجروا إلى المغرب خلال القرن 10هـ/ 16م، لنفس الغرض، نذكر على سبيل المثال:

● **أحمد بن محمد بن يحيى الونشريسي**[5] (ت914هـ/ 1508م): عالم تلمسان وأحد فقهائها الكبار، ولد بتلمسان سنة 834هـ و أخذ بها عن أجلة علمائها، ثم ارتحل إلى المغرب

---

[1]- ابن القاضي، الدرة، ج2، ص201 و لقط الفرائد، ص303؛ التنبكتي، كفاية المحتاج،ج1، ص145؛ ليفي بروفنسال، مؤرخو الشرفا، ص89؛ ابن عسكر، الدوحة ، ص131؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص350.

[2]- ابن القاضي، الدرة، ج3، ص304 و المنتقى، في مواضع متفرقة؛ اليفرني، النزهة، ص122؛ العباس بن ابراهيم، الإعلام، ج11، ص ص 178- 181؛ خير الدين الزركلي، الأعلام ، ج3، ص155.

[3]- المقري، روضة الآس، ص227.

[4]- المقري، روضة الآس، ص227؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص304.

[5]- التنبكتي، نيل الابتهاج،ج2، ص144؛ السلاوي، الاستقصاء، ج4، ص165؛ ابن مريم، البستان، ص 53، 54 ؛ابن عسكر، الدوحة، ص47؛ المنجور، الفهرس، ص50؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ج1، ص62؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج3، ص76؛ الطمار، تلمسان عبر العصور، ص226؛ عادل نويهض، المرجع السابق،ص334.

على إثر حادثة وقعت له مع ملك تلمسان، فاستوطن فاس، و اشتغل بها مدرسا بجامع القرويين، له عدة تآليف، أشهرها معلمته "المعيار المغرب".

● **أبو عبد الله محمد بن العباس**[1] **(كان حيا بعد سنة 920هـ/ 1514م)**: فقيه نحوي من علماء تلمسان، أخذ عن عدد من علمائها منهم، الإمام السنوسي، و ابن مرزوق الكفيف، وأحمد بن يحي الونشريسي و غيرهم، رحل إلى فاس حيث لها عن الإمام ابن غازي و عن أجلة علماء المدينة.

● **عبد الله بن محمد العنابي الدرعي**[2] **(ت922هـ/ 1516م)**: نزيل درعة المغربية، عالم متمكن في اللغة و الأدب و العلوم الشرعية و العقلية، من هندسة و حساب وغيرهما، و من الذين أيد السعديين في ملكهم، فساعدهم على ارساء قواعد دولتهم، كما كان من أشد المتحمسين لنصرة المسلمين في الأندلس بعد سقوط غرناطة في يد النصارى.

● **محمد شقرون بن أحمد أبي جمعة المغراوي**[3] **(ت 930هـ/ 1523م)**: المعروف بشقرون الوهراني، فقيه و عالم مشارك في علوم اللغة و الفقه و الحديث، ارتحل إلى فاس و درس بها، فعجب طلبتها من سعة علمه، له كتاب "جامع جوامع الاختصار و التبيان فيما يعرض بين المعلمين و آباء الصبيان" و قد خصصه للحديث عن أحكام التعليم و المتعلمين.

---

[1]- ابن مريم، البستان ، ص255؛ المنجور، الفهرس ، ص50؛ الطمار، تلمسان عبر العصور ، ص235.

[2]- ابن عسكر، الدوحة، ص92،91؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ج2، ص161؛حجي، المرجع السابق، ج2، ص540،539.

[3]- ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص151 و جذوة الاقتباس، ص204 و لقط الفرائد، ص289؛ التنبكتي، نيل الابتهاج،ج2، ص129 و كفاية المحتاج، ج2، ص37؛ الكتاني، سلوة الأنفاس، ج3، ص280؛ ابن عسكر، الدوحة، ص125؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص348.

● **أحمد بن محمد التلمساني**[1] **(ت حوالي 940هـ/ 1533م)**: إمام عالم، اختص في العلوم العقلية و النقلية، درس بتلمسان على عدد من كبار شيوخها، ثم ارتحل إلى فاس أيام الناصر بن الشيخ الوطاسي الذي قدمه للتدريس بالقرويين، حيث تتلمذ على يده كثير من الطلبة منهم الفقيه محمد الهبطي، توفي بتلمسان.

● **علي بن موسى بن هارون المطغري**[2] **(ت 951هـ/ 1545م)**: فقيه و مفتي وأستاذ في الفرائض و العروض، من أهل مطغرة بتلمسان، رحل إلى فاس و أخذ عن علمائها أمثال الإمام ابن غازي الذي لازمه و أخذ عنه كثيرا من العلوم، و اشتغل مدرسا بفاس.

● **عبد الله بن ابراهيم الخياط**[3] **(ت939هـ/ 1532م)**: نزح من وهران إلى المغرب حيث درس بفاس، ثم انتقل إلى مكناس و منها إلى زرهون، حيث استقر بها و بنى زاويته الشهيرة التي كان يعقد بها مجالس لتدريس العلوم اللغوية و الشرعية من توحيد و فقه و قراءات و تلقين مبادئ التصوف، من تلاميذه، الصوفي الصالح أبو القاسم بن منصور الغمري[4] (ت حوالي 970هـ/ 1562م).

● **أحمد بن محمد بن جيدة الوهراني**[5] **(ت955هـ/ 1548م)**: أخذ عن علماء تلمسان ووهران أمثال الفقيه أبي عبد الله بن أبي جمعة الوهراني، و الشيخ السنوسي صاحب العقائد

---

[1]- ابن عسكر، دوحة الناشر، ص119.

[2]- المنجور، الفهرس، ص40؛ القادري، نثر المثاني ، ج1، ص82؛ ابن عسكر، الدوحة، ص51؛ الكتاني، سلوة الأنفاس، ج2، ص82؛ الخفناوي، تعريف الخلف ، ج2، ص290.

[3]- ابن عسكر، الدوحة، ص82؛ العربي الفاسي، المرآة ، في مواضع متفرقة؛ المهدي الفاسي، التحفة ، ص34 ؛الكتاني، سلوة الأنفاس،ج3،ص 191،192؛ ابن سودة، الدليل،ج1، ص204؛ حجي، المرجع السابق، ج2، ص494.

[4]- ابن عسكر، الدوحة، ص66؛ ابن سودة، الدليل،ج1، ص204؛ حجي، المرجع السابق، ج2، ص495،496.

[5]- ابن عسكر، الدوحة ، ص136؛ المنجور، الفهرس، ص74؛ ابن القاضي، الدرة ، ج1، ص105 و الجذوة ، ص81 و لقط الفرائد، ص ص 289- 299؛ الكتاني، سلوة الأنفاس، ج3، ص249؛ ابن مريم، البستان، ص52، الخفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص42؛ حجي، المرجع السابق، ص356؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص504.

الشهير، كما قرأ بفاس على عدد من علمائها، و بها تولى كرسي ابن غازي لتدريس الحديث في القرويين و درس به كذلك الفقه و العقائد.

- **علي بن عيسى الراشدي**[1] **(ت 961هـ/ 1554م)**: أستاذ نحوي من جبل بني راشد جنوبي تلمسان، ارتحل إلى فاس سنة 911هـ/ 1506م، فكان يحضر مجالس كبار العلماء بالمدينة، وأخذ عنهم كالهبطي و الدقون، و تصدر للتدريس بها، كما أسند إليه كرسي القراءات و السيرة النبوية بمسجد الشرفاء بفاس.
- **محمد بن عبد الرحمن بن جلال**[2] **(ت981هـ/ 1574م)**: أحد كبار علماء تلمسان، قدم إلى فاس لاجئا إلى بلاط محمد الشيخ السعدي سنة 958هـ/ 1551م، فنال حظوة كبرى عند السعديين الذين ولوه خطط الفتوى و الإمامة و الخطابة والتدريس بالقرويين، لا بلا كان يستدعى في جملة أعيان العلماء في مراكش، كما اشتغل بالتدريس مدة في الجامع الكبير بتارودانت.
- **أبو القاسم بن سلطان القسنطيني**[3] **(ت بعد 999هـ/ 1591م)**: فقيه معقولي، أخذ بفاس عن المنجور و تخرج عليه و على طبقته، ارتحل إلى المشرق فأخذ هناك عن علمائها، ثم عاد إلى المغرب ليستقر بتطوان، التي تولى الخطابة و التدريس بجامع قصبتها.

---

[1]- المنجور، الفهرس، ص 67،68؛ ابن القاضي، الدرة، ج3، ص256؛ الكتاني، سلوة الأنفاس ، ج3، ص311.

[2]- عنه ينظر: ابن عسكر، الدوحة، ص123؛ المنجور، الفهرس، ص78؛ ابن القاضي، الدرة، ج2، ص214 و الجذوة ، ص206؛ محمد العربي الفاسي، المرآة ، ص 9،10؛ التمنراتي، الفوائد الجمة ، ج1، ص21؛ القادري، نثر المثاني ، ج1، ص 92،93؛ الكتاني، سلوة الأنفاس، ج2، ص26؛ الحفناوي، تعريف الخلف ، ج2، ص421.

[3]- ابن القاضي، الدرة، ج3، ص288 و جذوة الاقتباس، ص324؛ محمد داود، تاريخ تطوان، ج1 ، ص157 ؛محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص418؛ الزهراء النظام، المرجع الابق، ص508.

● **محمد بن أحمد بن الوقاد**[1] (ت 1001هـ/ 1592م): فقيه محدث و أديب بارز، أخذ العلم عن مشايخ تلمسان، و منهم التنسي، كان متمكنا في العلوم الشرعية واللغوية، ارتحل إلى المغرب و استقر بتارودانت، ولي بها قضاء الجماعة، ثم انتقل إلى مكناس و فاس و تولى في كليهما الخطابة، ثم عاد إلى تارودانت، حيث تولى بها كرسي التدريس و الخطابة و الإمامة بجامعها الكبير، فقد تلقى عنه السوسيون الفقه و الحديث و التفسير و قواعد اللغة و الأدب، و هو أول من قرأ بتارودانت "الجامع الصحيح للبخاري"، و أول من أحيى بها ليلة المولد النبوي باجتماع الناس في منزله[2].

● **أحمد بن يوسف الزياتي**[3] (ت1003هـ/ 1594م): أصله من بني عبد الواد الزناتيين ملوك تلمسان، اشتهر بعلمه و صلاحه، و كانت له مشاركة في العديد من العلوم و برز في الفقه والنحو، أخذ العلم بفاس و تخرج بها على يد كبار علمائها، ثم انتقل إلى تطوان حيث تولى بها التدريس و الخطابة بجامعها، توفي بتطوان.

● **الحسن بن يوسف الزياتي**[4] (ت1023هـ/ 1614م): يتصل نسبه هو الآخر ببني عبد الواد ملوك تلمسان، ولد ببني زيات شمال المغرب سنة 964هـ، رحل إلى فاس حيث درس على علمائها و منهم، أبو العباس القدومي، و عبد الواحد الحميدي، وأبو المحاسن يوسف الفاسي، وكان من الملازمين له، و محمد بن قاسم القصار، الذي أجازه في كل مقروءاته و مروياته، و كتب له ذلك بخط يده، انتصب بعد تخرجه للتدريس بفاس، له مؤلفات عديدة.

---

[1]- اليفرني، صفوة من انتشر، ص 93،94؛ الحضيكي، الطبقات ،ج2، ص ص 40- 44؛ التمنراتي، الفوائد الجمة، صص 14- 19؛ عبد الرحمن ابن زيدان، اتحاف أعلام الناس، ج4، ص ص 36- 38؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص412؛ الطمار، تلمسان عبر العصور، المرجع السابق، ص235.

[2]- التمنراتي، الفوائد الجمة ، ص14.

[3]- القادري، نثر المثاني ، ج1، ص43؛ محمد العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص 227،228؛ ابن القاضي، الدرة، ج1، ص169؛ محمد داود، تاريخ تطوان، ج1، ص 316، 317؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص419.

[4]- محمد العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص ص 225- 228؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص 508، 509.

- **أبو العباس أحمد بن محمد المقري** (ت1041هـ/ 1631م): ولد بتلمسان سنة 986هـ/ 1578م[1] من أسرة عريقة اشتهرت بالعلم، هاجر مع أسرته إلى فاس سنة 1009هـ/ 1600م، فاستقبله المنصور غداة وصوله إليها، و أسندت إليه الإمامة والخطابة بجامع القرويين، و بالمغرب التقى بعديد من العلماء و الأدباء، فأخذ عن بعضهم و أجازه بعضهم الآخر، منهم أحمد بابا التنبكتي[2] و عبد الواحد بن أحمد الرجراجي الذي يقال أن المقري أعجب بسعة اطلاعه، و وصفه بحدة الفهم و قوة الادراك، و تحدث المقري عن بعض من تآليفه في العقائد و قواعد اللغة التي كان الرجراجي قد أهداها لخزانة المنصور، و بخزانة هذا الأخير اطلع المقري على كتب نادرة منها "حواشي اللقاني على توضيح خليل" الذي أهداه إياه الرجراجي نفسه، فحمله المقري إلى تلمسان فأعجب به علماؤها[3].

و بالمغرب لقي كذلك المقري الشيخ أحمد بن أبي القاسم التادلي الصومعي (ت1013هـ/ 1604م) و الذي كان يواضب على حضور مجالسه العلمية، و ذكر أنه حصل منه على إجازة عامة في ستين كتابا من مؤلفاته، و كلها في الفقه والتوحيد و التصوف[4].

---

[1]- المقر، نفح الطيب، ص ص 5- 14؛ ابن مريم، البستان، ص 53، 54؛ محمد مخلوف، شجرة النور، ص301 ؛الحضيكي، الطبقات ، ج1، ص 54، 55؛ العباس بن ابراهيم، الإعلام ، ج2، ص ص 106-111، ليفي بروفنسال، مؤرخو الشرفا ، ص 93، 94؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص367 و الزاوية الدلائية، ص ص 108- 113، الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص48؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص144؛ ابراهيم حركات، السياسة والمجتمع ، ص412.

[2]- أجاز أحمد بابا التنبكتي عام 1010هـ/ 1601م، بمراكش في كتب الحديث التي سمح له أن يرويها بسنده عن مشايخه من المشارقة، ينظر نص هذه الإجازة كاملا عند المقري، روضة الآس، ص ص 305- 312.

[3]- المقري، نفح الطيب ، ص 4، 5؛ ابن مريم، البستان، ص 53، 54؛ ابن القاضي، درة الحجال ،ج3، ص142 ؛محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص385.

[4]- المقري، نفح الطيب ، ص ص 5- 14؛ ابن مريم، البستان، ص 53، 54.

و بعد الأحداث التي تلت وفاة المنصور رحل المقري إلى المشرق، حيث ظل مقيما بمصر إلى أن وافته المنية.

● **عبد العزيز بن الحسن الزياتي**[1] (ت1055هـ/ 1645م): هو أحد أفراد الأسرة العبد الوادية التلمسانية كذلك، درس بفاس و تطوان و مراكش، فأخذ عن خاله محمد العربي الفاسي، وبمراكش أخذ عن شيخ القراء محمد بن يوسف التملي، ثقافته واسعة لكنه تخصص في علم القراءات، أقام في تطوان حيث تصدر للتدريس والتأليف.

● **عبد الرحمن بن محمد الوقاد**[2] (ت1057هـ/ 1647م): كان إماما مشاركا في فنون عديدة، خلف والده السالف الذكر في الخطابة و الإمامة و التدريس بالجامع الكبير بتارودانت، حتى أصبح يعد شيخ المحدثين في القطر السوسي بأكمله.

و إضافة إلى هؤلاء العلماء الذين كانوا ينتقلون بين حواضر البلدين لاستكمال دراستهم أو الاطلاع على الانتاجات الفكرية أو الاجازة العلمية، فهناك صنف من العلماء المثقفين من كانوا يرتحلون لأداء مهمة معينة، كالقيام بسفارة إما لحكومة الجزائر أو الدولة العثمانية أو لدى السعديين بالمغرب، و لهذا الغرض فقد استقبلت الجزائر عددا من علماء المغرب الموفدين، إما إلى سلاطين بني زيان قبل زوال أمرهم، و انهيار سلطتهم، أو إلى حكومة الجزائر التركية العثمانية، أو إلى السلطان العثماني، فتوقفوا في الجزائر ، و من أبرز هؤلاء السفراء:

---

[1]- محمد داود، تاريخ تطوان، ج1، ص ص 279- 341؛ محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج2، ص421؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص510.

[2]- عنه ينظر: التمنراتي، الفوائد الجمة، ص 47، 48؛ اليفرني، صفوة من انتشر ،ص 154،155؛ الحضيكي، الطبقات، ج2، ص151؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص412؛ الحفناوي، تعريف الخلف ، ص207.

● **الحسن الوزان**[1] **(ت بعد 934هـ/ 1528م)**: هو الحسن بن محمد الوزان الزياتي الفاسي المعروف بليون الافريقي، درس بفاس على عدد من أعلامها، و قام برحلات عديدة داخل المغرب وخارجه في مهام سياسة و دبلوماسية لفائدة الوطاسيين، حيث أوفده السلطان محمد البرتغالي الوطاسي، إلى ملوك المسلمين في شمال افريقيا والمشرق، بعد أن كان قد أوفده من قبل إلى ملوك المسلمين في بلاد السودان، فكانت تلمسان إحدى محطاته، حيث وفد عليها سنة 921هـ/ 1515م، و قابل سلطانها الزياني[2]، و أقام عنده مدة التقى فيها بعليه القوم، و جالس علماءها وفقهاءها و قضاتها و صلحاءها، كما نظر و ناقش بعضهم في بعض القضايا الدينية و الفكرية[3]، وقد دون هو نفسه كل مشاهداته و ملاحظاته في كتابه الشهير "وصف افريقيا" ثم استأنف طريقه نحو تونس، و مر بمدينة الجزائر قبيل دخول الأتراك إليها، و تقابل مع عروج في بجاية حيث كان محاصرا لها، و شهد فشل محاولة تحريرها، و قد امتحن الوزان بالأسر كما ذكرنا سابقا، و هو في طريق عودته من رحلة الحج، و زيارة استنبول، إذ وقع في قبضة قراصنة صقلية، وبالتنصر بعد ذلك.

● **أبو الحسن علي بن محمد التمجروتي**[4] **(ت1003هـ/ 1595م)**: عالم و أديب ومدرس معروف بزاويته في تمكروت، بعث به أحمد المنصور سفيرا إلى السلطان العثماني مراد الثالث، و قد

---

[1]- عن حياته و رحلاته ينظر: الحسن الوزان، وصف افريقيا؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص 348، 349 ؛عمار بن خروف، المرجع السابق، ج2، ص117؛ شوقي عطاء الله الجمل، أضواء على حياة الحسن بن محمد الوزان، مجلة المناهل، ع2، المغرب، 1975، ص ص 239- 248.

[2]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 23، 39، 41.

[3]- نفسه، ص ص 16- 29.

[4]- عنه ينظر: اليفرني، صفوة من انتشر، ص106؛ محمد داود، تاريخ تطوان، ج1، ص ص 159- 162؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص548؛ عمار بن خروف، المرجع السابق، ج2، ص117.

سجل أحداث هذه الرحلة في كتابه المسمى ب"النفحة المسكية في السفارة التركية"[1] و كانت من محطاته الجزائر التي زارها سنة 997هـ/ 1589م، مع شريكه في السفارة إلى استنبول الفقيه الشاعر أبي عبد الله محمد الفشتالي.

- **أبو العباس أحمد بن يحيى الهوزالي و أبو العباس أحمد بن ودة:** الذين زارا الجزائر أيضا في إطار سفارة سنة 1581م[2] غير أنهما لم يخلداها في كتاب.

و من علماء و مثقفي الجزائر الذين وفدوا إلى المغرب في إطار السفارة أيضا نذكر:

- **محمد علي الخروبي (ت963هـ/ 1556م):** هو أبو عبد الله محمد علي الخروبي الطرابلسي الأصل، فقيه و ناقد اجتماعي نزيل الجزائر، ولد بقراقش –غرب مدينة طرابلس– حوالي سنة 880هـ/ 1475م،[3] حيث أخذ عن والده و عن شيوخ آخرين، و بعد استيلاء الجنوبيين على طرابلس سنة 916هـ/ 1513م، انتقل إلى مدينة الجزائر، ليشتغل بها مدرسا و مرشدا بجامعها الأأعظم، و هو يعد من أتباع الشيخ الصوفي أحمد زروق البرنسي الفارسي، دفين مسراتة –و كان صاحب مدرسة صوفية– هدفها محاربة البدع في الاسلام و التمسك بالعقيدة، نال حظوة وواجهة كبيرة لدى حكام الجزائر الأتراك الذين بعثوه سفيرا إلى محمد الشيخ السعدي مرتين، الأولى سنة 959هـ/ 1552م و الثانية سنة 961هـ/ 1554م، لإقامة السلام و رس الحدود بين البلدين،

---

[1]– طبعت "النفحة المسكية" مصورة عن نسخة خطية قديمة بباريس بدون تاريخ، و هي كل ما دونه التمكروتي من مشاهدات و اتصالات في رحلته إلى القسطنطينية، و هي رحلة مليئة بالمعلومات الجغرافية و التاريخية و الاستطرادات الأدبية والمناظرات الشعرية، إلى جانب ما ترسم عن العلاقات السياسية والثقافية بين المغرب السعدي و الدولة العثمانية، ينظر: محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص26.

[2]– الفشتالي، مناهل الصفا ، ص50؛ عمار بن خروف، المرجع السابق، ج2، ص117.

[3]– ابن عسكر، الدوحة، ص126؛ القادري، نثر المثاني، ج1، ص90؛ ابن القاضي، الجذوة، ص204؛ اليفرني، نزهة الحادي، ص 41، 42؛ محمد العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص276؛ العباس بن ابراهيم، الإعلام، ج5، ص142،143؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص489؛ عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج2، ص24؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص107.

ثم لدعوته للدخول في طاعة الدولة العثمانية، و قد التقى أثناء إقامته بالمغرب بعدد من علمائه، فأخذ عنهم و أخذوا عنه[1] و عن تلامذته هناك أبو الحسن علي الأغصاوي المعروف بالبقال، كما تناقش و تناظر مع بعضهم في قضايا فقهية و كلامية و تصوفية.

- **أبو الطيب البسكري** (ت987هـ/ 1579م): هو مفتي الجزائر و عالم شهير، تولى الخطابة بجامعها الأعظم،، و من العلماء الجزائريين الموالين لأتراك الجزائر، اختاره السلطان العثماني لشهرته و مكانته العلمية للقيام بمهمة سفارية لدى السعديين، حث زار المغرب مرتين، فالأولى كانت برفقة جماعة من علماء و مرابطي الجزائر أرسلهم السلطان سليم الثاني للتوسط في الصلح بين عبد الملك و أخيه عبد الله الغالب سنة 978هـ/ 1571م، أما الثانية فقد كانت في جمادى الأولى سنة 987هـ/ 1579م، على رأس سفارة جزائرية لتهنئة المنصور بالانتصار في معركة وادي المخازن سنة 986هـ/ 1578م بتوليه حكم المغرب[2].

ومهما كانت أهداف و دوافع هجرة هؤلاء العلماء، فلا أحد يذكر عليهم دورهم في تفعيل الروابط الثقافية بين البلدين، و تنشيطها كما كانت تتيحه هذه الرحلات من فرصة اللقاء والاحتكاك بين مثقفي و علماء البلدين، و تلاقح أفكارهم، و الأخذ عن بعضهم البعض، وتبادل المصنفات و العلوم، و مناقشة بعض القضايا التي تشغل بالهم سواء كانت دينية فقهية أو علمية ثقافية، أو اجتماعية، مما يعود بالنفع على الحياة الثقافية و الاجتماعية في الاقليمين.

3- مشاركة العلماء في مجال التأليف:

تميز هذا العصر بكثرة التآليف و تنوع مضامينها و موضوعاتها، و لعل ذلك راجع إلى سياسة الحكام في المغرب و الجزائر المبنية على أساس تشجيع العلماء على التأليف و الإبداع والانتاج، و ذلك بتقديرهم و تقريبهم من مجالسهم، و إجراء الأرزاق عليهم، و بذل الهبات

---

[1]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص107.

[2]- الفشتالي، امناهل الصفا، ص50؛ عمار بن خروف، المرجع السابق، ج2، ص118؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص 507، 508 ؛ Hedo, topographie, p63.

والعطايا عليهم في مناسبات مختلفة، مما كان يزيد من تحفيزهم و اقبالهم على التأليف و نشر الكتب.

لذلك شهدت المنطقتان خلال القرن 10هـ/ 16م، حركة علمية نشيطة شملت عددا من جوانب المعرفة، و ذلك لاجتماع العديد من العوامل و تظافرها –سبق و أن أشرنا لها في الباب الثاني– على الرغم من الاضطرابات السياسية التي عرفتها المنطقة عموما، إلا أن حالة الاستقرار التي بذل في تحقيقها السعديون و الأتراك على حد سواء جهودا بالغة الأهمية، مما ساعد على تعدد المراكز الثقافية و انتشار المؤسسات التعليمية مما أتاح للعلماء إمكانية البحث و الانتاج و التأليف في علوم عديدة.

و لعل الحركة العلمية و الأدبية في المغرب و الجزائر خلال القرن 10هـ/ 16م استفادت من الانجازات العلمية و الأدبية التي تحققت خلال العهدين الزياني والمريني، و من التنوع الثقافي الذي عاشته هذه الحقبة بتوافد العلماء من كل حدب وصوب، خاصة من الأندلس و أوروبا والمشرق، ويتضح لنا ذلك جليا من خلال الوصف الذي قدمه لنا الحسن الوزان حول الحياة الثقافية في المنطقتين، خاصة في فاس و تلمسان خلال النصف الأول من هذا القرن، حيث أكد أن حكام بني زيان وبني وطاس، على الرغم من تقلص نفوذهم و اشتغالهم بحروبهم، إلا أنهم لم يتخلوا عن دعمهم للجانب العلمي و الثقافي، فكانوا يشجعون العلم و العلماء من خلال الانفاق عليهم وعلى المؤسسات التعليمية و تخصيص الأوقاف لكراسي التدريس بفاس و تلمسان[1].

وكشكل من أشكال العناية بالعلم وعلماء، بدأ الاهتمام بإنشاء الخزانات وتنظيمها، وتنحيتها وتطويرها، حيث أقبل حكام المغرب والجزائر على اقتناء الكتب وجلبها من أصقاع كثيرة، و بذلوا أموالا طائلة من أجلها، و نافسهم في ذلك خاصة الناس و عامتهم، كما شاعت ظاهرة نسخ الكتب، فتهافت كثير من العلماء على نسخ أمهات الكتب، لا بل ظهر مختصون في هذا

[1]– الحسن الوزان، وصف افريقيا، ج1 و2؛ ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2، ص225؛ الطمار، تلمسان عبر العصور، ص 234، 235.

المجال، و بذلك أصبحت الخزانات الخاصة و لعامة تعج بمختلف أنواع الكتب و في علوم و فنوف عديدة[1].

و مواكبة لهذه العناية و الاهتمام الذي شمل الخزانات العلمية في هذا العصر تعددت التآليف و ازدهرت و ظهرت حركة نشيطة في هذا المجال، تجلت في اهتماما العلماء و الأساتذة على بعض الأصول القديمة التي كانت متداولة في المساجد و المعاهد، وهي في أغلبها دراسات خاصة بالقرآن الكريم و تفسيره، والحديث و السير و العقائد و أصول الفقه و فروعه، و في التصوف و اللغة والأدب و علوم عديدة، فتناولوها بالدرس و التحليل و وصفوا حولها شروحا وتعاليق وحواشي، منها مثلا: كتب موطأ مالك، و سحنون، و البرادغي، و ابن عطية الغرناطي، وكتب سيبويه و اقليدس، و ابن سينا و غيرهم[2].

كما اهتموا بوضع شروح و تعاليق على مؤلفات كانت متداولة في المنطقتين من مؤلفات المغاربة و الجزائريين و الأندلسيين أمثال: أبي محمد الشاطبي والكلاعي البلنسي، و ابن عاصم الغرناطي، و ابن البناء المراكشي و محمد السنوسي التلمساني، و ابن برى التازي، بالإضافة إلى ما جيء به من مؤلفات المشارقة، أمثال، ابن الحاجب الاسكندري، و ابن مالك الدمشقي، و ابن هاشم المصري، وخليل الجندي، و ابن حجر العسقلاني، و جلال الدين السيوطي و غيرهم[3].

و قد تنافس علماء المنطقتين و أدباؤهما على وضع تآليف مستقلة و في مواضع مختلفة، منها ما كان مخصصا لمعالجة بعض قضايا البلدين و اشتغالاتهم خلال هذه الفترة، بينما اهتم مؤلفون آخرون بوضع شروح و تعاليق و حواشي على مؤلفات معاصريهم من المنطقتين، كما قاموا أحيانا كثيرة بنقضها و تقريظها، ونتيجة لذلك تعددت أصناف الكتب المؤلفة، وتعددت مواضيعها و مجالاتها، من دينية ولغوية و أدبية و علمية و تاريخية.

---

[1]- التمكروتي، النفحة المسكية، ص139؛ اليفرني، نزهة الحادي، ص219.

[2]- الزهراء النظام، المرجع السابق، ص517.

[3]- نفسه، ص517.

لكن بالرغم من هذا التعدد في الكتب إلا أن روح الاجتهاد قد غابت في هذا العصر، خاصة فيما يتعلق بالعلوم، حيث اقتصرت على اجترار ما ألفه السابقون، وطغى على المؤلفات الجديدة الطابع الديني و الأدبي رغم تنوع مواضيعها، و من المجالات التي خاض فيها مؤلفو المنطقتين في هذا العصر و أبدعوا فيها نذكر:

أ- علوم القرآن و الحديث:

اعتنى علماء القرن 10هـ/ 16م بعلوم الدين و الشريعة فازداد الاقبال على دراسة القراءات و التفسير و العلوم الفقهية الأخرى، و من كتب التفسير التي وضعت في هذا العصر: "البدر المنير في علوم التفسير" لمحمد بن عبد الكريم المغيلي[1]، ووضع محمد بن علي الخروبي (ت963هـ/ 1556م) تفسيرا للقرآن[2]، و الف محمد الهبطي[3] إمام القراء بالمغرب كتاب "وقف القرآن الكريم" الذي ظل العمل به جاريا في أقطار المغرب كله إلى يومنا هذا، كما وضع عبد الجبار بن أحمد الفجيجي[4] (ت حوالي 920هـ/ 1514م) "تفسير القرآن الكريم" في اثني عشر

---

[1]- محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح، ص21؛ عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ص74.

[2]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص107.

[3]- هو عبد الله بن محمد الهبطي (ت963هـ/ 1556م) عالم مشارك و صوفي عارف و مؤلف مصلح، قرأ في جبال غمارة و الهبط، ثم انتقل إلى فاس فأخذ عن شيخ فقهائها أحمد الزقاق و طبقته، و عن سيد صوفية عصره عبد الله الغزواني (ت935هـ/ 1529م)، اشتهر بتآليفه ذات الطابع الاصلاحي، و محاربة الرذائل الجاهلية، عنه ينظر: ابن القاضي ،الدرة، ج1، ص60 وجذوة الاقتباس، ص250 و لقط الفرائد، ص308؛ محمد العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص15، القادري، نثر المثاني، ج1، ص 18، 19؛ الحضيكي، الطبقات، ج2، ص ص 309- 315؛ الناصري، الاستقصاء، ج5، ص 87، 88؛ ابن عسكر، الدوحة، ص7؛ عبد الله كنون، النبوغ، ج1، ص251؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص 466، 467.

[4]- هو عبد الجبار بن أحمد البرزوزي الفجيجي، عالم مشارك، متوسع في علوم القرآن و الحديث، من طبقة الإمام ابن غازي، أسس الزاوية العلمية المعروفة باسمه، كما وضع بمؤلفاته اللبنة الأأولى لمكتبتها الجبسية بدار العدة المشهورة بفجيج، تولى التدريس في زاويته، و تولى قضاء قصور فجيج، عنه ينظر: ابن القاضي، الجذوة، ص94؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص 511، 512.

مجلدا[1] و هو يعد أهم تفسير وضع في هذا العصر، كما ألف محمد بن علي الشطيبي البرجي (ت963هـ/ 1555م) كتاب "اللباب المختصر لأهل العبادات و النظر"[2] و هو مختصر لشرحه "اللباب في حل مشكل الكتاب".

أما عن الحديث فقد ألف علماء هذ العصر كتبا عديدة، و هي في مجملها شروح وحواشي على صحيحي البخاري و مسلم نذكر منها: شرح محمد بن عبد الكريم المغيلي "مفتاح النظر في علم الحديث"[3]، و للإمام السنوسي و هو من أطباء الجزائر في القرن 10هـ/ 16م، شرح على صحيح البخاري[4]، و للإمام محمد ابن غازي شرح على "صحيح البخاري" سماه "إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب"[5].

ب- التوحيد و المنطق:

انتعشت الدراسات الكلامية في المغرب و الجزائر خلال القرن 10هـ/ 16م، وأقبل علماء المنطقتين على التأليف فيه، و انصب اهتمامهم حول بعض المؤلفات خاصة منها "عقائد السنوسي"، و "محصل المقاصد" لابن زكري[6] و "المنهج المنتخب" للونشريسي.

---

[1]- محمد حجي، الحركة الفكرية ، ج2، ص511.

[2]- هو مخطوط يوجد بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم د1644.

[3]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص74؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص 518، 519.

[4]- محمد عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور ، ص209.

[5]- أبو عبد الله بن أحمد بن غازي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، دراسة و تحقيق عطا أبو رية، و سلطان بن مليح الأأسمري، ط1، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2007، ص19 (مقدمة المحققين).

[6]- اسمه الكامل "محصل المقاصد مما تعتبر العقائد"، عنه ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص 70،71؛ ابن مريم، البستان، ص ص 38- 41؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص303؛ ابن عسكر، الدوحة، ص119؛ القرافي، المصدر السابق، ص61؛ محمد مخلوف، شجرة النور، ص267؛ المنجور، الفهرس، ص74؛ أبو العباس بن زكري التلمساني، غاية المرام في شرح مقدمة الإمام، تحقيق محند أويدر حشنان، دار ابن حزم، الجزائر، 2005، ص ص 150-241؛ الخفناوي، المرجع السابق، ص 42- 43؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 79، 80.

فازدهر التوحيد في تلمسان على يد الإمام محمد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ/ 1490م) الذي ألف في عقائده الأربع و هي: العقيدة الكبرى، و العقيدة الوسطى، و أم البراهين، المعروفة بالعقيدة الصغرى، و المقدمات أو صغرى الصغرى[1] و انتقلت هذه الكتب إلى المغرب[2] مع المهاجرين الجزائريين خاصة من تلامذة الإمام السنوسي، و انتشرت على يدهم بين المغاربة، و ظلت هذه العقائد متداولة من قبل المدرسين في الاقليمين، حيث كتبوا عليها شروحا وتعاليق، نذكر منها: حاشيتا أحمد المنجور على العقيدتين "الكبرى و الصغرى"[3] و شرحه على "العقيدة الكبرى"[4].

كما كتب عمر بن الكماد (ت960هـ/ 1553م)[5]، و محمد ابن الحسن بن عرضون (ت1012هـ/ 1604م)[6]، و الحسن بن محمد الدرعي[7] (ت1006هـ/ 1598م)، مشروحا على على "صغرى" السنوسي، و الحواشي الثلاث لعبد الرحمن الفاسي على "الصغرى"[8].

---

[1]- ابن عسكر، الدوحة، ص121؛ التنبكتي، نيل الابتهاج،ج1، ص ص 325- 329؛ ابن مريم، البستان، ص ص 237- 248؛ المنجور، الفهرس، ص74؛ محمد مخلوف، شجرة النور، ص266؛ حاجيات، الحياة الفكرية بالجزائر، ص445؛ جمال الدين بوكلي حسن، الإمام ابن يوسف السنوسي، ص55 و ما يليها؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص87؛ محمود بوعياد، المرجع السابق، ص63؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 80، 81.

[2]- ألف علماء هذا العصر عقائد مستقلة نثرا و نظما منها: أرجوزة إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة، لأحمد المقري، وعقيدتان كبرى و صغرى لعبد الله ابن طاهر السجلماسي، و أرجوزة "تلقيح الأذهان بتنقيح البرهان" لمحمد العربي الفاسي، وأرجوزة "مراصد المعتمد في مقاصد المعتقد، لنفس المؤلف و عقائد متعددة لعبد الله الهبطي مبسطة كانت تلقن للنساء والصبيان أو للعوام و الخدم، ينظر: محمد حجي، الحياة الفكرية، ج1، ص143.

[3]- توجد مخطوطات بمكتبة القرويين أرقام 989ز، 1511، 8054.

[4]- المنجور،الفهرس، ص80؛ محمد حجي، الحياة الفكرية، ج1، ص143.

[5]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص106.

[6]- ابن القاضي، الدرة، ج2، ص137؛ محمد العربي الفاسي، المرآة، ص 169، 170؛ اليفرني، صفوة من انتشر، ص137،136؛ القادري، نثر المثاني، ج1، ص ص 69- 73؛ الكتاني، سلوة الأنفاس، ج2، ص 267، 268؛ محمد حجي، الحياة الفكرية، ج2، ص424.

[7]- الزهراء النظام، المرجع السابق، ص519.

[8]- طبعت احداها على الحجر، عنها ينظر: محمد حجي، الحياة الفكرية ، ج1، ص143، هامش 35.

كما تداول المدرسون في المنطقتين خلال هذا العصر كتبا أخرى في التوحيد ألفها جزائريون منها: "محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد" لأبي العباس أحمد بن زكري التلمساني السالف الذكر، و"المنهج المنتخب" لعبد الواحد الونشريسي، فكتبوا حولها شروحا و حواشي نذكر منها: شرح أحمد المنجور عل "محصل المقاصد"، ونظمه لهذا الشرح في كتاب سماه "نظم الفرائد و مدى الفوائد في شرح محصل المقاصد"[1]، و شرحه على "المنهج المنتخب" للونشريسي، ثم مختصر شروح المنجور على "محصل المقاصد"[2] و على "العقيدة "الكبرى" للسنوسي، و "المنهج المنتخب" للونشريسي.

أما عن المنطق فقد ازدهر على يد علماء كثيرين من الجزائر منهم محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي ألف كتابا في المنطق سماه "لب الألباب في رد الفكر إلى الصواب" و "شرح الجمل في المنطق"، و له مقدمة في هذا العلم و منظومة و ثلاث شروح عليها[3]، و لعبد الرحمن بن محمد الأخضري نظم كذلك في هذا العلم يسمى "السلم المرونق في علم المنطق"[4].

و قد كان للمهاجرين دور في انعاش علم المنطق بالمغرب بعدما حملوا معهم هذا العلم إلى المغرب، حيث أخذه هنهم أهله و تداولوه[5].

ج- في الفقه:

ظل الفقه المالكي خلال القرن 10هـ/م، أحد أهم عناصر الوحدة بين البلدين، باعتباره المذهب الرسمي في المغرب و المصدر الوحيد للتشريع، و لم يكن ينافسه أي مذهب ديني آخر،

---

[1]- مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم د2997.، مخطوطات بمكتبة القرويين أرقام 717، 725، 1373، 1381، ينظر، محمد حجي، الحياة الفكرية ، ج1، ص143، هامش 38.

[2]- أحدث في نهاية القرن 10هـ/ 16م كرسيا لتدريس كتاب "محصل المقاصد" لابن زكري التلمساني في جامع القرويين.

[3]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص74.

[4]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق ، ج3، ص79؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص ص 356- 358؛ عمار بن خروف، المرجع السابق، ج2، ص139.

[5]- محمد حجي، الحياة الفكرية، ج1، ص68؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص520.

وعلى أساسه كانت تتم المعاملات و الأحكام الشرعية، و لم تكن المناصب الدينية تمنح إلا لكبار الفقهاء من المالكية كالقضاء و الافتاء والخطابة و الإمامة.

بينما في الجزائر و بقدوم الأتراك و استبدادهم بالحكم، فقد عرفت البلاد اختلافا مذهبيا في هذا العهد، فإلى جانب المذهب المالكي الذي ظل معتمدا في البلاد، فقد ظهر مذهبان آخران هما: المذهب الإباضي[1] الذي استمر العمل به خاصة في جنوب الجزائر، و تحديدا في منطقة بني ميزاب، و المذهب الحنفي[2] الذي أقامه الأتراك بمجرد وصولهم إلى الجزائر، و بذلك أصبح العمل في التشريع الجزائري، و في الأحكام و المعاملات، يجري على أساس هذا التعدد إذ كان للإباضية في منطقة ميزاب قضاتهم و مفتوهم، بينما كانت مهمة القضاء و الافتاء في باقي جهات الجزائر يتولاها فقهاء من المذهبين الحنفي و المالكي[3]، و هكذا أصبح قضاة و مفتوا المالكية يعملون إلى

---

[1]- هو نظام ديني اجتماعي سياسي يستند إلى الفقه الاسلامي و يختلف عن المذهب المالكي من حيث أسسه و نظم تسييره، قام في منطقة وادي ميزاب على أنقاض نظام دولة بني رستم في الجزائر، و هو قائم على نظام "الإمامة" تتولى الحكم داخله مجالس دينية تسمى "العزابة" و هي التي تتولى وضع القوانين الخاصة بالمعاملات و التشريع و بكل ما يتعلق بتسيير الجماعة وفق ما يقتضيه المذهب الاباضي، و قد كان لهذه المجالس نظامها التعليمي و القضائي الخاص بها، عنه ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص ص 109- 124؛ عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر منذ العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، طبعة تونس، 1955، ص ص 453- 455؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص400.

[2]- هو مذهب قائم على تطبيق تعاليم الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه الفارسي الكوفي (80-150هـ/ 699- 767م) فقيه و عالم و أول الأئمة الأربعة عند أهل السنة و الجماعة، اشتهر بعلمه الغزير و أخلاقه الحسنة، و هو من التابعين، فقد لقي عددا من الصحابة منهم أنس بن مالك، و كان يعتمد في فقهه على ستة مصادر هي: =القرآن الكريم و السنة النبوية، و الاجماع و القياس، و الاستحسان و العرف و العادة، تعرض الإمام أبو حنيفة لمحن كثيرة في حياته بسبب تأييده لبعض الثورات التي قامت على عهد الأمويين و العباسيين من بعدهم، عنه ينظر: الإمام محمد أبو زهرة، أبو حنيفة حياته و عصره، آراؤه وفقهه، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947.

[3]- كان النظام الديني لدى الأتراك مبنيا على هيئة اسلامية تشمل جميع المسلمين في أنحاء الامبراطورية العثمانية، و التي كانت تتكون من ثلاث فئات هي، فئة الإداريين الدينيين، و فئة المفتين و فئة القضاة، وتشكل هاتان الفئتان الأخيرتان هيئة العلماء التي كان يعين منها القضاة و المفتون في المدن الهامة، ينظر: محمد أنيس، الدولة العثمانية و الشرق العربي (1514-1914م)، المكتبة الأنجلو مصرية، 1990، ص ص 63- 101.

جانب قضاة و مفتي الحنفية[1]، كما أصبحت الأحكام الشرعية في المدن الكبرى و القرى المهمة تجري وفقا لما تقتضيه تعاليم المذهبين معا[2]

و رغم هذا التنوع المذهبي إلا أن المذهب المالكي ظل محتفظا بأهميته في الجزائر، ظل يفرض نفسه بشكل عميق باعتباره أساس المعاملات الانسانية، و في مجال التشريع في المغرب والجزائر، و عنصرا للتواصل بين فقهاء المنطقتين[3].

و خلال هذا العهد ازداد الاقبال على الفقه درسا و تأليفا فنبغ عدد كبير من الفقهاء، وبرزت العديد من التآليف التي وضعوها نظما و نثرا، فتفوق لذلك الكثير من الفقهاء لما حققه هؤلاء من اجتهادات في جوانب فقهية مختلفة شملت الفرائض والنوازل، والجهاد والأصول والتوثيق و غيرها[4]، فحظيت بذلك الكتب الفقهية القديمة بعناية الدارسين والباحثين ومنها على الخصوص "مختصر خليل"، و"رسالة ابن أبي زيد القيرواني" و"مختصر ابن حاجب، و"مدونة سحنون"، فكتبوا

---

[1]- ينظر في ذلك، التمكروتي، النفحة المسكية، ص139؛ Boyer (Pierre), Constribution à l'etude de la politique religieuse d'alger (16- 19s), revue de l'accident musulman et de la méditérranée, n°1, année 1966, Aixen Provence , p p 11- 49.

[2]- صار في كل مدينة رئيسية قاضيان، أحدهما للمذهب الحنفي و الآخر للمذهب المالكي، و كان تحت سلطة هذين القاضيين مجموعة من القضاة الفرعيين منتشرين في أنحاء البلاد، و قد كان مجلس القضاء الأعلى يتألف من قاضي القضاة ومن قاضيين و مفتيين، على مقتضى المذهبين المالكي و الحنفي و من شيخ النظر في الأوقاف، و ممثل عن الحكومة و كان هذا المجلس يجتمع مرة في الأسبوع بالجامع الأعظم تحت رئاسة الباشا للنظر في القضايا الكبرى بالبلاد، و مراجعة الأحكام القضائية، ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص400؛ أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص37 ؛عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ص30.

[3]- مع أن النظام القضائي في الجزائر خلال العهد العثماني كان يخضع لأحكام الشريعة الاسلامية إلا أن وظيفة القاضي الحنفي ظلت سياسية و دينية في الوقتاته، و إذا كانت مكانة المفتي تعود إلى مؤهلاته العلمية و الاعتبار الذي يحظى به بين السكان، فإن مكانة القضاة كانت تعود إلى سلطة التنفيذ و التعامل مع قضايا المجتمع اليومية، و مصالح السكان، و قد ظل المذهب المالكي هو المسيطر داخل المجتمع الجزائري لانسجامه مع طبيعة السكان الأصليين في الجزائر، باعتباره مذهبا يتصف بالصرامة و فرط الحماس، إضافة إلى البعد التاريخي في تمسك أهل المغرب عموما بالفقه المالكي، ذلك أن هذا المذهب كان يمثل واحدا من البنى الإيديولوجية التي وحدت المغرب لأول مرة، ينظر: شارل أندريه جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ج2، ص64، 65.

[4]- الزهراء النظام، المرجع السابق، ص 521، 522.

حولها شروحا وحواشي عديدة وقاموا بنظمها والتعليق عليها، ومن مؤلفات علماء هذا العصر في هذا المجال نذكر:

شرح الإمام ابن غازي المسمى "شفاء الغليل في حل مقفل خليل"[1] و تعليق لعمر بن الكماد (ت960هـ/ 1553م) على قول خليل[2]، و للمغيلي شرح على المختصر يسمى "مغني النبيل في شرح مختصر خليل"، و حاشية على المختصر سماها "إكليل المغنى"[3].

كما شرح المؤلفون في المنطقتين وعلقوا على "رسالة ابن أبي زيد القيرواني" ومن مؤلفاتهم:

الشرح المطول على "الرسالة" لعبد الواحد الونشريسي، و "تحرير المقالة في نظم نظائر الرسالة"، للإمام ابن غازي[4] و شرح محمد ابن الحسن بن عرضون (ت1012هـ/ 1604م) على الرسالة[5].

كما وضع فقهاء هذا العصر مختصرات و أنظاما لشروحهم و كتبهم، منها نظم أبي القاسم الفجيجي لمختصر خليل، و مختصر عبد الرحمن بن محمد الأخضري في فقه العبادات على مذهب الإمام مالك[6].

و قد ألف الإمام ابن غازي كتابين في الفقه هما "الكليات في أسس مذهب مال" و"اتحاف ذوي الذكاء و المعرفة بتكميل تقييد أبي الحسن و تحليل تعقيد ابن عرفة" (ت803هـ/

---

[1]- مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم د834، و لأحمد بابا التنبكتي شرح سماه "منن الرب الجليل ببيان مبهمات خليل" في جزءين، كمالة خمس رسائل في التعليق على مواضع صعبة من مختصر خليل، كما لمحمد ميارة حاشيتان عليه، احداهما عامة والأخرى على شرح الحطاب المختصر، م.خ.ع، بالرباط، رقم د2313، ينظر: محمد حجي، الحياة الفكرية، ج1، ص144، هامش 41.

[2]- محمد الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص67.

[3]- محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح، ص21؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص74.

[4]- مخطوطات بالخزانة العامة بتطوان، أرقام 890م، 9061م. ينظر: محمد حجي، الحياة الفكرية ، ج1، ص144، هامش 42.

[5]- القادري، نثر المثاني، ج1، ص ص 94- 96، محمد حجي، الحياة الفكرية ، ج2، ص424؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص522.

[6]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص79.

1400م) علق به على "المدونة"[1]، كما ألف محمد الخروبي كتاب "مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس"[2].

كما وضع عبد الواحد الونشريسي[3] أرجوزة من ألف و خمسمائة في كتاب سماه "سنا المقتبس لفهم قواعد الإمام مالك ابن أنس"[4]، و هي نظم له على كتاب والده أحمد الونشريسي (ت914هـ/ 1508م)، "إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك"[5]، و هناك شرح لهذه الأرجوزة وضعها تلميذه الفقيه أبو العباس أحمد المنجور الفاسي (ت995هـ/ 1586م)[6].

و قد تناول كتاب أحمد الونشريسي بالتقريض الأديبان المغربيان أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الشهير بابن يجبش التازي (ت920هـ/ 1515م) و أبو العباس أحمد بن محمد الحباك (ت938هـ/ 1531م)[7]، كما قام عبد الرحمن بن عيسى الكلالي (ت1001هـ/ 1593م)[8]

---

[1]- مخطوطات بمكتبة القرويين، أرقام 340، 1126، و بالمكتبة العامة بمراكش، رقم 260، 625، عنها ينظر: محمد حجي، الحياة الفكرية ، ج1، ص144، هامش 49.

[2]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص107؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص522.

[3]- فقيه نحوي و أديب بارع، ولد بفاس و بها درس على والده و على الشيخ محمد ابن غازي، كان له مجلس يحضره كبار العلماء منهم الزقاق و اليشتيني، تولى التدريس بفاس، ثم أسندت إليه خطة القضاء ثم الفتوى بعد وفاة علي بن هارون، توفي سنة 955هـ، عنه ينظر: القادري، نثر المثاني، ج1، ص45؛ المنجور، الفهرس، ص50؛ الكتاني، سلوة الأنفاس، ج2، ص82؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص255 .

[4]- مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم6155.

[5]-ابن عسكر، الدوحة، ص54؛المنجور، الفهرس، ص55؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج3، ص ص78،76.

[6]- محمد حجي، الحياة الفكرية، ج1، ص145؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص523.

[7]- ابن عسكر، دوحة الناشر، ص54؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص ص 76- 78.

[8]- هو أحد علماء فاس المتبحرين في الفقه و أصوله، درس على أخيه موسى (ت حوالي990هـ/ 1582م) و على عبد الواحد الونشريسي و طبقته و استفاد من مكتبته الفقهية التي ورثها عن والده، فاطلع على تعاليق الونشريسي على نسخته من الوثائق الفشتالية، فخرجها و رتبها في كتاب سماه "غنية المعاصر و التالي في شرح وثائق القاضي أبي عبد الله =الفشتالي" و نفس الشيء فعله مع منظومات عبد الواحد الونشريسي في "نظائر المذهب المالكي"، ينظر: المنجور، الفهرس، ص80؛ القادري، نثر المثاني، ج1، ص22؛ محمد حجي، الحياة الفكرية، ج2، ص490.

بتخريج منظومات عبد الواحد الونشريسي في نظائر المذهب المالكي من كنانيشه و رتبها بحسب الأبواب الفقهية[1].

ونتيجة للظروف العامة التي عاشتها المنطقتان في هذا العصر من تعدد الوقائع والأحداث في الحياة اليومية والتي كانت تستدعي آراء و فتاوى الفقهاء، فقد حقق هؤلاء تقدما كبيرا في هذا المجال، حيث اهتم عدد منهم بتجميع النوازل والبحث عن حلول للقضايا الفقهية المطروحة، فظل كتاب "المعيار" لأحمد بن يحي الونشريسي التلمساني (ت 914هـ/ 1508م)، الذي يضم كثيرا من نوازل أهل المغرب والأندلس، عمدة للدارسين في الفقه المالكي في كل منطقة المغرب الاسلامي[2].

و قد ذكر المنجور في فهرسه أن الونشريسي انتفع بخزانة تلميذه محمد الغرديس التغلبي التي "...احتوت على فنون العلم و التصانيف المعتبرة في النوازل وغيرها"، و استعان بها في انجاز كتابه "المعيار" و أكد المنجور على ذلك بقوله "..إنما تيسرت له تلك النوازل لا سيما فتاوى أهل فاس و أهل الأندلس من خزانة هذا الفقيه"[3].

و من الذين ألفوا في النوازل من البلدين نذكر: المهدي عبد العزيز بن الحسن الزياتي (ت1055هـ/ 1646م)، مؤلف "الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجمال غمارة"[4]، كما كتب المغيلي "مصباح الأرواح في أصول الفلاح"[5] حول قضية يهود توات.

---

[1]- المنجور، الفهرس، ص80؛ القادري، نثر المثاني، ج1، ص22.

[2]- و من الذين تناولوه بالدرس من علماء المنطقتين خلال القرن 10هـ/ 16م علي بن أبي بكر السكتاني (ت964هـ/ 1557م)، أصله من تارودانت أخذ العلم بفاس على يد اليشيثني و ابن مجبر و طبقتهما، يعود له الفضل في استخراج الموسوعة الفقهية الكبرى "المعيار" من مسودته الأولى و نسخه، عنه ينظر: ابن عسكر، الدوحة، ص ص 94- 104؛ المنجور، الفهرس، ص 19،20، التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص 213،214؛ ابن القاضي، الدرة، ج3، ص256 و لقط الفرائد، ص306؛ اليفرني، النزهة ، ص40؛ العباس بن ابراهيم، الإعلام، ج10، ص 64،65.

[3]- المنجور، الفهرس، ص 51، 52؛ ابن مريم، البستان، ص53.

[4]- عنه ينظر: محمد داود، تاريخ تطوان، ج1، ص ص 279- 341؛ محمد حجي، الحياة الفكرية، ج2، ص421.

[5]-محمد بن عبد الكريم المغيلي، المصدر السابق، ص ص 26- 77؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص74.

د- التصوف:

نال هذا العلم اهتماما كبيرا من طرف الدارسين و الباحثين في المنطقتين، فبرزت بذلك العديد من المؤلفات التي جاءت على شكل تقاييد و رسائل و تراجم ودراسات متنوعة[1]، تضم كذلك شروحا لبعض المؤلفات القديمة و الحديثة، منها: شرح محمد بن علي الخروبي (ت965هـ/ 1557م) على "الحكم العطائية"[2] و شرح محمد الشطيبي (ت963هـ/ 1556م) للحكم المسمى "فتح الباب الملتزم الجامع لبعض معاني كتاب الحكم"[3]، و لأبي العباس أحمد الصومعي التادلي (ت1013هـ/ 1604م) –و هو أحد مشاهير الصوفية في القرن 10هـ/ 16م- عدة تآليف في مسائل دينية مختلفة، و معظمها في التصوف و التوحيد منها كتاب "مطالع الأنوار السنية في بعض معاني الحكم العطائية"[4] و هو شرح في أربع مجلدات للحكم العطائية، و ألف

---

[1]–وضع بعض علماء هذا العصر مؤلفات عديدة بين مطولة و مختصرة و منظومة و منثورة يحذرون فيها من البدع و يردون فيها على أدعياء التصوف، و يكتشفون ادعاءاتهم و ينبهون عامة الناس و خاصتهم ويهدونهم إلى الطريق الصحيح، و من بين هذه المؤلفات نذكر مثلا: كتاب "الرد على المرابط عرفه وصحبه" لأبي حفص عمر بن محمد الكماد القسنطيني الجزائري، و ارجوزة عبد الرحمن الأخضري الجزائري المسماة "القديسة" في التصوف و التحذير من البدع، و "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية" لعبد الكريم الفكون (الحفيد) القسنطيني، و ألفية الإمام أبي محمد عبد الله الهبطي المسماة "الألفية السنية في تنبيه العامة و الخاصة على ما غيروا في الملة الاسلامية" . ابن عسكر، الدوحة، ص ص 7- 14؛ عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص ص 323- 326؛ عمار بن خروف، المرجع السابق، ج2، ص141.

[2]- ابن عطاء الله السكندري (ت709هـ/ 1309م) و هو فقيه مالكي و صوفي شاذلي الطريقة، بل أحد أركان هذه الطريقة، لقب بقطس العارفين و ترجمان الواصلين، و مرشد السالكين، له كرسي قار يحضره خلق كثير من شدة تأثير وعظه في قلوبهم، له مؤلفات عديدة أهمها "الحكم العطائية على لسان أهل الطريقة" والتي حظيت بقبول و انتشار كبيرين، ترجمها إلى الانجليزية المستشرق الانجليزي آرثر أربري، و إلى الاسبانية ميغيل بلاسيوس الذي ترجم فقرات منها مع شرح الدندي عليها، من تلامذته، ابن المبلق السكندري، و تقي الدين السبكي شيخ الشافعية، و من الذين تأثروا به في المغرب الشيخ محمد زروق أما عن حكمه فهي مجموعة من الحكم عددها 264 حكمة التي شرحها عدد من العلماء منهم الشيخ ابن عجيبة، وأحمد زروق في كتابه "قدة العين في شرح حكم العارف بالله ابن عطاء الله السكندري". ابن عطاء الله السكندري، الحكم العطائية على لسان أهل الطريقة الشاذلية، دار الكتب العلمية، القاهرة، 2006، 2016 صفحة.

[3]- مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم ك2516.

[4]- مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ص722.

محمد بن علي الخروبي "الدرة الشريفة في الكلام على أصول الطريقة"[1]، و له عدة شروح على مؤلفات صوفية، أحدها على "الصلاة المشيشية"[2]، و آخر على نظم شيخه أحمد زروق يسمى "رسالة حول أصول الطريقة الدينية" و المقصود بها أصول الطريقة الشاذلية[3]، و شرح يسمى "عيوب النفس" حول المذاهب الأربعة في الاسلام[4]، كما وضع أحمد المنصور مؤلفا في التصوف، و هو مجموع أذكار و أدعية سبق وأن ذكرناه سماه "العود أحمد"، و يقال أن أحمد المقري وقف عليه سنة 1009هـ/ 1600م، و أعجب به كثيرا[5].

هـ- اللغة و الأدب:

لم يعرف هذا المجال أي تجديد خلال هذا القرن، لا بل ظلت المؤلفات التي كانت متداولة خلال العهدين المريني و الزياني لمعتمدة في مجال التدريس والتأليف، و تركز اهتمام الدارسين على البعض من هذه المؤلفات مثل "الأجرومية"[6]، و كتاب سيبويه في النحو، و "تلخيص المفتاح" للخطيب القزويني[7]، فكتبوا حولها مختصرات و أنظاما و شروحا.

---

[1]- توحيد نسخة منه في الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم ك571. عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج3، ص107.

[2]- "صلاة الأنوار" لعبد السلام بن مشيش العلمي (ت625هـ/ 1258م)، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم ج953.

[3]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص107؛ ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع، ص422؛ Bouabdalli (El Mahdi): Le Cheikh Mohammed ben ali el Kharoubi, revue africain, vol 96, 3 et 4 tri, p339.

[4]- Bouabdalli (A), op.cit. p339.

[5]- محمد حجي، الحياة الفكرية، ج1، ص148، ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع، ص377.

[6]- منها مختصر محمد بن عبد الكريم المغيلي على "المقدمة اللغوية" لابن آجروم الصنهاجي (ت1023هـ/ 1614م)، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 1202، و شرح شواهد الشريف على الأجرومية لأحمد الدقون (ت921هـ/ 1515م)، م.خ.ع الرباط رقم ز3890؛ الشمط المنظوم من جوهرة ابن آجروم، للعربي الفاسي، م.خ.ع بتطوان رقم 542، عنها ينظر: محمد حجي، الحياة الفكرية، ج1، ص150، هامش 93.

[7]- منها "مختصر" المغيلي على "تلخيص المفتاح". محمد بن عبد الكريم المغيلي، "مصباح الأرواح"، ص21، (مقدمة محقق)؛ محقق)؛ عبد الكريم الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص74.

و قد برز للعلماء الجزائريين تميز في فن البلاغة، حيث وضعوا له قواعد وابتدعوا طرقا وأساليب جديدة لتدريسه، و قد كان للمهاجرين دور كذلك في نقل هذا العلم إلى المغرب، حيث أخذه عنهم المغاربة و برعوا فيه، و قد ميز الحركة الأدبية في المنطقتين و من العهدين المريني والزياني وجود أدب شعبي متنوع، و منه شعر الملحون الذي يعد أبدع فنونه[1]، و بعد مجيء الشعراء الأندلسيين إلى المغرب، ظهر الفن الذي ورثوه عن الأندلسيين، و نما و نشط على يد المرينيين والزيانيين في بلاد المغرب عموما، و منه انتشر في العالم العربي إذ أضاف الكثير للموسيقى العربية وساهم في تطويرها.

و قد استفادت الجزائر و المغرب على حد سواء من هذا التطور بعدما عرفته الموسيقى الأندلسية من زيادات و تعديلات نتيجة مؤثرات محلية تجلت فيما حصل من تمازج بين الموشحات الجزائرية و المغربية و الأندلسية من خلال لإضافات الفنانين المغاربة و الجزائريين إلى أصول الموسيقى الأندلسية.

و- التراجم و الفهارس و الرحلات:

عرف التأليف في مجال التراجم حركة نشيطة خلال القرن 10هـ/16م، و لعل مرجع ذلك إلى الجانب الديني الذي صبغ هذا العصر، فجعل عددا من المؤلفين يهتمون كثيرا في مؤلفاتهم بوضع تراجم و مناقب لبعض الشخصيات البارزة التي كانت تؤثر فيهم من الصوفية و الفقهاء والعلماء ممن عاصروهم أو تتلمذوا عليهم، و غالبا ما كانت تشمل هذه المؤلفات تراجم لأعلام من البلدين[2] لوجود تواصل علمي مستمر، كما وضع بعضهم فهارس تحدثوا فيها عن شيوخهم من البلدين، و عما أخذوا عن هؤلاء من علوم و أسانيد و مرويات[3].

---

[1]- محمد بن تاويت، الوافي بالأدب المغربي، ج2.

[2]- منها مؤلفات ابن عسكر، دوحة الناشر، القادري، نثر المثاني، ابن القاضي، جذوة الاقتباس، المنجور، فهرس، ابن مريم، البستان.

[3]- منها: دوحة الناشر لمحمد ابن عسكر، و فهارس أحمد المنجور، و أحمد المنصور و محمد ابن غازي.

و من هذه المؤلفات نذكر: "بغية الطالب في ذكر الكواكب" الذي ترجم فيه أبو مهدي عيسى التوجيني لمعاصريه من علماء و مشايخ القرن 10هـ/ 16م[1]، كما خصص عيسى بن محمد البطوئي جزءا من كتابه "مطلب الفوز و الفلاح"[2] لفهرسه الجامع لمشيخة جبال الريف و شرقي المغرب و تلمسان[3] و منها فهرس أحمد المنجور الذي ذكر فيه كل من أخذ عنهم من علماء الجزائر، و فهرس ابن غازي الذي تحدث فيه عن جملة ممن أجازهم من علماء و طلبة الجزائر.

كما اهتم علماء هذا العصر بوضع تآليف لرحلاتهم دونوا فيها ملاحظاتهم ومشاهداتهم في المنطقتين بالإضافة إلى تاريخ و جغرافية البلدين و جوانب من الحياة العامة فيهما و أبرز مثال عن هذه المؤلفات نذكر كتاب "وصف افريقيا" للحسن الوزان السالف الذكر والذي تناول فيه كل ما يتعلق بجوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والدينية في المناطق التي زارها، وخصص قسما كبيرا منه للحديث عن المغرب و الجزائر.

و كتاب "النفحة المسكية في السفارة التركية" للتمكروتي الذي خصصه للحديث عن رحلته إلى استنبول، فخصص قسما مهما من هذه الرحلة للحديث عن مناطق شمال افريقيا التي زارها خلال رحلته، و من ضمنها عدد من المدن الجزائرية التي كانت محطات له، فاعتنى بوصفها والحديث عن معالمها كمدينة الجزائر و جامعها الأعظم، كما اهتم بحياتها العلمية و الدينية.

ز- العلوم البحتة:

اهتم علماء هذا العصر بالتأليف في العلوم العقلية اهتمامهم بالعلوم النقلية، واعتنى عدد من العلماء بوضع تآليف مستقلة في الحساب، و تميز بعضهم في هذا المجال و تفوق، فجاءت تآليفهم على شكل أنظام و شروح، فبرز من مؤلفي الجزائر و المغرب العالم عبد الرحمن بن محمد

---

[1]- ابن سحنون الراشدي، مقدمة الثغر الجماني، المصدر السابق، ص67.

[2]- مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ك2613.

[3]- محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص155.

الأخضري[1] (ت983هـ/ 1575م) الذي نظم رجزا سماه "الدرة البيضاء"[2] جعله في ثلاثة أقسام، خصص الأول منه للحساب والثاني للفرائض، و الثالث لتقسيم التركات، و قام المؤلف بضرح جزء منه، و ظل هذا الكتاب المصدر الأساسي للتدريس في المعاهد الاسلامية و لقرون عديدة[3].

كما وضع الإمام ابن غازي رجزا في مائتين و خمسين بيتا في الحساب أسماه "منية الحساب"[4] و وضع المؤلف شرحا للمنظومة المذكورة سماه "بغية الطلاب على منية الحساب"[5].

و قد شغل هذا العلم بال و عناية علماء و مؤلفي المنطقتين حيث اهتموا بدراسة مؤلفات بعضهم و قاموا بشرحها و التعليق عليها و نظمها و من مؤلفاتهم نذكر كتاب "كشف الأسرار عن علم حروب الغبار"[6] الذي شرح به حسن الهشتوكي كتاب أبي الحسن القلصادي (ت981هـ/ 1486م) الشهير في الحساب و الجبر[7]، وكتاب "فتح الخبير بحسن التدبير لفك رموز الاكسير في

---

[1]- هو عبد الرحمن بن سيدي محمد بن عامر الأخضري البنطيوسي البسكري، عالم و مصلح ديني، ولد سنة 920هـ/ 1514م، نبغ في جميع العلوم الاسلامية العقلية منها و النقلية، و له مؤلفات عديدة في الحساب و المنطق و الهيئة و الفقه والنحو و التصوف و علم الكلام، و قد حظيت مؤلفاته باقبال كبير من طرف العلماء في المغرب و المشرق الذين اعتنوا بشرحها و دراستها، من مؤلفاته: "المنظومة القدسية في السلوك"، و "التصوف و الجوهر المكنون في الثلاثة فنون" أي المعاني والبيان و البديع و شرحه، و "الدرة البيضاء في الفرائض و الحساب و شرحها، و "السراج في الفلك"، و "مقدمة في الفقه"، و"السلم المرونق في المنطق"، دفن بمسقط رأسه بنطيوس (30كلم من مدينة بسكرة و مقامه و مسجده قائم بها) عنه ينظر: محمد خلوف، شجرة النور، ص285؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص79؛ الحفناوي، تعريف الخلف، ج1، ص67؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص ص 14- 16.

[2]- الدرة البيضاء في أحسن الفنون و الأشياء، هي أرجوزة في الحساب و الفرائض و الوصايا، نظمها سنة 940هـ و هو ابن عشرين سنة، طبعت على القاعدة المغربية بالجزائر سنة 1308هـ، ثم طبعت بالقاهرة بمطبعة شرف سنة 1315.

[3]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص79؛ أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء ، ج3، ص188.

[4]- مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 2243.

[5]- طبعت على الحجر بفاس في 248 صفحة.

[6]- مخطوط خاص بسوس، عنه ينظر: محمد حجي، الحياة الفكرية، ج1، ص157.

[7]- كتاب "كشف الأسرار عن علم الغبار". محمد حجي، الحياة الفكرية ، ج1، ص157؛ عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص398؛ أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص88؛ أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء، ج3، ص188.

في صناعة التكسير"[1] لأحمد بن القاضي شرح به كتاب "الاكسير" في الهندسة لابن ليون التجسيني (ت750هـ/ 1349م)، و الذي يحتوي على أشكال هندسية كثيرة رسمت بعناية فائقة[2].

كما اهتم المؤلفون في البلدين بعلم الفلك و التنجيم و التوقيت فكتبوا شروحا عديدة على كتب ابن البناء المراكشي، (ت 721هـ/ 1321م) فألف الفلكيون كتبا مستقلة، منها ما ألفه عبد الرحمن بن محمد الأخضري الذي نظم رجزا في الفلك سماه "السراج"[3] الذي حظي باهتمام الباحثين و تناولوه بالشرح و الدراسة، و ظل مدة الطلاب و مقصدهم لسنوات عديدة في المغرب و المشرق[4].

أما في الطب فقد اقتصر علماء البلدين على وضع أنظام و شروح حول كتب الأقدمين خاصة منها كتب ابن سينا في الطب.

4- قضايا فكرية مشتركة بين فقهاء الجزائر و المغرب:

نتيجة للتطورات السياسية و الثقافية و الاجتماعية و الدينية و الاقتصادية التي عرفتها الجزائر و المغرب على حد سواء خلال القرن 10هـ/ 16م بفعل العديد من المؤثرات، من غزو أجنبي (اسباني- برتغالي) و ظهور الأتراك العثمانيين، و توافد العديد من الأجناس على بلاد المغرب عموما، و نشاط غير عادي للطرق الصوفية و حياد الكثير منها عن تعاليم الدين الاسلامي و انتشار البدع و الخرافات، طرحت على الساحة المغاربية عموما جملة من القضايا

---

[1]- مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم5455.

[2]- محمد حجي، الحياة الفكرية ، ج1، ص157.

[3]- هي منظومة من البحر الطويل في علم الهيئة نظمها سنة 939هـ و هو ابن 19 سنة، و قد شرفها عبد العزيز بن أحمد بن المسلم، كما شرحها الشيخ سحنون بن عثمان بن سليمان بن أحمد بن أبي بكر المداوي الونشريسي، و سمى شرحه "مفيد المحتاج على المنظومة المسماة بالسراج" عنها ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، ط2، تحقيق محمد شرف الدين بالتقايا، دار إحياء التراث العربي، ج2، بيروت، ص998؛ الزركلي، الأعلام، ج4، ص108.

[4]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص79؛ أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء، ج3، ص189.

الفكرية و الأدبية و الفقهية والصوفية، و التي كانت محل جدل و مناظرة و مناقشة بين فقهاء وعلماء البلدين، و من جملة هذه القضايا نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

أ– في الفقه:

- **الجهاد:** يعتبر الجهاد من المواضيع التي شغلت بال المفكرين في المنطقتين خلال القرن 10هـ/ 16م بسبب الظروف التي شهدها هذا القرن، فأصبح الجهاد موضوعا لدراساتهم و مناقشاتهم ومناظراتهم، و تم تناوله من الناحيتين العملية و الفكرية.

و قد شكل الجهاد ظاهرة عامة و مشتركة بين البلدين خلال هذا القرن، بسبب تمركز البرتغاليين و الاسبان في سواحل المغرب و الجزائر، فكانت بذلك حملاتهم مصدر انشغال الفئات الاجتماعية و السلطات الحاكمة في المنطقتين، وإلى جانب رد الفعل الرسمي الذي مثله حكام المنطقتين ضد مراكز الاحتلال الأجنبي في حملات عسكرية مستمرة، برز دور المتطوعين الذين بذلوا في ذلك بسالة لا مثيل لها في رد هجمات الأعداء، و ابعاد خطرهم هن المنطقتين، و كان من هؤلاء المتطوعة عدد من العلماء و الصوفية ممن برزوا في هذا المجال.

و لعل أبرز من حملوا على عاتقهم مسؤولية الدعوة إلى الجهاد في المغرب والجزائر كانوا من أتباع الطريقتين الزروقية[1] و الجزولية اللتين تستمدان أصولهما من الشاذلية[2]، و قد كانت جهودهم

---

[1]– الزروقية: تنتسب هذه الطريقة إلى الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى (ت899هـ/ 1494م) البرنسي الفاسي المالكي، الشهير بزروق تلقى العلم على يد علماء كثر من المشرق و المغرب منهم عبد الرحمن الثعالبي، و ابراهيم التازي، والمشذالي، و الشيخ خلولو، و السراج الصغير، و الرصاع، و الحباك، و الحافظ التنسي، و الإمام السنوسي، و ابن زكري، والسخاوي، و غيرهم كثير، عرفت هذه الطريقة انتشارا واسعا في الجزائر، إذ كانت بجاية مركز نشاط زروت يوم كان تابعا ومبعوثا لأحمد الحضرمي عام 892هـ/ 1487م، حيث جمع من حوله الأصحاب و المريدين و لقنهم أصول الطريقة، ومنهم عبد العزيز القسنطيني، و الظاهر بن زيان القسنطيني، و أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي الذي كان تلميذا قريبا منه الشيخ زروق، عنها ينظر: علي فهمي خشيم، أحمد زروق و الزروقية، دراسة حياة و فكر و مذهب وطريقة، دار المدار الاسلامية، ط3، لبنان 2002، ص167 و ما بعدها.

[2]– الشاذلية: تنتسب إلى أبي الحسن الشاذلي المغربي الأصل، ولد سنة 571هـ، تفقه و تصوف في تونس، و سكن مدينة شاذلية وينسب إليها، و هي طريقة يؤمن أصحابها بجملة الأفكار و المعتقدات الصوفية، وقد كان الشاذلي ينتسب إلى ابن مشيش، لكن=

موجهة نحو إثارة الناس ضد الأعداء، و تحريضهم على الجهاد و بث روح المقاومة في نفوسهم وتحميسهم على ذلك.

و من جملة هؤلاء العلماء الإمام ابن غازي[1]، و تلميذه بن هارون المطغري اللذان كانا كثيرا ما يخرجان في حركات جهادية تحت راية الوطاسيين لمحاربة الغزو الإيبيري و الرد على هجماتهم المتكررة على سواحل المغرب الشمالية[2].

و الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي الذي شارك في معركة وادي المخازن إلى جانب السعديين و أبلى فيها بلاء حسنا[3].

كما ظهر في الجزائر مجاهدون من الفقهاء و المتصوفة، منهم المجاهد أحمد ابن القاضي الزواوي الذي خاض حروبا طويلة ضد الاسبان عند سواحل مدينتي بجاية و الجزائر[4].

=سرعان ما استقل عنه، و قد انتشرت طريقته عن طريق خليفته أبي العباس أحمد المرسي (ت686هـ)، و لهذه الطريقة أكثر من عشرين فرعا منشقا عنها في الجزائر كالزروقية و اليوسفية و العيساوية و الكرزازية و الشيخية و الناصرية وغيرها كثير، عنها ينظر: محمد البشير الابراهيمي، الطرق الصوفية، مقتطفات من نشرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ط1، نشر دار مكتبة الغرباء الأثرية، الجزائر، 2008.

[1]- محمد بن أحمد ابن غازي المكناسي (ت919هـ/ 1513م) عالم و مفتي كبير، انتقل إلى فاس فانكب على التدريس بها، أسندت إليه كراسي علمية في القرويين و غيرها، ظل يدرس بفاس زهاء ثلث قرن، فأخذ عنه خلق كثير، تنوعت دروسه فشملت علوما عديدة كالقراءات و التفسير و الحديث و الفقه و اللغة والحساب له تآليف عديدة منها فهرسه التعلل برسوم الاسناد الذي تحدث فيه عن جملة من شيوخه عنه ينظر: ابن غازي، فهرسه التعلل برسوم الاسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد، تحقيق محمد الزاهي، طبعة الدار البيضاء، 1979، ص ص 7- 17؛ ابن القاضي، لقط الفرائد، ص284؛ ابن عسكر، الدوحة، ص 45- 46؛ الكتاني، المصدر السابق، ج2، ص73؛ الزركلي، الأعلام، ج6، ص232؛ ابن عيشون الشراط محمد، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، دراسة و تحقيق الزهراء النظام، منشورات كلية الآداب بالرباط، سلسلة رسائل و أطروحات، طبعة الدار البيضاء، 1997؛ الناصري، الاستقصاء، =ج4، ص165، محمد مخلوف، شجرة النور، ص276؛ ابن سودة، الدليل، ج1، ص52؛ محمد ابن تاويت،الوافي بالأدب المغربي، ج1، ص 288- 289.

[2]- ابن عسكر، المصدر السابق، ص 45، 46؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص530.

[3]- ابن عيشون، الروض العطر، ص104.

[4]- ابن عسكر، المصدر السابق، ص ص 103- 126؛ اليفرني، نزهة الحادي، ص51؛ مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، ص ص 25- 45.

و إلى جانب الجهاد الميداني، برزت فئة من كبار الفقهاء و الأدباء ممن سخروا أقلامهم لمقاومة المحتلين، و الدعوة إلى مقاومتهم و التصدي لحملاتهم المتكررة على المنطقتين.

ففي الوقت الذي فيه الاسبان و البرتغاليون مطلع القرن 16م إلى مهاجمة واحتلال ما تبقى من مدن المغرب الاسلامي، تنبه علماء الجزائر و المغرب وأدباؤهما إلى هذا الخطر، فكتبوا في هذا الموضوع للتنبيه و التذكير بأهمية الجهاد، و نظم الشعراء القصائد الحماسية لتحفيز النفوس على حماية الدين و الدفاع عن الوطن.

فلما استولى الاسبان على وهران سنة 1509م، هب العلماء و الشعراء ثائرين وساخطين على الاسبان، و محرضين على مقاومتهم، و ممن انبرى لذلك من مشيخة الجزائر الشيخ الأديب محمد التواتي الذي نظم قصيدة طويلة بحث فيها سكان وهران على الجهاد ضد النصارى داعيا إياهم إلى نبذهم و الاستعانة عليهم بالأتراك[1]، يقول في بعض أبياتها:

يا أهل وهران انظروا نظر شفقة *** لبلدكم قبل أن تتردت

و قبل مجيء المنشآت ببحرها *** وأي قلوب عندها مستقرة

إلى أن يقول:

و لا يحمي مرساكم ضعاف رجالكم *** ولا البدو، بل تحميه أهل الجزيرة

فإن لهم بالطعن و الضرب خبرة *** وكم فتكوا بالكفر أكبر فتكة[2]

أما من الشعراء المغاربة الذين تولوا هذه المهمة و أثرت فيهم تهديدات النصارى لسواحل بلادهم، الشيخ محمد بن يحي البهلول الذي قال مخاطبا محمد البرتغالي الوطاسي:

ظهرا لرمل مرادي *** و السكر يا كرام

---

[1]- ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 438، 439؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص202 ؛الزهراء النظام، المرجع السابق، ص530.

[2]- الزهراء النظام، المرجع السابق، ص530.

نفسي على الجهاد *** سلبت و السلام[1]

و من الذين أذهلتهم الغفلة التي سيطرت على عقول الناس و انحرافهم عن الدين في الوقت الذي كانت مدن المغرب الساحلية تسقط الواحدة تلو الأخرى، الأديب محمد بن عبد الرحيم ابن يجبش التازي (ت920هـ/ 1515م)، الذي ألف كتابا أسماه "تنبيه الهمم العالية" منبها فيه إلى المخاطر التي تحدق بالبلاد، محذرا إياهم من تكرار تجربة سكان الأندلس، و قد رسخ المؤلف مراده بقصيدة شعرية يحث فيها الناس على الجهاد و يدعوهم إلى التوحد و لم الشمل لمواجهة العدو، و يقول في إحدى قصائده واصفا مأساة سقوط أصيلا في يد البرتغاليين، و محرضا إياهم على الجهاد:

و لم أستطع صبرا و كيف يصح لي *** و قد هتكت من ديننا كل حرمة

و شاركنا الأعداء في قطر غربنا *** و قد أخذوا جل البلاد البهية

و قد أرعبت تلك السواحل منهم *** و صاروا يؤدون الخراج كالجزية

فقصة أصيلا عرفتهم جميعا *** و ما فعل الأعداء من شر غدرة

يا أولياء النصر المستجير بجاهكم *** و أنتم ملاذ الخائف المتشبث[2]

و قد تخطت أحيانا كثيرة نشاطات هؤلاء المجاهدين و المفكرين الحدود الرسمية بين البلدين، بدعواتهم إلى الجهاد لا بل المشاركة فيه و من هؤلاء الشعراء العالم الأديب أحمد ابن القاضي الذي قال قصيدة غداة احتلال الاسبان لوهران ينتقد فيها قبيلة بني عامر و غيرها من القبائل الجزائر

[1]- الزهراء النظام، المرجع السابق، ص 530، 531.

[2]- ابن يجبش التازي، تنبيه الهمم العالية، ميكروفيلم بالخزانة العامة بالرباط، رقم 431، ص ص 441- 448.

التي تحالفت مع الاسبان[1]، ويدعو سكان وهران و غيرهم من سكان الاقليمين و حكامهما إلى مقاومتهم[2]، جاء فيها:

فمن مبلغ عن قبائل عامر *** و لا سيما ممن توى تحت كافر

و كل كمي من صناديد راشد *** بتيجانهم مع رأسها عبد قادر

وجيرانهم في المغرب من كل ماجد *** طويل القنا أهل الوفاء و المغافر

وطلحة و الأحلاف في غرب هذه *** وشيخ سويد بل و كل مفاخر

ويا معشر الاسلام في كل موطن *** وفي كل ناد سالف و معاصر

ويا سادة الغربان من آل هاشم *** وغيرهم بالله ما صبر صابر

ويا معشر الأتراك يا كل عالم *** وكل ولي حافظ للأوامر

أنا شدكم بالله ما عذر جمعكم *** لدى الله في وهران أمر الخنازر

كما ظلت قضية الأندلس الشغل الشاغل لعلماء و أدباء المنطقتين، لما خصصوه من كتاباتهم حول الجهاد و فضائله[3]، و حثهم للمسلمين أجمعين في منطقة المغرب الاسلامي على تقديم العون و الدعم لإخوانهم المضطهدين في الأندلس.

[1]- ألف الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي كتابا طرح فيه موضوع قبائل الغرب الجزائري التي دخلت تحت نفوذ و حماية الاسبان و تعاونت معهم سماه: "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين من الأعراب كبني عامر"، حيث عرف فيه بأصول هذه القبائل و فصولها، و بين فيه حكم الله فيها.

[2]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص204؛ الطمار، تلمسان عبر العصور، ص238.

[3]- من هذه المؤلفات كتاب "مطلب الفوز و الفلاح في آداب طريق أهل الفضل و الصلاح" لعيسي بن محمد البطوئي، الذي خصص الباب الثامن منه للحديث عن الجهاد و فضائله و آدابه، و حث الناس عليه، و هو مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ك 2613، ينظر: محمد حجي، الحياة الفكرية، ج1، ص155.

و قد خلف علماء و أدباء المنطقتين في هذا الموضوع آثارا نثرية و شعرية هامة يدعون فيها أهل الجزائر و المغرب و حكام المنطقتين إلى مؤازرة المسلمين في الأندلس[1] و من هؤلاء محمد بن يجبش التازي الذي كتب ينشد:

وأسلافكم لم تأل عن مستغيثهم *** على نهجهم فامضوا بصدق عزيمة
فكم أنقذوا من مستغيث بجاههم *** و كم كشفوا من كربة مستقرة
وكم وصلوا من ذمة لمن انتمى *** إليهم كما يحكى عن أهل الجزيرة
فقد كان هذا و التعدد ببرهم *** و في المغرب عاد القوم في قرب عدوه[2]

كما كتب الشاعر الشيخ الأكحل بن خلوف الجزائري الشهير بالأخضر، قصيدة شعرية يشيد بها بانتصار الأتراك على الاسبان في معركة مستغانم التي قتل فيها الكونت دلكويت، حاكم وهران سنة 1558م، و قد أشاد الشاعر في قصيدته هذه بدور الجزائريين و بلائهم في هذه المعركة، و اعتبر هذا الانتصار ثأرا للمسلمين في الأندلس، و ردا للاعتبار بعد هزيمة غرناطة[3]، حيث يقول في بعض أبياتها:

يا سايلني عن طراد الروم *** قصبة مزغران معلومة
يا سايلني كيف ذا القصة *** ما بين النصراني و خير الدين
الأمير حسن يوم مزغران *** اخلف الثأر من العدو تحقيق
ترى البهجة و روضة البلدان *** غزناوط التي أمسات حريق

و لعل ذلك خير دليل على أن الجهاد شكل مادة خصبة لكل الكتاب و الأدباء والفقهاء والشعراء في المنطقتين.

---

[1]- من هؤلاء عبد الله بن محمد العنابي الدرعي، (ت922هـ/ 1516م) نزيل درعة، عالم يتمكن في علوم اللغة و الأدب والعلوم الشرعية، كان له شأن كبير في أمور الجهاد لما كان له من اهتمام كبير بقضية مسلمي الأندلس خاصة بعض سقوط غرناطة، حيث بذل جهودا كبيرة في افتداء أسرى المسلمين، عنه ينظر: ابن عسكر، المصدر السابق، ص91.

[2]- محمد بن يجبش التازي، المصدر السابق، ص448.

[3]- ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص ص 22- 29.

● **الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر**: هي الأخرى من القضايا التي شغلت المفكرين في المنطقتين خلال هذا القرن، و قد تعددت مواضعه و شملت مجالات عديدة تتعلق بالعقيدة وعادات المجتمع و تقاليده و بعض الأعراف.

و لعل الاهتمام بموضوع الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر جاء كرد فعل لما شهده المجتمع في البلدين من تغيرات و عادات دخيلة، و انتشار لبعض المنكرات و الانحرافات و السلوكات الغير مألوفة و التي نتجت عن الاختلاط بالأجانب و توافد أجناس جديدة على الاقليمين خاصة في المناطق الخاضعة للاحتلال.

و قد كان الحسن الوزان أحد الشاهدين على تلك البدع و المنكرات التي استفحلت في عصره في المغرب، و استعرض عددا منها في كتابه وصف افريقيا.

و قد تصدر عدد من الفقهاء و المصلحين لمواجهة هذه المتغيرات و محاربة المناكر والانحرافات بالدعوة إلى التزام تعاليم الاسلام الصحيحة و عدم الحياد عن الشرع، و قد برز من هؤلاء العلماء في المغرب عبد الله بن محمد الهبطي[1] (ت963هـ) الذي عالج في ألفيته الشهيرة "الألفية السنية في تنبيه العامة و الخاصة على ما أوقعوا من التغيير في الملة الاسلامية"[2] عددا من

---

[1]- عالم مشارك و صوفي عارف و مؤلف مصلح، أصله من طنجة، أخذ العلم في جبال غمارة و الهبط قبل أن ينتقل إلى فاس ليأخذ عن أجلة العلماء بها أمثال، أحمد الزقاق و طبقته، كما أخذ عن علماء مغاربة و جزائريين منهم أبي العباس أحمد العبادي و الشيخ زروق، كما أخذ التصوف عن شيوخ كثيرين منهم أبو عمرو القسطلي و عبد الله الغزواني و غيرهم، رجع إلى الجبل الأشهب مسقط رأسه و أسس زاويته الشهيرة، له عدة تآليف كلها تصب في محاربة الرذائل و الانحرافات عنه ينظر: ابن القاضي، درة الحجال، ص60 و جذوة الاقتباس، ص250 و لقط الفرائد، ص308؛ محمد العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص15؛ القادري، نثر المثاني، ج1، ص 18- 19؛ الحضيكي، الطبقات ج2، ص ص 309- 315، ابن عسكر، المصدر السابق، ص7؛ الناصري، الاستقصاء، ج5، ص 87، 88؛ عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص251؛ محمد حجي، الحياة الفكرية، ج2، ص466.

[2]- نظم عبد الله الهبطي ألفيته التاريخية، و التي يتجلى فيها الجانب الاصلاحي، حينها يعدد فيها العادات الجاهلية التي انتشرت بين قبائل الشمال خاصة في منطقة غمارة الريفية، و يدعو فيها إلى تركها و نبذها والاعتصام بحبل الاسلام، ينظر: محمد حجي، الحياة الفكرية ، ج2، ص267.

هذه القضايا منها محاربة الجهل و الحد من انتشار المنكرات كشرب الخمر، و دعا إلى نشر التعليم و العقيدة الصحيحة[1].

و من علماء المغرب أيضا ممن برز في هذا الدور الاصلاحي أبو محمد عبد الله بن عمر المطغري[2] (ت930هـ) و أبو القاسم بن علي بن خجو[3] اللذين كانا شديدي الشكيمة في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر أما عن علماء و صوفية الجزائر ممن تصدوا لهذه المنكرات و دعوا إلى نبذها، الشيخ أحمد بن يوسف الملياني[4] و قد كانت له في هذا الموضوع مكاتبات و مراسلات مع عامة أهل المغرب و الجزائر وخاصتهم من العلماء و الفقهاء، و قد كانت هذه المراسلات في مجملها مواعظ ودعوات إلى الالتزام بالشريعة و النصح و الدعوة إلى معرفة الله عز و جل و قد شمل موضوع النهي عن المنكر في المنطقتين محاربة بعض الطوائف المناهضة للسنة، و منها:

---

[1]- نظم عبد الله الهبطي ألفيته التاريخية، ص466.

[2]- فقيه و عالم، أصله من مضغرة بسجلماسة، أخذ عن الشيخ زروق و الشيخ أبي فارس عبد العزيز القسنطيني، و قد كانت له معه مراسلات و عليه تتلمذ الأميران السعديان أبو العباس أحمد، و أخوه محمد الشيخ المهدي، و كانت له مواقف مما انتشر في عصره من مذاكر و انحرافات، عنه ينظر: ابن عسكر، المصدر السابق، ص87.

[3]- فقيه و عالم و مفتي بمنطقة الريف، درس بفاس و أخذ على شيوخها أمثال الإمام ابن غازي و أحمد الزقاق و أبو الحسن علي بن هارون، كما أخذ التصوف عن الأمام الهبطي، كوفي بفاس، عنه ينظر: ابن عسكر، المصدر السابق، ص14؛ ابن عيشون، المصدر السابق، ص338؛ محمد حجي، الحياة الفكرية ، ج2، ص461؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص534، هامش 269.

[4]- هو أبو العباس أحمد بن يوسف الملياني الراشدي، قال عنه الكتاني في سلوة الأنفاس "هو الشيخ الولي الصالح القطب الغوث الزاهد العارف العالم المحصل السالك الناسك المقرئ بالقراءة السعية المحقق الحجة أحمد بن يوسف الراشدي نسبا الملياني دارا"، و هو من تلاميذ الشيخ زروق و الشيخ أبي عبد الله الزيتوني، من تلامذته محمد بن أحمد الصباغ المدعو بن معزا، و هو والد صاحب البستان، و محمد بن أحمد الشريف الزهار، و سليمان بن أبي سماحة، و عبد الرحمن السهيلي و غيرهم كثير، توفي سنة 927هـ/ 1526م، و دفن بمليانة، عنه ينظر، الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص ص 97- 100 ؛ محمد بن محمد الصبار، بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار و معدن الأسرار سيدي أحمد بن يوسف، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم د1457؛ محمد ابن اسماعيل، مشايخ خالدون و علماء و علماء عاملون ط4، الجزائر، 2001، ص120.

* **فرقة اليوسفية:** و هي فرقة منحرفة عن الاسلام ظهرت في المغرب منذ أواسط القرن 10هـ/ 16م، و زعمت لنفسها التصوف و الانتساب إلى الشيخ أحمد بن يوسف الملياني[1] (ت927هـ/ 1512م) و لذلك سميت بالطائفة اليوسفية، و سمي أصحابها أيضا بالشراقة لقدومهم من الشرق[2] و مما يذكر عن هذه الطائفة أنهم أتباع أحمد بن يوسف الملياني، و قد غالوا في محبة هذا الفقيه و أفرطوا في ذلك حتى حادوا عن تعاليم الدين السليم، لا بل أنسبو نسبه إلى النبوة[3].

و مما يذكر عن هذه الطائفة أنها كانت تدعو بغير تعاليم الاسلام و تجيز أكل الجيفة ولحم الخنازير و ترك الصوم و الصلاة، و لذلك اتهموا من طرف الفقهاء بمعارضتهم للدين والسنة.

و قد تتلمذ على الشيخ الملياني عدد كبير من المريدين المغاربة منهم: أحمد بن موسى السملالي[4] (ت971هـ) و عبد الله بن ابراهيم الخياط[5] (939هـ/ 1532م) الحاج الشطيبي[1]

---

[1]- محمد بن محمد الصبار، مناقب أحمد بن يوسف، الخفناوي، المرجع السابق، ج2، ص ص 103- 106، نجمي عبد الله، مساهمة في دراسة تاريخ التصوف المغربي في القرنين 16و 17، طائفة العكاكزة، منشورات كلية الآداب بالرباط، سلسلة رسائل و أطروحات، طبعة 2000، ص- ص 48- 49، 266؛ Bodin Marcel, Notes et questions sur sidi ahmed ben youcef, revue africaine, 66 vol 2 et 3 trin, 1925, p160.

[2]- و يدعى أصحاب هذه الطائفة أيضا بالعكازية أو العكاكزة، حول هذه التسمية ينظر، عبد الله نجمي، نفس المرجع، ص ص 294- 298؛ محمد حجي، الحياة الفكرية، ج1، ص237.

[3]- ابن عسكر المصدر السابق، ص125؛ الخفناوي، المرجع السابق، ج2، ص ص 103- 106.

[4]- هو أحمد بن موسى بن عيسى بن أبي بكر، ولد سنة 853هـ، عالم متصوف من شيوخه عبد العزيز التباع المراكشي، استقر بسوس حيث أسس زاويته الشهيرة، فتوافد عليه الطلبة من كل صوب، خلف أبناء كثر و كلهم من العلماء، عنه ينظر: ابن عسكر، المصدر السابق، ص112.

[5]- أصله من اليمن، خرج أبوه منها شابا إلى مصر فوهران، و نزح عبد الله بدوره إلى مكناس فاستقر بها مدة قبل أن ينتهي به المطاف في زرهون أخذ العلم بفاس، ثم عاد إلى زرهون حيث أسس زاوية عظيمة تستمد عقائدها من الشاذلية، عقد مجالس لتدريس التوحيد و الفقه و التصوف من تلامذته أبو القاسم بن منصور الغمري (ت970هـ/ 1562م) الذي صحبه مدة طويلة، عنه ينظر، محمد بن عبد الله الريفي، جواهر السماط في مناقب سيدي عبد الله الخياط، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم د1185. ابن عسكر، المصدر السابق، ص82؛ محمد العربي الفاسي، مرآة المحاسن، في مواضع متفرقة،=

(ت963هـ/ 1556م) و أحمد بن عبد الله المنزول[2]، و يقال أن هذا الأخير تزندق و أخذ بمذهب الاباضية، و تبعه في ذلك عدد كبير من سكان الحواضر و من قبائل البدو من عرب وبربر، و قاموا بنشر مذهبهم في المغرب ونسبوا إلى الشيخ المليانى خوارق و كرامات، و قالوا بكثير من الخرافات و الأمور التي لم يقل بمثلها[3]، و هو ما استنكره الشيخ المليانى في حياته و قال فيه: "من قال عنا ما لم نقل يبتليه الله بالعلة و القلة و الموت على غير ملة"[4].

و قد تصدى كثير من المصلحين و العلماء و الصوفية في المغرب و الجزائر لهذه الطائفة واتباعها و دعوا إلى مقاومتهم و منهم كثير.

=الكتاني وسلوة الأنفاس، ج3، ص 191- 192؛ ابن سودة، دليل، ج1، ص204؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج2، ص 494، 495.

[1]- أصله من الأندلس، ارتحل إلى المشرق حيث استقر هناك سنين عديدة ، ليعود إلى تازغدرة بالمغرب حيث عكف فيها على تدريس العلوم الشرعية، تنافس العلماء على الأخذ عنه، من تلامذته الشيخ رضوان الحبوي محدث فاس، له عدة مؤلفات منها: الجمان في أخبار الزمان، و الحديقة المستقلة في فتاوى علماء الملة، و مختصر الجمان السابق، عنه ينظر: ابن عسكر، المصدر السابق، ص 16، 17؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص203؛ القادري، نثر المثاني، ج1، ص65 ؛الحضيكي، الطبقات، ج2، ص 23، 24؛ الكتاني، سلوة الأنفاس، ج2، ص258؛ محمد حجي، الحياة الفكرية، ج2، ص482.

[2]- هو من تلامذة أحمد بن يوسف المليانى، تذكر لقب التراجم أنه لما غادر زاوية مليانة رفقة الزرهوني، تمثل له الشيطان في صورة الشيخ المليانى و هو في طريقه، و قال له: "...يا أحمد أوصيك على التلاميذ والمريدين فإني قد ضمنت لهم الجنة بغير صيام و لا صلاة، و حللت لهم المناكر و الفحشاء فنادى المنزولي عبد الله الخياط و قص عليه الحكاية، فاستنكر قوله ثم عاد إلى الشيخ المليانى الذي طلب منه اتباع الكتاب و السنة، و اجتناب البدعة، و الجهاد في حق الله، و الاخلاص في النية، وعدم القول بما لم يقله، لذلك قبل أن المنزولي تزندق و تمذهب بمذهب الاباضية و شرع لاتباعه من الأحكام والقواعد ما يتنافى مع قواعد الاسلام، عنه ينظر: محمد عبد الله الريفي، الجواهر السماط، الورقة 8ظ، 9و؛ محمد حجي، الحياة الفكرية، ج2، ص- ص 237- 238.

[3]- محمد بن عبد الله الريفي، الجواهر السماط، الورقة 8ظ، 9و.

[4]- ابن عسكر، المصدر السابق، ص125؛ عبد الله نجمي، المرجع السابق، ص ص 269- 271، محمد حجي، الحياة الفكرية ، ج2، ص237.

و من تلامذة أحمد بن يوسف الملياني الذين تصدوا لهذه الفرقة نذكر الشيخ أبو محمد عبد الله الخياط، و الفقيه محمد بن علي الشطيبي الأندلسي[1]، و كان الملياني في مقدمة هؤلاء المدافعين، حيث دخل المغرب متبرئا من بدعتهم و قاتلهم، و بلغ جهودا في تشريدهم و تبديد صفوفهم[2].

و قد كتب في هذه الفرقة و استنكر بدعتها، و التشنيع على أصحابها عدد من المؤلفين المغاربة منهم ابن القاضي[3]، ابن عسكر[4] و محمد العربي الفاسي[5]، و ألف أبو القاسم بن سلطان القسنطيني نزيل تطوان (ت نهاية ق 10هـ) رسالة حول طائفة العكازية[6]، كما خصص أحمد بن أبي محلي الباب الأول من كتابه "منجنيق الصخور، لهدم بناء شيخ الغرور، رأس الفجور"[7] لانتقاد هذه الطائفة التي نعتها بالزائفة و قد أدى تدخل الفقهاء لدى عبد الله الغالب السعدي و دعوتهم له بوجوب تغيير منكر هذه الفرقة و القضاء عليها مما أدى إلى الحد من نشاطهم و حسم مادة فسادهم فيه[8].

* **حملة ابن أبي محلي على شيخه عبد القادر السماحي:** و تدخل هذه الحملة في باب محاربة الفرق الضالة، حيث قاد ابن أبي محلي[9] (ت1022هـ/ 1613م)، حملة ضد شيخه عبد القادر

---

[1]- ابن عسكر، المصدر السابق، ص125.

[2]- محمد العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص292.

[3]- ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص165.

[4]- ابن عسكر، دوحة الناشر، ص125.

[5]- محمد العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص292.

[6]- ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع، ص421؛ ابن سودة، الدليل، ج1، ص79.

[7]- مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم ق 338، و بالخزانة الحسنية بالرباط، رقم 582.

[8]- ابن عسكر، المصدر السابق، ص125.

[9]- الفقيه و الأديب الصوفي، أبو العباس أحمد بن عبد الله المعروف بابن أبي محلي، ولد بسجلماسة سنة 967هـ، و برز أمره في منطقة بني عباس على وادي الساورة بشرق المغرب حيث كان يقيم، اشتغل هناك بالتدريس، و ادعى المهدوية و كان يشيع نفسه أنه قادر على تغيير المنكرات، فاعتقد به الناس و اتبعوه، توفي بمراكش بعد الثورة التي قام بها ضد السعديين سنة=

السماحي[1] (ت حوالي 1030هـ/ 1621م) شيخ فجيج، وسلط عليه قلمه، فألف عدة كتب في التنديد به منها: "الاصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت"[2] و "منجنيق الصخور" و"السيف البارق مع السهم الراشق"، و قد خصصها كلها للتشنيع على شيخه، متنكرا انحرافه عن الدين متحملا عليه، ووضعه في مرتبة العكاكزة فيما هو عليه و أتباعه من ارتكاب المناكر، وشاركه في حملته هذه جمع من العلماء و الفقهاء المغاربة و الجزائريين.

و قد ضمن ابن أبي محلي رسالته "السيف البارق" و كتابه "المنجنيق" أسماء من علماء وصلحاء المغرب و الجزائر و مصر ممن انتقدوا السماحي و حكموا بضلاله، و مجموعة من الأجوبة كان قد تلقاها من هؤلاء بخصوص انحرافات السماحي عن الدين، و من هؤلاء العالم أبو عبد الله محمد بن علي أبهلول فقيه ناحية زواوة بالجزائر، الذي كتب قصيدة يخاطب فيها أبا القاسم بن عبد الجبار منبها فيها إلى انحرافات السماحي و نعته فيها بالبدعي[3] و الفقيه النحوي أبو عبد الله بن مشرف الراشدي، نزيل قرى بني سمغون بصحراء تلمسان[4]، و ممن أنكر على السماحي سلوكه أيضا الشيخ أبو القاسم بن عبد الجبار الفجيجي[5]، و فقيه تلمسان السيد عاشور التلمساني[6].

=1019هـ/ 1610م، عنه ينظر: اليفرني، نزهة الحادي، ص299؛ محمد حجي، الحياة الفكرية ، ج2، ص325؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص536.

[1]- فقيه و أديب و صوفي كانت له زاوية بمنطقة فجيج يتوافد عليها الطلاب من كل صوب، تتلمذ عليه أحمد بن أبي محلي، و له معه مناظرات صوفية و مراسلات أدبية، لكن سرعان ما ساءت العلاقة بينهما، فقاد ضده حملة شرسة. محمد حجي، الحياة الفكرية ، ج2، ص516.

[2]- حققه عبد المجيد القدوري، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب بالرباط.

[3]- ابن أبي محلي، المنجنيق، ص192.

[4]- نفسه، ص346.

[5]- نفسه، ص189.

[6]- نفسه، ص330.

- **قضية اليهود و الاسلاميين:**

* **اليهود:** من المعلوم أن اليهود تواجدوا بالجزائر و المغرب منذ القدم، و قد تزايدت أعدادهم بعد سقوط غرناطة سنة 1492هـ خاصة بعد اضطهادهم في الأندلس، حيث توافدت جموعهم منهم نحو شمال افريقيا، فكونوا بها جاليات مهمة في مدن مكناس و فاس، و دبدو، و طنجة و تطوان وسلا، وأصيلا والعرائش والرباط وآسفي، و تلمسان و وهران و مستغانم و مليانة و تنس والجزائر، وبجاية وقسنطينة[1].

و قد استقبل هؤلاء اليهود في أرض الاسلام بكل خفاوة و اكرام و حظوا بعطف خاص من الملوك و الأمراء[2].

و تجمع المصادر التاريخية و الدراسات التي اهتمت بوضعية اليهود في منطقة بلاد المغرب على أنهم كانوا يتمتعون بكل معاني "المواطنة" من حيث تقلد الوظائف و الحرية في ممارسة طقوسهم و شعائرهم الدينية[3].

و قد تميز اليهود بمهاراتهم في مجال المال و الأعمال، لذلك لعبوا أدوارا هامة في مجال الاقتصاد و حتى السياسة في المنطقتين، فكان منهم التجار و الحرفيون، و صناع الأسلحة ومعالجو المعادن و صائفو الحلي و المتخصصون في سك النقود[4]، وقد اشتغل كثير منهم وسطاء تجاريون

---

[1]- الزهراء النظام، المرجع السابق، ص537؛ Cour (A): l'établissement, p46

[2]- Haedo, topographie, p p 90- 93

[3]- استقر اليهود في مختلف المدن المغربية و الجزائرية بسكنات بعيدة عن الأحياء الاسلامية، فاعتزلوا في أحياء خاصة يطلق عليها الملاح أو الحارة، و هذه الأحياء غالبا ما كانت تقام بجوار سكنى السلاطين بهدف حمايتهم، ينظر: عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر، ص387.

[4]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 129، 139، ، 219؛ عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص387، Haedo, topographie, p90

داخل المنطقتين[1] و خارجهما مع عدد من دول أوروبا مما أعطى فرصة لهؤلاء إلى تحقيق ثروات طائلة، و مع تزايد عدد اليهود و تطور نشاطهم التجاري، احتكر هؤلاء معظم الأنشطة داخل المنطقتين و خارجهما[2].

و قد مكنهم هذا النفوذ المالي و الاقتصادي من التأثير على الحكام بعدما صار لهم وزن كبير في السلطة[3]، الأمر الذي أثار شعور فئات الشعب بالتذمر، الذي أصبحت تتخوف من خطر هذا التطور الذي أصبح لفئة اليهود دونهم، لا سيما طبقة التجار المسلمين بفاس وتلمسان[4].

و قد زاد من تعنت اليهود تساهل الحكام من وطاسيين و سعديين و زيانيين مع اليهود وتقريبهم منهم و اتخاذ البعض منهم مستشارين لهم، و منحهم مناصب حساسة في البلاد، الأمر الذي أثار حفيظة الفقهاء و المصلحين من المتصوفة، والذين تصدروا لمواجهتهم فكانت هذه الأعمال وراء الضجة الكبرى التي أثارها هؤلاء ضد اليهود منذ نهاية القرن 15م[5].

و من جملة من انتقد هذا الوضع و ثار عليهم من الفقهاء، القاضي محمد بن عبد الكريم المغيلي[6] الذي قاد حملة ضد اليهود في منطقة توات، و انطلق المغيلي في حملته تلك مما أصبح لليهود من تميز في بلاد المغرب و سيطرة على اقتصاده، و انتشار للآفات و السلوكات الغريبة في

---

[1]- استوطن اليهود معظم المناطق الاستراتيجية التي كانت معبرا مهما لقوافل الذهب الرابطة بين شمال افريقيا و منطقة السودان الغربي. CH.de la véronne, relations entre Oran et Tlemcen dans la premiére partie du 16ème siècle, paris, 1981, p51.

[2]- CH.de la véronne, relations, p51, Cour (A), L'établissement, p46.

[3]- CH.de la véronne, relations, p- p 51- 52- 90- 93- 130.

[4]- Cour (A), L'établissement, p p 46- 47; CH.de la véronne, relations, p52.

[5]- CH. De la véronne, op.cit, p- p 51- 53, Cour (A), op.cit, p- p 46- 47.

[6]- عنه ينظر: ابن مريم، البستان، ص253؛ ابن عسكر، المصدر السابق، ص130؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص573؛ العباس بن ابراهيم، الاعلام، ج5، ص106؛ محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح، ص ص 7- 12 ؛عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص71، الخفناوي، المرجع السابق، ج1، ص170.

المنطقتين، و ام كان يصدر عنهم من تعد وطغيان و تمرد على الأحكام الشرعية و استخفاف بأمور المسلمين، و اعتبر ذلك خروجا عن تعاليم الاسلام و منكرا ينبغي محاربته، فأفتى الشيخ المغيلي بهدم بيع اليهود و منعهم من بناء أخرى جديدة، و قتل كل من اعترض منهم[1] على ذلك وخالفه في ذلك قاضي توات الفقيه أبو محمد عبد الله الوصنوني[2] (ت 927هـ/ 1521م)، فراسلوا في ذلك علماء مصر و تونس و تلمسان و فاس، فألف المغيلي حول هذا الموضوع كتابه "ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار"[3] الذي حاول من خلاله شرح وجهة نظره و تبيين موقف الشرع من هذه القضية.

و قد خصص الفصل الأول[4] من كتابه للتنبيه إلى ما يجب على المسلمين من معاداة لليهود لليهود و دعا إلى نبذهم و عدم التعامل معهم، و أتى المغيلي بأدلة عقلية ونصوص شرعية ليبين صحة دعوته، و أتى في الفصل الثاني[5] على ذكر ما يلزم أهل الذمة الكفار من الجزية و الصغار، و هو يقصد بذلك اذلالهم بتجريدهم من أموالهم، أما الصغار فهو أن يلزمهم الذلة و المسكنة في أقوالهم و أفعالهم و جمع أموالهم، كما دعا إلى ضرورة منعهم من بناء بيع خاصة بهم مذكرا بكفر كل من سمحت له نفسه بذلك.

---

[1]- عن هذه الحادثة ينظر: محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح، ص ص 26- 77.

[2]- عبد الله بن أبي بكر العصنوني التواتي، فقيه مشارك، درس على يد علماء من توات و سوس وتلمسان، كما مارس التدريس و الافتاء بتوات لمدة طويلة، كما ولي القضاء بها، عارض المغيلي فيما كان يراه من نقض ذمة اليهود و اباحة دمائهم وأموالهم، فكان ذلك سببا في استفتاء علماء المغرب و أيده في رأيه كثير من علماء عصره، ينظر: محمد الطيب، ابن حيدنة، القول البسيط في أخبار تمنطيط، ص31؛ ابن مريم، البستان، ص ص 253- 257؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص54؛ محمد حجي، الحياة الفكرية ، ج2، ص63.

[3]- مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم د2530 و د2223، و هذا الثاني يوجد تحت عنوان "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" حققه رابح بونار.

[4]- محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح، ص ص 29- 43.

[5]- نفسه، ص ص 45- 52.

أما الفصل الثالث[1] فقد تحدث فيه عما آل إليه يهود هذا الزمان في كثير من الأوطان من الجرأة و الطغيان و التمرد على الأحكام الشرعية و الأركان، يتولية أرباب الشوكة و خدمة السلطان، و قد خص بالذكر منهم "...يهود توات و تيكورارين و تافلالت و درعة و كثير من الأوطان في افريقية و تلمسان..."، كما أحل المغيلي دماءهم و أموالهم و أولادهم و نساءهم، وذكر أن لا ذمة لهم "...لأن الذمة التي ترفع السيف عنهم هي الذمة الشرعية المرعية، و هي كونهم يعطونها عن يد و هو صاغرون..."

و قد أجاب عن دعوة المغيلي عدد من فقهاء الجزائر و فاس منهم: أبو مهدي الماواسي مفتي فاس، و ابن زكري مفتي تلمسان، و أبو زكرياء يحي بن البركات الغماري التلمساني، و عبد الرحمن بن سبع التلمساني، و الامام ابن غازي[2]، والحافظ التنسي، و الفقيه السنوسي[3] الذين كانوا عضذا له في هذه القضية، و سانده في الأمر أيضا مفتي تنس أبو القاسم العبدوسي[4] الذي أفتى ليس فقط بعدم السماح لهم ببناء بيع جديدة بل بعدم ترميم الكنائس القديمة، و أجاز حرمانهم من الحماية كذميين و أحل دماءهم و أولادهم إذا طالبوا بذلك، كما كتب ابراهيم بن عبد الجبار الفجيجي (ت956هـ/ 1549م) قصيدة مطولة، وجهها إلى سكان توات و قاضيها العصنوني، يذكر عليهم موالاتهم لليهود[5].

---

[1]- محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح ، ص ص 53- 63.

[2]- العباس بن ابراهيم، الأعلام، ج5، ص107؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص171؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص71.

[3]- ابن مريم، البستان، ص249؛ محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح ، ص 14، 15.

[4]- ابراهيم حركات، السياسة و المجتمع، ص434، نقلا عن نوازل الدرعي.

[5]- محمد حجي، الحياة الفكرية، ج1، ص152، و ج2، ص512.

في حين تشبث قاضي توات عبد الله العصنوني و بعض علماء فاس يوقفهم الرافض لمعاداة اليهود[1] و دعوا إلى منحهم الحرية الكاملة في بناء بيعهم بصحراء توات معرضين بذلك عن فتوى المغيلي مدعين بأنه تأثر في موقفه بتصرفات أقلية من اليهود[2].

و بعد هذا الاختلاف الذي وقع على المغيلي من الفقهاء، عزم المغيلي على مناظرة معارضيه في فاس بحضرة سلطانها محمد الشيخ الوطاسي، لتوضيح أسباب دعوته، غير أن مهمة المغيلي باءت بالفشل بسبب وشاية الفقهاء به لدى الملك الوطاسي[3].

و رغم أن دعوة المغيلي قد عرفت معارضة كبيرة من طرف فقهاء المغرب إلا أن تأثيرها ظل ساريا في المغرب طيلة القرن 10هـ/ 16م، اذ تبنى هذه الدعوة فقهاء آخرون اقتنعوا بموقفه منهم: أبو القاسم بن علي بن خجو الحساني[4] (ت956هـ/ 1549م) في منطقة الريف و الفقيه عبد الله بن علي بن طاهر الحسني في تافيلالت، اللذين انتقدا تسامح الحكام السعديين مع اليهود و أشاروا عليهم بضرورة التخلي عن التعامل معهم و الحد من نفوذهم في المغرب[5].

---

[1]- ابن حيدنة، القول البسيط في أخبار تمنطيط، ص ص 15- 31.

[2]- Cour (A): L'établissement, p47.

[3]- ابن عسكر، المصدر السابق، ص 130،131؛ محمد بن عبد الكريم المغيلي، المصدر السابق، ص 17، 18.

[4]- فقيه مفتي و نوازلي بناحية الهبط، تخرج على طبقة الإمام ابن غازي، اشتغل مدرسا و مربيا و آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، توافد عليه الطلبة من كل صوب، له مؤلفات عديدة منها: ضياء النهار المجلي لغمام الأبصار في نصرة أهل السنة= =الفقهاء الأأخيار، في التصوف، عنه ينظر: ابن عسكر، المصدر السابق، ص 14، 15؛ ابن القاضي، الدرة، ج3، ص286 وجذوة الاقتباس، ص319؛ محمد مخلوف، شجرة النور، 283؛ محمد حجي، الحياة الفكرية، ج2، ص461.

[5]- الزهراء النظام، المرجع السابق، ص542.

* **الاسلاميون:** و يسمون أيضا بالبلديين و هم المسلمون المنحدرون من أصل يهودي[1] و قد أثار موضوعهم بالمغرب خلال القرن 10هـ/ 16م جدلا حادا بين علماء و فقهاء المغرب، و الجزائر على حد سواء.

و قد عرفت فاس منذ العهد المريني ظاهرة التعصب ضد حديثي العهد بالإسلام خاصة من أصل يهودي، و قد برزت هذه الظاهرة أكثر حدة في وسط التجار و العلماء، حيث أن العلماء من أصل يهودي مهما علا شأنهم في مجال العلم، يمنعون من تولي المناصب الشرعية كالقضاء و الافتاء، و الإمامة و الخطابة في المدينة، كما كان التجار الفاسيون يمانعون في دخول الاسلاميين إلى أسواق فاس و الاتجار فيها إلى جانب التجار المحليين[2].

و قد أثير هذا الموضوع من جديد خلال القرن 10هـ/ 16م، بعدما هم أحد التجار الاسلاميين بفتح دكانة له في قيسارية فاس فعارضه في ذلك تجارها، مما أحدث ضجة كبرى[3]، فظهر خلاف حاد بين علماء المدينة و فقهائها مما اضطرهم إلى الاحتكام إلى الأمير أحمد الوطاسي (1526- 1549م) الذي أمر برفع هذه القضية إلى علماء المغرب و الجزائر للبث فيها، فأفتى في هذه النازلة فقهاء فاس ومكناس و شمال المغرب، و آخرون من الجزائر[4].

و من الذين تصدروا للإفتاء في هذه النازلة فقيه فاس أحمد بن محمد الحباك (938هـ/ 1531م) الذي أفتى ببطلان دعوى تجار فاس معتمدا في ذلك على ما جاء في نص القرآن

1- Norman cigar, société et vie politique à Fès sous les premiers Alawites (c.a 1660- 1830) édition techniques nord- africaines, 1960, p106.

2- Norman cigar: op.cit, p106.

3- رأى التجار المحليون في نشاط الاسلاميين عرقلة لنشاطهم التجاري في المدينة، ينظر: عبد المجيد قدوري، المغرب و أوروبا ما بين القرنين 15 و 18 (مسألة التجاوز) المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 2000، ص297.

4- عن هذه الواقعة ينظر: محمد ميارة، نصيحة المغترين و كفاية المضطرين في التفريق بين المسلمين، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم ك923، ص ص 11- 15؛ محمد بن عبد الكريم المغيلي، المصدر السابق، ص 17، 18.

الكريم و الحديث النبوي الشريف، ثم جاءت فتوى بقية فقهاء فاس، و منهم عبد الواحد الونشريسي، و محمد اليستيثني، عبد الوهاب الزقاق، وعلي بن هارون المطغري، و محمد بن جيدة الوهراني، مؤيدة لفتوى أحمد الحباك، و أكد فقهاء مكناس و منهم أبو علي حرزوز و عبد الرحمن الوقاد (ت بعد 934هـ/ 1528م)، و عبد الله بن العافية ما جاء في فتوى فقهاء فاس، بدعوى أن الاسلام يحرم التفريق بين المسلمين مستندين في ذلك إلى ما جاء في أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم، و أيدهم في ذلك أيضا أحمد التسولي مفتي المناطق الشمالية[1].

أما عن فقهاء الجزائر ممن أثارتهم هذه الحادثة و أفتوا فيها محمد بن علي الخروبي الذي دحض كل من يقول بوجوب منع الاسلاميين من الاختلاط مع التجار القدامى في الأسواق، ونعت كل من دعا إلى غير ذلك بمخالفتهم لما جاء به رسول الله عليه الصلاة و السلام وصحابته، منبها إلى وجوب حسن معاملة الاسلاميين والتخلي عن كل ما يثير العداء و الكراهية ضدهم.

كما وجه حديثا شديد اللهجة يلوم فيه تقصير العلماء في ارشاد العامة ومسايرتهم و جعل فتواهم خاضعة لأهوائهم و ميولاتهم، موضحا أن منع الاسلاميين من دخول الأسواق مخالفا لتعاليم الاسلام السمحة الذي يدعوا إلى المساواة بين جميع المسلمين، و ظلت هذه الفتاوى تصدر من فقهاء المغرب و الجزائر حول هذا الموضوع إلى أن صدر في صفر سنة 934هـ مرسوما وزاريا يقضي بالسماح للاسلاميين بدخول الأسواق و الاتجار بها كسائر المسلمين[2].

ب– مناقشات و مناظرات فكرية و دينية (صوفية و كلامية):

شكلت المناقشات و المناظرات الفكرية و الدينية مظهرا آخر من مظاهر الروابط الثقافية بين البلدين، فرغم التشابه الذي عرفته المنطقتان من حيث المواد الدراسية و الكتب المتداولة وطرق التدريس، و كذا تطابق وجهات نظر أهل العلم إلى حد كبير في كثير من القضايا التي تهم الحياة

[1]– محمد ميارة، نصيحة المغترين، ص ص 11 – 15.

[2]– محمد ميارة، نصيحة المغترين، ص ص 11 – 15، محمد حجي، الحياة الفكرية، ج1، ص273.

الدينية و الاجتماعية، إلا أن ذلك كله لم يمنع من وجود محطات اختلف فيها علماء البلدين مثلتها بعض القضايا الفكرية و الدينية استدعت قيام علمائهما بالمناقشة و المناظرة للبث فيها.

و لعل أكثر القضايا التي طرحت للمناقشة و المناظرة تلك التي تعلق بعلمي التصوف والكلام أو التوحيد.

و تجدر بنا الإشارة إلى تلك الحملة الانتقادية التي قادها الفقيه الجزائري أبي عبد الله محمد الخروبي[1] ضد الفقراء و أصحاب الطرق الصوفية، و بعض كبار مرابطي المغرب[2] من أمثال أبي عمر القسطلي[3]، و أتباعه الذي نال شهرة عظيمة في مراكش و سائر بلاد المغرب، و كانت له دعوة عريضة في مقام الأولياء، ومكاشفة الغيب، و ادعى القطبانية، و أنه صاحب الوقت[4]، و قد قاد الخروبي هذه الحملة ضدهم متهما إياهم بالزيغ عن الطرق الأصلية في التصوف، و الاشتغال بالبدع و التعاطي لها، و الانحراف عن المبادئ الحقيقية للعقيدة الاسلامية، واستغلال التصوف لتحقيق أغراض ذاتية مؤكدا أن الدين بريء من تلك الممارسات، وأن التصوف ينبغي أن يكون في خدمة الدين[5].

---

[1]- ابن عسكر، المصدر السابق، ص 126، 127؛ bouabdelli (M): Le cheikh mohammed ben ali el kharoubi, p- p 330- 341.

[2]- كان الخروبي على رأي شيخه أحمد زروق، في محاربة البدع و من يمارسونها لكنه كان أكثر تشددا منه في ذلك، و كان يرى أن التصوف قد أحدث للإنارة سلوك و أحوال المؤمنين بفضل الزهد و التقشف والورع الذي يفرضه على الروح، و قد شاطره في ذلك عدد من صوفية و فقهاء عصره، و منهم علي بن ميمون الغماري (ت917هـ/ 1511م) صاحب كتاب "بيان غربة الاسلام" و "رسالة الاخوان من أهل الفقه وحملة القرآن الذي انتقد فيهما بشدة الصوفية و الفقهاء في المشرق والمغرب و الجزائر و تونس، و اتهمهم بالانحراف عن الكتاب و السنة و بالعمل على تضليل الناس.

[3]- أحد أقطاب الصوفية في المغرب، توفي سنة 964هـ، عنه ينظر: محمد العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص291؛ محمد الفاسي، المصدر السابق، ص140.

[4]- ابن عسكر، المصدر السابق، ص ص 93- 108؛ محمد حجي، الحياة الفكرية، ج1، ص ص 170- 172.

[5]- الزهراء النظام، المرجع السابق، ص544.

و قد شملت تلك المناقشات الأمور المتعلقة بالتصوف، فقد أنكر الخروبي في سفارته إلى المغرب على أبي عمر القسطلي و أتباعه مسائل كثيرة، بما في ذلك قصته لشعر الشارب وحلق اللحية معتبرا ذلك بدعة، و رد على أتباع أبي عمر الذين حاولوا تبرير عمل شيخهم، و لفت نظره إلى أن الشيخ الجزولي كان يفعل ذلك ربما بإذن، و الإذن للولي لا يعم أتباعه، في حين أن النبي صلى الله عليه و سلم يعم أتباعه[1].

و قد أثار رأي الخروبي ردود فعل قوية من طرف العلماء و الصوفية في المغرب خاصة من أتباع الجزولي، فنجم عن ذلك نقاش حاد بينهم و بين الخروبي حتى قيل أن الخروبي أهمل مهمته الدبلوماسية و انصرف عنها للمجادلة الدينية[2].

و لما عاد من سفارته إلى مراكش، بعث الخروبي رسالتين احداهما إلى الشيخ أبي عمد القسطلي[3]، قال عنها اليفرني: "أنه أبدع له فيها"[4] و رسالة أخرى إلى أهل فاس عنونها ب "رسالة ذوي الافلاس إلى خواص مدينة فاس"[5] و الذي ذكر فيها آدابا على القواعد الخمس، أثار بعض ما جاء فيها نقاشا كبيرا بين علماء المغرب ظل فترة طويلة، و تركز النقاش على الخصوص حول قضية النفي في القاعدة الأولى و هي (لا إله إلا الله) و قد اختلفت الآراء حول ما إذا كان النفي بلا في القاعدة المذكورة، تنتفي به ألوهية الصنم و غيره، مما عبد من دون الله أم لا؟ و كان رأي الخروبي حسب ما ذكره ابن عسكر: "من الأدب ألا يتناول نفيك عند النطق بحرف النفي، إلا ما دعاه المشركون من الآلهة سوى الله تعالى، و ليكن الحق جل جلاله ثابتا عندك في حال النفي

---

[1]- اليفرني : نزهة الحادي، ص42؛ عمار بن خروف، المرجع السابق، ج2، ص133.

[2]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص107؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص545؛

Bouabdelli (M), op.cit, p- p 330- 341

[3]- محمد ابن الفقيرة، شمس القلوب لكل محبوب، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم د3694، رسالة الخروبي إلى القسطلي، ص 83- 84.

[4]- اليفرني، المصدر السابق، ص42.

[5]- ينظر مقتطف من هذه الرسالة في كتاب دوحة الناشر لابن عسكر، ص9.

والاثبات"، و أضاف قائلا: "و إلى هذا أشار بعض العلماء حيث قال: النفي لما يستحيل كونه والاثبات لما يستحيل عدمها فنقم الناس عليه هذه العبارة لما يلزم عليها من الكذب في الخبر الالهي"[1].

و قد حضر هذه المناقشة كل من الشيخ اليستيثني مفتي فاس، و أبو محمد عبد الله الهبطي، و لما احتدم الخلاف بين العالمين المذكورين تدخل السلطان السعدي محمد الشيخ لمعرفة الحقيقة، فعقد مجلسا للمناظرة دعا إليه الطرفين المختلفين، غير أن الهبطي آثر ألا يتحدث في الموضوع، دفعا للمزيد من المشاحنة بينه و بين خصمه، أما اليستيثني الذي كان يعرف بعناده الحاد، فقد اتهم الهبطي بأنه مبتدع و حث السلطان على قتله، غير أن محمد الشيخ السعدي أبى فعل ذلك بعدما التمس تحامل اليستيثني على الهبطي الذي حاول أن يثير شكوكه حوله والايحاء له بأنه يتطلع هو و أصحابه إلى الملك[2].

أما عن الرسالة الأولى التي وجهها الجزولي للقسطلي فقد أحدثت جدالا بلغ صداه إلى جميع الأوساط العلمية في المغرب، وانقسم العلماء إلى فريقين أحدهما مؤيد للقسطلي وآخر للخروبي، على اعتبار أن كل واحد منهما كانت له مكانة مميزة بين سكان المغرب، فالأول بحكم تبعيته للشيخ الجزولي، و الذي كان له تأثير خاص في نفوس المغاربة، و حكامه، والثاني لأنه كان الوريث الروحي للشيخ زروق الذي خلف أتباعا كثيرين في المغرب[3].

فبعد الرد الذي جاء على لسان أبي عمر القسطلي الذي كتب رسالة مطولة يدحض فيها أقوال الخروبي[4]، فقد تصدى للرد على الخروبي من صوفية المغرب، أحمد بن أبي محلي، وهو من أتباع القسطلي والذي كان ينتقد الخروبي ويؤاخذه على اطلاق لسانه في شيخه القسطلي وكفره

---

[1]- ابن عسكر، المصدر السابق، ص 9، 10؛ عمار بن خروف، المرجع السابق، ج2، ص 133، 134؛ الزهراء النظام، المرجع السابق، ص ص 546- 548.

[2]- ابن عسكر، المصدر السابق، ص ص 10- 12.

[3]- Bouabdelli (M): op.cit, p p 330- 341.

[4]- محمد ابن الفقيرة، المصدر السابق، جواب أبي عمرو القسطلي على رسالة الخروبي، ص ص 84- 91.

بقطبانيته حملت كثيرا من عبارات القدح والذم والنعوت غير اللائقة في حق الخروبي، وعبارات التقديس و التعظيم للقسطلي وطريقته[1].

ج- المراسلات بين أهل العلم في البلدين:

كانت هذه المراسلات تشمل أغراضا مختلفة فكرية، و أدبية و دينية تارة بين العلماء، وتارة بين الطلبة و أساتذتهم، و بين كبار شيوخ الصوفية و أتباعهم.

ومن المراسلات التي طرحت فيها بعض المسائل الدينية أو الفكرية مراسلات محمد بن علي الخروبي مع خواص فاس و مراكش.

– المراسلات التي كانت تتم بين أحمد الورنيدي التلمساني المعروف بابن الحاج، والإمام محمد ابن غازي كبير علماء فاس و التي خاض فيها العالمان في مختلف المسائل الفقهية و الأدبية[2].

– مراسلات الشيخ الوزاني القسنطيني مع الكثير من العلماء و طلبة العلم من المغرب و التي غالبا ما كانت ردودا عن مسائل كانت ترد إليه من المغرب[3].

– مراسلات محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ/ 1503م) إلى علماء فاس حول معاملة اليهود و السلوك الذي ينبغي أن يتبع معهم[4].

أما المراسلات التي كانت تتم بين الطلبة و أساتذتهم خاصة لطلب الاجازة العلمية، فنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

---

[1]- محمد ابن الفقيرة، المصدر السابق، جواب أبي عمرو القسطلي على رسالة الخروبي، ص ص 84- 91؛ محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص ص 170- 172.

[2]- ابن مريم، المصدر السابق، ص8.

[3]- عبد الكريم ابن الفكون، منشور الهداية في حال من ادعى العلم و الولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، بيروت، 1987، ص35.

[4]- ابن عسكر، المصدر السابق، ص ص 130- 132؛ المغيلي، مصباح الأرواح، ص ص 65- 69.

– المراسلات التي كانت تتم بين أبي العباس أحمد بن القاضي صاحب درة الحجال و جذوة الاقتباس و غيرها من المغرب و بين عالم تلمسان الشهير سعيد المقري، والتي طلب فيها أحمد بن القاضي من أستاذه سعيد المقري، الاجازة العامة فيما له من مرويات و مقروءات و مجاز مسموع، مع ذكر مشايخه الأعلام، و ذلك سنة 1009هـ/ 1600م، فلبى شيخ المقري طلبه في نفس السنة[1].

– أما ابن عسكر صاحب دوحة الناشر، فقد انتهز فرصة وجود بعض من علماء تلمسان في المغرب، فأخذ عنهم و حصل منهم على الاجازة، و من الذين أجازوه نذكر: أبو العباس أحمد بن محمد العبادي التلمساني[2]، و أبو عبد الله محمد بن هبة الله الوجديدي[3].

– كما حصل أحمد المقري من جهته على عدة إجازات و هو في المغرب من علمائه منهم: أبو العباس أحمد بن القاضي[4] و أبو العباس أحمد بن أبي القاسم التادلي[5].

– و قد جرت كذلك المراسلات بين المتصوفة والمرابطين في المنطقتين حول بعض القضايا الدينية والتصوفية منها: مراسلات عبد العزيز القسنطيني[6] مع عبد الله بن عمر المطغري[7] ومحمد بن علي علي الدرعي[8] والتي وصفها ابن عسكر بأنها مراسلات عجيبة ونافعة[9].

---

[1]- المقري، روضة الآس، ص ص 226- 229.

[2]- ابن عسكر، المصدر السابق، ص- ص 118- 119.

[3]- نفسه، ص117.

[4]- المقري، روضة الآس ، ص289.

[5]- نفسه، ص300.

[6]- ابن عسكر، المصدر السابق، ص132.

[7]- نفس المصدر، ص ص 87- 88.

[8]- نفسه، ص93.

[9]- نفسه، ص87.

ومراسلات أحمد بن يوسف الملياني (ت931هـ/ 1524م) زعيم الطريقة اليوسفية مع أتباعه ومريديه ومناوئيه في الجزائر والمغرب يحثهم فيها على الرجوع إلى شريعة الحق و الالتزام بآداب التصوف و عدم الحياد فيها، محاولا تبرئة نفسه مما آل إليه أتباعه من زيغ و فساد في الأخلاق، ويستنكر فيها عليهم التقول بما لم يقله[1].

[1]- محمد الوثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، تحقيق محمد بن شنب، الجزائر، 1908، ص107،108؛ عمار بن خروف، المرجع السابق، ج2، ص136.

إن المتتبع للمسار التاريخي للعلاقات ما بين المغربين الأوسط و الأقصى خلال الفترة ما بين القرنين (7-10هـ/13-16م) يلاحظ أنها كانت بين مد وجزر، تارة تجمعها حروب وصراعات ،وتارة أخرى صلح وهدنة، وقد اعتمدت الأطراف المشكلة لهذه العلاقات ،و هي الزيانيون و الأتراك العثمانيين بالمغرب الأوسط ثم الجزائر خلال القرن 16م و المرينيون ثم الوطاسيون ثم السعديون بالمغرب الأقصى في ذلك على عدة عوامل، مستغلين ظروف بعضهما البعض السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولعل ما خلصنا إليه من خلال تتبعنا لهذه العلاقات ما يلي:

أولا: من الناحية السياسية:

لا شك أن الضغائن والصراعات بين بني مرين و بني عبد الواد قديمة جدا ناشئة عن الجوار في المواطن ثم في الملك، والمنافسة في الاستقلال برئاسة زناتة، فكثرت الحروب بينهما واستمرت سنين طويلة، كان التفوق فيها غالبا لبني مرين لأن مُلكهم كان أعظم، ثم أن دولة بني مرين الناشئة لم ترض بمجاورة قبيل بني عبد الواد المنافس، وذلك لتأكدها من المكانة التي يتبوأها هذا القبيل في ميدان السياسة والحرب في المغرب الأوسط، فنشأت عن ذلك عداوة بين القبيلين كان مبعثها المنافسة على رئاسة زناتة والتطلع إلى السلطان على المغرب الإسلامي بأكمله باعتبار أحقية كل قبيل في ميراث الموحدين.

لم تقم الدولتان المرينية و الزيانية على أساس حركة مذهبية إصلاحية أو فكرة دينية جديدة، كما فعل عبد الله بن ياسين المرابطي والمهدي بن تومرت الموحدي، لكن الجانب الديني استغل في فترات من تاريخ الدولتين، خاصة في عهد أبي الحسن المريني الذي كان يحاول كسب ود وعطف الأهالي بزيارة المراكز الدينية، والمقابر وأضرحة الأولياء والصالحين والتبرك بهم، غير أن بني مرين حملوا على عاتقهم العودة بالمذهب المالكي إلى سابق عهده والعمل على نشره، ومحو آثار المذهب الموحدي ، وقد كان الأمر نفسه بالنسبة للوطاسيين إلى حين ظهور الأشراف السعديين الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية الجهاد ضد النصارى و دحرهم من بلاد المغرب الأقصى ،فهب لذلك رجال الدين و كبار العلماء و الفقهاء .

توظّف الدولتان الزيانية و المرينية في تأسيسهما و قيامهما دعوة أو حركة دينية كما ذكرنا، لا بل اعتمدتا على قوة قبيليهما (بني عبد الواد، و بني مرين) و على بعض القبائل البربرية والعربية، وكان الهدف في ذلك سياسي بحت يكمن في إقامة دول مستقلة بذاتها عن الموحّدين، تفرض سيطرتها على كامل المغرب الإسلامي، و تتزعم قبائل زناتة و باقي القبائل البربرية، و لعلّه السبب في نشأة العداء واستمرار الصراع بين المرينيين و الزيانيين ،و الأمر نفسه بالنسبة للسعديين الذين لم يتوانوا عن توظيف قوة قبيلهم في بسط نفوذهم و تحقيق انتصارات هامة ضد الوطاسسن أو في مواجهة الغزو الابيري .

كان الصراع الزياني المريني يتم قبل سقوط دولة الموحّدين سنة 667هـ / 1267م في المناطق الغربية والجنوبية الغربية من تلمسان، على الحدود بين الدولتين بنواحي وجدة وتازا، وجنوبًا بسجلماسة لأهميتها التجارية، وكان بنو عبد الواد خلال ذلك يحاولون تأكيد سيادتهم على هذه المناطق و مدنها، وهم يلحظون حالة الضعف التي آلت إليها الدولة الموحّدية، والتقدم المريني السياسي والعسكري نحو الشمال والشرق وجنوبًا نحو مراكش و سجلماسة، غير أنّ محاولات بني عبد الواد كانت دون جدوى أمام إصرار خصومهم في الدفاع عنها و حمايتها، ولكن بعد قيام الدولة المرينية اتسع النطاق الجغرافي للصراع.

راحت كل دولة تستغل الصراعات الداخلية والاضطرابات الأسرية، وتنافس أفراد الأسرة المالكة على العرش، فتستقبل المنشقين والعصاة والمعارضين، وتمد لهم يد العون وتزكيهم، وتقف إلى جانبهم بالمال والرجال للنهوض ضد حاكمها، وهذا ما حدث مرات عديدة ومن الجانبين، ولعله من الأسباب التي كانت تؤدي إلى التصادم والتعارك انتقاما من الطرف الآخر، وهذا منذ نشأة الدولتين، حيث ألّبت الابن ضد والده، والوالد ضد ابنه والأخ ضد أخيه ،و قد استمر الحال على ما هو عليه خلال فترة حكم الوطاسيين و كذا السعديين .

تميزت الفترة الأولى من تأسيس دولة بني عبد الواد بروح العصبية القوية التي منحت الدولة قوة وتماسكا عظيمين، ظهرا جليا في المقاومة الشديدة للأعداء، وفي وحدة الصف والتفاني في الدفاع عن دولتهم وفرض وجودها، لكن ظهور الخلافات الأسرية والتآمر سرعان ما تسرب إلى هذه الدولة في

أواخر عهد أبي حمو موسى الأول، مما أدى بولده أبي تاشفين إلى قتله وتولي الحكم، ومنذ هذا الوقت أصبحت المؤامرات تقليدا مألوفا من قبل الكثير من أمراء الدولة فيما بعد.

لم تكن حدود الدولتين منذ نشأتهما مستقرة وثابتة، بل كانت تتبدل وتتغير، بحيث تتقلص حينا وتتسع أحيانا حسب استعداد كل واحدة منهما وقوتها العسكرية والاقتصادية واستقرارها السياسي وأمنها، وكذا وحدة أمرائها وانسجام قبائلها وولائها الصادق، إذ حاول بنو زيان أن يجعلوا من الحدود الغربية حدودا ثابتة منذ عهد قائدهم يغمراسن بن زيان الذي ترك وصية بذلك، ورغم أن أغلب خلفائه حاولوا تنفيذ الوصية بالتوسع نحو المناطق الشرقية إلا أنهم لم يسلموا من هجومات بني مرين المتكررة على أراضيهم، وفي كل مرة متذرعة بأمر ما ،ليتجدد الصراع على عهد السعديين الذين حاولوا بسط نفوذهم على حساب أراضي المغرب الأوسط فدخلوا بذلك في مواجهة حكام الجزائر الأتراك العثمانيين مرات عديدة .

كانت الصحراء وهي المنطقة النائية في الجنوب المقر الهام الذي يلجأ إليه أمراء تلمسان عندما تُحتل أراضيهم، ولذلك فمن الصعب بمكان وضع حدود سياسية أو إدارية للدولة الزيانية أو لغيرها من دول المغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

لا يمكن إغفال الدور الذي لعبته القبائل البربرية والعربية في تزكية هذا الصراع، والتي كانت تتحالف مع بني مرين تارة ومع بني زيان تارة أخرى، حسب ما تقتضيه مصالحها، إذ صارت محل إغراء واسترضاء سلاطين الدولتين، حتى أصبحت عصبا هاما يحرك سياسة هؤلاء السلاطين ، بعد أن اعتمد بعضهم اعتمادا كليا على هذه القبائل للحفاظ على ملكهم، فما إن تضطرب الأحوال السياسية حتى نرى بعضهم ثائرين أو مؤيدين للحركات الخارجية عليها، مما كان يدفع سلاطين الدولتين إلى إغداقهم بالهدايا والأموال، وإقطاعهم بعض الأراضي لاسترضائهم وضمان ولائهم.

وقد انتشرت ظاهرة الإقطاع ومنح الأراضي انتشارا كبيرا في عهد بني عبد الواد، خاصة في مرحلة ضعفهم، وقد عبّر ابن خلدون عن هذه الظاهرة بقوله في العبر، ج7، ص 292: " ما شرحناه مرارا من تغلب العرب على الضواحي والكثير من الأمصار، وتقلص ظل الدولة عن القاصية وارتدادها على عقبها إلى مراكز بسيف البحر، وتضاؤل قدرتها عن قدرتهم، وإعطاء اليد في مغالبتهم، ببذل رغائب

الأموال، وإقطاع البلاد والنزول عن الكثير من الأمصار والقنوع بالتضريب بينهم وإغراء بعضهم لبعض"

ورث الوطاسيون ملك بني مرين في جو سياسي مشحون بالصراعات الداخلية مع السعديين ، والصراعات الخارجية مع المسيحيين ،فشغلهم ذلك عما كان يجري بالمغرب الأوسط الذي كانت سواحله تتعرض للغزو الإسباني ،و كانت السفن العثمانية تتوافد عليه . فإلى حدود منتصف القرن 16م لم نسجل أية محاولة من الجانبين للتدخل في المنطقتين ،كما لم يقم أيا منهما – الزيانيين والوطاسيين – بأي مبادرة لتوحيد جهودهما ضد المسيحيين ،و لم يستعينا ببعثهما لمواجهة المناوئين لهما من الأتراك العثمانيين و الأشراف السعديين .

أما علاقة الوطاسيين بالأتراك فاتسمت بنوع من الغموض، وعدم الوضوح في المواقف، وأحيانا بالتناقض، وذلك لم يكن ناتجا فقط عن طبيعة العلاقة بين الطرفين، بل كان كذلك استجابة لضروريات ظرفية .

لعب الاحتلال الإيبيري لسواحل المغربين الأوسط بالنسبة للإسبان ،و الأقصى بالنسبة للإسبان والبرتغاليين ،دورا كبيرا في التغيرات السياسية الكبيرة ،و التحولات في موازين القوى التي عرفتها المنطقة، إذ ساهم هذا الاحتلال في تدخل الأتراك العثمانيين بالمغرب الأوسط الذي أصبح يعرف بالجزائر منذ القرن 10هـ/16م ،كما ساهم في ظهور الأشراف السعديين بالمغرب الأقصى بفضل حركتم الجهادية ضد المسيحيين المحتلين ،و التي أكسبتهم دعم رجال الدين والطرق الصوفية، وبذلك أصبحت المنطقة مجالا مفتوحا للمواجهات بين هذين القوتين الجديدتين، بعدما افل نجم الزيانيين والوطاسيين الذين راح أمراؤهم يستنجدون بالإسبان تارة، وبالأتراك تارة أخرى، وفي كثير من الأحيان رضوا بحكم صوري ،و ظلت الأوضاع هكذا حتى تمكن الأتراك من ازالة رسم الدولة الزيانية ،و مثلهم فعل السعديون مع الوطاسيين ،و كان ذلك في وقت متقارب من سنة 1554م .

ثانيا: من الناحية الثقافية .

أمّا فيما يتعلق بالتاريخ الثقافي للمغربين الأوسط و الأقصى و الذي هو امتداد للإزدهار الفكري والحركة الثقافية التي كانت سائدة في العهدين المرابطي والموحّدي، واللّذين عرفا حركة فكرية دؤوبة،

حيث نشط العديد من العلماء و في مختلف العلوم العقلية و النقلية خاصة فيما يتعلق بالعلوم الدينية، التي كانت تسير في نطاق رسمته الدعوتين المرابطية و الموحّدية على السواء، غير أنه مع سقوط الموحّدين و ظهور الدويلات المستقلة تحرّرت بعض العلوم التي كانت محظورة، فأصبحت تخوض في مجالات كانت بالأمس ممنوعة فازدهرت العلوم وتنوّعت وشملت مختلف المجالات، ونبغ العديد من العلماء الذين أثروا الحياة الثقافية في بلاد المغرب عامّة حتى بلغ صيتهم بلاد المشرق والأندلس ،لذلك يمكن حصر الروابط الثقافية بين المغربين الأوسط و الأقصى في الدولتين الزيانية المرينية، على اعتبار أن من جاؤوا بعدهما شغلتهم امور السياسة والحرب عن شؤون الثقافة والعلم، وما كان من ازدها ثقافي فكري أو تراجع فقد ظهر جله بعد الفترة موضوع الدراسة ،و رغم ذلك لا ننفي و جود حركية فكرية ،على العهدين الوطاسي والسعدي، وإن كانت محتشمة ،ذكرناها خلال صفحات هذه الرسالة .

تميز علماء المغربين بالموسوعية حيث كانت لهم مشاركة في مختلف العلوم النقلية منها والعقلية، ولم تكن موسعيتهم تقتصر على علوم متقاربة بل كانت تشمل علوما متباعدة كالأدب والطب ، أو علوم الحديث والطب ،و قد كان تضلع هؤلاء العلماء في علم معين يجعلهم ينسبون إليه أو يعرفون به والأمثلة على ذلك كثيرة .

ساهمت العديد من العوامل في إزدهار الحركة الفكرية والثقافية في المغربين الأوسط و الأقصى، ولعلّ أهمّ هذه العوامل:

أ– إهتمام السلاطين الزيانيين و المرينيين و الوطاسيين و السعديين و عنايتهم بالعلم والعلماء وتقريبهم منهم، وإجراء الأرزاق عليهم، وحضور مجالسهم تشجيعًا لهم على الإبداع والتأليف ورعايتهم للآداب والفنون وتقديرهم لأصحابها، واختيارهم لصفوة العلماء والفقهاء الوافدين من حواضر المغرب الإسلامي.

ب–الرحلة في طلب العلم و دورها في تكوين العلماء و توسيع معارفهم و توطيد الرّوابط الثقافية و تواصلها بين الإقليمين.

ج– دور المهاجرين الأندلسيين في إثراء الحياة الثقافية في بلاد المغرب بما نقلوه من علوم ومصنفات علمية هامة، بالإضافة إلى هجرة بعض العلماء والفقهاء و الأدباء.

د– اِنتشار المؤسسات الثقافية و التعليمية من مدارس و مساجد و زوايا ومكتبات وكتاتيب، وحرص السلاطين على إقامتها عامل ساهم في إزدهار الحركة الثقافية في الدولتين.

هـ– كثرة الحواضر العلمية و إنتشارها عبر الإقليمين كتلمسان ،و مازونة و تنس ،و وهران والجزائر و فاس و مكناس ومراكش و غيرها، ممّا ساعد على إنتشار العلوم و كثرة العلماء.

تغذّت الحركة الفكرية بفاس وتلمسان برافدين هامتين، رافد الأندلس ورافد المشرق، فتعمّق التحصيل وشمل مجالات عدّة، وانتشرت حلقات الدّروس والمجالس العلمية خاصة على عهد الزيانيين والمرينيين والتي توافدت عليها المؤلفات المختلفة المشرقية والأندلسية والمغربية، فتنوعت التيارات الفكرية وتعدّدت كتيار التصوّف، وتيار الإجتهاد في إطار المذهب والسّلف، و بَرَزَ المذهب الأشعري في المعتقدات والمذهب المالكي في الفقهيات كما ازدهرت حركة الجدل و المناظرات العلمية الشفوية والمكتوبة بين فقهاء وعلماء تلمسان وفاس، و غيرهم من فقهاء الأندلس والمغرب و مصر، تناولت ألوانًا متعددة من العلوم كالفقه و التفسير و التصوّف واللّغة و المنطق و مسائل فكرية أخرى، فكان اهتمامهم بالعلوم كافة نقلية وعقلية، ممّا ساهم في نشأة طبقة هامة من العلماء أثروا الساحة الفكرية والثقافية، و دفعوا بهذه العلوم نحو الإزدهار، و تميّزوا بعمق التفكير وغزارة التحصيل فأقاموا نهضة علمية و حركة فكرية في حواضر المغرب و الأندلس و المشرق.

لم تؤثر الحياة السياسية المتوترة التي طبعت العلاقات السياسية بين الدولتين و لفترة طويلة من الزمن، على الحياة العقلية و الفكرية فيها، أو تعرقل نموّها و لعل ذلك راجع إلى بعض العوامل المستمدّة من البيئة التلمسانية و الفاسية و من واقعهما المادّي والبشري، إذ أنّ ذلك الصراع السياسي والعسكري لم يمنع من التواصل الثقافي والفكري بين بني مرين و بني زيان لا بل خلق منافسة فكرية علمية ترجمها تنافس سلاطين الدّولتين على التقرب من العلماء و إكرامهم و إجراء الأرزاق عليهم وتشجيعهم على الإبداع.

ساهمت الحركة الجهادية التي عرفها المغربان الأوسط و الأقصى في ازدهار الحركة الأدبية فظهر ما يعرف بأدب الجهاد سواءا كان شعرا أو نثرا ،فتنوع هذا الأدب بين الاستصراخ و الحماسة و الوصف ،فبرز كثير من أدباء الاقليمين في هذا النوع من الأدب من أمثال ابن غازي المكناسي .

اِرتُبط الإبداع الشعري أحيانا كثيرة بالأوضاع السياسية للإقليمين، فكانت بعض القصائد تنظم في وصف معارك جرت بين الفريقين، أو كانت تنظم لتحريض وتحفيز وتشجيع السلاطين على الغزو و كتلك التي نظمها الشاعر العزيز الملزوزي في تشجيع السلطان بواعريني على غزو المغرب الأوسط وتأديب يغمراسن.

تعتبر الدولة المرينية بالمغرب الأقصى أكثر دويلات المغرب الإسلامي حيوية ونشاط في مجال التشييد العمراني بصفة عامة، و تشييد المدارس بصفة خاصة، حيث أنفق سلاطينها و أمراؤها على عمارتها و تزينها أموالا طائلة، و لعل هدفهم الرئيسي من ذلك هو إعداد نخبة من المدرّسين والموظفين والدّعاة القادرين على حماية مصالح الدولة، والوقوف في وجه دعاة التطرّف و توطيد حكمهم في المغرب كافة باعتبار أنّ المرينيين اتّخذوا من حركة بناء المدارس مظهرًا لسياستهم الدينية والعلمية، وبالتالي مظهرًا للتأثير السياسي والإجتماعي في رعاياهم، وذلك من حيث الرّضا بهم والقبول بمخططاتهم الهادفة إلى توحيد المغرب الإسلامي تحت رايتهم سياسيا و دينيا و إداريًّا.

لم تنل الدولة الوطاسية حظها من الدراسات التاريخية كتلك التي حظيت بها الدول التي قامت إلى أرض المغرب الأقصى حيث تكاد تكون كل المصادر التي يعتمد عليها الباحثون حول هذه الفترة من تأليف مؤرخين لم يشهدوا العصر الوطاسي، أو من الذين عايشوا الفترة السعدية أو ما بعدها ،فلم يصلنا الكثير عن نشاطات هذه الدولة سواءا السياسية أو غيرها ،بل نجد بعض الباحثين المغاربة يعتبرون الحقبة الوطاسية امتدادا للعهد المريني .

لعبت الزوايا أدوارا هامة دينية ،تعليمية و سياسية في المغربين على حد سواء خاصة في المغرب السعدي حيث أصبح عددها يفوق عدد المساجد ،و قد برز دورها خاصة منذ الفترة التي تعرض فيها المغرب الأقصى للأطماع الاستعمارية أي منذ القرن الخامس عشر الميلادي ،حيث نتج عن ذلك احتلال بعض المدن الساحلية من قبل الاسبان و البرتغاليين ،و أمام عجز الحكام عن استرجاع هذه المناطق نشأت حركة وطنية دينية قادها شيوخ الزوايا من أجل القيام بما عجز عنه الحكام ،حيث حمل هؤلاء الشيوخ على عاتقهم مسؤولية الجهاد فعملوا على تهييئ الناس لذلك دينيا و نفسيا ،و لعل أبرز مثال على ذلك الزاوية الدلائية .

تمكنت دولة بني زيان من إحياء المغرب الأوسط وتعميره، كما أتاحت له الفرصة لتعريبه تعريبا كاملا بعد تحول زناتة إلى عرب، وإليها يرجع الفضل في تمدين الكثير من بلاد المغرب الأوسط مثل: مرسى هنين و المدية وندرومة ووجدة، بل مدينة الجزائر نفسها، كما أن دولة بني عبد الواد أعطت المغرب الأوسط حدوده التاريخية، إذ أن الأتراك العثمانيين عندما ضموا المغرب إلى ملكهم جعلوا إمارة بني زيان على وجه التقريب إيالة كاملة من إيالات المغرب في أيامهم، ونقلوا العاصمة من تلمسان إلى الجزائر التي حرروها من أيدي الإسبان.

الملحق رقم (01)

سلاطين دولة بني عبد الواد الزيانية

1- أبو يحي يغمراسن بن زيان: 633- 681هـ/ 1235- 1282م

2- أبو سعيد عثمان الأول بن يغمراسن: 681- 703هـ/ 1282- 1303م

3- أبو زيان محمد بن عثمان الأول: 703- 707هـ/ 1303- 1307م

4- أبو حمو موسى بن عثمان الأول: 707- 718هـ/ 1307- 1318م

5- أبو تاشفين الأول عبد الرحمن بن أبي حمو الأول: 718- 737هـ/ 1318- 1337م

6- أبو سعيد عثمان الثاني: 749- 753هـ/ 1348- 1352م

7- أبو حمو موسى الثاني بن أبي يعقوب يوسف: 760- 791هـ/ 1359- 1389م

8- أبو تاشفين الثاني عبد الرحمن بن أبي حمو الثاني: 791- 795هـ/ 1389- 1392م

9- أبو ثابت يوسف بن أبي تاشفين الثاني: 795- 796هـ/ 1392- 1393م

10- أبو الحجاج يوسف بن أبي حمو الثاني: 796- 797هـ/ 1393- 1394م

11- أبو زيان الثاني عبد الرحمن بن أبي حمو الثاني: 797- 801هـ/ 1394- 1399م

12- أبو محمد عبد الله الأول بني أبي حمو الثاني: 801- 804هـ/ 1399- 1402م

13- أبو عبد الله محمد الأول المعروف بابن خولة: 804- 813هـ/ 1402- 1412م

14- عبد الرحمن الثالث: 813- 814هـ/ 1411- 1411م

15- السعيد بن أبي حمو الثاني: 814- 814هـ/ 1412- 1412م

16- أبو عبد الله محمد الثاني المعروف بابن الحمراء(المرة الأولى):827-831هـ/1424-1428م

17- أبو مالك عبد الواحد(المرة الثانية): 831- 833هـ/ 1428- 1430م

18- أبو عبد الله محمد الثاني (المرة الثانية) 833- 834 هـ/ 1430- 1431 م

19- أبو العباس أحمد العاقل بن أبي حمو الثاني: 834- 866 هـ/ 1431- 1462 م

20- أبو عبد الله محمد الثالث المتوكل على الله: 866 – 873 هـ/ 1462- 1468 م

21- أبو عبد الله محمد الرابع الثابتي: 873 – 910 هـ/ 1468- 1505 م

22- أبو عبد الله محمد الخامس بن محمد الثابتي: 910 – 922 هـ/ 1505- 1516 م

23- أبو حمو الثالث بن محمد الثابتي (المرة الأولى): 922 – 923 هـ/ 1516- 1517 م

24- أبو زيان أحمد الثالث: 923 - 924 هـ/ 1520- 1521 م

25- أبو حمو الثالث محمد الثابتي(المرة الثانية): 924 – 934 هـ/ 1521- 1528 م

26- عبد الله بن أبي حمو الثالث بن محمد الثابتي: 934 – 947 هـ/ 1528 – 1540 م

27- أبو زيان أحمد الثاني بن عبد الله الثاني: 947 – 949 هـ/ 1540- 1542 م

28- أبو عبد الله محمد بن أبي حمو: 949- 949 هـ/ 1542- 1542 م

29- أبو زيان أحمد الثاني بن عبد الله الثاني (المرة الثانية): 949-957 هـ/ 1542- 1550 م

30- الحسن بن عبد الله الثاني الزياني: 957 – 962 هـ/ 1550 – 1554 م

عن عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، ص 500– 501.

الملحق رقم (02)

سلاطين دولة بني مرين

1- أبو محمد عبد الحق بن محيو بن ابي بكر بن حمامة بن محمد المريني: 592-614هـ/1196-1217م

2- أبو سعيد عثمان بن عبد الحق: 614-637هـ/1217-1239م

3- محمد الأول بن عبد الحق: 637-642هـ/1239-1244م

4- أبو يحي أبو بكر بن عبد الحق: 642-656هـ/1244-1258م

5- أبو يسف يعقوب بن عبد الحق: 565-685هـ/1258-1286م

6- أبو يعقوب يوسف بن يعقوب: 685-706هـ/1286-1306م

7- أبو ثابت عامر بن أبي عامر: 706-708هـ/1306-1308م

8- أبو الربيع سليمان بن أبي عامر: 708-710هـ/1308-1310م

9- أبو سعيد عثمان الثاني بن يعقوب: 710-732هـ/1310-1331م

10- أبو الحسن علي بن عثمان: 732-749هـ/1331-1348م

11- أبو عنان فارس بن أبي الحسن علي: 749-759هـ/1348-1358م

12- محمد السعيد بن أبي عنان ولي و عمره 5سنوات: 759-760هـ/1358-1359م

13- أبو سالم ابراهيم بن علي: 760-762هـ/1359-1361م

14- أبو عامر تاشفين بن علي: ذو القعدة 762- محرم763هـ/1361م

15- عبد الحليم بن ابي علي عمر: ربيع الأول763هـ/1362م

16- أبو زيان محمد الثاني بن أبي عبد الرحمن: 763-768هـ/1362-1366م

17- أبو فارس عبد العزيز بن علي: 768-774هـ/1366-1372م

18- أبو زيان محمد السعيد بن عبد العزيز: 774-776هـ/1372-1374م

19- أبو العباس أحمد بن ابراهيم: محرم 776هـ/1374م

20- موسى بن ابي عنان فارس: 786-788هـ/1384-1386م

21- أبو زيان محمد بن أحمد: رمضان 788هـ-شوال 788هـ/1386م
22- أبو زيان محمد بن أبي الفضل: 788-796هـ/1386-1393م
23-أبو فارس بن أحمد: 796-799هـ/1393-1396م
24- عبد العزيز بن أحمد: 799-800هـ/1396-1397م
25- عبد الله بن أحمد: 800-801هـ/1397-1398م
26- أبو سعيد عثمان الثاني بن أحمد: 801-831هـ/1398-1427م
27- أبو محمد عبد الحق بن أبي سعيد عثمان الثاني: 831هـ/1427م

عن هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 261

الملحق رقم (03)

سلاطين الدولة الوطاسية

1- محمد الشيخ (876- 910 هـ/ 1471- 1505 م).
2- أبو عبد الله محمد البرتغالي(910- 932 هـ/ 1505- 1524 م).
3- أبو الحسن علي بن محمد الشيخ الشهير بأبي حسون(932 هـ- 1524 م).
4- أبو العباس أحمد(932- 956 هـ/ 1524- 1548 م).
5- أبو حسون الوطاسي(961 هـ- 1553 م).

عن ابراهيم حركات ،المغرب عبر التاريخ، ج2، ص 189

الملحق رقم (04)

سلاطين الدولة السعدية حتى عهد أحمد المنصور الذهبي

1- محمد القائم بأمر الله: 915-923هـ/1510-1517م
2- أبو العباس أحمد الأعرج: 923-946هـ/1517-1540م
3- محمد الشيخ المهدي: 946-964هـ/1540-1556م
4- أبو محمد عبد الله الغالب: 964-981هـ/1556-1573م
5- أبو عبد الله محمد المتوكل: 981-983هـ/1573-1575م
6- أبو مروان عبد الملك المعتصم: 983-986هـ/1575-1578م
7- أحمد المنصور الذهبي: 986-1012هـ/1578-1603م

نقلا عن ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2، ص 569

الملحق رقم (05)

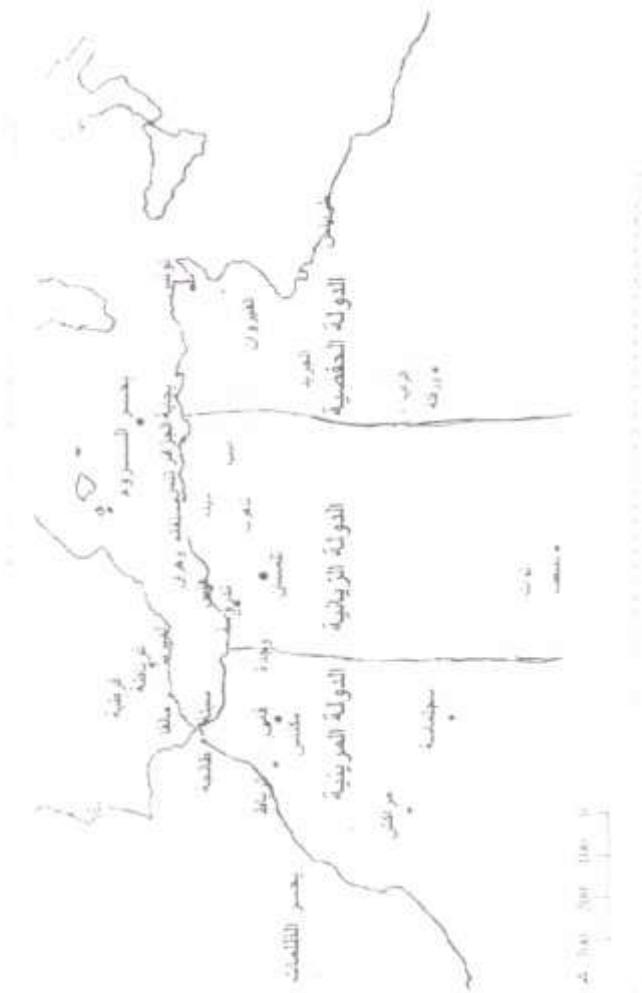

خريطة المعرب الإسلامي ما بعد الموحدين من القرن 7 هـ / 13 م إلى القرن 10هـ/16م.

عن نصر الدين بن داود ،المرجع السابق ،ص 288 .

الملحق رقم (06)

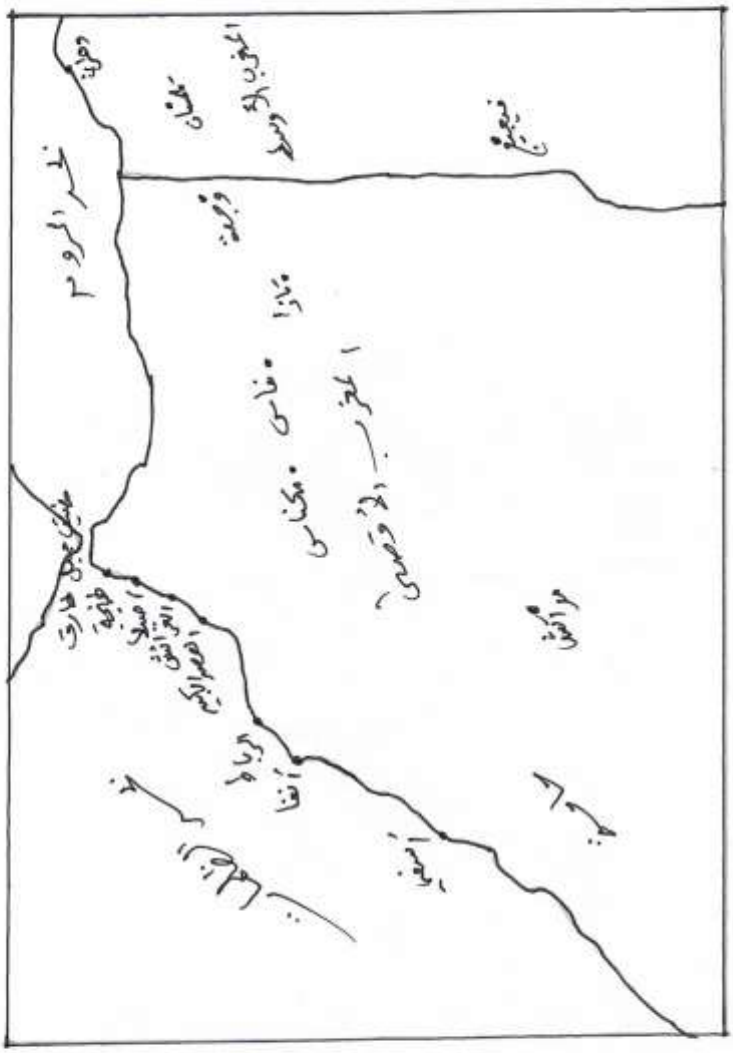

الحدود السياسية بين المغربين الأوسط والأقصى على العهد الوطاسي

الملحق رقم (07)

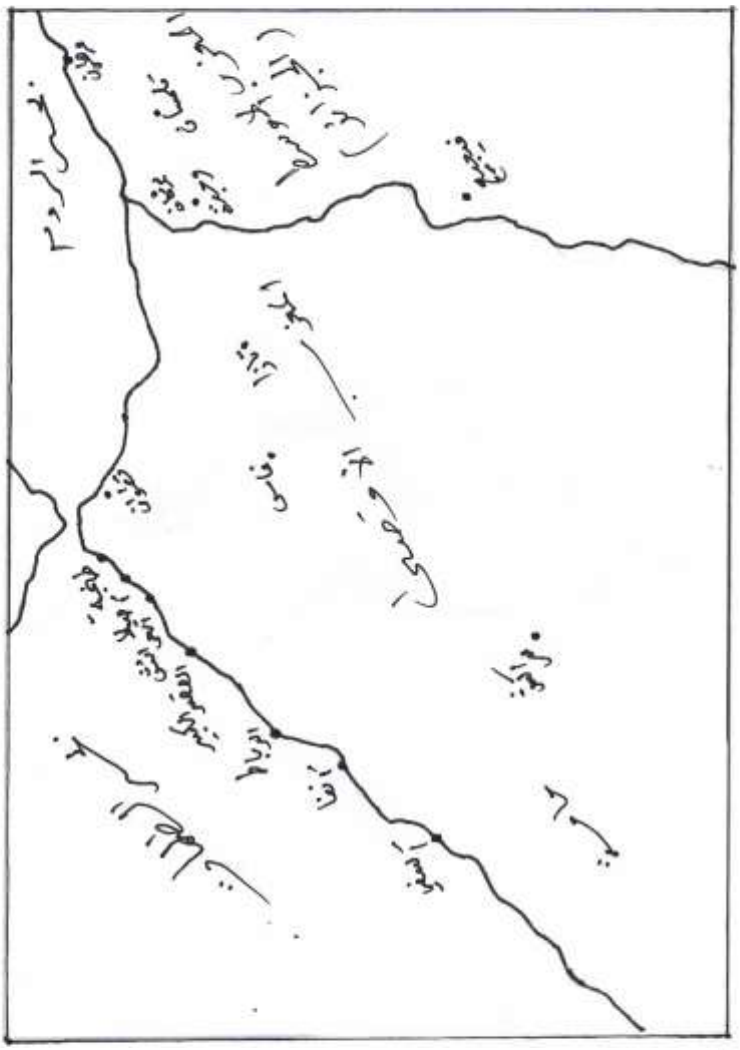

الحدود السياسية بين المغربين الأوسط و الأقصى على العهد السعدي.

الملحق رقم (08)

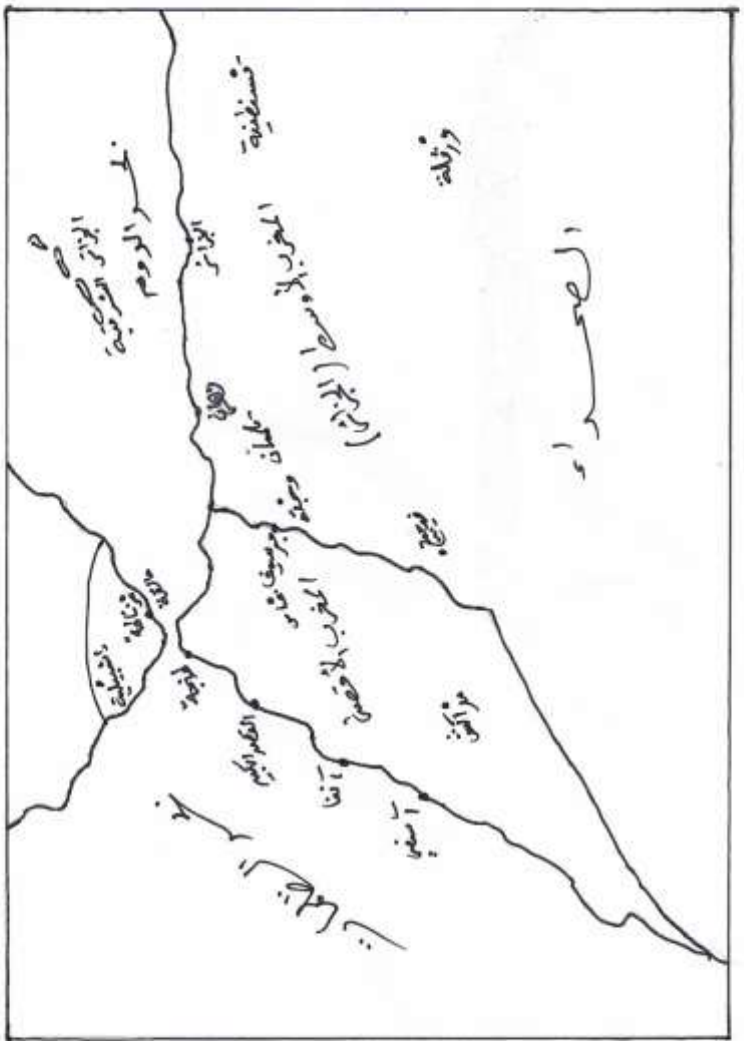

الحدود السياسية بين المغربين الأوسط والاقصى بداية العهد العثماني.

الملحق رقم (09)

صورة رقم (01) مسجد سيدي الحلوي

صورة رقم (02) مسجد المنصورة

صورة رقم (03) مسجد سيدي بومدين

المؤسسات التعليمية المرينية بتلمسان الزيانية.

عن هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص ص 63 –75

الملحق رقم (10)

الرحلة في طلب العلم بتلمسان الزيانية .

نقلا عن هوارية بكاي، المرجع السابق ،ص 276

الملحق رقم (11)

نسخة مخطوطة من مناظرة السعيد العقباني و القباب حول درهم الإعانة.

عن نوازل ابن مرزوق الحفيد ،مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة تحت رقم 1342.

الملحق رقم (12)

نسخة مخطوطة من مناظرة السعيد العقباني و القباب حول مسألة الإيلاء.

عن ابن مرزوق الحفيد، النوازل .

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع عن طريق الأزرق .

أولا المصادر:

1 – المصادر المخطوطة:

- ابن أبي محلي أحمد ،رسالة ابن أبي محلى إلى الخروبي ، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ،تحت رقم ك 611 .
- ابن أبي محلي أحمد ،منجنيق الصخور لهدم بناء شيخ الغرور و رأس الفجور ،مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ،تحت رقم ق 338 .
- ابن الأحمر اسماعيل، النفحة النسرينية واللمحة المرينية، مخطوط، ميكروفيلم ب، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية (رقم 357/ 4 تاريخ)
- ابن الأعرج محمد الحسني السليماني، زبدة التاريخ و زهرة الشماريخ، مخطوط بالخزانة الحسنية، الرباط، تحت رقم 170.
- ابن الخياط عبد السلام القادري، تقاييد تاريخية، مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 248.
- ابن الغماري علي ابن ميمون ،رسالة الاخوان من أهل الفقه و حملة القرآن ،مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1780د.
- ابن الفقيرة محمد ،شمس القلوب لكل محبوب ، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ،تحت رقم د3694 .
- ابن خطاب أبو بكر الغافقي المرسي، فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر ابن الخطاب، ميكروفيلم بالخزانة الوطنية العامة بالرباط رقم د3787، و نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم 5605.
- ابن مرزوق الحفيد، اسماع الصم في اثبات الشرف من قبل الأم، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة تحت رقم 2067، الجزائر.
- (ـــــــــ)، المفاتيح المرزوقية في حل أقفال و خبايا الخزرجية، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة، تحت رقم، 2970، الجزائر.

- ابن مرزوق الخطيب، المجموع، ميكروفيلم بالخزانة العامة بالرباط، رقم 20، المملكة المغربية.
- ابن هلال أبو سالم ابراهيم، الدر النثير على أجوبة أبي الحسن الصغير ،مخطوط بقسم المخطوطات ،جامعة الملك سعود ،تحت رقم 5259 ف 1102 /4 .
- التازي عبد الودود بن عمر، نزهة الأخيار المرضيين في مناقب العلماء الدلائيين البكريين، م.خ.ع، الرباط، رقم 1264ك.
- التباع عبد الله، ترجمة الشيخ أبي العباس السبتي، مخطوط خاص.
- التمكروتي ،النفحة المسكية في السفارة التركية، مخطوط بالخزانة العامة، الرباط، تحت رقم د795.
- التمنراتي عبد الرحمن، الفوائد الجمة في اسناد علوم الأمة، مخطوط مصور، المكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم 1420د.
- الدقون أحمد ،شرح شواهد الشريف على الأجرومية، م.خ.ع الرباط رقم ز3890.
- سليمان بن محمد الحوات ،البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية ، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ،تحت رقم د 394 .
- الشهلسواني الحوات سليمان بن محمد، البدور الضاوية، م.خ.ع، الرباط، د.م.د 261، د1454.
- الصومعي أحمد ،آداب المريد و أسرار العبادات ، مخطوط بمكتبة القرويين، رقم707.
- الغماري علي ابن ميمون، الرسالة المجازة في معرفة الإجازة، ميكروفيلم بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم 1343.
- الغوث شعيب أبي مدين ، الغوثية، مخطوطة، Tokyo Manuscripts، نقلا عن مكتبة المصطفى الالكترونية.
- الفاسي أبو زيد، أزهار البستان في مناقب الشيخ عبد الرحمن، م.خ.ع، رقم 583.
- الفاسي عبد الرحمن بن عبد القادر، تحفة الأكابر بمناقب الشيخ عبد القادر، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 2330ك.
- الفاسي محمد العربي ،الشمط المنظوم من جوهرة ابن آجروم، م.خ.ع بتطوان رقم 542.

- القادري، التقاط الدرر و مستفاد المواعظ و العبر، من أخبار أعيان المائة الحادية والثانية عشر، م.خ.ع الرباط، رقم 676د.
- الكتاني عبد الكبير بن هاشم، روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية، م.خ.ع، الرباط، رقم 1265/10ك.
- المازوني محمد بن أبي عمران، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، القسم الأول، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 1335.
- مثلى الطريقة في ذم الوثيقة، مخطوط بالخزانة الحسنية، تحت رقم 10976.
- محمد بن عمر بن ابراهيم التلمساني ،المواهب القدوسية في المناقث السنوسية ، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ،تحت رقم د 1245 .
- المغيلي محمد بن عبد الكريم ،المقدمة اللغوية لابن آجروم الصنهاجي ، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 1202.
- المنجور أحمد، شرح نظم علاقات المجاز ، مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط رقم 1032د.
- الناصري ابن عبد السلام ، الرحلة الحجازية، مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط، تحت رقم 5658.
- الناصري محمد المكي، الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة، م.خ.ع، الرباط، رقم 265.

2- المصادر المطبوعة:

- الافراني محمد الصغير ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، أنجي 1888
- العبدري، رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية، تحقيق أحمد جدو، مطبعة البعث، قسنطينة، د.ت.
- ابن أبي الضياف أحمد، اتحاف أهل الزمان وأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج2، تونس، 1963.
- ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972.
- ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ،دار المنصور للطباعة ، الرباط ،1972.
- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة ،تحقيق عزت العطار الحسيني ،مكتبة السعادة ،مصر ،1956.

- ابن الأحمر إسماعيل ، روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1962.
- (ـــــــــ)، نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تحقيق محمد التركي التونسي ومحمد بن تاويت التطواني، المطبعة المهدية، تطوان، 1964.
- ابن الأحمر اسماعيل ، نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، ط1، مؤسسة الرسالة، 1976.
- ابن الخطيب لسان الدين ، أعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلام و ما يجر ذلك من شجون الكلام ،تحقيق أحمد مختار العبادي و ابراهيم الكتاني ،دار الكتاب ،الدار البيضاء ،المملكة المغربية ، 1964.
- (ـــــــــ)، الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعر المائة الثامنة، تحقيق إحسان عباس، ط 1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983.
- (ـــــــــ)، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق محمد كمال شبانة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003.
- (ـــــــــ)، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، نشر و تعليق، أحمد مختار العابدي، مراجعة، عبد العزيز الأهواني، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د.ت.
- ابن القاضي أحمد ، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم 11952،
- (ـــــــــ)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1974.
- (ـــــــــ)، درة الحجال في غرر أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور،ط1 دار التراث، القاهرة، 1970
- (ـــــــــ)، لقط الفرائد من لفاظة حق الفوائد في كتاب ألف سنة الوفيات، تحقيق، محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر، الرباط، 1976.
- ابن القطان ،نظم الجمان ، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987
- ابن الوردي زين الدين ،تتمة المختصر في أخبار البشر، تحقيق أحمد رفعت البدراوي، ط 1، دار المعرفة، بيروت، 1970.
- (ـــــــــ)، تاريخ ابن الوردي، ج 2، المطبعة الوهبية، 1285 هـ.

- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج 2، بيروت، لبنان.
- ابن تغري بردي، المنهل الصافي و المستوفي بعد الوافي، ج7، تحقيق محمد أمين، نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب، القاهرة، 1989، 1990.
- (ـــــــــ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، دار الكتب المصرية القاهرة ،1939.
- ابن جزري شمس الدين ،غاية النهاية في طبقات القراء ، ط2 ،بيروت ،1980 .
- ابن جيدة محمد الطيب، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق محمود فرج، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977.
- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.
- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المطبعة المنيرية، مصر 1928.
- ابن الحسن الجنابي ،البحر الزخار و العلم الطيار ،الجزائر ،1924
- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط 3، دار المعارف
- ابن خلدون عبد الرحمن، التعريف بابن خلدون و رحلته شرقا و غربا، تحقيق وتعليق محمد بن تاويت الطنجي، نشر لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1951
- (ـــــــــ)، المقدمة ، طبقة القاهرة، 1958.
- (ـــــــــ)، المقدمة، ط1، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 2004.
- (ـــــــــ)، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت 1969 .
- ابن خلدون يحي ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ،ج1 ،تحقيق عبد الحميد حاجيات ، المكتبة الوطنية ،الجزائر ،1980
- ابن خلكان شمس الدين ،وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة العربية ،القاهرة ،1949
- ابن زكري أبو العباس التلمساني، غاية المرام في شرح مقدمة الإمام، تحقيق محند أويدير مشنان، دار التراث، نشر دار ابن حزم، الجزائر، 2005.

- ابن زيدان عبد الرحمن ، اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج4، المطبعة الوطنية، الرباط، 1930- 1933.

- (ـــــــــ)، العز و الصولة في معالم نظم الدولة، المطبعة الملكية بالرباط، 1962.

- ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق و تقديم المهدي البوعبدلي، طبعة الجزائر، 1973.

- ابن سحنون محمد ، كتاب آداب المعلمين، تحقيق محمد عبد المولى، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

- ابن سعيد الغرناطي، المغرب في حلى المغرب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997.

- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة و جعلهم الوارثين ،تحقيق عبد الهادي التازي ،دار الأندلس ،بيروت ،1974.

- ابن صعد، النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، ط1، تحقيق و تقديم محمد أحمد الديباجي، دار صادر بيروت، 2011.

- ابن عبد المالك المراكشي ،الذيل و التكملة ،تقديم و تحقيق محمد بنشريفة ،مطبوعات أكاديمية المملكة ،المغرب ،(د.ت).

- ابن عذارى أبو العباس أحمد المراكشي، كتاب البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ،تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد ابن تاويت، محمد زنيبر وعبد القادر زمامة، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1985.

- ابن عسكر محمد الحسني ، دوحة الناشر بمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح محمد حجي، الرباط، 1977.

- ابن عطاء الله السكندري، الحكم العطائية على لسان أهل الطريقة، دار الكتب العلمية، القاهرة، 2006.

- ابن علان أحمد بن ابراهيم الصديقي الشافعي، شرح الحكم الغوثية شيخ الشيوخ سيدي أبي مدين شعيب التلمساني، تحقيق و تعليق، أحمد فريد المزيدي، دار الآفاق العربية للنشر، القاهرة، د.ت.

- ابن عماد الحنبلي ،شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،المكتب التجاري للطباعة و النشر ،بيروت، (د.ت).

- ابن عمار أبو العباس أحمد، نحلة اللبيب باختبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة فونتانة، الجزائر، 1902.

- ابن غازي أبو عبد الله بن أحمد ، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، دراسة و تحقيق عطا أبو رية، وسلطان بن مليح الأسمري، ط1، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2007.

- ابن فرحون ،الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ،تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ،ج1، مكتب دار التراث ،مطبعة دار النصر ،القاهرة ،1972.

- ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم و تحقيق محمد الشاذلي و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.

- (ـــــــــ)، أنس الفقير و عز الحقير، نشر و تصحيح محمد الفاسي، أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، الرباط 1965.

- ابن كثير عماد الدين ،البداية و النهاية ،مكتبة المعارف ،بيروت ،1977 .

- ابن لأثير ،الكامل في التاريخ، ج 11،دار صادر بيروت ،1967

- ابن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق مريا خيسوس، السركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1918..

- (ـــــــــ)، المناقب المرزوقية، دراسة و تحقيق سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، ط1. الدار البيضاء، 2008.

- ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان نشره محمد بن أبي شنب، وتقدم له عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1986

- ابن واصل جمال الدين ،مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج 6،تحقيق جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية ،القاهرة ،1957

- أبو العرب احمد بن محمد بن أحمد بن تميم ،طبقات علماء افريقية و تونس تحقيق علي الشابي نعيم حسن التاجي ،الدار التونسية للنشر ،تونس ،1968 .

- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، دار الثقافة، الجزائر، 1991.

- أبو حمو موسى الزياني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تقديم عبد الرحمن عون و محمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع، تونس، 1982.

- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

- الباديسي عبد الحق بن اسماعيل، المقصد الشريف و المنزع اللطيف في تعريف نصحاء الريف، تحقيق سعيد أعراب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993 .

- البغدادي اسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992م/ 1413هـ.

- البغدادي صفي الدين، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1954

- البلوي خالد بن عيسى، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن السائح، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د.ت.

- البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974

- التادلي أبو يعقوب التادلي، التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1984.

- التنبكتي أحمد بابا ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، على هامش ديباج ابن فرحون، تحقيق علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 2004

- (ـــــــــ)، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ضبط النص وعلق عليه بويحي عبد الله الكندي، دار ابن حزم، ط1، 2002.

- (ـــــــــ)، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس فيه الديباج، تحقيق علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية، 2004.

- التنسي محمد بن عبد الله ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان، تحقيق محمود بوعياد

- التيجيني، برنامج التجيبي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، ليبيا تونس، 1981.

- الجزاعي تقي الدين بن زيد، تحفة الراكع و الساجد في أحكام المساجد، تحقيق طه الولي، المكتب الاسلامي، بيروت، 1981.
- الجزنائي علي، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ط3، الرباط، 2008.
- حاجي مصطفى خليفة ،كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون ،تحقيق شهاب الدين الحسيني، ج2 ،مكتب المثنى ،بغداد.
- الحضيكي محمد بن أحمد السوسي، طبقات الحضيكي، ج2، المطبعة العربية، الدار البيضاء، 1938.
- الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة، المكتبة العتيقة، تونس، 1985.
- الحميري محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1975.
- الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ،تحقيق احسان عباس ،مكتبة لبنان بيروت ،1975
- الذهبي شمس الدين أبي عبد الله محمد المصري بن عثمان ،معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ،تحقيق محمد سيد جاد المولى ،ج2 ،القاهرة ،1967 .
- الراشدي أحمد بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسم الثغر الوهراني، تحقيق و تقديم، المقري البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1973.
- الرصاع، فهرسة الرصاع، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، ط1، تونس 1967.
- الزركشي ،تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ،تحقيق محمد ماضور،المكتبة العتيقة ،تونس ،1966
- الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1969.
- الزياني أبو القاسم الزياني، الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب ،باريس، 1886.
- الزياني محمد بن يوسف، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.
- السراج محمد بن محمد الأندلسي الوزير، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر ، تونس، 1970.

- السعدي عبد الرحمن ، تاريخ السودان، المطبعة الأمريكية و الشرقية بباريس، 1964.
- السلاوي الناصري ،الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب الدار البيضاء، 1955
- السوسي المختار ، المعسول، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1963.
- (ـــــــــ)، مدارس سوس العتيقة نظام أساتذتها، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال، طنجة، ب ت.
- (ـــــــــ)، خلال جزولة، المطبعة المهدية بتطوان، د.ت.
- (ـــــــــ)، سوس العالمة، مطبعة فضالة بالمحمدية، 1960.
- السيوطي جلال الدين ،بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ،بيروت ،1963 .
- الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مطبعة السعادة، القاهرة، 1348هـ/ 1929م.
- العباس بن ابراهيم ،الاعلام بمن حل بمراكش و أغمات من أعلام ،تقديم عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ،الرباط ،1974 .
- عبد الله محمد، كتاب دلائل الخيرات، طبعة مصر، 1916.
- العياشي أبو سالم عبد الله ، ماء الموائر المعروف بالرحلة، المطبعة الحجرية بفاس، ج1، 1898.
- الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، منشورات لجنة التأليف و الترجمة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 1969.
- الفاسي محمد العربي ، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، طبعة حجرية بفاس، 1324، 1906.
- الفاسي محمد المهدي ، ممتع الأسماع في ذكر الجزولي و التباع، و ما لهما من الأتباع، المطبعة الحجرية بفاس، 1896.
- الفشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، تحقيق عبد الكريم، الرباط، 1972.
- الفضيلي ادريس، الدرر البهية، والجواهر النبوية في الفروع الحسنية و الحسينية ، المطبعة الحجرية بفاس، 1314هـ/ 1896.

- القادري محمد بن الطيب، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر و الثاني، ج1، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، طبعة الرباط، 1407هـ/ 1968م.
- القاضي عياض، ترتيب المدارك و تقريب المسالك، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، مطبعة الرباط، 1965.
- القرافي، توشيح الديباج و حلية الابتهاج، تحقيق أحمد الشتوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983.
- القزويني زكرياء بن محمود، آثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.
- القلصادي علي محمد بن محمد القرشي الأندلسي ، تمهيد الطالب و منتهى الراغب في أعلى المنازل، المعروفة برحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.
- القلقشندي ،صبحي الأعشى في صناعة الانشا ،دار الكتب المصرية ،القاهرة ،1919.
- القيرواني ابن أبي دينار ،المؤنس في أخبار افريقية و تونس ،تحقيق و تعليق ،محمد هشام ،ط3 ، تونس، 1967 .
- الكتاني عبد الحي، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعجم والمشيخات والمسلسلات، المطبعة الجديدة، فاس، 1927.
- الكتاني محمد بن جعفر، سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج3، المطبعة الحجرية بفاس، 1318هـ/ 1900م.
- (ـــــــــ)، التراتيب الإدارية، المطبعة الأهلية بالرباط، 1927.
- (ـــــــــ)، زهرة الآس في بيوتات ناس أهل فاس ،الدار البيضاء ،2002 .
- الكراسي محمد الكراسي ،عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل ،المطبعة الملكية ،الرباط ، 1963 .
- كنون عبد الله ، رسائل سعدية، دار الطباعة المغربية، تطوان، 1373هـ/ 1954م .
- المجاطي أبو عبد الله محمد الأندلسي، برنامج المجاري، ط1، تحقيق محمد أبو الجفان، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1982.
- محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت،

- المغيلي محمد بن عبد الكريم ، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تحقيق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1974.
- المغيلي محمد بن عبد الكريم ، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تقديم و تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1968.
- (ـــــــــ)، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق رابح بونار، الجزائر، 1968.
- ميارة محمد ، الدر الثمين و المورد المعين في شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، مطبعة أحمد بابي الحلبي، القاهرة، جزئين، 1305هـ/ 1887م.
- المراكشي عبد الواحد ،المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد السعيد العريان ومحمد العلمي، القاهرة،1949.
- المغراوي أحمد ابن أبي جمعة، جامع جوامع الاختصار و التبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق أحمد جلولي البدوي و رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د.ت.
- المقري أبو العباس أحمد بن محمد ، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش و فاس، تقديم عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية بالرباط، 1383هـ/ 1964م.
- (ـــــــــ)، فتح المقال في مدح النعال، مطبعة حيدر أباد، الهند، 1334هـ، 1915م.
- (ـــــــــ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، ج5، دار صادر، بيروت، 1968.
- (ـــــــــ)، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية، مطبعة فضالة، 1939.
- (ـــــــــ)، رحلة المقري إلى المغرب و المشرق، تحقيق محمد بن عمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2004.
- المقريزي، الخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، ط2 ، القاهرة، 1987.
- (ـــــــــ)، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1972.
- المنجور أحمد ، فهرست أحمد المنجور، تحقيق محمد حجي، دار المغرب، الرباط، 1976، ص74.

- النباهي أبو الحسن ،تاريخ قضاة الأندلس المسمى المرقبة العليا ،المكتب التجاري للطباعة و التوزيع ، بيروت ،1983 .
- (ـــــــــ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت.
- النميري ابن الحاج ، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة البعيدة إلى قسنطينة الزاب، ط1، تحقيق محمد بن شقرون، مطبعة دار الشروق، بيروت، لبنان، 1990.
- النويري ،نهاية الأرب في فنون الأدب ،تحقيق و تعليق مصطفى أبو ضيف ،دار النشر المغربية ،الدار البيضاء ،1984
- الوادي آشي محمد جابر التونسي ،برنامج الوادي آش ،ط2 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت، 1981 .
- الوزان حسن، وصف إفريقيا، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983
- الونشريسي أحمد بن يحيى ، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيا والأندلس والمغرب، أخرجه جماعة من الفقهاء، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981.
- اليافعي أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سلمان ،مرآة الجنان و عبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ط2، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1970 .
- اليفرني، صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر، طبعة حجرية، فاس، ب.ت، (نسخة بمكتبة ابن يوسف دار الثقافة بمراكش).
- مؤلف مجهول ،الاستبصار في عجائب الأمصار ،نشر و تحقيق سعد عبد الحميد زغلول ،مطبعة جامعة الاسكندرية ،مصر ،1958
- مؤلف مجهول ،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1979
- مؤلف مجهول ،غزواة عروج و خير الدين.
- مؤلف مجهول، الذخيرة السنية، تحقيق محمد بن أبي شنب، الجزائر، 1339 هـ.
- مؤلف مجهول، بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1984.
- مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تصحيح جورج كولان، الرباط، 1934.
- مؤلف مجهول، غزوات عروج و خير الدين، نشر نور الدين عبد القادر، الجزائر 1934

- مؤلف مجهول، مجموعة أشعار سعدية نشره عبد الله كنون.
- مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق بن علوش، طبعة رباط الفتح، 1936.

2- المراجع باللغة العربية:

- النميشي أحمد ،مسامرة بفاس ،سنة 1924 ،مطبعة أندري بفاس .
- بن عبد اله محمد، الوقف في الفكر الاسلامي ، مطبعة فضالة، المغرب، 1996.
- ابن حادة عبد الرحيم ،المغرب و الباب العالي من منتصف القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر ،منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات ،زغوان ،تونس ،نوفمبر 1998.
- ابن سودة عبد السلام ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ج2، مطبعة دار الكتب، الدار البيضاء ،1960- 1965.
- أبو رحاب محمد السيد محمد ، العمائر الدينية و الجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، دراسة أثرية معمارية، ط1، دار القاهرة للنشر، 2008.
- أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين و بني مرين، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- اسماعيل عثمان ، تاريخ العمارة الاسلامية و الفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، عصر الأشراف السعديين و العلويين، ط1، سلسلة حضارة المغرب الاسلامي، 1993.
- أشباخ يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1941.
- الإمام محمد أبو زهرة، أبو حنيفة حياته و عصره، آراؤه وفقهه، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947.
- البوخصبي أبو بكر، أضواء على بن يجبش التازي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1976.
- التازي عبد الهادي ، جامع القرويين المسجد و الجامعة بمدينة فاس، دار الكتاب اللبناني، 1973.

- التازي عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، عهد بني مرين والوطاسين، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، 1988 .

- ألتر عزيز سامع ، الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، تر. محمد علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت 1989

- الجابري محمد ، بنية العقل العربي، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، يناير، 1986.

- الجيدي عمر ،تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ،منشورات عكاظ ،(د.ت) .

- الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الوطنية، الجزائر 1965

- (ـــــــــ)، الجامع الكبير بمدينة الجزائر (معماريا و تاريخيا)، ضمن كتاب تاريخ المدن الثلاثة، الجزائر، المدية، مليانة، الجزائر، 1972.

- الحجوي محمد المهدي ، الثعالبي ،الفكر السياسي في تاريخ الفقه الإسلامي ،مطبعة ادارة المعارف ، الرباط ،1340هـ.

- (ـــــــــ)، حياة الوزان الفاسي و آثاره، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1935.

- الحريري محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ط 1، دار القلم للنشر والتوزيع، 1985.

- الدراجي بوزياني، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

- الدكالي محمد بن علي ، الإتحاف الوجيز بأخبار العدوتين، م. خ. ع، الرباط(1320).

- الزحيلي محمد، مجمع العلوم الإسلامية، ط 2، دار المعرفة، دمشق، 1992.

- السعدي عبد الرحمن، تاريخ السودان، المطبعة الأمريكية و الشرقية بباريس، 1964.

- الشاذلي عبد اللطيف ، المجتمع المغربي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر من خلال الآداب الصوفية، كلية الآداب، الرباط، 1987.

- (ـــــــــ)، الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17، نشر كلية الآداب و العلوم الانسانية، ط1، الرباط 1982.

- الشاهدي الحسن، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، ط 2، مطابع عكاظ، مكتبة دار الباحث، المغرب، 2002.

- الشريفي محمد بن سعيد، خطوط المصحف عند المشارقة و المغاربة من القرن 4 إلى القرن 10هـ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1975.
- الصباغ ليلى ،تاريخ العرب الحديث و المعاصر ،دمشق ،1981 .
- الصلابي محمد علي، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الاسلامية، مصر 2001.
- الطالبي عمار، حكمية النظر الخلدوني في العمران البشري و منطقية الألسنة الفكرية في الغرب الاسلامي في زمن ابن خلدون، منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية، جامعة الرباط.
- الطمار محمد بن عمرو ، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، م.و.ك، الجزائر 1984.
- الطمار محمد بن عمرو ، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.
- الطمار محمد بن عمرو ،تاريخ الأدب العربي ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1973.
- العبادي أحمد مختار ،دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت.
- الفاسي المهدي، ممتع الأسماع في ذكر الجزولي و التباع و مالهما من الأتباع، طبعة حجرية بفاس 1313هـ/ 1896.
- الفاسي محمد البشير ، قبيلة بني زروال، مطبعة المنشورات التقنية بشمال افريقية، الرباط، 1962.
- الفاسي محمد العابد ،التعريف بالمغرب، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، 1961
- (ـــــــــ)،الخزانة العلمية بالمغرب ،مطبعة الرسالة ،الرباط ،1960.
- القبلي محمد، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، قضية المدارس المرينية ملاحظات وتأملات، ط 1، دار توبقال للنشر، 1987.
- الكعاك عثمان ، موجز التاريخ العام للجزائر منذ العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، طبعة تونس، 1955.
- المحبي محمد، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج2، المطبعة الوهبية، القاهرة، 1867م
- المدني أحمد توفيق ، كتاب الجزائر، طبعة الجزائر، 1931.

- (ـــــــــ)، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492- 1792)، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984

- المريني نجاة ، الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي، ط1، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999.

- (ـــــــــ)، شعر عبد العزيز الفشتالي، جمع ودراسة و تحقيق، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرباط، 1986.

- المنوني محمد ، تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1991.

- (ـــــــــ)، حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1989.

- (ـــــــــ)، حضارة الموحدين، ط 1، دار توبقال، 1989.

- (ـــــــــ)، ورقات عن حضارة المرينيين ،ط3 ،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ، 2000

- الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تقديم وتصحيح محمد الميلي، م وك، الجزائر، 1986.

- أمين أحمد ، ظهر الاسلام ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

- (ـــــــــ)، ضحى الاسلام، دار الكتاب العربي، ج2، ط10، بيروت لبنان، د.ت، .

- أنيس محمد، الدولة العثمانية والشرق العربي (1514- 1914م)، مكتبة الأنجلو مصرية، 1990.

- بروتشفيك روبار، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، ترجمة حمادي الساحلي، ط1 ، دار الغرب الاسلامي 1988.

- بروفنسال ليفي، حاضرة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

- بروكلمان كارل ،تاريخ الأدب العربي ،ترجمة يعقوب بكر ،مراجعة رمضان عبد التواب ،دار المعارف، بيروت، 1977.

- (ـــــــــ)، تاريخ الشعوب الإسلامية ،تر،نبيه أمين فارس و منير البعلبكي ،بيروت ،1968

- بصير عبد المغيث مصطفى، الفقيه عبد الواحد بن عاشر، حياته و آثاره الفقهية، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، المغرب 2007.

- بل ألفرد، الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي من الفتح حتى اليوم، ط3، ترجمة، عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987.

- بلعربي خالد، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية حضارية (633- 681هـ/ 1235- 1282م)، R.N.Imprimerie، تلمسان، 2005.

- بلغيت محمد الأمين ، مدرسة مازونة الفقهية خلال القرن 9هـ/ 15م، و آثارها ضمن كتاب دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي، دار التنوير للنشر و التوزيع 2006.

- (ـــــــــ)، النظرية السياسية عند المرادي و أثرها في المغرب و الأندلس، م.و.ك، الجزائر، 1989.

- بن تاويت محمد ، الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، ط 1، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدار البيضاء، 1982.

- بن تاويت محمد ومحمد الصادق عفيفي ،الأدب المغربي ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1960 .

- بن خروف عمار، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ/ 16م ، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2008.

- بن عبد الله عبد العزيز ،الطب و الأطباء بالمغرب ،المكتبة الاقتصادية ،الرباط ،1960 .

- بن قربة صالح، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

- بن منصور عبد الوهاب، المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1965.

- بنين أحمد شوقي، تاريخ خزائن الكتب بالمغرب، ترجمة مصطفى طوبي، ط 1، المطبعة والوراقة الوطنية بمراكش، نشر الخزانة الحسنية، مراكش، 2003.

- بورويبة رشيد، الحياة الفنية في عهد الزيانيين و المرينيين، كتاب الجزائر في التاريخ، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر

- (ـــــــــــ)، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة ابراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

- بوشرب أحمد، دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وآزمور(قبل 28 غشت 1481- أكتوبر 1541)، طبعة الدار البيضاء، 1984.

- بوعزيز يحيى ، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة و الوسيطة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007.

- (ـــــــــــ)، الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995

- بوعياد محمود، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري/ 15م، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982.

- بوقلي حسن جمال الدين، الإمام ابن يوسف السنوسي و علم التوحيد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص55 .

- تركي رابح، التعليم القومي و الشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط2، الجزائر، 1981.

- جامع أحمد، الرأسمالية الناشئة، دار المعارف، مصر 1968.

- جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 2، ترجمة محمد مزالي وبشرى سلامة، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969

- حاج أحمد صديق، التاريخ الثقافي لاقليم توات من القرن 11هـ إلى 14هـ، 17م إلى 20م.

- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، مطبعة وكالة المعارف باستانبول 1941- 1943

- حاجيات عبد الحميد وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر

- حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الزياني (حياته وآثاره)،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

- حجي محمد، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، دكتوراه دولة في الآداب والعلوم الانسانية، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1976.

- (ـــــــــــ)، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية بالرباط، 1384هـ/ 1964م.

- حركات ابراهيم ،المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، ط 1، نشر دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1978

- (ـــــــــــ)، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، نشر وتوزيع، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1987.

- حقي احسان، تونس العربية، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

- داود محمد، تاريخ تطوان، تطوان، 1959.

- زبادية عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في افريقيا الغربية جنوب الصحراء، دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

- زبيب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ط 1، دار الأمير للثقافة، بيروت، 1995.

- زمامة عبد القادر، أبو الوليد بن الأحمر، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، 1978.

- سالم السيد عبد العزيز ، التاريخ و المؤرخون العرب، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، مصر، 1967.

- (ـــــــــــ)، المغرب الكبير، ج 2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981

- (ـــــــــــ)، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1982.

- سبينسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والاشهار الجزائر، 1980

- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16- 20م)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.

- سليمان أحمد السعيد ،تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، دار المعارف، 1969

- شاوش محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1995

- شوفالييه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510- 1541) ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1991.

- عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي (1514- 1830)، دار هومة للنشر، الجزائر، 2005.

- عبدلي لخضر، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران 2007

- عثمان إسماعيل ، حفائر شالة الإسلامية، دار الثقافة، بيروت، 1978.

- عزاوي أحمد ، المغرب و الأندلس في القرن السابع الهجري/ 13م، دراسة و تحقيق لديوانيات كتاب فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر ابن خطاب، جمعية الحسن الوزان للمعرفة التاريخية، القنيطرة، المملكة المغربية 2008

- علوش محمد وعبد الله الرجراجي، فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط، ط2، ج1، القسم2، مطبعة النجاح الجديدة، 2001

- عنان محمد عبد الله، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني عصر الموحدين، ط 1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1964

- (ـــــــــ)، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ط 3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1966

- غنيمة محمد، تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1953.

- فارس محمد خير ومحمود علي عامر، تاريخ المغرب العربي الحديث" المغرب الأقصى- ليبيا"، كلية الآداب قسم التاريخ، جامعة دمشق، ب ت،

- فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002

- فيلالي مختار الطاهر، نشأة المرابطين و الطرق الصوفية و أثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن الغرافيكي، باتنة، د.ت.

- قاهر محمد الشريف، عبد الرحمن الوغليسي، معجم مشاهير المغاربة، تنسيق أبي عمران الشيخ، تقرير ناصر الدين سعيدوني، إعداد فرقة البحث العلمي، جامعة الجزائر، 1995.

- قريان عبد الجليل، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، جسور للنشر و التوزيع، ط1، الجزائر 2011.

- قسوم عبد الرزاق ،عبد الرحمن الثعالبي و التصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.
- كريم عبد الكريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ط 3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، 2006.
- كنون عبد الله ، النبوغ المغرب في الأدب العربي، ط 2، طنجة، المغرب، 1960.
- (ـــــــــ)، رسائل سعدية، دار الطباعة المغربية، تطوان، 1954.
- (ـــــــــ)، أشعار سعدية، المطبعة المهدية بتطوان، 1964.
- كور أوغست، دولة بني وطاس، ترجمة محمد فتحة، ط 1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط ،2010
- كوركيس عواد، خزائن الكتب القديمة في العراق، دار الرائد الغربي، ط2، بيروت، لبنان، 1986.
- لقبال موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1971.
- لو ترنو روجي، فاس قبل الحماية، ج1، ترجمة محمد حجي و الأخضر محمد، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1996.
- لو ترنو روجي، فاس في عصر بني مرين ، ترجمة نقولا زيادة، سلسلة مراكز الحضارة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، 1967.
- مؤنس حسن، تاريخ المغرب وحضارته، المجلد الثاني، ط 1، دار العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1992.
- متز آدم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو رية، دار الكتاب العربي (بيروت) ومكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1967.
- محمود عبد الحليم، شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله، دار المعارف، القاهرة، ب ت.
- موسى عز الدين أحمد ،النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق، بيروت، القاهرة، 1983.
- موسى محمد منير، التربية الاسلامية، أصولها و تطورها في البلاد العربية، القاهرة، 1983.
- نسيب محمد، زوايا العلم و القرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، د.ت.

- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر ،مكتب النهار للطباعة و النشر و التوزيع ،بيروت ،1971
- وولف جون. ب، الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

3- المجلات والدوريات:

- أعراب سعيد، جامع شفتاون ومرافقه، مجلة دعوة الحق، أكتوبر 1962.
- الأمراني أحمد، مكانة تازة العلمية، العدد 286.
- باشا عمر موسى، العروبة في شعر العفيف التلمساني، مجلة الأصالة، ع26، جويلية- أوت، الجزائر، 1975.
- بختاوي قاسمي، من أعلام تلمسان، أبو عبد الله الشريف التلمساني(716- 771هـ/ 1316-1370م، دورية كان التاريخية، ع18، ديسمبر 2012.
- بلحميسي مولاي، في تاريخ جامع مستغانم العتيق، مجلة الأصالة، السنة الثالثة، العدد 12 جانفي-فيفري 1973.
- بلعربي خالد، أضواء على الحركة العلمية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الآداب و العلوم الانسانية، العدد 3، جامعة سيدي بلعباس.
- بلهواري فاطمة، الرحلة العلمية للشيخ محمد بن عمر الهواري، مجلة القرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، العدد 1، سبتمبر 2012.
- بليغ محمد توفيق، المسجد في الإسلام، المختار من عالم المعرفة، العدد 1، الكويت، 1984.
- بن بلعيد بن حميدة وسيلة، الزاوية و دورها التربوي و الاجتماعي، مجلة الهداية، العدد الرابع.
- بن زيطة حميدة، دور علماء توات في ارساء العلاقات العلمية في الحواضر الاسلامية، الشيخ المغيلي نموذجا، بحوث الملتقى الوطني بأدرار، الفقه المالكي في بلاد توات اجتهادا و تدريسا، 23- 24 جوان 2010، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف.
- بن شقرون رضوان، مؤلفات ابن البناء المراكشي و طريقته في الكتابة ،مجلة المناهل الصادرة عن وزارة الشؤون الثقافية، العدد 33، السنة 12، ديسمبر 1985 .

- بن شقرون محمد بن أحمد، مظاهر الثقافة المغربية في العصر المريني ،دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، نشر وتوزيع، دار الثقافة، الدار البيضاء ،المغرب ،1985 .

- بن طالب عيسى، مالك بن المرحل أديب المرينيين، مجلة الفيصل، العدد 23، أبريل 1979، الرياض.

- بن عبد الله عبد العزيز ،سبتة من خلال رجالاتها ،مجلة المناهل ،وزارة الشؤون الثقافية المغربية ،العدد 22، يناير 1982 .

- بن عبد الله عبد العزيز، الزاوية المغربية كمنتدى للفكر و الاشعاع العلمي، دعوة الحق، ع243، ديسمبر1984.

- بن علي قادة، التعريف بالمذهب المالكي، مجلة الثقافة الاسلامية، ع1، إصدار مديرية الثقافة الاسلامية، 2005.

- بوداود عبيد، قراءة في أوقاف مدارس و زوايا تلمسان في العهد الزياني، مجلة قرطاس الدرايات الحضارية و الفكرية، كلية الآداب و العلوم الانسانية و الاجتماعية، تلمسان، العدد التجريبي، ديسمبر 2008.

- بودواية مبخوت، دور علماء تلمسان الزيانية في ترسيخ الحضارة الاسلامية بالسودان الغربي (ق15- 16م)، مجلة الواحات، ع1، 1993.

- بورحلة عبد العزيز، ابنا الإمام أبو زيد عبد الرحمن و أبو موسى عيسى، مجلة الوعي، العدد المزدوج 3- 4، جمادى الأولى و الثانية 1432هـ، أفريل ماي، 2001.

- بورويبة رشيد، جولة عبر مساجد تلمسان، مجلة الأصالة، ع26، الجزائر، 1975.

- البوعبدلي المهدي ، أهم الأحداث الفكرية بتلمسان و المغرب عبر التاريخ، مجلة الأصالة، ع26، السنة الرابعة، جويلية، أوت 1975.

- (ـــــــــ)، مراكز الثقافة و خزائن الكتب بالجزائر، الأصالة، العدد 11.

- (ـــــــــ)، أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني، مجلة الأصالة، العدد 49، 50، سبتمبر- أكتوبر 1977.

- بوعزيز يحي، المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية (1236-1554م)، مجلة الأصالة العدد 26، الجزائر، 1975.

- البوعناني المصطفى، أحمد بن القاضي الفرضي الحيسوبي، العدد 337، ربيع الثاني/ جمادى الأولى، 1419هـ/ أوت- سبتمبر 1998.

- بوقلي حسن جمال الدين، تشخيص مهمة ابن يوسف السنوسي كمدخل إلى فكره، مجلة الوعي، العدد المزدوج (3- 4) جمادى الأولى و الثانية 1432، أفريل- ماي، 2011.

- بونابي الطاهر ، "اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد5، جوان، 2005، دار الكرامة للطباعة والنشر، الجزائر.

- بونار رابح، القاضي سعيد العقباني التلمساني، مجلة الأصالة، العدد 6، السنة الأولى، تصدرها وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر، 1972.

- التميمي عبد الجليل، "من أجل كتابه تاريخ الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، المجلة التاريخية المغاربية، العدد19- 20، أكتوبر1980

- حاجيات عبد الحميد ، عبد الرحمن الثعالبي دفين الجزائر، مجلة الثقافة، العدد 136.

- (ـــــــــ)، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية- أوت، 1975.

- (ـــــــــ)، الحياة الفكرية في الجزائر في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، عدد26، جويلية- أوت 1975.

- حجي محمد ، المؤسسات الدينية بالمغرب، مؤتمر المستشرقين الألمان، برلين، مارس1980.

- (ـــــــــ)، سيدي الإمام السلاوي، 788 هـ/ 1376 م، مجلة أبي رقراق، جمعية أبي رقراق، سلا، العدد 9، سبتمبر 1991.

- (ـــــــــ)، مجلة دعوة الحق، السنة10، العدد1، نوفمبر 1966.

- (ـــــــــ)، "كتاب المناهل"، دعوة الحق، السنة 9، العدد 8، جوان 1966.

- حلاب حسن، من أعلام التصوف المغربي محمد بن سليمان الجزولي، دعوة الحق، العدد271، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، الرباط.

- خرماش محمد، نظام التعليم بالقرويين بين القديم و الحديث، مجلة الحضارة الاسلامية، ع1، 1993،

- الخريبكي أبو الوليد أيوب،"أبو الحسن الصغير" ،مجلة دعوة الحق ،على الموقع ، www.ahle alhadeth.com .

- دهاش الصادق، العلامة عبد الرحمن الثعالبي، رحلة علم و عمل، القسم الأول، مجلة الدراسات الاسلامية، ع11، د.ت.

- دهينة عطاء الله ، وصية يغمراسن، مجلة التاريخ وحضارة المغرب العربي، العدد 6، 27 جويلية ، 1969،

- (ـــــــــ)، مساعدة الزيانيين لمسلمي الأندلس، مجلة تاريخ وحضارة المغرب،عدد13، جانفي1976.

- رعد سعيد محمد، دور بجاية الحمادية في تكوين نظرية ابن خلدون التاريخية العمرانية عن العمران البشري، و أثر ذلك في تاريخ الفكر الاسلامي، الملتقى الثامن للفكر الاسلامي، بجاية، 1974.

- زبادية عبد القادر، التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي، بعض آثاره و أبحاثه في الجنوب الجزائري و بلاد السودان، مجلة الأصالة، ع26، جويلية، أوت 1975.

- زكي علي، أهم الآثار التاريخية بتارودانت، مجلة الصديق، جمعية أصدقاء الثقافة و الفن بتارودانت، ع2، أبريل 1977.

- زمامة عبد القادر ، "الفجيجيون"، مجلة البحث العلمي، العدد 20، جويلية 1972.

- الساحلي خليل، تقليد صالح باشا ولاية جزائر الغرب 1552م ،المجلة التاريخية المغربية ،عدد 2 ، تونس ،1974.

- سعيدوني ناصر الدين، التجربة الأندلسية بالجزائر، ندوة الأندلس، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996.

- السقاط عبد الجواد، الزاوية المغربية في العصر السعدي، القسم الأول، العدد 264.

- الشاهدي الحسن، الثقافة في العصر الوطاسي انطلاقا من كتابات الأستاذ بن شقرون ،ملتقى حول الثقافة أساس التفاهم والتطور و الحوار ،23 أفريل 1998 ،المعهد الجامعي للبحث العلمي ،جامعة محمد الخامس الرباط.

- الشليح مصطفى، عبد العزيز الفشتالي شعره، لنجاة المريني، دعوة الحق، العدد 248، شعبان 1405، ماي 1985م.

- شيشون أحمد، منزلة العلم و التعليم بالأندلس من خلال رسائل مراتب العلوم لابن حزم، ندوة الأندلس، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996.

- الطمار محمد عمرو ، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984

- عبد الرحمن العثمان إيمان، القشتاليون في المغرب الأقصى و دورهم في الحياة العامة، مجلة كلية العلوم الاسلامية، العدد 13، المجلة 7، 2013.

- العشاب عبد الصمد، مساهمة علماء المغرب في ميدان الطب و التطبيب، مجلة التاريخ العربي، ع15، طنجة.

- عوير خير الدين مبارك، الرحلة في طلب العلم فصلها، فوائدها، آدابها، مجلة المنار، الجزائر الالكترونية، بتاريخ 17 فبراير 2009.

- عيساوي مها، أبو حمو موسى الزياني (السلطان الأديب)، مجلة العلوم الاجتماعية و الانسانية، تصدر عن المركز الجامعي، الشيخ العربي التبسي، ع1، تبسة، 2007.

- الفاسي عبد الحفيظ، "العصر الذهبي لمدينة مراكش"، مجلة المغرب، ربيع الثاني، جمادى الأولى 1355هـ، 1936.

- الفاسي محمد ، دراسات مغربية من وحي البيئة، ط 2، عيون المقالات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1990.

- (ـــــــــ)، سوس عند الجغرافيين والمؤرخين قديما وحديثا، بحث نشر في مجلة المناهل، ع23، السنة9، مطبعة الفضالة، المحمدية، مارس1982.

- الفاسي محمد ، نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المريني الأبية، مجلة البينة، العدد الثامن، السنة الأولى، 1962.

- الفاسي محمد ،الدراسة بالقرويين أيام الوطاسيين، مجلة رسالة المغرب، السنة الأولى، العدد11، جويلية 1943.

- الفاسي محمد، الأدب الشعبي المغربي الملحون، مجلة البحث العلمي، ع1، الرباط، 1964.
- فرج محمد فرج، الدور الحضاري للاقليم التواتي في افريقيا السوداء، ملتقى الدراسات الاسلامية والعربية في القارة الافريقية، أدرار، د.ت.
- قاسم عبده قاسم، المقريزي، مجلة العربي، العدد 566، يناير 2006.
- القبلي محمد ،مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور السعديين ،مجلة كلية العلوم الإنسانية بجامعة الرباط ، العدد 3-4 ،سنة 1978 .
- الكانوفي محمد العبري، الطب وآثاره بعاصمة مراكش، مجلة دعوة الحق، يناير، 1966.
- الكتاني ابن جعفر، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، طبعة حجرية بفاس، 1314 هـ.
- الكتاني يوسف، ظاهرة الكراسي العلمية ،مجلة دعوة الحق ،العدد 244 ،يناير ،1985 .
- الكتبي عبد الرحمن حمادو، نبذة عن سيدي عبد الرحمن الثعالبي الإمام المفسر، مجلة العصر، ع8، المؤسسة الوطنية للمنشورات الاسلامية، شوال 1424هـ، ديسمبر 2003.
- الكعاك عثمان، البجائيون، الملتقى الثامن للفكر الاسلامي، بجاية، مارس- أبريل 1974.
- لدرع كمال، خصائص و مميزات المذهب المالكي، مجلة الثقافة الاسلامية، ع1، إصدار مديرية الثقافة الاسلامية، 2005.
- لمليح السعيد، جوانب من الدور الفكرية لمتصوفة فاس في العصر المريني، مجلة دعوة الحق، العدد 322، السنة 37، أكتوبر 1996، الرباط.
- لوح محمد، مراكز التعليم في عهد بني مرين، مجلة دار الحديث الحسينية، العدد التاسع، المغرب، 1991.
- متنان محمد، المؤسسات العلمية الثقافية في تلمسان الزيانية، مجلة رسالة المسجد، العدد 87(صفر، جمادى الأولى، 1424هـ).
- مجاني بوبة، المدارس الحفصية، نظامها و مواردها، مجلة العلوم الانسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، العدد 12، 1999.
- المجلة التاريخية المغربية، عدد5، تونس 1976

- مجلة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والفن العربي الإسلامي، ج 2، إدارة الثقافة، تونس، 1995.

- المريني عبد الحق ، العلوم العربية بين أخذ ورد، مجلة البحث العلمي، العدد 13، 1968.

- مزيان عبد المجيد، الأنظمة الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار، مجلة الثقافة، العدد 90، السنة 15، 1985.

- المسلولي مصطفى، الحركة العلمية في الجامع الكبير بمدينة تارودانت خلال القرنين 10- 11هـ، مجلة دعوة الحق، العدد 325، السنة 38، وزارة الأوقاف و الشؤون الاسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، يناير، فبراير، 1997.

- المصري مبروك، المدرسة الفقهية المغاربية المالكية، مجلة الثقافة الاسلامية، ع1، صادرة عن مديرية الثقافة الاسلامية، 2005.

- معروف بلحاج، المجمع المعماري بالعباد، دراسة أثرية مقارنة، حوليه المؤرخ ،عدد 5 جوان 2005 ، اتحاد المؤرخين الجزائريين ،طبع دار الكرامة للطباعة و النشر ،الجزائر ،2005.

- معول سعيد، خصائص تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن للشيخ عبد الرحمن الثعالبي، مداخلة في ملتقى الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، مجلة العصر، ع8، شوال 1424هـ، ديسمبر 2003.

- مفدي زكرياء، النشاط العقلي والتقدم الحضاري بالجزائر في عهد الزيانيين، مجلة الأصالة، العدد 26، 1975.

- مكيوي محمد، المؤسسات التعليمية في العهد الزياني القرن 8هـ/ 14م، مجلة الفكر الجزائري، العدد 4، مخبر المرجعيات الفلسفية والفنية، الجزائر، 2009.

- المنوني محمد، أساتذة الهندسة ومؤلفوها في المغرب السعدي، مجلة دعوة الحق، ع2، السنة9، 1965.

- (ـــــــــ)، الخزانة الملكية، مجلة الإعلامي، العدد 2، السنة1981.

- (ـــــــــ)، الشيخ ابراهيم التازي نموذج بارز للتبادل الثقافي بين المغربين (9هـ/15م)، مجلة الثقافة، السنة السادسة، العدد 21، يناير- فبراير، 1986

- (ـــــــــــ)، علاقات المغرب بالمشرق في العصر المريني ،مجلة دعوة الحق ،العدد 6-7 ،المغرب ، 1965.

- (ـــــــــــ)، كراسي الأساتذة بجامعة القرويين ،مجلة دعوة الحق ،العدد الرابع ،1966.

- (ـــــــــــ)، ملامح من تطور المغرب العربي ،مجلة مجمع اللغة العربية ،دمشق ،1976 .

- (ـــــــــــ)، نشاط الدراسات الرياضية في مغرب الغصر الوسيط الرابع ،المناهل ،عدد 33 ،السنة 12 ،ديسمبر 1985.

- (ـــــــــــ)، دور الكتب في ماضي المغرب، مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط، تحت رقم 258.

- النحيلي وهبة، الإمام مالك و كتابه الموطأ، بحث مقدم للندوة المغاربية حول المذهب المالكي في الجزائر، 17- 21 جمادى الأولى 1412هـ/ 25- 28 نوفمبر 1991، مجلة الموافقات، العدد الثاني.

- وداد القاضي، النظرية السياسية للسلطان أبي حمو موسى الزياني و مكانتها بين النظريات السياسية المعاصرة لها، مجلة الأصالة، العدد 27، 1975.

- الودغيري محمد، حياة الرجالين ابراهيم بن عبد الجبار و ابن أخيه بلقاسم، مجلة دعوة الحق، السنة 11، العدد2، 1967.

- وهراني قدور، أثر الشيخ الآبلي في تطور العلوم العقلية بتلمسان الزيانية، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية و الفكرية، العدد التجريبي، كلية الآداب و العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة تلمسان، ديسمبر 2008.

- يامني جمال ، أبو القاسم الغول الفشتالي، جريدة ميثاق الرابطة الالكترونية، العدد 81، 9- 15 مارس 2012.

- يامني جمال، "من أعلام المغرب محمد بن سعيد المرغيتي، جريدة ميثاق الرابطة، الكترونية أسبوعية تصدر عن الرابطة المحمدية للعلماء، العدد 88، بتاريخ 27- 4- 2012.

4- الرسائل الجامعية:

- اسكان الحسن، جوانب من التعليم في المغرب الوسيط من القرن 7هـ/ 13م إلى القرن 9هـ/ 15م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب و العلوم الانسانية، الرباط، 1987- 1988.

- الحدادي محمد، دراسة رحلة ابن رشيد، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة ظهر المهراز فاس.

- الطبايلي عبد الحفيظ ،العلاقات المغربية العثمانية خلال القرن 16م ،رسالة لنيل ديبلوم الدراسات العليا ،جامعة محمد الخامس الرباط ،1989.

- المريني عبد الحق، شعر الجهاد في الأدب المغربي من عهد الأمير يوسف بن تاشفين المرابطي، حتى عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام العلوي، رسالة لنيل دكتوراه الدولة في الأدب المغربي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، 1996.

- المكي جلول ،مسألة الحدود بين الجزائر و المغرب (631-1234هـ/1269-1847م) ،رسالة ماجستير ،جامعة الجزائر ،1993 ،ص 86 .

- بابا خويا الحاج المهدي، الإمام أبو عبد الله الشريف التلمساني و جهوده الأصولية و الفقهية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الاسلامية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، 1992- 1993.

- بالأعرج عبد الرحمن، العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان و المماليك، رسالة ماجستير تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2007- 2008.

- بعارسية صباح، حركة التصوف في الجزائر خلال القرن 10هـ/16م، مذكرة نيل درجة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005- 2006

- بكاي هوارية، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا و ثقافيا، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2007- 2008، ص50.

- بلحسن ابراهيم، العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 7- 9هـ/ 13- 15م، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2005.

- بن داود نصر الدين، أسرة المرازقة و دورها الثقافي بتلمسان من القرن 7هـ إلى 10هـ، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة وهران، 2004.

- (ـــــــــ)، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/ 13م إلى القرن 10هـ/ 16م، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة تلمسان، 2009- 2010.

- بن طاهر زين العابدين ،الرحلة العبدرية إلى الوجهة الحجازية، دراسة و تحقيق، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية و آدابها، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس 1992- 1993، مرجع طاهر توات، ابن خميس شعره و نثره، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.

- بنفرجي السعيد، أثر النزعة الفقهية في الشعر المريني، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش، 1994.

- بوحسون عبد القادر، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس خلال العهد الزياني (633- 962هـ/ 1235- 1554م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2007- 2008.

- بوشامة عاشور، علاقات الدولة الحفصية مع المغرب والأندلس (626- 981هـ/ 1228- 1573م)، جامعة القاهرة، مصر، 1991.

- بوشقيف محمد، العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/ 15م، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة وهران، 2003- 2004.

- بوشقيف محمد، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين 8- 9هـ/14- 15م،رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2010،2011

- بوزيدي أحمد، العلماء والسلطة والمجتمع بالمغرب المريني، رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهراز، فاس، 2007، 2008.

- بونابي الطاهر، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط، خلال القرنين السادس و السابع الهجريين (12- 13م)، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1999- 2000.

- توات محمد الطاهر، ابن خميس شعره و نثره، رسالة ماجستير، معهد اللغة و الأدب العربي، جامعة تيزي وزو، 1983.

- حجي محمد، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ،ج1 ،رسالة دكتوراه دولة في الآداب والعلوم الإنسانية ،كلية الآداب و العلوم الإنسانية ،جامعة الرباط ،1976 .

- حساني مختار، الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية للدولة الزيانية (63- 962هـ/ 1235- 1554م)، رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة، المعهد الوطني للدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، 1986.

- خشاب الصادق، تأثير الفن الزخرفي الأندلسي على نظيره المغاربي، تلمسان نموذجا، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية، جامعة تلمسان 2001.

- خوالد فرحات الشريف ، أبو عبد الله بن خميس التلمساني حياته وأدبه، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 1993.

- درفاف شهرزاد، أبو سعيد عثمان العقباني حياته و آثاره، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي، قسم التاريخ، المركز الجامعي ببشار، 2006- 2007.

- عامر أحمد عبد الله حسن، دولة بني مرين تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا(668- 869 هـ/ 1269- 1465 م)، رسالة ماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين، 2003.

- عبدلي لخضر، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005.

- عزيز الأعرجي نضال مؤيد مال الله، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني(685- 706 هـ/ 1286- 1306 م)، دراسة سياسية حضارية، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الموصل العراق، 2004.

- عليوان أسعيد، محمد بن يوسف السنوسي وشرحه لمختصره في المنطق (دراسة و تحقيق)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1986- 1987.

- كريمي ماجدة، العلاقات بين المغرب والسودان في العصر المريني، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1987، 1988.

- لعرج عبد العزيز، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، رسالة دكتوراه دولة، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 1998- 1999

- لقريز العربي، مدارس السلطان أبي الحسن "مدرسة سيدي أبي مدين نموذجا دراسة أثرية و فنية"، رسالة ماجستير قسم الثقافة الشعبية تلمسان، 2000- 2001.

- لمليح السعيد، المدارس المرينية ودورها الفكري في المغرب، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة فاس، 1985.

- مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه دولة، قسم التاريخ ، تلمسان، 2005-2006.

- مطروح أم الخير، تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الاسلامي، رسالة ماجستير في الآثار الاسلامية، معهد الآثار، دائرة الآثار الاسلامية، جامعة الجزائر، الجزائر، 1994.

- مكيوي محمد، الأوضاع السياسية والثقافية للدولة العبد الوادية منذ قيامه حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633-1236)هـ- (737- 1337)م، رسالة ماجستير ، قسم الثقافة الشعبية، تلمسان، 2000-2001.

- النظام الزهراء ،العلاقات المغربية الجزائرية – مقاربة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/16م ،رسالة دكتوراه دولة في التاريخ ،جامعة الرباط ،2003

- نوار إبراهيم، التعليم والمعرفة والكتاب، دراسة تاريخية مقارنة للمغرب المريني وإفريقية الحفصية إلى منتصف القرن 8 هـ/ 14 م، رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط أكدال، 2002، 2003.

- هلايلي حنفي، الموريسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16- 17م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة وهران، 1999/ 2000.

5- المواقع الالكترونية:

- أبو الوليد أيوب الخريبكي، " أبو الحسن الصغير "، مجلة دعوة الحق ، مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية، على الموقع: www.ahlalhadeeth.com
- محمد حجي، سيدي الإمام السلاوي (788هـ/ 1376م)، مجلة أبو رقراق، جمعية أبي رقراق، سلا، العدد التاسع، سبتمبر، 1991، نقلا عن الشبكة:

www.habous.gov.ma

- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الفن المعماري في المساجد المغربية حسب العصور، على موقع الشبكة: www.habous.gov.ma

الموقع: www. Islamicfeach.com

موقع الجيلالي شقرون، تلمسان مركز إشعاع حضاري في المغرب الأوسط، مجلة الفقه والقانون www.majalah.new.ma

موقع الشيخ زيد بن عبد العزيز الفياض، الرحلة في طلب العلم و الاجتهاد في تحصيله، محاضرة مطبوعة نقلا عن صفحته الشخصية بالموقع الالكتروني – الألوكة- بتاريخ 14 جويلية 2010.

موقع الشيخ محمد المنجد، محاضرة مطبوعة بعنوان "طالب العلم و الرحلة" نقلا عن صفحة الشيخ محمد المنجد الشخصية على الموقع الالكتروني التالي: http://audio.islamweb.net

- الموقع: www.isesco.org.ma/ pub/arabic/fikr/ page 39

6- المراجع باللغة الأجنبية:

- Bouabdalli (El Mahdi): Le Cheikh Mohammed ben ali el Kharoubi, revue africain, vol 96, 3 et 4 tri.

-CH. TERRASSE : medersa du Maroc, paris, éd- ALBERT MORACE, 1928.

- A. BEL : inscriptions arabes de Fès : J. A, juillet, aout, 1977.

- A. Cour : l'établissement des dynasties des chérifs au Maroc et leur rivalité avec les turcs de la régence d'Alger : 1509- 1830, paris, 1904 .

- A. Cour : la dynastie marocaine des Béni Wattas(1420- 1554), alter, 1917.

- A.Berbrugger, les époques militaires de la grande Kabilie, Basti de librairie, édition Alger, 1857.

- Baryes l'Abbée, complement de l'histoire des beni zeyan, paris 1887.

-Berbrugger (H): Notes Historique sur les mosqués et autres édifier religieux d'alger, revue africain, n°4, 1859- 1860.

- Berque (A): l'algérie, terre d'art et d'histoire, alger, 1937

- Berque (A): l'algérie, terre d'art et d'histoire, alger, 19375.

- Berthier (P) les Ibériques face au péril Turque sur le Maroc à la veille de la bataille de Wadi-L-Makhazin (4 Aout 1578) ,Revue d'histoire Maghrébine n° 31-32 , Décembre ,1983.

-Boualga(A.A), Sidi- el- Houari, Saint patron de la ville d'oran, bulletin de la société de géographie d'archeologie d'oran, 1977- 1978.

-Bouali Sidi Ahmed : les deux grands siéges de Tlemcen, ENAL, Alger, 1984.

- Bouali sidi- ahmed, un maitre maghrébin méconnu du 13ème siècle, Al- abili, bulletin de la société de géographie d'archeologie d'oran, 1977- 1978.

-Bourouiba(R), les inscriptions commémoratives des mosqués d'Algérie, O.P.U, Alger, 1984.

- Boyer (Pierre), Constribution à l'etude de la politique religieuse d'alger (16- 19s), revue de l'accident musulman et de la méditérranée, n°1, année 1966, Aixen Provence .

- Brignon(J), histoire du maroc, librairie national, casablanca, 1967, p142, et Bouali(S.A), Les deux grande siége de Tlemcen, ENAL, Alger, 1984.

- Brosselard (CH): Habous des mosqués –Sidi senouci- revue africaine, n°29, septembre, 1861.

- Brosslard Charles : les inscriptions arabes de Tlemcen, Revue Africaine , N° 14, 3 eme année, 1859, Alger.

- C.A Julien, histoire de l'afrique du nord(Tunisie- Algerie- Maroc) de la conquète arabe a 1830, T2, 2ème édition, revue et mise a jour Rogude tourneau, payot, paris, 1956.

- Carrot (Henri): Histoire générale de l'algérie, alger 1910.

- Champion C.Pierre : le maroc et ses villes d'art librairie, renomard, paris 1927.

- CHARLES ANDRE JULIEN: le Maroc face aux impérialismes 1415.

- Coline (G.S) l'Arabe dialectale Espagnol et Marocain (l'arabe dialed) ,hespéris ,1935 .

- De Grammont (H.D), « Quel est le lieu de la mort d'Aroudj ? », Revue Africaine ,T22 ,année 1878.

- Deverdum (G) : le mausolée des princes saadiens à marrakech, paul geuthner, paris, 1925.

- Deverdum (G) : recherches archéologiques a marrakech, arts et méliers graphiques, paris 1952.

- Devoulse (A), Alger étude archéologique et topographique sur cette ville, revue Africaine n°20, Alger 1876.

- Devoulx (A): les iédifices religieux de l'ancien Alger, revue africaine, année 1862.

- Dhina(A), Le royaume abdelouadide à l'époque 16 d'abou hamou moussa1er et d'abou tachfin1er, O.P.U, O.N.A.L, Alger.

- Dictionnaire le petit Larousse, imprimerie Herissey Evreus, France Mai 1980.

- Dzinbinski ,l'Armée et la flotte de guerre Marocaines à l'époque des sultans de la dynastie Sadienne ,Hisp-Tam ,vol12 ,1972.

- Elie de la Primodaie ,Documents inédites su l'histoire de l'occupation Espagnole en Afrique(1506-1774) ,Alger ,1875.

- Elie de la primodaie Documents unidites sur l'histoire de l'occupation espagnol en Afrique de (1506- 1774), Alger 1875.

- F.Braudel, la méditerranée et le monde méditerranien a l'époque de philippe2, T2, 3ème édition, librairie Armanb Colin, paris, 1976.

- Feraud (L.Charles) , « les Ben-Djellabe sultans de Tougourt » ,Revue Africaine ,année 1879-1880.

- Fey Henri- léon: Histoire d'oran avant, pendant et après la domination espagnol, oran 1858.

- Fray Diègo de haedo, histoire des rois d'Alger, traduit et annotée par H.D.de Gramout, revue Africaine, n°24 (1880) .

- Garot (Henri) ,histoire général de l'Algérie ,Alger ,1910 .

- Garrot Henri ,histoire générale de l'Algérie ,Alger ,1910 .

- GAUTIER. E. F : Le passé de l'Afrique du nord, 1964.

- Georges Marçais: opcit, p18, et, Rachid Bourouiba, L'art religieux musulman en Algérie, SNED, Alger, 1981.

- Grammont (H.de) ,Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830) ,vol1 ,Paris ,1887 .

- Grammout (H.de), Histoire de roi d'Alger sous la domination Turque 1515- 1830, 1vol, paris 1887.

- GRAMMOUT, quel est le lieu de la mort d'Aroudj Brbarousse, revue Africaine, n°22 (1878).

- Graulle (A), la mort et le tombeau de Bab Aroudj, paris, 1913.

- Haedo F.D de: Topographie et histoire générale d'alger, revue africaine, année 1870- 1871.

- Haedo, Histoire des rois d'Alger, Trad.H.de Grammond, Alger1881.

- http://www.isesco.org.ma/pub/arabic/fikr/page39.htm

- Jaque Caillé: la petite histoire du maroc, E.d, Casablanca.

- La Véronne (Ch.de) ,relation entre Oran et Tlemcen dans la première partie du 19ème siècle ,Paris ,1981.

- Le Tourneau (Roger) ,les début de la dignastie Saâdiènne jusqu'à la mort du sultan Mohamed ech-cheikh ,Alger ,1954 .

- Léon charless Féraud: Les Ben- Djellab, sultans de touggourt, revue africain, année 1879, 1880.

- Léon l'africain, description de l'afrique, traduit de l'italien par, A.Epaulard, lib.d'Amérique et d'Orient, paris, 1956.

- Luiz De Sousa ,les Portugais et l'Afrique du nord ,trad.(R) Ricard , Lisbonne ,1940.

- LUIZ DE SOUSA : les portugais et l'Afrique du nord de 1521 à 1557, trad(R. RICARD) Lisbonne 1940.

- Mahfoud Kaddach, l'Algérie durant la période ottoman ru, Alger, 1991.

- Marçais (G) : l'architecture musulmane d'accident, paris, 1955.

- Marçais(G) et (W), les moniment arabes de tlemcen foutemoig, paris, 1905.

- Marçais(G), l'architecture musulmane d'accident, paris, 1955.

- Marçais(G), Note sur l'epitaphe d'un sovant tlemcenien (Abou hamou moussa fils de l'Imam), revue africaine, Alger, 1818.

- Marçais(G), Remarques sur les medersas funérairespeu berberie, le caire, 1937.

- Marçais(G), tlemcen d'hier et d'aujourd'hui, bulletin de société des amis du vieux de tlemcen, Alger, 1952.

- Marçais(G), Tlemcen ville d'art et d'histoire, publié par les soius de la société historique algerienne, tome1, Alger, 1936.

- Massignon (L) ,le Maroc dans les premières année du 15ème sciècles ,typogre ,Adolphe Jourdan ,Alger ,1906 ,t3.

- Mediana (G), Expédition de Charles-Quint ,à Tunis ,Revue Tunisienne ,T13 ,Tunis ,1906 .

- Mercier (Ernest) ,histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête , Française (1830), Paris ,1891,T3.

- Meziane(Abdel Salem): Ibn khamis, poète tlemcenien du 13ème siècle, deuxieme congrés de la féderation des société savantes de l'afrique du nord, Tlemcen, T1, 1982.

- Mohamed (B.A) Benchekroun ,La vie intellectuelle Marocaine sous les Merinides et les wattassides ,imprimerie Mohamed 5 ,Fès ,1974.

- Mouloud (Gaide) ,l'Algérie sous les Turcs ,2ème édition ,Alger (s.d) .

- Pière Boyer ,Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la régence d'Alger (16 – 19 s) , Revue de l'Occident musulmane et de la Méditerrané ,n°1 ,année 1966 ,Aix En Provence.

- PIERRE CENIVAL : sources inédites de l'histoire du Maroc, 1 ère série , dynastie saadienne,archives et bibliothèque Portugal, t 1, 1934.

- Ricard (R) et autre , Sources inédite de l'histoire du Maroc

- Ricard (Rober) ,les Portugais et l'Afrique du nord sous Jean 3, Hespéris ,4ème trimestre ,T24 ,1937.

- ROGER le Tourneau : les débuts de la dynastie Saadienne jusqu'à la mort du Sultan M'Hamed ech- cheikh, Alger, 1954.

- Ruff (p), la domination espagnol à Oran sous le gouvernement du conte d'alcaudète (1534- 1558), paris 1900.

- Ruff Paul ,La domination Espagnole à Oran sous le gouvernement du comte d'Alcaudete ,(1534 – 1558) ,Paris ,1900 .

- Sandoval (H.de), les inscriptions d'Oran et de mars-elkabir, revue Africaine, n°15, Alger 1871.

- Sources inédite de l'histoire du Maroc 1ère série dynastie Saâdiénne ,T3 ,Paris ,1905

- Terrasse (H) ,histoire du Maroc ,T2 ,Paris ,1950

- Terrasse(H) : histoire du Maroc, t 2, Paris, 1950.

- Terrasse(H): Histoire du maroc, T2, edit Atlantides, Casablanca 1951.

- TORRES(DIEGO DE) : relation de l'origine et succès des chérifs, paris, 1936.

- Véronne: relation entre oran et tlemcen dans la première partie du 16ème siècle, paris, 1981.

فهرس الأعلام

-أ-

ابراهيم التسولي التازي 178-216-232-287-291-528 - 529 - 530

ابراهيم الثغري 234

ابراهيم الحساني 414

ابراهيم العطار 111

ابراهيم العقباني 214

ابراهيم الفيجيجي 326

ابراهيم المصمودي 143-234-313-319

ابراهيم الورياغلي 413

ابراهيم بن أبي القاسم السملالي 373

ابراهيم بن الحكم الكتاني 296-302

ابراهيم بن زرزور اليهودي 314-320

ابراهيم بن عبد الجبار الفجيجي 574-617

ابراهيم بن عبد الكريم أبو اسحاق 303

ابراهيم بن علان الصنهاجي اللمتوني 16

ابراهيم بن علي المريني 528

ابراهيم بن محمد الفيجيجي 291-297-303-356

ابراهيم بن محمد اليزناسني 298

ابراهيم بن هشام العبد الوادي 428

ابراهيم بن يخلف التنسي 176

ابراهيم حركات 324-385

ابراهيم ستول الاشبيلي 161

ابراهيم الزواوي القسنطيني 214

أبركان بن مخلوف المزيلي الراشدي 208-528

أبقراط 314-321

الآبلي 152-240

ابن أبي الربيع 240-297

ابن أبي الزرع الفاسي 53- 282-286-306-313

ابن أبي جمعة 161

أبن أبي حاتم الرازي 180

ابن أبي دينار 54

ابن ابي زيد القرواني 566-199-285 - 286-289 - 291 -593 - 594

ابن أبي صبيعة 161

ابن أبي عمران 27

ابن أبي مدين 210

ابن آجروم الصنهاجي 303-308-311-364

ادريس بن الحق المريني 281-286

ادريس بن عبد الله 15

أرنولد وليل 419

اسحاق الموحدي 76

اسحاق بربروس 473-476

اسماعيل بن الأحمر 24-70-192-241-242-246248-249-250-251-252-260-265-266-267-268-269-270-271-278-279-288-293-294-299-307-308-312-313-314-317-318-323-324-383-428-471-479-490-608

الأصبهاني 520

اقليدس 587

الأكحل بن خلوف الجزائري الشهير بالأخضر 607

ألفونسو الثامن 4

ألفونسو الخامس 95

الإمام البخاري 175-198- 589

الامام الترميذي 198

الامام السنوسي 331

الإمام القصار 575

الإمام المواق 307

الامام النسائي 198

الامام مسلم 179-198-589

امانويل 96-106

آمنة بنت السلطان أبي العباس المنتصر 257

الأموي المعروف بابن المقرئ 295

أنقشابو الزموري 314

ايبولار 335

آيت عباس 558

ايزابيلا 30

-ب-

بادين بن محمد 13

بايزيد الثاني 473

البرادعي 285 - 286-301

بربروس (الاخوة) 39

بركات بن محمد 103

برهان الدين الصفاقصي 524

بروسلار 34- 259

ابن اسحاق 175
ابن الأصفر 230
ابن البناء المراكشي 231-232-240-240-276-
280-287-292-302-308-309-310-316-
316-317-321-373-411-521-522-587-
602
ابن الجوزي 175
ابن الحا جب 175
ابن الحاج أحمد الورنيدي التلمساني 623
ابن الحاج النميري 146-146-244-261-263-
264-266-278-279 - 281-282-283-285-
289-294-304-309-536
ابن الحاجب 207-285-301-324-360-364-
517-525-587 - 593
ابن الحجاج 175-210
ابن الحسن الزيات 292-297
ابن الخطيب السلماني 274-277
ابن الخطيب القسنطيني 304-318
ابن الرفعة 231-521
ابن الزابية 459
ابن السعيد المرغيني 418
ابن السكاك 234
ابن الصباغ المكناسي 364
ابن الصفراوي 184
ابن العباس الصغير 210
ابن العباس العبادي التلمساني 225-226
ابن العربي 161-162-220-323
ابن الفحام 521
ابن الفخار البيري 522
ابن الفقيرة 496
ابن القاضي 102-307
ابن القطان 287-292
ابن القطان الفاسي 230-257
ابن القيم الجوزية 526
ابن المجراد السلوي 275-279-289-294-364
ابن المواق 287-292
ابن الياسمين 207
ابن باديس 561
ابن بدر 5
ابن بردي محمد بن علي بن محمد بن الحسن
البساطي185
البستثني 397
بطرة بن الهنشة بن أدفوش 314-320
بن زرجب 166
بن عطية الأندلسي 197-197
بن علي بن ريسون 389
بو طريق 48
البوصيري 363-561
بوطريق 383-482-573
البيهقي 197
بيدرو نافار 100

-ت-

تاج الدين الفكهاني 184
تاشفين بن المتوكل على الله 29
تاشفين بن علي المرابطي 57
التبريزي 184-231-521
تقي الدين بن دقيق العدد 520 - 521
التمكروتي 600
التمنراتي 366
تيان 91
تيجلات أبو عبد الله محمد الأغماتي 314

-ج-

جابر بن عبد الله 180
جابر بن يوسف العبد الوادي 17
جرمون بن رياح 63
الجزولي 249 - 250
الجلاب محمد بن أحمد المغيلي 211
جلال الدين السيوطي 211-587
جمال الدين بن هشام 364
خوان الثالث 123-123-499
جواو الثاني 95-96
جواو دي منزش 96-97
جورج مارسيه 384 - 386
جون بوبتيست راميسيو 335

-ح-

الحاج الشطيبي 398-413
الحاج بن عبد الواحد 259-260-270- 267-
295-300
الحاج محمد الأسقيا 212
حاجي باشا 48

التازي 298-293
ابن برغوث 457
ابن بري التازي 587
ابن بطوطة 242-242-246-246-249-250-
251-264-287-292-540
ابن تاغزوية 530
ابن تافراجين 453
ابن جابر الغساني 5-362
ابن جماعة التونسي 258
ابن حجر العسقلاني 185-358-526-587
ابن حجلة 316
ابن حيان الغرناطي 184
ابن خلوف التونسي 371
ابن خميس التلمساني 131 - 218 - 220 - 221
- 222-437-438-531-532
ابن خولة الزياني 460
ابن دقيق العيد 200-231
ابن رشد البغدادي 363
ابن رشيد السبتي 239-240-244-247-248
ابن رشيق 53
ابن رواح 184
ابن زاغو 235
ابن زمرك 204-234
ابن زيتون 157-203
ابن سينا 220-231-314-321-336-375-
421-587-602
ابن شريح 258
ابن طفيل 314-321
ابن عاصم الغرناطي 360-587
ابن عباد السلوي 274-304
ابن عبد السلام 304-523
ابن عبد الملك المراكشي 287-292-296-302-
308
ابن عبد الملك بن حنيفة 430
ابن عدلان 526
ابن عذارى 67
ابن عربي المعافري 244-245
ابن عرفة التونسي 303-357-360-523-526-
594
ابن عزون المراكشي 421
الحافظ أبو الطاهر السلفي 180
الحافظ التنسي191- 304-530-617
الحافظ الذهبي 269
الحافظ بن عبد البر 369
الحاكم المستنصر 162
الحباك أحمد بن سعيد العجيسي 279-283-300-
305-619
حرزوز المكناسي 399
الحسن أبركان 226
حسن آغا 45-46-47-48-480 - 481
الحسن البطيوي 446
الحسن الثابتي الزياني 500
الحسن الحفصي 480
الحسن الدراوي 396-397
الحسن الزياتي 362-510-512
حسن الشوشاوي السوسي 421
حسن الموشتوكي 373-501
الحسن الوزان 33- 100-150-156 - 159-
240-243-242-250-251 - 255-253-282-
321-322-323-328 - 329 - 331-334-
335-336-376-393-417-474-525 - 553-
556-583-586-600- 608
حسن باشا بن خير الدين 470 - 482 - 481 -
482-571-607
حسن باشا بن خير الدين 49-50- 122-123-
383-387-492-496-498-500-501-503-
505-506-508-514-515
الحسن بن أحمد المسفيوي 419
الحسن بن حرزوز المكناسي 416-563
الحسن بن عبد الله الزياني 51- 461-471-472-
579
الحسن بن عثمان بن علي الشاملي 380
الحسن بن عصفور الهواري 219-523
الحسن بن عطية الونشريسي 266- 268-269-
270-271- 299-304-308-311-314-318
ابن قنفد القسنطيني 300-305
الحسن بن عمر الفودودي 455
حسن بن محمد الدرعي 590
الحسن بن محمد الهداجي الدراوي 400
الحسن بن منديل المغيلي 257-259-279 -

ابن عسكر 319-323-325-327-331-414-624
ابن عطية 246-587
ابن عيسى التملي 366
ابن غازي المكناسي 390-275-279-307-307-319-359 - 360-360 - 361-365-372-380
ابن غازي المكناسي 215-324-332
ابن غلبون 231
ابن غياث السلوي 278
ابن فرحون 99- 244-245-368-380
ابن قاسم النحوي 257
ابن قنفد القسنطيني 52-79-213- 314-315-323-531
ابن قيم الجوزية 204
ابن ليون التجسيني 602
ابن مالك الرشقي 587
ابن مجبر المساري 411
ابن مخلوف السجلماسي 310-316
ابن مدعينة 256-258
ابن مرزوق الحفيد 152-152-178-185-186-207-209-211-215 - 225-235-529
ابن مرزوق الخطيب 55- 144-147-167-174-175-176-185-191-203-205-215-228-229-230-233-241-242-246 - 248-249 - 250-259-260-260-262-276-280-282-286-297-303-308 -314-524-526-537-539-540-541
ابن مرزوق الكفيف 191-210-527-577-575
ابن مريم 147-538
ابن ميمون التيجيني 373
ابن ميمون الغماري 322-326-329
ابن هارون 304-604
ابن هاشم المصري 587
ابن هشام 175-411
ابن وانودين 63-64
ابن وضاح الأندلسي 130
ابن وفا 362
ابن ياسمين 231
ابن يجبش 530
283-266-268-269 - 270
الحسن بن يوسف الزياني 581
الحسن بن يوسف الغفاري 17
حسن قارة 44
حسن قورصو 123-514
الحسين ابن الربيع 290
حليمة السعدية 101
حمزة بن عمر السلمي 27-444
الحميد الصفراني 363
حميدة العبد 41-42-48

-خ-

خالد بن عامر 456
خالد بن عيسى البلوي 176
الخطيب القزويني 364-598
خلف الله المجاصي 300-306
خلف بن عبد العزيز القبتوري الإشبيلي 291-297
خلوف المغيلي اليهودي 232-311- 317 - 318-521
خليل الجندي 587 - 593 - 594
خليل بن اسحاق المالكي 518
خير الدين بربروس 40-41-43-44-45-49-387-466-473-476 - 477 - 478 - 479 - 480 - 481-607

-د-

دالكوديت 493-495-498
درغوث رايس 498
الدقون أحمد الصنهاجي 301-332
دون مارتن 495
دياستو مادوس 314-321
دييغو دوفيرا 41

-ر-

الرازي 314-321
راشد بن محمد المغراوي 440- 441
الرشيد بن الشريف العلوي 382
الرشيد بن المأمون الموحدي 4-21-22-23-63-64
رضوان الجنوي 357-369-381
رمضان باشا 574

-ز-

ابن يحيى بن مكن 430
ابن يحيى بن منظور القيسي 256
ابن يصلتين 13
ابن يعقوب اليوسي 415
ابن يونس 285-289
ابني الامام 131-142-157-203-204-205-
206-207-248-249-298-304-523-526-
539 - 540
أبو ابراهيم بن يوسف الموحدي 61
أبو أحمد بن علي الخطيب الباقلاني 200
أبو اسحاق ابراهيم التسولي 248-249
أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الكريم 297
أبو اسحاق ابراهيم بن عيسى الغافقي الإشبيلي 292-297
أبو اسحاق أحمد بن محمد التغلبي 197
أبو اسحاق التلمساني الأنصاري 219-523
أبو اسحاق التنسي 130 - 140 - 183 - 199 - 200 - 201 - 202-230-231-520 - 521-539
ابو اسحاق الشاطبي 234-258
أبو اسحاق الغماري 255-257
ابو اسحاق المصمودي 526
أبو اسحاق بن ابي يحيي 453-522
أبو البراء البلوي 222
أبو البركات بن الحاج البلفيقي 19-220-248-249-267-268-270 - 271 - 272-312-318
ابو البركات يحيى الغماري التلمساني 616
أبو البقاء السبكي 312
أبو الحاجب 289 - 290
ابو الحجاج يوسف الوطاسي 92-459
أبو الحساني 292
أبو الحسن أحمد بن الأشقر 278-282
أبو الحسن البليلتي 209
أبو الحسن التنسي 141-202-231
أبو الحسن الحوالي 218
أبو الحسن الرعيني 291-296
أبو الحسن الرقاص 263-266-281-282-285
أبو الحسن السبتي 521
أبو الحسن الشاذلي 362
أبو الحسن الشلوبيني 523
الزمخشري 357
زيان بن عمر الوطاسي 457
الزياني 102
زيدان بن أحمد المنصور 349-372-385-386-409-415-419-504-510-560
-س-
سالم التومي 40
سانشو 243-243
سحنون 285-587 - 594
سراج الدين الشاط الإشبلي 288- 293
السطي 523
السعود بن خرباش الجسيمي 427
سعيد الأنجري الصنهاجي 257-259-260
سعيد الحاجي 359
سعيد العقباني 23- 141 - 152 - 161-190-203-206-208-237-275-303-525 - 526-531 - 532
سعيد الكراسي السملالي 326
سعيد المقري 623-624
السعيد الموحدي 8-9-18-21-64-67-68
سعيد بن المسيب 180
سعيد بن علي الجامدي 410
سعيد بن علي بن سعيد الهوازلي السوسي 383
سعيد بن محمد الهبطي 400
سعيد بن مسعود الماغوسيي 410 576
السلاوي الناصري 79-88-98-101-102-111-325-384
سليم الأول 40-43-44-45-473
سليمان الحوات 416
سليمان القانوني 118-384-45-492-497-505
سليمان بن ابراهيم التلاسي 341
سليمان بن علي بن عبد الله بن العفيف التلمساني 219
سوط النساء (والدة يغمراسن) 23
سيبويه 258-260-302-303-305-308 - 30-587-411
السيدة الحرة 119-481
سيدي الحلوي أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي 145 - 146-260-261-262-263-536 - 538
سيدي الهواري 528

أبو الحسن الصغير 247-248-264-267-295-
296-297-301 - 302-307-326-360-520-
525
أبو الحسن الطنجي 297-302-312-319
أبو الحسن القلصادي 373-601
أبو الحسن اللخمي 200
ابو الحسن المريني 144-145-147-157-169-
175-203-228-232-233-241-242-244-
245-247-248-259-260-268-272-273-
274-275-276-277-278-282-294-297-
299 - 302 - 303 - 304 - 309 - 315 - 319
- 320 - 321-447-448-449-450-452-
521-524-527-534-537 - 538-539-540
أبو الحسن المسعودي 369-381
أبو الحسن المنظري 93-96-101-119-560
الوادي آشي 298
أبو الحسن بن ابي الربيع 291 - 292-297
أبو الحسن بن ابي نصر 218
أبو الحسن بن سهل بن مالك 219-523
أبو الحسن بن طاهر الديباج 523
ابو الحسن بن كماشة 221
أبو الحسن بن موسى المطغري 328-330
ابو الحسن حازم القرطاجني 303-308
أبو الحسن سيدي علي بن أيوب 274-278
أبو الحسن عبد الله ابن القارئ 290
أبو الحسن عبد الله القيسي 293
أبو الحسن علي الأغصاوي البقال 585
أبو الحسن علي التالوتي 210
أبو الحسن علي التمكروتي 584
أبو الحسن علي الخزاعي 249-250-540
أبو الحسن علي العنسي 313
ابو الحسن علي الفحام 233-541
أبو الحسن علي المراكشي 320
أبو الحسن علي المطماطي 275-279-283 -
285
أبو الحسن علي المنجلاتي 209
ابو الحسن علي الونشريسي 275-279
أبو الحسن علي بن أبي مدين شعيب 249-250-
540
أبو الحسن علي بن الديباج 291-291-296 -
سيدي عبد الله المرابط 116
سيدي محمد بن سالم الحناوي 276
سيف الدين الحنفي 183-200-520
السيوطي 364

-ش-

شارل الخامس 496-499-501
شارلكان 30-42-46
الشاطبي 197
شاويل اليهودي 82-89
الشريف ابو البركات 532
الشريف أبو القاسم السبتي 527
الشريف ابو علي بن ابي شرف 288
الشريف الإدريسي 512
الشريف الحسني السبتي 522
الشمروردي 362
شمس الدين الأصبهاني 183-184-200-526
شمس الدين بن اللبان 184
شمس الدين بن عدلان 184
شهاب الدين الزواوي 215
شهاب الدين القرافي 183-200
الشيخ الجزولي 621-622
الشيخ الزقاق 124 - 126
الشيخ السعيد 104
الشيخ القصار 526
الشيخ الوزاني القسنطيني 623
الشيخ بو جمعة 106
الشيخ زروق 94- 210-239-259- 266-283-
297-306-622

-ص-

صالح الكاهية 514-515
صالح رايس 51-124-506 -507-508-509-
510 511-513-553-573-584-598
صبر الدين الغماري المالكي 526
الصرصري 250
صفا بك 497 -500-501-503-505-514
صفوان بن عسال 179
الصفي الهندي 231-521
صلاح الدين الأيوبي 3
الصومعي أحمد التادلي 597

-ض-

297
أبو الحسن علي بن الزبير السجلماسي 411
أبو الحسن علي بن العطار 227
أبو الحسن علي بن عبد الله 177
أبو الحسن علي بن عثمان 27
ابو الحسن علي بن عزيز 235
ابو الحسن علي بن عشرين 285 - 286-290 - 291
أبو الحسن علي بن محمد الصباغ العقيلي 250
أبو الحسن علي بن محمد الصباغ العقيلي 540
أبو الحسن علي بن محمد الطبري 197
أبو الحسن علي بن موسى بن علي الظفري 215
أبو الحكم يحيي بن منضور القيسي 257-258
أبو الربيع سلمان الونشريسي 292
أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعي 175
أبو السعيد الموحدي 16
ابو السعيد عثمان المريني 27-242-245-247-250-303-315
أبو السعيد عثمان بن عبد الحق بن محيو 62-63
أبو الطيب البسكري 585
أبو الطيب الفاسي الإدريسي 529
أبو الطيب يحيي بن أبي القاسم الجبار 389
أبو العباس أحمد التادلي 403 محمد بن أحمد المسناوي 403
أبو العباس أحمد العاقل 28-29-134-156-169
أبو العباس أحمد الفحام 291-296
أبو العباس أحمد المريني 251-252
أبو العباس أحمد الوطاسي 508-184-324-330-331-383-385-386-461-464-466-467-490-491-508-618
أبو العباس أحمد بن أبي القاسم التادلي 624
أبو العباس أحمد بن أحمد العبادي 572
أبو العباس أحمد بن التقليتي 423-424
أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب 308-312-317
أبو العباس أحمد بن زكري 589 - 590
أبو العباس أحمد بن شعيب الجزنائي 247-248-320
أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الشريف 323
ضياء الدين الخرجي 364

-ط-

طالب محمد بن ابراهيم 558
طبرس 520
الطرطوشي 200
طوريس 105- 115-482
طوريس 384-491-496

-ع-

عائشة بنت الجيار 31
عاشور التلمساني 613
عامر الفغول 502
عامر بن أبي يعقوب يوسف 435
عباد بن عبد الله التمازتي المنابهي السوسي 383
العباس بن منديل المغراوي 24
عبد الجبار بن أحمد البرزوزي 349-356
عبد الجبار بن احمد الفجيجي 588
عبد الحق الخراط 287-292
عبد الحق المريني 81-82-84-85-86-88-89-90-91-92-473
عبد الحق المصمودي 319-328
عبد الحق المصمودي 337
عبد الحق بن سعيد المكناسي 298-303
عبد الحق بن محمد بن عبد الحق المريني 428
عبد الحق منغفان الزناتي العبد الوادي 15- 57
عبد الخالق بن محمد بن أبي بكر الدلائي 410
عبد الرحمن ابن مسونة 248
عبد الرحمن أبو تاشفين الثاني 28
عبد الرحمن أبو تافشين الأول 131 - 132 - 147 152 - 153 - 173 - 174 192 - 204 - 222
عبد الرحمن البعقيلي 373-374
عبد الرحمن التمنراتي 359-372-415
عبد الرحمن الثعالبي 170-178-186-209-210-211-266
عبد الرحمن الجادري المديوني 295-299-373
عبد الرحمن الرجراجي 255-256
عبد الرحمن العارف الفاسي 357-358-362-590
عبد الرحمن المدني 324-330
عبد الرحمن المكودي 363
عبد الرحمن الهزميري 309

أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الشريف 330
أبو العباس أحمد بن عبد المنان 249-250
أبو العباس أحمد بن عمار المهدي 197
أبو العباس أحمد بن عمران 154- 522
أبو العباس أحمد بن محمد البرتغالي 478 - 479 - 480 - 481
أبو العباس أحمد بن محمد الخباز 595
ابو العباس أحمد بن محمد العبادي التلمساني 624
أبو العباس أحمد بن محمد العقباني 572
أبو العباس احمد بن محمد المقري 581 - 582
أبو العباس أحمد بن ودة 584
أبو العباس احمد بن يحيي العوزالي 584
أبو العباس السبتي 348-385-386
ابو العباس القدوسي 581
أبو العباس المريني 459-540
أبو العباس المكناسي 527
أبو العباس المنصر بالله 259
أبو العباس النقاوسي 209
أبو العباس الونشريسي212- 328-527
أبو العباس بن أحمد القدومي 396
أبو العباس بن الشماع 525
أبو العباس بن القاضي الزواوي 39-40-44
أبو العباس محمد بن سفيان 227
أبو العلاء ادريس (أبو دبوس) 5-72-73-74-76-
أبو الفتح المراغي محمد بن ابي بكر الحسن العثماني المريني 529
أبو الفتح الموصلي 366
أبو الفضل العجلاني السلوي 278
أبو الفضل القاسم بن رضوان 250-540
أبو الفضل الوجلاني السلوي 274
أبو الفضل قاسم العقباني 527
أبو الفضل محمد ابن ابراهيم عبد الرحمن بن محمد بن الامام 185
أبو الفضل محمد بن محمد بن أبي القاسم المشذالي 237
أبو الفضل يحيي بن عتيق العبدري 532
أبو القاسم ابراهيم التسولي 302
أبو القاسم ابن رضوان 250
أبو القاسم البرزلي 209
أبو القاسم التيجيبي السبتي 240-247 - 248 -
عبد الرحمن الوغليسي 528
عبد الرحمن الوقاد 619
عبد الرحمن بن ابي القاسم القيسي اليفريني 279
عبد الرحمن بن أبي بكر الدلائي 393
عبد الرحمن بن أبي سعود الفاسي 424
عبد الرحمن بن اسماعيل الشاذلي 561
عبد الرحمن بن التاجر 294-299
عبد الرحمن بن الملجوم 333
عبد الرحمن بن خلدون 13-14-16-55-79-
104-106-110-128-159-161-181-184-
185-188-189-204-223-224-241-242-
246-248-249-250-258-259-261-270-
282-286-288-294-297-298-299-303-
315-316-317-321-323-347-436-442-
456-518-522-534-537-539-540
عبد الرحمن بن سبع التلمساني 617
عبد الرحمن بن صالح بن علي المكودي 305-311
عبد الرحمن بن عبد العزيز الدكالي المشترائي 423
عبد الرحمن بن عبد الله العنابي 559
عبد الرحمن بن عفان الجزولي 288-293
عبد الرحمن بن عيسى الكيلالي 595
عبد الرحمن بن محمد الأخضري 591-594-600 - 602
عبد الرحمن بن محمد التمنراتي 400
عبد الرحمن بن محمد الجادري المديوني 266-268- 269 - 271 - 272-312-318
عبد الرحمن بن محمد الزواوي 322-328
عبد الرحمن بن محمد الزياني 460
عبد الرحمن بن محمد الشيخ 503
عبد الرحمن بن محمد الفاسي 398-399-400
عبد الرحمن بن محمد القصري 562
عبد الرحمن بن محمد الوقاد 563- 582
عبد الرحمن بن ملجوم 351
عبد السلام بن سعيد 199
عبد السلام بن مشيش 93-362- 403
عبد السميع المصمودي 528
عبد العالي بن طاهر السلجماسي 365
عبد العزيز التملي 367

258 -259
أبو القاسم الحفيد 389 - 390
أبو القاسم الحوفي 361
أبو القاسم الزواوي 210
أبو القاسم الشريف السبتي 304-310-524
أبو القاسم الطبراني 180
أبو القاسم العبدوسي 209-617
أبو القاسم العزفي 219
أبو القاسم الغساني 374-412-420
أبو القاسم الغول الفشتالي 375-376-418
أبو القاسم الفجيجي 365-594
أبو القاسم الوزير الغساني 365
أبو القاسم بن ابراهيم 307
أبو القاسم بن ابراهيم 307
أبو القاسم بن ابراهيم التسولي 297
أبو القاسم بن ابراهيم الدكالي 398
أبو القاسم بن الطيب الخضراوي 291-296
ابو القاسم بن تقي 291-296
أبو القاسم بن رضوان 308-314
ابو القاسم بن سلطان القسنطيني 579 -580-612
أبو القاسم بن عبد الجبار 575-613
أبو القاسم بن علي بن حجو الحساني 609-617
أبو القاسم بن محمد التازي القشتالي 267
أبو القاسم بن محمد الغماري التازي 255-257-578
أبو القاسم بن ميمون السنوسي 227
أبو القاسم بن يوسف بن رضوان 249-250 - 251-540
أبو القاسم عبد الرحمن سحنون 290-296
أبو القاسم عبد الله الجلاب البصري القرطبي 199
أبو القاسم محمد التازي القشتالي 264
ابو القاسم محمد الخشاب 526
أبو القاسم محمد الزمخشري 197
ابو القاسم محمد الماجري 333
أبو القاسم محمد بن داود بن الفخار السلوي 275
أبو القاسم محمد بن عبد العزيز التازغدري 299-305
أبو المحاسن الفاسي 388-389-391-581-604
أبو المصرف أحمد بن عبد الله بن عميرة 219
أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عمرة 523
عبد العزيز الثاني 361
عبد العزيز الرسموكي 365-375
عبد العزيز الزياني 402
عبد العزيز الصنهاجي 274-278
عبد العزيز الفشتالي 101-341 - 342-365-368-405-406-410-412-413
عبد العزيز القسنطيني 624
عبد العزيز اللمطي 324
عبد العزيز الملزوزي 246-246 -247-305-311
عبد العزيز بن أحمد المنصور 385
عبد العزيز بن الحسن الزياتي 582-596
عبد العزيز بن عبد الواحد المكناسي 374
عبد العزيز بن مخلوف بن الجراد 184
عبد العزيز بن موسى بن معطي العبدوسي 529
عبد الغني بن مسعود الزموري 375-420
عبد القادر السماحي 612 - 613
عبد القادر بن محمد الشيخ 117-118-119-384-386-492-501-503
عبد القوي التوجيني 22-23
عبد الكريم تواتي 290- 295
عبد الله الباسطي 209
عبد الله الثاني الزياني 466- 479
عبد الله الطريفي 258
عبد الله العبدوسي 303 - 305
عبد الله العثماني 370
عبد الله العزفي اللخمي 313
عبد الله الغالب 348-378-393-571-612
عبد الله الغزواني 391
عبد الله الفاسي السعدي 585
عبد الله المأمون 162
عبد الله الهبطي 351-622
عبد الله بن ابراهيم الخياط 389- 578-610 - 612
عبد الله بن أبي بكر الجزولي 309-315
عبد الله بن أبي حمو الثالث 44-45
عبد الله بن أحمد بن مسلم القصري 294-299
عبد الله بن الحكيم 221-222
عبد الله بن العافية 619
عبد الله بن أنيس 180

أبو المعالي 200
أبو المكارم منديل بن آجروم 308-314
أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي 198
أبو الوليد محمد بن أحمد بن راشد 199
أبو أيوب الأنصاري 180
ابو بكر البياز 235
أبو بكر السعيد بن أبي عنان 455
أبو بكر الشريف الحسني الإدريسي 294-299-305-312
أبو بكر الفالوشي بن محمد القاضي 302
أبو بكر الفهري 258
أبو بكر بن أحمد الوطاسي 117-383-513
أبو بكر بن العربي 200-244-245-298
ابو بكر بن حمامة المريني 58
أبو بكر بن دحمان 219-523
أبو بكر بن عاصم 310
أبو بكر بن عبد الرحمن بن أحمد المليلي 266-269
أبو بكر بن عبد الودود الخياطي 286-291
أبو بكر بن محرز 523
أبو بكر بن محمد الدلائي 350-392
أبو بكر عثمان بن صالح المسراتي 278-282
أبو بكر محمد المعافري 217
أبو بكر محمد بن الجد الفهري 259 - 260
ابن القطان 259 - 260
أبو بكر محمد بن القضاعي القالوشي 308
أبو بكر محمد بن عبد الله الأنصاري الإشبيلي 292-297
أبو بكر محمد بن محرز الزهري 217 - 218
أبو بكر محمد خطاب الغافقي المرسي الاندلسي 130-189-217
أبو تاشفين الأول 20-26-441-442-443-444-445-446
أبو تاشفين الثاني 457-458
أبو ثابت الزياني439- 447-448-449-450-451-452-458
أبو جعفر أحمد الأوسي 153
أبو جعفر أحمد بن الفحام 291-296
ابو جعفر بن الزبير 291-297
أبو جمعه شقرون المغراوي 216
عبد الله بن حبيب القرطبي 199
عبد الله بن حساسين الامغاري 389
عبد الله بن حسين الرقي 391
عبد الله بن عبد الرزاق العثماني 394
عبد الله بن عبد الرزاق العثماني 403
عبد الله بن عبد الله بن أبي حمو الثالث 46-47
عبد الله بن علي السجلماسي 356
عبد الله بن علي بن طاهر 359- 410-618
عبد الله بن عمر المطغري 337-624
عبد الله بن عيسى التادلي الفاسي 286-291
عبد الله بن محمد البكري الأندلسي 293-299-324
عبد الله بن محمد الشيخ 123-123-292-297-501
عبد الله بن محمد العبدوسي 300-289- 294
عبد الله بن محمد العنابي الدرعي 559- 577
عبد الله بن محمد الغزواني 403
عبد الله بن محمد الهبطي 403
عبد الله الشريف التلمساني 525
عبد الله بن موسى الورتيني 394
عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق المريني 72-415
عبد الله كنون 239-290-295-307-313-324-346-367
عبد الله محمد البكري 317
عبد الله محمد الحفصي 452
عبد الله محمد بن موسى الوجديجي 576
عبد المؤمن بن علي 2-3-4-6-7-45-56-57-261-263
عبد المالك السعدي 409-419-585
عبد المهيمن الحضرمي 223-224-248-288-293-303-309-310-522
عبد المومن بن محمد الشيخ 571
عبد الهادي التازي 277-281
عبد الهادي بن طاهر السحلماسي 358-361
عبد الواحد الحميدي 340 - 344-581
عبد الواحد السجلماسي 372
عبد الواحد الشريف 415
عبد الواحد الغرباني 209
عبد الواحد الونشريسي 324-327-331-360-416- 590 - 591-594-595-619

أبو حامد الغزالي 200
أبو حرزوز المكناسي 323
أبو حسون الوطاسي 84-85-110-118-119-
121-123-124-125-126 386-387-478 -
481-491-496-504-510-511 - 512-571-
573
أبو حفص الرجراجي 299- 305
أبو حفص عمر بن يغمراسن 75
أبو حمو الثالث32-42-43-44-45- 465--473
- 474 - 475 - 476
أبو حمو موسى الأول 20-26 -131-142-150-
151-152-173-174-192-203-439-440-
441
أبو حمو موسى الثاني 28-132-143-154-
155-165-168-173-205-223-224-225-
229-233-234-452-453-454-455-456-
457-458-523
أبو حيان النحوي 204-293-526
أبو حيان النحوي 298
أبو داود السجستاني 198
أبو دبوس الموحدي 429
أبو راس الناصري 166
أبو ربيع سليمان الونشريسي 300
ابو زكريا ابن عصفور العبدري 201
أبو زكريا الأوسط الحفصي 26
أبو زكريا السراج 308-314
أبو زكريا اللحياني السعيد بن يخلف 26
أبو زكريا المزوني 208
أبو زكريا بن أبي اسحاق الحفصي 25
أبو زكريا بن أبي حفص 21-22-23-24
أبو زكريا بن عطوش 68-73
أبو زكريا يحيى الوطاسي 84-85-86-87-461
أبو زكريا يحيى بن أبي علي الحسن 251
أبو زكريا يحيى بن محمد المسعود الحفصي 29
أبو زكرياء الحفصي 9- 148-444
أبو زكرياء السوسي 527
أبو زكرياء يحيي بن ابي دلامة 252
أبو زكرياء يحيي بن عمر 282-286
أبو زكرياء يحيي بن موسى المازوني 2014
أبو زيان أحمد الثالث 42
عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي 8
عبد الواحد بن احمد الرجراجي 581 - 582
عبد الواحد بن حمص 558
عبد الواحد بن عاشر 361-374-390-393-
398-401-418-421
عبد الواحد بن يعقوب المريني 246-302
عبد الوارث الياصلوتي 388-390-391-402
عبد الوهاب الزقاق 326-328-558-619
عبد الوهاب بن منصور 221
العبدري 210-239-240-243-244- 244-
286-292-322
عثمان بن جراد 448
عثمان بن ونزمار بن عريف 454
عثمان بن يوسف 17
عروج 40-41-42-43-465-473-474 475 -
476-488
عز الدين بن جماعة 312
عقبة بن عامر 180
عقبة بن نافع الفهري 222
علودان الغماري 7
علي الأنجري 256-258 - 260
علي التمكروتي 371
علي السلاسي 394
علي الورياغلي 328
علي بن ابراهيم الأندلسي 376
علي بن ابراهيم الغرناطي 275
علي بن ابراهيم اللحياني 402
علي بن أحمد التمنراتي 402
علي بن أحمد الرسموكي 373
علي بن أحمد المسفيوي 406
علي بن أحمد بن داود الغرناطي 190
علي بن اسماعيل المطماطي 281
علي بن راشد المغراوي 449-450
علي بن عبد الواحد الأنصاري السلوي 360
علي بن عيسى الراشدي 579
علي بن غالب الادريسي 314-320
علي بن قاسم الزقاق 360
علي بن كشاس 302
علي بن محمد التالوتي 215-530
علي بن محمد الخزاعي 251-252

أبو زيان أحمد الثاني 482
أبو زيان أحمد الزياني 385-467
أبو زيان الحكيم 173
أبو زيان القبي 457
أبو زيان بن أبي حمو الثاني 458-459
أبو زيان بن عثمان الزياني 456
أبو زيان محمد الثاني 20-134-166-385-439-460-466-467
أبو زيان محمد بن عبد القوي 432
أبو زيد البياسي 9
أبو زيد المكودي 308-314-526
أبو زيد اليزناسني 202
أبو زيد بن الزيات 184
أبو زيد بن يعقوب 234
أبو زيد عبد الرحمن 389
أبو زيد عبد الرحمن البعقيلي الجزولي 424-425-525
أبو زيد عبد الرحمن الدباغ 244-244
أبو زيد عبد الرحمن السعدي 413
أبو زيد عبد الرحمن الهزميري 308-314
أبو زيد عبد الرحمن الولغيسي البجائي 206
أبو زيد عبد الرحمن بن الإمام 131 - 14 - 151 - 203 - 249-131-142-151-203-249-539
أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجدولي 527
أبو سالم ابراهيم بن عبد الرحمن التسولي 296-302
أبو سالم ابن أبي الحسن المريني 249-251 - 252
أبو سالم العقباني 191- 527
أبو سالم بن أبي الحسن المريني 268-271-524-540
أبو سرحان مسعود الزياني 441
ابو سعيد ابن فريحات 264-266
أبو سعيد البرادعي 199
أبو سعيد بن عبد المهيمن الحضرمي 308-314
أبو سعيد عثمان ابن يغمراسن بن زيان 130 - 141 - 169
أبو سعيد عثمان التيجاني الونشريسي 318
أبو سعيد عثمان الزياني 20-24-26-130-141-169-220-434-435-436-447- 448-451
علي بن محمد السجلماسي 398
علي بن محمد المغيلي 247
علي بن محمد الهبطي 416
علي بن محمد الوماني 415
علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود الخزاعي 528
علي بن محمد بن تومرت 323
علي بن محمد بن علي البهلولي 152
علي بن محمد بن فرحون اليعمري 303-309
علي بن موسى البجائي 238
علي بن ميمون الغماري 357-372
علي بن هارون المطغري 559-569-578- 619
علي بن يوسف الفاسي 562
علي بن يوسف الوطاسي 81
علي بن يوسف بن تاشفين 7- 348- 139
علي حرزوز 126
علي مؤمن 104-106
علي ملوك 394
عمر بن ابراهيم بن هشام 430
عمر بن أبي يحيى الحفصي 444
عمر بن أحمد التمكروتي 391-559
عمر بن الكماد 590-594
عمر بن عبد الرحمن الجزنائي 337
عمر بن عبد الله 524
عمر بن عطية 442
عمر بن علي اليحصبي البجائي 423
عمر بن محمد الرجراجي الفاسي 318
عمر بن موسى 304
عمر بن يحيى 467-481- 495-502-504-505-511
عمر بن يغزي 558
عمر بن يغمراسن 430
عمر بن يغمراسن بن زيان 431
عمران الحبنوني 449- 450
عيسى بن حرزوز المكناسي 248
عيسى بن عبد الرحمن الرجراجي 402
عيسى بن محمد البطوئي 371-600
-غ-
الغالب بالله بن محمد المهدي 385 - 386
غالب بن علي بن محمد اللخمي الغرناطي 313-319

أبو سعيد عثمان المريني 77-242 - 244 - 246 - 248- 251-252-256-272- 275-276-279-276-309-319-321-440-445-461
أبو سعيد عثمان بن أبي العباس أحمد 80-84
أبو سعيد عثمان بن أبي بكر الرجراجي 323
أبو سعيد فرج بن عبد الله بن أبي سعيد السلوي 275-279
أبو شعيب أبي الحسن الأندلسي 308
ابو صباغ محمد بن محمد الزاهد 523
أبو طالب عبد الله بن محمد العزفي 306
أبو عبد الرحمن بن أبي القاسم القيسي الغرموني 283
أبو عبد الله ابن حياتي 525 - 526
أبو عبد الله ابن مرزوق جد الجد 201
أبو عبد الله أحمد المقري 303
أبو عبد الله أحمد بن العباس 577
أبو عبد الله الآبلي 209- 248-298
أبو عبد الله التميمي 526
ابو عبد الله التنسي 152-208-225-226-229
أبو عبد الله الجلاب 527
أبو عبد الله الحساني 559
أبو عبد الله الحضرمي 278
أبو عبد الله الدراج الأنصاري 302
ابو عبد الله الرندي 248- 249
أبو عبد الله السطي 248
ابو عبد الله الشريسي 229
ابو عبد الله الشريف 133 - 140 - 152 - 154 - 155-133-140-152-154-155-203-205-233-234-250-251-287-292-316-323-521-523-541
أبو عبد الله الطريفي 254-255 - 256 - 260
أبو عبد الله القسلي 235-620-621-622-623
أبو عبد الله القلشاني 209
أبو عبد الله القوري 94
أبو عبد الله الكفيف 202
أبو عبد الله المالقي 202
أبو عبد الله المقري 184-204-279-296-302- 342 - 346-348-541
أبو عبد الله الهواري 299-305
أبو عبد الله اليحصبي 203
أبو عبد الله اليفريني 337
الغبريني 204-217 - 218
غليوم بييرا 419

-ف-

الفتحاوي 3
فيرديناند 30-87-91
فيليب الثاني 30

-ق-

القائم بأمر الله 103-105-106-110-115
القادري 102
قاسم الحاج السعدي 391
قاسم الحفناوي 370 قاسم بن الحاج الإشبيلي 296
قاسم بن القاضي 366
القاسم بن رضوان 249
قاسم بن سعيد العقباني 185-190-191-211- 225-235
قاسم بن عمران الحضرمي 264-266-294- 299
القاسم بن محمد بن أبي عافية 411
القاضي طروق الأموي 386
القاضي عياض 6-166- 175-200-255-257- 266-369- 399
القباب أبو العباس أحمد 256-276- 280-281- 285-298-525-528-531
القرافي 520
القلصادي 191-208-235-530
القلقشندي 55

-ك-

الكاردينال زيمينيس 163
كعب بن زهير 363
الكلاعي البلنسي 587
الكونت دا لكوديت 47-48-471-607

-ل-

لالة الحمراء 265
لسان الدين ابن الخطيب 176-246-252-285- 204-246-250-269-272-278-2780-274- 276-281-304-310-311-315-317-365- 409- 526
لوبيز باريغا 108
ليبورك السملالي 358-400
ليبورك السملالي 370

ابو عبد الله بن ابي جمعة الوهراني 578
أبو عبد الله بن ابي عمران 305
أبو عبد الله بن الأزرق 190
أبو عبد الله بن الحفيد السلاوي 249-523
أبو عبد الله بن الصباغ المكناسي 249
ابو عبد الله بن الصفار المراكشي 541
أبو عبد الله بن النجار التلمساني 540
أبو عبد الله بن النجدي 525
أبو عبد الله بن رشيد السبتي 267-286-288
أبو عبد الله بن سعيد السلوي 275
أبو عبد الله بن شعيب الدكالي 203
أبو عبد الله بن عبد الرزاق 248
أبو عبد الله بن عبد السلام 249
أبو عبد الله بن عبد الله بن الامام 151
أبو عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي السبتي 309
أبو عبد الله بن عبد الواحد 255
أبو عبد الله بن محلي السبتي 292-297
أبو عبد الله بن محمد بن عمر الهواري 208-226
أبو عبد الله بن محمد بن محمد بن مرزوق 130
أبو عبد الله بن مشرق الراشدي 613
أبو عبد الله بن هارون 249
ابو عبد الله شعيب الدكالي 157
أبو عبد الله عبد المنعم الصنهاجي 303
أبو عبد الله مالك 595
أبو عبد الله محمد
أبو عبد الله محمد ابن الحمراء 28
أبو عبد الله محمد ابن رشيد السبتي 270 - 271 - 272 - 292 - 293 - 297- 308
ابو عبد الله محمد ابن غازي المكناسي 329
أبو عبد الله محمد الأنصاري القصري 293-298
أبو عبد الله محمد البطوي 227
أبو عبد الله محمد الثابتي 29- 131-135
ابو عبد الله محمد الحباك 235
أبو عبد الله محمد الحفصي 39-44
أبو عبد الله محمد الزياني 467
أبو عبد الله محمد السالمي 423
أبو عبد الله محمد الشافعي 200
أبو عبد الله محمد الطيب 421
أبو عبد الله محمد الفشتالي 310-311-584
أبو عبد الله محمد الكتامي 257-259
ليفي بروفنسال 368
ليفيو سانطو 336

-م-

ماخوخ الزناتي 56
مارمول كربخال 336
مالك ابن المرحل 54-240- 246 - 247-240-246-286-291-292-296-302-307-307-317-323
مالك بن أنس 132 - 153 - 175-248- 258-264-587-594-595
مالك بن أنس 132-153-175-198-289-361
المأمون السعدي 410
المأمون الموحدي 3-4-5-16-17
المتوكل على الله المريني 252- 339-457-529
محمد 308- 311
محمد أبلاغ 317
محمد ابن أبي مدين 248
محمد ابن الحاج البلفيقي 322
محمد ابن رشيد السبتي 303
محمد ابن علي بن سليمان السطي 248 - 249
ابن غازي 357-617
محمد ابن هدية القرشي 132-526-531
محمد أبو عبد الله التميمي القلعي 218
محمد أبي العيش الخزرجي 191
محمد الأنجري 257-259-307-313
محمد الباروني اليحصبي 213
محمد البرتغالي 84-98-99-100-101-105-109-110-327-464-465-466-473- 474-476-477-583-605
محمد البستيثني 320- 619-622
محمد التواتي 605
محمد الجابري 260
محمد الجديري السبتي 257 - 260
محمد الحران ابن محمد الشيخ 119-122-123-384-492-495-501-502
محمد الحلو 88
محمد الخامس 317
محمد بن علي الخروبي 500-507-508-509-588
محمد الزواوي 246

أبو عبد الله محمد المتوكل على الله 28
أبو عبد الله محمد المستنصر 24
أبو عبد الله محمد النجار 521
أبو عبد الله محمد الهزميري 308-314
أبو عبد الله محمد الورياغلي 325
أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الآبلي 152-205-
231-232-240-237-240-249-303-317 -
318-518 - 521 - 523-540
أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الحضرمي 221
أبو عبد الله محمد بن ابي القاسم بن مسونة 263-
266
أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الوقاد 382
أبو عبد الله محمد بن أحمد الزواوي 247-
248299
أبو عبد الله محمد بن أحمد الزواوي 294
أبو عبد الله محمد بن أحمد الفشتالي 298-304
أبو عبد الله محمد بن احمد اليسكني 576
أبو عبد الله محمد بن الرحمن الشهير بابن يجبش
التازي 595
أبو عبد الله محمد بن الصفار 249-250-294-
299
أبو عبد الله محمد بن العابد الأنصاري الفاسي
287-292
ابو عبد الله محمد بن القاضي المكناسي 321-328
أبو عبد الله محمد بن اللجام 202
أبو عبد الله محمد بن المجراد السلوي 275-278
أبو عبد الله محمد بن النجار التلمساني 232-233-
234-235
أبو عبد الله محمد بن جعفر 177
أبو عبد الله محمد بن داوود ابن آجروم 293-
298
أبو عبد الله محمد بن راشد 387
أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي 89-94-
95-386-390
أبو عبد الله محمد بن شقرون هبة الله الوجديجي
572
أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان
التلمساني 198
أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الجزولي 104-
110
ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكراسي 320
محمد السعيد بن أبي عنان 271-272
محمد الشريشي 314
محمد الشطيبي 597
محمد الشيخ السعدي 327-328-339-383-
384-385-386-387-462-467-490-491-
492-493-494-495-495-497-498-499-
500-504-505-507-508-509-510-515-
573-579-585-622
محمد الشيخ المأمون 367
محمد الشيخ الوطاسي 84-88-92-93-95-97-
99 329-332-333-617
محمد الصادق عفيفي 324
محمد الطرطوري 256-258
محمد العباسي النحوي 257-257 - 260
محمد العبدوسي التغلبي 596
محمد العربي الغرناطي الأندلسي 226
محمد العربي الفاسي 358-359-362-365-
369-370-374-393-402-414-58-612
محمد الفاتح 473
محمد الفاسي 283
محمد الفرديس التغلبي 528
محمد الفشتالي 304
محمد القائم بأمر الله السعدي 488
محمد القبلي 210- 270-274
محمد القصار 416
محمد القصري 118-119-491
محمد الكراسي 332- 467
محمد اللحياني 257- 258-260-320
محمد اللحياني 314
محمد المأمون الحفصي 358-400
محمد المجاطي 526
محمد المختار السوسي 421
محمد المرابط الدلائي 412
محمد المكي الناصري 415
محمد الشيخ السعدي 105-106-107-108-
109-110-111-112-113-114-115-116-
117-118-119-120-121-122-123-124-
125-126-256-258- 349-355-356-380-
381-383-470-471-512- 513 - 514-557-
569-576

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكراسي 326
أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ان الجلال التلمساني 382-470
أبو عبد الله محمد بن عبد الله المراكشي 308
أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي 291-296
أبو عبد الله محمد بن علي البهلول 613
أبو عبد الله محمد بن علي الجزولي 248
ابو عبد الله محمد بن علي الشاطبي 319
أبو عبد الله محمد بن علي العصامي 227
أبو عبد الله محمد بن علي المازري 200
أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن هشام 291
أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن هشام 296
أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي 292
أبو عبد الله محمد بن عمرو التميمي 234
أبو عبد الله محمد بن عيسى 81-413
محمد بن غازي 283-325-279
أبو عبد الله محمد بن قاسم المزوار 279
أبو عبد الله محمد بن محمد المقري 526 - 527
أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقري القرشي 279-282
أبو عبد الله محمد بن يجيش التازي 331
أبو عبد الله محمد بن يوسف المزدغي 522-287-292
أبو عبد الله محمد بوراس المعسكري 333
أبو عبد اله محمد بن ابراهيم الآبلي 152-202-203-205-206-223
أبو عبد محمد بن هبة الله الوجديجي 624
أبو عثمان بن مليح اللمطي 527
أبو عثمان سعيد العقباني 303
أبو عثمان سعيد بن ابي بكر الرجراجي 330
أبو عزة زيدان 17-18
أبو عصيدة بن الواثق الحفصي 26
أبو علي الحسن بن عبد الرحمن الكياني 217
أبو علي الحسن بن مخلوف أبركان 134-141-156-162-169
أبو علي الشلوبين 291-296
أبو علي المشذالي 518
محمد الناصر الموحدي 4-5
محمد النفس الزكية 101-102
محمد الهادي بن عبد الله بن هود 6
محمد الهبطي 356- 398-578-579
محمد الوقاد 558
محمد بن ابراهيم الآبلي 181-249
محمد بن ابراهيم الدكالي 397
محمد بن ابراهيم الرسموكي 383
محمد بن ابراهيم بن اسحاق الأنصاري 296
محمد بن ابراهيم بن الإمام 215-237
محمد بن ابراهيم بن الحاج البلفيقي 540
محمد بن ابي احمد بن قاسم العقباني 527
محمد بن أبي الحجاج الجزولي 243
محمد بن أبي بكر الدلائي 357-366-389-392-393-399-411
محمد بن ابي بكر العياشي 389
محمد بن ابي جمعة التلالسي 233
محمد بن أبي عمران المغيلي 206
محمد بن أبي محمد بن أبي عنان 85-86
محمد بن أحمد الجزولي الرسموكي 423
محمد بن أحمد العثماني التكمدارتي 560
محمد بن أحمد بن النجار التلمساني 215
محمد بن احمد بن الوقاد 579 - 580
محمد بن أحمد بن عافية 422
محمد بن أحمد بن عبد الله اليفريني 312-319
محمد بن أحمد بن قاسم العقباني 215
محمد بن الأبار 576
محمد بن البقال 293-298
محمد بن الحاج البلفيقي 317-380
محمد بن الحاج نوار 389
محمد بن الحسن اليحصبي الشهر بابن الباروس 525
محمد بن الحسن بن عرضون 590
محمد بن الرسموكي 382
محمد بن الصباغ البعقيلي 249-375-424
محمد بن الصباغ الخزرجي 298-303 - 304
محمد بن العباس التلمساني 191
محمد بن الفتوح التلمساني 518
محمد بن الفقيرة الزروالي 370
محمد بن القاسم القوري 337

أبو علي بن عبد الرفيع 249
أبو علي بن وانودين 60
أبو علي حرزوز المكناسي 330-619
أبو علي حسن المسفيوي 425
أبو علي حسن بن ابراهيم بن سبع 227
أبو علي عمر بن محمد الرجراجي 312
أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي 522
أبو عمر السرخاتي ابن الملاح 259
أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري 198
أبو عمران الفاسي 304
أبو عمران موسى العبدوسي 525-528
أبو عمران موسى الوزاني 345
ابو عمران موسى بن علي الأغصاوي 310-315
أبو عمرو القسطلي 348-370
أبو عمرو عثمان الحفصي 28-29
أبو عنان بن يغمراسن بن زيان 431
أبو عنان فارس المريني 78- 145-146-169-205-232-233-241-242-244-245--248-249-250-253-260-261-262 - 263 - 264 - 265 -270-274-278-282-283-287-288-294-298-304-305-305-307-309-313-314-316-320-322-347-378-447-448-449-450-451-452-453-454-523 - 524-525-527-536 - 538-540
أبو فارس الحفصي 80-86
أبو فارس الملزوزي 306-312
أبو فارس الورياغلي 324
أبو فارس بن عبد العزيز 251
أبو فارس عبد العزيز الزياني 396
أبو فارس عبد العزيز المريني 455-456-459
أبو فارس عبد العزيز بن عمر بن مخلوف 204
أبو فارس عبد العزيز بن موسى الورياغلي 82-90
أبو فارس عبد الله الواثق بن أحمد المنصور 348
أبو فارس عزوز 27-28
أبو قصبة الجزولي 7
أبو مالك الزياني 27-28
أبو مالك عبد الواحد 247-248-308-460
محمد بن القاسم بن القاضي350- 371-373-415-423
محمد بن القاضي 351
محمد بن بكر الأنصاري 230
محمد بن تاويت الطنجي 324
محمد بن جزي الكلبي 249-250 - 251-540
محمد بن جيدة الوهراني 619
محمد بن حسن بن عرضون 594
محمد بن سالم الحناوي 279
محمد بن سحنون 253 - 254
محمد بن سعيد المرغيني 424
محمد بن سعيد بن أبي عنان فارس المريني 275
محمد بن سليمان الجزولي 106-362
محمد بن شقرون 326 - 328
محمد بن صالح شقرون 227
محمد بن صعد الأنصاري 226-229
محمد بن عبد الجبار الفجيجي 575
محمد بن عبد الجبار الورنيدي 528
محمد بن عبد الرحمن التكمدارتي 103-559
محمد بن عبد الرحمن التمنراتي 561
محمد بن عبد الرحمن الحوضي التلمساني 215
محمد بن عبد الرحمن الزروالي 396
محمد بن عبد الرحمن الكفيف السويدي 171
محمد بن عبد الرحمن بن جلال 579
محمد بن عبد الرحيم بن يجيش التازي 530-605
محمد بن عبد العزيز الرسموكي 410
محمد بن عبد القوي 434
محمد بن عبد الكريم المغيلي 210-211-553-588-589-594-596-615-616-617-623
محمد بن عبد الله التنسي 155 - 156 - 166 - 173
محمد بن عبد الله الرجراجي 357
محمد بن عبد الله الزموري 374
محمد بن عبد الله الزياني 46-47-48-49-102
محمد بن عبد الله الهبطي 370-374-399
محمد بن عبد الله بن قاسم المزوار 276
محمد بن عبد الله بن يعقوب 374
محمد بن عبد الله حافي رأسه 184
محمد بن عبد النور 213- 234-540

أبو محمد الجمي 249
أبو محمد الزواوي صالح الرياحي الدكالي 529
أبو محمد الشاطي 587
أبو محمد الفضل 292-297
أبو محمد المجاصي 526
أبو محمد المنوفي 184
أبو محمد بن الجد الفهري 257
أبو محمد بن تافرجين 445
أبو محمد بن شاري 292-297
أبو محمد بن عبد الحق بن محيو 281
أبو محمد بن عبد الرحمن بن علي بن سقين السفياني 328-421
أبو محمد بن عبد المؤمن بن يوسف المديوني 227
أبو محمد بن يحيى البهلولي 325
أبو محمد صالح 282-286
أبو محمد عبد الحق بن ابي خالد محيو بن ابي بكر حمامة بن محمد المريني 285 - 286
أبو محمد عبد الله البياسي 3
أبو محمد عبد الله الزياني 459-460
أبو محمد عبد الله الطريفي 255
أبو محمد عبد الله الغصنوني 615-617
أبو محمد عبد الله بن الصباغ السلوي 275
ابو محمد عبد الله بن الصباغ السلوي 278-279
ابو محمد عبد الله بن سعيد السلوي 279
أبو محمد عبد الله بن عمر المطغري 609
أبو محمد عبد المنعم بن محمد يوسف بن عتيق الغساني 217
أبو محمد عبد الوهاب 199-227
أبو محمد علي الورياغلي 301-306
ابو مدين شعيب 144-202-259-261-282-534 - 537
أبو مروان عبد الملك المعتصم 340
أبو معرف محمد بن عبد الحق 63-64-65
أبو منصور الوزاوي 223
أبو مهدي المواسي 616
أبو مهدي عيسى التوجيني 599
أبو مهدي عيسى الغبريني 209
أبو موسى أخ المأمون 5
أبو موسى عمران المشدالي البجائي 132- 143 - 153 - 154 - 204-526
محمد بن عبيد الأنصاري الاشبيلي 257-302-308
محمد بن عثمان الزياني 436
محمد بن عسكر 345-569-572-612
محمد بن عطية الأصم 440
محمد بن علي البعقيلي 420
محمد بن علي الجزولي 268-271-269-559-584 - 595 - 597-619-620-621-622-623
محمد بن علي الدرعي 624
محمد بن علي الزروالي 403
محمد بن علي الشطيبي 356-374-376-589
محمد بن علي الغساني 293-298
محمد بن علي الفشتالي 410
محمد بن علي القنيطري 562
محمد بن علي المديوني 306
محمد بن علي المليلي 247-248
محمد بن علي الهوزاني 341- 409
محمد بن علي بن ابراهيم الآبلي 311-316
محمد بن علي بن العابد الأنصاري 307-313
محمد بن علي بن أملال المديوني 301-306
محمد بن علي بن سليمان السطي 247-297-302
محمد بن علي بن عبد الرزاق 266-269
محمد بن علي بن عمران الادريسي 82-83-90-91-92-93
محمد بن علي بن فشوش 237
محمد بن علي بن قاسم المرسي 227
محمد بن علي بن هانئ 258
محمد بن عمر الأنصاري 307
محمد بن عمر الشاوي 344
محمد بن عمر الوهراني 529
محمد بن عمر بن رشيد السبتي 307-313
محمد بن عمر بن فتوح 525
محمد بن عمر تومرت 293-299
محمد بن غازي المكناسي 336-562 - 563-569-574-575-589-594-600-601 - 604-623
محمد بن قاسم ابن القاضي 367
محمد بن قاسم القوري 300-306 - 319
محمد بن قاسم بن تومرت 178-237
محمد بن مبارك 103-379

أبو موسى عيسى بن الامام 131-142-151-203-231-245-249-521-539 - 540
أبو موسى عيسى بن علال المصمودي 525
أبو نعيم الأصبهاني 175-369-381
أبو ولي الدين العراقي 209
أبو يحيى أبو بكر المريني 65-66-67-68-69-428-428-429
أبو يحيى الحفصي 26-27- 444-445 يحيى بن موسى السنوسي 444
أبو يحيى الشريف 208
أبو يحيى زكريا 9
أبو يحيي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني 525
أبو يعقوب المجكسي 292-297
ابو يعقوب الوطاسي 295-301
أبو يعقوب يوسف الزياني 154 - 155
أبو يعقوب يوسف بن موسى الغماري المحاسني 523
أبو يوسف أحمد بن مخلوف الهكسوري 74
أبو يوسف يعقوب المريني 69-70-71-72-73-74-75-76-77-145 - 149-202-203-243-245-246-247-250-251-258-259-261-262 - 263-264 - 265 - 274 - 275-271-272-281-282-285--305-311-312-316-429-430-431-432-433-434-435-346-437-438-534-539
أبوزيد عبد الرحمن بن علي 170
أبوعنان فارس المريني 250 - 251 - 278
أبي زيد القيرواني 360
أحمد ابن زكري 152 - 154
أحمد ابن سحنون الراشدي 170
أحمد ادريس 528
أحمد أدفال 370-414
أحمد الأعرج 105-106-107-108-109-110-111-112-113-115-116-117-118-120-123-126-386-470 - 471-488-490-491-512
أحمد الأموي 386
أحمد التادلي الصومعي 416
أحمد التزركيني 400
أحمد التسولي 619
محمد بن محمد ابن السكاك العياضي 258
محمد بن محمد البغيثي 268
محمد بن محمد الدلائي 393
محمد بن محمد الرحماني 397
محمد بن محمد العبدري 255
محمد بن محمد الفاسي 396
محمد بن محمد المساري 496
محمد بن محمد المقري 288-293-317-323
محمد بن محمد الميقاتي الطحان 421
محمد بن محمد بن السكاك العياضي 256
محمد بن محمد بن المجراد الفنزازي 307308-311-313
محمد بن محمد بن بيبش العبدري 257
محمد بن محمد بن داود الصنهاجي 265-268
محمد بن محمد بن علي الدكالي 334
محمد بن مروان المعافري314- 321
محمد بن مسعود الوغزاني 460
محمد بن مليح السراج 371
أحمد بن القاضي 306
محمد بن موسى العبدوسي 299-305
محمد بن ناصر الدرعي 391
محمد بن هاني اللخمي 256
محمد بن هدية القرشي 132-220-222-229-234
محمد بن يجبش التازي 358
محمد بن يحيى الباهلي المسفر 297-302-307-313
محمد بن يحيى البهلولي 329-605
محمد بن يعقوب الأيسي 370-376
محمد بن يغمراسن بن زيان 435
محمد بن يوسف الترغي 394-396-397
محمد بن يوسف التنملي 371-569
محمد بن يوسف الزياني 440
محمد بن يوسف السنوسي 141-170-174-178-209-210-214-226-231-235-358-530-574-577-578-587-589-590-591-617
محمد بن يوسف المغراوي 442
محمد بن يوسف بن الأحمر 9
محمد حجي 324-343

أحمد الحاج العامري 171
أحمد الدغدوغي 405
أحمد الدقون الأندلسي 569
أحمد الزموري 344
أحمد الزياني 470 - 471-493-498-499-500-501-571
أحمد السوسي الجذولي 559
أحمد الشاو 389
أحمد الشعار 275-294-299
أحمد الصوسعي 358-362-369-381
أحمد العاقل الزياني 461
أحمد الغزاني الفاسي 331
أحمد الغماري 170
أحمد الفردیس التغلبي 350- 410
أحمد القاضي الزواوي 604 - 606
أحمد القباب الجذامي 258
أحمد المريني 457
أحمد المقري 358-359-367-369-381-414-598-569
أحمد المنجور 328
أحمد المنجور 341-342-343 351-356-358-359-360-372-401-409-411-415-416-421-423-590 - 591
أحمد النمشي 324
أحمد الوطاسي 84-110-111-112-113-114-116-117-118-119-120-121
أحمد بابا التنبكتي 380-401-581-359-368
أحمد بابا التنبكتي 551
أحمد بابا التنيكسي 348-551
أحمد بالعاقل 134 156 - 169
أحمد بن ابراهيم الجازوطي 562
أحمد بن أبي المحلى 372
أحمد بن ابي جمعه الوهراني 216
أبو حمو موسى الثاني 217
أحمد بن ابي حسون 513
أحمد بن ابي محلى 575-612 - 613-622
أحمد بن أبي يحيى الحفصي 444
أحمد بن البوسعيدي الدرعي 558 أبو القاسم التفونتي 558
أحمد بن الحسن الغماري 226-538
محمد شقرون المغراوي 569-577
محمد شقرون الوجديجي 569
محمد عبد الملك 558
محمد علي الحفار الأنصاري 26
محمد قلاوون 245
محمد ميارة 358-360-361-371
محمد هبة الله الوهراني 557
محمد يجبش التازي 366
مرادالثالث 584
المرتضى الموحدي 71-72-73-457-428
مريم بنت محمد الفهري 263-265
مسعود الزواوي 256-258
مسعود الزياني 45- 466
مسعود بن الناصر 99-111
مسعود بن جلداسن 73
مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي 455
مسعودة أم أحمد المنصور 348-384
مصباح بن عبد الله الياصلوتي 277-281
مصعب بن عمير الأزدي 351
مفضل بن محمد الدلائي 271-274
المقري الجد 101-152- 203-152-203-222-223-233-283-397-521
المقري الحفيد 152
المقريزي 185
الملزوزي 332-431
المنتصر بن الناصر 3-7
منديل بن محمد الكناني 203
المنصور الذهبي 340-341 - 342 - 343 - 344 - 345 - 346 - 347-349-351-356-357-362-365-371-372-375-382-384-386 - 387-392-393-401-405-406-409-410-413-414-415-416-419- 421-424-557-560-579-581 - 582-584-585-598
المنصور المزوار 123
منصور المليكشي 24
منصور بن أحمد المشذالي 177
المنصور بن غانم 48-49-467-471-498-499-500-501-502-515-514-571
منصور بن محمد المؤمني العبد الوادي 383
منصور زواوي 177-235

أحمد بن الحسن المديوني التلمساني 213
أحمد بن الحسن بن عرضون 411
أحمد بن الشريف العلمي 387
أحمد بن القاسم الصومعي 351-569-582
أحمد بن القاسم بن عبد الرحمن القباب303
أحمد بن القاسم بن معيون 425
أحمد بن القاضي 268-271-272-288-293-
313-323-341-357-361-367 - 368-370-
372-373-380-393-396-401-412-413-
415-422-477-563-601-612-623-624
أحمد بن المعز 459
أحمد بن حميدة المطرفي 373-374-425
أحمد بن حنبل 181-200
أحمد بن زاغو 141-208-210-225
أحمد بن زكري 152-154-185-191-208-
210-616
أحمد بن شعيب الجزنائي 315-321
أحمد بن عاشر الأندلسي 274
أحمد بن عبد الحميد المراكشي 420
أحمد بن عبد الله الزواوي 210-359
أحمد بن عبد الله الزياني 49- 122
أحمد بن عبد الله المنزول 611
أحمد بن عبد الله بن أبي حمو الثالث 49
أحمد بن عبد الله بن أبي محلى السلجماسي 424
أحمد بن عبد الله بن يعقوب السملالي 418-421
أحمد بن عثمان بن أبي دبوس 447
أحمد بن عرضون النجلي 361
أحمد بن علي البوسعيدي 369-381
أحمد بن علي الحسني الفاسي 312
أحمد بن علي السملالي 393
أحمد بن علي الصنهاجي الزموري 397
أحمد بن علي القطيبي 611 - 612
أحمد بن عمر المزدكلي 289-295
أحمد بن عيسى أبركان 368-538
أحمد بن غازي المكناسي 577 - 578
أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني 191-214
أحمد بن محمد التلمساني 577
أحمد بن محمد الدرعي الملقب بأدفال 558
أحمد بن محمد الدلائي 373
أحمد بن محمد السفياني 376
المنصور سليمان المريني 455
المهدي السعدي 337
المهدي بن تومرت 2-6-65-261-270-274-
284-288-289-359-395-400
المهلب بن أبي صفرة الأزدي 351
موسى بن أبي عافية 351
موسى بن سعيد الزواوي 333
موسى بن علي الكردي 442-443
موسى بن محمد العبدوسي 299-304-523
موسى بن يحيي المازوني 204
مولاي زيان الوطاسي 99-513
زيدان ابن أحمد الأعرج 119
مولاي سليمان 264-266
مولاي عمار 121-123-124-126-503
-ن-
ناصر الدين المشدالي 157-161-200
الناصر الوطاسي 106-513- 577 - 578
الناصر بن أبي الحسن المريني 449-450
الناصر بوتنتوف 107
الناصر محمد قلاوون 246
نظام الملك السلجوقي 148
-هـ-
هارون الرشيد 162
هارون بن اسحاق اليهودي 82-89-90- 375
هايدو 465-466-471 - 473 - 474 - 476-
496
الهندي 231
هيغو دو منياد 43
-و-
الوادي آشي 190-191-293
ونزمار بن عريف 449-450-452
الونشريسي 126-157-191-263-204-206-
209-211-214-225-289-305-311-316-
380-386
-ي-
يحي الحاجي 370
يحيى المغيلي المازوني 191
يحيي الوازعي 529
يحيى أوتافونت 104-406-407-408
يحيى بن أبي زكريا الوطاسي 88

أحمد بن محمد الشاوي 388
أحمد بن محمد الشيخ 571
أحمد بن محمد الفيجيجي 530
أحمد بن محمد المقري 526
أحمد بن محمد النقري السراج 294-299
أحمد بن محمد الوليتي الطاطائي 424
أحمد بن محمد بن جيدة الوهراني 578
أحمد بن محمد بن عاشر الأنصاري
278-289 - 294
أحمد بن محمد بن موسى الحسناوي الهمساسي
275-279
أحمد بن محمد بن يوسف الدقون 307
أحمد بن معيوب الأندلسي 373
أحمد بن موسى السملالي 370-610
أحمد بن يحيى الونشريسي 230-266-295-
303-324-525-576-577-595-596
أحمد بن يحيي الونشريسي 531-589
أحمد بن يحيي بن حمزة البهالي التملي 383
أحمد بن يدير 211
أحمد بن يوسف التملي 582
احمد بن يوسف الزياني 580
أحمد بن يوسف الملياني 609 - 610 - 610 -
611 - 612-624
أحمد جبار 317
أحمد حجي الوهراني 530
أحمد زروق البرنسي 300-301
أحمد قاسم الحجري 361
الأخوان الفغول 500
الإخوة بربوس 473
ادريس الأول 138
ادريس الثاني 138-351
ادريس الهنتاتي 11
يحيي بن أحمد السراج الحميري 289-294
يحيي بن حمزة التنملي 383
يحيى بن خلدون 15-16-155-223-224-228-
234-456
يحيى بن زيان الوطاسي 81
يحيي بن سعيد الكراسي 370
يحيى بن غانية 8
يحيي بن منديل 294-299
يحيى بن موسى الجمي 443
يحيى بن يحيى الليثي 266-269
يعقوب التسولي 81
يعقوب المنصور الموحدي 7-58-307
يعقوب بن الدارس 320
يعقوب بن عبد الحق المريني 25-323
يعقوب بن يحيى البدري 337-422
يعقوب بن يوسف الرميكي 333
يغمراسن بن زيان-10-15-18-20-21-22-23-
24-25-67-68-69-71-74-75-129-130-
138-139-140-189-190-198-201-202-
217-218-222-247-311-427-428-429-
430-431-432-433-434-435-442-539
اليفريني 102-111-339
يوسف ابن الحكم 247
يوسف الجزولي 525
يوسف الحزام 245
يوسف الزواوي 522
يوسف الغفاري التلمساني 17
يوسف المستنصر بن الناصر 6
يوسف بن تاشفين 139 - 147
يوسف بن حيون الوهراني 440
يوسف بن عبد الله السلامي 361
يوسف بن عبد المؤمن 3-6
يوسف بن موسى الغساني 266-296-301
يوسف بن يعقوب المريني 25-26-54-77-260-
263-281-429-440-521

فهرس القبائل

-أ-
الأحلاف 495-498
أوربة 62
أولاد خراج 498
أولاد رحيل 380
أولاد رياح 22-61-62
أولاد طلحة 498
أولاد مهلهل 444
آيت عمرو 380
-ب-
البرانس 60
البربر8-28-53-62-64-159
بطوية 62
بنو أبي العيش 519
بنو أرلو 13-15
بنو الأثيج 71
بنو الأحمر 187-430-433
بنو العاصم 71
بنو القاسم 13-15
بنو بادين 14
بنو بحر 62
بنو بكر 101
بنو بهلول 5
بنو توجين 13-14-16-21-22-23-25-77
بنو تومرت 13-15
بنو تيغرس 13
بنو جابر 71
بنو جرار 452
بنو حفص 24-27-78-80-129-186-445-453
بنو حماد 553
بنو حمامة 64
بنو دركول 388
بنو راشد 13-14-17-18-42-48-94-113-514-515-578-606
بنو رهطف 13-15
بنو زردال 13-14
بنو زروال 390-393
بنو زنداك 13
بنو وطاس 81-83-84-85-88-89-91-104-117-119-120-121-126-320-326-328-462-478-496-496-512-586
بنو يازغة 62
بنو ياكتين 13-15
بنو يرتيان 13-62
بنو يرذال 13
بنو يزناسن 43
بنو يعقوب 28
بنو يعلى 15
بنو يفرن 13
بنو يكتين 15
بنو يلومي 13-14-15
بنو يوسف 62
بني سمغون 613
بني سنوس 559
-ت-
ترارة 499
توجين 432-433-434-436-440-442-447-448-456
-ث-
الثعالبة 36-441
-ج-
جراوة 13
جزولة 558
-ح-
الحرشة 529
حصين 449
-خ-
الخندق 529
-د-
الديالم 449
-ذ-
الذواودة 25-28-32-453
-ز-
زكارة 62
زناتة 11-13-15-17-22-23-53-56-57-62-75-427-432-442-449-453
زواوة 36-510-613

بنو زيات 581
بنو زيان 29-75-78-129-130-135-
136171-172-186-192-194-195-202-
203-221-227-228-229-249-446-470-
476-449-511-518-533-539-542-552-
573-583-586
بنو سعد 101-462
بنو سفيان 71
بنو سليم 22-24
بنو سيتان 62
بنو عامر 28-29-171-450-453-454-455-
457-458-509-606
بنو عبد الواد 10-13-14-15-16-17-18-19-
24-26-56-75-85-86-223-228-229-308-
427-428-430-431-439-440-446-457-
580-581
بنو عسكر 281-286
بنو غانية 6-7
بنو كانون 62
بنو مرين 5-10-13-14-15-16-20-22-25-
27-28-30-53-54-55-56-57-58-59-63-
65-68-69-72-75-76-78-81-85-88-93-
95-104-128-186-187-202-203-229-
233-240-243-258-259-260-263-265-
269-273-275-279-281-282-283-284-
285-286-287-288-289-290-301-305-
307-308-311-313-315-319-427-428-
429-430-431-432-433-434-435-439-
444-445-446-447-450-453-454-455-
457-458-459-460-461-517-518-519-
528-537-538-542-543
بنو مزاب 591
بنو مصاب 13-14
بنو مطهر 15-17-18
بنو مكود 62
بنو منديل 22
بنو نصر 85
بنو نصر 8-70
بنو هوازن 101
بنو وارتين 62

-س-

السراغنة 519
سويد 28-29-171-442-449-452-454-455-
606

-ص-

صنهاجة 7-14-60-62-75

-ع-

عرب المعقل 454-458
عرب أنجاد 47
عرب حصين 450-458
عرب رياح 281
العطاف 449

-غ-

غمارة 7-62
غياثة 62

-ق-

قبائل الشراقة 573-610
قبائل الهبط 90
قبائل مديونة 573
قبيلة التسول الزناتية 529
قبيلة عطة 60
قريش 101

-ك-

كتامة 62-70
كزناية 62
كومية 219

-ل-

لمطة 62

-م-

ماريوت 62
مجاصة 62
مسفيوة 344
مسوفة 7
المصامدة 64-67-71-72-430
مضر 53
مطغرة 578
مطلاسة 62
مغراوة 13-16-21-22-23-25-77-434-436-
439-440-442-447-448-456-528
مقورة 529

-ن-

بنو واسيلت 62	النابهة 380
بنو واسين 13-14-53	نصوحة 13-15
بنو وامانو 13-14-15	-هـ-
بنو ورنيد 13	هكسورة 65-73

فهرس الأماكن و المدن

آبلة 231
أدغار 335
أرغون 543
الأرك 58
أزفون 440
آزمور 73-99-100-106-107-109-111-114-
115-277-280-490-491
اسبانيا 30-32-37-123-406-495-513
استنبول 45-346-352-515-583-584-600
آسفي 71-99-105-106-107-108-109-111-
112-114-115-240-277-280-488-490-491-
614
الاسكندرية 184-244
الأسكوريال 346
آسيا 335-417
اشبيلية 8-9-10-186-193-259-259-291-296-
306-361-534
آشير 7
أصيلا 82-87-88-96-97-98-100-101-109-
111-121-325-480-499-500-501-605-614
الأطلس 87-99-109
الأطلس الصغير 353
الأطلس الكبير 113-116-353-504
الأطلس المتوسط 392
أغادير 489-490
أغبال 509
أغمات 73-277-280
افريقيا 6-334-335-336-417
افريقيا السوداء 21
افريقية 148
افريقية 8-9-10-11-25-54-65-66-67-68-212-
233-241-242-243-244-249-250-313-444-
445-449-451-452-453-461-521-527
أفوغال 106-110
أقا 89-103-379
أقبو 441
أكادير 104-405-107-111-113-114-115-130-
138
أكسبورغ 123

-س-

ساقية عبولة 70
سانتاكروز 490-498
سبتة 6-9-10-80-85-86-87-91-93-94-97-121-
148-201-219-220-232-240-240-240-246-
245-257-264-277-280-290-291-292-295-
296-297-302-308-321-432-480-521-523-
523-527-562
سجلماسة 7-9-14-57-110-112-123-428-429-
433-450-457-523
سدراتة 60-61
السرسو 439
سطيف 32-34
سكاك 448
سلا 70-71-85-89-240-273-275-277-278-
279-282-283-285-286-287-461-531-543-
614
سلجماسة 101
سنغاي 212
السودان الغربي 35-54-136-212-329-335-406-
414-417-474-550-554-554-555-555-556-
557-574-583
سوريا 473
السوس 6-7-53-74-87-97-103-104-105-109-
110-112-113-115-119-125-323-330-331-
333-335-345-370-374-377-379-381-383-
390-404-413-414-501-582
السوس الأقصى 77-78
سيدي بلعباس 445

-ش-

الشاظمة 105
شالة 242-286
الشام 53-179-180-200-205-247-263-265-
293-298-326-517-520-521-526-527
الشاوية 81-88
شبه الجزيرة الابيرية 96
شرشال 34-77-436-450-543
الشرق الأوسط 346
شفشاون 93-94-96-100-111-113-351-386-

أكفادو 441
أكوز 105
ألمرية 290-438
امارة بني جلاب 463
امارة بني عباس 32-463
امارة تنس 463
امارة علاهم 463
امارة كوكو 32-34-36-463
الإمبراطورية العثمانية 40
أمصلوت 389
أنجاد 87-451
الأندلس 2-3-5-7-8-9-10-25-28-29-30-37-39-58-59-67-71-76-77-78-81-129-136-140-144-162-163-164-182-183-186-187-189-192-195-203-205-212-252-217-219-220-222-231-232-240-249-250-251-259-259-261-263-265-265-268-271-273-274-276-277-292-312-314-318-320-321-329-332-348-369-381-392-406-430-431-432-433-435-441-470-473-517- 522-524-526-527-534-544-577-586- 596-605-607-613
الأندلس 76-77-78-81
آنفا 263-277-280
آنفي 240
آنماي 89-478
الأوراس 13-28
أوربا 335-346-417-419-473-548-58- 614
آيت اسحاق 387
ايسلي 428-431

- ب-

باب الحديد 276
الباب العالي 490-546
باب ايلان 154
باب دكالة 348-379-384
باب سيدي بوجمعة 151
باب كشوط 151
بادس 119-120-121-123-124-240-240-386-462-478-481
بجاية 6-7-9-20-26-32-34-35-36-37-38-40-177-181-184-200- 206-208-209-215-218-389-462

شلف 169-439-440-441-448-449-450-451-452-454-520
شمال افريقيا 78-473-489-553-583-600-614
شيشاوة 106

-ص-

الصحراء 549-550
الصحراء الجزائرية 554
صفرو 389
الصفصاف 501
صقلية 583
الصومعة 560

-ط-

طرابلس 584
طريف 78
طنجة 82-85-86-87-88-90-91-93-96-97-100-121-240-264-276-277-280-432-480-562-614
طيبة 298-340

-ع-

العباد 144-169-201-202-259-259-261-277-278-282-534-536-537-538
العرائش 97-98-408-478-614
العراق 263-265-517-521
عرفان 265-267
علوان 263
عمي موسى 441
عميرة 125
عنابة 443
عين الحوت 234
عين تموشنت 509

-غ-

غاو 212-555
غرناطة 8-10-29-37-95-163-186-193-217-221-222-292-298-332-430-473-517-523-524-543-577-607-613
غساسة 97-479-480
غمارة 93-329-361-560

-ف-

فاس 15-27-28-42-60-61-62-67-69-72-74-

-443-442-441-440-435-417-335-297-223
-526-522-520-474-452-449-447-445-444
614-604-583-553-543-528-527
البحر الأبيض المتوسط 473-476-504-511-545-
547
البرتغال 29-35-80-92-93-95-96-98-100-105-
383-122-121-106
برج الشيخ 98
برشك 77-131-142-151-203-436-440-450
برغواطة 6
البريجة 97-98
بسكرة 32-48-203
البصرة 148
البطحاء 14-15-77-436-454
بعقيلة 331-380
بغداد 135-148-163-182
البقاع المقدسة 183-417
بلاد الجريد 7-55
بلاد الريف 65-67-87
بلاد الزاب 447
بلاد القبائل 32-33-34-441
بلاد بني مزاب 592
بلاد توجين 435-449
بلاد زواوة 613
بلاد مغراوة 431-435-449-450-451
بلخ 148
بلنسية 9-186-543
البندقية 35-335-473
بني جلاب 506
بني سنوس 497
بني ملال 352
بورمان 89
بوعبقة 112
بوعزون 503
بونة 24
بيت المقدس 230-292-293-297-298
-ت-
تاجرارت 130-139
تاحجموت 459
تادلا 73-75-89-112-117-335-352-392-491-
-93-92-91-90-89-87-86-85-83-82-81-75
-117--116-112-111-110-109-100-97-99
-204-184-182-126-125-124-120-119-118
-262-256-255-150-240-232-231-223-208
-272-271-270-269-266-265-264-264-263
-282-281- 279-278-277-276-275-274-273
-293-292-284-283-282-295-294-288-287
-328-327-323-322-312-311-310-308-306
-350-348-347-346-344-337-336-330-329
-376-372-371-370-369-368-367-352-351
-392-389-388-387-386-385-384-380-380
-428-427-414-413-409-405-404-397-394
-462-461-460-459-455-448-435-430-429
-492-490-482-475-474-472-471-470-467
-510-509-508-505-501-499-496-495-494
-523-522-521-520-519-517-513-512-511
-547-543-532-531-528-527-526-525-524
-563-562-557-556-555-553-552-550-548
-576-575-575-574-573-572-569-568-564
-614-596-586-582-581-580-579-578-577
619-618-617-616-615-615
فحص أزغار 62
فحص حسون 57
فحص حمزة 450
فرنسا 419
فزاز 428
فلسطين 53
فيجيج (فيقيق) 14-20-55-574-575-613
-ق-
القاهرة 135-162-182-219-319-346-352-421-
524-520
القدس 292
قراقش 584
قرطبة 7-135-139-162-186-190-193
القسطنطينية 473-479-480
قسنطينة 7-9-20-26-32-33-48-80-177-204-
614-576-574-570-554-447-444-443-440
قشتالة 3-8-30-60-62-314-320-433-447
القصر الصغير 86-87-121-480-500-501
القصر الكبير 85-88-97-120-277-280-396-

560-513-512
تادمايت 441
تارودانت 107-109-111-115-349-372-379-
380-381-383-384-424-492-543-550-557-
564-579-580-582
تازا 95-120-124-240-240-242-261-276-
280-352-428-429-440-458-459-510-529
تازا 95
تازجدت 77
تازغوت 389
تاسردت 7
تاصروت 389
تافرطاست 61-281-285
تافنا 11-498-500
تافيلالت 87-113-263-265-345-353-386-471-
499-616-618
تالموت 436
تاليوين 331
تامزات 333
تامزيزدجت 24-68436-443-446
تامسنا 71-335
تاهرت 13-55
تاوريت 20-445
تاونت 77
تدنيست 105
ترارة 495
تركوكو 111
تركيا 417
تزنيت 331
تسالة 171-445-446-501
تسول 60-62
تطوان 93-94-96-98-113-119-332-389-392-
399-462-481-543-560-579-580-582-612-
614
تعزيزن 450
تغاوست 107
تقرت 32-36-549-556
تكمدارت 559
تلمسان 8-9-10-13-16-17-18-22-13-24-26-
27-28-33-37-41-45-46-47-49-50-51-55-
562-499-408
قصر عبد الكريم 562
قصر كتامة 562
قطلونيا 543
قلعة بني حماد 7-57-218
قلعة بني راشد 476-502
قلعة هوارة 454
القنيطرة 101
القيروان 14-54-78-232-244-244-297-303-
447-448-553

-ك-

كانو 212
كدية المخالي 124
كيرث 64

-ل-

لشبونة 98-106-107-123-513
ليبيا 335

-م-

ماردة 186
مازاغران 100-114-115-114-115-121
مازونة 19-25-77-156-157-436-449
ماسة 107
مالقة 77-86-89-523-524
مالي 447
متيجة 440-441-450
المحمدية 349-381-410
المحيط الأطلسي 2
مدريد 513
المدية 19-41-77-147-439-442-449-450-454-
520
المدينة المنورة 179-182-230
مديونة 14-495
مراكش 3-4-5-8-21-22-64-67-68-69-72-73-
74-76-89-94-105-106-107-108-109-110-
111-112-113-114-115-117-118-119-120-
126-182-184-218-232-240-242-243-244-
245-247-259-259-261-275-272-277-280-
297-310-316-316-335-343-344-347-348-
352-368-369-370-371-372-376-379-380-

-312-130-123-122-89-86-77-75-68-67-57	-390-386-384-383-386-385-384-381-380
-145-144-143-142-138-7-136-136-135	-424-423-420-413-409-404-397-394-392
-169-166-163-157-156-154-153-150-146	-508-499-492-478-473-471-435-429-425
-197-195-193-192-191-190-189-187-184	-543-534-531-524-522-521-519-511-510
-212-511-206-205-204-203-202-201-198	-570-568 -564-559-558-557-550-548-547
-222-221-220-219-218-217-216-215-213	623-621-620-586-582-579-575-574-572
-234-232-231-230-228-227-226-225-223	المرسى الكبير 31-38-97-465-497-498
-278-277-261-262-261-260-259-258-235	مرسية 9
-417-387-385-383-371-335-297-291-282	مزغران 77-607
-437-436-435-434-432-431-430-428-427	مستغانم 19-34-38-47-50-77-436-454-497-
-448-447-446-445-444-441-440-439-438	614-607-503-502
-459-458-457-455-454-452-451-450-449	مسراتة 78-584
-471-470-469-468-467-466-465-464-460	مسيلة 34
-482-481-479-478-477-475-474-473-472	مسيور 389
-501-500-499-498-497-496-495-493-492	المشرق الإسلامي 167-291-292-293-340-474-
-514-512-511-510-509-508-504-503-502	-576-575-557-528-526-524-520-519-517
-524-523-522-521-520-519-518-517-515	602-586-583-582
-537-536-534-533-532-531-527-526-525	المشور 131-173-501-514-515
-552-551-550-548-547-543-540-539-538	مصر 180-183-184-184-185-200-201-205-
-575-574-573-572-571-570-568-558-555	- 290-279-275-245-246-244-244-211-209
-586-583-582-581-580-579-578-577-576	-417-397-385-335-328-326-298-296-293
624-616-615-615-614-613-600-589	616-613-582-523-521-517-513-473
تمبوكتو 354-549-555	مضيق البسفور 514
تمكروت 559-583	المطمر 150
تمنطيط 77-556	معسكر 48
تنس 25-41-42-48-77-200-451-520-614-616	المعقل 74
تنسيفت 429	المعمورة 101-105-106
تنملل 57-76	المغرب الأدنى 30-38-48
توات 77-211-212-549-554-555-556-575-	المغرب الإسلامي 2-7-20-29-77-78-79-95-136-
617-616-615-615-596	-194-187-186-183-163-154-153-147-146
توقرت 506-507	-279-270-269-268-265-261-259-259 -195
تونس 9-20-26-80-93-140-181-184-189-	-494-472-447-427-319-301-288-283-274
-234-232-223-218-215-212-209-205-200	-604-596-560-549-543-534-519-518-517
-320-304-303-302-298-297-273-270-241	607
-477-474-453-452-447-444-417-335-313	المغرب الأقصى 2-10-11-22-30-33-38-54-55-
-526-524-523-522-520-517-480-479-478	-102-96-87-85-84-83-80-77-76 -62-60-59
616-583-552-530-529-526	-250-239-228-189-184-183-176-172-149
تياسة 7-8	-300-289-288-284-283-274-270-260-259
تيدسي 105-107	-319-308-307-328-324-315-314-313-305
التيطري 449	-432-387-383-381-380-369-338-338-320

تيكورارين 14-77-354-549-616
تيوت 380
تيوط 107

-ج-

جبال الأطلس 345-514-515
جبال الريف 504
جبال العلم 93
جبال زرهون 62-89
جبال غياثة 65
جبل الونشريس 442
جبل بني ورنيد 458
جبل بني يزناسن 457-495
جبل طارق 89-100-461
جدالة -335
الجديدة 99
جرجرة 441
جرسيف 5669-121-495
الجريد 453-454
الجزائر 9-19-26-31-32-36-38-40-41-43-44-45-49-50-51-114-121-122-123-124-126-154-156-170-171-203-204-209-215-218-344-383-384-385-387- 399-440-449-450-452-454-458-462-463-466-468-469-471-472-473-474-476-477-478-480-481-488-490-491-492-494-496-497-498-499-500-501-504-506-509-510-511-512-513-514-515-534-537-542-543-545-546-547-547-548-550-551-552-553-554-563-564-566-568-570-571-573-582-583-584-585-586-587-589-591-592-593-598-600-602-605-606-607-609-612-613-614-616-618-619-624
الجزائر 9-19-26-31-32-36-38-40-41-43-44-45-49-50-51
جزر البليار 7
جزيرة طريف 203
جنوة 35
جيان 9
جيجل 32-40-473-477
جيني 555

-447-449-451-462-463-464-465-467-468-
-469-470-472-472-473-474-476-488-
-492-505-507-508-512 -513-515-518-520-
-521-522-524-526-527-528-533-540-542-
-546-547-548-550-551-560-563-566-567-
-568-571-574-576-579-581-583-584-585-
-586-587-593-596-598-600-602-603-604-
-607-608-609-610-612-613-617-619-620-
622-623-624-631
المغرب الأوسط 2-5-10-11-13-14-15-18-19-
-23-27-29-30-31-32-33-34-35-36-37-38-
-39-40-54-128-129-131-133-144-146-147-
-164-165-168-171-172-176-181-182-183-
-185-186-187-188-189-190-192-193-194-
-200-203-209-217-228-232-233-235-
-237-258-259-261-270-274-427-441-445-
-447-448-450-451-452-453-454-455-458-
-459-460-461-462-474-476-507-510-518-
-519-521-527-528-531-537-537-542-554-
560-563
المغرب العربي 557
مكة 208-230-298-340-346-520
مكلاتة 62
مكناس 9-60-62-64-66-67-68-73-83-89-91-
99
-106-111-118-119-126-240-242-246-245-
-249-272-275-276-277-278-279-280-282-
-283-286-281-297-303-336-385-386-491-
-519-525-562-563-578-580-614-618-619
مليانة 7-19-22-24-41-48-77-203-436-450-
454-520-614
مليلية 97-120-121-123-124-440-476-496-
502-505
المملكة النصرية 77
المنصورة 146-193-258-259-278-436-437-
439-446-533
المهدية 5-101
الموصل 148
ميدلت 389
ميلة 454

-ح-
حاحة 105-335
الحجاز 200- 205-209-264-275-279-293-
298-328-473-517-521-523-527
حجر بادس 477-512-511
الحرمين الشريفين 352
حصن البنيون 478
حصن العقاب 186
حصن زكوان 77
حصن فونتي 104
حصن قشتالة 117
الحضنة 507
الحوز 125-335
-خ-
خليج الحسيمة 124
خنيفرة 392
-د-
دار ابن مشعل 495
الدار البيضاء 101
دبدو 14-95-113-119-123-124-126-457-462-
467-482-495-502-503-504-505-511-571-
614
درعة 86-87-102-103-113-345-353-377-
428-429-558-559-577-616
درنة 383-482-489-491
دكالة 6-105-106-114-335
دلس 19-26-41-440-452
دمشق 182-219
دوفردان 385
-ر-
الرباط 259-261-298-303-326-394-399-409-
412-420-534-543-614
رباط الفتح 28-62-432
رباط تازا 56-59-61-62-65-67-68-112
رباط شالة 282
رندة 78
روما 335
رياض الزيتون 370
الريف 125-335-351-371-492-616
-ز-
الزاب 13-26-54-55-56-57-58-440-454-507
ميورقة 7-8
-ن-
ندرومة 17-19-77-213-436-446-449-454-495
نهر اللوكوس 97
نهر دجلة 163
نيسابور 148
-هـ-
الهبط 120-335
هكسورة 335
هنين 19-35-39-77-147-206-436-446-449-
454-479
هوارة 60-62
-و-
واجهران 61-286
وادي أرهيو 441
وادي الصومام 441
وادي العبيد 112-116-480
وادي المخازن 406-562-585-604
وادي أم الربيع 71-72-75-117
وادي تافنة 433
وادي تلاغ 57-75-430
وادي تنسيفت 74
وادي درعة 102
وادي درنة 117-118
وادي زناتة 57
وادي سبو 61-385
وادي شلف 42
وادي صا (زا) 20-445
وادي ملال 454-455
وادي ملوية 75-389-503-504-509
وادي نكور 60
وادي يسر 209
وجدة 19-20-121-122-261-428-431-440-
443-446-451-454-495
ورقلة 32-36-206-207
ولهاصة 495
الونشريس 28-77-432-436-439-440
وهران 31-34-35-37-38-46-47-49-50-57-97-
147-150-156-170-206-208-436-439-446-
449-454-465-471-478-479-494-496-497-

زداغة 353 زرهون 389-578 زكورة 559	-498-499-500-512-513-514-529-530-553 573-578-605-606-614

كلمة شكر

إهداء

مقدمة..... أ

مدخل..... **01**

الباب الأول: التاريخ السياسي للمغربين الأوسط و الأقصى ما بين القرنين (7-10هـ/13-16م)

الفصل الأول: التاريخ السياسي للمغرب الأوسط ما بين القرنين (7-10هـ/13-16م)..... **13**

المبحث الأول: التطور السياسي للدولة الزيانية..... **14**

المبحث الثاني: التطورات السياسية للمغرب الأوسط منذ ظهور العثمانيين إلى سقوط الزيانيين (910- 962هـ/1504- 1554م..... **35**

الفصل الثاني: التاريخ السياسي للمغرب الأقصى ما بين القرنين (7-10هـ/13-16م) **58**

المبحث الأول: المغرب الأقصى في العهد المريني (668-869هـ/1269-1465م)..... **59**

المبحث الثاني: المغرب الأقصى ما بين الوطاسين والسعديين (**823- 961هـ/ 1420- 1554م**)..... **91**

الباب الثاني: التاريخ الثقافي للمغربين الأوسط و الأقصى ما بين القرنين (7-10هـ/13-16م)

الفصل الأول: التاريخ الثقافي للمغرب الأوسط ما بين القرنين (7-10هـ/13-16م) **139**

المبحث الأول: عوامل ازدهار الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (7- 10هـ/ 13- 16م)..... **140**

المبحث الثاني: أصناف العلوم النقلية و العقلية و أشهر علمائها..... **205**

الفصل الثاني: التاريخ الثقافي للمغرب الأقصى ما بين القرنين (7-10هـ/13-16م) .. **249**

المبحث الأول: التاريخ الثقافي للمغرب الأقصى في العهد المريني..... **250**
المبحث الثاني: التاريخ الثقافي للمغرب الأقصى في العهد الوطاسي..... **339**
المبحث الثالث: التاريخ الثقافي للمغرب الأقصى في عهد السعديين..... **360**
الباب الثالث: العلاقات السياسية و الروابط الثقافية بين المغربين الأوسط و الأقصى ما بين القرنين (7-10هـ/13-16م)
الفصل الأول: العلاقات السياسية بين المغربين الأوسط والاقصى ما بين القرنين (7-10هـ/13-16م) **448**
المبحث الأول: العلاقات السياسية بين الزيانيين والمرينيين..... **449**
المبحث الثاني: العلاقات السياسية بين المغربين الأوسط و الأقصى خلال القرن 10هـ / 16 م..... **488**
الفصل الثاني: الروابط الثقافية بين المغربين الأوسط و الأقصى ما بين القرنين (7-10هـ/13-16م) **544**
المبحث الأول: العلاقات الثقافية بين الزيانيين والمرينيين..... **545**
المبحث الثاني: العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط و الأقصى خلال القرن 10هـ/16م..... **572**
الخاتمة..... **659**
الملاحق..... **668**
قائمة المصادر والمراجع **685**
الفهارس..... **728**
فهرس المحتويات..... **762**